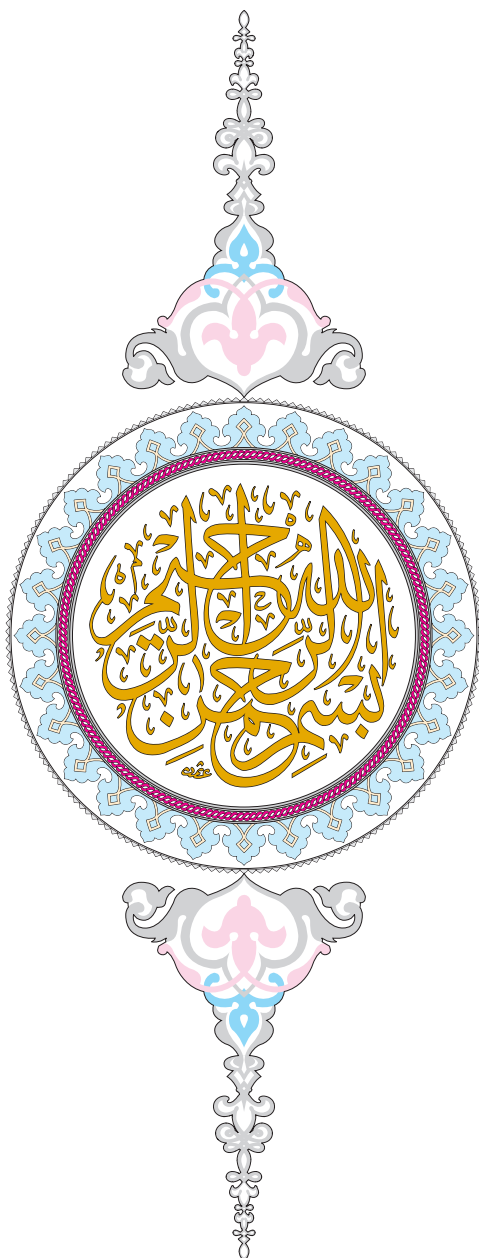
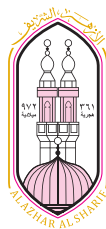






مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

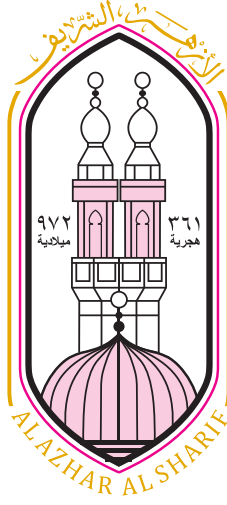
مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

٣٤

المجلد الثالث والثلاثون - القسم الأول

السنة ١٣٨١ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بصدور عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد البقّاد

مدير التحرير
محمود الشراوى

بدل الاشتراك ٤

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المستشار

إدارة أبحاث الأزهر
بالقاهرة

ت ١ ٤٦٢١٤

الجزء الأول - المحرم سنة ١٣٨١ هـ - يونية ١٩٦١ م - المجلد الثالث والثلاثون

الفهرس

١٤
٢٢٢٢٦
دور

صفحة

٩٤ شعر القاضي الفاضل

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوى

١٠١ لغويات : فلان كفاء للعمل - محمد كاتب أجود

منه شاعر - بعتك الدار بما فيها الأثاث -

أحبه كما لم يحب والد ولده - الفصلة والفصل ١٢

للأستاذ محمد على النجار

١٠٦ فى ذكرى الهجرة النبوية - للأستاذ عباس طه

١١٠ ما يقال عن الإسلام : العلية الجديدة فى نيجيريا

للأستاذ عباس محمود العقدة

١١٤ موكب النور « قصيدة »

للأستاذ إبراهيم محمد مجا

١١٦ آراء وأحاديث : من الأستاذ الأكبر للإمام

الإسلامى - الرئيس مكاريوس يزور شيخ

الأزهر - الأستاذ الأكبر يستقبل وفدا من

أساتذة الجامعة الأمريكية

١٢١ النشاط الثقافى للأزهر : إنشاء فصول بمعهد

الإعداد لخرى الجامعات - الأستاذ الأكبر

يستقبل عميد كلية التربية بأندونيسيا - رحلة

مبعوثو الأزهر إلى الملايو إلى انقيليين - عودة

مدير الثقافة الإسلامية من مهمته الرسمية بالمغرب

١٢٤ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السنان - السنة

ومكانها فى التوزيع الإسلامى - بطولات

عربية - بحوث فى تفسير القرآن - بين

الأدب والصحافة

٢ أوبة الإسلام وتوجهه للأستاذ أحمد حسن الزيات

أسباب البدع ومضارها

لإمام المسلمين الشيخ محمود شلتوت

١٧ الحروف والمعاني فى اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقدة

٢١ الإسلام والمجتمع - للأستاذ الدكتور محمد البهى

٢٩ أسس التعامل فى الإسلام - للأستاذ محمد محمد المدنى

٣٤ حياتنا الدنيا مرحلة اختبار ١٠٠٠ !

للأستاذ عبد العاطف السبكى

٣٩ الإسلام فى أوغندا - للأستاذ عطية صقر

٤٥ شاعر أسمى يصف العلمى

٤٦ شعر شوقي بعد المنفى - للأستاذ على العمارى

٥٤ الوجدانية فى الأديان الإفريقية

للأستاذ محمد جلال عباس

٥٨ مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر

للككتور جمال الدين الرمادى

٦٣ رأى الأزهر فى الاتجاهات الحديثة إلى تدريس

النحو - للأستاذ أحمد محمد غنيم

٧٣ عاشوراء فى تاريخ الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومى

٨٠ التكبير فى أواخر السور

للأستاذ محمد محمد العرقاوى

٨٤ زواج المسلم بالكتانية - للأستاذ أحمد الشرباصى

٨٩ المسلمون فى الهند أيضا - للأستاذ عبد المنعم العظمى

أُوبَةُ اللَّهِ ﷻ وَنُوبَتُهُ

بقلم: (أحمد حسن الزيات)

والإسلام دين القوة في حقيقته وطبيعته ، وقوته إنما جاءت من الوحدة التي انبثقت من حقيقة التوحيد فيه ، ومن الجماعة التي نشأت من طبيعة الدعوة إليه ، فإذا أعوزناه انقرط عقده فلا ينتظم ، وتبدد شعاعه فلا يضيء ، وإذا ضعف الدين في نفوس أهله تركوا المقطوع به من كلام الله وسنة رسوله وأخذوا بما لفق أولو الزيف من الأخبار والأحاديث فانقلب في نفوسهم وضعه ، وتغير في عقولهم مدلوله ، حتى ليحق فيهم قول الإمام هلى كرم الله وجهه : « إن هؤلاء القوم لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا ، فالإيمان بالقدر زيفوه حتى أهملوا التوقي استسلاما للقضاء ؛ وتركوا السعى اعتمادا على القسمة ، والإسلام إلى الله زوروه حتى أسلدوا وجوههم للسال والجاه ، وآمنوا بالممالك والحاكم ، فجعلوا الله شركاء من بينهم سخروهم للموى . واستغلوا الشهوة ، واستنزلوهم للمستعمر ، فزق وطنهم إلى دويلات بين كل منها حدود وجرك . ولكل منها شعار وعلم ، وعلى كل منها حماية أو وصاية

ثم كانت أوبة الإسلام حين نابت إليه صحته وعادت إليه قوته . وعودة القوة إليه إنما كانت رهنا بإيمان الشعب الذى يتقبله

في غرة هذا المحرم من طلعة هذا العام يستطيع الراصد المسجل أن يرى في سموات الشرق الإسلامى تباشير النور المحمدى تبرز من جديد في الآفاق المظلمة من آسيا وإفريقيا فتتضح السبل وتستبين المعالم وتتعارف الأوجه وتتلاقى الإخوة ، قهفو نفوس إلى نفوس ، وتعطف قلوب على قلوب ، وتنضم أيد إلى أيد ، وتتصل أوطان بأوطان ، ويوم يتم الله نوره مرة أخرى يعود الإسلام كما كان : قومية عربية ، ثم جامعة إسلامية ، ثم أمة وسطا تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتجاهد في سبيل الله ، وتعاون على إقرار السلام .

قال طيب الذكر خالد الأثر الإمام محمد عبده لجبرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا في رده المفعم على مقاله المعروف : « إن الإسلام إن طالت به غيبة ، فله أوبة ، وإن صدعته النوائب فله نوبة . وقد أذن الله اليوم لدينه أن يثوب من غيابه ، ولنوره أن يسفر من حجابيه ، ولسلطانه أن يعود إلى نصابه . وكانت غيبة الإسلام في هذه الحقبة الطويلة عن ضمير الفرد وقلب الأمرة وروح المجتمع وسياسة الحكومة ، أثرا اصدعات الرأى ونزوات الهوى وشتات الوحدة وعثرات المجد .

بركنيه صراط للفرد يصل عليه إلى سلام نفسه ، ودستور للشعب يصل به إلى نظام مجتمعه والدستور لا يقوم إلا إذا قامت أمة ، والأمة لا تكون إلا إذا كانت وحدة ، والوحدة لا تجتمع إلا إذا ألفت بينها زعامة من دين تعتمد على قوة الله ، أو رياسة من دنيا تعتمد على قوة الشعب . فإذا فسد الزعيم بغلبة هواه ، أو ضعف أمره يضعف قواه تشتت الوحدة وتمزقت الأمة وتعطلت الشريعة وحل محلها أمر الطاغية أو حكم المستعمر . وآل أمر الدين في النفوس الخائفة إلى عبادة صورية لا تتصل بالسلوك ، أو إلى صوفية سلبية لا ترتبط بالدنيا . ومن هنا تنفس صبح الإسلام وبدأت نهضة المسلمين في الجمهورية العربية المتحدة ؛ لأنها كانت الدولة الإسلامية الأولى التي تجل لها الله فأظهر فيها المصلح الذي أكل لها معنى الاستقلال ، وأتم عليها نعمة الحرية ، وجعل سياستها وحدة العرب ، ورسالتها نهضة المسلمين ، ودفعها إلى صف القوة الضاربة في ميادين السياسة ، ورفعها إلى مستوى القدرة العالمية في حقول الإنتاج .

ومن هنا أيضاً شعر العرب والمسلمون بكيانهم يتميز ، وبوطنهم يتحرر ، وبسلطانهم يعود ، وبإرادتهم تسود ، فذكروا أنهم كانوا وهم على مثل هذه الحال من الحرية والقوة والمنعة قادة البشرية وأدلاءها ، يهدونها بنور

ويتمثله ، وبصدق الزعيم الذي يرعاه ويمثله . وإيمان الشعب لا يتحقق إلا باستكمال وجوده واستقلال إرادته ، وصدق الزعيم لا يتأتى إلا باستعداد من طبعه وتوفيق من ربه . وهذه السنين الناصرية العشر من تاريخنا الطويل الحفيل كانت خاتمة لاستعمار باغ عطل العقول وأبطل القيم ، وحكم طاغ أفسد الأخلاق وأضعف المهم ، وفاتحة لاستقلال وطني حرر النفوس وطهر الأخلاق ، وحكم شعبي قام على قواعد الشعب ودار على مصالح العامة ، واعتمد في إحياء القديم الصالح ، وإنشاء الجديد المفيد ، على القوى المادية والفكرية والروحية ، فسخر العلم للإنتاج ، واسترشد الدين في العلاج ، ورفع من معنى العروبة بإعداد العدة وتوثيق العقدة ، وأيقن أن الظفر في الصراع الدولي إنما يكون للقوة الأشد والسلاح الأحاد والرأى الأسد ، فوقف من الطامعين في أرض العرب وأرزاق المسلمين موقف السبع من السبع : مخلباً لمخلب ، وناباً لناب ، أخذاً بقول أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد حين أرسله إلى حرب اليمامة : « حاربهم بما يحاربونك : السيف بالسيف ، والرمح بالرمح » .

أما هلة ارتباط الإسلام بالقوة والسلطان فلأنه دون سائر الأديان ، قائم على ركنين من دين ودنيا : من عبادة تديم الصلة بين المرء وربّه ، وقيادة تصلح الأمر بين الحاكم وشعبه ، فهو

والله ، ويحكمونها بدستور محمد ، ويسوسونها بعقيدة الجنس ، واعتقدوا أن نوبة الإسلام في حمل المصباح قد أرمص لها هذا الرعى الديني الذي اتسع وعمق في قلوب المؤمنين ، فحملهم على أن يتعاطفوا بأخوة الإيمان كما تتعاطف أبناء الأسرة بقرابة الدم ، وأن يسووا صفوفهم في الجهاد كما يسوونها في صلاة الجماعة ، وأن يولوا وجوههم شطر العناية الجامعة كما يولونها شطر المسجد الحرام ، فالشعوب الإسلامية في تضامن وتعاون ، والآقاعاب في تزاور وتشاور ، والحكومات تتنافس في نشر الثقافة وإحياء التراث بما تنفق من أموال وتقيم من مؤتمرات وتنشئ من مجالس .

والأزهر يحدد مآرث من حبل الدين ويبين ما درس من معالم الشريعة بمن يخرج من دعاة ووعاظ ، ويوفد من رسل وبعوث ، وينشر من مجلات وكسب ، وينشئ من كليات ومعاهد . والجمعيات الدينية الكثيرة تتجاهد بأنفسها وأموالها في سبيل الرسالة الخالدة ، تدعو إليها بالقدوة ، وتدفع عنها بالحجة . والعلماء والأدباء يغطون المسكاتب ويفرشون الأفاريز بنتاج القرائح المؤمنة في إظهار ما بطن في العقيدة والشريعة من المبادئ التي وضعها المعلم الخبير لتعمر بها الدنيا ويصلح عليها العيش ويعتدل بها الميزان ويجتمع للناس فيها الرخاء والنماء والأمن ، والمنبر في المسجد

والمصورات في الإذاعة والمطبعة في الصحافة تذيع بالكلمات المقروءة والمسموعة مزايا الإسلام في بناء مجتمع صالح على أنقاض هذا المجتمع العاسد الذي تخلى عنه الله فهدمه الشيطان بإثارة النزاع وإدامة الصراع بين كتلتين : شرقية شيوعية ، وغربية رأسمالية ، تزعمنا العالم بقوة المال والعلم والعدد فأضلناه السبيل وحرمتنا السكينة ، والانحدار القومي يؤلف اللجان من أصحاب الكفاليات والمؤهلات لية تبدوا الهدى من نور الله في تربية الأسرة وترقية المجتمع وتنمية الثروة وتقوية الحكومة . والروح التي انبثت في هؤلاء جميعا إنما كانت مددا من تلك الروح التي بثها الله في هذه الزعامة المؤمنة العاملة فأحييت الموات وضمت الشتات وأزالت الفسوق وأرجبت الحقوق وجعلت الثورة لأول مرة في تاريخ البشرية ثورة سلام ورحمة : للعرق لا للدم ، وللبناء لا للهدم ، وللأبدى لا للصدور ، والأكواخ لا للقصور ، والذين استضعفوا في الأرض على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، لا لوطن بحدوده ولا لشعب بعينه ثم اجتمعت من فوق الأرض أصلي الشقاء وهما الجوع والخوف ؛ قوضت معازل الإقطاع فوجد المحرومون برد العيش ، وحطمت هياكل الأصنام فلم ير الناس أمامهم غير وجه الله !

أحمد محمد الزيات

أَسْبَابُ الْبِدْعِ وَمِصَارِهَا

لِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

السَّيِّحِ مُحَمَّدٍ مَسْنُونٍ

الفصل الأول

في أسباب الابتداع

لا بد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة لا يعقريها نقص، سليمة لا يلحقها تحريف، من أن تعنى بمعرفة النواقد التي يترب منها الخلل إلى الشرائع فتلغوها وتحكم غلقها، وبخاصة إذا كانت هذه الشريعة قد جاءت على أساس من المعلوم لتنظم شعوبا تختلف ألسنتها، وتباين عاداتها، وتعدد دياناتها التي كانت عليها من قبل.

وهكذا فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في شريعته المطهرة، فقد روي وهو في أول مراحلها، عليه الصلاة والسلام، المداخل التي يمكن أن ينفذ منها الخلل إليها وينتشر قهقري عنها، وحذر منها بالغ في التنكير على من حام حولها.

وقد رأينا بعد الاستقراء أن المداخل الموقعة في البدعة، منها ما يوقع في ابتداعها، ومنها ما يوقع في العمل بها وانتشارها. وأن

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع. ومن أشهر تلك الأحاديث: «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»، «ترجع البدعة في واقعها إلى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة، فهي أولا خاصة بما يتعبد به. وإذن فلا ابتداع في العادات ولا في الصناعات ولا في وسائل الحياة العامة».

إن الابتداع في الدين له أسباب توقع فيه، ومضار ترتب عليه، وشأن العاقل إذا عرف مضارا لخطأ ما، أن يجتهد في إبعاد نفسه عنها، ويحتمل بينه وبين الوقوع في أسبابها المفضية إليها وقاية تعصمه من الوقوع فيها، وينتقد لذلك فصلان: أحدهما في بيان الأسباب التي توقع في الابتداع وفي انتشار البدع، والآخر في بيان المضار التي ترتب على الابتداع والعمل بالبدعة.

الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع ، وقد يترتب على الأول إمداد الأحكام التي صحت بها أحاديث . كما يترتب على الثاني إمداد الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها . وإحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع ، وقد نبه على ذلك حديث : إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ،

ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ففسلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا ، وجاء فيه أيضا حديث : ما من نبي بعثه الله في أمته قبل إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .

وأما الجهل بمحل القياس في التشريع ، فقد نشأ عنه أيضا أن قاس الناس من متأخري الفقهاء في العبادات وأثبتوا به في الدين ما لم ترد به سنة ولا عمل ، مع توفر الحاجة إلى عمله وعدم المانع منه ، ومن ذلك إسقاط الصلاة . فإن أصحابها قاسوها على فدية الصوم التي ورد النص بها ، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها .

الشرعية عنيت بالأميرين وأشارت إلى أسباب كل منهما ووضعت لهذه الأسباب العلاج الذي لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها وظل الدين نقيا سليما كما شرعه الله ، وكما بلغه رسوله ، ودرج عليه الأصحاب من بعده ،

* * *

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة :

(أ) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصادرها .

(ب) متابعة الهوى في الأحكام .

(ج) تحسين الظن بالعقل في الشرعيات .

الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها :

مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله وسنة الرسول ، وما ألحق بهما من الإجماع والقياس ، والأصل في هذه المصادر الذي يحكم على سائرهما هو كتاب الله وتليته السنة ، ثم الإجماع ، ثم القياس ، والقياس لا يرجع إليه في أحكام العبادات ؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم في الأصل معلولا بمعنى يوجد في غيره ، ومبنى للعبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص . ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة ، ترجع إلى الجهل بالسنة ، وإلى الجهل بمحل القياس ، وإلى الجهل بأساليب اللغة العربية ، وإلى الجهل بمرتبة القياس أما الجهل بالسنة فيشمل الجهل بالأحاديث

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع ، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لإسقاط تكاليف الحكم المبتدع ، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتتيال في إسقاطها من الدين - ويحذر بنا تسميته بالبدعة المركبة - يخرجان من عبدة التكليف ، ويرتب عليهما ثواب الله الذي أعد للدين آمنوا وعملوا الصالحات . وهذا نوع خاص من البدعة :

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية ، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سببا في إحداث ما لا يعرفه الأولون . ومن ذلك قول بعض الناس إن حديث : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » ، يطلب الصلاة على النبي من المؤذن عقب الأذان ، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان ، وهي الجهر ، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة ، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين ، والمؤذن داخل فيهم ، أو بأن قوله (إذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه . وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة في مثل هذا ؛ فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعا ، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضا . ومن ذلك أيضا ما يزعمه بعض آخر من أن المحرم من الحزير لحمه دون شحمه ؛ لأن القرآن إنما

حرم اللحم دون الشحم ، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة « اللحم » في اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس . ومنه أيضا قول بعض المتكلمين إن الله (جنباً) بدليل قوله تعالى « أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله » ، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لا تعرف « الجنب » ، في مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهمي تقول :

هذا يصغر في جنب ذاك تريد بالإضافة إليه . قال الإمام الرازي في تفسيره : « القائلون بإثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على إثبات الجنب بهذه الآية ، واعلم أن دلالتنا على نفي الأعضاء قد كثرت فلا فائدة في الإعادة : وبعد أن سبق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب قال : واعلم أن الإكثار من هذه العبادات لا يفيد شرح الصدور وشفاء الغليل فنقول : الجنب سمي جنباً لأنه جانب من جوانب الشيء ، والشيء الذي يكون من لوازم الشيء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه . فلما حصلت هذه المشابهة بين الجنب الذي هو العضو ، وبين ما يكون لازماً للشيء وتابعاً له صح الإطلاق ، ولا جرم من إطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة قال الشاعر :

أما تتقين الله في جنب وامق

له كبد حصى عليك تقطع

وهذا نوع خاص من البدعة :
وأما الجهل بأساليب اللغة العربية ، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سببا في إحداث ما لا يعرفه الأولون . ومن ذلك قول بعض الناس إن حديث : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » ، يطلب الصلاة على النبي من المؤذن عقب الأذان ، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان ، وهي الجهر ، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة ، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين ، والمؤذن داخل فيهم ، أو بأن قوله (إذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه . وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة في مثل هذا ؛ فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعا ، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضا . ومن ذلك أيضا ما يزعمه بعض آخر من أن المحرم من الحزير لحمه دون شحمه ؛ لأن القرآن إنما

أصل الزيف عن صراط الله المستقيم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، وقد جاء في الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) والابتداع به يكثر عند أرباب المطامع في خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها ، ولعل أكثر الحيل التي نراها منسوبة إلى الدين - والدين منها برى - يرجع إلى هذا ، ولا يبعد أن يكون منه الأذان السلطاني ونحوه من البدع التي لم نرها إلا في صلاة الملوك والسلاطين ، وكذلك بدعة الحمل ، وبدعة الاجتماع لإحياء بعض الليالي وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة لملك أو مشورة لمقرب إليه ، ثم توارثتها الأجيال . وعمت الجماهير ، وصارت عندهم ديناً ينكرون على من أنكره . والمتبدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الحطة السيئة إلى أولئك الذين قال الله فيهم « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون » ، « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار . ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ، والواقع أنه بمتابعة الهوى تكسح الأديان

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتي الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية : مفرداتها وأساليبها ، وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والهمنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسي في جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها .

وأما الجهل بمرتبة القياس في مصادر التشريع وهي التأخر عن السنة ، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا إليها فوفعوا في البدعة ، والمتنبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع ، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام عقب الأذان مع وجود السنة التركية التي قد علت حكمها وأنها مقدمة على القياس ، ومع أن حديث « إذا سمعتم المؤذن ، يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الأذان » .

متابعة الهوى في الأعطام :

قد يكون الناظر في الأدلة من تملكهم الأهواء فتدفعه إلى تقرير الحكم الذي يحقق غرضه ثم يأخذ في نيل الدليل الذي يعتمد عليه ويجادل به ، وهذا في الواقع يجعل الهوى أصلاً تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة ، وهو قلب لقضية التشريع ، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة . ومتابعة الهوى

في ذلك وجعلوه أصلاً في التشريع الإلهي ، واستباحوا بعقولهم فيه ما لم يأذن به الله ، وما لا نعلم أنه يرضى الله أو يغضبه ، ولقد أعانهم على الابتداع في العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه ، وزعموا أن هذه الأسرار هي المقصودة لله في تشريع الحكم ، وأنها داعية إليه ، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار في بعض تشريع الله .

وهذا هو الاستحسان الذي ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين ، وأنكروا على الآخذين به . ومن ذلك قول الشافعي : « الاستحسان تلذذ ، ولو جاز لأحد الاستحسان في الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم ، ولجاز أن يشرع في الدين في كل باب ، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعاً ، وقوله « ومن استحسّن فقد شرع » ومعناه كما قال الرياني « أنه نصب من جهة نفسه شرعاً غير الشرع ، وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق ، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التي صحّت بها الأحاديث كالهراط والميزان ، وحشر الأجساد والنعم والعذاب الجسمي ورؤية الباري وما إلى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على إدراكه . وباستحسان العقل القاصر ترك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جرياً وراء أن غيرها

ويقتل كل خير ، والابتداع به أشد أنواع الابتداع إثماً عند الله وأعظم جرماً على الحق . فكم حرف الهوى من شرائع ، وبدل من ديانات ، وأوقع الإنسان في ضلال مبين .

تحسين الظن بالمقل في الشرعيات :

إن الله جعل للعقول حداً تنتهي في الإدراك إليه ، ولم يجعل لها سبيلاً إلى إدراك كل شيء ، فمن الأشياء ما لا يصل العقل لإليه بحال . ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه . وهي مع هذا القصور الذاتي لا تكاد تتفق في فهم الحقائق التي أمكن لها إدراكها ، فإن قوى الإدراك ووسائله تختلف عند النظر اختلافًا كثيراً ، ولهذا كان لا بد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه ، وفيما تختلف فيه الأنظار ، من الرجوع إلى مخبر صادق ، يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه ، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد عند الله العليم بكل شيء ، الخبير بما خلق ، وعلى هذا الأصل بعث الله رسلاً يبينون للناس ما يرضى خالقهم ، ويضمن سعادتهم . ويجعل لهم خطاً وافراً في خيرى الدنيا والآخرة . وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذي حدده الله ، وجعلوه حجة الله على عباده ، وحكموه فيما لا يدركه بما أنزل الله ، فرجعوا في التشريع إليه وأنكروا في العقل كل ما لم يهد في إدراكه ، ثم توسعوا

الروايات مع أن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما. وحمل جميع أفعال النبي صلى الله عليه وسلم على التعبد الذي يجب فيه التأسي مع أن كثيرا منه عادي لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسي .

ونارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها للشارع كدوام الصيام والقيام والتبذل وترك الزوج والستام السنن والآداب كالنزام الواجبات، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما في قوله عليه السلام : « ما بال قوم يتزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له ، ، وقوله عليه السلام : « ان يشاد الدين أحد إلا غلبه ، وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشد الله عليكم ، وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم على ابن عمر والرهط الذين تقللوا عبادته صلى الله عليه وسلم وأرادوا مشاق الطاعات .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات في العبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعللوا لاتباعهم على أنها دين ودين قوى ، وجهلوا أن القرب من الله إنما يكون بالنزام تشريع الله وأحكامه ، وأن وسائل التقرب إليه محصورة فيما شره وبلغه عنه رسوله الأمين فوقعوا بذلك في البدعة والخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين .

أقوى منها في تحصيل الغرض المقصود من التكليف ، وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصاً على التقرب من الله .

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية إليه ، يترتب أيضا على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فلتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح . ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع في المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعا كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا في المسجد والجنائز .

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ؛ ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة في جنس ما يتعبد الله به ، وهذا تارة يكون بإلحاق غير المشروع بالمشروع ؛ لأنه يزيد في المقصود من التشريع ، ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التي لم يحرمها الله لأنه يزيد في الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحريير . ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض

وتراه أيضا في أتباع الفقهاء يقرءون هضم في كتبهم ، ويعتقدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم وإن وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأى أئمتهم ، وقد أفرط الناس في رفع مستوى العلماء . ومؤلفي الكتب بالنسبة إلى ما خلفوه من آراء وأحكام واعتقد كل فريق أنه رأى متبوعه هو الحق ، وقالوا : إنه لو كان الدين غيره لما استقر على توالى العصور ، ولأنكره من قبلنا من الشيوخ والأئمة ، وأنه لاحق لنا في التمسك بالحديث يروى بخلاف رأى الأئمة والمدون في الكتب ، لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه ، فلا شأن لنا به ولا يصح أن نعدل إليه ونترك ما ألقناه من العبادة وكيفيتها .

سرى ذلك في عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السنة ، معورين أعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب الابتداع لتكون سجلا إلى ترويج بدعهم وهم من ولد عالما اقي الله سالما ، وقد فات هؤلاء أن التقليد المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف إلى الحق ، والرجوع إليه ببيئته وأنه مامن إمام إلا حذر من الاتباع وترك الحديث إذا صح ، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله في كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسلاف أصلا في الدين يرجع إليه دون سواء حتى ردوا برهان الرسالة

هذه الأسباب التي أوردناها هنا للابتداع قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث : ويحمل هذا العلم في كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، فتحريف المغالين يشير إلى التعصب والتشدد ، وانتحال المبطلين يشير إلى تحسين الظن بالعقل في الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير إلى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها ، الأسباب المفضية إلى ذبوع البرعمة : يرجع ذبوع البدعة وانتشارها بين الناس إلى أمرين شديدي الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص :

أولها - اعتقاد العصمة في غير المعصوم . والآخر - التهاون في بيان الشريعة على الوجه الذي به نقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وكثيرا ما ترى الأول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئا من الأحوال التي تنافي الأحكام الشرعية ، فيعتقدون أنها من التشريع الذي خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقا ، ولا يقول إلا صدقا ، والفقهاء للعموم وهذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه في كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضا .

الواجب الدينى العظيم الذى يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران - أمملوه - إما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، وإما بحاملة للعظام والحكام ، وإما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة «دع الخلق للخالق» التى يبررون بها إحجامهم عن البيان ، وإما قواكلا نظراً إلى أن البيان واجب كفاً قىام البعض به يستقط وجوبه عن الباقين .

ولما سكك العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ظن العامة أن ما يفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم بحكم الإلف والعادة العلماء لهم فيا يفعلون وبذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع إلى ما تركوا من السنن شاقا على من يحاوله ؛ لأنهم يرونه إحداثا جديدا فى الدين لم يعرفوه فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد كان للعلماء من تحذير الله ، ترك البيان وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يدفع بهم إلى مكائفة البدع كلها ذر قرنبا ، والعمل على حفظ السنن كلها بيت عليها ربح عاصف ، ونرجو أن يكون عن هذا ما يذهبنا إلى واجبنا وينقذنا من هول ما نحن فيه . هداانا الله إلى صراطه المستقيم .

الفصل الثانى :

فى مضاار الابتداع

لو أن مضاار الابتداع تقف عند المبتدع

وحجة القرآن بقولهم : «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» ، وقائهم أيضا أن التعصب لرأى العلماء إلى هذا الحد نوع من اتخاذ غير الله ربا . وكان ذلك سنة أتباع الأحبار والرهبان ، «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» ، وقائهم أن الإجماع الذى حد مصدرا من مصادر التشريع يجب اتباعه ، ويتصل بهذا أيضا الخطأ فى فهم معنى الإجماع الذى حد من مصادر التشريع الإسلامى ، فقد يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصة إذا اتفق توارثه عن أجيال سابقة ، وعم العمل به جميع الطبقات فى المساجد والمجتمعات وأندية العلماء من إجماع الأمة التى ورد أنها لا تجتمع على ضلالة ، فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء مأثورة وقد رأها العلماء وخاطبوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين ، وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والمواالد، وإحياء الليالى والاستئجار على الخنات والنهاليل والتسابيح إلى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برى .

أما الثانى وهو تهاون العلماء فى بيان الشرمة فائمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما نزل إليهم ، وقد أممل جمهور العلماء من زمن بعيد هذا

لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون .

وقد ورد في تفسير قوله تعالى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » . أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا يحلون ويحرمون ، وهذه الربوبية هي ربوبية التشريع التي تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحرير .

ولا شك أن مملك المبتدع في تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعي ، وفي دعوة الناس إلى بدعته هو بعينه مملك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذي لا يكون إلا لله .

ولهذا كان المبتدع في هذه الناحية واضعاً نفسه موضع المقتصب لحق التشريع الذي لا يكون إلا لله ، وواضعاً نفسه موضع من يرى أن الحدود التي رسمها الله ليتقرب بها العباد إليه إما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص ، وإما أن محمداً صلى الله عليه وسلم قصر في التبليغ وحجز عن أمته بعض ما يقربها إلى الله . وفي هذا المعنى قال الإمام مالك رضي الله عنه : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم ، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .

ولا تتعداه إلى غيره لأن الأمر وسهل الخطب ؛ ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه في العمل بالبدعة ، ومنها ما يصيب الدين نفسه ، ومنها ما يصيب الأمة التي وقع الابتداع في دينها . أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون إلا لله وحده . وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة ، ولذلك يقوم بالدعوة إليها والحث عليها . وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذي يتعبد الناس بأمره ونهيه ، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذي لا يكون إلا لله ، قصده المبتدع أم لم يقصده .

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأحبار والرهبان من أهل الكتاب ، ونهى القرآن الكريم على الفريقين مسلكهم ، وقص علينا شيئاً مما شرعه المشركون بغير حق . قال تعالى في سورة الأنعام : « وقالوا هذه أنعام وحرت حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها اقترأ عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ، وقال تعالى في سورة النحل : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، وفي الصحيحين (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) وقد أشار إلى ذلك الحديث (وما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل) وفيه دلالة واضحة على أن من سن ما لا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول في تحمل قتل النفس التي تقتل ظلما لأن الإثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا . وإنما لأنه عمل ما لا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين . وإذا غاب عن المبتدع شيء من هذه المضار التي تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها فإنه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على إماتة السنن ، فقد ثبت أن من السنة ترك البدعة فلا يمكن إقامة أحدهما مع العمل بالأخرى ، وقد جاء عن حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرتين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرتين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما إلا قليلا ، قال : والذي نفسى بيده لئلا يظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرتين من النور . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن .

وبهذه المعاني التي تلزم الابتداع في الدين

وجاء في كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى عدى ابن أرمطة عليك بالسنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافتها من الخطأ والزلل والحق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لا تقسم فإنهم على علم وتقوى .

فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا لخير الناس في دينهم فما أجدره بالخزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التي هرف للشارع ما فيها من خطأ وزلل وحق .

وإذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السيئ من هاتين الناحيتين : اغتصاب حق الله في التشريع ، والوقوف من التشريع موقف من يمتد فيه النقص وعدم التمام ، فإنه من جهة ثالثة يوقع للناس في اعتقاد أن ما ليس من الدين دين ، وهو من التلبس الذي أضل به كثير من أهل الكتاب وصرفوا به كثيرا من الناس عن سبيل الهدى والرشاد : يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، فأنى عطفه ليعضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد .

ومن هنا كان المبتدع ضالاعليه وزر عمله ، ومضلا عليه أوزار الذين اتبعوه في بدعته . قال تعالى : ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة

الناس في الكتاب أو أنك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... إلخ .

فتأملوا المعنى الذي أشرك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين . وذلك مضادة الشارع فيما شرع ؛ لأن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على غاية ما يمكن من البيان فضاها الكافر بأن جحدتها جحدا ، وضادها كاتمها بنفس السكتان ، لأن الشارع يبين ويظهر ، وهذا يكتم ، يخفي ، وضاده المبتدع بأن وضع الوسيلة لدرك ما بين وإخفاء ما ظهر .

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب ، لأنهم يعبدون الله بالبدع التي لم يقرها ديننا ولم يجعلها طريقا للعبادة ، ولأنهم يتركون بكل بدعة يعملونها سنة من السنن التي جاء بها الرسول وحث عليها . ولهم بذلك كفل من العمل في هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون ، وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الاتباع الذين أخذوا بأباطيل المبتدعين ، وألقوا بأنفسهم في أحضانهم ، وقد كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا إليه ، قال تعالى في سورة البقرة : « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ، وقال في سورة الأحزاب : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله

صحت الأحاديث في رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب . وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعرف وأهله فتوجع واسترجع ثم قال : قوم أراد أوجها من الخير فلم يصيروه ، فقليل له : يا أبا محمد ، أفيرجى لهم مع ذلك لسميهم ثواب ؟ فقال : ليس في خلاف السنة رجاء ثواب .

والوجه فيه ظاهر ، فإن التقرب إلى الله لا ينال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذي شرعه . أما ما لم يشرعه من وسائل التقرب إليه فإنه لا يثيب عليه .

وصحت الأحاديث أيضا في استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال عليه السلام : (من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قال الشافعي في الاعتصام : « وقد اشترك صاحب البدعة في اللعنة مع من كفر بعد إيمانه ، وقد شهد أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا شك فيها وجاءه الهدى من الله والبيان الشافي . وذلك قوله تعالى : كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق - إلى قوله - أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... إلخ .

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله وبينه في كتابه وذلك قوله تعالى : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه

د إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

وقد جاء في الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام قوله تعالى : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . وروى أحمد والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : وهذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » .

وقد عني القرآن كثيرا بتحذر الأمة من التفرق والاختلاف لأنه الداء الويل الذي يسرع بالفناء إلى الأمم .

وبعد : فهذا موجز للقول في بيان الأضرار المترتبة على الابتداع نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردعهم عن خطئة الابتداع ، ويدفع بهم إلى تعرف السنن والتمسك بها .

هدانا الله إلى صراطه المستقيم ؟

محمد مشهور

وأطلعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ، .

أما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله . والاول سبب من أسباب اندراس الشرائع ، والثاني سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم احترامها . ويتجلى هذا في بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا ياباه ما للدين من جمال وجلال ، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين في النفوس وتصبح هي الدين المتبع عند الناس ، وبقدر ذبوعها يكون اندراس الدين ، وهذا هو الطريق الذي اندرست به الشرائع السابقة . وانحرف عنها المتدينون ، ولهذا نعى القرآن الكريم على من حرفوا الحكم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام .

أما ما يصيب الأمة التي دخلت البدع في دينها فهو إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام ، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته ، والسنة لا بد لها من طائفة تدينها وتقوم عليها ، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعا وأحزابا ، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتقلب الأمة يضرب بمضمارقاب بعض ، قالت عائشة : ألا إن نبيكم قد برى من فرق دينه واحترب وتلت قوله تعالى :

الحروف والمعاني في اللغة العربية

الأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الشاعر الكبير الأستاذ رشيد سليم الخوري معقبا على رأيي في دلالة الأوزان ومخارج الحروف باللغة العربية - من كتاب اللغة الشاعرة - فنال حفظه الله :
 « ... قد انتهت بطول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو تقيض حرف الغين بدلالته على الإبانة والوضوح : فتح ، فضح ، فرح ، فلق ، فجر ، فسر ، إلخ ... مما يعي إحصاؤه ويندر استثنائه ، وأن حرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرمة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل : ضجر ، ضر ، ضرير ، ضجيج ، ضوضاء ، ضياع ، ضلال ، ضنك ، ضيق ، ضنى ، ضوى ، ضراوة ، ضئزى ، وبعكسه الحاء التي تكاد تحتكر أشرف المعاني وأفواها : حب ، حق ، حرية ، حياة ، حسن ، حركة ، حكمة ، حلم ، حزم ، وأرى أنها لهذه المزية ولا متاعها - أو على الأقل مشقتها - دون سائر حروفنا الحلقية على حناجر الأعاجم هي أولى بأن تنسب إليها لغتنا ، فنقول لغة الحاء ، بدلا من قولنا لغة الضاد .

* * *

والرأى الذي أوجزه الشاعر الكبير موضوع بحث مفيد يتصل ويتفرق بين المشتغلين بأسرار اللغة العربية أو بذوقياتها ، وطرائف تركيبها ، وآخر مناقشة فيه حضرتها كانت بين رجلين من كبار رجال المحاماة عندنا وهما الأستاذ نجيب برادة الذي كان زميلا لنا بمجلس الشيوخ والأستاذ ابراهيم الهلباوى رحمهما الله ، وكان الأستاذ برادة يبحث عن أثر الحروف في السمع وعلاقة ذلك بالفصاحة والإقناع ، ويعتقد أن « الحاء » أظهر الحروف أثرا في الإيحاء بمعاني السعة - حسية كانت أو فكرية - ويعمم الحكم فيسوى بين موقع الحاء في أول الكلمة وموقعها في وسطها أو آخرها ، ويتمثل بكلمات الحرية والحياة والحلم والحكمة والحلاوة ، وهو - رحمه الله - قد كان في خلايقه مثالا للحلم والحكمة والآناة ، ولم تسكن شدته في الدفاع أو المناقشة والمناقضة تحول يوما دون ابتسامه اللطف والبشاشة على شفثيه .

والقد كان زميله الهلباوى - على عادته في الفكاهة والدعابة - يسخر من فلسفته

فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السعة حين يلفظ الغم بكلمات « الارتياح والسماح والفلاح والنجاح والفصاحة والسمجاجة والفرح والمرح والصفح والفتح والتمسيح والنرويح ، وما جرى مجراها في دلالة لفظه على الراحة في الضغط والقييد في مخارج الأصوات .

ولا يمتنع مع هذا أن تكون « الحاء » المنفردة حرفاً سهلاً قليل الحاجة إلى الضغط في مخارج الصوت ، ولكن يجوز أن يكون البدء بهما مقصوداً به عند وضع الكلمات الأولى أن تتبعه الحركة التي تناقض معنى السعة لتدل على الحجز والتقييد ، فإن الجيم الساكنة بعد الحاء أشبه شيء بعلامة الإلغاء التي توضع على صورة الرجل المشاي على قدميه ، ليستفاد منها « أن المشي ممنوع في هذا المكان » ... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء في اسم « الحبس » فإنها تنفي السعة بعد الإشارة إليها في أول الكلمة ، وهذا - كما قدمنا - فرض يجوز أن يخطر على البال قبل رفض القول بدلالة الحاء على السعة في أواخر الكلمات ، وهي دلالة يعززها التكرار والإحساس بموقع الكلمات المنتهية بالحاء من الأسماح .

وقد ينفعنا الالتفات إلى دلالة الحكاية الصوتية للفرقة بين حروف الهجاء في خصائصها المعنوية . إذ ليست كل الحروف سواء في حكاية

« الحائية » كما يسميها ، ويقول له إن اسم « الحمار » مبدوء بالحاء ، وإن أشيع اللفظات على ألسنة الناديات يتردد فيها حرف « الحاء » ..

وإن « حسين فلان » ... ويسمى صاحباً لهما باسمه واسم أبيه « من أضييق أصحاب العقول والصدور ... !

وكنا - إذا ضحكنا من هذه الدعابة - لا نسمح لها أن تخلط بين النكتة والحجة ولا ننسى خطر الفكاهة في مقام الاستدلال على الجد والحقيقة . إلا أننا كنا نخالف الأستاذ برادة في تعميم الحكم على الحرف بغير تفرقة بين مواقفه في الكلمات ومواقفه في السماع ، وقد ضربنا له المثل بكلمات لا تغيب عن المحامين على التخصيص : وهي كلمات « الحبس والحجز والحرج والحد والحساب والحرس ، وغيرها من الكلمات التي تناقض معاني السعة بالحس أو بالتفكير . ونحب أن نعود إلى هذا البحث لمناسبة الرأي الذي أبداه الأستاذ الخوري فنقول إن : « الحاء » حتماً من الحروف التي تصور معنى السعة بلفظها ووقعها في السمع ولكن على حسب موضعها من الكلمة ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية ، وليست دلالتها هذه مصاحبة لفظها حيث كانت من أوائل الكلمات أو أواخرها .

وهي غير مجاورة الياء والفاء في التفسير والتفسير .

وقد تكون الدلالة الصوتية مطردة متماثلة بين جميع الكلمات ولكنها تحسب من الاستثناء عند النظر إلى المعنى على اعتبارين غير متماثلين .

فالكتمان من الكتم شبيه بالكظم والقطم في الحركة الحسية التي تصورهما عند الإكراه على كتمان الصوت والنفس ، ولكن الكتمان يوحى إلى الذهن بالمعنى لطيف حين نريد به الخفاء والسكوت ، ولا شذوذ هنا في الدلالة الصوتية أو الدلالة الحسية وإنما يعرض للذهن وهم الشذوذ عند النظر إلى المعنى على اعتبارين مختلفين .

كذلك يتشابه السطر والسطر بصوت القطع ومعناه ، ولكنتنا إذا قلنا السطر إلى معنى الخط المكتوب فقد يوحى إلى الذهن معنى من معاني النحافة واللفظ والنحول ، ويتباعد المسطور والمشطور على هذا الاعتبار ، وهما في الأصل متقاربان .

ومن الأصوات ما يلوح لنا أنها متناقضة وهي لا تتناقض في لبائها ولكنها تتناقض في التقدير لأنها بطبيعتها متوقفة على المعاني التي تقترن بها ، وليست لها معان ثابتة بالنسبة إلى ذواتها .

ومن هذا القبيل كلمة الجليل وكلمة القليل .

الأصوات من أصوات الأحياء أو أصوات الجمادات ، وإنما يقع بينها الاختلاف بمقدار صلاحها للحكاية الأصوات المسموعة ، فلا يلزم من مصاحبة بعض المعاني لبعض الحروف أن يكون ذلك شرطاً ملازماً لجميع حروف الهجاء .

فالميم - مثلاً - في أواخر الكلمات تدل دلالة لاشك فيها عند الاستماع إلى كلمات كالحتم والحسم والجزم والحطم والختم والكتم . العزم والحزم ، القضم والقطم والكظم ، وأمثالها كلمات لا تخلو من الدلالة على التوكيد والتشديد والقطع الذي يدل على المعاني الحسية كما يستعار أحياناً لمعاني القطع بالرأى والإصرار على العزيمة .

وحرف السين على تقيض الميم لدلالته على المعاني اللطيفة كالهمس والوسوسة والنبس والتنفس والحس والمساس والافتباس ، ولكنه يتغير إذا تغير موقعه من الكلمة كما يلاحظ في المشابهة اللفظية والمعنوية بين « السد والشد والصد ، ... ولعله سريان العدوى والمقاربة بين الألفاظ يتسرب مع طول الاستعمال إلى المعاني والدلالات .

وربما فعلت المجاورة فعلها عند نقل الحرف من الدلالة على المعاني اللطيفة إلى الدلالة على غيرها كما يحدث في كلمات الكسر والقسر والعسر والأسر والخسر ومشتقاتها وفروعها ،

فإننا إذا نظرنا إلى اعتبار اللفظ فيهما وجب أن يكون معناه واحداً لأن القاف لا تقل في التخميم و بروز اللفظ عن الجيم .
ولكن العبرة بالشئ الذى تضاف إليه القلة أو الكثرة ، لا باللفظ الذى تسمعه الأذن من إلقاء الكلمة على انفراد .
فالقليل من القوة مثلاً كثير من الضعف ، والكثير من المرض قليل من الصحة والخطب إذا جل جل الصبر على احتماله ، والجليل إذا غطى الشئ فالذى يظهر منه قليل .
وليس من العجيب - إذن - أن يأتى وصف الجلل بمعنى الجسامة كما يأتى بمعنى الهوان على الضدين .

والنتيجة بعد هذه الملاحظات السريعة قد تكون كبيرة الجدوى مع التوسع فيها وتعدد الناظرين إليها من جميع جوانبها ، وخلاصتها :

د أولاً ، أن هناك ارتباطاً بين بعض الحروف ودلالة الكلمات .
د ثانياً ، أن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة ، ولكنها تختلف باختلاف قوتها و بروزها في الحكاية الصوتية .
د ثالثاً ، أن العبرة بموقع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها .
د رابعاً ، أن الاستثناء في الدلالة قد يأتى من اختلاف الاعتبار والتقدير ولا يلزم أن يكون شذوذاً في طبيعة الدلالة الحرفية .
ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسات اللغوية ؛ لأن مخارج حروفها مستوفاة متميزة ، خلافاً لأكثر اللغات التى تعوزها الحروف الحلقية أو تلبس فيها مخارج حروف الهجاء .

عباس محمود العقاد

النصر في الاتحاد

من كتاب أبى بكر لقواد المسلمين في واقعة اليرموك :

د اجتمعوا فكونوا عسكراً واحداً ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فإنكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أنوا ، من تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه .

الإسلام والمجتمع

للأستاذ الدكتور محمد البهي

أم تكن هذه الأسباب وتلك العوامل في الانتساب إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه ؟ إن هناك استعماراً خرج ، واستعماراً آخر يريد أن يدخل . هناك الاستعمار الذي خرج وهو الاستعمار الذي واجهته الحركة الوطنية الاستقلالية . ولم يخرج هذا الاستعمار إلا بعد أن فرق المجتمع الإسلامي إلى طائفتين رئيسيتين : طائفة أعداء وقت استعمار له معاونته في جهاز الحكم الداخلي . وهذه الطائفة بقدر ما أبعدها عن القيم الإسلامية ، بقدر ما قربها إلى أهدافه هو في الحياة . وطائفة أخرى أهملها وانتقص شأنها ، وهي تلك الطائفة التي احتضنت تلك القيم الإسلامية ودافعت عنها ، وربما كلفها وعمل على إذلالها .

وبذلك وضع القيم الإسلامية في ميزان الصراع بين الطائفتين في المجتمع ، إحداهما تواجه الأخرى بالخصومة حول هذه القيم . طائفة ترضى عنها وتريد منها سبيلها في الحياة وأخرى تنفر منها وتريد أن تبعدها كلية من توجيه الحياة .

وطول فترة الاستعمار يزود المستعمر الطائفة

إن أي مجتمع إسلامي في أي بلد إسلامي في الوقت الحاضر تخلى عنه الاستعمار نتيجة لحركة الاستقلال الوطنية فيه ، وأصبح بفضل هذه الحركة مستقلاً سياسياً — أخذ يتطلع إلى المجتمعات الأخرى المعاصرة التي تفوقت في الصناعة وتقدمت في البحث العلمي ، وبالتالي في استغلال الثروات الوطنية . وارتفع بذلك مستواها الاقتصادي ودخل الفرد على السواء . ومن حق هذه المجتمعات الإسلامية أن تتطلع إلى التفوق في الصناعة والبحث العلمي . ومن حتمها أيضاً أن تسعى إلى رفع دخول الأفراد ومستواها في الحياة الاقتصادية .

ومن حق هذه المجتمعات كذلك أن تفتش عن أسباب الضعف فيها ، وعن عوامل التخلف لتزيلها وتقضي عليها ، ثم تأخذ بأسباب القوة والتفوق .

ولكن أين تسكن أسباب الضعف وعوامل التخلف ؟

أتسكن في البعد عن الإيمان بالإسلام وتطبيق مبادئه — كما بصورها القرآن والسنة الصحيحة — في حياة المسلمين ؟

الإنسانية . لأنه ولد في الصحراء . وإن صلح فيما مضى فإنه لا يصلح لحياة المدنية والحضارة الإنسانية .

ويقراً المثقفون على النمط الغربي هذه الأوصاف ولا يستطيعون أن يردوها أو ينقضوها لأنهم لا يعرفون من الإسلام إلا تلك المظاهر التي لمواطنيهم المسلمين . وهي مظاهر تدل في الجانب الفكري على جمود في الفهم ، وتدل في العادات على حرص على المألوف ، وفي السلوك على تواكل وتراخ في الأخذ بأسباب الحياة الإنسانية القوية .

بل كثيراً ما يصدقون وصف الغربيين المستشرقين للإسلام ومبادئه ورسوله . ومن أجل ذلك كانت رغبتهم القوية في تغيير وضع المجتمع على أساس من فصل الإسلام عن التوجيه وجعله عبادة تربط بين الفرد وربّه ، دون أن يكون له أثر في علاقات الأفراد بعضهم ببعض أو في ربط المجتمع بمجتمع آخر .

ولكن مع ذلك لولا تلك الطائفة الأخرى التي احتضنت الإسلام ودافعت عنه ، وتعرضت لإذلال المستعمر وهجومه واستخفافه لما خرج المستعمر من أى بلد إسلامي احتله فترة طويلة .

إن إيمان هذه الطائفة بالله وبالإسلام -

التي ابتعدت عن القيم الإسلامية وتحاول أن تتجنبها في توجيه الحياة - بالدراسات الإسلامية التي تصورها مصادر الاستتراق في أوروبا على اختلاف عددها وألوانها ، باللغات الأوروبية الحديثة . وهي دراسات تهدف إلى إضعاف صلة المسلمين بالإسلام :

مرة عن طريق تشويه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بتصويره ذا ميل حيواني ، أكثر منه صاحب رسالة للإنسانية ، بسبب تعدد زوجاته وهن أمهات المؤمنين .

ومرة عن طريق تشويه الدعوة الإسلامية ، عن طريق دعوى انتشارها بالسيف ، وليس بالإقناع .

ومرة عن طريق تشويه المبادئ الإسلامية - كبدأ الجهاد في سبيل الله ، ومبدأ ولاء المؤمن للمؤمن ، والمزمنة للنزمنة ، ومبدأ الطلاق . فيصفون الجهاد في سبيل الله بأنه حض على الاعتداء ، ويصفون ولاء المؤمنين بعضهم لبعض بأنه حض على العزلة وعدم الاتصال بالأمم والشعوب الأخرى ، ويصفون الطلاق بأنه تفكيك لروابط الأسرة وتمهيد لإشباع الرغبة الحيوانية بالزواج في حدود الأربع .

ومرة رابعة عن طريق وصف الإسلام كله بأنه دين البدائية ، وأنه لا يتماشى مع الحضارة

سوى الإيمان بالله والإيمان بالإسلام وإن هذا الإيمان بالإسلام لولا أن نقله شيوخ الجزائريين إلى شباب الجزائر لما قامت هذه الحرب ولما استمرت ، إذ فعل المستعمر الفرنسي في الجزائر ما وسعه في إمادة مقومات الشخصية الجزائرية : فحال دون تعلم اللغة العربية وتعليمها ، وحال دون دخول المساجد والتعبد فيها ، وحال دون الاطلاع على التاريخ العربي والإسلامي المجيد والتأثر بأحداثه في استقلال شخصية المجتمع الإسلامي . وفي الوقت نفسه قدم في المدارس التي أنشأها مسخاً شنيعاً للإسلام وتعاليمه ، وتمجيداً لإنسانية فرنسا ومدنيتها . ومع ذلك لولا الإيمان بالله وبالإسلام لما قامت هذه الحرب ، فضلاً عن أن تستمر .

إن الذين يمارسون اليوم دور القيادة في المجتمعات الإسلامية عليهم أن يراجعوا تاريخ أنفسهم وتاريخ خصومهم من الذين لا يزالون يحتضنون القيم الإسلامية ويدافعون عنها . وسيعلمون يقيناً أن دور خصومهم في المجتمع أيام الاستعمار هو الذي هبأ لهم الطريق للقيادة في عهد الاستقلال ، وأن بقاء المجتمع وقوته ليسا في إبعاده عن تراثه الروحي والفكري ، وإنما في صيانة هذا التراث وحده .

مع ما قد يكون لها من بعض الأفهام الخاطئة لتعاليم الإسلام - هو الذي أفلق المستعمر في استعماره ، وهو الذي أياسه من البقاء ومن ثم آثر السلامة بالخروج من الوطن الإسلامي .

وإن المجتمعات الإسلامية التي تحررت من الاستعمار الغربي لم تتحرر منه نتيجة لجهود المنظمات الدولية ، وإنما تحررت بفضل تضحيات الوطنيين في سبيل الله . ولولا مبدأ الجهاد في سبيل الله - الذي هو مبدأ رئيسي في النظام الإسلامي ، والذي يصفه الاستعمار بالرغبة في الاعتداء - لما تحررت الشعوب الإسلامية ، ولفئت في مجتمعات المستعمرين كطبقة دنيا بين طبقاته .

وإن تلك الطائفة الثانية في المجتمع الإسلامي لمدينة بوجودها في صف قيادة المجتمع إلى الطائفة الأولى ، وإلى إسلامها وجودها في التمسك بالإسلام . ولولاها لبقيت في تبعية المستعمر وفي خدمته ، ولبقيت مستمرتة هذه التبعية ، بل ربما جعلت من هذه التبعية مجداً وغزاً لها ، بدلاً من أن تتخذ من صيانة الوطن والدفاع عن قيمه وأرضه مصدراً للفخر والمجد .

إن الجزائر في حربها - في السنة السابعة منها اليوم - ضد الاستعمار الفرنسي لم يكن لها من دافع على هذه الحرب وعلى الاستمرار فيها

إليه نظرة عدائية ، مادام أن هذا المجتمع ينجح إلى السلم وعدم الاعتداء : د وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . . كما أنه لا يجرّد الفرد غير المسلم من اعتبار الإنسانية ووجوب الرعاية وبالأخص من ممارسة العدل معه ، مادام لا يرتكب الظلم والعدوان : د ولا يجرّمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، وانقوا الله . .

ومع اختلاف الإسلام عن النظرات التي توجه المجتمع الإنساني الحديث في الموقف تجاه الذي لا يؤمن بالقيم التي يدعو إليها — فرداً أو مجتمعا — فهذه النظرات الفلسفية المعاصرة تحاول أن ترى الإسلام على أنه وجد لحقبة معينة من الزمن هي حقبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولمكان معين هو شبه الجزيرة العربية ، ولقوم خاصين هم القبائل العربية التي لم يكن لها حظ من الحضارة الإنسانية . ومن ثم فالإسلام لا يستطيع أن يسهم في الحضارة البشرية المتطورة ، ولا في الاحتفاظ بما حصلت عليه الإنسانية الآن من هذه الحضارة . والتمسك به معناه التمسك ببقاء الإنسانية في طورها البدائي — وهو الطور الذي جاء فيه — أو معناه إمساك الإنسانية عن أن تسير نحو الأمام . وهذا أو ذاك ضد الطبيعة البشرية المتغيرة المتطورة .

الإسلام ليس وضع المسلمين في - أو كرامهم :

ولكن مع ذلك لا نريد أن ندافع عن الوضع الحالي للمسلمين في أي مجتمع ، كما لا نريد أن نشق منه تعاليم الإسلام على نحو ما يصنع المستشرقون . إن وضع المسلمين في أي عهد لا يمثل تماماً تعاليم الإسلام . والقرآن — وحده ، والسنة الصحيحة بحجابه — هو الذي يصور هذه التعاليم حق تصويرها .

إن الإسلام دين المجتمع البشري . ومن لا يدرك هذا فقد أدخل في مفهوم الإسلام ما ليس منه .

هو دين تناول بناء الفرد ، وبناء الأسرة ، وسياسة الأفراد في علاقاتهم ببعضهم ببعض داخل المجتمع ، وتناول أيضاً سياسة المجتمع قام على الإيمان بالإسلام نحو مجتمع آخر لم يشاركه هذا الإيمان .

إن سياسة بعض الدول الكبرى في عصرنا الحاضر تسقط اعتبار المواطن الذي لا يؤمن باتجاه الدولة فيها وسياسة البعض الآخر منها تعتبر ما لا يدور في فلسفها وفي اتجاه سياستها الدولية من شعوب أخرى في حساب الخصوم والأعداء . ولكن الإسلام — لأنه دين الإنسانية — لا يمس كيان مجتمع آخر مقابل له في الإيمان والنظرة إلى الحياة ولا ينظر

ويطلب إليها الإدلاء بمضمونها أمام العقل غير المتأثر . فالتجربة الإنسانية في ظل توجيه معين قد يعوقها عدم تفاعل بعض أفراد المجتمع مع المبادئ تفاعلا نفسيا داخليا ولذلك يكون تعبير المجتمع عن هذه المبادئ غير صادق تماما .

ومن هنا كان د. عمل أهل المدينة ، - الذي ارتضاه المالكية دليلا معبراً عن مبدأ إسلامي تضمنته السنة القولية للرسول صلى الله عليه وسلم - غير كاف في نظر الشافعية ليكون معبراً تماماً عن هذا القول ويروى لذلك عن الشافعي أنه يقول : د إذا صح الحديث (القول) فهو مذهبي .

وهذا العمل الذي لم يقتنع به الشافعي كمعبر تماماً عن السنة القولية هو عمل أهل المدينة ، أي عمل الرعيل الأول الذي باشر صحبة الرسول وعاش في أحداث الوحي والدعوة إلى الإيمان بما نزل به عليه صلى الله عليه وسلم . فهو ألصق بمبادئ الإسلام وأدنى إياها من أي رجيل آخر بعده ولذلك كان أعلى منزلة ، والمجتمع الذي تكون منه كان أفضل المجتمعات الإسلامية :

(خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .

وعلى هذين الأساسين كلما كانت طبيعة

إن المعيار الذي يخضع له الإسلام في الحكم وتخضع له أيضا الاتجاهات الفلسفية المعاصرة من التقدمية أو الديمقراطية ، ومن الاشتراكية أو الحرية الفردية - هو المستوى الإنساني الذي تتحقق فيه خصائص الإنسانية . فبقدر قرب المبادئ أو بعدها التي يتكون منها الإسلام أو تدعو إليها الاتجاهات المعاصرة من هذا المستوى ، وبقدر تمثيلها أو عدم تمثيلها إياه - بقدر ما يكون الإسلام أو تكون تلك الاتجاهات صالحة أو غير صالحة للطبيعة الإنسانية والحياة الإنسان التي يريد أن يصعد إليها في مراحل تطوره من الطفولة البشرية إلى نضوج الإنسانية .

ولا يختلف اثنان مطلقاً في أن المستوى الإنساني هو غاية الحياة الإنسانية ، والهدف الأخير للتوجيه باسم هداية الله أو باسم التنوير والتبصير عن طريق المعرفة المستخلصة من واقع الكون أو التي يرسمها العقل البشري .

ولا يختلف اثنان أيضاً على الإطلاق في أن التجربة التي يمر بها المجتمع الإنساني في ظل توجيه معين - مهما بدا فيها التقارب بين سلوك المجتمع ومبادئ التوجيه - لا تعبر تماماً عن مبادئ التوجيه نفسها ، على نحو ما توحى هذه المبادئ عندما تستوحى

تعطى القيمة الأولى والأخيرة لبقاء الإنسان متأثراً بالواقع دون غيره ؛ لذلك ليست بأكثر حظاً في الملائمة للطبيعة البشرية من المثالية العقلية التي تعطى الوزن الأول لعقل الإنسان وتفكيره دون اعتبار كثير أو قليل لوجود الواقع الذي يتأثر به الإنسان .

فإذا كان هناك توجيه متوازن ، يربى التنازل في طبيعة الإنسان ، ويرعى تأثره بالواقع وحكمه عليه - فذلك هو النظام التوجيهي الذي يلائم طبيعة الإنسان وهو الذي يعيش مع الإنسان ، ويصل به المجتمع إلى هدفه في تحقيق المستوى الإنساني .

الإسلام هو المصدر الطبيعي لتوجيه الإنسان

فهل الإسلام هو مصدر ذلك التوجيه المتوازن ؟ . هل الإسلام يدعو الإنسان إلى الارتباط بالواقع والحكم عليه معاً ؟ .

الإسلام في توجيه الإنسان إلى الإيمان بالله دعاه إلى النزول إلى الواقع والناس الدليل منه : « خلق الإنسان من لطفه فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دف ، ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤوف رحيم . والحيل والبغال والحمير

مبادئ التوجيه مسابقة للطبيعة البشرية : في تكوينها ، وفي تطورها ، وفي غايتها في الوجود - كان النظام القائم على هذه المبادئ أهدي للبشرية وأكثر إيجابية في تفاعله معها ، لو نقيت هذه الطبيعة من الرواسب التي رسبت في توجيهها اللاشعوري ، وكونت فيها عاملاً مضاداً أو مصدرراً للانحراف عن خصائص الطبيعة النقية الصافية .

والطبيعة البشرية طبيعة حيوانية عاقلة ، طبيعة مادية روحية . فيها الازدواج والتنازل فيها الميل إلى الارتباط بعالم الحس ، وفيها الاتجاه إلى الانفصال عنه والحكم عليه . تتكيف بالوجود الواقعي وتتأثر بما يدور فيه ، وترتفع فوق التأثيرية فتؤثر فيه .

إن أريد لها عن طريق توجيه ما أن تظل متأثرة بالوجود الواقعي أو بما يسمى عالم الحس ، فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة البشرية بمقدار ما نحى عنها جانب الاتجاه فيها إلى الحكم عليه . وإن أريد لها عن طريق توجيه آخر أن تظل فوق هذا الوجود الواقعي لتحكم عليه فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة بمقدار ما أهمل فيها جانب النزوع إلى الارتباط بعالم الحس والواقع .

والواقعية أو المادية في التوجيه هي التي

فوق الانفعال والانطباع في اللحظة التي يحكم ويفكر فيها.

وواضح أن الإسلام ، كما يطلب من الإنسان ألا يغفل واقعه المحسوس ، يطلب منه أيضاً أن يخرج الفكرة فوق واقعه المحسوس . هذا ليحكم عليه حكماً صحيحاً - ذلك واضح من قوله تعالى : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . والآنفس هي التي شرحها القرآن الكريم : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون » . « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . ف نظرة الإنسان إلى نفسه ليست نظره إلى واقعه ، وتأمله فيما زود به من مصادر المعرفة - وهي السمع والبصر والأفئدة - ليس هو تأمله فيما يَـعِـيـط به من محسوس . والإنسان في عزله عن واقعه يستطيع أن يدرك الألوهية ، كما يستطيع أن يدركها من واقعه المشاهد .

وهكذا يستطيع الإنسان بفكره أن يكون فوق الواقع ، ولكنه مع ذلك يكون في صلة بالواقع وليس بعيداً عنه .

ولكي يتمكن العقل من حكمة الصحيح ويتمكن الفكر من تخطيطه وتأمله المستقيم ، طالب الإسلام الطبيعة البشرية ألا تكون

تركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ... هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ، إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقي في الأرض رواسي أن تمتد بهم ، وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ،

وفي الوقت نفسه لم يجعل القرآن طبيعة الإنسان طبيعة انطباعية خصب ، لم يجعلها طبيعة منفصلة بالواقع المحسوس دون أن يكون لها حكم عليه ، بل ناشد العقل والفكر في هذه الطبيعة وناشد حكمها فقال : إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، والعقل لا يحكم حكماً صحيحاً والفكر لا يستقيم تأمله ثم لا يستقيم تخطيطه إلا إذا كان كل منهما

لحياة الإنسان من العدل ، ورعاية الحرمات ، والأخوة الإنسانية وتعبير الدين عن هذا الوجود المعنوي بالآخرة سببه أن آثاره باقية مع الإنسان ، والجزاء الأوفى عليها لا يكون بمتع الدنيا المادية وإنما يكون بمتع باقية أخرى . وهذه تكون في العالم الباقي ، وهو ما وراء ذلك المحسوس المشاهد .

وهكذا تعاليم الإسلام في توجيهها للإنسان لم تشأ أن تنقله من طبيعته ، ولم تحاول أن تقوم جانباً منها دون جانب آخر . ومحاولتها في التوجيه هي أن تحقق للإنسان ذاتيته الإنسانية . وهي تلك الذاتية المتقابلة المزدوجة المتفاعلة التي تعيش في الواقع وفوق الواقع ، والتي تحس الشاهد وتفكر فيما وراء الشاهد ، والتي تتأثر بالوجود الواقعي الذي يعيش فيه الإنسان ، وتؤثر في هذا الوجود بالحكم عليه وتقديره .

مادام الإسلام هو المصدر الطبيعي لتوجيه الإنسان فهو دين البشر والإنسانية . ولا انفصاك لمجتمع يريد أن يحقق لإنسانيته من الإسلام إيماناً ومنهجاً في الحياة .

الدكتور محمد البهسي

المدير العام للثقافة الإسلامية

تحت سلطان الواقع وحده ومتأثرة به غير مؤثرة فيه . وهنا كان مركز الزهد ، في تعاليم الإسلام . والزهد ليس تنفيراً من الواقع ، إنما هو تنبيه فقط لعدم الانزلاق تحت طغيانه . فإذا قال القرآن الكريم : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » . وقال : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . — لم يكن منفراً من الواقع إطلاقاً . لأن إنكار تحريم الزينة في هذه الصورة ، ثم طلب الزينة نفسها من الإنسان حتى بين يدي الله — قتل دلالة واضحة على أن الواقع والوجود المادي له قيمته واعتباره في حياة الإنسان . ولكن الذي يطلب من الإنسان في نظر الإسلام في هذا المجال أن لا يؤثر الإنسان الدنيا على الآخرة : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق » . بل يكون للآخرة نصيب فيما يهدف إليه : « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

ومعنى إثارة الإنسان الدنيا على الآخرة لإثاره الوجود المادي وحده على الوجود المعنوي . والوجود المعنوي هو وجود القيم التي يذركم العقل الإنساني ويتصورها أهدافاً

أُسُسُ التَّعَامُلِ فِي الْإِسْلَامِ

كما يقرّها القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدني

١ - « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » :
« وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، .
« ويختر لكم ما في السموات والأرض
جميعاً منه ، .

والنصر الثاني يفيد أن هذا الوضع بالنسبة
لآدم قد استمر بالنسبة لذريته ، فقد جعلهم
الله أيضاً خلائف الأرض كما جعل أباهم ،
فالبشر كلهم إلى يوم القيامة خلفاء في الأرض
لهم حق التصرف فيها ، وقد مكن الله لهم كل
ما يحقق لهم معنى الخلافة من الأمور التي
طبعهم عليها ، وما ذرأ لهم في الأرض نفسها .

« وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » .
هذه نصوص كريمة من كتاب الله تعالى
تقرر الحقيقة في شأن الإنسان وعلاقته
بالأرض التي يسكنها ، وما فيها من أموال
وأشياء ذات قيمة يتصرف فيها .

فأول هذه النصوص يدل على أن الله
استخلف في هذا الكوكب الذي نعيش فيه
أبا البشر الأول ، وهو آدم عليه السلام ،
ومعنى استخلافه في الأرض أنه خوله إياها ،
وجعله صاحب السلطان فيها ، ليعمرها ويثيرها
ويستفيع بها ما شاء ، وهياً له كل الوسائل التي
تمسكه من تحقيق هذه الخلافة على أكمل
وجه ، فعليه الاسماء كلها ، أي أودع فيه من
العقل وأساليب التفكير والتأمل ما يؤدي به
إلى علم الأصول والعناصر والمبادئ التي

والتعبير بمادة الخلافة في تقرير هذا المعنى
بالنسبة للأب الأول ولأبنائه الذين جاءوا
من بعده يدل على أن تصرف الإنسان في
الأرض وما فيها ليس تصرف المالك بنفسه ،
 وإنما هو تصرف النائب والخليفة ، فالملك
في الحقيقة لله وما مثل الإنسان في هذا الملك
إلا كمثل العبد الذي أذن له سيده في التصرف
باسمه وفي حدود أمره وما يرسم من خطة
ومنهج

والنص الثالث يقرب هذا المعنى أيضاً في
جانب التسخير والتيسير والتطويع لكل ما

وتقرر أنه هو الأساس الذي بنى الله عليه استحقاق الإنسان للحياة الطيبة والآثار النافعة والجزاء الحسن ، ويغلب على أسلوب هذه النصوص ظاهرة التعليق بالشرط والجزاء أو ما في معناه ، نريد بذلك الأسلوب الذي يتلخص في (اعمل تجد ثمرة عملك) .

وهذا يورحى بأن الانتفاع بثمرات الأرض والأموال والأشياء التي استغلنا فيها مرتبط بتمام الارتباط بالسمى والعمل والجد والاجتهاد ومقدار ما يبذل المرء من نشاط — ذكرنا كان أو أثق — وأن هذا قانون الله الذي استخلف عباده في أرضه .

وبهذا يتبين أن الله تعالى يأمر كل فرد بأن يكون له في هذه الحياة عمل يؤديه ، ولا يرضى لأحد من عباده أن يعيش كلاً على مجتمعه ، وعبثاً وعالة على من دونه من الناس وأن كلاً يجب أن يعمل على شاكلته : فهذا زارع وهذا تاجر وهذا صانع وهذا معلم وهذا موجه وهذا موظف على مرفق من مرافق الأمة . وبذلك يتحقق التعاون بين أفراد المجتمع بعضهم وبعض لمصلحة المجتمع ، ثم بين المجتمعات بعضها وبعض والشعوب بعضها وبعض لمصلحة العالم أجمع .

والخلاصة : أنه لا بد لمن استخلفه الله أن يعمل ، وأنه لا يباح لأحد أن يظل كسلان وأن يعيش عالة على من سواه .

في السموات والأرض حيث جعلها الله جميعاً بقوانين إلهية وسنن كونية من صنعه هو وحده ، خادمة للإنسان تعمل من أجله ، وتخضع لنظرة وانتفاعه واستغلاله بحسب ما عليه الله ، فهي أيضاً برحمة من الله ، والإنسان في شأنها أيضاً لا يعمل باسمه ولكن باعتبارها خليفة وناثياً عن خوله هذا للعمل ومكثه منه .

والنصان الرابع والخامس يقرران هذه النية أيضاً في شأن المال وكل ماله قيمة في هذه الحياة فإنما الإنسان في هذا كاه مستخلف فيه وليس مال كاه على الحقيقة ، والمال كله مال الله الذي آناه الناس .

والخلاصة : أنه لا ملك للإنسان على الحقيقة لشيء ما ، وإنما هو قائم بأمر الله على وجه الخلافة والنيابة ، ومن شأن النائب أو الخليفة أن يرسم أوامر من أنابه واستخلفه وألا يجيد عنها قيد أنملة .

٢ - « وقل عملوا » :

« من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وكل نفس بما كسبت رهينة . »

« قل كل يعمل على شاكلته . »

« من يعمل سوءاً يجز به ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة . »

وهذه النصوص كلها تتحدث عن (العمل)

فهى أبواب للتبطل وبقاء فريق من الأمة
يمش على كد سواء ولا يقدم عملا يكون به
متعاوناً مع مجتمعه ، وكذلك الشأن في
الاكتساب من أعمال غير مشروعة كأجر
البعي أو الرشوة التي يأكلها المرتشي في مقابل
ما يسلمه من عمل أو صفقة أو نحوها فإن من شأن
هذا كله أن يوجد في الأمة لونا من ألوان
الاحتراف الباطل في صورة من الصور .

والقرآن الكريم الذي يمنع هذه الصور من
التعامل والكسب الحرام ببيع التجارة ، بل
يحث عليها إذ يأمر المؤمنين أن يبتغوا فضل
الله - أى الربح عن طريق التجارة أو العمل
بعد الصلاة ، وينهى الحرج في ابتغاء فضل الله
بالنسبة لمن يلابسون أعمال الحج إذ يقول
لهم : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من
ربكم إذا أنفقت من عرقات فاذكروا الله ،
ومثل هذا ما ورد في سورة الجمعة حيث يقول
عن وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا إلى ذكر الله
وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا
من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون » .

ومعنى هذا أن التجارة يمكن
مزاوتها قبيل الصلاة وبعدها ، ويمكن
مزاوتها أيضا في أثناء عبادة الحج .

٣ - « لا يستوى الخبيث والطيب » :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم
بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن
تراض منكم » .

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا
بها إلى الحكام ؛ لتأكلوا فريقاً من أموال الناس
بالإثم وأنتم تعلمون » .

« يحق الله الربا ويربى الصدقات » .
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » .

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات
ما كسبتم » .

« لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك
كثرة الخبيث » .

« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما
يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

هذه النصوص الكريمة ، وكثير غيرها
في كتاب الله تعالى ، ترسم النهج السوى
والصراط المستقيم في (الكسب المشروع)
عن طريق تحريك المال واستثماره .

وهي تحرم أنواعا من الكسب كالربا
والرشوة وأكل مال اليتيم ، ومثل ذلك في غير
هذه الآيات تحريم الميسر والبغاء ، وذلك لأن
الاكتساب عن هذه الطرق إنما هو ابتزاز
للمال بدون مقابل من خدمة عملية أو تجارية

والشيء المعقود عليه يجب أن يكون مملوكاً لصاحبه ، وإلا كان تصرفه فيه باطلاً ؛ لأنه تصرف في ملك غيره .

ويجب أن يكون ذا فائدة معتد بها شرعاً ، وإلا كان التصرف فيه ترويجاً للفساد أو عبثاً .
وهذا وذلك يسان المجتمع مما يؤدي إلى الخلاف أو يثير النزاع أو يروج للفساد .
والصيغة التي يكون بها التعاقد لا بد أن تكون واضحة في إفادة معنى الرضا والقبول عادة دون تأثير أو ضغط بإرهاب أو تخجيل ، أو استغلال للفظ على سبيل التلاعب ، أو نحو ذلك .

وقد اعتد الشارع بكل أمانة يقين بها أن التعاقد صوري أو مشوب بنوع من أنواع الإكراه ، ورتب على ذلك فساد التعاقد ، وعدم استتباعه لآثاره .

تلك هي الشروط التي تشترط في أركان العقد ، ولهذا نهى الشارع عن كل معاملة تشه نزاعاً من أية ناحية فلا مزينة ولا ملامسة ولا منابذة مما كان يفعله أهل الجاهلية .
ونهى عن بيع ما في بيعه غرر : كالمجهول والآبق ونهى عن الغش والغبن الفاحش .
وقد كان للناس معاملات قبل الإسلام ، فأقر منها ما لا يؤدي إلى ضرر ، أو يجر إلى محرم ، وأبطل منها أو عدل ما يؤدي إلى ذلك .

٤ - « لا تظلموه ولا تظلموه » :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود . »

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً . »

« وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم . »
« ولا تبغ الفساد في الأرض . »

« ولا تنازعوا فتفشلوا ونذهب ربحكم . »

لكل معاملة من المعاملات أركان طبيعية هي : -

١ - العاقدان .

٢ - الشيء المعقود عليه .

٣ - والصيغة التي يكون بها العقد .

ونرى الشريعة الإسلامية تشترط في كل ركن من هذه الأركان الطبيعية ما يقطع النزاع ، ويسد أبواب الخصومة والضغائن فالعاقدان لا بد أن يكونا راشدين عاقلين عالمين بما يتعاقدان عليه ، ولا يجوز التعامل مع السفهية ، ولا مع الصغير الذي لا يميز ، ولا مع المجنون ، ولا مع الغافل وذلك لأن التعاقد ما لم يكن على بصيرة وفهم وقدرة على الموازنة بين البذل والأخذ ، فإنه كثيراً ما يكون مثاراً للخلاف المؤدى إلى النزاع والخصام أو الحقد والاضطغان ، وكلاهما يكدر صفو المجتمع ، ويزلزل أمنه واستقراره .

وهذا هو أحد الأصول القاطعة في تحليل ما أحل وتحريم ما حرم .

٥ - « ورو أنفسوا الفضل بغيركم » :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .
« ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » .

« إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » .

بعد أن يتحقق في الكسب ما ذكرناه ، نرى الشريعة الإسلامية تسمو فوق هذا المستوى فتحو بالامر نحو خلقيا كريما ، وترسم للتعامدين سبيلا مهذبا من شأنه أن يجعل مجتمعهم رائيا فاضلا ، وأن يدي بينهم مع التناون معنى الحب والمودة والاحترام . هذه السبيل هي رعاية الجانب الخلقى ، والنظر إلى ما تقضى به الفضيلة حتى لا يكون التعامل جافا غليظا ، أو يكون غرض كل من المتعاملين استئمال مواهبه في استلاب ما يمكن استلابه من صاحبه .

ويظهر ذلك من الأحكام الآتية :

١ - تستحب الإقالة إذا طلبها أحد المتبايعين ، وذلك أن يندم أحد المتعاقدين على ما التزم ، ويتبين له أن التزامه ليس من

مصلحته فيطلب من صاحبه أن يقيله ، وقد ورد في بعض الآثار .

(من أقال نادما أقاله الله يوم القيامة) .

٢ - يكره أن ينفلت الرجل من مجلس البيع متخفيا قصدا إلى تفويت حق صاحبه في خيار المجلس .

ومعنى ذلك أن المتبايعين بالخيار ما لم يتفرقا ، فقد يشعر أحدهما بأنه الفائز ، فإذا استمر في المجلس تبين صاحبه الأمر فرجع في العقد ، فهو لذلك يغالته ويهرب من المجلس ليثبت العقد ثبينا نهائيا بالانفراق ، فالشارع ينهى عن ذلك وهو معنى خلقى كريم يلتفت إليه الإسلام هذا الالتفات العجيب .

٣ - نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان ، وذلك أن يخرج طالب السلعة إلى طريق جالبيها ، فيلقاهم قبل أن يصلوا بها إلى السوق العامة فيسأثر بها دون الناس . ولا شك أن من يفعل ذلك أناني يؤثر نفسه وفي النهى عن ذلك تأديب وتهذيب .

٤ - نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يبيع حاضر لباد ، وقال : « دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » .

ولا شك أن أهل البادية إذا اعتمدوا في بيعهم على أهل الحاضرة غلا السعر ، وبطل جانب من المساهلة والمساهة .

[البقية على الصفحة التالية]

نَفْحَاتُ الْقُرْآنِ

حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَرَحَلَةٌ اخْتِبَارٌ

فِي الْعَمَلِ لِلدِّينِ وَلِلدُّنْيَا

ثُمَّ مَرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ لِيُجْزِيََنَا بِعَدَلِهِ !

لِلْمُتَأَنِّسِ الْعَلِيْمِ السَّامِعِ

أ - وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون
ب - والدار الآخرة خير للذين يتقون : أفلا تعقلون ؟

هذا شطر من آية كريمة وردت في معرض القصص عن اليهود . . . وقد كان من ذلك وأصاibهم كذلك بشر كثير : فهم يتقلبون

٥ - يستحب الساحة في البيع والشراء والاختذ والعطاء وفي الحديث : رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى .

٦ - يحرم الاكتساب وابتغاء عرض الدنيا بما هو محرم أو بما ينافي الخلق والفضيلة ، كالربا والقمار ، واتخاذ النساء وسيلة ، واحتكار الطعام وما يضر احتكاره من الضروريات .

٧ - يحرم البيع ساعة النداء للجمعة ؛ لأن فيه إثارة لعرض الدنيا على الآخرة وفيه إلى جانب ذلك ظهور بمظهر الجشع والتلف ، وهو مظهر ينافي الخلق الكريم .

٨ - نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف على السلعة لترويجها لأنه نزول

باسم الله العظيم إلى موطن المساومة والتغريب . هذه هي الأسس التي ينبني عليها أمر التعامل في الإسلام ، الأمر في السكسب المشروع ، ولم تقصد بما أوردناه من الأمثلة استيعابا ولا إفاضة في البيان وإنما أردنا لفت الأنظار إلى أنواعها بقدر المستطاع .

إن الفقه الإسلامي هو فكرتنا ومنهجنا في الحياة ، ولكل أمة نظام ومنهج وفكرة تدعو إليها ، وتحاول جمع الناس عليها .

فليجمع المسلمون أمرهم على هذا التراث المجيد وليجعلوه منهاجهم الذي عليه يسرون ، وإليه يدعون ، والله المستعان ، والحمد لله رب العالمين ؟

محمد محمد المارني

عميد كلية الشريعة

على الدنيا في غير اعتدال ، ولا تعفف : وهم مع ما يرتكبونه من نقائص يزعمون لأنفسهم مكاة عند الله ، ويقولون : سيغفر لنا ما ارتكبنا . لأننا أبناء الله وأحباؤه ! هم مع إسرافهم في الانحطاط ، وشعورهم بأن وراءهم حسابا ينتظرهم بمللون أنفسهم بأهم من أهل المغفرة ، ولا يكفون أنفسهم عن الخمازي ، بل ينادون فيها ، وإن يأتهم حطام دنيوى يفتنهم كما فتنهم الحطام الحاضر يقبلون عليه في كلب وجشع غير ذاكين ما في التوراة من توجيهات ، ولا مراعين ما بها من موثيق ، ولا مستشعرين ما يقتضيه الإيمان من الوفاء بعهد الله ، كما هو شأن المؤمن الصادق في دعواه . وكما هو مفروض فيمن تصادفه النعمة فتثير فيه نزعة الخير ويشكر ، أو تصادفه نقمة فتنبه فيه ببلادة الحس ، ويشوب إلى رشده ، ويخشى بأس الله .

هم سادرون في غرورهم أو غفلتهم ، ومراعمهم . والله تعالى يزجرهم عن الكذب عليه ، ويذكرهم بما في كتابهم من قبل أن يحرفوه ، وينفي كل ما يتعللون به من أمل في تكريمهم لهم ، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب - التوراة - ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرس ما فيه - فهم قاهمون له . ولا ذر لهم في الخروج عنه .

نعم !! في التوراة عهد أكيدة ، يذنها الله لبني إسرائيل ، وكلفهم أن يأخذوا بها ،

بين حسنات وسيئات لتكون لديهم فرصة الرجوع إلى الله إذا كانت فيهم طباع كريمة يستلينها الخير ، أو كانت فيهم نفوس لثيمة يقمعها الشر ، ويردعها التخويف .

فإن يكن في اليهود هذا وذلك فقد أتاح الله لسكلا النوعين ما يلائم نزعتهم ، وهما له سبيل توبته .

فإذا لم يكن منهم تأثر بالخير ، ولا عبرة بالشر فإن ذلك يكون امتحانا تنكشف به خباياهم ، ويعلم منه اليهود ، ومن حولهم ، ومن بعدهم ما كان خافيا عليهم من طويات النفوس ، وتقوم عليهم الحججة بما جنوا على أنفسهم في الحياة حتى خذلوا في الاختبار . فهاذا صنع اليهود إزاء ما ابتلاهم ربهم به من حسنات ، وسيئات .

حدثنا القرآن بامتداح نهر منهم آمنوا بموسى من قبل : إيمانا صادقا ، ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون .

ثم حدثنا القرآن كثيرا عن الآخرين منهم بغير ما ذكر عن صالحهم الأولين ، خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، يأخذون عرض هذا الأدنى ، ويقولون سيغفر لنا ، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه . ١١ . أى لم يكن منهم إيمان وشكر على النعمة ، ولا عبرة وازدجار بالنقمة ، بل توسع هؤلاء الخلف في الفتن ، وأوغلوا في الفساد ، وغالغوا ما عرفوه من التوراة ، وأقبلوا

وهكذا : إذا رانت الشهرة ، وراجت
الآباطيل تخلفت البصائر عن إدراك الحق ،
والتبست المفاهيم على عقول المسرفين فيجنحون
إلى الغواية ، ويعيشون في بعد عن جانب
الهداية ، ولا يفتنون إلى وعد الله ووعيده
فيتركهم الله لأنفسهم ، ولا يبصرهم بأمرهم .
ثم هو يطمئن المعتدين بقوله : « والذين
يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا
نضيع أجر المصلحين » .
ذلك هو الوعد الحق فمن شاء اتخذ إلى
ربه سبيلا .

وبعد :

فليس الاختيار بالحسنات والسيئات سنة
قاصرة على اليهود ، بل البلاء سنة مطردة
في حياة الناس عامة ، وإنما اختص اليهود
بذكرها كما في موضوعنا ؛ لأنهم تجاوزوا
كل اعتبار ، ونقضوا كل عهد ، وتعرضوا
للبلاء بالخير والشر كثيراً ، ولم تكن لهم
عظة بل تهادوا في غيهم حتى كان القصص
عنهم حافلاً بالعجائب ، وتاريخهم زاخراً
بالأمثال أكثر من سواهم .

أما ما هناك من بلاء للناس فالقرآن يسوق
لنا شواهد كثيرة تقرر أن سنة الله
لا تتخلف والفرق أن أناساً يهتدون ،
وآخرون يتمرّدون ويشذون ، والإيمان
الشخصي هو الوسيلة التي يتلاق بها المرء في

دون عبث فيها ، ولا تنصل منها ، وهم
عارفون بها .

ولكن : أين الوفاء عند قوم تحولت
ميولهم عن جانب الخير ، وغلبت عليهم
خسائسهم ؟ وهنا : يكون اختبارهم بالحسنات
أو بالسيئات غير مجد في ترويضهم ، ومظهر
لما علم الله من طويات نفوسهم : فهم عصاة
معادون لله ، لا أبناءه ، ولا أحباؤه ! .

- والله تعالى - يبعدهم عن الأمل الكاذب
الذي يتشبثون به ، ويجعل وعده بالقبول
والرضوان لغير من يكون على نمط اليهود ،
فيقول :

« والدار الآخرة خير للذين يتقون - أفلا
تعملون » .

فليست الآخرة خيراً للكاذبين على الله ،
ولللاواقضين مرائيقه ، وإنما هي خير للممثلين
لدعوة الله الذين لا يكفرون بنعمته ، ولا
يتجحون عند بلائه .

وهذا مفهوم ، اضح توحى به آيات الله
وتهتف به دعوة الرسل ، وهو غاية مقررّة
يجب أن تمنح إليها العفول ، فاعلموا قبل
أن تتورطوا في الضلال ، ولا تعرضوا
مساواة بين المستجيب ، والمتمرّد : فضلا
عن أن يكون المنى خيراً من المحسن كما يتخبط
اليهود في أحلامهم وأوهامهم وقد أخزاهم الله
بقوله « فيما نقصهم ميثاقهم لعناهم . وجعلنا
قلوبهم قاسية » .

أو تكون النعمة فائدة لصاحبها عن حسن التقدير لها ، فيبسط على الله بسببها ، وينسى حقها عليه في الشكر ، وحسن التصرف فتكون في مهب الزوال ، وتصبح ندما عليه ؟ وذكرى سيئة له ؟؟

وكذلك المرء في موقفه إزاء ابتلائه بالسوء تكون له هزة اضطراب واستياء فهل يستقبل بلاءه هذا بالركون إلى الله ، والرضا عن القضاء ، والاعتصام بالإيمان ؟ وهل يعلق رجاءه بلطف الله ، ويلتمس من فضله تفرج كربته ، ليهون عليه الخطب ، ويكون غير متمرد على القدر ومحسوبا في الصابرين الذين وعدهم ربهم بحسن الجزاء في دنياهم وأخرام أو يجزع عند الحوادث المسكروه ، والبلاء النازل ، ويضيق لازمة تلاخذه في ماله ، أو أدله أو صحته أو جاهه ؟؟ .

إن الجزع لا يرد قضاء ، ولا يخفف من هول ، بل يزيد في الأذى ، ويشير الشجن ويبدد الإيمان ، حتى لينسى الإنسان جانب الله ، ويأس من روحه ولطفه ، وليس وراء ذلك إلا اعتراض على تدبير الله . وخروج عن دينه ، لأنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

شأن الإنسان أن تغريه النعمة ، وأن تحزنه النعمة . . وقد يشتط في تفكيره فيخرج عن جادة الاعتدال .

اجتياز الاختبار ، فلا تكون النعمة مطفئة له ولا النعمة فائسة مؤتة من قبول التوبة والإنابة .

والله تعالى يقول في ذلك : « ولنبولكم بالشر والخير فتنة » . . . « ولنبولكم حتى نعلم الجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم ، ولنبولن في أموالكم وأنفسكم » . « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ » « ولنبولنكم بشيء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الأموال والآلئفس والثرات وبشر الصابرين . . . » .

قال بلاء بالخير وبالشر ضرب من ضروب التربية السماوية ، يصلح به أناس ، وينكشف به أمر آخرين ، والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب ، ليكون الناس على علم بأنفسهم وبكونوا على اطمئنان ويقين من حكمة الله فيهم ، وعدله معهم .

والحق أن المرء في موقفه أمام النعمة تكون له هزة ابتهاج ، ونشوة غرورها ، فهل يذكر مصدرها ، ويحمد فضله ، ويرعاها حق رعايتها ، ويضعها بحسن التصرف فيها حيث ينبغي أن يضعها في سبيل الخير لنفسه ، ولغيره : سواء أكانت نعمة بمال ، أو علم ، أو جاه ، أو صحة إلخ ؛ لتكون هذه النعمة مأمونة العاقبة له ، ولذريته من بعده ؟؟ .

رفاهتها ، ولا يلبث عيشها أن يتبدل سوءا ،
وإن طال بها الزمن .

وهذه قصة أهل اليمن في عصورهم الحالية
بلغ بهم نعيم الحياة ما بلغ ، فلما أسرفوا على
أنفسهم بدل الله نعيمهم ، وأذهب بهجتهم
وشوه تاريخهم ، فكانوا حديثا يذكر
بالأسى والتحسر ، وكانت ذكراهم في القرآن
مثلا للآخرين .

وكذلك جرى البلاء على المساكين حتى في
مطلع تاريخهم المشرق ، وحين وجود النبي
الكريم فيهم — صلوات الله عليه وسلامه .
كانوا قلة فانتصروا ، وفقراء فاعتسوا ،
وحين ساورتهم الخواطر فاغتروا بكثرتهم
يوما ما لم يتركهم الله لغرورهم ، بل هزمهم
أحيانا أمام عدوهم ، وذكروهم بأن كثرتهم
لم تغن عنهم شيئا في غزوة حنين وغيرها من
غزوات أخرى لحقتهم فيها مهاتات المزيمة
ثم تداركهم الله بنصره ورفع رايبتهم أخيراً
على أعدائهم وعلبهم أن هذا ابتلاء لهم ،
ليكفوا عن الغرور ، وليثبتوا عند الاختبار
بالسهر على إيمانهم وجهادهم ، والقرآن
يردد على مسامعنا قوله تعالى في كلنا الحالتين :
« وسنجزى الشاكرين - والله مع الصابرين » .

عبد اللطيف السبكي

والقرآن ينهنا إلى الحذر من التطرف
« وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى
بجانبه : وإذا مسه الشر كان يسوفا » .

وينهنا القرآن كذلك إلى أن شأن الدنيا
عدم الاستقرار على حال واحدة ، وإنما
هي بين خير وشر ، وعسر ويسر « فإن مع
العسر يسرا » .

وينهنا إلى أن اللاتذ بجانب الله والممتدى
بهديه ، والواعى لدينه وعقيدته لا يتخذه
عنه الخط إذا أقبل ، بل يجب أن يقرره ،
ويشكره ، لتتسع نعمة الله عليه وألا يستمه
الضنك في حظه حتى يصرف عن حسن ظنه
بالله ويأطمع في فضله ١١ بل يذكر نفسه
بمواقف الصابرين وتجلدهم ، ويؤمن بأن الله
في خلقه تصريفاً يجب الاطمئنان إليه . .
ويذكر نفسه بما هو عليه في مسالكه ديناً
ودنياً ، فلعل ذلك البلاء بسبب من عمله
السبي ولعله يستفيد بالعبرة والانعاظ عما
جرى عليه .

هذا — وكما يكون موقف المرء محسوبا
عليه ، أو محسوباً له : يكون موقف الجماعة
والأمة في الأحداث العامة .

فأمة تغرها النعمة ، ويتوافر لها الأمن
فتنحرف عن جادة رشدها لا تدوم عليها

الإسلام في أوغندا

للأستاذ عطيه صعد

٤ — المديرية الشمالية ، وسكانها مليون ، وأهم القبائل بها الآتشولي ، الماضي . ويوجد من بين هؤلاء السكان نحو ألف ونصف من العرب ، وثلاثة آلاف ونصف من الأوربيين ، ونحو أربعة وثلاثين ألفاً من الهنود .

واللغة السائدة في البلاد هي السواحلية ، المنتشرة في شرقي إفريقيا ، إلى جانب ثلاث لغات أخرى من أصل مجموعة لغات البانتو . واللغة الانجليزية هي لغة الحكام ولغة التبشير والتعليم والكتابة ، وقد ساعد على انتشارها إنشاء كلية « ما كيري » في كامبالا سنة ١٩٢٢ ، وهي كلية ذات مستوى جامعي عال ، تتبع جامعة لندن ، وتسمى « كلية شرقي إفريقيا الجامعية » ، وهي خاصة بمعتقد الديانات السماوية لا يدخلها الوثنيون .

والديانة السائدة هي الوثنية ، ويعتقد بها نصف السكان ، ويوجد نحو مليون ونصف من الكاثوليك ، وثلاثة أرباع المليون من البروتستانت . أما المسلمون فتقدرهم مصادر الأنباء التبشيرية بربع مليون^(١) ، ويكثرون

تقع أوغندا في منطقة البحيرات التي تمتد النيل بالمياه ، وهي تحدها شمالا بالسودان ، وغربا بالكونغو ، وجنوبا بتنزانيا ورواندا وأوراندي ، وشرقا بكينيا . وتبلغ مساحتها نحو ٨٠ ميلاً مربعاً ، تغطي مياهها مساحة قدرها ١٢٥ ميلاً مربعاً . ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٤٨ ، يتكونون من عدة قبائل موزعة في الأقسام الإدارية الأربعة على النحو التالي :

١ — يوجندا : وسكانها ١٣ مليوناً من شعب الباجندا ، الذين هم أرقى الأهالي من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتقع في هذه المديرية مدينة « عنتبة » وهي العاصمة ، ومدينة « كامبالا » .

٢ — المديرية الشرقية : وسكانها ١٥ مليوناً من قبائل الباسوجا ، وتقع بها مدينة « جنجا » .

٣ — المديرية الغربية : وسكانها ١٢ مليوناً ، وأهم القبائل بها البانيور ، الأنكولو .

الدين الجديد ، واعتنقه أيضا « أمبوجا » ، شقيق الملك .

وبانتشار الإسلام والتكيف له ازدهرت حضارة العرب ، وتلقن الإفريقيون منهم دروس الأخلاق العالية ، من الاعتداد بالنفس والحرص على الكرامة ، كما تعلموا منهم النظافة والنظام وحسن المظهر ، حتى لقد قال أحد الأوربيين عن تأثير العرب في أوغندة : « لقد تمكنت المدنية العربية في وقت قصير من تغيير اللباس الشائع إذ ذاك تغييراً كاملاً ، وهو لباس لا شأن له على الإطلاق ، فأصبح أهل أوغندة اليوم يتخذون الملابس من الرأس إلى القدم ، وكذلك جيرانهم من «الأنبيورو» فحلت مكان الملابس القديمة المصنوعة من لحاء الشجر ، » (١) .

وكما دخل الإسلام أوغندة من الطريق الشرقي دخلها من الجهة الشمالية ، من السودان . فقد طلب الملك « أميتسا » من الحكومة المصرية التي كانت لها السلطان في المديرية الاستوائية جنوبي السودان في أواخر القرن الماضي ، أن تبعث إليه عاين يعلنان السكان قواعد الإسلام ، وكانت الجماعات التي وصلت إلى بحيرة فيكتوريا بقيادة أمين باشا هي النواة التي تكونت منها ومن سلاطاتها الجماعة الإسلامية في أوغندة .

(١) ص ٣١ من كتاب : « أوغندة في طريقها إلى الاستقلال » .

في المديرية الغربية ، التي يوجد فيها ثمانية سلاطين من المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه البلاد على يد العرب الذين وفدوا إليها من ساحل إفريقيا الشرقية ، كما دخلها عن طريق السودان من الشمال ، فالتاب أن العرب استوطنوا شرقي إفريقيا منذ مئات السنين ، وهم الذين طردوا البرتغاليين في القرن السادس عشر ، وكونوا هناك سلطنة « بوسعيد » التي عرفت فيما بعد باسم سلطنة « زنجبار » ، وقد أسس العرب على الساحل عدة مدن مثل « مقديشو » ، في منتصف القرن العاشر الميلادي ، وصارت محطات عربية تجارية هامة ، شجعت العرب على مواصلة رسالتهم داخل القارة ، وكانت هذه الرسالة ذات شقين ، الأول نشر الإسلام والثاني التجارة ، فكثر للقوافل العربية بين زنجبار ومباسا وبين داخل القارة . وراجت تجارة الملابس والحلي والأسلحة في أوغندة ، كما أدخل العرب فيها نوعاً من العملة وهي « المحار » المنظوم في عقود متفاوتة القيمة . وشجع الأمراء والزعماء تجار العرب على ارتياد المناطق المجاورة ، لما لمسوه على أيديهم من خير ، ومنح الملك « أميتسا » حرية الاستيطان لهم في مملكته ، كأسانذة دينيين ، وهذه الطريقة أمكن الإسلام أن يؤدي مهمته فدخل كثير من الأهالي في هذا

الذى رسمه لهم هؤلاء الدخلاء ، والذى اتخذوا التبشير وسيلة له أو ستاراً يلعبون من وراءه أدوارهم الخطيرة في مستقبل البلاد . وهذه النعمة يجبها كل إنسان وتحرك لها عواطفه ، ويميل نحو من بنادى بها والدستور الذى يقررها ويحترمها .

وقد نتج عن انتشار الإسلام وكثرة أتباعه وتعشعشعهم لهذه المبادئ السكرية ، نزاع على النفوذ بين المسلمين والمسيحيين ، شجعه ثالوث الاستعمار : الانجليز والفرنسيون والألمان ، وقد قامت حرب طائفية سنة ١٨٨٩ تغلب فيها المسيحيون بمساعدة المستعمرين ، ومع ذلك فإن الإسلام لم يخرج من قلوب أتباعه ، بل زادهم قوة وتحفزاً للأخذ بالثأر من هؤلاء الذين امتصوا دماءهم عشرات السنين .

أقصد دخول الاستعمار هذه البلاد في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عن طريق تكوين الشركات ، الذى هو أسلوبهم فى استعمار كثير من البلاد . وقد أقنع « ستانلى » الرحالة المشهور ، الجمعية الكهنسية للتبشير بإرسال رجالها للعمل فى أوغندة سنة ١٨٧٧ ، فأسرع الكاثوليك بإرسال رجالهم إليها من المركز الذى أقاموه فى الجزائر تحت قيادة « لافيجرى » . وقد أذن الملك « أميتسا الأول » لهذه البعثات أن تزاول نشاطها ، ولما توفى بدأ الملك الجديد « موانجا » يلعب بالألمان

وقد كان لا انتشار الإسلام فى هذه المنطقة عدة عوامل أهمها : —

١ — أن كل مسلم يعد داعية بنفسه ، يرى أن ذلك واجب دينى ، لا يحتاج إلى ترتيبات وتنظيمات خاصة كالتى يتخذها المبشرون .

٢ — بساطة العقيدة الإسلامية وسهولة فهمها ، ويسر التكليف الشرعية وملاءمتها لظروف الإفريقيين وأحوالهم الاجتماعية ، فهم لا يرون أن التحول عن وثنيهم إلى الإسلام يحدث فجوة أو شذوذاً غير مألوف .

٣ — اعتقاد الإفريقيين أن المسيحية هى ديانة البيض المستعمرين ، تحمل معها الظلم والاضطهاد والاستبداد والاستعمار . وهذا أثر من آثار القومية ، التى بدأ الإفريقيون يحسون خطرها فى محيط السياسة الدولية ، ويعملون على ضوئها للتخلص من نير الاستعمار .

٤ — الداعية المسلم عند ما يحمل ببلد يعد نفسه مواطناً ، عليه واجبات وله حقوق كبقية المواطنين ، فهو يندمج معهم ويعاملهم ويتزوج منهم ، ويكون سلوكه نفسه عاملاً من العوامل التى تجذب قلوب الأهالى نحو هذا الدين الذى يخلق فى أتباعه هذا السلوك الكريم .

٥ — الإسلام يعلم أتباعه الحرية والاعتزاز بالوطن وكرهية المستعمر ، ويبين لهم المآسى التى يلحقها بهم المستعمرون ، والمصير المظلم

أطاع الفرنسيين والألمان . وبعد سفر لوجارد تولى مهمته د بورتال ، وسار على نفس الطريقة التي يريد التخلص بها من نفوذ العرب والحزب الإسلامي .

للمسلمين في أوغندة حوالي ٣٠٠ مسجد ، وهي موزعة على الجمعيات لإدارتها ، والمساجد الرئيسية توجد في : سورو ، بوجب الغربية من جنجا ، مازاكا ، كايرو . وأجل المساجد وأوسعها هو مسجد د كامبالا ، المقام على ربوة عالية في وسط قطعة أرض تبلغ نحو ٤١٦ ألف متر مربع ، تبرع بها أحد أعيان المسلمين .

ومذهب الشافعية سائد هناك ، غير أن المسلمين ينقسمون إلى فرقتين : الفرقة الأولى ، وكثيرا ما تنشب بينهم الخلافات على الفروع الفقهية ، فهناك فريقان : أحدهما يسمى فريق الجمعة ، وهم لا يصلون الظهر بعدها ، والثاني يسمى فريق الظهر ، يتمسكون بصلاتها بعد الجمعة ، ومن الغريب كما يقول أحد كبار المسلمين هناك : إن فريق الجمعة يدعى أنه يتبع في ذلك قواعد المذهب الشافعي ، مما يدل على أنهم في أشد الحاجة إلى قيادة دينية رشيدة ، وبين الفريقين خصام دام أكثر من ٢٧ سنة انتهى إلى الاتفاق على صلاة الجمعة فقط ، وزعم الشافعية هو الحاج أحمد ابن كعب ، ومن كبارهم الشريف عبد القادر أحمد الجفري العلوي ، وهناك نشاط واسع

ضد الانجليز ، وساعده المسلمون في ذلك ليجدوا من نفوذ الانجليز ونشاطهم التجاري . ولما عزل د موانجا ، جاء بعده أخوه د كيويو ، ثم أخوه المسلم د كاليجا ، غير أن الانجليز أعادوا د موانجا ، للحكم فكافأهم على ذلك بإمضاء معاهدة مع الشركة الانجليزية ، قبل بها أخيراً الحماية على أوغندة سنة ١٨٩٤ . وقد حاول هو د كامباريجا ، ملك اليونور تحرير البلاد غير أن الانجليز تغلبوا عليهما سنة ١٨٩٨ ونفوهما ، وعقدت انجلترا معاهدات مع الملوك والرؤساء لتثبيت حمايتها على البلاد ، وفي سنة ١٩٠٠ بدأت انجلترا توسع رقعة أوغندة ولاسيما على حساب السودان ، الذي صارت لها فيه الكلمة العليا بعد استرداده ، فسدوا حدودها الشمالية إلى د غوندوكرو ، التي كانت إلى سنة ١٩١٤ هي الحد الجنوبي الأقصى للسودان .

هذا عمل الانجليز على إضعاف شوكة المسلمين منذ أن وطئت أقدامهم هذه المنطقة ، وذلك شأنهم مع المسلمين في كل مكان ، فعينوا مبعوثاً لهم يسمى د لوجارد ، كان يتقن سياستهم التقليدية « فرق تسد » ، فتمكن من الضغط على العرب ولجأهم إلى السكن في منطقة بحيث يكونون محصورين فيها بين القوتين الاستعماريتين ، فرنسا الكاثوليكية وألمانيا البروتستانتية ، وذلك لتسهيل مراقبتهم ، وليسكنوا عامل توازن يحذ من

وقد اجتذبوا كثيراً من المسلمين ومن الوثنيين إلى مذهبهم المعروف ، وقد وجه زعيمهم الراحل أغاخان في يونيو سنة ١٩٤٥ نداء إلى أتباعه يقول فيه : « لانكم لاتحاسبون على صلاتكم وصيامكم فقط ، بل لابد من مواجعتكم بهذا السؤال الذى يتوقف على الإجابة عليه فلاحكم أو خسارتكم وهو : ما الذى فعله كل منكم لإنقاذ الإسلام في وسط إفريقيا ؟ » .

وكان هذا النداء هو بدء الشروع في تكوين « الجمعية الخيرية الإسلامية بإفريقيا الشرقية » ، في ممباسا ، في ١٦ من يونيو سنة ١٩٤٥ ، وقد جمعت التبرعات ودفع الرئيس مبلغاً مساوياً لها ، وتكون رأس مال الجمعية ، فبنت عدة مساجد ومدارس في أنحاء المنطقة ونبت أو ساعدت على البناء في أوغندة وحدها ٣٠ مسجداً ، ٤٨ مدرسة ، مدرسة واحدة للعلمين ، ٣ مدارس فنية ، وواحدة داخلية . وهى توفد بعض الإفريقيين إلى كلية « ما كيرى » لتلقى دراساتهم العالية ، وتعلمهم مناهجهم . ولهذا الجمعية فروع كثيرة في المدن والأقاليم . هذا وتوجد في أوغندة جمعيات إسلامية كثيرة منها سبع في مدينة « كيبالا » وحدها لكنها غير منظمة ، وهى تدير المساجد وعدداً من المدارس الصغيرة ، وأشهر هذه الجمعيات هى :

للإسماعيلية والقاديانية الأحمدية ، والسلطات الاستعمارية تشجعهم نظراً لقولهم بنسخ الجهاد وعدم قتال المستعمرين .

والتعليم الإسلامى متأخر في البلاد ، ذلك أن التعليم العام يقوم على عائق المبشرين ، والمسلمون مضطرون إما إلى البقاء على الجهل وإما الالتحاق بمدارس الإرساليات . وقد أدركوا أخيراً خطر هذه الحالة فأنشئوا عدة مدارس ، غير أن المؤسف أن أكثر مدرسيها من المسيحيين وذلك لعدم وجود من يستطيع القيام بهذه المهمة من المسلمين . ويكفى لبيان سيطرة التعليم التبشيري أن تعلم أن الدراسات الخاصة بتخريج المعلمين وإعداد المدرسين يقوم بها ١٢ مدرساً من الكاثوليك و ٨ من الإنجليكان ومدرس حكومى ، ومدرس مسلم واحد (١) . ومع كل ذلك فالمدارس الإسلامية قليلة لا تفي بالحاجة ، والقرآن يدرس بلغة غير سليمة ، وهم يحاولون ترجمته إلى اللغة السواحلية ، والقاديانية جادون في ذلك ، وقد انتهوا فعلاً من هذه الترجمة ، والمسلمون يشجعون من يحفظ القرآن فيعطونه ٥٠ جنياً .

ومما تجب ملاحظته أن الطائفة الإسماعيلية تبذل جهوداً جبارة في نشر الإسلام في أوغندة ومنطقة شرق إفريقيا على العموم .

على رأسها « إدريس عامر » ، الذى كان كاثوليكيا وأسلم ، وترك توصيات وتقريرات عن حالة المسلمين هناك ، كما زار هذه المنطقة الدكتور محمود حباقة موفدا من الأزهر ، والسيد أحمد مراد البكرى ، وقد بينت التقارير أن الحاجة ماسة إلى تقوية القاعدة الإسلامية فى أوغندة ، وذلك لغرضين : الأول مقاومة التبشير الذى يقع على حدود سودانا الشقيق ، والذى ينفث سمومه فى البلاد المجاورة ويعتمد عليه الاستعمار فى بسط نفوذه فى وسط إفريقيا التى تقوم الجمهورية العربية المتحدة بدور كبير فى تحريرها والنهوض بها ، والغرض الثانى تبصير المسلمين بشئون دينهم ومقاومة أديعاء العلم ، الذين يتصدرون لقيادة السذج ، ويتسلطون على أفكارهم بالشعوذة والتضليل .

وأحسب أن التوسع فى قبول الوافدين إلى الأزهر من هذه الجهات ، وتيسير حصولهم على أكبر قدر ممكن من المعرفة الواعية ، سيكون له أثره البالغ فى القضاء على الأعياب الاستعمار ، وفى حسم الخلافات الدينية بين أنصاف المتحدين ، وفى إبراز الصفحة المشرقة الحية للدين الإسلامى ، الذى يعيش إلى ضوئه كل راعب فى المعرفة الصحيحة والإرشاد السليم ؟

عطية صقر

١ — جمعية مسلمى إفريقيا فى « كامبالا » ، ورئيسها الحاج أحمد بن كعب .

٢ — جمعية الإسلام ، ورئيسها الشيخ شعيب ، الذى حدث بينه وبين الأمير بدر نزاغ كبير على إدارة المساجد وعلى الاختصاص .

٣ — جمعية السودانين ، ورئيسها الشيخ محمود السودانى .

ومن الشخصيات المعروفة هناك غير رؤساء الجمعيات : —

١ — الأمير بدر ، وهو من أسرة « باجندا » ، الملكية ، وكان أبوه الأمير « موبجو » ، صاحب فضل كبير على الإسلام وانتشاره فى أوائل هذا القرن ، وقد تبرع الأمير بدر بثمانية أفدنة لصالح المسلمين .

٢ — الشريف مبارك على ضاوى ، ممثل سلطان زنجبار ، وهو من الرواد الأول الذين دخل على أيديهم الإسلام فى أوغندة .

٣ — مولانا عبد الله شاه الهندى ، زعيم الهنود الحنفيين فى شرق إفريقيا .

٤ — الأميرة ماشقة بنت أميتسا الأول ملك أوغندة ، لها أباد بيضاء على المسلمين .

٥ — عبد القادر بن أحمد الجفرى العلوى الشافعى الذى وصل من شرق إفريقيا واشتغل بالتجارة ، ونشر الإسلام ، ثم استقر به المطاف فى أوغندة بمدينة « ماساكا » ، وبني بها مدرسة إسلامية .

هذا وقد زارت مصر بعثة من أوغندة

شاعر أعشى يصف العيسى

قال الشاعر الأندلسي أبو الخثى يصف عماء :

خضعت أم بناتي للعدا	إذ قضى الله بأمر فضي
ورأت أعشى ضريراً لئماً	مشيه في الأرض لمس بالعصا
فبكت وجدا وقالت قولة	- وهي حرى - بلعت منى المدى
ففؤادى قرح من قولها	ما من الأدواء داء كالعمى
وإذا نال العمى ذا بصر	كان حيا مثل ميت قد ثوى
وكان الناعم الممرور لم	يك مسرورا إذا لاقى الردى
أبصرت مستقبلا من طرفه	قائدا يسمى به حيث سسمى
بالعصا لمن لم يقده قائد	وسؤال الناس يمضى إن مشى
وإذا ركب دنوا كان لهم	هو جلا فى المهمة الخرق الثصى ^(١)
لم يزل فى كل غشى السرى	يصطفى الحرب ويختاب الدجى

« ١ » الهوجل : البطيء الثقيل . والمهمة : المغارة والخرق : الفقر والصوى : جمع صوة وهي ما غلظ وارتفع من الأرض .

من شعر سوقي بعد المنفى للأستاذ علي العماري

في عام ١٩٢٠م أقيم حفل بدار (الأوبرا) الملكية لإنشاء جمعية لمساعدة الفقراء ، وقد نظم شوقي هذه القصيدة للتمني في هذا الحفل ، وهي أول قصيدة قالها بعد رجوعه إلى مصر من منفاه بالأندلس . ويمكن تجزئة هذه القصيدة ، إلى أربعة أجزاء رئيسية :

(١) مقدمة القصيدة ، وقد بسكى فيها الأطلال ونثر الدمع في الدمن البوالي ، ووقف بها وقوفا طويلا أذهب صبره لأن لها عليه حقوقا فقد ذاق فيها طيب العيش مع أحبابه ، وهو رجل واف لأحبابه ولديارهم ، وقد ساء ما لقيته هذه الديار من جور الزمان .

(٢) حديثه عن بلاد الأندلس ، وثناؤه عليها ، ووداعه لها ، وإشادته بفضائلها عليه ، وأنها كانت جنة تغرب فيها ، وقد شكر الفلك يوم وصل تلك البلاد لأنها أراحته من مناظر كانت قذى في عينه ومن أناس أهل غدر وخيانة . ثم أشاد بعمران بلاد الأندلس أيام العرب ، وتألم لما جرى

عليها بعد ذلك من كدر ، وغاية كل صفو أن يشاب بالسكدر .

(٣) فرحته بلقاء وطنه ، ومبالغته في حبه له ، وقد ذكر أن قصائده سبقتة إلى هذا الوطن ، وأنها حملت إليه ثناء يضيف تاجا جديدا إلى تاجه القديم . ووصف جزءا من رحلته ، وصفح عن الزمان ؛ لأنه تاب عما أسلف إليه بصبح اليوم الذي وصل فيه إلى الأسكندرية ، ثم حيا فتيان مصر الذين كسوا عطفه ثيابا من الفخر ، وأطال الثناء عليهم ، وتواضع فقال : إن أدبه ليس أهلا لما أسداه إليه هؤلاء الكرام ، ولكن من أحب الشيء حابى .

(٤) الغرض الرئيسي من القصيدة ، ويتناول الحديث عن وطأة الغلاء ، ووصف التجار الجشعين ، وقلة الخير في القلوب ، وانصرافها عن أداء الزكاة كأن الزكاة ليست في كتاب الله ، وفي هذا الجزء من القصيدة رجاء إلى شباب مصر أن يتجهوا بالدعاء إلى الله ليرقق قلوب الأغنياء على الفقراء ، وفيه إشادة بما يجنى صاحب الخير

وقوله :

أكل في كتاب الله إلا

زكاة المال ليست فيه بابا ١٩

وفي القصيدة أبيات بديمة المعنى والأداء
والتصوير من نحو قوله :

ويا وطني لقيتك بعد يأس

كأنى قد لقيت بك الشبابا

وشوق مغرم بالإشارة إلى الأماكن
والأشخاص والأحداث التاريخية ، وهي
خاصية في شعره تدل على تمكنه من التاريخ
وحبه للعرب والإسلام ، ومنها في هذه
القصيدة إشارته إلى (حرب البوس)
وإلى (وائل) و (الزهراء) و (بابل)
و (المدينة المنورة) و (نار الطور)
و (يوسف) و (سنية) . إلخ . . .

مأخذ على القصيدة :

إذا كان البارودي صدر في قصيدته التي
درسناها فيما سبق عن عاطفة قوية نحو بنته
التي زاره طيفها ، فإن (شوقيا) لم يصدر
في هذه القصيدة عن عاطفة نفسية وإنما خضع
لمؤثر خارجي ، وأعنى بالمؤثر الخارجى ما لم
يكن نابعا من النفس ، وأكثر شعر المناسبات
هو استجابة لمؤثرات خارجية ، وشتان بين شاعر
يصور لنا عواطفه ويحدثنا عن انفعالاته ،

من فعل الجليل ، وتحذير من ترك البائسين
يعانون آلام بئسهم ، فإن هذه الشام إذا
اشتد بها الجوع انقلبت ذنابا تفتك برعيانها ،
وتنتهى القصيدة بهذا البيت :

ولولا البر لم يبعث رسول

ولم يحمل إلى قوم كتابا

محاسن القصيدة :

يمتاز شعر شوقي - بعامة - بميزتين رئيسيتين ،
وهما موجودتان في هذه القصيدة ، إحداهما ،
النغمة الموسيقية التي ترتاح لها الأذان ،
وتصغى إليها النفوس ، والآخرى الألفاظ
الرفيعة العذبة التي لا نكاد نجد بينها لفظة جاسية ،
أو عبارة خشنة .

وفي القصيدة أبيات حكيمة تعود شوقي
أن يرسل مثلها في كل شعره ، وقد سار بعض
هذه الآيات ، وجرى على الألسنة أمثالا
بارعة ، منها قوله :

وليس بعامر بنيان قوم

إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقوله : (وغاية كل صفو أن يشابا) .

وله أبيات لاذعة ، قوية الأداء ، عميقة
الإيحاء ، من مثل قوله :

أمن أكل اليتيم له عقاب

ومن أكل الفقير فلا عقابا

(ميخائيل نعيمة) في كتابه (الغربال) ،
وفي نقده حق وباطل ، وسأنسب إليه ما عابه
على شوقي في هذه القصيدة ، وأعقب عليه .

فمن ذلك عيبه على شوقي بأنه نادى الرسم ،
وبكى الدمع البوالى ، وقد أشرت إلى هذا
في مقال سبق عن شوقي ، وخلاصة رأى ،
أن بكاء الدمع ، والاطلال لا عيب فيه ،
لأن هذا غرض من غرض الشعر يحس به
بعض الشعراء في كل عصر وفي كل مصر ،
بل العيب أن (شوقي) تناول هذا المعنى
تناول شعراء الجاهلية ، وجعله مقدمة لقصيدة
كما كان يعمل الجاهليون ، ولو جعله غرضاً
مستقلاً ، وتناوله تناولاً واقمياً لخلا من الذم .
وقد اتهم شوقي بالتقليد في هذا الابتداء ،
ولكن ليس هذا الابتداء وحده هو الدليل
على التقليد ، ففي القصيدة صور جاهلية من مثل
قوله عن القوائى إنها (مقلدة أمها) فيشبهها
بالنوق المقلدة . ومن مثل تشبيهه الحرب
العالمية الأولى بحرب البسوس .

وعاب (نعيمة) على شوقي تسجيله بكاءه
من أنه قام بنادى الرسم ، ويجزیه بدمعه .
ويقول : إن العبرات قلت لحقه ، ولإنهن —
يعنى العبرات — سبقن مقبلات الترب عنه ،
ولأنه نثر الدمع في الدمع البوالى ، ثم يقول
الناقد : « لو بقيت شهراً بل هاما أقول
للناس : يا ناس إنى بكيت ، لما بكى معى

وشاعر يطفو فوق السطح ، ويستدعى الممانى ،
ويتكلفها ليكون منها قصيدة تلقى في حفل
أو تزف إلى أمير أو وزير .

ولا روح في شعر المناسبات إلا ما يلتفت
فيه الشاعر إلى نفسه فيصور خلجة من خباياه .
ولم تخل قصيدة شوقي من هذه النفحات ،
ولكنها جاذبة قليلة . أما أكثر القصيدة فهو خال
من الانفعال العميق .

والغرض من القصيدة الدعوة إلى إنشاء
جمعية لمساعدة الفقراء ، والقصيدة نحو الستين
بيتاً ، ولكننا لنجد في الغرض الأصل إلا
أقل من ثلثها ، وهذا عيب خطير لأن دل
على شيء فإنما يدل على أن الشاعر يهرب
من الموضوع الأساسى لأنه سطحنى الشعور به ،
ولو ملك عليه الموضوع نفسه لجعل كل قصيدته
أو أكثرها فيه .

على أن الروابط بين أجزاء القصيدة
من الناحية الشعورية ليست قوية ، فلانتهال
من الحديث عن الأندلس إلى الحديث
عن الوطن مقبول ، ولكن الالتفات بعد ذلك
إلى الشباب ، وطلبه منهم أن يهزوا العرش
بالدعوات أشبه بالصناعة منه بالانحداد
في الشعور .

من الواجب على — هنا — أن أشير إلى أن
هذه القصيدة نقدها الكاتب الممجى الأستاذ

النطق بالحكمة أو بالموعظة ، وعليه أن يترك
الحوادث تتكلم وحدها فإن ذلك لا يطلب
من الشاعر ضرورة أن المطلوب في القصة
هو البسط ، والمطلوب في الشعر إنما هو
الإيجاز واللمحة الدالة .

واستحسن الناقد عما استحسنت هذين البيتين
ولو أنى دعيت لكنت دبنى

عليه أقابل الحتم المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهى

إذا فمت الشهادة والمتابا
وأرى أن هذه المبالغة غير محدودة ، وكان
للشاعر مندوحة عنها ، وأى معنى بدبع فى
فى أن يستهين الشاعر بدينه للبالغة فى الدلالة
على حب وطنه ، أليست ساعة الاحتضار
هى الساعة التى يؤمن فيها الكافر ، ونفى
فيها التفاجر ؟ بإذا أعرض الشاعر فى هذه
الحالة عن أن يتجه نحو بيت الله الحرام ،
واتجه نحو وطنه لا يكون هذا إلا من الذين
يستهينون بالأديان ، ومن واجب الشاعر
أن يخلى مقدسات الأديان فلا يتعرض لها ،
وبخاصة إذا كان يدعو باسم الدين لتكوين
جمعية تساعد الفقراء ، ثم كيف يكون الوطن
دينا يقابل عليه الموت ؟ أليس ذلك إمعانا
فى تجاهل هؤلاء الذين يخاطبهم باسم الدين ؟ .
بل ، يرى الشاعر أن الرسل إنما جاءوا
وجاءت كتبهم للسبر بالفقراء ... كان على

أحد غير أنى لو أدخلتهم قلبى ، وقد خيم
الحزن فيه لا انقبضت مع قسبي قلوب ،
ولتبلت مع عيني عيون ، وهذه كما يقول :
هى مهمة الشاعر ، وكلهم الشعراء بيننا الذين
يستعيزون عن وصف عاطفة بذكر نتيجتها
الخارجية ، فإن حزنوا قالوا بكسينا وإن
فرحوا قالوا ضحكنا ... كأن لا سبيل
لوصف الحزن إلا بالدموع أو لوصف الفرح
إلا بالضحك ... قلت : وهذا حق .

وعاب على شوقي إتيانه بهذه الحكمة :
وليس بعاسر بنيان قوم ... البيت
ذاكرا أنه من الحشو ، ومن الانتقال
الفجائى ، وكان على شوقي — كما يرى —
أن يتمم صورة حالة قومه الاجتماعية حتى
إذا تجلت أمام أعين سامعيه بكل خطوطها
وألوانها قالوا من تلقاء أنفسهم هذه الحكمة .
ولا أرى وجهها من الصواب لهذا القول ؛
فإن انتقال الشاعر إلى الحكمة — ولو عن
طريق الفجاءة — قد يكون له دلالة العميقة
على ما يعمل فى نفسه .. على أن (شوقي) ذكر
قبل هذا البيت بعض الصور التى تنافى الأخلاق
الكريمة ، فكان من الطيبى أن يجىء هذا
البيت بعدها ولا شئ . فى التصريح بالحكمة .
وإلا لفطينا على أكثر الحكم فى الشعر العربى
وخطأ نعمة جاء هنا من قياس الشعر على
القصة ، فإذا كان مطلوبا من القاص أن يتفادى

الصنف موجود كذلك في مصر ، فالشاعر لم يكذب في الأولى ، ولقد صدق في الثانية . وإنما يتناقض الشاعر إذا عمم وحكم على هذا العموم بحكمين مختلفين .

والغييب الذي يمكن أن يوجه لشوقي في نظري هنا هو أنه بنى امتداحه لهؤلاء الفتيان على أنهم كسوا عطفه من نثر ثيابا ، فقد صدر في مدحه عن شعور خفي ، فهو يحازيهم على امتداحهم له بأن أطال في مدحهم .

وقد سخر نعيمة من شوقي لهذا البيت :
وكل مسافر سيثوب يوما
إذا رزق السلامة والإيابا
وعده من الحشو ، ثم قال : فلا فرق هندي
بين هذا البيت ، وبين قول القائل :
الليل ليل ، والنهار نهار
والأرض فيها الماء والأشجار

والحق أن البيت يبدو كذلك ، فإذا لجأنا إلى التحل لتسويفه - كما يفعل بعض أنصار شوقي - لم تفلح كثيرا .

ثم نعود فننظر في أبيات القصيدة مفردة لنرى ما فيها مما يعاب .

من ذلك ضرب المثل لصغور الليالي الذي يشاب بالكدر ، وذهاب ملك العرب في الأندلس بالشمس حيث ذكر أنها وقد شبت القرون ، قد شاب قرننا ، وأنها تنتظر في الأفق يد القدر

شوقي أن يتفادى كل معنى يمس شعور المتدينين خاصة في هذا الوقت ، ولكن لشوقي من مثل هذه المعاني ما كان في غنى عن ذكره كقوله من قصيدة في وصف حريق ميث غمر :

أو أنه ابتلى الخليل بمثلها
- أستغفر الرحمن - ولي مدبرا
واحتراسه بقوله (أستغفر الرحمن) لم يخفف من شفاعته هذه المرأة على خليل الله إبراهيم . وعاب على شوقي تناقضا فاحشا في المعاني - على حد تعبيره - ؛ فشوقي يشكر العربية لأنها أراحته من كل أنف كأتف الميت ، ومن منظر كل خوان يراه بوجه كالبحي ، وينذر قومه بأن بنيانهم لا يقوم إذا أخلاقهم كانت خرابا ، ثم يعود بعد لحظة يخاطب وطنه وأولئك القوم أنفسهم بهذه اللمحة :

وحيا الله فتينا سماحا
كسوا عطف من نثر ثيابا
ويصفهم بأنهم ملائكة ، وأنهم بحور ، وأن الإيمان مؤتلق عليهم ، إلى آخر الآيات ثم يقول نعيمة : فبلد فتيناه ملائكة ، لا يصح أن يقال فيه : إن أخلاق أهله خراب .

وواضح أن (شوقي) غمز أولا - بعض المصريين الذين يخونونه ، ويكيدون له ، وهذا الصنف موجود في مصر ، وامتدح - ثانيا - بعض الشبان المصريين الذين استقبلوه استقبالا رائعا ، وحيوا أدبه تحية طيبة ، وهذا

ومع هذا فلا تزال الفكرة ضعيفة لأن ضرب
المثل هنا ينبغي - كما قلت - أن يكون بأمر
مسلم به ، نقره النفوس ، وتعرفه ، وتؤمن
به حقاً .

وأضعف من هذا انتظار الشمس ليد
القدر إذ أنه أمر لا يزال طى الغيب وكل
الكائنات تنتظر هذا المصير ، وكله (لعاب)
ثقيلة باردة .

وأما البيت الثالث (تعد بها . . البيت)
فهو فضول في فضول ، وماذا يفيدنا هنا
ونحن نسمع للكلام عن غير الأيام ،
وتكديرها كل صفو أن تكون الشمس
تجهل الحساب ، وهي وسيلته ؟

ولم أستطع أن أفهم قوله عن قوافيه في
خطاب الوطن :

تجوب الدهر نحوك والفيافي

وتقتحم الليالى لا العبابا
فأولا : جعل قوافيه تجوب الليالى ،
فما المانع أن تقتحم العباب ، وإذا كان
العباب له نهاية قريبة - كما يقول الشراح -
فإن الفيافي كذلك ، بل إن الماء في الكرة
الأرضية أضعاف مضاعفة لليابس . وهذه
عبارة شارح القصيدة : « والمعنى أن
قصائده باقية بقاء الدهر ، ولذلك نرى اقتحامها
للعباب لأنه مهما اتسع فله نهاية قريبة » .
وهو - كما يبدو - شرح عجيب ، لا يتفق مع
البيت في شيء .

تهبط بها ، وأنها وسيلة لعد الحساب على الأمم
مع أنها لا تدرى الحساب حيث يقول :

مشية القرون أدبل منها

ألم تر قرنها في الجوشابا

معلقة تنتظر صولجانا

يخر من السماء بها لعبا

تعد بها على الأمم الليالى

وماتدرى السنين ولا الحسابا

وكل ما قاله في هذا المثل نافه ، فثيب قرن
الشمس مجرد تخيل ، والمهم هنا أن يكون المثل
محققا معترفا به حتى يكون شاهد صدق
على تكدير الصفو ، ثم إن قرن الشمس شائب
منذ رأى الكون هذه الشمس ، والأسلوب
هنا من قبيل حسن التعليل ، وهو افتراض
علة للشيء غير علته الحقيقية ، والطبع لا يستريح
هنا إلا للأمر الواقع .

ومن ناحية أخرى فإن المقابلة بين ما حدث
للرب في الأندلس ، وما ذكره الشاعر وتخيله
مما حدث للشمس ينبغي عن شعور مضطرب
للشاعر ، فلا شك أن (شوقي) لا يريد أن الدولة
دالت على العرب ، كما دالت على الشمس
التي أسامت إلى القرون بأن شيبها .

والسياق الطبيعي هنا أن يقول : إن العرب
دالت دولتهم من الأندلس ، وهكذا كل كائن
ألا ترى إلى الشمس ، وقد أحسن
إلى الأكوأن حقبا طوا الا كيف دب إلى رأسها
إلشيب ؟ .

الشداد ، وهى سنو يوسف - عليه السلام -
فهو معنى جيد ، وأقوى منه قوله :
عبادك رب قد جاءوا بصمر
أنيسلا سقت فيهم أم شرابا
وإن كان صاحب (الغربال) سخر من
هذا المعنى الأخير زاعما أن الشاعر يعاتب
ربه على ما أنزل بصمر .

ولو اقتصر شوقي فى هذا البيت :
وهل فى القوم يوسف يتنمها

ويحسن حسبة ويرى صوابا
على الشطر الأول لاحتفظ بقوة الشعر
وروعته ، ولكنه أراد أن يكمل البيت
فتهافت بذكر إحسان يوسف الحسبة ، وبصره
بالصواب ، ولا ضرورة لهذا بعد قوله
(يتقيها) مع هذا الاستفهام الرائع .

وقد سمعت وقرأت اخلافا فى شرح هذا
البيت :

هدانا ضوء ثورك من ثلاث

كما تهدى (المنورة) الركابا
فقال قائل أنه يريد بالثلاث الليالى ، وقال
آخر أنه يريد منارات الإسكندرية ، وأرى
أن الأول أنسب ، إذا كان شوقي يريد الهداية
المعنوية لأن المدينة المنورة لا تهدى الركاب
بأضواء محسة ، وإنما تهديهم بما فى نفوسهم
من أشواق إليها ، ولولا أن (شوقي) ذكر
نور المنار بعد ذلك وأنه غشى البحر نورا ،
لقلت إنه يريد - قطعاً - بالهداية ، الهداية

وثانيا : ما الفرق بين جوبانها الدهر
واقتحامها الليالى ؟ وعندى أن الرواية يجب
أن تكون (والعباب) وفى البيت :
وإن حملتك أيديهم بجورا

بلغت على أكفهم السحابا
أنهم أن الأيدى التى تبلغ السحاب هى
الأيدى القوية لا الأيدى المعطاة فالمناسبة
هنا للقوة لا للجد ، ولو قال (نسورا)
بدل بجور لكان أحسن ، لكن الصنعة
حكمت عليه أن يذكر البحر مادام الارتفاع
للسحاب ... وبشبه ذلك أن ينادى الشباب
فيطلب منهم الدعاء ، والدعاء إنما يقرن
- فى الشعور - بالشيوخ والعجائز ، أما الشباب
فإنما يطلب إليه أن يعمل بقوة لمساعدة
المقراء لا أن يكتفى بهز العرش بالدعوات ،
ومن أين جا شوقي أن لهذا الشباب صوتا
مستجابا . مع أنه عنى فى وصفهم بالأوصاف
الحسية .

ويضعف الشاعر حين لا يجد للحرب
العالمية الأولى شبرا إلا فى حرب البسوس
فماذا عسى أن تكون حرب البسوس هذه ؟
إننا مهما أبعدنا فى التخيل حين نتصورها
لا نعدل بها يوما واحدا من أيام الحرب
العالمية . ولكنها متابعة الأقدمين والجرى
وراءهم ، والاعتراف من معينهم ...
أما خوفه من أن يعيد انغلاء إلى مصر السبع

الروحانية ، وهذا المعنى هو المناسب للشعر .
كما اختلف الشراح في المراد بالتاجين

في قوله عن قصائده وما أسدته لمصر :

وتهديك الثناء الحمر تاجا

على تاجيك مؤثقا عجبا
فقالوا ، المراد بالتاجين (الأهرام
وأبوالهول ، أو تاج الوجه القبلي وتاج الوجه
البحري ، أو تاج العروبة والإسلام) .

وشوقي مخطئ في هذا لأن من الشروط
الأساسية لاسلوب الجيد أن يكون الاسلوب
واضحا ، ومن دلائل الوضوح ألا يذكر
الأديب كلمة لا يعرف معناها إلا عن طريق
الحدس والتخمين .

والشراح مختلفون كذلك - فلم يقل أحد : إن
أبا الهول تاج على جبين مصر ، وتاج الوجهين
أمر قد مضى عصره لا ينبغي أن يشير إليه
شاعر مصر في القرن العشرين ، وأما المعنى

الثالث فليس في البيت ولا في القصيدة ما يشير
إليه من قريب أو بعيد .
وقد جمع شوقي في بعض أبيات القصيدة
بأنسا على بؤساء ، وأذكر أن المحققين من
اللغويين لم يقرؤا هذا الجمع ، وحجتهم أن
فاعلا لا تجمع على فعلاء ، وقد حكموا على
شعراء في جمع شاعر بأن طريقها السماع
لا القياس .

وبعد . فإني لا أحكم على شوقي بالحكم على
هذه القصيدة ، وإنما أقول : إنها ليست من
روائمه ، وإن اختيارها للدراسة على أنها
كما قال مختاروها .

(الشوقية البارعة ، مثال رائع من شعر
أمير الشعراء) اختيار غير موفق ، وأن
الحكم عليها بالروعة حكم غير مقبول . ؟

على العماء

من شعر إقبال

من أسكن الحب ظلام التراب	فأورق الزرع نضير الآهـ
من رفع الأمواج من يجرها	تسقى عطاش الغفر برد السحاب
من قلد الورد نسيم الصبا	ومن أعاد الشمس بعد احتجاب
من أنبت السنبيل حتى غدت	جيوبه تحوى النضار العجـ
من قسم العام فصولا لها	بكل دور في الزمان انقلاب

الوحدانية في الأديان الإفريقية

للأستاذ محمد جمال عباس

فطر السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من
المشركين .

هذا تفكير إبراهيم عليه السلام وهو يمثل
حقيقة التطور الفكري للإنسان ، ولا تكاد
النظريات العلمية المتعددة التي فُتحت أصل
العقيدة الإنسانية تخرج عن هذا ، فتأيلو
وهربت سبسر قالاً بأن الإنسان بعد بحثه
وتأمله في مظاهر الحياة وتفكره في الأطياف
التي كانت تمر به في منامه ، أخذ يرد مختلف
الظواهر إلى أرواح تكمن فيها وتسيرها . وهو
في هذا الطور لم يرق إلى مرتبة فكرية تجعله
يصل إلى عقيدة إلهية ، وإنما كانت عقيدته
في هذا الطور روحية خالصة ، أما جيمس
فريزر فقد ذكر في كتابه « عبادة الطبيعة »
أن الاعتقاد في الله عند الإفريين إنما يرجع
إلى أن عقل الإنسان بطبيعته لم يقبل الظواهر
على علانها إنما أخذ يبحث عن شيء غير
مادي فيها وراء هذه الظواهر يجعله يقنع عقله
بها كأسباب لها ومن ثم لم يعبد الطبيعة ذاتها
إنما كان تفكيره متجهاً إلى الاعتقاد في قوة
غير ملووسة .

وقد أكد بعض الكتاب والباحثين وجود
فكرة الوحدانية في عقائد الإفريقيين وعلى

« فاقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .
آية خاطب الله بها رسوله الكريم ليبين أن
رسالة الإسلام العظمى إنما هي رسالة مسايرة
للفطرة التي زود الله بها الإنسان فاستقرت
في نفسه وملائه شعوراً بأن لهذا العالم خالقاً
ودفعته إلى التساؤل عن أصل الوجود ومنشأ
الخلق ، وهده عقله المفطور إلى أن الخالق
لا بد أن يكون قوة عظمى ، فأعمل فكره
ليصل إلى إدراك هذه القوة العظمى إدراكاً
عملياً يؤيد بها إدراكه الفطري وشعوره
الكامن في نفسه .

ولقد ظل الإنسان منذ بداية الخليقة يفكر
في أسباب تلك الظواهر الكونية التي أحاطت
به ، وتلك العجائب التي تميزت بها حياته ، ليصل
إلى معرفة تلك القوة التي تدير الكون والحياة
ومر الإنسان في تفكيره بأطوار متعددة
جاءت في الآية الكريمة : « فلما جن عليه الليل
رأى كوكباً ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال
لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال
هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إنني
برئ مما تشركون . إنى وجهت وجهي للذي

التي لها تاريخها ، وأهميتها في حياة القبيلة .
٣ — الاعتقاد في خلود الروح بصورة
شخصية إما بحلولها في أفراد من أبناء الأجيال
التالية أو في عوالم أخرى كالأشجار والأنهار
والبحار والغابات أو باطن الأرض أو السماء
ولهذا فهم يقدمسون أرواح السلف ويقدمون
لها القرابين .

٤ — الاعتقاد في وجود كائنات غير إنسانية
وغير مرئية بعضها خبير وبعضها شرير
والانصال بها يتم بواسطة السحر .

من هذه المميزات يمكننا أن نقرر أن
الديانات الإفريقية ديانات تجمع بين التوحيد
والاعتقادات الروحية .

ويعتبر الإله العلوى الذى لا تخلو منه ديانة
من ديانات الشعوب أو القبائل الإفريقية
مظهراً للوحدانية في هذه الديانات ، وتختلف
أسماء هذا الإله باختلاف الشعوب ولغاتها
ولكنها جميعاً تؤمن به كخالق للعالم إلى
جانب إلمامها بصفات أخرى له لا تكاد
تخرج عن صفات الله التي جاءت في القرآن ،
ونورد فيما يلي عشر أمثلة نمر بها على أقطار
إفريقيا لنثبت هذه الحقيقة .

١ — في سيراليون تؤمن قبائل الماندى
بإله خالق « أنجووى » ، وتعتقد أنه وجد
بذاته قبل الخلق ثم بث الحياة في البشر ، وملاً
العالم بقوة من عنده تسير الرياح وتحدث
البرق وتجرى الأنهار فهو مصدر كل قوة ،

رأس هؤلاء الآب شمس الذي يرى أن
العقائد في إفريقيا قد تطورت من مرحلة
تعدد الآلهة إلى مرحلة الاعتقاد بإله واحد ،
وقد تبعه بعض المبشرين الذين بحثوا في
الاديان الإفريقية وبعضهم قال بأن اعتقادات
الإفريقيين الحالية لا بد وأنها تطورت من
وحدانية قديمة وقال آخرون بأن أديانات
الإفريقية متأثرة بوحدانية اليهود ، القديمة كما
ذكر البعض مثل الدكتور لو كاس أن آلهة
إفريقيا الغربية إنما ترجع أصلاً إلى العقائد
المصرية القديمة وخاصة عقيدة أختاتون .

وأياً ما كانت الآراء فإن ديانات الإفريقيين
الأصلية ذات طابع مميز لها فهم لا تدور
حول عبادة القوى الطبيعية كما كان الحال عند
الإغريق ، ولا عبادة الشمس كمصر القديمة ،
ولا هي عبادة أو ثمان كالتي كانت عند العرب
في الجاهلية ، وهي لا تدور حول تقديس
أشخاص لهم اعتباراتهم التاريخية ومبادئهم
الأخلاقية كالكنفوشية والزرادشتية
والبوذية في آسيا ، كما أنها لا تعتمد على
الاعتقاد الروحي وحده .

لا تعتمد العقيدة الدينية عند الإفريقيين
على أحد من هذه العناصر التي اعتمدت عليها
الديانات الأخرى غير المساوية قديماً وحديثاً ،
إنما تتميز بمميزات خاصة أهمها : —

- ١ — الاعتقاد بإله علوى .
- ٢ — تقديس أرواح بعض الشخصيات

في إله علوى يعرف باسم «أكونجو» ، هو خالق الكون لذى سوى الإنسان مثلاً تسوى الآنية الفخارية من الطين ، وله أسماء متعددة منها الأول والآخِر والتقدير الذى يحل عن الوصف ، وهو الحافظ والرازق قريب من كل إنسان يجيب دعوته إذا دعاه دِن وساطة .
٧ — لقبائل «الكيكويو» ، في كينيا إله علوى يسمى «مورونجو» ، يعتقدون أنه حال في أماكن كثيرة وتظهر قوته ووجوده في الشمس والقمر والنجوم والرياح والأمطار ، والاعتقاد في مورونجو أو مولونجو ينتشر في جهات كثيرة من أوسط إفريقيا .

٨ — من أسماء الإله العلوى الواسعة الانتشار ليزا في تنجانيقا وروديسيا وكاتنجا بالكونغو . ومعناها عند بعض القبائل الحافظ ومعناها عند قبائل التونجا في تنجانيقا المسبب الأول ، وهو عند قبائل «إلبا - إلبا» ، في روديسيا خالق كل شيء فهو المنشئ الذى سوى الأشياء الذى يرسل الرياح وينزل الأمطار .

٩ — في جنوب إفريقيا ينتشر الاعتقاد أيضا بإله علوى فعند الباسوتو نجلد «موليمو» ومعناها في لغتهم النور والحافظ والمظهر . وعند الزولو «اونكولونكولو» ومعناها العظيم الأعظم والتقدير الأقدم .

١٠ — جميع القبائل النيلية التى تسكن جنوب السودان وأوغنده تؤمن بإله علوى

واسمه يلهج به كل لسان في التحية والسلام والدعاء . وتؤمن قبائل الكونو المجاورة للساندى أيضاً بأنجوى وتعتقد أنه الأول والآخِر وأنه موجود في كل الوجود ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهو الذى يثيب البشر ويعاقبهم بالرعد والبرق والموت الغامض الأسباب .

٢ — جماعات الأشانتي التى تسكن غانا وبعضها لم يعتنق الإسلام ، هؤلاء يعتقدون بإله يسمى نيامى أو نيونمى وهو الإله العلوى الذى وجد قبل الخلق وتجلى مظهره في السموات والأرض .

٣ — قبائل شمال غانا وبعض قبائل وسط نيجيريا تؤمن بالشمس كإيمان المصريين القدماء بها . على أنها مظهر لقوة الإله الواحد وهى نفس الفكرة التى نادى بها أخناتون في مصر القديمة فالشمس هى مظهر لقوة الإله ، والأنهار تجرى بقوته والثراء منحة منه وأن الأرواح تعود إليه في النهاية .

٤ — شعب اليوربا في جنوب نيجيريا يؤمن «بأولورون» ومعناها اللغوى صاحب السموات ويعتقدون أنه خالق كل شيء . وأنه هو القوى العزيز العليم التقدير ، إليه ترجع الأمور ليقضى فيها بعدله .

٥ — يؤمن شعب الإيبو في جنوب غرب نيجيريا بإله علوى يماثل إله اليوربا في صفاته ويعرف باسم «آرو» .

٦ — تعتقد قبائل «انجومي» في الكونغو

الحياة الإفريقية البدائية ووجهت العقيدة إلى مقدسات أفسدت تلك الوحدانية الفطرية. والثاني : عدم وصول الهداية إلى تلك البلاد أو منع الاستعمار لهم من الوصول إليها فلم يجد الإفرقيون من التعاليم الخالصة السليمة ما ينقى عقيدتهم وتطهر عقولهم من تلك الشوائب .

ولقد قبل الكثير من القبائل التي وصل الدعاة والمعلمون المسلمون إليها الدخول في الإسلام بعد أن تألفت قلوبها حول هذا الدين القيم الذي يسير الفطرة السليمة . وكان الإسلام يزحف بخيط حثيث إلى قلب إفريقيا ليجمع الكلمة ويوحد الصفوف وينهض بالشعوب والقبائل إلى مراقب الإنسانية السامية التي تهدف إلى تحقيقها نظم الإسلام ، لولا أن أتاها الاستعمار ، فعمل بكل وسائله على وقف هذا الزحف المقدس الذي آن لنا أن نعيده . . .

آن لنا أن نعيد هذا الزحف المقدس لنحفظ للشعوب الإفريقية فطرتها السليمة التي تتمثل في التوحيد وهو العنصر الأساسي للعقيدة الإسلامية والأصل الأول لها ، هذا الزحف الإسلامي الذي يأخذ بيد شعوب إفريقيا لتدعم حريتها السياسية التي حققها بفكر نقي وعقيدة سليمة .

محمد مهدي عباسي

« هو الجوك ، مثل قبائل الشلوك والأنشولي واقتوكو واللاجو ، وهو عندهم موجود عظيم لا يراه الناس وصفاته عندهم يمكن تلبسها بأغنية من أغاني الشلوك الشائعة تقول : أنا أصلي لجوك .

الجوك هو المعلى وهو الحافظ . آمنت بالجوك واستعنت بروح من عنده فأصبحت خيفة لأعدائي .

وأصبح أعدائي يخشون الاعتداء علي . حينما ينزى الشلوك الجوك يصلون كالبحر . ولا ينسى الشلوكوى الجوك إلا إذا غرق في الخمر .

وتقول أغنية أخرى عند الشلوك : أنا أصلي للجوك وحده . أصلي له ليسدد سهامى . أنا لا أرمى السهام وحدى .

ولكن الجوك يوجه سهامى للهدف المصيب . هذه أمثلة مررنا بها في أنحاء القارة الإفريقية تعطينا صورة واضحة على أن وحدانية حقيقية تسود في أديان شعوب هذه القارة متأصلة في فطرتهم ، ويتضح منها اتفاق كبير مع آيات القرآن الكريم في خلقه وفي قدرته ، وإن كانت العقائد الإفريقية مشوبة بمقدسات لا نسلها من الشرك والزلل والخطأ إلا أن ذلك يرجع إلى عاملين هامين :

الأول : المؤثرات التي انبثقت من صميم

من تاريخ الصحافة :

مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر

للدكتور جمال الدين الرمادى

السابقة ، وعن وسائل تقليل الطمى في الترع وتقريراً عن أحوال السكك الزراعية ، وتقريراً عن ضغط جسور النيل وما إلى ذلك كما ضمت المجلة بحثاً عن الثروة الحيوانية في البلاد ، وبحثاً قيمياً عن اللبن ، وعالجت بعض المسائل الطبية في وقت كانت فيه المقالات الطبية شيئاً مستحدثاً طريفاً . فكتبت عن الحى والرمد الحبيبي وتناولت بعض الثروات الاقتصادية بالبحث والدراسة مثل البترول الذى نشرت عنه بحثاً في العدد الأول من السنة الخامسة عام ١٨٩١ .

ونشرت بحثاً عن جمهورية شيل وحروبها الداخلية ونظام الحكم فيها ، وكان المقال بقلم الزعيم محمد فريد الذى كتب تحت اسمه « مساعد النيابة العمومية » ، وبحثاً عن تاريخ التعليم في مصر وبلاد بلجيكا وتعرضت المجلة لخزانات النيل ومواضع إقامتها .

والطريف أن مجلة الأزهر نشرت في عدد مارس عام ١٨٩٢ مقالا طويلا بعنوان « أفسحوا للشبان » لتشجيع الشباب على العمل وإفساح المجالات له ، كما نشرت بحثاً طريفاً

هذه مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر بيد أنها ليست هى المجلة التى تصدر عن الأزهر الشريف ، أما منشؤها فهو الدكتور حسن بك رفقي الطيب الشرعى لدى المحاكم الأهلية وإبراهيم بك مصطفى ناظر مدرسة دار العلوم وتاريخ إصدارها عام ١٨٨٧ ، وكانت مجلة علمية أدبية تضم كثيراً من المباحث والفصول في الأدب والسياسة ، والدين والاجتماع . والعلم والفن .

ويحلون لنا في هذا المقال أن نستعرض صفحات هذه المجلة القديمة حتى نستعرض الدور الذى قامت به في خدمة الصحافة والمعرفة . والشئ الواضح في موضوعات هذه المجلة أنها لم تكن قاصرة على لون واحد من ألوان الثقافة إنما كانت جامعة لأشتات من الفنون وضروب من المعرفة . فغنيت بنشر مباحث في الجغرافيا والهندسة ، والزراعة والعلوم مثل علوم الإيدروليكة أو علم التصرفات وهو العلم الذى يبحث في حركة المياه ، كما نشرت بحثاً في تاريخ للعرب وبحثاً عن ترمه الخطاطبة وحالة الرى فيها منذ الأزمان

برأسهم ألم ، كما يصيحون إذا كان بهم عطش أو جوع أو كانوا يريدون النوم أو كان بهم غضب أو كان جسمهم ساخناً أو بارداً .

وصدر العدد الأول في يناير عام ١٨٩٣ (السنة السادسة) بعبارة الشاعر جون ملتون المشهورة « أعطى الحرية في أن أعلم وأنكم ، وأتباح حسب ما منحه من الذمة وأعطيته من الحرية ، وإذا كانت كل رياح المذاهب تهب على وجه الأرض ، وكانت الحقيقة موجودة معها فمن العبث أن نمنع ظهورها ونحجزها خوفاً من انهزامها . فلنترك الحق يحارب الكذب فإنه لم ير أحد أن الحق انهزم إذا افتتح له المجال . إن أكبر شيء بعد الله هو الحق ، فإنه لا يحتاج في انتصاره إلى السياسة والحيل بل تلك الأمور هي طرق الدفاع التي يستعملها الكذاب لإخفاء الحق .

ولم تغفل مجلة الأزهر البحوث الإسلامية . ومن ألفت البحوث المنشورة فيها بحث في المكييل والأقيسة والأوزان في الإسلام ، ونقلت رأياً للقريري خواء : أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال : « إن النقود في الإسلام على ما كانت عليه ، وأبو بكر لم يتعرض لها وكذا عمر غير أنه في سنة ثمانى عشرة هجرية ، وضع الجريب والدرهم ، وضرب عمر الدرهم على نقش الدراهم السكروية وشكلها وأعيانها وجعل وزن كل عشرة دراهم وزن ٦ مثاقيل .

عن وسائل الاحتفاظ بعطرية مشروب القهوة بما يدخل في باب التدبير المنزلى ، كما بشرت بالعشور على نسيج جديد يقرب في الأهمية من الكتان والتيل ويغنى عن القطن في كثير من الأحوال ويستخرج من ساقه الذى يبلغ طوله مترين ألياف يحصل منها على ورق جيد ، ويمكن أن يعمل من الألياف المذكورة الرقيقة اللينة أنسجة حريرية لطيفة الملمس ، ونشرت رأى « كوفمان » في معالجة لدغ الأفاعى إذ ظهر له أن كلا من برمنجنات البوتاسيوم وحمض الكروميك بمقدار ١/٣ أعظم دواء مضاد لسم الأفاعى إلا أن حمض الكروميك أقل أهمية من برمنجنات البوتاسيوم لأنه يجمد السوائل بسرعة ولا يمنع خاصية انتشارها مثله .

كما نصحت مجلة الأزهر بتنظيف الزجاجات التي كانت محتوية على زيوت أو على أجسام دسمة ، بمحلول برمنجنات البوتاسيوم فيتكون فوق أكسيد المنجنيز الإيدراتى ثم يضاف حينئذ حمض الكلورايدريك المركز فيتولد من إضافته تصاعد غاز الكلور الذى يحل المواد العضوية فيسهل فصلها فغسلها بالماء . كما ذكرت المجلة أن الاطباء لا يصيحون من غير سبب ، إنما يصيحون إذا شكهم شائكة أو كانت معدتهم ممتلئة بغازات ، أو كان عندهم عسر هضم أو كانت أرجلهم باردة ، أو كان

تقضى بأن من كان بيننا وبينهم عهد وذمة ،
فلهم مالتنا وعليهم ما علينا ، وإنما قيد
في الحديث بالمسلمين لكونهم جيران المسلم
الآقربين وعشيرته الذين أمر بمخالطتهم
والارتباط بهم .

ولما اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم
باليد واللسان وأثرهما بالذكر لكونهما
أقوم آلات الجسم وأكثرها نفوذاً في
الأعمال . إذ لا يخفى أن اليد هي التي تستقل
بغالب أعمال البدن من تناول الأشياء
وتداولها ، وسائر أنواع الكسب والتصرف
ولذلك كثر في الكلام لإضافة الفعل إليها
مع كون الفاعل غيرها كقوله تعالى :
« مما علمت أيدينا » ، « وما أصابتكم من مصيبة
فما كسبت أيديكم » ونحو ذلك . ولمثل ذلك
أثر اللسان بالذكر أو كن ترجمان القلب
الذي هو محل الإدراك ، وخازن الإنسان
وأمينه الذي يحفظ عليه أسراره ويصون
ذخائره . فإن قام هذا الخازن بوضع الأشياء
في مواضعها وتصرف بالحكمة ؛ فبذل فيما
ينبغي وأمسك عما لا ينبغي كان كصانع
الدواء الذي اطمأن الناس إلى حق نظره
ومعرفته بمقادير الأدوية وكيفية تركيبها ،
وأنه لا يعطى الدواء إلا بعد تثبت ووزن
وتقدير . فمن أجل ذلك أقبل الناس عليه
فنفع وانتفع وعاد عمله بالصحة والنجاح

أما عثمان فلم يضرب دراهم في خلافته ، ولما اجتمع
الأمم لمعاوية وجمع لزياد السكوفة والبصرة
قال يا أمير المؤمنين : إن العبد الصالح صغر
الدرهم وكبر القفيز ، فضرب معاوية السود
الناقصة من ستة دنانق .

ونشرت مجلة الأزهر في أبريل عام ١٨٩١
مقالاً بعنوان « المسلم من سلم المسلمون من يده
ولسانه » فسرت به هذا الحديث النبوي
الشريف ، وقالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم
كان نبياً كسائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة
والسلام طيباً بالطب الروحاني الذي هو
منصب النبوة الشريف ، وليس على الطبيب
النظامي إلا أن يشخص الداء ويصف لصاحبه
من الأدوية ما يضاده ويحسمه ، كذلك كان
نبينا صلى الله عليه وسلم يتفرد في أحوال
الناس ويرى من أمراض قلوبهم وآفات
نفوسهم ما لا يرونهم من أنفسهم ، فيرشد
الإنسان إلى ما يراه أنجح في علاجه ، ويصف
له دواء دائه بحمل وجيزة من الرفق والتلطف
به حتى يكون لها في نفسه نفوذ تام ، فمرض
صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بمن كان
دأؤه الخمار أنه يؤذى الناس بلسانه ويده ،
كما عرض بمن كان يؤذى جاره في قوله ، فليس
بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه ، وليس التقييد
بالمسلمين في قوله : من سلم المسلمون لإخراج
غيرهم من هذا الحكم ، فإن الشريعة الإسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، وإنى طالما فكرت في الإنسان ومزاياه ، وما أودعه الباري من الحواس المرشدة والنفوس المفكرة والعقل المدبر ، والبيان المصور ، واللسان المعبر ، والقوى المنفذة ، والأعضاء العاملة التي بجميعها تصرف في أنواع العالم ، وبسط يده على كل الكائنات ، وكان له السلطان الأعظم على ما في الأرض مع ما به من الضعف وتزاحم العلل والأغراض وكثرة الحاجة وقصر الحركة وهو منصرف بجميعها عن وجهتها منحرف بها عما خلقت لأجله ، والباري لم يركب فيه تلك القوى وهذه الآلات إلا ليجعلها عوامل تحت سلطة التمييز والتدبير يصرفانها بميعار الحكمة في مجارى ثمرات ما أحاطه من الكائنات وجعله حوله من كنوز الخيرات .

فعل الإنسان أن يعمل طبق ما يحقق حكمة الباري فيه مع أنه لم يسكنه أن يأتي إلا بما في وسعه من العمل ، وسخر له ما تعجز عنه قدرته وتقصّر دونه همته ، ولم يبق له إلا ما هو بموازاة إمكانه كما أشير إلى ذلك في قوله تعالى : « فلينظر الإنسان إلى طعامه » ، أنا صينا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شققا . فأنبثنا فيها حبا وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا ، وقهر جميع الكائنات وجعلها مادة صنع حواسه

عليه وعلى غيره ، وإن هو تهاون بما تحت يده ولم يضبط أمر الأدوية التي يمطها بل باع منها جزافا فقد أهدى بنفسه وعيبت بحياته وحياة غيره ، كذلك حال اللسان ، وقد قيل الكلام كالدهاء إن قل نعم ، وإن أكثر صرح ، ورب متكلم فيما لا يعنى . قال له الكلام دعنى .

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شئ سواه يخزان

بهذا الأسلوب طفقت مجلة الأزهر تعالج أمور الدين وتفسر الحديث النبوى الشريف وتضرب النماذج والأمثلة من الحياة الواقعة دون قصور أو تقصير ، ولم تكن تغفل أثناء ذلك كل التراث العربى القديم . فاستعانت بيت من أبيات الشاعر الجاهلى امرئ القيس في تفسير هذا الحديث الكريم .

وخصصت مجلة الأزهر القديمة بعض صفحاتها لرجل التربية والتعليم الأول المغفور له على مبارك الذى كتب بعض المقالات التربوية القيمة وفيها مقاله المعنون « مفاتيح الكنوز » الذى نشرته المجلة فى يونيه عام ١٨٩١ الذى جاء فيه : والله سبحانه وتعالى لم يبع لنا من الأفعال إلا ما يهمننا فى صلاح ديننا أو دنيانا ، وما لا يهمننا فى شئ منهما إن كان فيه ضرر يلحق أحدهما فحرام ، وإلا فتركه والإغماض عنه أحق وأولى .

المرحوم على مبارك لينتحدث عن العدل العام وكيف أنه بالعدل قامت السماء والأرض ، فبالعدل تخصب الأرض ، وتثمر الأموال ، وتنظم الأحوال وتدر الأرزاق ، ويزول الشقاق ، وبه يستقيم الدين ، ويقوى حبله المتين . وذلك أن الشرع لا يحفظ إلا بالسلطان الذى يحرسه ويذب عن حرمة ، كما أن السلطان لا بقاء له إلا بالدين القويم حيث هو طريق العدل المستقيم .

قالدين بالمسلك يقوى
والمسلك بآدين يبقى
فاذا قاد الأمة راعيا بأزمته ، ونهج على شرعته ، انصلت الأسباب ، وتفتحت الأبواب ، وصهل كل صير فى الزمن اليسير ، واجت الامور ، وذهبت الشرور ، ووافى السرور ، والتأمت القلوب ، وانجلت الخطوب ، وغرست فى الأفتدة محبته ، وحمدت على مر الأيام سيرته .

هذا طرف من سيرة مجلة الأزهر القديمة التى صدرت فى القرن الماضى ، ولم تلبث أن أصدرت مشيخة الأزهر الشريف فى المحرم عام ١٣٤٩ مجلة تعبر عن نشاطها الدينى والثقافى بعنوان نور الإسلام .

وفى فاتحة السنة السادسة لها ، المحرم من سنة ١٣٥٤ ، تغير اسمها الى « مجلة الأزهر » ، التى تصدر الآن فى مطلع كل شهر عربى وسنتها ، عشرة شهور ؟

دكتور محمد المبرق الرمادى

التي هى سبل عمله ومجارى تفكيره فى هذا العالم ، والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لانهلون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ، فالشمس والنجوم والهواء والماء والحيوان والنبات والتراب وسائر الموجودات على اختلاف أنواعها وتباين خصائصها مخلوقة ومذلة لفائدة الإنسان ومصلحته ، وقد امتن عليه الخالق بذلك فى مواضع شتى من كلامه المقدس فقال : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » ، وقال : « وسخر لكم الفلك » ، وقال : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الإنسان لظلوم كفار » .

وهكذا مضى المرحوم على مبارك يعالج موضوع العقل البشرى ، ويرسم سبل الصراط المستقيم كما وضحها الله تعالى فى كتابه العزيز ، ولا سبيل إلى الإتيان بالأعمال الحسنة إلا حيث يتشرف العقل بأنواع المعارف الحقة ويهذب بالتربية والآداب . فإذا تم هذا للرم أنى بأعمال تامة الحسن رائقة الصنع ، رائعة الإبداع .

ما وهب الله لأمرى هبة
أحسن من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقداه

ففقده للحياة أليق به
وفى العدد الصادر فى يوليو عام ١٨٩١ ط

رأي الأزهري

في الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو

للأستاذ أحمد محمد غنيم

وقد حرصت كل الحرص أن أقف موقفاً وسطاً ، لامتجيزاً للقديم ، ولا معادياً للجديد ، ولكن مؤيداً للحق حيث كان ، والحق أحق أن يتبع .

وكان بودي أن تكون ثورة الثائرين على النحو القديم ثورة غير جاعحة تسير مع العقل والحكمة ، وتبقى على كل ما هو صالح من تراث السابقين . مما أنتجته عقولهم ، وأثمرته قرائحهم ، وانتفع به من بعدهم أجيال وأجيال ولا أظن أحداً من الحاضرين ينكر على القدامى أنهم وجهوا نشاطهم الذهني وهقولهم الجبارة إلى علم النحو ، فقعدوا قواعده ، وفرعوا فروعاً ، وثار فيه بينهم الجدل والحوار حتى ليصح القول أنهم فلسفوا هذه المادة ، وتركوا منها تراثاً ذهنياً ثقافياً جديراً بالإعجاب والخلود .

ولا يمنعنا هذا أن نشكر من تعاليمهم ما تحتم الضرورة إنكاره . من خطأ قد يقع نتيجة لؤلة قلم . أو نبوة فهم ، ومن صواب قد يتعسر على الناشئين فهمه . ولا يسهل عليهم

يسرنى وأنا أحد الذين ربوا في مدرسة النحو القديمة ، واطلعوا على تعاليم المدرسة الحديثة ، وعاشوا مع نخبة المدرستين طويلاً . وعرفوا الكثير من مذاهبهم ، أن أكون يمثل الأزهري في هذه الحلقة (١) . للمشاركة في بحث الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو . وكل أمل أن نوفق إلى اتخاذ قرار صديد يسير تطور الزمن ، ويلتئم روح العصر ، ويحجب إلى التلاميذ دراسة النحو ، بل يبك فهم الحرص على التوسع فيه .

إن تفسير النحو على المتعلمين أمر محبوب ، وغاية شريفة . وأمنية يحرص عليها المصلحون ولكن ينبغي ألا يكون ثمن ذلك التيسير بقر النحو ، وإهمال بعض مسأله . ينبغي ألا يكون ثمن ذلك التيسير جهل التلميذ بالنحو وحرمانه من الارتفاع بكتب السابقين . وما فيها من كنوز ثمينة ، وثمار طيبة .

[١] أقيمت في كلية دار العلوم حلقة استغرقت أسبوعاً من ٩ - ١٤ فبراير ١٩٦١ لدراسة تفسير النحو اشترك فيها عن الأزهري الأستاذ أحمد محمد غنيم وألقى هذه المحاضرة .

البحث ، والإلمام بكل ما قيل في النحو من دقائق وقضايا ، ولا يفوتني أن أعلن في غير تردد أننا معشر القوام على اللغة العربية قد أسرفنا في تدليل الناشئ ، وأشفقنا عليه في غير مشفق ، حتى وجدنا في كلة فاعل وكلة مبتدأ وكلة خبر ما يجرح سمعه ، في حين أن غيرنا من القوام على المواد الأخرى لم يشفقوا هذا الإشفاق على الناشئ ، ويسردون عليه من قوانين الطبيعة ومبادئ الفلسفة والنظريات الهندسية والقواعد الجبرية ما يصدع الرءوس ، ويشتت الأذهان ، فهل يصح أن نبلغ الاستهانة باللغة العربية إلى هذا الحد ، وهي لغة آبائنا ، ولغة ديننا .

المحاولة الثانية :

اصطلاح المسند والمُسند إليه . يرى الاتجاه الجديد تسمية ركني الجملة بالمُسند والمُسند إليه والعدول عن التسمية بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر . وإن مما لا يناعز فيه أحد أن التليذ في مراحل التعلم الأولى إذا أُلقي على سمعه نحو أكل محمد ، فإن أسهل عليه وأقرب إلى إدراكه وأكثر مناسبة لما هو مأوف له ويتردد على سمعه أن يستنبط بنفسه ، مع قليل من توجيه مدرسه وإرشاده . أن أكل لفظ يدل على الفعل الماضي وأن د محمد ، لفظ يدل على

تناوله . وهو يعد مما لا تدهو إليه حاجة ماسة ولا ضرورة ملحة . وإن مما نحمد أن أول توصية أوصى بها أعضاء هذه الندوة قالوا فيها :

« يعلن أعضاء الندوة اتفاقهم على ضرورة تيسير النحو العربي للطلاب على ألا يمس هذا التيسير أصلاً من أصول اللغة العربية . وألا يقطع صلة الطالب العربي بترائه القديم . وهذا مبدأ سام نبيل جدير ألا نحيد عنه في كل خطوة نخطوها في سبيل التيسير .

وقد رأيت أن أناقش أمام حضراتكم في هدوء بعض المحاولات التي يراد بها تيسير النحو :

المحاولة الأولى :

بتر النحو وإهمال بعض مسأله .

يرى أنصار التيسير الاقتصاد على التواحي الضرورية من الأبواب المقررة في النحو وهكذا يرون إغفال الأبواب التي لا ندعو حاجة الطلاب إلى تعلمها أو لا تتفق مع مداركهم . وإني أعلن من فوق هذا المنبر تأييدي لهذا الاقتراح على طول الخط لكن فيما يتعلق بدراسة النحو للناشئين وغير المتخصصين ، أما المتخصصون وطلاب المعاهد التي تخرج مدرسي اللغة العربية فهم بطبيعة الحال لا يسرى عليهم هذا التيسير فإن المدرس هل الكاتب والشاعر والصحفي والخطيب . كل منهم قد يضطره موقفه إلى التعمق في

والمصطلحات ، يحدث لجوة واسعة بيننا وبين تلك الكتب ، ويؤدي إلى حرمان الأجيال المقبلة ، من الانتفاع بما فيها . من أفكار سامية ، ومعارف رائعة . وذلك خروج على ما أوصى به أعضاء الندوة من ضرورة التيسير على ألا يقطع صلة الطالب العربي بترائه القديم ، وأعتقد لو أن القدامى جمعوا الفاعل ونائب للفاعل والمبتدأ في باب واحد تحت اسم المسند إليه ، لكان من مقتضيات التيسير أن ندعو إلى التقسيم والتفصيل ، لزيادة البيان والإيضاح ، وليدرك التليذ الفرق بين ضرب زيد وضرب زيد وزيد ضرب ، فإن زيدا في الأسلوب الأول مضروب ، وفي الثاني ضارب دون تقرير وتوكيد ، وفي الثالث ضارب مع زيادة التقرير والتوكيد ، وأما اختيار علماء البيان اسم المسند والمسند إليه فذلك ؛ لأن الأسرار البلاغية لا تختلف بالنسبة لكل منهما مهما كان نوعه ، وكذلك القول في متعلقات الفعل وهي التكميلات فلم تكن هناك حاجة إلى تمييز كل باسمه الخاص ، وإفراده بباب خاص . أما النجاة فقد وجدوا أن لكل من أنواع المسند والمسند إليه والتكميلات تقسيما خاصا وأحكاما خاصة . فلم يكن من المستحسن عندهم جمعها تحت اسم واحد كما صنع علماء البيان على أن الطالب لا ينتقل إلى دراسة علوم البيان ، إلا بعد أن يكون قد قال قسطا

فاعل هذا الفعل ، فإذا ما جاءت الدراسة تؤيد هذا الذي أمكنه استنباطه بنفسه وهو في دائرة مألوفة من الكلام ، رسخ في ذهنه ، وأمكنه القياس عليه . وتلك هي الطريقة التي يفضلها علماء التربية ، إلى أجاهر بصوق عاليا ، أنه إذا أريد من التليذ الناشئ أن يعرف أن أكل مسند ، وأن محمد ، مسند إليه فإن دون ذلك خرط القتاد ، مهما بذل المدرس من مساعدة وتوجيه . فإنها كلمات غامضة نائية . غريبة على سمعه ، لم تطرق أذنه إلا في قاعة الدرس ولا سبيل إلى وصوله لمعرفة ، إلا أن يلقها المدرس عليه إلقاء ويلقها له تلقينا .

وهذه طريقة معيبة لا تناسب الناشئين مطلقا ، ولا تؤدي إلى التيسير الذي ندعو إليه ، والمدرسون أنفسهم يعترفون بذلك ولا أكون مغاليا إذا قلت : إنها تنفير وتيسير لا تسهيل فيها ولا تيسير ، وهكذا الحال في نحو : محمد قائم .

وفضلا عن ذلك ، فإن الكتب القيمة التي تركها لنا السلف ، من المفسرين وشرح الحديث وشرح دواوين الشعر العربي . إنما يسير مؤلفوها في أساليبهم ، على الطريقة الأولى ، والمصطلحات المتوارثة ، ولا شك أن استمرار الدراسة على ما يراه أنصار التيسير من تغيير في الأسماء

يقال في إعرابه في الاصطلاح القديم ،
الطائر مبتدأ ، ومقصود خبر ، وجناحه
نائب فاعل والضمير مضاف إليه ، تلك كلمات
لا تتجاوز العشر ، سهلة على اللسان ، ولا تمجها
الآذان ويقال في إعرابه في الاصطلاح
الحديث ، الطائر مسند إليه أول ، ومقصود
مسند ، وجناحه مسند إليه ثان ، والمسند
والمسند إليه الثاني مسند إلى المسند إليه
الأول ، تلك كلمات تقارب العشرين
وفيها من تكرار كلمة مسند سبع
مرات ، ما يصك الآذان ، ويثقل على
اللسان ، حكموا أنفسهم وانظروا ، ماذا
يكون وقعها على سمع التلميذ المسكين ؟ وكيف
يتعثر بها لسانه ثم فاضلوا بين الاصطلاحين ،
وبحق يقول زميلي . لو أن علماء البلاغة ،
وصل إلى سمعهم مثل هذا الإعراب ،
لاستغنوا بالتبثيل به للتكرار المعيب ، وتنافر
الكلمات ، عن التبثيل بقول أبي الطيب :
فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا

قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقول الآخر :

وقبر حرب بمكان قفر

وليس قرب قبر حرب قبر

المحاولة الثانية : للتيسير في الضمائر .

يرى الاتجاه الجديد إلغاء الضمائر المستترة ،

كبيراً من دراسة القواعد ، وعرف الفعل
والفاعل ، والمبتدأ والخبر ، والمفعول وغيره
من الفضلات ، فمن السهل عليه بعد ذلك
أن يقبل ما جمع منها تحت اسم واحد ،
دون جهد أو عناء .

وأما ما يقوله بعض أنصار التيسير ،
من اتحاد أحكام للفاعل والمبتدأ ، فلا نسليه
له ، وهو نفسه لا يعترض بهذا الاتحاد ،
فهو بينما يقول : إن الحكم في الحالين واحد ،
نراه يقول : إذا تقدم المسند إليه كان من
أحكامه كيت وكيت . وإذا تأخر تغيرت
تلك الأحكام ، تبعاً لتقدم المسند إليه
وتأخره ، وذلك الذي يعترف به ، هو بعينه
مادعا النحاة إلى إفراد المسند إليه المتقدم
بإبـاب باسم المبتدأ ، والمسند إليه المتأخر
بإبـاب باسم الفاعل . وقبل أن أترك هذا
الموضوع ، أستحسن أن أذكر أمام حضراتكم
مثالاً لفت نظري إليه مقال نشر بمجلة
الأزهر^(١) لبعض زملائي بالسلكية ، لتوازنوا
بين إعرابه في الاصطلاح القديم وإعرابه
في الاصطلاح الحديث ، وتبينوا مقدار
ما بين الإعرابين من تفاوت ذلكم المثال هو
قول القائل « الطائر مقصود جناحه » .

(١) النحو بين التجديد والتقليد - ٣ - الأستاذ

عبد الحافظ عظيمه جزء شعبان ١٣٨٠ .

نحو قمت وأقوم كلاما مؤلفا من ركنين أحدهما ملفوظ وهو الفعل ، والثاني لا هو ملفوظ ولا هو مقدر . وهو المتكلم نفسه ، المدلول عليه مالتاء في قمت وبالحمزة في أقوم . ويكون الكلام حينئذ مؤلفا من لفظ وذات ، ولست أدري كيف تقبل هذا ؟ . وكلنا يعلم أن موضوع النحو . إنما هو الكلام العربي وليس من شأنه البحث في الذرات . الحق أن هذا من أعجب ما تمنحض عنه الفكر الحديث في القرن العشرين . ولقد حاولت إقناع نفسي بقبوله بوجه من الوجوه ، فلم أجد لذلك سبيلا . ولا أظن معلما ولا متعلما يستطيع أن يسيغه .

الثالث : أنه يترتب على هذا الاتجاه ، ألا تقع تلك الضائرتين نوعيا متبوعة . ضرورة أن البارز منها حروف ، وأن المستتر ملغى ، وذلك ما لا يمكن قبوله . والشواهد على وقوع كل من النوعين متبوعا أكثر من أن يحيط بها الحصر ، ومن ذلك العطف على الضمير البارز في قوله تعالى : « يدخلونها ومن صلح من آبائهم » ، وقوله : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وجاء الإبدال منه في قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

ولما لرجو فوق ذلك مظهرا

ولا يمنع مانع من وقوعه توكيدا في نحو قول القائل : أنصتوا كلكم .

واعتبار ضائرتي الرفع المتصلة البارزة حروفاً يشار بها إلى نوع المسند إليه أو عدده . وفيما عدا ذلك من الضائرتين ، فالقول كما قال النحاة ويؤدي هذا الاتجاه إلى أمور .

الأول : أن ضمير الرفع البارز المتصل بحرف ، بخلاف ضميري النسب والجر . ففي نحو قوله تعالى : « ربنا إنا آمننا » يكون الضمير الأول والثاني من قبيل الأسماء ، والثالث من قبيل الحروف . وأى بلبلة يقع فيها التليذ من وراء تلك التفرقة التي لا يدرك لها سببا ، فاللغظ في المواضع الثلاثة واحد . ويؤدي فيها معنى واحدا ، وهل هذا إلا تحكم وترجيح لأحد المتساويين على الآخر بدون مرجح .

الثاني : أن هذا الاتجاه يؤدي إلى أن يكون كل من قمت وأقوم مجرد فعل وليس فيه ضمير ، فالأول صيغة لماضي المتكلم . والثاني صيغة مضارع للمتكلم . واعتقادي أنه لا ينازع أحد في أن كلا من الصيغتين كلام تام ، والكلام عمل اللسان . وهو ما تألف من ركنين ، مسند ومسند إليه . وكل منهما ملفوظ أو مقدر ، فإذا لم يكن في اللفظ إلا الفعل ، وليس هناك ضمير في اللفظ ولا في النية كما يقولون ، فأين المسند إليه ؟ يقولون إن المسند إليه مفهوم ، وهو المتكلم نفسه في الصيغتين . وعليه : فيكون

فلساذا لم يبين لنا الأستاذ وظيفة الواو ووظيفة الاسم بعدها في كلامهما ، وإذا كان الأستاذ يريد أن يعلم تلاميذه ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم ، فهل يعلمهم أيضا ألا يستعملوا مثل قوله تعالى : وما أشركنا ولا آباءنا ، وألا يستعملوا مثل قول النابغة : بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ، ومن عجيب أمر الأستاذ أن الأسلوب الذي ينهى تلاميذه عن استعماله تدعو إليه ضرورة الكلام ويقع فيه كثيراً . والدليل على ذلك بسيط جداً وواضح جداً . ويتجلى ذلك في أن الأستاذ نفسه لم يستطع أن يتخلص منه ، وهو ينهى تلاميذه عنه . إذ يقول عن النحاة في مقاله السابق قريبا ما نصه : « ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج ، ولا شك أن كلهم توكيد للضمير الذي يزعمونه حرفا . اللهم إلا أن يقول : إنه توكيد لأشخاص الغائبين ، وقد رددنا ذلك قريبا . »

الرابع أن هذا الانحياز يضطر الدعاة إليه أن يقولوا في نحو شاهدت الخطيب يخطب ، ومررت برجل يكتب ، الفعل في الأول حال ولا ضمير فيه وهو باق على رفعه ، وفي الثاني نعت . وهو أيضا باق على رفعه ولا ضمير فيه . ومعنى هذا أن الحال قد يحى . منصوبا وقد يحى . مرفوعا ، وقد يحى . مجزوما كما في قول التماثل : غادرت معارضى لم ينبس بينت شفة . وأن النعت يخالف منعوته في الإعراب . فقد يكون المنعوت مجرورا ونعته مرفوع أو

وجاء توكيد الضمير المستتر في قول كثير : فإن يك جثماني بأرض سواكم فإن فؤادي عندك الدهر أجمع وجاء العطف عليه في قول جرير : ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له ليسنالا وقول عمر بن أبي ربيعة : قلت إذ أقبلت وزهر تهادي

كنعاج الفلا تعسفن رملا

وقول بعض العرب فيما حكاه عنهم سيدي : « مررت برجل سواء والعدم ، برفع العدم وإذا ما سلكنا مسلكهم في أن المسند إليه في تلك الأساليب إنما هو الأشخاص لا الألفاظ ، فلا يسعنا إلا أن ننهي أولئك الأشخاص ، بأن النحو الجديد ، قد عرف مكانهم ، ورفع توابعهم إكراما لهم . »

ومما يدعو إلى العجب ، أن بعض المؤيدين لهذا الاتجاه ، حينما ورد عليه قول جرير وقول عمر ، واستعصى عليه التخريج على المذهب الجديد . قال ما يأتي : « الواقع أن جريرا لم يعطف وأن عمر لم يعطف ، ولكن انجاة هم الذين قدروا معطوفا عليه . ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج . واختلفوا في مثل هذين الأسلوبين على آراء كثيرة ، نعتي منها تلاميذنا ولعلمهم ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم . »

وإذا كان جرير لم يعطف وعمر لم يعطف .

الجمهور ، وليرجع إذا شاء إلى شرح الأشموني
لقول ابن مالك .

وقد يقال سعدا وسعدوا

والفعل للظاهر بعد مسند

ولكن إنما يلجأ النحاة إلى هذا الرأي ،
إذا وردت هذه الأساليب على لسان قوم
مخصوصين من العرب هذه لغتهم ، وهي لغة
شاذة . فإذا نعت بها غيرهم ، فسيبويه وغيره
يجوزون أن يكون المتكلم محاكيا أصحاب تلك
اللغة ، فتكون هذه الملحقات حروفا ،
ويجوزون وجوها أخرى تكون فيها ضمائر ،
وإذا فلاسند للاتجاه الجديد من قول سيبويه .
وقال في الدليل الثاني : « يرى المازني أن
هذه الأحرف علامات وليست ضمائر » .

وقال في الدليل الثالث : « يرى الأخفش
أن الياء في تضربين ليست بضمير بل حرف
تأنيث كما قيل في هذى ، ونسب هذين النقلين
إلى الرضى ، والذي يرجع إلى شرح الرضى
يتبين أن الأستاذ لم يكن آمينا في النقل ، فقد
نقل بعض القول وحذف البعض الآخر ،
ليوم أن الاتجاه الجديد ، ليس وليد اليوم
ولكن قال به المازني والأخفش من قبل ،
وإلى حضراتكم نص عبارة الرضى قال :
« ومذهب المازني أن الحروف الأربعة في
المضارع والأمر ، أعني الألف في المثنيات ،
والواو في جمع المذكر ، والياء في المخاطبة ،
والنون في جمع النسوة ، علامات كألف

مجزوم . بل قد يجيء كل من النعت والحال
لاحظ له من الإعراب إذا كان الفعل ماضيا
نحو سمعت محاضراً بهر سامعيه ، وسمعت
المحاضر قد أخذ بالباب سامعيه أستم ترون
معنى أن هذا الاتجاه ، يعارض قولهم : إن الحال
من التكملات والحكم العام للتكملة هو النصب
إلا أن يكون هناك داع للجر . أستم ترون
أن هذا الاتجاه ، يعارض القانون العام الذي
يقضى بموافقة التابع لمبتوعه في الإعراب ؟ .
أستم ترون أن التليذ إذا تعلم النحو على هذا
النحو ، يصبح في حيرة مما يراه في القواعد ،
من اضطراب وعدم استقرار ؟ .

ولقد أحس بعض أنصار التيسير بضعف
هذا الاتجاه الجديد في الضمائر ، فشرع
ساعده وبذل في توجيهه جهودا يستحق عليها
الشكر ، وذكر لتأييده ثمانية أدلة ، ونحن
تناقشها دليلا دليلا .

قال في الدليل الأول ما خلاصته : أن سيبويه
يرى أن الألف في نحو قاما الزيدان حرف مؤذن
بأن الفعل لاثنين : والواو في قاموا الزيدون
حرف مؤذن بأن الفعل لجماعة . فإذا كان سيبويه
يعتبر هذه الحروف إشارات وعلامات للاسم
قبل النطق به وقبل أن تستوفي الجملة ركنها ،
فمن باب أولى تعتبر إشارات للاسم بعد النطق به .
وإني أطمئن الأستاذ إلى أن هذا الرأي
ليس رأى سيبويه وحده ، وإنما هو رأى

وذلك بخلاف الواو في يستعدون والآف في يستعدان فإنهما ضميران. ولذلك لا يتغيران ويثبتان رفعا ونصبا وجزما. نحولم يستعدوا ولم يستعدا ولن يستعدوا ولن يستعدا .

وقال في الدليل الخامس : ما خلاصته أن أن مذهب النحاة في إعراب يقر. ونحوه، يؤدي إلى الفصل بين الفعل وعلامة إعرابه، وعلامة الإعراب إنما تلحق آخر الكلمة العربية ، وقد أجاب النحاة عن ذلك ، بأن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة ، ولذلك سكن آخر الفعل في نحو كتبت ، فجاء أن يلي الفاعل ما هو علامة إعراب الفعل ، كما جاز أن يتصل بالفعل ما هو علامة على معنى في الفاعل ، وذلك تاء التانيث .

وقال في الدليل السادس : يقول العرب الرجال جاءوا ، والرجال جاءت ، ويعمل النحاة جواز الصيغتين بأن في جاءوا ملاحظة الجمع ، وفي جاءت ملاحظة الجماعة ، فلو سائرناهم في هذا التعليل لتبين لنا أن الواو التي ترمز وتشير إلى الجمع ، تناظر التاء التي تشير إلى الجماعة وهذه التاء علامة التانيث عند جميع النحاة ، أي علامة للنوع . فلم لا تكون نظيرتها الواو علامة للجمع أي العدد ؟ . ولإبطال هذا الدليل . أنقل إلى حضراتكم عبارة النحاة التي يستند إليها الأستاذ انتبينوا منها مبلغ فهمه لكلامهم ، أو مقدار ما يريد من مغالطة .

قال الأشموني : تقول قامت الرجال وقام

الصفات وواوها ، وهي كالم حروف والفاعل مستكن عنده . وكذلك قال الرضي : يرى الأخفش أن الياء في تضرين ليست بضمير ، بل حرف تانيث كما قيل في هذى ، والضمير لازم الاستتار .

ويتبين مما قاله الرضي ، أن الاتجاه الجديد لا يتبع قول المازني ، ولا قول الأخفش ؛ لأنهما يقولان باستتار الضمير ، والاتجاه الجديد ، لا يعترف بهذا الاستتار ، فهو إنما يأخذ من قول الأئمة طرفا ، ويترك طرفا ، ويذكرني هذا بدعوى ابن الرومي حل الجذر ، مستنداً إلى أقوال أئمة الفقه حيث يقول : أحل العراقي التنيذ وشربه وقال الحرامان المدامة والسكر

وقال الحجازي الشرابان واحد خلعت لنا بين اختلافهما الخمر سأخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقال في الدليل الرابع : تقول الجنود مستعدون ، والجنود يستعدون . فأى فرق بين الواوين ، وكذلك الآف في مستعدان ويستعدان ، ويقول النحاة في الجواب عن ذلك : إن الفرق بين واضح ، فالواو في «مستعدون» والآف في «مستعدان» ، حرفان جعلتا علامتي إعراب مع دلالة الأول على معنى الجمعية ، والثاني على معنى التثنية ، ولذلك يتغيران في حالتي النهب والجذر ، نقول رأيت جنوداً مستعدين ، ومررت بجنود مستعدين

الفعل للدلالة على النوع وهو المؤنث .
ولكننا نقول البنات يقرآن بدون علامة
التأنيث في أول الفعل ؛ وذلك لأن النون
علامة على العدد والنوع معا . ولو كانت
ضميراً حل محل الاسم الظاهر وكانت فاعلاً ،
لوجب تأنيث الفعل معها وقلنا البنات تقرأن .
ونقول في إبطال هذا الدليل : نقول للرجلين
قرأتما وأنتما تقرأن . وللتأنيث قرأتما
وأنتما تقرأن . والصيغة واحدة في خطاب
النوعين . ولم تلحق بالفعل علامة التأنيث
في خطاب التأنيثين . ويعمل النحاة ذلك
بأن التاء إنما يوثق بها عند الحاجة
إليها . وتمتنع عند وجود ما يغني عنها .
كما في قمت خطيباً بالفرقة ، وقلنا اثنتاهما ،
وكما في قول الأنثى : قمت ، والإناث قننا ؛ لأن
قريضة الخطاب والتكلم يعينان المراد ، وكما في
قمن ويقمن ؛ لأن النون متعينة للمؤنث فلا
التباس . وبهذا يقين أن امتناع التاء في نحو
البنات يقرآن ؛ لأن الضمير متعين للمؤنث ، فلا
يؤتى معه بالتاء لعدم الحاجة إليها ، ولو كان
امتناع التاء لأن النون علامة النوع والعدد
معاً لوجب التاء في نحو قولنا للتأنيثين قرأتما
لفقد ما يدل على النوع ، فإن قال قائل : إذا
كانت التاء إنما يوثق بها عند الحاجة إليها ،
فلم تلحق الفعل عند إسناده إلى الأسماء الظاهرة ،
والفاظها كافية في الالة على النوع ؟ فأجواب
أن كثيراً من الأسماء قد يشترك في التسمية
به المذكر والمؤنث نحو رجاء وضياء ووفاء

الرجال فأثبت التاء لتأوله بالجماعة ، وحذفها
لتأوله بالجمع ، وترون من هذا أن التعليل
المذكور . فيما إذا تقدم الفعل وتأخر الفاعل
حيث يتصل بالفعل علامة لنوع فقط .
وتمتنع في اللغة الفصحى علامة العدد وأن الذي
يُنَظَرُ التاء في قامت الرجال ، إنما هو تجريد
الفعل منها في قام الرجال ، وأما إذا تأخر
الفعل ، كما في الأمثلة التي مثل بها الأستاذ ،
فالواجب حينئذ أن يتصل بالفعل ما يدل
على النوع والعدد جميعاً . ففي قولنا الرجال
جاءت ، لوحظ أمران : الإفراد والتأنيث .
ودل على الإفراد بالضمير المستتر ، وعلى التأنيث
بالتاء وفي قولنا : الرجال جاءوا ، لوحظ معنى
الجمع . ومعنى التذكير . ودل على الجمع بالواو .
وعلى التذكير بترك التاء . وبهذا يتبين
أن الذي ينظر التاء إنما هو تركها وأن الذي
ينظر الواو إنما هو ضمير الإفراد المستتر ،
وإذا استبدلنا المضارع بالماضي يظهر ذلك
جلياً . نقول الرجال يقومون . والرجال تقوم .
فالنساء في تقوم تناظرها الياء في يقومون .
والواو في يقومون ، يناظرها الضمير المستتر
في تقوم . ويقين بعد هذا البيان أنه لم تبق
أية شبهة في أن الواو تناظر التاء . فلا تكون
مثلها حرفاً .

وقال في الدليل السابع ، نقول البنات
تقرأن . فالآلف في تقرأن تدل على العدد
وهو المثني . ولما كانت الآلف مشتركة
بين المذكر والمؤنث احتجنا إلى التاء في أول

تحقق المدرس من فهم التليذ للقواعد ، ورسوخها في ذهنه ، أن يكتفي منه في إعراب الجملة المذكورة بست كلمات أيضاً فيقول ، محمد مبتدا ولعب وفاعله المستتر خبر .

وأما الكلمة الثانية ، فهي قوله : والاتجاه الجديد يعني التليذ من القلق النفسى الذى يستحوذ عليه ويستبد به حينما نريده على أن يفهم أن هناك فرقا بين قتل اللص التاجر ، والاص قتل للتاجر ، ففي قتل اللص التاجر ، اللص فاعل ، فهو قاتل مجرم ، وإذا فاقبضوا عليه وخذوا على يديه وفي اللص قتل التاجر ، اللص فاعل ، وليس بفاعل ، وإذا فهو برىء مظلوم فإطلقوا سراحه ، وابحثوا عن القاتل الحقيقى ، تجدوه مختفيا ومختبأ ومستترا في زاوية من زوايا الفعل ، ، ألسنم تعجبون معى من هذا المنطق؟ من ذا الذى قال من النجاة ، إن قول القاتل اللص قتل التاجر لا يقتضى كون اللص قاتلا لأنه ليس بفاعل ؟ إن النجاة يقولون في هذا الأسلوب : إنه يثبت إدانة اللص بالقتل مرتين ، لما فيه من تكرار الإسناد فهو بمثابة قولنا : قتل اللص التاجر ، قتل اللص التاجر ، فهو تقرير للانهاى على وجه لا يدع مجالاً لاحتمال الشك ، فهو في الأسلوب الأول مستحق لقصاص واحد وفي الأسلوب الثانى مستحق لقصاصين ، إن صح هذا فى القانون .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد محمد غنيم

وهند وإحسان وسعاد ، فاحتيج إلى التاء فى الفعل عند الإسناد إلى تلك الأسماء الظاهرة المشتركة ؛ للدلالة على نوع الفاعل وتمييزه إذا كان مؤنثاً ، ثم اطرء فى غيرها .

وقال فى الدليل الثامن : ما خلاصته أن ما نسميه ضميراً فى نحو قرأت وأخوانه ، يشبه تماماً أحرف المضارعة من حيث الدلالة على المتكلم فى نحو قرأت وأقرأ ، وعلى المتكلمين فى نحو قرأنا ونقرأ ، وهكذا الباقى ولم يحول النجاة أحرف المضارعة ضمائر ، فكان من حق نظائرها فى الفعل الماضى ألا تكون ضمائر ، وبقليل من النظر والتأمل ، ندرك فرقا كبيراً بين التاء فى قرأت والهمزة فى أقرأ ، فالتاء كلمة زائدة على الفعل الماضى مدلولها المتكلم والفعل يتحقق بدونها ، وأما الهمزة فهي جزء من الفعل المضارع ومدلولها أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم ولا يتحقق المضارع بدونها ، وهكذا الباقى .

ولا يفوتنى أن أذكر على سبيل الفكاهة كلمتين للأستاذ :

قال فى الأولى : وإن الاتجاه الجديد فيه نوع من التيسير ، ويتجلى ذلك فى إعراب نحو محمد لعب ، فالانجاء القديم يستدعى من التليذ ثلاثاً وعشرين كلمة . والاتجاه الجديد لا يكلفه أكثر من ست كلمات .

ولا أظن أحداً ينكر الإطناب فى الشرح للإيضاح والتفهم ، على أنه من السهل إذا

زَكَرَى الْمُحَرَّم :

عاشوراء في تاريخ الإسلام

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ رَجَبِ الْبَيْهَقِيِّ

ولكنها طبعته بطابع حزين سيقترن به في تاريخ الإسلام مدى الحياة .

صحيح أن هذا اليوم كان معروفا في الجاهلية ، فقد روت الآثار أن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصومه ! فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه ، » وأن البخاري ومسلم رويا عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح ، نجي الله تعالى فيه بني إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه ، » وإذن فقد صام الرسول يوم عاشوراء ! ولكن كم صام الرسول من أيام غير رمضان ، ومرت جميعا في دورات الزمن درن أن تشير

ليوم عاشوراء في تاريخ الإسلام دوى رنان وصدى مجلجل ، فكم اهتزت له عروش ، وقامت به ثورات ، وما أعرف محنة من محن الأبطال تركت وراءها أثرها الفاجع عبر الاحقاب والقرون كمحنة الإمام الحسين . وقد يكون في كوارث التاريخ ما غلبها قوة وعاقبة كهجوم التتار في المشرق واعتداء الصليبيين ، وسقوط الاندلس وغيرها من الخطوب ، إلا أن أثر هذا اليوم الرهيب قد فاق في عمقه وروعته كل أثر سواه ، حتى لجأ الشاعر متعقل كافي العلاء المعري أن يجعل منه ظاهرة طبيعية تطالع الناس في الصباح والمساء ، إذ يقول مصورا هول المأساة :

وعلى الأفاق من دماء الشهداء

على ونجسه شاهدان

فهما في أواخر الليل فجرا

ن وفي أولياته شفقان

ولولم تكن هذه الكارثة الالهية من حظ هذا اليوم البائس لم غفلا مهلا بين الأيام

اليوم العاشر كان الهول الأكبر، والزلازل العاصف. ماذا عسى أن يفعلوا أمام هذا اليوم العصيب؟.

إن الحجاج طاغية العراق وسيف بني مروان يعمل حيلته، ويجهد قريحته، فيرى أن الاحتكام إلى السيف يمد النار بوقود لاينة قطع، وأرمن الأصوب أن تختزع الأحاديث الدينية في فضائل هذا اليوم، فيسكون مجال توسعة في النفقة، وسرور للجماعة، وانتعاش للتجارة، ويندفع الوصوليون إلى اختلاق الروايات المسندة في فضائل هذا اليوم ومزاياه، ثم تنجر الذبائح وتفرق لحومها على المنازل ليأكل الفقراء مما أباح الله لهم في هذا اليوم العجيب، ويحمد الناس أنفسهم أمام فريقين من الداعين : فريق يذكر بمصرع الحسين فيلتاح، وفريق يسرد أحاديث النفقة والتوسعة فيسر. . . ولم يقف التلفيق عند التوسعة والتبسط بل جاوزه إلى اختراع فضائل أخرى جمعت في هذا اليوم ! ! - ففي عاشوراء رفع الله لإدريس إلى السماء، ونجى نوحا من الطوفان، وأنقذ إبراهيم من النار، ونبت يونس من قلب الحوت إلى العراء ! ! - وكان هذا اليوم بالذات كان موعد النجاة لكل نبي أظهره الله، ولولا أن تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم معروف باليوم والشهر، لقال قائلهم في هذا اليوم هزم المشركون

ما أناره هذا اليوم منذ مصرع الإمام الشهيد .

قتل الحسين شهيد الظما والسيف والقيظ، وأحسن شيمته المخلصون أنهم خذلوه في أحلك ساعاته وأخرج موافقه، واندلع بركان الغيظ والأسف والندم يلهب الضمائر ويدفع بالآفواج الساخطة إلى الثأر والانتقام، وأصبح يوم المصرع مأتما معولا تلطم فيه الوجوه. وتنتك الغدائر المرسله وتشق الجيوب، وتقام المناحات، وتقدمت الحيوش الثائرة تحارب كتائب الدولة المسيطرة فيتسع ميدان النضال وتنتار الأشلاء والجماع في ساحات فياحة تجرى بها مسابيل الدماء، ونصل السيوف وتسهل الخيول . . . ونظر بنو أمية فوجدوا يوم عاشوراء في كل محرم يهيج ما كمن من الحزن ويشب ما خمد من الضرام، ورأوا كربلا. تصير مزارا مقدسا يهرع إليه الثائرون، ويتدافع من حوله الناقون، وقد أصبحت بركانا يقذف بالحجم وينذر بالثبور، وكل أرق مضاجعهم أن يروا هلال المحرم في أفق العام المجيد يلوح منذرا بالسخط والحساد والنواح ! وإنهم ليلتفتون فيجدون الأسواق في الكوفة والبصرة تقفر، والسواد فيما جاوز العراق يشيع ويغم، وقصائد التائبين والثناء ترن نائحة باكية، حتى إذا مضت الأيام التسعة وراح

والتبايعا محرقا لمضاجع كربلاء وملاحد الطف ،
ولجائع آل بيت الرسول !! مهما يكن من شئ*
لقد أصبحت الدولة العباسية تواجه في بغداد
والسكوفة والبصرة ما تحذره وتخشاه ! فكيف
تظن بخراسان وما وراء النهر وكل مكان قرب
أوبان ! .

وكان ما لا بد أن يكون ، فقد خضعت بغداد
لبني بويه وهم شيعيون علويون ، وأصبح
الخليفة العباسي لا يملك أمراً أو نهياً مع معز
الدولة بن بويه الديلي ، وكان من مبتدعائه
في مدينة السلام أن جعل يوم عاشوراء
من أحفل أيام الأسى والنواح ، فأصدر
منشوراً حاسماً يأمر الناس قاطبة بارتداء
ملابس الحزن ، وإغلاق الأسواق ، وإيصاد
الحوانيت وتحريم البيع والشراء ، وتعطيل
المطابخ والمطاعم ، على أن تكون المناحات
عامة شاملة فيخرج النساء مرسلات الشعور ،
ملطخات الوجوه ، مشققات الثياب ، صارخات
نادبات . ومن عهد معز الدولة ، وشيعة العراق
يحتفلون بيوم عاشوراء احتفالاً حزيناً ،
تعلو به المناح ويلبس فيه السواد ، وقد حاول
يس باشا الهاشمي أن يمنع هذا التقليد منذ
سنوات معدودة فتعرض إلى ثورة صاخبة
ضاعمت بإزاتها شتى الجهود ، وأذكر أن صديق
المرحوم الأستاذ محمد هاشم عطية قد حدثني
عن احتفال نائح شهده هناك إذ كان أستاذاً

في بدر ، واندحرت الأحزاب في معركة
الخنديق ، وفتحت مكة بعد طول امتناع !!
على أن مغالاة الشيعة في شعائر الحزن
ومراسيم النواح قد دفعت بعض المحايدين
إلى مهاجمتهم ، فخذلوا فضائل عاشوراء
المتخلقة . وصرنا نجد فريقاً من أهل السنة
يؤمن بها كحق مسلم لا يعترضه الظن بوجه !!
وهكذا حار هذا اليوم العجيب بين
المسرورين والحزونين !!

وحين سقطت الدولة الأموية كان مصرع
الحسين في رأي الباحثين أول عامل قوى
أدى إلى سقوطها ، إذ ظل لغما هائليهدد كيائها
بالانفجار ما بين حين وحين ، حتى إذا تخرجت
الأمور أدى رسالته المدمرة فتصدع البناء
الوطيد تصدعا طاح بالسلطان والمجد والجاه ،
وجاءت الدولة العباسية فرأت يوم عاشوراء
ينذر بها بالويل والدمار ، ورغم ما بذله الخلفاء
تحبياً إلى الشعراء والمفكرين فلم يستطيعوا
أن يسكتوا الألسنة القوية التي أخذت تذكر
بهذا اليوم الرهيب ، وسالت مرآثي الحميرى
والعبلى ودعبل وابن الرومي ناذبة نائحة ،
فتلهب الأحاسيس وتوجج الضرام . وقد صدقت
فيها العاطفة صدقا أورثها سهولة في اللفظ
وعمقا في التأثير ونفاذاً إلى القلوب ، وللنفوس
ولع هائم بشعر المعارضة والمناظرة ، فكيف
إذا ضم إلى ذلك بكاء مريراً على الحسين ،

قبل ميلاد الدولة الفاطمية يحرصون على إحيائه بالأسف والبكاء ، فكانت حلوائهم يذهبون في حمله إلى قبرى السيدتين نفيسة وكلثوم ، فيقرءون القرآن ، ويريقون الدموع ، ويصعدون الأنين ، ونفيسة هى بنت الحسن ابن زين العابدين ، وكلثوم هى بنت القاسم ابن محمد بن جعفر الصادق ! فالاجتماع لدى مشهديهما مما توحى به القرابة الدانية والوشيجة المعركة ، وقد يتهور بعض الصارخين فيندفع إلى قرب السقائين وأوانى البائعين بالتحطيم والتشيم ، إلا أن العقلاء من المارة يعيدون الأمن ويدفعون التطرف حتى ينصرم اليوم بذكره المؤسسية ، وأسفه اللهيـف .

ثم جاءت الدولة الفاطمية وهى من ناحية أولى تبذل اهتماما كبيرا بالمواهب والاحتفالات وتعددها مجالا فسيحا لمشغلة النفوس وانصراف الخواطر ، ومن ناحية ثانية تتخذ الإمام الحسين رمزا للبطولة الساحرة والفدائية الشهيدة — وهو فعلا كذلك — وتتخذ من مأساته الدامية أساما لتدعيم كيانه السياسي ووجودها الشرعى ، فلا غرو إذا اهتمت بيوم عاشوراء اهتماما بالغ الحد ففعلت ما يستطيع فعله فى إظهار لواجـع الأسف وشـماتـه الحزن ، إذ أمرت — فى حزم حاسم — بتعطيل الأسواق ، ولبس المعزق من الشياـب ، وأذنت للنساء فخرجن مولولات

للأدب بدار المعلمين العالية ببغداد ، ورأى من الملاطم والمناخ ما لم يكن يتصوره بل إنه اضطر إلى مشاركة النائحـين كيلا يرجف به أحد المجتمعين فيتمعرض إلى ما لا يحب ! !
وكم يقشعر جسمى حين أطالع تاريخ ابن الأثير فأجده يذكر فى حوادث سنة ٤٤٣ هـ أن بعض رجال العباسيين حاول أن يمنع احتفال الشيعة بعاشوراء فأحرق جميع الأسواق والدور بالكرخ وما حوله ، وبلغت ضحاياه سبعة عشر ألف إنسان ! ! يا لله ، يذهب هذا العدد الضخم فى غير مفخرة تعود على الإسلام ! ويقع بأس المسلمين بينهم فيشب المنهـورون حريـقا رهيبا يحصد آلاف الأرواح وتميج الحفاظ فى الصدور فيندفع الموتورون إلى الانتقام ! وكلا الفريقين ممن يتنازعون الرأى على شفا خطر مبيد ! ! ولو عقل رجال الدولة لتركوا الناس يفعلون ما يبتغون بعد أن يدعوا المخالفين إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلهم بالحق هى أحسن كما يأمر الإسلام !

هذه بعض الفظائع الدامية فى بغداد ، ولنا أن نأخذ منها بعض العبر الواعظة كيلا تتكرر للمأساة من جديد ! ! .

أما يوم عاشوراء فى مصر ، فقد قدر له أن يجد من الدفع والجذب ، والمد والجزر ، بعض ما وجدته فى بغداد ، فقد كان الشيعة بمصر

وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن الفاطميين كانوا يذبحون الإبل والبقر والغنم حول مشهد الحسين ! وهذا ما حرت في تعليقه ، لأن الذبائح توحى بالمسرة وأرتزاق الناس مع أن اليوم يوم حزين لا بأكل فيه الخليفة ورعاياه غير الشمير الجاف ! وإذا كانت هذه الذبائح صدقة للفقراء ، ونحية لروح الإمام في هذا اليوم فلم إذن تعلق المطابخ والمطاعم والأسواق ، ويحرم على الناس أن يأكلوا ما يشتهون ! أليس ذلك يتناقض مع نحر الذبائح ، وإراقة الدماء ! لا أعتقد أن هذه الرواية صحيحة ، وربما وقعت في غير عهد الفاطميين مما تلاه ، وغفل المؤرخ فسبق بها الزمان !

وكان من الطبيعي بعد سقوط الدولة الفاطمية رقيام الدولة الايوبية أن تزول مظاهر الأسف والوعة في مصر حين يفد هذا اليوم ، إلا أن الأيوبيين قد تورطوا في الأمر تورطاً جازاً القصد ، فلم يجعلوا يوم عاشوراء يوماً عادياً كسائر الأيام ، بل أحيوا أحاديث التوسعة والنفقة والافتنان في المطاعم والآكل مع الإغراق في الحلوى والقطائر ! وذلك تطرف لا يقل خطورة عن تطرف المحزونين البائسين ، ومر على مصر عامان متعاقبان كان أولهما مظهر الترح البالغ والآسى الحزين في عاشوراء ، وثانيهما

نادبات ، وقد صبغن الوجوه بالسواد ، وأعلن النواح في الشوارع والمنازل ، واندفع الشعراء يرسلون قصائد التنجيع والتوجع ، والقصاص يروون فصول المأساة ويصفون مشاهد المحنة ، ! ! وإذا كان لا بد من سماء كبير للطعام ينتهى به الاحتفال ويتصدره الخليفة كما يفعل في المواسم والأعياد ، فإن سماء عاشوراء يتسم بطابع خاص ويسمى سماء الحزن وعليه توضع أنواع كثيرة من الأملاح والجبن والمخللات والمحرقات ، ولا يكون الخبز إلا من شعير مضى عليه الزمن نخشن وصلب. ثم يجلس الخليفة الفاطمي حزينا مطرقا على كرسي من جريد نمتن دون وسادة أو حشية ومن حوله حاشيته ووزرائه في مثل حالته وعليهم ثياب قاتمة تظهر ما بالنفوس من ضيق وانتباض ، وحين أقيم المشهد الحسيني بالقاهرة بعد مجيئ الرأس الطاهر صار من الحتم الملزم أن تتحلق الجموع حول المسجد ودخله وأن يذهب إليه الخليفة أو وزيره في موكب حزين يلفه الأسى وتغشاها الكتابة ليستمع آيات القرآن ، وخطب التأبين ، ويتلقى العزاء ثم يعود إلى القصر وقد طويت زخارفه وطنافسه وبسطه ، وفرش بالحصير البالى المنتثر ، وساد الجمع سكوت لا يقطعه غير نشيج الباكين وتند الملتاعين :

من خطب متوارثة تمتلئ بالموضوعات والمختلقات، وإذا كان الريفيون يحبون الإمام الحسين حبا جازا، ولا يكادون يغادرون الريف إلى القاهرة إلا تبركا بزيارة قبره، فإنهم حين ينفقون عن سعة في هذا اليوم لا يصورون أدنى صلة تربط الإمام الشهيد بهذا الزمن المقدور، وقصارى ما يعلون أن أحاديث الرسول تحث على النفقة والتوسع فيجب أن تطاع.

أما سائر الأماكن الإسلامية المتشعبة في العراق وإيران والهند والافغان وجبل عامل في لبنان ومحلة الأمن في دمشق وبعض عشائر الحجاز حوالى المدينة وفي البحرين والكويت وتركستان وغيرها من مهاد التيشع فلا تزال تجل مساجدها وشوارعها بالسواد في هذا اليوم حدادا على السبط الشهيد. بل إن مؤرخى المسرحية في الشرق يرجعون بنواتها البدائية إلى ما كان يصنعه شيعة إيران في هذا اليوم من تمثيل لمأساة كربلاء إذ يبدون الرواية بخروج الحسين من المدينة ثم التحامه بجيوش الأمويين في كربلاء ويعرضون مشاهد للصيال والنضال والبطولة والاستشهاد، ثم يقوم شيخ يثير شجون الناس بذكر ما لاقاه الحسين في نعم حزين يهيج العواطف، ويستدر الدموع، ويمر بالناس ومعه قطعة من القطن يلتقط

بجلا للفرحة والأنس والاعباط، ولو نظر الأيوبيون لهذا اليوم نظرة مقتصدة لا تقوا إثارة الخواطر وانفعال النفوس!! وقد ألقت المكتبة المبسوطة في فضاء هذا اليوم، واندفع الناس إلى الإسراف في ملبذاتهم وما كلفهم إسرافا غير مقتصد، حتى أنشئ نوع خاص من الحلوى يعرف بعاشوراء وحرص الناس على صنعه في هذا اليوم، وما زالت مصر تحتفل بالنفقة والتوسعة في أعوامها المتتابعة أيوبية ومملوكية وعثمانية حتى زارها المستشرق أدورد لين سنة ١٨٢٥ ورأى من مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء وما قبله من الأيام التسعة ما سجله في كتابه المعروف بالمصريون المحدثون في القرن التاسع عشر، فتحدث بإسهاب عن مظاهر جديدة تعاقبت في هذا اليوم، إذ يخرج نساء كثيرات ينتمين إلى أسر محترمة إلى الشوارع المختلفة وكل سيدة تحمل طفلها على كتفها، وتستوقف من يمر من الرجال ثم تسأله بعض النقد لتبترى به حلوى للطفل فيعيش وبسلم من الأمراض! وهكذا أصبحت حلوى عاشوراء لكسيرا يمنح الحياة، ولن يرزق هذه الخاصة المدهشة إلا إذا جاء عن طريق الصدقة والإحسان!! وقد بقيت مظاهر التوسعة في هذا اليوم حتى الآن. وخطباء المساجد في الريف يثبتون دعائمها بما يلقونه

ارتقى إليه شيخ فارسي ، وانطلق يقول كلاما لا يفهمه ولكن صوته كان يتهدج ، وكانت الدموع تتساقط على خده ، وتبل لحيته السكثة ، وقيل لنا : إنه يرى الحسين ويندب مصرعه ، وكان الذين يفهمون كلامه من بني جنسه ، يكونون بل يعولون ، ومنهم من كانت تهيج حرقانه فيلطم أو يضرب صدره أو ظهره العاري بسلسلة غليظة من الحديد ، أو يضرب جبينه بيطن سيف مسلول ، ولكن أحدهم اضطرب وهو يفعل ذلك فأصاب حد السيف جبينه فانهجر الدم كأنه من نافورة ، وقد خفوا إليه وضمدوا جراحه وعصبوا له رأسه ، وهال أحدا منظر الدم ، وظن أن الرجل لا محالة هالك فأغشى عليه وسقط على الأرض كما تسقط الخشبة فأثنته وه شيئا في زجاجة ، أبعثه ورد إليه روحه .

هذا ما يرويه بعض المعاصرين في القاهرة ، ولك أن تقيس عليه ما يجري في بلاد الشيعة مما ثبت أن هذا اليوم ذو صدى مجالجل لا ينقطع على تتابع الأحقاب ، وإذا كنا قد نظرنا إليه من الناحية التاريخية وحدها فإن الناظرين إليه من الناحية الأدبية ليدهبون لكثرة ما ألهم من آثار وروائع ، وأوحى من تأليف وأسفار .

محمد رجب البيومي

فيها الدموع ثم يقطرها في زجاجة تحفظ للاستشفاء ويختتم التمثيل بحرق أعشاش في جوانب الساحة ترمز إلى كربلاء ، ويظهر قبر الإمام الشهيد مجللا بالسواد .

هذا في إيران ، أما القاهرة نفسها فغير بعيدة العهد بموكب الحسين في الحى الفارسي وقد وصفها الأستاذ الكبير ابراهيم عبد القادر المازني في مجلة الرسالة (١) . إذ قال متحدثا عن صديق له تحت عنوان (مصرع الحسين) :

« وقال لنا يوما خذوا وناولنا بطاقات فيها دعوة إلى ما كان يسمى « زفة الحسين » وما هي بزفة ، وإنما هي مأتم ، ولكنها هكذا تدعى على ألسنة العامة ، فذهبنا في الموعد المضروب إلى بيت رحيب ، في زقاق ضيق ، فوجدنا هناك كثيرين من رجال مصر المعروفين ، أجلسنا معهم ثم دعينا إلى مائدة مثقلة بالآكال (٢) . الشبهة ، وكان الأستاذ البرقوقي إلى جانبي فظنى على الماء وأسرى بذلك . فأومأت للخادم ، فناوله كوبا رفعه إلى فمه ، وما كاد يفعل حتى رده عنه : ذلك أنه كان سكرانا مذابا لا ماء ، فعجبنا واتقينا أن نشرب .

وانحدرنا إلى صحن الدار وكان فيها منبر

[١] الرسالة - العدد المئذ [١٤٣] .

[٢] هكذا قال المازني ولا أدري كيف تكون

الآكال الشبهة في مأتم نواح .

التكبير في أواخر السور

هل له أساس صحيح؟

للأستاذ محمد محمد الشرقاوي

أئمة القراءة : (لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التكبير قبل الهجرة بزمان . . . فاستعمل ذلك المكيون ، ونقل خلفهم عن سلفهم ، ولم يستعمله غيرهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك بعد ، فأخذوا بالآخر من فعله) .

وإذا ناقشنا المسألة من جذورها . وجدنا أن كلمة « الله أكبر » فقط قد روى فيها الحافظ أبو العلام بإسناده عن أحمد بن فرح عن البرقي : أن الأصل في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحي ، فقال المشركون : قلى محمدا ربه . . . فنزلت سورة « والضحي » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر » ، وأمر النبي أن يكبر إذا بلغ « والضحي » ، مع خاتمة كل سورة حتى يختم ، قال العلامة المحقق ابن الجزري : « في النشر على القراءات العشر ، وهذا قول الجمهور من أئمتنا كأبي الحسن بن غلبون ، وأبي عمرو الداني ، وأبي الحسن السخاوي وغيرهم من متقدم ومتأخر . . . قالوا فكبر النبي عليه

درج القراء لكتاب الله عز وجل على أن يذبلوا أواخر قصار السور ابتداء من سورة « والضحي » ، حتى نهاية سورة الناس - بالتكبير . . . فمنهم من يقتصر على عبارة « الله أكبر » ، ومنهم من يزيد قبلها عبارة « بعد » ، فيقول : « لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد . . . » وقد شاع ذلك وذاع ، ورددها الصغار حين يحفظون ، والكبار حين يرتلون . . . حتى إن بعض السامعين يحسبونها جزءاً من التذيل ، أو لازمة لا تنفك عن تلاوة أو ترتيل .

وقد صح هذا التكبير عند أهل مكة ، قرائتهم ، وعلماهم ، وأئمتهم ، ومن روى عنهم . . . حتى استفاض واشتهر ، وذاع وانتشر ، وبلغ حد التواتر ، وصار هذا العمل عند أهل الأمصار ، في سائر الأقطار عند ختمهم في المحافل ، واجتماعهم في المجالس وكثير منهم يؤديه في صلاة رمضان ، ولا يتركه على بحال .

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني من

« وما أقرأ ، ؟ ، فقال : أقرأ » والضحي ،
فلقنه السورة . . فأمر النبي أبيهما بلغ
« والضحي ، أن يكبر مع خاتمة كل سورة
حتى يختم . . قال ابن الجزري عقيب هذا
الحديث : — وهذا سياق غريب جداً . .
وهو مما انفرد به ابن أبي بزة أيضا ، وهو
معضل . . وهكذا نجد أن الحديث الثاني
في تقرير التكبير في خواتيم السور لم يكن
في الصحة أحسن حظا من سابقه . . الأمر
الذي يستدعي التثبت والحذر في معالجة هذه
المسألة الدقيقة التي تتصل اتصالا مباشرا
بالنص القرآني الذي يجب أن يجرد عن كل
ما ليس منه . . باستثناء ما أوصت به السنة
الصحيحة كترديد « آمين » في ختام الفاتحة ،
وكقول السامع والتالي : « بلى ، عقي . قوله
تعالى : « أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى » .

والمعجب أن بعض القراء كان يزيد
التكبير في أعقاب السور . . ثم يتعجب
من نفسه حين يعترف بأنها زيادة لا ينبغي
أن تكون ، ومن هؤلاء الإمام أبو عبد الله
الكارزني . . فإنه « كان إذا قرأ القرآن
في درسه على نفسه وبلغ إلى « والضحي ،
كبر لكل قارئ قرأ له . . وكان يسكني
ويقول : — ما أحسنها من سنة . . لولا
أنى لا أحب مخالفة سنة النقل — لكنت

الصلاة والسلام شكراً لله لما كذب المشركين
وقال بعضهم : قال الله أكبر تصديقا لما أنا
عليه وتكذيباً للكافرين ، وقيل فرحا
وسرورا . . أى بنزول الوحي .

على أننا لا نكاد نفرغ من قراءة هذا
الحديث في كتاب النشر حتى نجد الإمام
ابن كثير الحافظ المفسر رحمه الله ، وهو
من الأعلام ، في هذا المقام ، يحكم على هذا
الحديث بأنه لم يرتق إلى درجة الصحة ، كما لم
ينزل إلى رتبة الضعف ويقول مانصه : « لم يرو
ذلك الحديث بإسناد يحكم عليه بصحة ولا
ضعف ، يعنى كون هذا سبب التكبير ، وأما
انقطاع الوحي مدة وإبطاؤه فمشهور . .

ثم نجد أن ابن أبي بزة يروى بإسناده فيما
أخرجه أحمد بن فرح عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم أهدى إليه قطف عنب قبل أوانه
فهم أن يأكل منه ، فجاءه سائل فقال اعطوني
مما رزقكم الله ، فسلم إليه العنقود ، فلقيه
بعض أصحابه فاشتراه منه وأهداه للنبي صلى الله
عليه وسلم ، فعاد السائل فسأله فأعطاه إياه .
فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه
وأهداه للنبي . . فعاد السائل فأنهره النبي
وقال : « إنك ملح ، فانقطع الوحي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أربعين صباحا : فقال
المنافقون : قلى محمداً ربه ، جاء جبريل
عليه السلام فقال : اقرأ يا محمد ، قال :

النظر الصحيح في قبول هذه النسبة إلى الإمام الشافعي .

وكان بعض الناس حين يسمعون إمامهم يكبر في أعقاب السور القصيرة أثناء صلاته بهم في رمضان ينكرون ذلك على الإمام . وقد حدث ذلك لبعض الأئمة فلما اعترض عليه بعض المأمومين قال : بهذا أمرني ابن جريج . فلما ذهبوا إلى ابن جريج قال : نعم بهذا أمرته .

ومسكنا نجد الأمر ينتهي عند ابن جريج من غير أن يرتفع في نسبته إلى سنة صحيحة ، وهذا وحده لا يكفي في باب الاستدلال .

وإذا قلنا النظر في كتب الأئمة الأربعة لم نجد في كتب الحنفية على كثرتها وتنوعها إشارة من قريب أو بعيد إلى هذا التكبير ، وما قلناه عن الحنفية نقول مثله عن المالكية ، وأما الحنابلة فتعال الفقيه الكبير أبو عبد الله محمد بن مفلح في كتابه « الفروع » : « وهل يكبر لحتمه من « والضحي » ، أو ألم نشرح آخر كل سورة ؟ .. فيه روايتان ، ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير .

هذا .. ولو سلمنا أن عمل أهل مكة حين يكبرون في ختام السور مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا كان قبل الهجرة بأزمان طويلة ، وأنه كان بعد عودة الوحي إليه ، إثر فترته عنه ، وفيما جاور ذلك

أخذت على كل من قرأ على برواية بالتكبير ، لكن القراءة سنة تتبع ، ولا تبتدع ، والملاحظ أن جميع الروايات المرفوعة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في شأن التكبير مدارها كلها على البزى . . . ، والبزى من حيث هو قارىء يعتبر في فن القراءة إماما . لكن من حيث هو محدث ليس بهذه المشابة بعد أن تكلم فيه رجال الحديث : فضعه أبو حاتم ، والعقيلي .

وأما قبل — أحد مشاهير القراء — فقد اضطرب النقل عنه في التكبير : فالجمهور من المغاربة على عدم التكبير له كسائر القراء .. وهو الذي في التيسير وغيره ، وروى عنه العراقيون التكبير .

وأما غير أهل مكة فلم نجد في ذلك نصا عنهم . . . حتى إن أصحاب الشافعي رضي الله عنه لم يرو عنهم في هذا التكبير نص في كتبهم المبسوطة أو المطولة الموضوعة للفقهاء . اللهم إلا ما ذكره على سبيل الاستطراد الإمامان أبو الحسن السخاوي ، وأبو إسحاق الجعبري من الشافعية ، ولم يفردا له بابا ، وذلك على الرغم من نسبة هذا للتكبير إلى الإمام الشافعي — وإذا عرفنا أن أصحاب الشافعي يحرمون كل الحرص على إبراز ما نسب إلى إمامهم في إطار من التبويب والتفصيل — لأدركنا إلى أي مدى يتردد

إلى تنزيه كتابة المصحف من الزوائد . .
فمن الممكن أن يقال مثل ذلك بالنسبة إلى تلاوة
القرآن أيضا إذ أن الهدف من هذا التجريد
هو صيانة النص القرآني من التحريف وغيره
حتى تبقى قرآنية القرآن إلى الأبد قائمة
على التحدى والإعجاز .

وبعد: فقد تبين بما تقدم: أن هذه الصيغة
التي يرددها الصغار حين يحفظون، والكبار
حين يرتلون في ختام قصار السور وهي
« لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد »
من سورة « والضحى » إلى سورة الناس
لا تستند أساساً إلى حديث صحيح - على
الرغم من كثرة من ردها .

وأن الحنفية والمالكية لا يرون هذا
التكبير، وأن الحنابلة يستحبون تركه،
وأن الشافعي وإن نسب إليه التكبير فإن كتب
أصحابه قد خلت من النص عليه والتبويب له
إلا ما ذكر استطراداً عن السخاوي والجمعري،
وأن الإمام الكارزني قد اعترف بأن هذا
التكبير بدعة لاسنة، وتخرج من أخذ كل قارىء
برواية بالتكبير محافظة على سنة النقل . .
ومن حقاً إذن أن نقول: إن قراءة القرآن
الكریم بدون هذا التكبير أدخل في الحسن
والصواب منها به ؟ .

محمد محمد الشرفاوى

المدرس بمعهد الاسكندرية

من الأوقات - فإن سكوت الرسول صلى الله
عليه وسلم عن هذا التكبير، وتركه له فيما بعد .
يمكن أن يعتبر نسخاً لما تقدم إذ من المعروف
في أصول الفقه أنه إذا علم المتقدم والمتأخر
من عملين متخالفين، فإن المتأخر ينسخ
المتقدم .

وما روى عن البزى في هذا المقام قد أخذ
صفة التنوع، فقد روى عنه الجمهور والله أكبر،
من غير زيادة ولا نقص، وروى عنه بإضافة
التهليل قبل التكبير، ولفظه: لا إله إلا الله
والله أكبر، وزاد بعضهم عنه رواية التحميد
عقب التهليل والتكبير فقالوا: - لا إله إلا الله
والله أكبر والله الحمد . . وهذا الأخير
منسوب إلى علي رضي الله عنه . . لكن هذه
النسبة أيضاً مدارها على البزى . . مما يجعلنا
نقول: إن كل الآثار والأحاديث الواردة
في هذا الباب لم يروها أحد إلا البزى - ولو
كان البزى لم يتعرض للقول من رجال الحديث
لوسعنا أن نعمل بما روى وما نقل .

وثبت من الآثار الصحيحة ما يجعلنا نعيد
للنظر في هذا التكبير الذي ذاع وشاع . .
فقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله:
« جردوا القرآن، وفي رواية أخرى: جردوا
المصاحف، وإذا كان هذا الأمر متوجهاً

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

وردوا أن عمر أراد التفريق بين حذيفة وزوجته ، فقال له حذيفة : « أنزعم أنها حرام فأخلى سبيلها يا أمير المؤمنين ، ؟ » .
فقال عمر : « لا أزعم أنها حرام ، ولكنني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن » .

وهناك رواية غير مسلمة تقول : إن عمر فرق بين طلحة وحذيفة وامرأتيهما اللتين كانا كتابيتين ، وقد تعقب ابن جرير هذا القول بالنقد والتفنيد ، وقال عنه : « لا معنى له لخلافه ما الأمة بمنعمة على تحليله بكتاب الله تعالى ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم » .
ثم روى ابن جرير عن عمر ما هو أصح إسنادا ، وهو قول عمر « المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصراني المسلمة » .
ثم يقول : « وإنما كره عمر لطلحة وحذيفة رحمة الله عليهم - نكاح اليهودية والنصرانية حذرا من أن يقتدى بهما الناس في ذلك ، فيزهدوا في المسلمات ، أو لغير ذلك من المعاني ، فأمر بتخليتهما » (١) .

وآية المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات

عرفنا في بحث سابق أن المسلم لا يجوز له أن يتزوج بالمشركة ولا بالملاحدة التي لا تدين بدين (٢) ، فما حكم زواجه بالكتابية ، وهي التي لها دين سماوي له كتاب من الله ، وله نبي يبلغه ؟ جمهور العلماء والفتهاء على جواز تزوج المسلم من غير المسلمة إذا كانت كتابية . واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » (٣) .
وبالحديث : « نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا ، وإن جرير الطبري يعلق على هذا الحديث بقوله « فهذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به » (٤) .

وردوا أن طلحة بن عبيد الله وحذيفة ابن اليمان تزوج كل منهما امرأة كتابية

[١] انظر مجلة الأزهر، عدد شوال ١٣٨٠ هـ

ص ١١٣٦

[٢] سورة المائدة ، آية ٦ .

[٣] تفسير الطبري ، ج ٢ ص ٣٦٨ .

[٤] المرجع السابق

بقوله : عبد من عباد الله أن يشير إلى قول اليهود : عزيراً بن الله .

ويعلق النحاس على رأى ابن عمر بقوله : وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة .

وقد أشار « تفسير المنار » إلى ضعف حجة الذين قالوا بتحريم الكتابية على المسلم ، ثم قال : « ومنهم من التمس نقلاً عن بعض المتقدمين ليجعله حجة على القرآن ، فوجدوا في بعض الكتب أن ابن عمر منع الزوج بالكتابية متأولاً الآية البقرة (١) ، وأنه قال : لا أعلم شركاً أعظم من قولها إن ربها عيسى .

وهو معارض بما رواه عبد بن حميد عن ميمون بن مهران ، قال : سألت ابن عمر عن نساء أهل الكتاب فتلا على هذه الآية : والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم - ولا تنكحوا المشركات ، (٢) اه من الدر المنثور ، وظاهر معنى العبارة أن الله أحل المحصنات من أهل الكتاب وحرم المشركات من العرب . والقول الأول رواه عنه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم ، مع التصريح بأنه تأول آية البقرة ، فهو إذا صح اجتهاد منه ، ولم يقل أحد من الأصوليين إن اجتهاد الصحابي يعمل به في

وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، هي من أواخر آيات القرآن الكريم نزولاً ، وإذا كان الفقهاء قد استدلوها على جواز زواج المسلم بالكتابية ، فقد اختلفوا في تحديد المراد بكلمة « المحصنات » فيها ، ففريق قال : إنه يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية العفيفة مطلقاً : حرة كانت أو أمة حربية كانت أو ذمية ، وفريق قال إن الآية عامة في جميع الحرائر من الكتابيات ، فنكاح جميع الحرائر من اليهود والنصارى جائز ، حريات كن أو ذميات ، من أى أجناس اليهود والنصارى كن ، وفريق ثالث قال : إن المقصود من نساء أهل الكتاب الذين لهم من المسلمين ذمة وعهد ، فأما أهل الحرب فإن نساءهم حرام على المسلمين (١) .

جمهور الفقهاء يقرر إذن جواز تزوج المسلم من الكتابية ، ولكن عبد الله بن عمر كان يحرم نكاح الكتابيات ، بدعى أنهم مشركات ، وكان إذا سئل عن زواج المسلم بالنصرانية أو اليهودية يقول : « حرم الله المشركات على المؤمنين ، ولا أعرف شيئاً من الإشراف أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى ، أو ربها عبد من عباد الله » ويقصد

[١] هي قوله تعالى : « لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن »

[٢] جمع ابن عمر هنا بين جزأين من آيتين الاستشهاد بهما .

[١] تفسير ابن جرير الطبري ، ج ٦ ص ١٠٧ .

بعد هذا التحريف وهذا الإنكار ، وإيمانها بالله فقط لا يخرجها عن دائرة الشرك ، لقوله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

ويرون أن هناك آيات تفيد التحريض على الابتعاد عن غير المسلمين عموماً ، والزواج اقتراب شديد ، فيكون منها عنه ، فيكون محرماً ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » . وقوله : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » . وقوله : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ... إلخ .

ونحب أن نلاحظ أن الفقهاء الذين أجازوا زواج المسلم بالكتابية قالوا في الوقت نفسه : إنه مكروه كراهة تنزيهية ، فيقول الكمال بن الهمام : « يجوز للمسلم أن يتزوج بالكتابيات ، والأولى أن لا يفعل إلا للضرورة » . ويقول ابن حبيب : « نكاح اليهودية والنصرانية - وإن كان قد أحله الله - مستثقل مذموم » (١) .

لعلهم قد لاحظوا في تقرير هذه الكراهة وهذا الاستثقال أن الاختلاف في العقيدة بين الزوج المسلم والزوجة الكتابية - كالنصرانية مثلاً - يؤدي إلى زلزلة الحياة

مسألة فيها نص ، بل منعه الجمهور مطلقاً ، ومن قال به اشترط عدم النص ، وألا يكون له مخالف من الصحابة ، أى لثلاث يكون ترجيحاً بغير مرجح ، وهذا القول مع وجود النص مخالف لما كان عليه سائر الصحابة ، ومنهم والده : عمر أمير المؤمنين ، فقد روى عنه عبد الرزاق وابن جرير أنه قال : « المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصراني المسلمة » .

وتمسك بعضهم بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، وهو جهل عظيم ، فإن هذا نزل في الفساق المشركات اللواتي أسلم أزواجهن ، وبقين على شركهن ، (١) .

وكذلك جاء في بعض الروايات المنسوبة إلى ابن عباس في تفسير الآية : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمن » ، قوله : « إن الآية عامة في الوثنيات والمجوسيات والكتابيات ، وكل من على غير الإسلام حرام ، ولكن هذه الرواية لم تتأيد ، وفيها كلام .

وذهب بعض الشيعة إلى تحريم نكاح المرأة الكتابية (٢) .

والذين منعوا زواج المسلم من الكتابية يرون أن الكتابية قد غيرت وبدلت وحرفت ، وأنكرت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهي داخلة تحت عنوان « المشركات » ،

[١] تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٩٤ .

[٢] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٥ .

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ ص ٦٧ .

الدين في أشياء تتجمع فتسبب متاعب
وقلاقل ...

وبينما نسمع مثل هذه الملاحظات عن
يحرمون زواج المسلم بالكتابية . أو عن
يكرهونه وينفرون منه ، قد نجد على الطرف
الآخر من يلاحظ لونا من التقارب بين المسلم
والكتابية ، فيقول مع صاحب « تفسير
المنار » هذه العبارة :

« ولم يجمع الله بين المشركين والمؤمنين
في حكم كما جمع بين المؤمنين وأهل الكتاب
في مثل قوله في سورة البقرة : « إن الذين
آمَنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون » ، وقوله في سورة
آل عمران : « قل يا أهل الكتاب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله » ، الآية ، وقوله
في البقرة ومثله في آل عمران : « قولوا آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم
وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ،
وما أوتى موسى وعيسى ، ما أوتى النبيون
من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له
مسلمون » ، وقوله فيها : « قل أتتاجوننا
في الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم

الزوجية والنظام المعيشي والعائلي ، فالزوج
يردد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ،
ويؤمن بعقيدة التوحيد ، والزوجة تقول :
الآب والابن وروح القدس إله واحد ،
والزوج لا يستطيع أن يتقبل هذا القول
ولا يقتنع به ، والزوجة لا تريد أن تترك
عقيدتها إلى عقيدة زوجها ...

والزوج مسلم يرى من واجبه أن يصلي
لربه خمسة فروض في اليوم والليلة ، وهذه
الصلوات تتطلب منه أن يتوضأ ويتطهر
في جسمه وثوبه ومكانه ، والزوجة النصرانية
لها صلاة أخرى تغاير هذه الصلاة ، وقد
ينهض الزوج لصلاة الفجر ، وليس على
الزوجة النصرانية فرض في هذا الوقت ،
فكستثقل قيام زوجها ، وتعتبره مقلقا لراحتها .

والزوج يرى يوم عطلته هو الجمعة ، ويذهب
فيه إلى المسجد ، والزوجة ترى يوم عطلتها
الأحد ، وتريد أن تذهب فيه إلى الكنيسة ؛
والزوج المسلم يصوم رمضان المحدد للصوم
من الله ، والمرأة تصوم في غير هذا الشهر ،
والزوج يصوم عن المفطرات كلها من الفجر
إلى المغرب ، والزوجة لا تصوم عن
المفطرات كلها ، بل عن أنواع خاصة منها ..
والزوج إذا حج يحج إلى الكعبة في مكة ،
والزوجة إذا حجت تحج إلى بيت المقدس ...
وهكذا نرى أنهما على الرغم من اتفاقهما
في أصل الإيمان بالله ، قد اختلفا بحسب

ذلك الزواج ، كالمصلحة السياسية التي يقصد فيها إلى التراطيف وتأليف القلوب بين عشيرة الزوج المسلم وعشيرة الزوجة الكتابية .

ومن الواضح أن زواج المسلم بالكتابية مظهر من مظاهر التعاون الإنساني والتفاهم البشري . وأن الزواج يكون هنا سفيراً للإسلام ، لأن الزواج مأمور بالمحافظة على أخلاق الإسلام العالية ، وبحسن المعاملة لزوجته ، فقد تطلع على حسن أخلاقه وجمال التعامل في دينه ، فيجذبها ذلك إلى الإسلام بلا قسر ولا رهبة ، وقد توجد مصلحة سياسية في هذا الزواج ، كما إذا تزوج الحاكم من كتابية لإرضاء قومها وإشعارهم بأنهم ليسوا غرباء ، وقد يحب المسلم فتاة كتابية حباً جارفاً لا حيلة له فيه ، فهو لا يستريح إلا بزواجها ، وربما لا يجد المسلم لظرف خاص به من لا تصلح له زوجة إلا كتابية ؛ إلى غير ذلك من الدواعي التي تجعل زواج المسلم بالكتابية أمراً مستساغاً لا غضاضة فيه .

وقد وضعت الشريعة طائفة من الحواظ والضمانات التي تتخذ عند زواج المسلم بالكتابية ، حتى لا يساء استغلاله ، وحتى لا يقع في الزوجية غبن أو حيف ، ولعلنا نستعرض هذه الضمانات في حديث آخر .

أعمالكم ونحن له مخلصون ، ، وقوله : ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون .

وأمثال هذه الآيات كثير جداً ، وهي تصرح بأن إله المسلمين وأهل الكتاب واحد وربهم واحد ، والذي أنزل عليهم شيء واحد ، أي في جوهره ، والمراد منه وهو الإيمان بالله وتوحيده والبعث والعمل الصالح ، ولكنها في أواخرها تبين محل الدعوة والفرق ، وهو أننا مسلمون مخلصون ، وأنه طراً عليهم الانحراف فاتخذوا من أنفسهم أرباباً يحلون ويحرمون ، ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله ، وأنهم غير مخلصين ولا مسلمين في أعمالهم (١) .

والقول الوسط الأمثل هنا هو أن يقال إن الأصل أو الشأن عند المسلم هو أن يتزوج مسلمة مثله ، وأن الشريعة أباحت له الزواج من الكتابية ، وإن نظر الفقهاء إلى هذا الزواج بعين السكراهية والاستثقال ، فينبغي ألا يقع هذا الزواج إلا عندما يدعوا إليه داع أو تتطلبه حاجة ، ولذلك روى أن عمر كان ينهى عن الزواج من أهل الكتاب إلا إذا كان هناك داع أو هدف له يمة من وراء

المسلمون في الهند أيضا..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

العربية ، وأن يجد منا إهمالا تاما في مناهجنا الدراسية ، في الوقت الذي نعني فيه بتاريخ الغرب إلى حد الوقوف على تفاصيله والاهتمام بهضاته وأبطاله ، مع أن هذا التاريخ الإسلامي الزاهر في الهند جزء من تاريخنا وصفحة مشرقة من صفحات أجدادنا كأمة واحدة يظلها علم الإسلام .

وتعجبت كيف أسدل على هذا التاريخ ذلك الحجاب الكثيف وحيل بيننا وبين معرفته والاعتراف به قرونا متطاولة ولم يكن تاريخنا هزيلا ، بل كان تاريخنا عملاقا ، استمر كل هذه القرون وصنع حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية التي عرفناها في عواصم البلاد العربية يوم أن كانت هذه العواصم تصنع التاريخ وتصنع معه الحضارات . ولعل هذه المراجعة أيضا هي التي دفعتني — وأنا أقدم كتابي هذا للسيادة رئيس الجمهورية — في أواخر عام ١٩٥٩ م إلى أن أرفق به رجاء العناية بدراسة تاريخ إخواننا المسلمين في الهند ضمن دراسة التاريخ في برامجنا بالأزهر ووزارة التربية والجامعات .

قرأت الكلمة التي نشرتها مجلة الأزهر تحت عنوان « المسلمون في الهند » للأستاذ الهندي الكبير أبي الحسن علي الندوي . وقد كتبها بعد رحلته إلى الشرق الأوسط سنة ١٩٥٠ م وكشف فيها عن حال المسلمين وجهودهم وحضارتهم في الهند في القرون الماضية باختصار . ولم يخف الكاتب أسفه لقلة المعلومات عن المسلمين في الهند لدى المثقفين في الشرق الأوسط .

وملاحظة الكاتب هذه صحيحة ولعلها هي التي دفعتني لأن أكرس جهودى لإخراج كتابي « تاريخ الإسلام في الهند » حين إقامتي فيها مدة سنتين وثلاثة شهور مبعوثا من الأزهر والمؤتمر الإسلامي ، حتى استطعت بحمد الله أن أقدم للكتابة العربية تاريخا مفصلا عن الإسلام والمسلمين في الهند منذ ظهر الإسلام حتى انقرض الحكم الإسلامي على يد الإنجليز سنة ١٨٥٧ م ، ولم أستطع — وأنا أقدم لهذا الكتاب — إهمال هذه الملاحظة وكتبت ما أحسسته من مرارة لقلة معلوماتنا عن الهند الإسلامية إذ عجز على كثير أن يكون هذا التاريخ المجيد مجهولا من قراء

وحاضره - فإن هذه المعرفة هي الوسيلة الأولى للتقريب الطبيعي فيما بيننا. وللتعاون الذي جعله الإسلام شرعة لنا . .

وسيعتبط الأستاذ أبو الحسن وإخوانه في الهند كذلك حين يعلم أنني لم أقف بالتأريخ لمسلى الهند عند انتهاء الحكم الإسلامي سنة ١٨٥٧ م ، بل إنني عكفت بعد صدور الكتاب الأول على التأريخ لهم في الفترة التي عاشوها تحت الحكم الإنجليزي ؛ فقد لمست كذلك قلة المعلومات لدينا عن المسلمين في هذه الفترة القريبة ، بل إنني لمست طلباً بينا ، وإجحافاً واضحاً لجهود المسلمين في حركة تحرير الهند ، وموقفهم من الاستعمار ، حتى سمعت من أحد المثقفين الذين يتولون توجيه الشباب في جامعاتنا وجمعياتنا اهتماماً لهم ، يبرهن ونبراً إلى الله منه ، ولعل هذا والكثيرين معه معذرون في معلوماتهم الخاطئة ؛ لأنه لم تتوفر أمامهم المعلومات الصحيحة عن جهود إخوانهم المسلمين في الهند ولم يجدوا أمامهم إلا كتباً متعددة تعنى بإلقاء الأضواء التاريخية على شخصيات خاصة من غير المسلمين هناك . . وتجمع في يدهم كل خيوط الجهاد والعمل لتحرير البلاد مع أنه كان قبلهم ومعهم شخصيات إسلامية نذروا أنفسهم للجهاد من أجل تحرير بلادهم ، وكانوا دائماً سباقيين إلى التضحية النبيلة من أجل

وكان كريماً وساراً أن أجد بعد أسبوع صدى هذا الرجاء في محادثة تليفونية من القصر الجمهوري لمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ولوزارة التربية . . حتى أشير على بأن أقدم هذا الاقتراح مكتوباً لفضيلة الأستاذ الأكبر لتبحثه لجنة تعديل المناهج . وإن كنا لا نزال نرقب الأثر العملي لهذا كله في مناهج الدراسة للآن .

ولقد كان من حسن الصدف أن يطلع الأستاذ أبو الحسن على أصول هذا الكتاب في إحدى زيارته لي بجامعة دار العلوم - (ديوبند) فيفرح له ويدفعه فرحه إلى أن يسارع بتقديمه - وهو لا يزال جنيناً - في مجلته العربية « البعث » التي يشرف على إصدارها من دار العلوم ندوة العلماء في لاهور . ويرجو أن يسد هذا الكتاب الفراغ الذي شعر به حين زيارته لنا . .

ولعل مما يزيد في غبطة الأستاذ أبي الحسن وإطمئنانه أن يعلم حسن استقبال القراء والهيئات الثقافية والصحافة في البلاد العربية كلها لهذا الكتاب فيعرف أن إخوانه المسلمين العرب يبادلونهم حباً بحب ، وعناية بعناية ، وشغفا بمعرفة تاريخ أسلافهم ، كمشغفهم بمعرفة تاريخ المسلمين وتبجرهم فيه ، فنحن جميعاً أمة واحدة يظلمها علم الإسلام . . ومن الواجب أن يعرف كل منا أخاه - ماضيه

لقد سلب الإنجليز حكم الهند من المسلمين وتمكنوا فيها بعد ثورة قادها المسلمون ولم يقدر لهم فيها النجاح سنة ١٨٥٧ م ، فكان المسلمون بهذا الوضع الأعداء الألداء للمستعمر هم ينفرون منه ومن نظامه وثقافته ويدبر بعضهم المؤامرات الخفية للتخلص منه ، وهو يعاملهم معاملة الأعداء فيطاردهم في أراضهم وأملأهم وثقافتهم ، ويضيق عليهم الخناق - وهو الحاكم القادر المتسلط - فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف أن تأخر المسلمون اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، وانطوا على أنفسهم ، لإثارة للنجاة بدينهم وثقافتهم ، والاحتفاظ بثقافتهم بعدما فقدوا سلطانهم وكثيراً من وضعهم في المجتمع .

وكان العلماء والصوفيون هم الذين يقودون حركة الانعزال هذه ، معتقدين أنها الطريقة الوحيدة للحفاظ على موروثاتهم الروحية من تيار الثقافة الاستعمارية ، قادوا هذه الحركة كما قادوا من قبل الحركة الشعبية المسلحة لمقاومة المستعمرين .

ولذا كانت الظروف المحيطة بهم لم تساعدهم على النجاح في الحركة الشعبية المسلحة ، فليعملوا على النجاح في حركتهم السلبية للاحتفاظ بهذه الموروثات الروحية وليكثروا من فتح المدارس الدينية التي يؤازرها الشعب

أهدافهم ، ورحلوا إلى الحياة الآخرة بعد حياة حافلة بالجهاد والتعب ، مقدرين كل التقدير ممن عاصروهم ، ولمسوا كفاحهم ، واستكنهم لم يجدوا بعد ذلك من ينصفهم حين كتابة تاريخ الحركة التحريرية للبلاد ، فاتخذ هذا التاريخ وضعاً جانبياً وتحدث عن أشخاص وأهمل أشخاصاً آخرين ، وحين تناول بعض الكتاب العرب نشر كتبتيات أو بحوث عن هذا التاريخ ، اعتمدوا على تلك المصادر ، فقرأنا عن أشخاص وعرفناهم وقدرناهم ، ولم نعرف أشخاصاً آخرين مسلمين ربما كان لهم في الجهاد والتضحية رصيد يفوق رصيد الآخرين . . .

ومن أجل هذا كله ، ومن أجل إنصاف لإخواننا أبرار يهمننا معرفة تاريخهم الصحيح ، ويسرنا أن نقرأ صفحات جهادهم اللامعة رأيت من الواجب على أن أقدم لقراء العربية ما عرفته عن بعض هؤلاء ؛ خدمة للحق وإنصافاً للتاريخ . . .

وقبل أن أقدم لقراء مجلة الأزهر ، بعض هذه الشخصيات أرى من الواجب أن أؤكد لذلك بحديث عام مختصر عن حال المجتمع الهندي عموماً والإسلامي بنوع خاص بعد الاحتلال حتى يمكن تكوين صورة عامة عن الجو الذي نبت فيه هؤلاء وعاشوا وجاهدوا ، وحتى يمكن أن نزن أعمالهم ونقدرها حق قدرها .

و إن الأمة المسلمة معادية لنا بعقيدتها ،
فالطريقة المثلث عندنا أن نبتغي مرضاة
الهندوك .

الأمة المسلمة معادية للانجليز بعقيدتهم ،
هذا ما فهمه الانجليز ، ورتبوا عليه سياستهم
في الهند وخارج الهند ، ولقي منه المسلمون
البلاء في كل مكان ، وهم لم يعادوا الانجليز
ولا غيرهم بحسب عقيدتهم ، ولكن لما وجدوه
في هؤلاء من روح عدائية لهم ولدينهم يتعرفون
على ضوئها ؛ ولأن الإسلام يرفض السيطرة
والإذلال للمسلمين ، وهؤلاء يعيشون
على السيطرة وامتصاص دماء غيرهم وإذلالهم .
فكان من الواجب على المسلمين في الهند
أن يقفوا بالمرصاد للوافد المسيطر الطامع
في نهب بلادهم واستغلال خيراتها ولكن هذا
لم يرض الله . . . يرضه أن يتنبه أصحاب
البيت له ويحاولوا منعه من نهبهم وقتل
حيويتهم . . فعاملوا المسلمين معاملة الأعداء
وتفننوا في السكيد لهم . وكبت أنفاسهم حتى
لا تقوم لهم قائمة ، وكان مما يؤسف له أن يجد
المسلمون شريكهم في البيت يساعد اللهب الناهب
في نهبه وإذلاله لمواطنيه . . !

لقد ظل المسلمون قرابة نصف القرن الأول
من احتلال الانجليز للهند يعانون أقصى
ما تعانيه أمة ضعيفة من حاكم قوى مستبد
متعنت ، ولم يحلمهم أخيراً على التخفيف

المسلم ويمدها بمعونته ؛ لتكون وسيلتهم إلى
الإبقاء على دينهم وثقافتهم ، وإلى محاربة
الثقافة الغربية الوافدة ، ونجحوا في هذا
المجال إلى حد كبير .

بل إن هؤلاء العلماء والصوفيين كانوا
يؤازرون بعض الجيوش الإسلامية التي
ظلت تحمل السلاح وتدبر المؤامرات للثورة
ضد الانجليز ، ولا سيما في مناطق الحدود
الجبالية التي لم تكن قناتها المستعمر ، وكانوا
يجمعون لها المعونات ويرسلون لها المساعدات
من الرجال والمال .

كانت هذه حال المسلمين باستثناء أمراء
الولايات والإقطاعيين ، من المسلمين الذين
قضت مصالحهم بالسير في ركاب المستعمر
أو مهادنته .

أما الهندوس وغيرهم من أتباع الديانات
الأخرى في الهند فقد رحبوا عموماً بالسيد
الجديد وعاونوه وأقبلوا على مدارس وثقافته
التي أهلتهم للعمل في دواوين الحكومة وكان
من الطبيعي أن يثق بهم الانجليز ويحتضنهم
ويمثلوا بهم المراكز الصغيرة في أعمال
الحكومة .

كان هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لهم ، وذلك
لموقفهم الودى من الانجليز ، ولأنهم
- أى الانجليز - كانوا يعتقدون كما قال
«لورد ألبرو» ، أحد حكام الهند الانجليز :

وفي هذا الجو كان هناك نفر من المسلمين لا يفكرون تفكير الآخرين وإنما كانوا يرفضون أى تفاهم مع المستعمر، ويرون أنه داء لا بد من اجتثاثه، وأن دينهم الذى ارتضاه الله لهم يحتم عليهم الاستمرار فى الجهاد لطرد الأجنبي الدخيل عليهم، فكانوا فى أمتهم هناك يشبهون دندنا طلائع الوطنية الصادقة من أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد ورجال الحزب الوطنى .

ولكن هؤلاء الأبرار المجاهدين لم يجدوا من الأعلام العربية ما يكشف دورهم العظيم الذى قاموا به فى خدمة قضية استقلال الهند وتحريرها .

وأود هنا أن أقدم لقراء العربية بعض هؤلاء، ولعل أولهم وأجدرهم بالكلام أولا هو مولانا الشيخ «محمود الحسن» شيخ الهند وسجين مالطا أو أسير مالطا كما يطلقون عليه فى الهند .

وموعدى معكم العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد النعم النمر

من تعنتهم إلا شعورهم بالخوف من الشيبية الهندوسية التى احتضنوها وعلبوها فى الهند وانجلترا ، وعرفت معنى الحرية وعادت لبلادها تتحدث عن معانى الديمقراطية والحرية والاستبداد والظلم .

وحينئذ بدأ الانجليز ينظرون بشئ من العطف للمسلمين لا حبا فيهم ولكن رغبة فى بعث شئ من الحيوية فى الجسم الهامد ليأخذ له وضعا أمام القوة النامية فى الهندوس ، ويضربوا إحدى القوتين بالأخرى .

ولم يبدأ القرن العشرون حتى كان الانجليز قد أوجدوا فى الهند قوتين : قوة حزب المؤتمر الذى أسسه تحت رعايتهم سنة ١٨٨٥م وقوة حزب الرابطة الإسلامية التى أسسها المسلمون تحت رعايتهم وبإشارتهم سنة ١٩٠٦م وأخذت القوتان تنصارعان ، وتصرفان أغلب جهودهما فى الخلافات بينهما ، ويلوذ كل منهما بأعتاب الحاكم ليموز بوجهه نظره ، والحاكم يتلاعب بهذا رذاك ، ويذكى بينهما نار الخلاف ليسترخ ويستقر ، ويسود !..

قال الشعبي فى كلام له فى مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءوني . فقال عبد الملك : لحنت يا شعبي ! قال : لا يا أمير المؤمنين لم ألحن مع قول الله عز وجل : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » فقال عبد الملك : لله درك يا فتية العراقيين قد شفيت وكفيت .

شعر القاضى الفاضل

للدكتور أحمد أحمد بدوى

- ٢ -

ما للطيور على الخطى عاكفة
تهز الرزق أعطافا لها سرطا (١)
قد علمت لقطها للحب لهذه (٢)
أما تراه لحب القلب قد لقطا
أما الصفات المثالية التى أشاد بها الشاعر
فيمن مدحهم من عطاء الدولة بأهمها الشجاعة
فى الحرب ، والبسالة فى القتال ، وتلك سمة
العصر الذى عاش فيه القاضى الفاضل ،
فكثيراً ما نسمع فى شعر الإشادة بها كقوله:
أهلاً بدولة مالك
بكرت لنا هى والربيع
الحسن فى يوم الوغى
من تحته الحصن المنيع
يثنى سما نفع ، ووا
بل مزنا السم النقيع
ووقائع رجفت على
أعدائه ، فلها الوقوع

إن صلت البيض الرقاق
فللمراح بها ركوع
وقلنا أئبى على السياسة التى تحوج إلى
امتشاق الحسام كما فى قوله :
وتيقظت لك فى السياسة عزيمة
تدع الحسام ، وجفنه وسنان
وإذا كان قد أشاد بالبطولة فى الحرب ،
فإنه قد أشاد بحزم الحاكم فى أيام السلم ولعل
المثل الأعلى للحاكم الحازم عند القاضى
الفاضل ينجلي فى قوله :
أعد لجمع الحرب صفحة فاتك
وسرى لنشر السلم حلية حازم
وأشاد القاضى الفاضل بالجود ، وأكثر
من الحديث عنه ، وما كان الأمير إجماع
الأحدثة يومئذ إلا إذا كان جواداً كريماً ،
يقدم من ماله حق المجتمع عليه ، وينقى عن
نفسه سمة الأثرة البغيضة ، وتفنن القاضى
الفاضل فى الإشادة بهذه الصفة ، حيناً يقول :

كأنك مخلوق كما شاءت العلا
وفوق اقتراحات المنى والقرايح
وما أشتكى إلا نهوض نداكم
وتقصير ما أتهضته من مدايح

[١] سرط : جمع سارطة ، وهى : اسم فاعل
من سرطه : ابتلعه .

[٢] اللهم : اللقاط من الأسنة ، والمعنى : هل
علمت الطير الأسنة الفاطمة كيف تلتقط الحب ؟
لأننا نراها واسعة الدراية بالقاط حبات القلوب .

الشكر والإحسان في دين العلا
مثلاً ، لكن يسبق الإحسان
رضى الإله به لأفضل نعمة
ثمناً ، فهانت بعده الأثمان
وما استرعى نظر القاضي الفاضل في مدحيه
مقابلة أحداث الدهر بالهدوء والرزانة ،
إذ يقول :

تصرف صرف الدهر في كل ما ترى
سوى ما بذاك الوجه الوجه من حلية البشر
ولم يستطع نقصاً له وزيادة
عليه إذا ما من بالخلو والمر
ولم ينس أن يشيد ببلاغة الممدوح إذا
كان كاتباً أو شاعراً ، وهو بذلك يلبس
موضع غرور الممدوح ، وحين يمدح هذا
النوع من الناس يغرب في أسلوبه ويكثر
من الصناعة والألفاظ الغريبة ، ولعله
بذلك يظهر مقدرته على القول ، وتقننه فيه ،
ك هذه القصيدة التي مدح بها أبا الفتح بن قادوس
صاحب ديوان الإنشاء ، ومنها في مدح
البلاغة الممدوح قوله :

قصار أقلامه يصنعن في كتب
بالعقل ما تصنع القضيان في كتب
كان أحرفه كأس يدور بها
ساقى يراع ، عليها الشكل كالجب
فأعجب لذا السكر تزداد العقول به
نعم ، إذا الخمر كانت لابنة العنب

تجاوز عفو^(١) الفضل أقصى مطامعي
وراض مطيع الجود أقصى مطامعي
وحينما يقول :

لقد سألنا صروف الزمان
وما برحت قبلها عائدة
وأمرت نوء الزدى دائماً
فهزت به أرضنا الهامدة
وأطفت حرارة آمالنا
مفانم إحسانك الباردة
وبوأك الجود يابن الكرام
نجائب أقوالنا الخالدة
فكم نعمة بعدها مثلها
وفائدة بعدها فائدة
ويطول بي وجه القول إذا أنا مضيت
في التمثيل لهذه الصفة .
وكان يكمل صفة الجود لديه بشاشة الجواد ،
وهي مما استرعى انتباه القاضي الفاضل ، كما
استرعت قبله انتباه زهير بن أبي سلمى^(٢) ،
فمن ذلك قوله :

إذا ما كسوت الوفد للجود ملبساً
فقد لبسوه بالبناشة مذهبا
وكان يرى شكر الجواد بمدحه شهراً كفتاً
لما يبذله الممدوح من إحسان :

[١] العطاء بدون مسألة .
[٢] قال زهير بن أبي سلمى :
تراه إذا ما جثته مهلاً
كأنك تمطيه الذي أنت سائله

وفي شعر الورى غمر^(١) ، ودُهم^(٢)
وهذا كل بيت منه غرة^(٣)
ومدح الشاعر من اتصل بهم من وزراء
الدولة الفاطمية ، وكبار رجالها ، مثل رزيك
ابن طلائع ، وشاور وشجاع بن شاور ،
ومدح من كتبها ابن قادوس ، والآثير
ابن بنان ، وإن لم أستطع أن أعين القصائد
التي مدح بها هذا الأخير ؛ في عصر الدولة
الأيوبية مدح صلاح الدين ، وبنى أيوب ،
والعزيز عثمان .

ولقيمة الشعر الكبرى عند القاضي الفاضل
يرى أصحاب المجد في حاجة إليه للتسجيل
مظاهر مجدهم ، وتخليد آثارهم ، فيقول
لبعض من يمدحهم .

كل له حاجة منا بصاحبه
فالمدح عندي ، كما المعروف عنكم
سبقتم بي ، كما أتى سبقتم بي
فالسبق مقدم بيني وبينكم
الفخر :

وهو قليل في شعره ، وكان بيانه وبلاغته
وشعره موضع فخاره ، ومن نثره بلاغة قوله :

صديقة العقل منها يستفاد ، وما
عداوة العقل إلا لابنة العنب
وهي المعاني التي الأسباب تخدمها
مسلوقة ، وهي الألفاظ في القرب
ومما مدح به أحد الشعراء ، وهو في هذا
المدح يمدح الإيجاز في اللفظ مع غزارة
المعنى ، قوله :

وشعر ما حسبت أخف روحا
وأثقب زهرة^(١) ، وأغض^(٢) زهرة
جلاه على في أثواب ليلي
فأبصر منه ليل الهم فخره
ونجرت البلاغة منه بحرا
أردت عبوره ، فخشيت هبته^(٣)
ألد من الرضا من بعد سخط
وأعذب من وصال بعد هجر
قليل اللفظ ، لكن في المعاني
إذا حصلتها بالنقد كثرة
ويؤنس ، ثم يؤيس ، مثل بحر
تراه ، فيدتهن الغمر^(٤) غمره^(٥)

[١] الزهرة : البياض والحسن .

[٢] أغض : أنظر .

[٣] العبر : الشاطئ والناحية .

[٤] الغمر : من لم يجرب الأمور .

[٥] غمر البحر : معظمه .

[١] غر : جمع أغر ، وهو الأبيض من كل شيء .

[٢] الدهم : جمع أدهم ، وهو : الأسود .

[٣] الغرة : بياض في الجبهة ، يريد به هنا

الجمال والندرة .

وقيه يقول :

ووضعت قدرك أن يكون سحابة
ورفعت قدرى أن يكون ترابا
أنذرتُ من خيل القوافي غارة
تدع القبور وأهلها أسلابا
وأما شعر الشكوى فأغلب الظن أنه كان
في المرحلة الأولى من مراحل حياته ، عند
ما لم تكن الظروف مهيأة أمامه إلى الحياة
المجيدة السعيدة ، فنجده يأسى لحظ الكتاب
بعامة ، فيقول :

تعس الكاتب الشقيّ فما
أشقاء بالامر بين هذى الخليفة
خير أيامه ، ولا خير فيها
يوم ياتي من بكرة وجه ليقة^(١)
والداريع^(٢) غره ، وهو منها

في ثياب من صدره مشقوقة
وحيناً يأسى لحظه من بين الكتاب بخاصة ،
إذ يقول :

أرى الكتاب كلهم جيما
بأرزاق نعمهم سنيما
ومالى بينهم رزق كأتى
خاقت من الكرام الكاتنين
وقد كان القاضي الفاضل يؤمن بمواهبه ،
ولذلك كان يشكو في الفترة الأولى من حياته
أنه لم ينتفع بهذه المواهب ، بل إن الجاهلين

ولى قلم منه عين الطلا

م تهرى ، فتنظر عين السكّال
يراع تظّل رياض الطرّو
س منها موشحة بالظلال
وكتب يفيض بأرجائها
يمين الجدا ، ولسان الجدال
وكم نرّبت ، وانبرت للعد
و، كوتب الشّرار ، وهد الجبال
فيأطرنه مثل أطر القسي ،
ويبرينه مثل برى النبال^(١)

وغر القاضي الفاضل كذلك بهمته المستطلعة
إلى المجد . فقال :

فلى همة قد أكرمتنى همومها
ولم أمتهنها بالطماح إلى الوفى

العتاب والشكوى :

وفي عتاب القاضي الفاضل رقة ووداعة ،
وهو يجعل القطعة حيناً خالصة للعتاب ،
وحيناً يمزج العتاب بالمدح ، ولا يشور
في عتابه إلا قليلا ، وإذا هدّد فبغارة من الشعر ،
ولعل من أقى عتابه قوله :

عد العتاب ، فما أعدت عتابا
وكفيتك الإقلال والإغتابا

[١] الليقة : صوفة الدواة .

[٢] الداريع : جمع دراعة ، وهي حبة مشقوقة المقدم

[١] الأطر : دطف الشيء . وانقضى جمع قوس .

ويبرى السهم : نخه . والنبال : السهام .

لهم حظ أفضل من حظي ، بينما كانت زيادة
حظي أدعى إلى نقص رزقي ، فلتسمعه يقول :
ما ضر جهل الجاهل
بين ولا انتفعت أنا بحذقي
وزيادتي في الحذق فهمي
زيادة في نقص رزقي
وقلت الشكوى بعدئذ في شعر الفاضل ،
إلا هذه الشكوى من بعض منافسيه ، الذين
كان يفخر عليهم بأدبه وما له من أثر في النفوس .
الرثاء :
رثى القاضى الفاضل بعض رجالات الدولة
وهزى بعضهم أحيانا ، ورثى أخاه وبعض
صحبه .
وهو في الرثاء يمزج عواطفه الشخصية
بالحديث عن آثار المرثى وخلاله .
وخير قصائد رثائه وأقواها تلك التي رثى
بها العزيز ، وبكى قصره ، ويحسن بنا أن
نقف قليلا عند هذه القصيدة نحللها ؛ لنرى
الانفعالات المختلفة التي لا بسته عند إنشائها .
والذى دفعه إلى إنشاء هذه القصيدة هو
ما أصاب قصر العزيز من بلى وعناء دفعه
إلى ثورة جاحدة على الأيام ، وعلى هذه اليد
التي امتدت فدمرت ، وحزن على بقائه حتى
رأى آثار الأحبة نهبا بيد البلى ، فقال :
وقفنا على قصر العزيز ، وقد عفا
نعيب عليه الدهر ، لما تحكما

سلام عليه من معنى معذب
وقل له من صاحب أن يسألا
بكيت له دمعاً ، ولو كنت منصفاً
بكيت دماً ، والدمع ضرب من الدما
تأخرت من بعد الأحبة مسدة
ولو أن لى أمراً لكانت المقدما
أئن صرت فوق الأرض أرضاً فربما
عهدك من فوق السماء لنا سما
عزيز علينا أن نراك على البلى
تراباً نهى المشغوف أن يتيما
تصدى له من لا يراقب حرمة
ومن ليس يرعى للكارم محرما
وذاك صريح في أن الذين ولوا الحكم
بعد العزيز عملوا على تعفية آثاره ، وتدمير
قصره ، فهل هو الأفضل أو العادل ؟
يصمت التاريخ ، ولا يجيب .
ونشور في نفس الفاضل ذكريات الماضي
قوية عنيفة فيقول :
وكم قد حججنا فيك للجد كعبة
وكم قد أقننا فيك للحمد موسما
وكم قد وجدنا فيك راحة راحة
تقبل إذ تعطى حطيا وزمزما
كأن لم تكن فيك السعادة طلقة
ووجه ظباها باسماً متبسما
ولا صار ذاك الهو ملكا محجبا
ولا جر ذاك الرحب جيشا عرمرما

فقاطع بنا أبناء حوا وآدم
وواصل بنا آل الجدیل وشذقا (١)
ولم يرث القاضي الفاضل صلاح الدين بغير
هذه الآيات :
مضى يوسف الإحسان والخير والتقى
فياليت أنى قد مضيت إليه
وخلفها آثار صدق كريمة
بقين علينا ، بل بقين عليه
وقرت به عيناى دهرًا ، خفته
إذا أصبحت عيناى باكيته
وهى مع قلتها ، لا تناسب جلال الموقف ،
ولا عظمة المراثى ، وليس أسلوبها بالقوى
الآخاذ . ولعل هول المصاب وشدة وقعه
على نفس المفاضل لهما دخل فى إلجام لسانه .
ومما يسترعى النظر فى رثائه أنه قد يبدوه
بغزل باك ، كقوله فى رثاء بنى رزيك :
أستودع الله فى أطعمتهم قرا
إليه ، لو ضلت الأقار ، نحتكم

الرجاء :

وخير هجائه ما ملأه بالصور الزرية ،
والتهكم والسخرية ، كقوله :

[١] الجديد : خل للنعمان بن المنذر وشذم :
قم خل له أيضا . يأمر السرى أن يمضى به حتى يقطع
بنى الإنسان ، ويتخذ المطى صديقا يصل بها إلى
مكان الاطمئنان .

ولا كان قصد الوفد غرة كوكب
قلبا بدت صلى عليها وسلما
ثم اتجه بعدئذ إلى ا. ار يناجها ، متحدثا
عما فى قلبه من آلام لما أصابها ، وما يضره
من آمال كان يتمنى تحققها ؛ ليحفظ البيت
الصلاحى بوحدته وتماسكه ، فيقول :
وقل : يا ذيار الظاعنين ، برغمنا
وعهدك أن أضحي لك الدهر مرغما
خذوا أدمعى عقدًا نثيرًا ، فطالما
نظمت له النعماء عقدًا منظمًا
وما نظر الإنسان دنيا يحبها
وليس له فيها حبيب سوى العمى
وإنى لملآن الفؤاد عزائمًا
لو أنى وجدت اليوم للرأى معزما
وأكد الملح أنه لم يكن طيب المقام فى القاهرة
يومئذ ، فإنه يتحدث عن الرحيل ومقاطعته
بنى آدم ، إذ يقول :
فشد السرى (١) إن أرسل الليل عقربا
وكر الكرى (٢) إن أرسل السوط (٣) أرقا

[١] أى اجعل السرى ، وهو السير ليلا ، مطية
تشد سرجها وتمطبها .

[٢] أى اجعل الكرى جوا . اتركه إن أرسل
الليل ثعبانا أرقم واتخذ سوطا يضربك به .
بريد : إذا نفست الدنيا عليك الحياة فاتخذ المطى
دارك ، وجانب النوم ، حتى تصل إلى مكان تطمئن
فيه نفسك .

[٣] السوط : مفعول به ، و « أرقا » حال ،
وفاعل أرسل ضمير يعود إلى الليل .

فهر حيناً يحس الشيب ذلاً ، ويراه نذيراً
للغناء :

ألم يأتته أن المشيب نذير
بلى ، وشيبه للردى ، ونظير
وأنا خلعنا الكبرياء مع الصبا

وحسبك ذلاً أن يقال : كبير
وهو داء بلا ألم ، وعدو أزرق ، يؤذن
قدمه بانقضاء عهد الصبا ، وذهاب أحلام
الشباب ، ويرى قدمه شقاء. بئس ما تخلف به
الأيام عن الشباب :

لا تسأل الدنيا وإن أعطت فلا
تأخذ ، فبعد قدمها هذا الشقا
ولكنه كان يخفف ألم قدمه على نفسه
بأن الشيب يزيده وقاراً .

الحكمة :

وهي منشورة في شعره ، يوردها في المكان
اللائق بها ، يؤيدها فكرة ، أو يسجل
تجربة ، وقد يثنى القطعة خالصة للحكمة .
وكانت حكمه كلها تدور حول شئون الحياة .
ومن أصح آرائه دعوة ذوى السلطان
إلى الرفق ، مذكراً إياهم بأن الأيام تبطل
وتأخذ ، فلا معنى إذاً للخطرة والكبرياء .
ترفق بنا ما دام أمرك نافذاً

فإنك لا تدري متى ليس ينفذ
وإن تعطك الأيام ما قد أخذته

فما زالت الأيام تعطى . وتأخذ

وجه عليه من القباحة مسحة
ظلم النهار ، وقد رآه ، فأظلم
وعليه أنف قد أجيبت دعوة
فيه من الداعي عليه ، فأرغما
قلو أنه ذنب لكان كبيرة

ولو أنه طود لكان مقطاً
برص يرينا منه جلداً أيضاً
وأذى يرينا منه جلداً أسجماً (١)
لو شئت أن أرقى لنيل قرونة

لجعلت ذاك الكتف تحنى سلماً
ويهجرجحلاً كان أبوه كريماً ، فيقول :
إلى كم كل يوم في حساب

عواقبه تنول إلى العذاب
حساب الناس منك بغير رزق

ورزق أليك كان بلا حساب
للقاضى الفاضل هجاء مكشوف ، وفيه
مخرية وتهكم أيضاً .

الوصف :

وهو قليل في شعره ، وصف السفينة التي
ركبها إلى المدوح ، ووصف الخمر ، ووصف
المكان الذى يجلس فيه ، ووصف سيوف
صلاح الدين ، ووصف ممسحة الدواة ،
وتحدث كثيراً عن الشيب في مواضع شتى :
وصفه في مرأى العين ، وكما تحس به النفس ،

ويرى أن الغنى الحق إنما هو فى الاستغناء
عن الناس :
أريد الغنى المغنى عن الناس ، والغنى
إذا كان يلجئنى إليهم هو الفقر
وكان كبابى الطيب يرى العيش يصفو
للجهلاء :
ألا ليت لى جهلا به العيش طيب
ولا عيش إلا عيش من هو جاهل
وربما كانت تلك إحدى نظراته فى أيامه
الأولى .

ومن عجب أنى أحسن إليهم
وأسال عنهم من أرى ، وهم معى
وتطلبهم عيني ، وهم فى سوادها
ويشتاقهم قلبى ، وهم بين أضلعي
وقوله فى الاعتذار :
لا تحسبنى للهود مضيعا
حفظى لودك مذهب لا يذهب
عفت الترسى طامعا أن تلتقى
فأبى الزمان يديس لى ما أطلب
لا عتب أخشاء لقطع كتابكم
واسمع ، فمذرى بعده لا يعتب
مهما وجدتك فى الضمير مثلا

فى رسائله :

والقاضى الفاضل قد بدأ رسائله بالشعر ،
أو يأتى به فى أثناء رسالته ، بنفسه به عن
عواطفه . وأكثر شعر رسائله فى الشوق ،
وهو مجيد فى أكثره ، يدل على عواطف
حية متدفقة ، ولعل من أجمل شعره فى هذا
الباب قوله فى الشوق :

أبدا تناجينى ، إلى من أكتب
ولكن ينبغى أن أوجه النظر إلى أن الشعر
الذى فى رسائله ليس جميعه من إنشاء القاضى
الفاضل ، بل قد يتمثل فى رسائله بأشعار
غيره من الشعراء .

أحمد الحمروى .

وكيل كلية دار العلوم

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

فهم كفاء للعمل :

يكثر هذا في كلام الناس في الحديث عن مدح المرء بأنه يقوم بالعمل الذي كلفه، وأنه يجيده ويحسنه ، وقد عاب هذا الاستعمال من قبل اليازجي ، فهو يقول في لغة الجرائد ، ص ٨٠ : د ويقولون : هو كفاء هذا الأمر أى أهل له أو قوام به ، وهو من ذوى الكفاءة - بالهمز - . وإنما الكفاء النظير ، نقول : هو كفاء لفلان أى معادل له . والكفاءة المصدر من ذلك ؛ نقول : لا كفاءة بيننا . وأما المعنى الذى يريدونه فهو من معانى (كفى) المعتل ؛ يقال : استكفيتها أمر كذا - أى كلفته القيام به - فكفانيه ، وهو كاف لهذا العمل وكفى له ، أى قوام به ، وهو من أهل الكفاءة .

فالوجه أن يقال : فلان كاف لهذا المنصب أو كفى له ، وهم كفاءة وأكفيا . وذلك أن الكفاء إذ كان النظير لا يقرن إلا بمثله ، فيقال : فلان كفاء لفلان ، ولا يقال : هو كفاء للعمل ، لأنه ليس من جنس العمل حتى تعقد بينه وبين العمل مناظرة ، فكجا

لا يحسن أن يقال : هو نظير العمل لا يحسن أن يقال : هو كفاء العمل : وإنما المعنى الصحيح أن يقال : هو يكفى في العمل أى يقوم به ويغنى فيه غناء . فهو كاف أو كفى ، وكان الصاحب بن عباد يقال له : كافى الكفاءة ، وفى معجم الأدباء ١٧٣/٦ فى ترجمة الصاحب : د وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه بالصاحب كافى الكفاءة ، . وفى هذه الترجمة من كلام أبى حيان التوحيدي فى فى الصاحب : د وحقده سار إلى أهل الكفاءة . وكان ابن العميد يلقب ذا الكفائتين ، أى الكفاية لشئون السيف ولشئون القلم ، أو الأعمال العسكرية والأعمال المدنية .

وقد نهى الأستاذ الجليل محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة إسكندرية إلى أن الاستعمال المنقود ورد فى شعر لابن الرومى يهجو به المعتز العباسى فهو يقول :

تالله ما كان يرضاك المليك لها

قبل احتقائك ما أصبحت محتقبا

حتى أزلك عنها ثم أبد لها

كفشا رضيا لذات الله منتخبا

وعقد له سبويه في الكتاب ١ / ١٩٩ بابا .
ويقول السيراني : « هذا الباب لتفضيل شئ
في زمن . ن أزمانه على نفسه في سائر
الآزمان ، . ويحده الأشموني بأن يقع اسم
التفضيل متوسطا بين حالين من اسمين مختلفي
المعنى أو متحديه ، مفضل أحدهما في حالة
على الأخرى في أخرى . ومثال المختلفي المعنى
ما جاء في الألفية : زيد مفردا أنفع من عمرو
معانا . ومثال متحدي المعنى : هذا بسرا
أطيب منه رطبيا .

والمنصوب الأول في الأسلوب - وهو
(كاتب) منصوب على الحال . ويرى سبويه
أنه حال من فاعل (كان) المحذوفة ،
والتقدير عنه في المثال المصدر به : محمد إذ كان
علما . و (كان) هنا تامة . ولم تكن ناقصة
لإلزام تنكير هذا المنصوب ، ولو كانت
ناقصة لورد معرفا ، وكان على ذلك خبرا
لا حالا : وهو يقدر (إذا كان) في غير
المستقبل من الأخبار ، فإن كان الخبر عن
المستقبل فالتقدير عنده : إذا كان تقول في
ثوب لم يصبغ : هذا الثوب مصبوغا
بالزعفران خير منه مصبوغا بالعصفر ،
فالتقدير : هذا الثوب إذا كان مصبوغا
بالزعفران خير منه إذا كان مصبوغا
بالعصفر ، وحكم المنصوب الثاني حكم
المنصوب الأول كما رأيت .

والحديث عن الخلافة ، يقول إن الله لم
يرض المعز للخلافة ، وقد نزعها منه وأعطاهما
بدلا منه كنفثا لها ، وهو المهتدي الذي ولي
الخلافة بعده في سنة ٢٥٥ هـ . والكلام عند
ابن الرومي على التجوز والتوسع ، فقد جعل
الخلافة كالعروس والزوج ، فكان المعز
غير كفء لها ، فلما جاء المهتدي كانت
الكفاءة بين الزوجين ، وهذه استمارة
مقبولة في مقام الخلافة ، فهل تصلح في المناصب
والأعمال غيرها ؟ إن ما صنعه ابن الرومي
هنا في الخلافة يدخل فيما صنعه الآخر إذ يقول :

أتمه الخلافة منتادة
إليه تجر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له
ولم يك يصلح إلا لها
وأيا كان الأمر فإن ابن الرومي أنس
هذا الاستعمال وأزال الوحشة عنه . وإني
أقدم شكرى للأستاذ خلف الله أن أفادني هذه
الفائدة ، وقد رأيت أن أشرك فيها غيري
من القراء .

محمد طنب أجود منه شاعر :

يجرى هذا في الكلام . والواجب في
العربية نصب (كاتب) فيقال : محمد كاتبا
أجود منه شاعرا .

وقد أورد النحويون من هذا الأسلوب
المثال المشهور : هذا بسرا أطيب منه رطبيا .

بعتك الدار بما فيها الأثاث :

يشيع هذا في كلام الناس وكتاباتهم .
وفي بعض الصحف : لا يمكن أن تنزل عن
الجزائر ، بما فيها الصحراء الكبرى ، وفي
بعضها : على البرنامج أن يوزع مختار الصحاح
على المستمعين بما فيهم الأدباء أنفسهم .

والمعروف في هذا أن يؤتى بحرف الجر
(من) البيانية ، فيقال : بعتك الدار بما فيها
من الأثاث ، ولا يمكن أن تنزل عن الجزائر
بما فيها من الصحراء الكبرى ، وعلى البرنامج
أن يوزع مختار الصحاح على المستمعين
بما فيهم من الأدباء أنفسهم . وفي المثال
الآخر كان الواجب أن يقال : بمن فيهم من
الأدباء ، ولكن لما ، وجها هنا ، وهو
الاتجاه إلى الصفة ، على حد قوله تعالى :
فانكحوا ما طاب لكم من النساء .

وقد جاء من هذا الأسلوب في اللسان قوله
في مادة (غرف) : والغريف : الأجمة نفسها
بما فيها من شجرها .

وقد يخرج الأسلوب الشائع على البديل .
فالمعنى : بعتك الدار بالذي فيها : الأثاث .
فالأثاث مجرور بدل من اسم الموصول .
وينبغي أن يراعى على هذا التخريج جر ما يقع
موقع الأثاث من الأسماء . فتقول : أحب
أهل بلدي بما فيهم الأميين ، ولا تقول :
الأميون .

ويرى متأخرو النحاة أن المنصوب الأول
حال من ضمير اسم التفضيل أى فاعله ، وقد
قدم عليه ، والمنصوب الثانى حال
من المجرور .

والذى دعا سيديويه إلى تجنب ما ذهب إليه
متأخرو النحاة وجنوحه إلى التقدير أن اسم
التفضيل ضعيف في العمل ، فلا يتقدم الحال
على ضميره . والمتأخرون استسأغوا في هذا
الأسلوب خاصة هذا التقديم لكثرة وروده
عن العرب ، ولأن في تقدير سيديويه تكلفا
وعسرا .

هذا ، وقد بدا لبعض الباحثين توجيه
الرفع في الأول على أن يكون خبرا ، واسم
التفضيل خبر ثان . والتقدير : محمد كاتب ،
وهو أجود منه شاعرا . ولكن المقصود
من هذا الأسلوب هو المفاضلة بين الحالين ،
فالخبر هو اسم التفضيل فقط ، والاسم
يمثلان الحالين اللذين وقع فيهما التفاضل ،
على أن هذا الأسلوب يأتى كما قلنا في الحديث
عن المستقبل ، كما في مثال الثوب المصبوغ ،
ولا يتفق فيه الإخبار بالأول . ففي قولك :
هذا الثوب مصبوغا بالزعفران خير منه
مصبوغا بالعصفر لا يصح أن يقال : هذا
الثوب مصبوغ بالزعفران لأنه لم يصبغ
بالزعفران بعد .

أحبه كما لم يحب والده :

يشيع هذا الأسلوب على أسلات كبار الكتاب . والأسلوب العربي لا نرى فيه الكاف . ففي اللسان (هد) : ما هدى أحد ما هدى موت الأقران ، وفي الأساس (عقل) ما ينفع التحصن بالعقول ما ينفع التمسك بالعقول ، وفسر العقول في الجملة الأولى بالمعقل والحصون :

فالوجه أن يقال : أحبه ما لم يحب والد ولده . وهذا يقال في مقام المبالغة وتوكيد المعنى وتشديده . وتخريجه في العربية أن يكون التقدير : أحبه حبا لم يحبه والد ولده ... فما فكرة موصوفة واقعة في هذا المثال على حب وفي مثال اللسان المراد : ما هدى موت أحد هدا هديه موت الأقران .

وقد قيل في تصحيح الأسلوب الشائع إن الكاف زائدة ، وهي تزداد كثيراً في الكلام ، وأورد من ذلك قول رؤبة : لواحق الأقارب فيها كالمق : أى فيها المقق والمقق الطول . غير أن زيادة الكاف ليس لها قياس في العربية ، وإنما يقبل منه ، ما ورد به السماع عن العرب .

وقد قيل : إن هذا الأسلوب ترجمة لأسلوب إفرنجي . وهذا أدعى إلى رفضه والنسكركه . وما لنا ندع بزنا ونستعير بز غيرنا ؟

الفصل والفصل :

يتفق في هذا العصر في المقالات التي تنشر في بعض المجلات أن تطبع المقالة التي أدرجت في المجلة طبعة أخرى على حدة في كتيب ، فيسمى الكتيب فصلة ، وتجمع على فصل . وقد روعي في هذه التسمية أن المقالة فصلت عن أخواتها التي ضمنها المجلة . فليس على قول العرب . قطعة وقطع ، فتبيل : فصلة وفصل .

ولا نجد الفصلة بهذا المعنى في اللغة . بل فيها الفصلة — بفتح الفاء — وفي اللسان أن الفصلة : النخلة المنقولة المحولة ، وفي عبارة أخرى أنها الفسيلة (الشتلة) المحولة ، وظاهر التفسير الثاني عمومها لكل شجر وعدم اختصاصها بالنخلة . وقد جاء جمعها في اللسان في ضبط القلم : الفصلات بسكون الصاد . ويبدو أن هذا من خطأ النساخ ، والصواب فتح الصاد ، كما هو القياس .

واستعارة الفصلة من الفسيلة المحولة للمقالة تنتزع من المجلة وتنشر على حياها استعارة قريبة .

فأرى أن تضبط الفصلة بالفتح ، وتجمع على فصلات .

والإمام ابن حزم كتاب الفصل في الملل والنحل ، ونرى في ذيل عنوان الكتاب

في ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ عباس طه

قبائل متفرعة من جنس واحد تجد نفسها مهددة بعدو قوى مجاور لها، فندفعها الضرورة للتضافر التماساً لمزايا الوحدة . وقد تصادف من صعوبات البيئة ما يدفعها لتطلب زيادة الأيدي العاملة فتضطر للترابط الوثيق للتغلب على ما يصادفها من عقبات المعيشة . وقد تبلغ درجة حسنة من التهذيب فتطلب زيادة الاستمتاع بنعم الحياة فيندمج بعضها في بعض لتصبح أمة على شيء من التفكيك، ثم لا تزال تدفعها الحوادث لإحكام عرى ترابطها في أجيال متعاقبة حتى تصير وثيقة الربط قوية التماسك ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية فقد تألفت على أصول ومبادئ هي مثل عليا للحياة الشخصية والاجتماعية تصلح لأن تقدم عليها الأمم عامة لا أمة منها خاصة ، فهي أمة عالية بأخص معاني هذه الكلمة، محقت فيها القوميات والذوارق الجنسية واللغوية ، وجعلت مثالا لما تكون عليه البشرية حين تبلغ درجة النضج في الأخلاق . وأصول الاجتماع .

يقول الذين لا يتعدى علمهم بالمشئون العالمية حدود ما ألفوه من رؤية الناحر

كلما أتمت الأرض دورتها وهزل شهر المحرم ، ذكرنا الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب ، وما ذكرنا هذه الهجرة إلا ذكرنا الانقلاب العالمي الضخم الذي طرأ على الإنسانية فكان فاتحة لتطورات اجتماعية ليست من نوع ما حدث من أمثالها من قبل ولا من بعد .

نعم : لأن كل الانقلابات التي حدثت كانت حربية دعا إليها النزاحم على موارد الحياة ، أو التوسع في السلطان ، ولكن الانقلاب الذي أحدثه الإسلام كان الباعث عليه أدبيا محضاً هو جعل كلمة الله هي العليا في الأرض .

غرض سام كل السمو لم تتناول إلى بلوغه همة ، ومطلب عظيم لم تتطلع إلى تحقيقه نفس . فلو أضفت إلى هذا أن موطن نشوئه بلاد العرب حيث كان لا يتوقع أحد أي انقلاب عالمي ، كان العجب منه لا يمكن تقديره ، ولو زدت على ذلك أنه أصبح أمراً واقعاً في سنين معدودة .

جرت السنة البشرية أن تتألف الدول محدودة بالحاجات الحيوية ، فقد توجد

الناس لا للتفريق بينهم قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » . بل ذهب الإسلام إلى ما لا مذهب بعده في العمل على رفع الخلاف من بين البشر ، بحذف جميع عوامل الشقاق من بينهم ، فاعتبر الدين وحدة لا تقبل التجزؤ ، قوامها الإيمان برسل الله كافة من غير تفرقة بينهم فقال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون ثؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا » .

في هذه الآية من القوة في رفع الخلاف ما ليس لشيء ما ، يعمل في هذا السبيل فإن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين — سهل تفاهمهم على ما عسى أن يبقى بينهم من الخلاف . هذه الآية فوق ما تدل عليه من عمل الإسلام على حسب الخلافات بين الناس تشير إلى المهمة السامية التي شرعها الله لأدائها ، وهي أن يكون ديناً عاماً للبشرية كلها . وبمجرد التأمل في مدلول هذه الآية يرى أن أفضل وسيلة للوصول إلى هذه الغاية البعيدة هي ما اشترطه على من يقبله ديناً له أن يؤمن برسل الله كافة ، فإن الأمم المؤمنة بالأديان المختلفة متى آمنت أن في الأرض ديناً يعترف بأنبيائها ، ولا يبخسها حقها ، لا تجحد في نفسها غشاضة من الدخول

بين الأمم ، والتناهب بين الطوائف . والنزاحم على يناييع الثروات الطبيعية يقولون : ماذا حصل الإسلام للناس غير أنه زاد في عدد أديانهم ديناً جديداً يستدعي وجوده خلافات جديدة ومنازعات من ضروب شتى ؟

والحقيقة أن الإسلام ليس بدين جديد ولكنه بنص كتابه دين الله الأول الذي أوحاه إلى أول رسله وحرفته الأمم حتى أخرجه عن أصله ، أرسل الله خاتم النبيين محمداً ، ليثوب إليه الغالي والمقصر ويرجع إليه المفرط والمفرط ، فهو بهذا الاعتبار لم يحمي . ليزيد في عدد الأديان ديناً آخر ولكنه جاء ليعيدها جميعاً إلى وحدتها فما كان الله لينذر الناس على ما هم عليه من الفوضى الدينية والخلافات المذهبية حول أديان محرفة يدعى كل قبيل من الناس أنه على دين الله دون أن ينزل إليهم صورة صحيحة من ذلك الدين نفسه « إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين أسلمتم ، فإن أسلدوا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » .

وقد شرع الإسلام لوضع الخلاف بين

إلى أعلى ما يصل إليه ، وفي خدمة لغة القرآن وآدابها إلى حد أن كان منه أكابر أئمة وأئمتها مما لم يصادف مثله في تاريخ جماعة من الجماعات الإنسانية ؟

إن هذه الديمقراطية التي أتى بها الإسلام في عهد لم يكن لهذه الكلمة غير الاسم يعتبر مثالا حيا لما نهنا إليه مراراً من أن هذه الأصول هي المثل العليا التي ليس بعدها مثل ويدل دلالة قاطعة على أن مصدر الإسلام إلى محض لم تختلط أصوله بكدور البشرية ولم تثر فيها الفروق الوهمية التي تواضع عليها البشر وأراقوا دماءهم في سبيلها .

ليعرف المسلمون مكانة دينهم من هذه النواحي العلمية ، فلا يوجد في جميع الأسلحة الجدلية ما يعدها في جذب النفوس له وجمع القلوب حوله .

عباس طه

فيه إذ لا يستنبع ذلك تسفيه أحلام آباؤها ولا الخط من كرامة أسلافها . وليس في دين من أديان الأرض هذه الميزة .

نعم : إن الإسلام لم يراع ذلك مع الأمم الوثنية لأن الوثنية لا تستند إلى نبوة ولا تتقدم على أصل من العقل أو النظر ، فما هي إلا عصارة من الأهواء والأوهام ، أما بقية الأمم فقد أثمر فيهم أسلوب الإسلام في الدعوة إلى الإيمان بالمرسلين كافة بغير استثناء فدخل منها في الإسلام عدد لا يروى التاريخ أنه دخل مثله في دين من الأديان في مثل هذه المدة القصيرة .

أليس من آيات الله الكبرى أن تدخل في الإسلام أمم كالفرس والرومان والتتار وغيرهم ، أجانب عن العرب والعربية ، ويكون لها القدح المعلي في رفع علم الإسلام

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥)

وفلك وبدره وبدر ولم نره لفصلة والظاهر أن هذه الكتابة من ابن حزم ، وقد كان ابن حزم أديبا واسع الاطلاع في اللغة فلعله اطلع على هذا الجمع لفصلة

وأذكر هنا أن أدباء الإقليم الشمالي يطلقون على الفصلة في الاصطلاح المعصري الفسيلة ، وهو إطلاق صحيح .

محمد علي النجار

في النسخة المطبوعة ما يأتي : د الفصل - بكسر ففتح جمع فصله بفتح فسكون ؛ كقصعة وقصع : النخلة المنقولة من محلها إلى محل آخر لثمر ، فتراه يجعل المفرد الفصلة بفتح الفاء وإن كان المتبادر من الجمع أن يكون المفرد الفصلة بكسر الفاء ، ولكن لما لم يوجد ذلك في اللغة اقتصر على ما وجد . غير أن جمع فصلة على فسل جمع عوز منه ما ذكره : قصعة وقصع ، ومنه حلقة وحلق وفلكة

مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

العلية الجديدة في نيجيريا

لِلأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب الأستاذ هيو سميت مدرس علم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية بكلية بروكن ، وساعدته في تأليفه الأستاذة مابل سميث مدرسة علم الاقتصاد بكلية مدينة نيويورك ، واسم الكتاب « العلية الجديدة في نيجيريا » ، يشير إلى موضوعه ، وهو استقصاء تاريخ الطبقة المتعلمة التي تستولي الآن على مقاليد الحكم في بلاد نهر النيجر بعد إعلان استقلالها منذ شهر أكتوبر من السنة الميلادية الماضية (١٩٦٠) .

وقد تناول المؤلفان دراسة أحوال النيجريين المسلمين بمقدار مساسها بهذا الموضوع في حدوده الواسعة ، فهما لا يبحثان في الدين الإسلامي ولا في شعائر الإسلام الدينية . ولكنهما يبحثان في الأحوال الإسلامية التي كان لها أثر اجتماعي سياسي في تكوين طبقة الرؤساء والقادة بين النيجريين ، ولا سيما أبناء الشمال من بلاد نهر النيجر ، لأنها مقر العشائر المسلمة هناك .

ألمع المؤلفان في مقدمة البحث ، للمساخ خفيفاً إلى الفارق بين الشمال والجنوب في عناصر الدراسة العامة التي تحيط بأطراف هذا الموضوع . فإن استجماع هذه العناصر في الجنوب سهل ميسور من الوجهتين الجغرافية والاجتماعية ، لأن مواسلاته الطبيعية كثيرة مفتحة الأبواب ، وشؤنه الاجتماعية لا تخفى على الأوروبيين بعد انتشار التبشير بين العشائر الوثنية وبحويل بعض أبنائها إلى المذاهب المسيحية ، ومنهم من ارتقى إلى مناصب القساوسة والاساقفة ، ومن أهلته معلوماته الحديثة التي استفادها من مدارس المبشرين لولاية الوظائف الحكومية والاختلاط بالرؤساء البريطان وسائر الزلا .

أما بلاد النيجر الشمالية فمواسلاتها الطبيعية غير مهيأة ، ولم يذكر المؤلفان أن الحكومة الأجنبية أهملت تذليل صعوباتها لحذرهما من التقريب بين عشائرها وقلة أطمئنانها إلى رؤسائها الدينيين المسلمين وندوة الموظفين

من أبنائها لإعراضهم عن مدارس التبشير ، ولكن هذا الإهمال من جانب الحكومة ملحوظ من مراجعة فصول الكتاب وإن لم يذكره المؤلفان .

ويضاف إلى صعوبة المواصلات صعوبة أخرى اجتماعية هي انتظام العلاقات السياسية والحكومية في أنحاء الشمال على قواعد

العادات الإسلامية ، ومنها الحجاب وشرائع الزواج والطلاق والميراث ، وقد يكون منها قلة الاختلاط بين قادة المجتمع ورؤساء الدراوين ، وندرة العارفين باللغة الإنجليزية من أبناء الشمال في أول عهد الاستعمار ، خلافاً للجنوبيين الذين أقبلوا على هذه اللغة وغيرها من اللغات الأوروبية واستخدموها لتفاهم بينهم عند تعذر التفاهم باللهجات الوطنية .

ويرجع المؤلفان إلى أقوال المؤرخين عن أصول العلية الأولين فيذكر أن أقوال المرجحين لقدمهم من بلاد البربر وأقوال الآخرين الذين رجحوا أنهم طوائف من أبناء صعيد مصر هاجروا إلى المغرب ثم إلى الجنوب منذ ستة قرون ، ولكن المحقق في العصور التاريخية القريبة أن قبائل زغاوة زحفت خلال القرن السابع للبلاد إلى وادي النيجر فاستولت على مقاليد الحكم حول بحيرة شادوما جاورها من الأقاليم الزراعية ،

وأشاعت بين هذه الأقاليم لغة وطنية تمتزج فيها العربية والبربرية وتستخدم الآن لتبادل المعاملات التجارية من غانة إلى بلاد القمرين . وقد كانت ذبابة مرض النوم حائلا دون القبائل المغيرة التي تعتمد على الخيل في غزواتها ، لأنها تصيب الخيل كما تصيب الإنسان .

وقد أطلق اسم « الفلانية » على المسلمين الوافدين ومن دخل معهم في الإسلام ، وظهر منهم من تسمى باسم أميين المؤمنين ، وهو « ساركن مسلي » ، في تلك اللغة الممزوجة بكثير من الألفاظ العربية والبربرية ، وتعتبر عشيرة « الهوسا » الفلانية أقوى طوائف النيجر الشمالية ، تعيش معها أكثر من عشرة بطون صغيرة يدين معظم أبنائها بغير الإسلام .

والفوارق بين الشمال والجنوب - كما تدل عليها معلومات المؤلفين - تتلخص في فارق واحد يشملها وقد يغنى القارئ العجلا عن تفصيلها : وذلك أن الآداب الدينية في الشمال أقوى وأعم من الآداب الوطنية أو النزعة القومية ، وعلى نقيض ذلك تشتد المطالب الوطنية في الجنوب وتضعف المقاومة الدينية ، وهو أمر معقول يوافق المنتظر من أناس ليست لهم ديانة ذات « دعوة » تقاوم دعوة المبشرين ، وليس بينهم عشيرة

الحكومية ، ونشطت منهم هيئة - على مثال النقابات - لجماعة المعلمين ، فأصبحت نواة للحركة السياسية وأسهم القائمون بها في الحركة الوطنية سواء إلى جانب الحكومة أو إلى جانب المعارضة ، بعد قيام الحكم الدستوري وإعلان الاستقلال .

وتألف العلية الشمالية من جماعة المتعلمين ومن كبار التجار وأصحاب المزارع والموظفين وربما سرى إليهم شيء من وعي « الطبقة » ، على اعتبارهم جميعاً حكماً أو مرشحين للحكم قبل إعلان الاستقلال أو بعد إعلانه ، ولكنهم على الرغم من وحدة الطبقة لا ينفصلون عن قبائلهم ولا يزال أدب التوقير والرعاية بين شيوخهم وشبانهم ، وبين كبارهم وصغارهم ، يجري على سنة الأسرة العريقة ولا يسمح للنزعات لمنظرقة بالظهور .

ومن الأحاديث التي نقلها المؤلفان في هذه المسألة ، وفيما يرتبط بها من مسائل الدرجات الاجتماعية - حديث منسوب إلى زعيم تنقل بين البلاد الأوروبية بضع سنوات وسئل عن آثار حياة المدنية في آداب قومه فقال : « إن الناس يفقدون إلى المدن طلباً للعلم أو طلباً للبال أو رغبة في المعيشة على مثال أفضل وأيسر من معيشة القرية الريفية العتيقة » . ولكنهم يظلون على الرغم من هذه الشواغل مستمسكين بإعدادات الاحترام والرعاية لكبراء

واحدة تستطيع أن تعمم عقائدها الدينية أو أساطيرها الموروثة ، بين جميع القبائل التي بقيت على الوثنية ... ويأتى بعد هذا الفارق الشامل فارق آخر يشمل الأقاليم الشمالية ويؤكد أن يضم الاعتبارات المحلية الجغرافية إلى اعتبارات العتيقة والآلة الاجتماعية ، وذلك أن طوائف المسلمين المعروفة باسم الفلانية تعودت أن تأوى إلى المدن المسورة وهي على الأغلب الأعم تخلق أسباب الوحدة « المدنية » بين سكانها ولو كانوا من نحل متعددة ، فإذا كان الدين الغالب هنالك بين أبناء المجتمع المدني ديناً قوياً يقابل دعوة التبشير بالمقاومة أو يقابلها بدعوة تماثلها فمن الطبيعي المنتظر في هذه الحالة أن تسودها الآداب الدينية الغالبة وأن تسرى غيرة الكثرة العظيمة على عقيدتها إلى شركائهم في الوطن من قبائل الوثنيين ، دفاعاً عن كياناتهم الاجتماعية أو السياسية مع جيرانهم من أبناء الكثرة القوية ، أو المسلمين .

وقد أحس الشماليون بما يتعرضون له من هضم الحقوق الوطنية وجرائر الابتعاد عن وظائف الدولة إذا طال اعتزالهم لمدارس التعليم الحديث ، فنهضوا لتدارك هذا النقص وأسسوا (سنة ١٩٢٣) جماعة أنصار الدين ثم نشروا فروعها في المدن الكبيرة وتمكنوا من الإشراف على المدارس الحكومية وغير

أن يذكر الإنسان باجتناب عبادة الإنسان ويحذره من التورط في الكفر بالتسوية بين الصلاة للخالق والصلاة للخلق ، ولكنهما لو ذكرا للخضوع أو للخشوع سببا آخر لكشفا عن سبب لا يرضيهما أن يعترفاه وفيه ما فيه من المساس بالحكم الأجنبي ونظام التبشير وعلاقته بالسياسة الاستعمارية في البلاد الأفريقية والبلاد الإسلامية منها على التخصيص .

فالسياسة البريطانية تقوم في المستعمرات على الحذر من أصحاب الدولة الأقدمين وعلى الحذر قبل ذلك من الثقافات الاجتماعية التي تقاوم ثقافة الأجنبي وتوحى إلى أبنائها مذهبا من مذاهب الحكم والنظام يعارض المذهب الطارئ عليهم من أساسه ويستطيع أن يزود المحتومين بنظام يناظره ويتحدها . وقد صرح أساطين الاستعمار البريطانيون بمخطمتهم السياسية — الهندية — هذه غير مرة ، فقال لورد ألبرو : ليس يسعى ان أغمض عيني عن اليقين بأن هذا العنصر الإسلامي عدو أصيل العدواة لنا وأن سياستنا الحقنة ينبغي أن تتجه إلى تقريب الهنديين .

وهذه الخطة بعينها هي الخطة التي جرت عليها السياسة الاستعمارية بين الأفريقيين كلما صادقتهم كثرة إسلامية تجاورها قلة متفرقة

السن والمقام . . . ويحبون أن يحتفظوا بالتراث القديم .

وقال زعيم آخر من أسرة حاكمة : إن للشعور بأواصر العشيرة يتغلغل في أعماقنا . وتقوم عليه قواعد حياتنا السياسية ، وهو القوة المسيطرة في البلاد النيجيرية الآن .

والمؤلفان ينسبان إلى التقاليد الإسلامية تخلف الشمال في حركة لمقاومة ، أو حركة المعارضة للحكم الأجنبي ، ويقولان بعد الإشارة إلى النظام الإقطاعي : إن بلاد الشمال الإقطاعي يندر فيها المتعدلون من الطبقة العالية وهم — على الجملة — حذرون متأدبون ، بل خاضعون أحيانا في علاقتهم بالحكام البريطانيين وما يؤخر ظهور البرزعة المستقلة بينهم أن المناصب الكبرى هناك يشغلها البريطانيون . وقد عودتهم مأثوراتهم الإسلامية عادات الاحترام من التسليم والسجود والانحناء وخلع النعال ، حتى ليغلب عليهم دون التفات منهم إلى ما يصنعون أن يبادروا إلى توقيف كل من هو أرفع مقاما كيفما كان ، وأعرب ما في هذا التعليل أن يفهم المؤلفان أن خشوع المسلم في صلاته يعود أن يسجد لغير الإله المعبود ، وقد كان الأخرى بهما أن يعلما حقيقة فلا يفوتهما أن هذا الخشوع في موقف العبادة خالق

إلى اتباع النظم الدستورية والتعاون مع الزعماء الوطنيين الذين تنتخبهم شعوبهم ولا يتأق للحاكم الاجنبي أن يتخطاهم مهما يبلغ من تلفيق الدسائير وتزوير الانتخابات ، فكان الاعتراف بزعماء المسلمين قضاء محتوما لا سبيل إلى اتقائه بغير الحيلة والمحاسنة ، وكان من أساليب هذه المحاسنة أنهم أخذوا يرحبون بأبناء العلية الأولين ويشجعونهم على إتمام دروسهم بالجامعات الانجليزية ، وثابروا عدة سنوات على اختيار أربعة من طلاب الجامعات في كل سنة يتكفلون بهم ويسندون إليهم كبار المناصب بعد عودتهم إلى بلادهم ، ومنهم السيد أبو بكر طفاوة أول رئيس وزارة تولى رئاسة الحكومة الاتحادية بعد إعلان الاستقلال منذ ستة شهور .

وقد أراد الاستعمار أمراً وأراد الله غيره ، فكان أسبق النيجريين إلى ولاية الحكم بين أبناء وطنهم أولئك الذين أقصاهم المستعمرون عنه ودبروا بالأمس تدبيرهم الطويل لنفيهم عن الكبير والصغير من وظائف الدواوين ؟

عباس محمود العقاد

من الوثنيين أو غير المسلمين على العموم ، فإنهم يتعمدون إقصاء الروس المطاعين بين العشائر المسلمة ولا يبالون أن يتبعوا خطة السباحة والإغصاء مع القبائل الوثنية المتفرقة ، لأنها لا تستطيع أن تقابلهم بإجماع متجانس يخافون عقابه . فإذا تولى وظائف الدواوين من أهل نيجيريا الشمالية أناس مستضعفون لا يحدون لهم رموساً من أبناء جلدتهم يطيعونها ويأتمرون بأمرها فهذه هي ذلة المستضعف أمام السادة الاجنبيين ، ولا حيلة للواحد أو الاثنين أو الثلاثة من علية الوطنيين المقبولين عند أولئك السادة غير الخشوع والاستسلام . وقد يكون الخشوع والاستسلام ديدناً معروفا عنهم قبل أن يظفروا برضوان المستعمر واطمئنانه فيعهد إليهم بالوظيفة المرموقة ولو كانت ذات شأن خطير يخشاه المستعمر إذا تولاه المحكومون غير المأمونين .

واطردت هذه الخطة السياسية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم تقرر نظام الوصاية والانتداب فاضطر الحكام الأجانب

مُحَمَّدٌ أَفْزَى الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

من وصي الإمام :

موكب النور

للاستاذ محمد إبراهيم محمد نجبا

إلى السائرين نحو بيت الله ومسجد
الرسول ، يحملهم الحب ويدفعهم الإيمان ..
أهدى هذه القصيدة :

موكب هز خاطرى وجناتى وأثار الحنين فى وجدانى
ودعانى إلى البيان ، فهذا ذوبُ قلبى سكبته فى بيانى
موكب الحب للذى خلق الحب (م) وحلى به بنى الإنسان
موكب الحب للرسول الذى جا لنا بالهدى وبالفرقان
صاغه الله من سناه شعاعا باهر النور ، ساحر الألوان
لم تجده مثله القلوب ، ولم تده نظر إلى مثله العيون الروانى
وبراه من رقة وصفاء وسلام ورحمة وحنان
فهفت نحوه القلوب سراعا كطيور تجدد فى الطيران
ثم حامت عليه وهى ظاء فسقاها من نبعه الريان
ومضت نحوه الجوع تعانى من هواها وشوقها ما تعانى
موكب حاشد الوفود رحيب هو رمز لعزة الإيمان

وقلوب مرنحات من الشوق ، سكارى بغير بنت الدنان
 شربت خمره ، الحقيقة ، ، واهبت على ذكر ، مبدع الأكوام
 كل من ذاقها فقد عاش ما عا ش ، بعيداً عن حرقة الظمان
 ووجوه تكاد تنطق بشراً حين نالت ما تشتهيها الأمانى
 والدفوف التى ترن رنيناً هو أشهى من رنة العيوان
 هادى* الواقع فى القلوب ، مثير حين نصفى إليه بالآذان
 يملأ النفس بالخشوع ، فتبكي بدموع لم تبدها العينان
 والزغاريد وهى تأسر قلبى والأغانى ، وما أرق الأغانى !
 موكب هزنى ، فغنى فؤادى وشعورى بأعذب الألحان
 كل لحن فيه ضراعات مشتتاً ق ، وأشواق ضارع ولهان
 موكب فجر الحنين بقلبي ومضى فى رعاية الرحمن
 ليت من جمع المواكب ليلاً ودعاهما إليه كان دعانى

* * *

يا ديار ، الحبيب ، قلبي ينادي
 يا ديار الحبيب قد شفنى النأى
 يا ديار الحبيب هل يأذن الله
 حيث أقضى شعائر الله مسرو
 وأرود الصحراء وهى لقلبي
 صاعداً فى الجبال حيناً ، وحيناً
 لك ، وروحى ومهجتى وكيانى
 ي ، فتقولى : متى يكون التداوى
 له ، فألقاك مرة فى زمانى ؟
 را بما نلت من الرضوان
 موطن الشعر والهدى والأمان
 هابطاً فى السهول والوديان

* * *

ذاك حلم لو نلته فى حياتى
 يا ديار الحبيب زرتك بالرو
 قلت : حسبى ما نلت وكفانى
 ح ، وإن كنت ثاوراً فى مكافى

ابراهيم محمد نجما

آراء وأحاديث

وقد كان عيد الفطر هو اليوم الأول الذي يذكّرنا بوضع حجر الأساس للبناء الشامخ لصرح هذه الأمة الإسلامية ، فقد وضع هذا الأساس بقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » ، يوم أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيراً . وهكذا كان عيدنا الأكبر بما اشتمل عليه من الأسس القويمة والمبادئ العالية هو اليوم الذي وصل فيه المسلمون إلى أرقى درجات الكمال وإلى أعلى قمم المجد الاجتماعي ، ففيه تلکم الذكريات التي تسجل الماضي ، وتشرح الصدر للمستقبل .

فهنا وهناك في عرقات يستمع المسلمون بأذان القلوب إلى صوت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخاطب آباءهم وهم في أصلاهم يحمل لهم رسالته ويحثهم على صدق الإيمان وكمال المعرفة بحقوق الله وحقوق العباد ، ثم يستشهدهم فيشهدون أنه بلغ ، وأدى ، ونصح ، ويرفع لإصبعه السبابة إلى السماء ثم يشير بها اليوم وهو يقول : « اللهم أشهد ، اللهم أشهد ، اللهم أشهد » .

ولا شك أن الرسول قد أشهد علينا مولاه أنه بلغنا ، بلغنا المبادئ والمثل ، بلغنا أن

من الشيخ الأكبر إلى العالم الإسلامي :

لقد أراد المولى سبحانه أن يجعل لنا من عيدنا الأكبر ذكرى للمسلمين تعيد إليهم صورتهم يوم أن أكمل الله لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ، وقد جاء ذلك فيما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » . هذه الآية الكريمة تسجل ماضى الأجداد وتبسط الحياة في مستقبل المسلمين ، وتركز المثل العليا في قتها ، والمبادئ العالية على أعلى درجة فيها . هذه الآية الكريمة التي ما كاد يهودى يسمعها إلا ويقول لمن يحدثه من المسلمين : « إن في كتابكم آية لو نزلت علينا - معشر اليهود - لاتخذنا يوم نزولها عيداً ألا وهى « اليوم أكملت لكم دينكم » فقال عمر بن الخطاب مدرك أسرار التنزيل (ومن أنت يا هذا ؟ ما يدريك أننا لم نتخذ يوم نزولها عيداً ؟ لقد اتخذناه) واليوم الذى بعده عيداً (يومى عرفة والنحر) . وفى الواقع أن هذا العيد في تاريخ المسلمين هو يوم الإكمال والإتمام للنظم والقوانين الشرعية التي أراد الله أن يبنى جماعة المسلمين على أساس منها .

ذكريات تشد أزهم لإعلاء شأنهم والرمي بالاضلال والبهتان في غيايب الأرض ، وبذا تطمئن الإنسانية ، وتنعم بالسلام عامة . ويتحرر كل راغب في الحرية ، وتصبح إفريقيا للإفريقيين ، وآسيا للأسويين ، وهكذا يتم الله نعمته على الخلف كما أتمها على السلف .

فسيروا على سنة آبائكم تصلوا إلى درجة المجد الذي وصلوا إليه ، والله يهيئ لنا ولكم سبل العزة والكرامة ، ويمنح الإنسانية جمعا آمنا وطمأنينة حتى تهدأ الضمائر وتسكن القلوب ، وتطمئن النفوس للحياة الطيبة الكريمة ، حياة التعاون والتراحم والمحبة .

حقق الله لنا ولكم الحرية والمجد ، وأذل قوى البغي والطغيان ، يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم ، اعلوا أن الله يحبي الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون .

ولمنا لتبعث إلى إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الصادقة والدعوات الخالصة ، أن يعيد الله عليكم هذا العيد باليمن والرخاء والأمن والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

الرئيس مطر بوس بزور شيخ الأزهر:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبته

نكون أمة متحابين في الله متعاونين متراحين ، في صف واحد وفي قوة واحدة ، ننصر الله في أنفسنا فنتجرد عن الشرك ، ونخلص هقيدتنا لله وحده ، ونكون يدا قوية على من هادانا ، نقهر كل ظلم وطغيان ، ونرد كل بغي واستعباد ، لأننا أبناء الدين الذي بث الحرية في نفوسنا ، وثبت دعائمها في حياتنا ، لا نعبد إلا إياه سبحانه ، ولا نستعين إلا به .

إن قوتنا نستمدّها من كتاب الله ، فلا نبقي في أراضينا الطيبة خبيثا من هؤلاء المستغلين ، فنصر الحرية في كل مكان ينشدها ويطلب حقه منها فيعود أبناءنا وإخواننا إلى فلسطين التي ما زالت ولا تزال عنوانا صارخا على ظلم هؤلاء الطغاة الآثمين الذين شردوا الآلاف المؤلفة .

وبعد : فما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم في كل حين أجمل الذكريات التي تنبه وعيهم وتحبي ضمائرهم وتجري في أجسادهم وقلوبهم وعقولهم مجرى الدم في العروق ، فتدفعهم إلى العمل والتعاون والوحدة في ثوب من التعاطف والتراحم ليكونوا أمة واحدة على قلب رجل واحد ، فيظفروا بحريتهم الكاملة ، ويتخلصوا من براثن الشرك التي ورثهم إياها الاستعمار ، وليتحرروا من سلطان الأجنبي الذي يهاجمهم في كل آن في عقائدهم وشرائعهم وشؤونهم الاجتماعية . ما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم

لأننى أشيد بجهود الأزهر ، وأذكر بكل
نحر مدى الجهود التى يبذلها الرئيس جمال
عبد الناصر من أجل دعم السلام العالمى ،
ومن أجل صالح الإنسانية — وخاصة فى
منطقة البحر الأبيض المتوسط ، لقد عرفت
فيه قائدًا عظيمًا ومصلحًا كبيرًا وأكرر لكم
شكرى وامتنانى على هذا الاستقبال الرائع
وأعاهدكم على أن نعمل من أجل البشرية
ومن أجل السلام فى أنحاء الأرض .

ولننا ندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية
لتنظروا فى خدمة الأزهر تخدمون هذه الجامعة
كما خدمتموها فى الماضى .

فقال الأستاذ الأكبر هذا عهدى معكم —
وتصافح الضيف والمضيف — هذا عهدى
معكم لتتعاونون ونعمل من أجل الإنسانية
السكاملة ، عهدى معكم لنعمل على تحقيق
السلام العالمى ومن أجل الحرية فى كل مكان .
إن الإيمان بالله يقضى بخدمة الإنسانية
ونحن جميعًا مؤمنون بالله ، والإيمان بالله
يقضى بالعمل على تأكيد الحرية ، حرية الملك :
حرية البيت ، حرية الرأى : كل نوع من
أنواع الحرية التى خلق الله الإنسان عليها .

عاونونا على هذا لننقذ الإنسانية من
ورطتها يكن لنا وإكم الفضل الأكبر عند
الله يجب أن نتكامل وننظر إلى الإنسان
المعذب . أين هو :

فى الجزائر لإنسان معذب ، فى فلسطين

فى الخامسة من مساء الاثنين ٦/٥ / ١٩٦١
سيادة الرئيس مكارىوس رئيس جمهورية
قبرص ، يرافقه الدكتور كمال رمزى استينو
وزير التكوين ، والسيد وزير خارجية قبرص
والسيد سفير قبرص فى القاهرة ، والأستاذ
عبد الحميد الحاج أمين القصر الجمهورى ،
والسيد مدير المكتب السياسى للسيد الرئيس .
وقد رحب فضيلة الأستاذ الأكبر بالضيف
الكبير قائلا : د لقد سر الأزهر بزيارتكم ،
وإن الأزهر هذا الذى ظل عشرة قرون
يدعو للسلام والحرية ، يرحب بكم ، ويدعو
لكم بالنصر فى مستقبل حياتكم كما نصركم الله
فى ماضى حياتكم ، أتمم ورؤساء الجمهوريات
الذين يعملون من أجل البشرية جمعاء .

هذان شعبان متحابان ، على رأسهما
رئيسان متحابان : الرئيس مكارىوس رئيس
جمهورية قبرص ، والرئيس جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، إن الأزهر
يرحب بكم ، وعلماء الأزهر يرحبون بكم ،
ويأملون أن تستمروا فى كفاحكم من أجل
الإنسانية ولتقفوا دائما هكذا .

وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان .

فقال الضيف الكبير : د لأننى جدد سعيد
بهذه النهضة الطيبة ، وهذا الاستقبال الرائع
الذى يعبر عن عميق ثقة وإيمان .

وابنته ، دكتور . و . كون وزوجه ،
مستر تشارلس لويس وزوجه ، دكتور م .
ل . شين وزوجه ، مستر روبرت مودى
وزوجه ، مستر جوليمان وزوجه ، مستر
لندى وزوجه ، دكتور ملدرد هاوارد
وزوجه ، دكتور جين هاسلدين وزوجه .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر
وشكرهم على هذه الزيارة ، قائلا : إن الأزهر
إذ يستقبل فيكم ممثلين للعلوم على اختلاف
أنواعها في الجامعة الأمريكية لبرسه أن يفتح
صدره لكل زائر حتى يتعرف العالم على مدى
نشاط الأزهر الثقافي والديني ، وما يشعه
من معرفة على العالم أجمع .

فقال مستر مودى أحد أعضاء الوفد : لقد
سرنا أن لمسنا نشاط الأزهر في مدينة البعوث
الإسلامية . وعجبنا لأنها تضم أكثر من
خمسين جنسية من مختلف بلاد العالم ، وسعدنا
بحسن نظامها وتنسيقها ، وتوفيرها كل
أسباب الراحة والاستقرار لطلاب البعوث
الإسلامية ، كما سرنا ما شاهدناه في الجامعة
الأزهرية وكلياتها من تقدم وخاصة في قاعة
المحاضرات الأزهرية الكبرى وما تؤديه من
رسالة ثقافية لشعب الجمهورية العربية . كما زاد
من إعجابنا المكتبة الأزهرية وما تضمه من
 ذخائر الكتب في جميع العلوم والفنون .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن ما شاهدتموه

إنسان معذب ، في كل جهة من جهات الأرض
إنسان معذب .

إن الأديان السماوية كلها تدعو إلى الحرية
والتعاون وإلى استئصال الظلم والطغيان
حيثما كانا .

فلنعمل جميعاً على هذا العهد إن شاء الله .
« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه » . يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله
وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

قال السيد الزائر إن هذه الزيارة ستظل
في سجل حياتي ؛ لأنها قد هزت أوتار قلبي ،
فقد سررت بهذا الاستقبال من علماء أكرم
جامعة يعرف فضلها المسيحيون كما يعرفه
المسلمون . ثم انصرف شاكرًا الأستاذ الأكبر
على هذه الحفاوة البالغة معبراً عن عظيم
سروره وسعادته .

**الأستاذ الأكبر يستقبل وفداً من
أساتذة الجامعة الأمريكية :**

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر وفداً من
أساتذة الجامعة الأمريكية بالقاهرة لمناسبة
عودتهم إلى بلادهم ، يرافقهم الدكتور عبده
الحولى أستاذ علم الاجتماع المساعد بالجامعة
الأمريكية ، ومدرس اللغة الإنجليزية بمعهد
الإعداد والتوجيه ، وهؤلاء الأساتذة هم : -

دكتور روبرت فرنيا وزوجه ، دكتور
كارل ليدن وزجه ، مستر جيزى ستيوارت

الأخرى فيما يخدم البشرية ، ويقودها إلى سلام دائم واستقرار أكيد ، كما يرحب بتبادل الأساتذة والكتبة الثقافية مع جامعات العلم . وسأل أحد الأعضاء فضيلته عن أثر الرحلة التي قام بها إلى الملايو وأندونيسيا والفلبين . فقال فضيلته : لقد كان الغرض من الرحلة توطيد العلاقات الودية والثقافية بين المسلمين ، ليفهموا ألا حواجز تفصل بين العالم الإسلامي ، وأن المسلم في الجمهورية العربية أخ لكل إنسان في أى بقعة من بقاع العالم ، تحقيقاً لدعوة الله إلى عباده في قوله : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم » . ثم قال عضو آخر : إننا جدد سعداء بهذه الزيارة الطيبة التي تفضلتم بإتاحتها لنا ، كما نشكر الظروف التي هيأت لنا الدكتور عبده الخولى وهو من خريجي الأزهر ، نشكره لأنه يمثل الأزهر في الجامعة ، وبذلك صار فاتحة لإقامة علاقات ثقافية وودية بين الأزهر والجامعة الأمريكية في القاهرة . فقال الأستاذ الأكبر : إنه ليسرني أن يكون حلقة اتصال بين الأزهر وبين الجامعة الأمريكية ، فالأزهر يسعد دائماً أن تقوى الروابط بينه وبين جامعات العالم . ولعلم الناس أن الأزهر تتسع أروقه لكل من يشاء الانتهال من منهل ، بغض النظر عن الجنس واللون والطائفة وغيرها .

لهو ثمرة التعاون الوثيق بين رجال الأزهر ، وثمره توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر ، واهتمامه بالأزهر وطلاب البحوث الإسلامية . ثم أضاف فضيلته : إن الأزهر منبع إشعاع إنساني للعالم بأسره ، فله مراكز ثقافية في الولايات المتحدة ، وكندا ، ولندن ، وغيرها ويتطلع الآن لتعميم مراكزه الثقافية في جميع أنحاء العالم .

ثم سأل أحد أعضاء الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر عما إذا كان الأزهر يقبل الطلاب الذين يدرسون المذهب الشيعي في رحابه . فأجاب الأستاذ الأكبر : كان الأزهر من قبل لا يقبل إلا من يدرسون أحد المذاهب الأربعة ، ولكننا رفعنا هذا الشرط المذهبي الذي ليس من ورائه إلا التفرقة المذهبية . أما دراسة المذاهب على اختلافها في الرأى ووجهات النظر فالغرض منها الاطلاع على أفكار العلماء وآرائهم ووجهات نظرهم الباحثة المتعمقة ، وليس من شك في أن الإسلام ليس فيه مذهبية ولا طائفية ، ولكن المذهبية قد تعددت بتعدد الأفهام . والمرجع الأول لهذه الأفهام والآراء الكتاب والسنة . وسأل عضو آخر من أعضاء الوفد فضيلته قائلاً : هل هناك علاقات ثقافية بين الأزهر والجامعات الأخرى .

فقال الأستاذ الأكبر : إن الأزهر يحرص على إقامة علاقات ثقافية بينه وبين الجامعات

النشاط الثقافي للأزهر

إنشاء فصول جديدة للدراسات الإسلامية :
ملحقة بمعهد الإعداد والتوجيه
لخريجي الجامعات

لهم رغبة أكيدة في الكتابة عن الإسلام
ومعرفة الكثير عنه ، والإحاطة بالمذاهب
الإسلامية المعاصرة حتى يخلق منهم دعاة صالحين
للإسلام أينما كانوا .

وبذلك يتيح الأزهر لكل المثقفين من أبناء
الجمهورية العربية المتحدة ؛ لحل مشعل الثقافة
الإسلامية المستنيرة ، ونشر القيم الإسلامية
الفاضلة ، وزيادة في تعميق هذه الفرصة أبيض
الالتحاق في هذه الفصول للراغبين في الدراسة
من الجنسين . كما تقرر أن تكون مواد الدراسة
مستمدة من التراث الإسلامي الصحيح ،
وأن يكون الهدف من دراسة المواد الجديدة
هو مساعدة الدارسين على تفهم الفكر
الإسلامي والقيم الصحيحة ومن ضمن
هذه المواد :

التاريخ الإسلامي .

تاريخ الفكر الإسلامي .

المذاهب الإسلامية المعاصرة .

مقارنة الأديان .

صلوات الإسلام بعالم اليوم والغد .

موضوعات منتخبة من الفقه الإسلامي .

كما تقرر إنشاء فصل للدراسات الإسلامية

واقف فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر على إنشاء فصول جديدة تلحق بمعهد
الإعداد والتوجيه بالأزهر لقبول دارسين
جدد ممن يحملون مؤهلات دراسية عالية
من الجامعات أو من المعاهد العليا .

وبتيسح إنشاء هذه الفصول الفرصة لراغبي
التعمق في الموضوعات الإسلامية من خريجي
الجامعات والمعاهد العليا رجالا ونساء ،
ولمن يريد أن يتمكن من فهم الدين ورسالة
الإسلام فهما صحيحاً . وتتناول هذه
الدراسات الدراسة الموضوعية واللغوية
والفقهية والفلسفية ، ومستقرب هذه الفكرة
بين الاتجاهين الديني والعلي ، كما تتناول
دراسة المجتمع الإسلامي المعاصر في شتى
جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية
والأدبية وغيرها .

وقد تقرر إنشاء هذه الفصول لما لوحظ
من أن بعض المتخرجين في الجامعات الأخرى

علية إسلامية في بلاد الشرق الأقصى ،
ويضيف الزائر بأن بعض المسلمين في أندونيسيا
أسفوا لأنهم لم تتح لهم الفرصة لرؤية الأستاذ
الأكبر نتيجة لقصر المدة التي قضاها فضيلته
في أندونيسيا وهم يأملون أن تتكرر
هذه الزيارة حتى يتمكنوا من لقاء الأستاذ
الأكبر والتحدث إليه .

وقد طلب الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر
بيانات عن الأزهر ، والمناهج التعليمية
التي تدرس بالأقسام الابتدائية والثانوية
والجامعة الأزهرية وجميع الكتب المقررة .
وقد أجابه فضيلته إلى طلبه في الحال ثم حملة
خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع أبناء
أندونيسيا متمنيا التوفيق للجامعة الإسلامية
الحكومية في جاكرتا .

مبعوثو الأزهر بأندونيسيا

(يلقون محاضرات في الملايو)

وافقت مشيخة الأزهر على أن يزور
الأساتذة مبعوثو الأزهر إلى أندونيسيا
الكلية الإسلامية العليا في الملايو ، وعلى
أن يتحمل الأزهر نفقات سفرهم من
أندونيسيا إلى الملايو ذهابا وإيابا . وكانت
هذه الدعوة بناء على طلب الأستاذ محمد
عبد الرؤوف عميد الكلية الإسلامية
ومبعوث الأزهر في الملايو لإلقاء بعض
المحاضرات هناك .

وتعليم اللغة العربية ضمن هذه الفصول لرجال
السلوك السياسي على أن يلاحظ قوة العناية
بأمر اللغة العربية وتجويدها حتى يمكن
الاستعانة بها على التعرف الدقيق إلى المفاهيم
الإسلامية . فإن فضيلة الأستاذ الأكبر يرى
أن تعلم اللغة العربية فرض لازم ؛ لأنها السبيل
الوحيد إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله
واستنباط الأحكام الإسلامية .

وقد رشح الأزهر لذلك نخبة ممتازة
من رجال الفكر والقانون لإلقاء محاضرات
لتوضيح الجوانب الثقافية المشار إليها .

الأستاذ الأكبر مستقبل عميد كلية التربية
في الجامعة الإسلامية الحكومية
في جاكرتا بأندونيسيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه
السيد / محمود يونس - عميد كلية التربية
في الجامعة الإسلامية الحكومية في جاكرتا
بأندونيسيا يرافقه الدكتور محمود هدايت -
المستشار الثقافي لسفارة أندونيسيا
في القاهرة .

وقد عبر الضيف عن عظيم شكره وشكر
أبناء أندونيسيا لفضيلة الأستاذ الأكبر
على زيارته لأندونيسيا التي وثقت علاقات
الود والإخاء بين المسلمين ، وكانت ثورة

وهؤلاء الأساتذة هم :

- ١ - الشيخ حسن محمد حسن بيوى .
- ٢ - محمد أحمد السنباطى .
- ٣ - على هلى الختاني .
- ٤ - أحمد مرغنى محمد عيسوى .

الرسمية في المغرب :

وجهت الجامعة المغربية الدعوة إلى السيد الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر لإلقاء عدد من المحاضرات الإسلامية والثقافية على طلبتها وعلى جمهور المغرب للشقيق فى المدن الكبرى . وقد استجابت مشيخة الأزهر لهذه الدعوة ، ووافقت على سفر سيادته إلى المغرب توثيقا لمرى المحبة وشائج القربى ودعمًا للروابط الثقافية والروحية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المغربية للشقيقة .

وقد سافر سيادته فى ١٩ من شوال سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٥ من أبريل سنة ١٩٦١ م تلبية لهذه الدعوة ، وألقى كثيرًا من المحاضرات فى الجامعة المغربية وجامعة القرويين ومدن : الرباط ، وفاس ، وطنجة ، وغيرها ، وكانت محاضراته حديث الأوساط العلمية والدينية ، وحديث جمهور المغرب الذى استمع إليها . ثم عاد سيادته فى ٢٩ من ذى القعدة سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٦ من مايو سنة ١٩٦١ م بعد رحلة موفقة فى خدمة الثقافة الإسلامية والوحدة العربية .

رصد مبعوث الأزهر فى المغرب إلى الفلبين

قام الأستاذ محمد عبد الرؤوف مبعوث الأزهر بالملايو وعميد الكلية الإسلامية العليا هناك برحلة إلى الفلبين بناء على دعوة السيد السناتور أحمد ألونتو رئيس الهيئات الإسلامية فى الفلبين لحضور حفل التخرج لكتليات كامل الإسلام وفروعها فى مدينة مرواي عاصمة منطقة لاناد بجزيرة مندناو بالفلبين .

وقد غادر الأستاذ محمد عبد الرؤوف كوالا لمبور بالطائرة إلى مانىلا وألقى حديثًا على جمع كبير من المسلمين هناك كان موضوعه « العناصر الأساسية للعقيدة الإسلامية » وقد تبسّع الحديث مناقشة طويلة أجاب فيها الأستاذ محمد عبد الرؤوف عن كثير من الأسئلة .

وقد زار أيضا المناطق الإسلامية الآتية : سامبونجا ، جزيرة باسيلان ، جزر صولو . وقد ألقى محاضرة بجامعة الفلبينيين فى مانىلا فى ٤ أبريل سنة ١٩٦١ .

الكتاب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

كما ختم الدراسة بترجمة مركزة لكبار علماء الإسلام من مجتهدين ومحدثين : كالأئمة المجتهدين الأربعة ، وأصحاب كتب الحديث المشهورين . .

الكتاب دراسة واسعة شاملة ، بدأ فيها الجهد الشاق الذي بذله فضيلة المؤلف ، فالموضوع دقيق له خطورته ، وأنت إذا قرأت كلمة المستشرق «جسب» : إن الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن. ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء . !

إذا قرأت هذا ، وضح لك أية نظرة خبيثة يسلمها الأعداء على كيان التشريع ، وأى واجب يفرضه الإسلام على المسلمين ليبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن السنة ، المصدر الثاني للتشريع الإسلامي . .

وفي الكتاب ظهر جهد المؤلف في مناقشة الآراء القديمة للشيعة والخوارج والمعتزلة ، والآراء الحديثة للمستشرقين والمبشرين والكتاب المسلمين المحدثين . . كما ظهر جهده

١ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

للدكتور مصطفى السباعي

المؤلف ليس بحاجة إلى تعريف ، فهو ليس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق ، وأستاذ الأحوال الشخصية في كليتي الشريعة والحقوق هناك . وكتابه هذا هو الرسالة التي تقدم بها لنيل الشهادة العالمية من درجة أستاذ . هذه الدراسة تتناول في الباب الأول : معنى السنة وتعريفها وموقف الصحابة منها ، كيف نشأ الوضع فيها ومتى وأين ؟ جهود العلماء لتثبيتها وتصحيحها ، وتتناول في الباب الثاني : ما تعرضت له السنة من شبه وخصومة ، قام عليها قديماً فرق كالشيعة والخوارج والمعتزلة ، وحديثاً آخرون كالمستشرقين والمرحوم الأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ أنوريه ، وتتناول في الباب الثالث والآخر : مرتبة السنة في التشريع الإسلامي .

وقد مهد للبحث برد ومناقشة لما كتبه الأستاذ محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة

البعض الآخر، وهدف المؤلف من دراساته كما ذكر في مقدمته أن يوفى هذا البعض المهمل قدرا من الوفاء، دفعت رات الكتب ألفت في تاريخ وطننا العربي منذ مئات السنين ولكن السمة الغالبة عليها جميعا أنها تؤرخ للبلوك والحكام والوزراء والعلماء وأصحاب الذكر والوجاهة والتصدر، ولكنها لا تحفل بسواد الناس وعامتهم...

فوق أرض المكسيك سجلت فرقة مصرية سودانية في القرن التاسع عشر قصة من قصص البطولة، أرسلها خديو مصر سعيد باشا لتعين نابليون الثالث في حربه ضد المكسيك... ورجال حاميتي حصن الألة، والاستبالية، خلال عدوان إنجلترا على مصر في معركة عراقى، سجلوا موقفا خالدا رائعا في الدفاع عن الحصن في الإسكندرية... وفى أواسط القرن الثالث الهجرى سجل صاحب الزنج دورا من البطولة مشرفا في تحرير العبيد، وكانت ثورته شيئا فريدا نادرا.

وعلى يد «على بك الكبير» حققت مصر استقلالها، ووحدت البلاد العربية، وإن لم يكن مصريا إلا أنه وغيره من الممالك كانوا في ذلك العهد يعتبرون أنفسهم مصريين^(١). والمعلم يعقوب زعيم القبط... والجبرتي،

[١] كان المصريون يرون هذا الرأي في الممالك أيضا. والجبرتي - مؤرخ العاطفة المصرية - يسمي الممالك: الأمراء المصرية «مؤلف الكتاب».

في مناقشة آراء علماء الإسلام المخلصين التي يلقى بعضها جانبا من الشبهة أو شبه الشبهة... ولكن لنا ملاحظتين:

إحدهما: أن المؤلف حين ترجم لأصحاب كتب الحديث، كانت ترجمته غاية في الإيجاز، وما كنا نطلب إسهابا في دراسة شخصياتهم، بقدر ما كنا بحاجة إلى توسع في دراسة كتبهم. وأما الملاحظة الأخرى، فهي تتعلق برده على الشيخ أبي رية، فالمؤلف بنى رده عليه على أساس إساءة الظن به، وهذا ما لم نكن نتوقعه من عالم يملك علما وحبّة ومنطقا. فالشيخ أبو رية قال في إهدائه الكتاب لابنه: «ما قصدت بتأليفه إلا وجه الحق...» وابنه في جواب الحق، كما ختم بحمته بقوله: «وما دام عملنا قد جهلناه خالصا لوجه الله تعالى فإننا لا نطلب عليه من غيره أجرا...» وهذا يكفى لحسن نية الشيخ أبي رية، والله وحده يتولى السرائر...

٢ - بطولات عربية:

للأستاذ محمود الشرفاوى: سكرتير تحرير مجلة الأزهر.

جال الأستاذ الشرفاوى بنا جولة تاريخية، جاءت في أسلوب قصصى طريف، أبرز فيها معالم البطولة العربية لعدد من الكهول والشباب، أدوا أدوارا خالدة في الكساح والنضال، خلد التاريخ البعض، وأهمل

فوق أرض غريبة عن أرض الوطن ، لا يمكن أن تلحقها البطولة إلا من زاوية ضيقة ، هي احتلالها المشاق في قتالها تحت راية عدوان أثيم ... ولا يمكن أن نضع هذه الفرقة بجانب فرقة الأبطال المغاربة التي قادها الأمير محمد الكيلاني إلى مصر لتقف بجانبها ضد عدوان فرنسا .

ثم المعلم نقولا الترك أى زاوية من زوايا البطولة يمكن أن نضعه فيها ، وقد قدم من لبنان ليعمل لحساب فرنسا ، ولا يمكن لعبارة سجلها وأشاد فيها ببطولة المصريين أن تؤهله للبطولة بحال من الأحوال (١) .

والاستاذ الشرفاوى في تمهيدته للبحث عاب التاريخ لأنه سجل للوك والوزراء والقادة ، وكنا نود أن تقتصر دراساته على المجنولين الذين أهملهم التاريخ ، ولكن يظهر أنه نسي

== إلى المكسيك شرحها في الكتاب - ص ١٠ -

ولا تعارض بينها وبين ما أبدت هذه الفرقة من البطولة والعرف . المؤلف

(١) لم أصف نقولا الترك بالبطولة ، ولا يمكن أن يكون ذلك . وقد ترجمت له ترجمة وافية في الكتاب : « ص ١٦٤ - ١٦٦ » . والفصل الذى يشير إليه الأستاذ الناقد عنوانه : « الفضل ما شهدت به الأعداء » ، والأعداء هنا هم نقولا الترك والفرنسيون الذين يتجمع لهم ويمدح قائدهم نابليون . والبطولة هي الأعمال التي قام بها المصريون بعامة والقاهريون بخاصة ضد نابليون وجنوده ، وهذا كله واضح مما كتبت في هذا الفصل المؤلف

أدى الأول دورا سياسيا والآخر دورا أدبيا حيث أرخ بشجاعة وبطولة لفترة من الفترات الحالية ...

والأمير محمد الكيلاني قاد من طرابلس كتبية ليدافع عن مصر خلال غزو نابليون وسجل دورا من البطولة النادرة .

و « أبو نضارة » ، أدى دورا من البطولة بقلبه ، كتب المسرحيات اللاذعة التي ترمي إلى غايات سياسية وإصلاحية ، ولقى ما يلقاه قادة أصحاب الفكر الحر من الاضطهاد .

ومن الشباب : أسامة بن زيد ودوره في غزو الروم ، والمقداد بن الأسود الذى قال للرسول في غزوة بدر : يا رسول الله امض بنا إلى ما تريد ، وعبد الله بن جحش ودوره في غزوة مؤتة ، وسعد بن أبى وقاص في معركة القادسية ، ومحمد بن القاسم في غزو الهند ، وموسى بن نصير في فتوحاته بشمال إفريقيا ... وغيرهم .

الاستاذ الشرفاوى . . قدم دراسة تاريخية لا غبار عليها من حيث مقاييس الكتابة التاريخية ، ولكننا نختلف معه في مقاييس البطولة التي اعتبرها في بحثه .

فالفرقة المصرية السودانية التي ذهبت - مرغمة - لتسند بغيا (١) وتناصر عدوانا

[١] بطولة هذه الفرقة أمر لا شك فيه تسجله سيرتها التي فصلتها وقد أجمعت عليها كل الوثائق الخاصة بها والاعتبارات التي جعلت سعيدا يرسلها

والذي يضفي على البحث جانباً من التقدير هو تجميع المؤلف للروايات المتباينة ومناقشتها وعرضها عرضاً سليماً ، ولكن الذي لانكاد نلسه إلا في القليل من أبواب هذه الدراسة أن يكون المؤلف قد أتى بشيء جديد ، فترجيحه مثلاً لكون سورة العلق أول القرآن نزولاً بعد عرض الروايات الكثيرة ، معظم التفاسير قد سبته إليه ، وفي مقدمتها تفسير الإمام القرطبي .

والمؤلف ناقش لفظة «العلق» ونفى أن تكون «دما جامداً» كما أشارت إلى ذلك تفاسير القرآن ، بل للعلقة طور يلي النطفة وذكر أن تفسير العلقة بالدم الجامد تفسير تسمع به اللغة ولا يسمع به الطب أو علم الأجنة خاصة ، واستشهد لتأييد رأيه بدراسات لويس وهارتمان من العلماء ، وهي دراسات لها قيمتها العلمية .

أما قول المؤلف : إن تفسير لفظة «العلق» بالدم الجامد عما ذهب إليه المفسرون قديماً وحديثاً ، فما لا نقره عليه ؛ لأنه انضح من المراجع التي أثبتنا أنه لم يستوعب كل التفاسير القديمة ، والتفاسير الحديثة لم يرجع إلا إلى عدد يسير جداً منها . وعلى كل فالادلة الشرعية كما لا تناقض قضايا العقول — كما يقول الشاطبي — فإنها أيضاً لا تناقض نظريات العلم المجمع على صحتها .

وفي نهاية البحث ناقش آراء الدكتور

نفسه قليلاً ، فحفل بالعظماء من أمثال عرابي وطومان باي وعلى بك الكبير وغيرهم .

٣ — بحوث في تفسير القرآن :

للأستاذ محمد جمال الدين عياد

المؤلف شاب باحث تخرج في الجامعة الأمريكية ، قدم لنا دراسة مستفيضة في تفسير «سورة العلق» مناسبة نزولها ، والترتيب التاريخي لها ، وناقش آياتها آية آية ، مستعيناً بكتب التفسير المعتمدة ، القديم منها والحديث والآراء العلمية أيضاً .

وهو يقرر في مقدمته أنه انزم في هذه الدراسة القواعد المتبعة في إعداد البحوث والرسالات الجامعية أياً كان موضوعها ، فالباحث في الدين كالباحث في العلم وفي الأدب وفي الفن . . كما قرر أن البحث ليس للعامة بل للخاصة ليكون مرجعاً ، وقد قرر الواقع في الفقرة الأخيرة ، إذ أن بحثاً استوعب أكثر من مائة وستين صفحة من القطع الكبير ، في تفسير سورة بلغت بضعة أسطر هذا البحث الطويل لا يفيد منه إلا من له وله بالبحث والدراسة .

المؤلف بذل مجهوداً ضخماً مضنياً في تجميع الروايات المتعددة ، وناقشها مناقشة واسعة ومحصها تمحيصاً ، ورجع منها ما رجع ، وأثبت مرجع كل عبارة أوردها ، واستعان بالرسوم الموضحة فيما يتصل بالأجنة .

منه ، فهو تارة يهمل إهمالا تاما ، وهو مرة أخرى يبعد إلى ركن قصى بعيد حيث يتوارى في خجل وحياء ..

الشعر خسر المعركة .. والقصة تصمد في المعركة .. ولكن إلى أجل ، وهى اليوم قصة صحفية لا نهدد نتما تحكى ، وبقي أدب الصحافة الذى أضر بقضية الأدب نفسه أيما ضرر ، وأما أزمة المجلات الأدبية فهو مما لا يحتاج إلى تعليق .

وقدم الأستاذ فاروق خورشيد دراسة مركزة بعد ذلك تناولت :

الخبر ، والريوتاج ، والشعر ، والدراما ، والرواية ، والدراسة الأدبية ، والقصة القصيرة ، والمقال ، والنقد الأدبي ، قدم المؤلف الأديب هذه الدراسة لتوضيح العلاقة والرابطة بين الأدب والصحافة .

والحق .. أن المؤلف كأديب متقن ، أخلص للأدب في دراساته ، وبدت على قلبه الغيرة على الأدب من أن تجرفه الصحافة ، لا سيما وقد أصبح أدب الصحافة يمثل مكانا مرموقا ، وهو أدب من شأنه أن يجعل من صورة حياتنا مستحوا مشوها لا جدية فيه ، والامل الوحيد هو الرعيل الذى يمثل خط الدفاع الاخير من أصحاب الأقلام الذين لا زالوا يرفعون القلم في تشبث وإصرار ؟

محمد عبد الله السمان

وصفى التى وردت في مؤلفه القرآن والطب ، عن النطفة والعلقه ، وذكر المؤلف أن الدكتور يتفق معه في أن العلقه ليست الدم الجامد والدكتور منذ ربع قرن نائب على نشر بحوثه ، وبقي أن نقرر نحن تقديرنا لجهود المؤلف في هذا البحث القيم .

٤ - بين الأدب والصحافة :

للأستاذ فاروق خورشيد

المؤلف — كبير المذيعين بالقاهرة — أديب دارس ، وباحث متمق ، أصيل التفكير ، وحر الرأى ، وكتاباته هذه في مؤلفه الجديد دراسات عميقة تناولت : أزمة الأدب ، وأدب الصحافة ، وأزمة المجلات الأدبية ثم الصلة بين الأدباء والصحفيين .

أزمة الأدب في صحافتنا قضية مسلمة لا جدال فيها ، فالصحافة التى كانت من قبل كاهنة في محراب الأدب تستمد منه وجودها وبقاها .. كتاب الأدب والنقد هم العمود الأساسية في بناء أى صحيفة ، وقارى الأدب هو المستهلك الأول للصحيفة وكانت الصحف تضطر في احتكار أكبر عدد ممكن من الأسماء اللامعة في دنيا الأدب ، وفرد لهم أهم صفحاتها وتخضع هذه الصفحات لاحتياجاتهم التى توضع في الاعتبار ..

أما اليوم فقد غدا الأدب غريبا في صحافتنا . يحس الجميع أنه ضعيف ثقيل ينبغى التخلص

in seclusion in its strictest form. The rise of modern society in Europe tended to create a change in this system, and the establishment of convents and nunneries served to ameliorate their conditions to some extent.

In the early days of Islam, till the extinction of the Saracenic Empire in the East, women continued to occupy an exalted position as in modern society. There are several women who have distinguished themselves and whose names remain outstanding. Zubaida the wife of Haroon, was well accomplished and played an important and prominent part in the history of the age. Humaida, the wife of Faruk and the mother of Rabya-ar-Ray, one of the most distinguished jurisconsults of the day, was the sole guardian of her son and educated him whilst Faruk was away for many years engaged in battles in Khoraasan. Further we could see in Sakina the grand-daughter of Ali, the most brilliant and accomplished and virtuous woman of her time. Besides them, the ladies of the family of the Prophet were famed for their knowledge virtues and strength of character. Sheikha Shuhda in the 5th century Hijra was called "FAKHR-Un-Nisa", lectured at the Cathedral Mosque of Baghdad to multitudes on poetry, literature and rhetoric. Her name and glory has a revered place in the annals of Islam together with with the most distinguished "Ulema"

Besides these there are several instances of women who have distinguished themselves in Islam and

"The short History of the Saracens" - Macmillan - deals with in more detail.

The improvement of the status of women in Islam by the Prophet cannot be doubted by any except the prejudiced. Under the laws as they exist at present, the legal position of the Muslim females compare favourably with that of their European counterparts. She remains under the parental roof only so far as she remains unmarried, and until she attains majority she is subject to parental control. On her coming of age the law vests in her all rights of an independent human being. As regards inheritance, she enjoys her right to her share although the proportion is different. As regards marriage, a woman who is a major cannot be forced to accept a marriage contract and upon her marriage she does not lose her individuality nor does she cease to be a separate member of society. The husband has no power over her person beyond limits specified by law and her goods and property are her own. Where she is a major, she acts in all matters relating to her person and property in her own individual right without intervention by the husband, or her father. She is considered in all respects a person SUI JURIS.

It must be considered that in many respects she occupies a better position than her European counterpart and if there is any backwardness it must be attributed to the cultural backwardness of the community as a whole.

of proper maintenance and unless proper cause was shown for a separation she lost her dower.

It must be borne in mind that in Islam, marriage is considered an institution to which sanctity is attached so that human beings may guard themselves from unchastity and evil actions. Divorce therefore is detested and there are frequent admonitions in the Quran against separations and urging reconciliation between the parties.

The seclusion of women in Islam was an ancient system which was borne out of certain circumstances in uncertain and uncultured communities, and had its advantages. It has been frequently argued that this system tended to degrade the status of the women. But on the contrary it must be noted that this argument is incorrect and that it was borne out of necessity and that this system apart from being practised by the Muslims was also in force amongst the Persians, Chinese and the Spanish peoples in South America. The prophet, in view of the laxity of morals which was widespread among all classes of people, recommended this system of observance of privacy but he did not intend that this observance must be as rigid as one finds it today amongst certain Muslims in countries such as India, Pakistan, Ceylon and other oriental countries. As a matter of fact the strict seclusion of women is wholly contrary to the reforms the Prophet introduced and the Koran itself does not warrant the complete and strict or rigid seclusion. It is therefore a mistake to co-

nceive that there is anything in law to perpetuate such a custom whose growth was geographical and dependant upon circumstances.

There are several instances of immunity of seclusion enjoyed by the members of the family of the Prophet. Ayesha who was the daughter of Abu Bakr, married Mohammed on Khadija's death and she led the insurrection against Ali. She led the troops at the famous "Battle of the Camel". The Prophet's daughter Fatima often took part in deliberations regarding the succession to the Caliphate. Mohammed's granddaughter, Zainab, shielded her nephew from the Ommayyads after the massacre of Karbala.

The Prophet's advice regarding the observation of privacy was to check the depravity of morals and the tide of immorality which had seeped into the foundation of society amongst the pre-Islamic Arabs, the Christians and the Jews, and which chaotic state of affairs needed some correction. Till the time of his admonition to observe seclusion, there existed among the pagan Arabs a custom of polyandry and his counsel only served and was intended to insulate his followers from this evil influence.

The position of women in Christianity was at its lowest. The orthodox church excluded women from the exercise of religious functions and from society. They were prohibited from appearing in public and from attending feasts and banquets. They were directed to remain

neglect and the whims and fancies of the man. This stringent condition has been subject of severe criticism by Sir William Muir who terms it as a "revolting condition". He erroneously thinks in citing a proverb that Islam positively supports or sanctions the hiring of a temporary husband, to legalize a remarriage with a thrice divorced wife. The idea of having the wife who had been divorced married to a third person, on an express understanding that he would divorce her in favour of her former husband, was denounced by the Prophet and hence the stringent condition imposed by Him. Its very existence demonstrates how strongly the principles of Islam are opposed to a dissolution of the marriage by divorce. The object of such a stringent condition was solely to avoid a definite dissolution of the marriage by appealing to the sense of honour of the people. Muir ignores, that amongst a proud, jealous and sensitive race such as the Arabs, such a condition was one of the strongest deterrents for the evil. The proverb itself denotes what a disgrace it would have been to a husband to suffer his wife to go through a "Shameful process" if he repudiated her finally and intended to get her back.

As stated earlier it was the habit and constant practice, widespread amongst the Jews and the pagan Arabs and with the Christians too, of repudiating the wife on every slight occasion, at every moment of

senseless passion and caprice. This stringent measure was intended to check one of the most sensitive nations of the earth, by acting on the strongest feeling of their nature, their sense of honour.

On the other hand M. Sedillot speaks of the rule in full agreement with the Mohamedan jurists, in thinking that this rule was laid down with the sole object of restraining the frequency of divorce in Arabia where moral depravity amongst the Jews, pagan Arabs and Christians was rife. Sedillot speaks of the condition as a very wise measure which rendered separation more rare, by imposing a check on its constant practice among the Jews and pagan Arabs. Sautayra says that this check was intended to control a jealous, sensitive, but half cultured race, by appealing to their sense of honour.

The reforms of Mohammed therefore restrained the power of divorce of husbands and gave women the right of obtaining a separation on reasonable grounds, and towards the end of his life he practically forbid its exercise by men without the intervention of arbiters or a judge. To Him, "the pronouncement of Talak was to be the most detestable before God of all permitted things" for it thwarted conjugal happiness and constituted an interference with the upbringing of the children.

As much as the husband possesses the right to divorce his wife, Islam permits the wife to obtain a divorce from her husband for some serious cause such as ill-usage, lack

Divorce had been recognized as a necessary corollary to marriage amongst all nations of antiquity. This right subject to exceptions was exclusively reserved for the man, and the woman was disentitled to claim a divorce. With the progress and advancement of civilization there began a partial amelioration of her condition and she acquired a qualified right of divorce.

The ancient Hebrew Law permitted the husband to divorce his wife for any cause which made her disagreeable to him and there were few or no checks to the arbitrary or capricious exercise of the husband's rights of dissolution of the matrimonial ties. The women on the other hand were deprived of the right to demand a divorce for any reason whatsoever. At the time of the advent of the Prophet, the doctrines of the school of Hillel were in force amongst the Jewish tribes of Arabia and repudiations by husbands were as common as amongst the pagan Arabs. This practice was followed by the Athenians too, whose rights were unrestricted in as much as amongst the ancient Israelites.

Divorce amongst the Romans was exercised since earliest times. The Laws of the Twelve Tables recognized divorce. The wife had no right to sue for a divorce and should she choose to do so, she was liable to punishment.

Amongst the Arabs, the husband had an unlimited power of divorce and they recognized no rule of

humanity or justice in the treatment of their wives. Mohammed disapproved the custom of divorce and regarded its practise as calculated to undermine the foundation of society. Conditions at this time were such that it was difficult to abolish the custom. In Toto, He was to mould the mind of an uncultured and semi-barbarous community to a higher development so that with the passage of time his lessons might change their hearts.

Although it being an undesirable custom he permitted the exercise of the right of divorce subject to conditions. In order to ensure reconciliation between the parties he permitted three periods and failing all attempts at reconciliation, the final separation was to take effect on the third period. He encouraged and prescribed arbitration as a mode of solution to matrimonial disputes rather than have recourse to the evil of exercising a divorce. It was further laid down that where the parties have been irrevocably separated after the third and final repudiation, the parties cannot reunite unless and until the wife had undergone her period of Idda and married another man and thereafter was divorced by him after consummation of the second marriage, and had undergone Idda thereafter.

It is therefore obvious that from the aforesaid condition regarding a reunion between parties after final repudiation, divorce has been discouraged and protection was afforded to the woman against willful

far as to destroy and burn alive many female children and this custom which was predominant among the tribes of the Koreish and Kindah was denounced by Mohammed in no uncertain terms and prohibited under severe punishment. The sacrificial offering of children to gods was also prohibited.

The reforms introduced by Mohammed was at a time when the social structure was falling apart on all sides and older systems were found wanting. The Prophet of Islam enforced "Respect for Women" as one of the essential teachings of his creed.

The laws which he promulgated strictly prohibited conditional marriages and though he at first tacitly permitted temporary marriages, later these were forbidden in the 3rd year of the Hijra. Mohammed in his system secured to women rights and privileges which they had been deprived of and never before possessed. Women were placed on a perfect footing of equality with men in the exercise of legal powers and functions. The practice of polygamy was restrained by limiting the maximum number of contemporaneous marriages and equity towards all was obligatory upon man. The Koran gives the permission to contract four contemporaneous marriages.

This permission is however subject to the proviso contained in the following Koranic verse.

It is therefore clear that while one verse grants the right to con-

tract a polygamous marriage, the succeeding proviso by imposing conditions merely restricts its exercise. The subsequent condition or proviso which is based on equity not merely limits to the requirements of food, clothing and shelter but also to complete equity in love, affection and esteem. It would obviously therefore seem that as absolute equity in affection is impossible, the proviso to the permission in the Koran for four contemporaneous marriages is merely a prohibition.

The existence of polygamy which was dependant upon circumstances of society such as the absolute necessity for the preservation of women from starvation or utter destitution—the greatest proportion of the mass of immorality in the west arises from absolute destitution—is fast disappearing in all advanced Moslem communities and the conviction is now being held that polygamy is as much opposed to the teachings of Prophet Mohammed as it is to the progress of a civilized state and society. The progress of human thought coupled with the changing conditions in the present world has caused a drift away from polygamy and its tacit abandonment.

With regard to the Koranic laws relating to treatment of women in divorce, it is manifestly clear that they are of better regard for justice than those of any other scripture. The subject of Divorce in Islamic Law has been a fruitful source of misconception and controversy.

this view has been incorrect. In point of fact it has been said that the greatest adviser of Justinian was an aetheist and a pagan. The Law of Justinian prohibiting polygamy although it represented a marked advancement of thought, failed to check the tendency of the age and was considered by the masses as a dead letter.

The upheaval of the barbarians in Western Europe and the intermingling of their ideas with those of the people amongst whom they settled tended to degrade the relations between man and wife. The Theodoric Code of Laws attempted to deal with polygamy but the monarchs who practised plurality of wives were quickly followed by the people. Despite the oath of perpetual celibacy held out to them by the Church, the clergy practised plurality of wives.

It is therefore undoubtedly clear that the institution of polygamy existed prior to Prophet Mohammed and the greatest error committed by the Christian writers is to state that Mohammed adopted or legalized polygamy. The notion entertained by most writers that Mohammed introduced it is either a display of crass ignorance or a deliberate attempt to distort facts.

Mohammed found polygamy practised not only among his own people but of the neighbouring people too where it was most degrading. The Laws of the Christian Empire had failed in its efforts to correct it and consequently polygamy flourished.

The corrupt and deplorable morals in Persia led to no recognized system of law of marriage and the Persians indulged in a multitude of marriages without taking into consideration the innumerable concubines they had in their possession.

Amongst the ancient Arabs and the Jews, besides the system of plurality of wives, there existed customs pertaining to conditional and temporary marriages and such loose morality had a disastrous effect on society.

The reform instituted by Mohammed in fact created a vast change and marked improvement in the position of women whose condition amongst the Jews and non-nomadic Arabs was degraded. The daughter of a Hebrew was in the position of a servant capable of being sold, if a minor, and also could be disposed of by will or testament. She inherited nothing except in the absence of males. Even among the settled pagan Arabs who were influenced very much by the neighbouring corrupt empires a woman was a mere chattel and she formed an integral part of the estate of her husband or father. The widows of a man descended to his son or sons by the right of succession and inheritance by patrimony. Thus we get the frequent unions between step-sons and step-mothers which were subsequently forbidden by Islam. Polyandry too was practised by the half-Jewish half-Saebaeans of Yemen.

The aversion towards women by the pre-Islamic Arabs went so

the subject of an ordinary sale or testamentary disposition. The Athenian was permitted to possess any number of wives and Dollinger in "The Gentile and the Jew" states that Demosthenes gloried in the possession by his people of three classes of women, two of which furnished the legal and semi-legal wives.

On the contrary it should be noted that while the Spartans were prohibited from adopting this practice unless for special circumstances, the women enjoyed the right, and always exercised the right to have more than one husband.

Plurality of marriage was a privileged custom amongst the Etruscans too. Amongst the Romans the sanctity of marriage was a mere by-word and this was due to the constant contact for centuries with the other Italian states and principalities, the wars and conquests and the desire for luxurious habits engendered by success. Marriage became a simple practice of promiscuous concubinage. Concubinage recognized by the state laws acquired the force of a privileged institution. Consequently the loose marital ties that existed between the husband and wife and the frequency with which wives were changed or transferred made marriage a polygamous relationship and society became promiscuous where maternity was a fact while paternity was a matter of opinion.

The Laws introduced by Justinian prohibiting polygamy did not bring about a change in the moral

ideas of the people but on the other hand continued till its condemnation by modern society. The wives of a person, with exception of the first wife, suffered severe disabilities and were deprived of any rights and safeguards. The children were considered illegitimates and deprived of any right of inheritance to their father and further, were ostracised from society.

This chaotic state of affairs was not merely confined to the aristocracy alone but even extended to the clergy who forgetting their vows of celibacy contracted more than one legal or illegal union. Until very recent times, polygamy was not considered so reprehensible as it is today. St. Augustine found no intrinsic immorality in it and declared that polygamy was not a crime where it was the legal institution of a country.

Hallam points out that the German reformers as late as the 16th century acquiesced in the validity of a second or third marriage contemporaneous with the first, in the absence of issue and other similar causes.

Emperor Valentinian II, by an Edict, permitted his subjects to marry several wives if they chose to do so, and the ecclesiastical churches and Bishops raised no objection to this law. All the succeeding Emperors practised polygamy and the people followed them likewise. These laws lasted till Justinian who brought to an end the prevailing state of affairs. It has been said that the laws of Justinian were largely due to the influence of Christianity, but

“Polygamy and the Status of women in Islamic Society”

BY

A. M. M. SALMAN

Polygamous marriages in Islam and the status of women in Islamic society have been the subject of much discussion by many writers. It has led to an abundance of criticism some of which have been founded unjustifiably. Certain writers amongst the Orientalists have spared no pains to portray to their readers that the women in Islam enjoy an inferior position to that of their counterparts in the West and that they were treated as chattels. As a matter of fact this subject has not been treated in a just and equitable manner but on the contrary viewed with religious bias and prejudices.

The Holy Quran has dealt with this subject and it clearly indicates that women in Islam enjoy as much rights as they are subject to duties.

It is necessary at the outset to consider briefly the various stages of social development and upon a consideration of them, one is inevitably led to conclude that polygamy was an unavoidable circumstance. The system of polygamy must be attributed to the constant feuds that had arisen in society resulting in the decimation of manpower and the consequent increase of women in society.

Polygamy was a recognised institution in ancient times amongst the nations in the East and was largely practised by the Emperors who professed a divine right to rule and thus making the observance of such practice a sanctimonious one.

In as much as there was no restriction in ancient times among the Hindus as regards polygamy, this practice was followed by the ancient Persians, Assyrians and Babylonians as well, whose rights to possess as many wives as they wished were unrestricted. Even among the Israelites too, polygamy existed before the time of Moses, who continued such a custom without restricting the right of the Hebrew husband to contract as many marriages as he thought fit. Later the Talmud of Jerusalem restricted the number to the ability of the husband to maintain his wives properly. The custom of plurality of marriages was practised to an unlimited extent among the Thracians, Lydians and the Pelasgian races in Europe and Central Asia, and dwarfs all comparison with the practice prevalent elsewhere.

The Athenians, who were the most civilized and cultured among the nations of antiquity, considered the wife as a mere chattel capable of being

outcome of the Crusades. Sheikh Muhammad Abdu says : 'There is no other nation that detests the Moslem because he is a Moslem, not for any other reason, except France. Whenever I had an interview with a Frenchman to discuss the conditions of the East with him, I felt disgusted and all my body quivered. In case a Frenchman praises Islam and mentions some thing about its merits, he is certainly after a French benefit.' when he states this, Muhammad Abdu gives a vivid description of the French mentality which was much more influenced, than any other western mentality, with the defeats of the Crusaders by the Moslems in the East during three centuries.

Bold as it has always been to stand the imperialistic challenge in general and the French one in particular, and because, despite this defiance, it has managed to exist and to preserve the Arabic and Islamic heritage which it has always cared for throughout its long history, Al-Qarawiyeen Mosque is, in fact, a fortress on the solid rocks of which are crushed all the attempts of the French imperialism to erect a barrier between the past and the present of the Arab community in Morocco and to induce the generations brought up within its sphere to forget the fundamentals of their original community. It is also regarded as a source of protection of the Islamic and Arabic revival motives with which it has pushed the Arabic awakening

forward so as to ensure sovereignty of the Aarbs over themselves and superiority of Islamic values in their midst. In this way the independence of Morocco has been realised, so has the independence of Egypt, Libya and Tunis, and so will the independence of Algeria take place sooner or later, owing to the fact that it is but a portion of the Arab nation, and because the real fundamentals of the Algerian community are only represented in the Arabic Language, Islam and in the common history of the Arabs. These are the factors that have led to victory over, liberation from, and defiance to, the imperialistic authority, and that have helped the Moslem Arabs in their struggle for victory and liberation.

Not only has Al-Qarawiyeen Mosque kept the spiritual, mental, Arabic and Moslem heritage and the Arabic Language from harm and decay, but it has also preserved the Arab nation in Morocco from dispersion, subordiancy and annihilation.

Notwithstanding the mockery, scorn and belittlement to which they may be exposed and regardless of the stagnation, conservatism and backwardness of which they are sometimes accused, the learned Qarawiyeen have to feel proud, simply because they are the valiant soldiers who have deprived themselves of enjoying a comfortable life for sheer exaltation of the Arab nation and to ensure the stability, purity and ever lastingness of the Islamic mission.

education of native children in the countries where they are founded. These French schools do not try to make the best use of the national energy to educate the natives, nor do they aim at instructing the national characteristics. On the contrary, they spare no effort to 'make' the native children whom they teach (whether in Morocco, Egypt, Iran or Indo-China) exactly the same as the French students in France in appearance, language, way of thinking and adoration of France as a colonial country⁽¹⁾.

Al-Snyed Abdel Meguid Ibn Galwin in his book 'This is Morocco' describes the double-edged scheme of imperialists. Here we quote him. His description (translated into English) runs as follows: "The French and the Spanish have managed to bring the National Education Department under the imperialists' administration, thus utilising it as a political instrument. In this way, education has become restricted, controllable and exploitable, as the new governing authority has come to believe that the spread of learning is apt to menace it to the very root. Hence, education in the country is destined to be carried out according to imperialistic principles that aim at realising the following.

(1) 'Preachership and Imperialism in the Arab countries': by Omar Faroukh & Mustapha El-Khalidi, Page 114.

1) The upbringing of a certain class of narrow-minded officials who will be mentally unfit but will only serve as 'mere instruments'.

2) At school, students should be given but very little knowledge lest those who acquire more should grow up into beings endowed with such a mentality as will enable them to have a good and thorough understanding of life.

3) The use of the Arabic Language in education should be brought to a minimum. Education should be devoid of all that creates national pride or inspires it, such as history and literature; it should on the other hand be admirably overfilled with the glories of the French and the Spanish.

4) Establishing French and Spanish schools.

5) Reviving the barbarian language and making it fit for writing.

6) Prevention of any contact with Egypt and bringing the cultural relations between the two countries to a stop. (1)

Well, if the French imperialists differ from other Western imperialistic powers in the fact that they take wider and quicker steps in the execution of the common scheme devised by imperialism in the Arab countries, this is perhaps due to the abhorrences that were the natural

(1) 'This is Morocco': by Abdel-Meguid Ibn Galwin, Pages 141-142.

the rules of which they assumed themselves to be strongly related.

It is important to note, however, that the imperialistic challenge which the Qarawiyeen Mosque faced and the fight raged against the values included in the Islamic and Arabic heritage (which the aforesaid mosque cared for and for the preservation of which it held itself responsible) were much more vigorous than any other fight or challenge faced by any other part of the Arab nation.

Similarly the bitterness of mockery and spite, to which the learned men of the Qarawiyeen Mosque and its students were exposed, as well as the bitterness of sectarianism that was created by imperialists under the pretext of 'old-fashionedness', was far greater and more deeply felt than in any other part of the Arab nation. In a description of the scheme devised by imperialists to ensure the forementioned challenge and to undermine values and mock at their adherents or those who boast of them, Monsieur Collièze, the French protection delegate says :

"When we signed the protection contract we were faced by an existent state of things. In Fez there was the Qarawiyeen University

which, during ten centuries, kept supplying the African Moslem countries with eminent men of learning and genius. In towns as well as in the desert there were a large number of 'Kuttab's' for teaching the Quran. These 'Kuttab's' were provided with all they needed by the Sultan, the Wakfs or by common individuals. As a matter of fact there was a lively and charming collection of big and small schools in which teaching was carried out under the shade of tents in town quarters. The protection waged war upon such cultural institution in Morocco by locking a large number of the schools that were the remnants of the old-fashioned system of education. The protection also made continuous hostile attacks on Al-Qarawiyeen University and its branches in Morocco, Meknes, Rabat, Tangier and Wagda. and on all the Koran tutors". (1)

Concerning the aims of the schools established by imperialists especially the French ones, Ustaz Omar Faroukh (Ph. D) and Ustaz Mustapha El-Khalidi (Ph. D) state the following :

"The French schools follow one constant policy and, as a rule, one leadership of 'headquarters'. Wherever they open their gates for the

1) Morocco Since the First world war : by Alla El-Frassy, Pages 69 & 70.

exaggeration or promptness of action. What happened in Morocco after the French occupation in 1912 and in Tunisia in 1881 exactly resembled that which took place in Libya after the Italian occupation in 1912. It was a true copy of that occupation in Egypt after the English occupation in 1682. After occupation no heed was paid, in any of the occupied countries, to the Arabic Language, the Arabic and Islamic heritage or to the characteristic ideals and values which prevailed among the Moslems and the Arabs and distinguished them from other communities.

At the time when there was but neglect of all the above-mentioned, so much care was increasingly and gradually given to the values and ideals of western life, and to the European culture and ways of thought, that the natives, wherever they were in any of the occupied Arab countries, were about to forget their past and boast of nothing but their present. There was neglect not merely of the Arabic Language and the Arabic and Islamic heritage whether spiritual or mental, but there was also sarcasm, mockery and belittlement of the language and of all those who had to deal with it. Furthermore, the natives who did nothing but mention the bare values of the language or boast of being related to or adherents

of, it were met with mockery and belittlement whether in whispers or in public.

Consequently, Al — Qarawyeen Mosque in Morocco, Az — Zeitoonah Mosque in Tunisia, the Sinousian one in Libya and Al-Azhar Mosque in Cairo had to face this challenge which was sometimes hidden but mostly open. These mosques also had to oppose and resist this destructive assault which was directed to the dearest of the Arab nation's possessions the only thing on which its renaissance depended when time allowed it. This dearest property is represented in its mental and spiritual heritage, its values and ideals in life, and in its language and history which is full of glories, heroisms and deeds that inspire pride and exaltation.

The learned men of Al-Qarawiyeen, Az-Zeitoonah, the Senousian and Al-Azhar mosques had to shoulder the burden of struggle and endure the bitterness of contempt and mockery to which they were exposed under the pretext of either 'progress' or "western civilisation". It was their duty, then, to stand in the face of sectarianism which grew strong and which had been created by the imperialists and given the name 'modernism as opposed to 'old-fashion-
edness' a modernism according to

selecting some 'tools' from the occupied country.

In order to ensure continuity of occupation, an easy exploitation of the economical resources of the occupied country and making use of the human energy of the occupied people, imperialism relies on undermining all relations between the past and the present: between the newly occupied generations and the mental and spiritual heritage, the past glory and the former prevailing values and ideals of their forefathers.

In order to guarantee such undermining of relations between the past and the present, imperialists follow various vile means!

A — Firstly imperialists do their utmost to weaken the national language. With this end in view they neglect teaching it to the youngsters, underappreciate its characteristics and look down upon those who, in their conversation, pronunciation, writings and authorism, are bold enough to show their pride in it.

B — Secondly they do their best to find out faults and weaknesses in the works and thoughts of former writers and then seize the opportunity to belittle the whole heritage.

C — Thirdly the imperialists rewrite the history of these pred-

ecessors, depriving it of the heroic tales and all that incites pride and valour. Besides, they deliberately distort history by new false additions of various incidents and by wrong, misleading interpretations of some of the events that did happen.

d) Simultaneously, the imperialists present their language, mental heritage, ways of thinking and their history in such a way as can induce the reader to accept them with pleasure, care for them and admire their values. Imperialists also set the curriculum of the schools founded after the occupation so that their values, ideals and behaviour in life are deeply and strongly impressed in the minds and lives of young children. In this way the new generations that are doomed to live or be born after the occupation find no objection whatsoever to be subordinates of the occupying imperialists. Owing to the fact that these new generations are ignorant of their past, they fail to find any support if they want to be rather unfettered by this subordinacy or if they wish to restore, at a certain time, their independence in personality and administration.

What imperialists have been doing since the nineteenth century is always the same. They do not differ from one another except in

time, as regards life and religion. It might, as well, be due to the fact that they would rather remain within the circle religious culture, so as to devote all their time to care for it and to ensure its preservation from deterioration or decay.

Yet, had it not been for the sacredness of religion and the nature of faith in it, there would not have been any care for the Islamic Law, for the Prophet's sayings and traditions, for interpretation and all that has something to do with the explanation of religion nor for the study of the Arabic Language which is the only means to a keen and deep grasp of the principles of religion. Now, if the nature of religion means unchangeability of its maxims a matter which may be reflected on those working on the field, being in some period less responsive or less sensitive to the other revolutionary changes taking place either in their own community or in the outside world if this is so, then the very nature of religion and its main bases, namely, holiness and faith are the chief causes of the survival not only of the subjects related to it but also of the studies connected with the Arabic Language which serves as a means to the study of religion. We then come to the conclusion that Al-Qarawiyeon Mosque is the

chief factor in the preservation of the Arabic and Islamic heritage owing to the fact that it is a 'mosque' and that all the diverse types of subjects taught in it did have a relationship with religion, though as a matter of fact, the people of this mosque, irresponsive as they were keep to the external events, could not pace with the outside world in the tremendous changes brought about in thought, authoring, research and types of representation. Thus the preservation of the Arabic and Islamic past culture was, throughout its long history, one of the characteristics of the Qarawiyeon Mosque though this preservation and the care for what was to be preserved took different forms.

After the French Occupation
in 1912.

Since the nineteenth century Imperialism has primarily depended upon the establishment of chaos in the economy of the country which it intends to occupy, as a preliminary step to its intervention in the internal affairs. It has also depended on landing armed forces to occupy positions of strategic importance in the administration of the most important and sensitive parts in the machinery of the government by some of the men of the occupying country and by

the list are the following : Ibn Baja (a philosopher), Lessan Ed-Din Ibn-el-Khateeb the well-known minister, Abul-Ala Zuheir and Abu Muhammed El-Qasem Ibn Muhammed El-Ghassani (men of medicine), and Ash-Sheif El-Edreecy⁽¹⁾ (a vegetarian geographer).

Owing to the mingling of these learned immigrants with the learned people and students of the Qarawiyeen Mosque, the cultural revloution in the Islamic heritage flourished and covered nearly all the fields of culture previously known to the early Moslem learned people, such as religion, study of the universe, physics, philosophy and mathematics, besides the Arabic Language and all the studies related to it. That is why this very period is considered to be the golden era in the history of Al-Qarawiyeen Mosque. It reveals on the one hand, the vigour of scientific life and, on the other, the vast and deep understanding of what is termed " the Islamic heritage " and of its survival and Protection.

This state of affairs did not, however, last for long. The scientific movement which once flourished in the Qarawiyeen Mosque soon deteriorated even before the French occupation took place in 1912. This was not wholly due to the deterioration

of the Islamic Arabic communiy in Morocco; it was mainly ascribed, as we have already indicated, to the isolation of the Qarawiyeen learned men away from life and the events that occurred in it. They were, perhaps, not to blame because of the close relation that exists between their cultural profession and mission on one side and the characteristics of the nature of religion on the other.

The principles of religion, exactly the same as other principles of life, are unchangeable. A principle, in the true sense of the word, cannot be so called unless it has attained a certain degree at which it is to be considered both as a model and a goal which everyone tries hard to reach or approach. Again, learned people whose scientific and cultural work is confined within the limits of sacred important and unchangeable maxims are not so much influenced by the events of the outside life, contrary to those who are fully engrossed in the events of life, the latter have got the chance to watch, study scrutinise and judge.

So if the learned Qarawiyeen laid aside the study of mathematics, philosophy and natural sciences away from the field of the Islamic Arab heritage this might be due to their own way of thinking, at that

(1) Lévi-Provençal, Initiation au Maroc.

people who preserved in their hearts the principles of their past culture, the defenders who protected their values through their own logic and thought, and, last but not least, they were the teachers who, through orally handed down this heritage to the generations to come. In this way, they proved to be the sole supporters of this heritage that could not have survived without their efforts.

The following is a translation of an extract quoted from an essay written by Lévi-Provençal in a book entitled : *Initiation au Maroc*. (P. 172):

I should like to draw the attention to Fez which has become an important centre of culture since the beginning of the fourteenth century in particular that is to say, after many Moslem learned people immigrated to Morocco, immediately after the Iberian Peninsula (Spain and Portugal) had fallen anew under the rule of Christianity. This occurred almost exactly in the fourteenth century. Thus, the fact that Fez has become an important centre of culture is mainly ascribed to the prominent role played by this ancient university : Al-Qarawiyeen Mosque”.

Obstacles and Difficulties :

Al-Qarawiyeen Mosque throughout its long history is more or less

like a living creature whose growth may, at a certain stage, be hindered owing to an internal factor which is closely connected with its own bodily construction. The hindrance may as well be due to an outside factor that resists its growth and prevents it from proving its own existence.

The Qarawiyeen Mosque was, as a matter of fact, influenced by both factors. It suffered from its own weakness as well as from foreign attack. If, at a certain period, the Arab community in Morocco was, to some extent, held responsible for the weakness that befell the mosque, the responsibility fell more heavily upon the learned Qarawiyeen themselves who were in charge of it. They were but little influenced by the events of life on account of the fact that they thought it better not to take any part in what was going on among the Arab community in Morocco and, at the same time, preferred to be isolated from the social and revolutionary ideas and events that occurred in the outside world.

We all know that after the fall of Andalusia under the reign of Christianity in the fourteenth century emigrated a large number of the Mohammedan eminent learned men who specialised in different fields of science and knowledge. Leading

at Fez* in the year 245 after the Hejira, if we want to trace back the influence of this mosque on the culture of various successive generations from the beginning of the first half of the fourth century of the Hejira up till now, if we want to determine exactly its job (which was sometimes so difficult that it did but very little and sometimes so easy that much was achieved). If all this is taken into consideration, we shall soon come to the conclusion that the mission of the Qarawiyeen Mosque has been closely connected with the Arabic Language, with Islam, with the Islamic and Arabic knowledge handed down from father to son, and generally with what we call "the Islamic and Arabic characteristic past culture".

Moreover, if we look upon Morocco as a nation, we shall soon notice that it is an Arab one, that the language of the inhabitants is Arabic, that their religion is Islam and that the history of their culture and knowledge is closely connected with that of their ancestors whether they inhabited this very land or any other part of the Islamic Arab world.

Thus we see that the chief mission of the Qarawiyeen Mosque was to lay the foundations of the

Arab community and the Arab nation in Morocco. It is therefore regarded as the centre of this national characteristic past culture that serves as a nucleus round which rotates the life of the Arabs whether in their guidance or in their struggle for existence in Morocco.

Al-Qarawiyeen Mosque, having achieved such a mission, or, in the least, preserved it from ruin or decay, has rendered an invaluable service to this Arab nation and simultaneously, to the Arabic and Islamic characteristic past culture in general.

It is not a disadvantage, however, that the Qarawiyeen Mosque, at a certain period, slowed down¹ remained stationary or was even confronted with obstacles and difficulties which it failed to overcome at times but succeeded to surmount many a time. This is not a disadvantage merely because this mosque did not slow down or remain stationary, nor was it at times overcome in the challenge, except for the good of this Arab nation and for the sheer benefit of the Islamic heritage. It does not matter either that the people of the Qarawiyeen Mosque were, and are perhaps still, exposed to bitter criticism and some defects pointed out. Suffice it that they were the force that helped the Qarawiyeen mosque to withstand the challenge, the

* If phonetically spelt, it is to be written thus : "Fass" according to the Arabic pronunciation.

AL-QARAWIYEEN UNIVERSITY AND HOW FAR IT HAS PARTICIPATED

In the preservation of the characteristic past culture of Islam.

BY

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture Administration

Foreword :

It is taken for granted that the chief cultural fundamentals, of any community or of any nation, are mainly represented in the language of the people, the prevailing religion and in the common inherited humanities. The language, through words and expressions, conveys the highest types of values advocated by the religion of a community or a nation. It conveys, as well the facts of human knowledge bequeathed to the individuals of this community or nation, through the ages, by their ancestors. It was these high values, preached by the religion of the community or nation, that bound the guidance of the individuals, limited the mutual relations amongst them, and, at last, determined the common target which the individuals of the community tried hard to attain in their struggle in life.

Without a language, without a religion, without inherited humanities, there would be no community, nor could a community or a nation be distinguished or characterised from another. The community which we mean here is the community of man, and by the word 'nation' we mean the 'home' of man. Taking this into consideration, a community or a nation is apt to be influenced by man's own characteristics. These characteristics which differentiate between one person and another are confined to his language, his way of thinking, his logic, his heart, his beliefs and his behaviour in life.

Al-Qarawiyeen Mosque and its influence on the Arab community culture

Now, if we seek to give a vivid idea of the part played by the Qarawiyeen Mosque which was founded

including the moorish strugglers and the upholders of justice from West Africa and from United Arab Republic. We urge you to hasten in putting an end to the Imperialism by being united and by responding to the Call of Allah to be joined together in the mutual teaching of truth and patience: "By declining Day, Lo! Man is in a state of loss, save those who believe and do good works and exhort one another to truth and exhort one another to endurance".

We hope that you will banish away from the muslim society all the factors which dishearten the Muslim community, such as elements of relationship and tribalism, yielding to lusts, and supporting both, enemies of God and enemies of humanity.

O Brothers! Amongst you there are rulers, kings, scholars; and it has been destined that they will be brought before God, and they will

be asked about their duties towards God, duties they did not perform and their duties towards humanity, duties they did not undertake.

"O ye who believe obey Allah and the Messenger when he calleth to that which quickeneth you". "O ye who believe choose not my enemy and your enemy for friends".

This is the word of Allah to which we call you hoping that you may respond, and hold fast to. If you do so, and keep doing good for humanity, God will reward you.

We ask God to give us his guidance and to give his guidance to the leaders of muslim Nation, so that justice and religion of Islam may prevail.

Peace may be upon you.

Mahmoud Shaltout.

Ibrahim Baniyas

Muhammad Abdul-Karim Al-Khattabi.

Muhammad Abd Allah Al-Khattabi.

8th Thel-Keada 1380

23 April 1961

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful

Joint Statement to the Islamic World

From

The Rector of Al-Azhar University, the Leader of Muslims in West Africa and the Prince Abdul-Karim El-Khattabi.

Praise be to God, the Lord of the worlds, and peace and blessing be upon the Prophet Muhammad and his followers.

Our Muslim brothers. Peace be upon you.

In the name of God and in the name of brotherhood, we, Abdul-Karim Al-Khattabi, Ibrahim Banias, Mahmoud Shaltout, and Muhammad Al-Khattabi, have held a meeting on the occasion of the departure of our brother in Islam, Shaykh Ibrahim Banias after his visit to the United Arab Republic.

Reviewing muslims'affairs and considering their present situation and what they have suffered from the oppressive Imperialists, we are of the opinion that the one single call through which muslims can resume their illustrious past, is to give them the Word of Allah, which their predecessors were given in His saying: "And hold fast, all of you together, to the cable of Allah, and

not separate". "O Ye who believe Take not for intimates other than your own folks, who would spare no pains to ruin you, they love to hamper you. Hatred is revealed by (the utterance of) their mouths, but that which their breasts hide is greater".

We all have already seen what the Imperialists have done, and we still see what they are doing, for the purpose of parting, scattering the peoples, and some other acts of such kind, which the honour and dignity of Islam cannot bear. The sufficient evidence we can simply give for their flagrant deeds and their bad faith, lies in what they are doing now at Algeria, in what they have lately committed in Palestine and in what they are preparing to suppress any voice rising for natural freedom bestowed by God.

O Brothers ! This is a call coming to you from such a group

within and from without, which the term "Colonialism" includes. Nothing will put an end to this colonialism save the Arab Unity and Islamic League. So, the sustenance of this Bloc depends in realizing this Unity and, in strengthening this league.

As regards realizing Arab unity, it rests solely on the Arab freeman, and faithful reformer, Gamal Abdel-Nasser; who, for this mission was well-prepared by nature, and for its sake he devoted his soul, mind, and endeavour. And sooner or later the covetous greedy, and the supercilious colonialist will be banished away, and the Arab Nation will remain integral and strong.

As for strengthening the Islamic League, it will be due to the policy of the Islamic congress, which made legal by God, on the same day He ordained Pilgrimage. The congress that was prevented from being held in the past because of the stupidity and the conspiracy of foreigners, and because of division due to dependency, relaxation, weakness and ignorance; which made the united nation disintegrate into so many small states; each has its own boundaries, custom-house, and policy: and each is being under command and patronage of foreigners.

But when God willed that His Nation (of Islam) which He created to follow the Via media amongst

nations, so as to enjoin what is right and forbid what is wrong, He reminded it with His saying "And hold fast, all together by the rope which God (stretches out for you), and be not divided amongst yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, ye became brethren". Then, the hearts of the muslims inclined to one another; the hands of them held together; and the situation demanded the voice which should awaken and excite people; and of the congress which would pay response and guidance. The Nation of Muhammad responded to the Call of Truth and abandoned false and dishonest leaders, who misled the nation, directed it to the mirage and, push it into the abyss.

Now there is no alternative for these so-called leaders, except to come back to their position in the line, and return to the right way. By so doing, the Unity will be fulfilled and the parts of the community will be welded; then it will be able for the Islamic Bloc to realize the meaning of "Middle way" by which, it was described by God in His Book; and then the Islamic Bloc will be a measure of peace between the East and the West, and a mercy for the whole world.

League. Through this Unity and this League, the Third Bloc will be so powerful that it can retrieve with God's help, the world which was dispersed by greediness and war. It would then repair the world and its wounds. That, is because this Third Bloc which was based upon the unmixed beliefs, occupies the most blessed place on the earth, includes millions of people, watches over the first resources of economy, has faith in the ideal spiritual morals of society, and has brilliant deeds in the pages of history. With its religious rules and secular principles, the Third Bloc is the most suitable measure to inculcate love in hearts, and establishing peace on earth. This is because its political and social systems were made by God who put them by His saying "The believers are but brothers." For, these systems, god ordained the Pilgrimage to be a congress; to make them fast; and made the Califate as an eternal bond to fasten them. These systems are suitable for every time and place. They resolve disputes arising between peoples; profess the Unity of god, placing no partner to Him; include all revelations ordained by god, without differentiation between the prophets; and finally fraternize all people in the spirit and in the faith; not in race nor in nation. They equalize all brethren in rights and puties so that there will be no distinction between classes, races, and

colours. They appropriate the wealth of the rich, recognized dues which he must pay, willing or unwilling, so as to adjust the balance of justice. They submit the government to the mutual consultation between intelligent persons so that no tyrant could rule and no obstinate could halt any progress. They set free the mind, soul and spirit. They do not confine notion nor consideration. They do not accept the traditionalism or slavery. They ordered their followers to be just and tolerant with those who disagree with them in their religion or in their opinion. They connect the religions with the life to make consciousness, the superior force in the dealings; the belief, the creative influence in the conducts.

The Islamic Bloc is a force for peace

In short, these systems referred to, are the systems which would realize human Unity, for, it does not acknowledge party-spirit, racialism, nor nationalism. Instead, it does create brotherliness in belief, superiority in doing well, and co'operation in nothing but righteousness and piety.

The Islamic Bloc exists by virtue of the unity of its nations, the joint history, the one single religion and the prevailing language. And if it happened that parts of this Bloc grew weak or disintegrated, that, would be due to some factors from

East, so as to assert their supremacy. The Americans constitute obstructions before the Russians, to appropriate the East for themselves only. The muslims and Arabs of Asia and Africa are raising their voices complaining of injustice, raging for the sake of dignity, struggling for their rights and calling for freedom struggles; but their call for struggle is drowned in the noise of the other Blocs just as a gentle breeze when it goes in the sad jungle.

It is amazing that the outbreak of colonial war and the struggle of the great Blocs, have no field to take place on except where the Arab own and the muslim live; as if the Arab and muslims became a pillage to every marauder. Are not these people the ancestors of these former invaders for whose reign the age was subjected, and in their empire the world was included? It is not that the Islam which they are embracing now, is the same Islam of that former Abbasid caliph who, once, looked at the rain clouds driven by the wind to the extremities of the earth, then he said: "Rain where you wish, your fruit will be of mine."? The muslims of today are indeed the ancestors of those predecessors; but the Islam they are now professing is no longer the Islam of that caliph. It is a remainder of the first Islam decayed and ended to be silly mysticism, who intoxicated

with it, do not awake from their nap nor do they get rid of indolence. He does not care, to reach his object whither he was ridden upon his back or pulled on his pace.

The mean-spirited and narrow-minded, exploited and misinterpreted religions and sciences to suit their own ends, and they placed much reliance on superstition belief, And thus we saw that the evolution of chemistry, has appointed its research to seek for what so-called Philosopher Stone; and the evolution of astronomy turned it to be something like sorcery and fortelling events via observing the stars and their positions. This change which has affected these two sciences, is similar to that which has happened to Islam. In Islam, we saw that the belief of Fate has been misinterpreted, until the people while yielding to Destiny, neglected the precaution. They gave up endeavouring themselves depending upon this verse: "Verily never God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls). But when (once) God willeth a people's punishment there can be no turning it back, nor will they find beside Him, any to protect".

Then, the return to the original Islam, is the one single way which leads to establishing and ensuring the Arabic Unity, and this is the chief cause for founding the Islamic

THE ISLAMIC BLOC IS A FORCE FOR PEACE AND MERCY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The struggle for sovereignty and supremacy in the world has led to the existence of two great Blocs, namely the Eastern Block or Communism led by Russia and the Western Bloc or rather Capitalism led by the United State of America. These two Blocs hold contradictory views to each other and thus in their goals. As a matter of fact there is nothing in common between them except that they compete with each other to dominate the world and seek to conquer space. In their endeavour to conquer space and be unique in this feat, the two Blocs are preparing space rockets and spaceships, using their enormous resources of wealth and science, exploiting people, controlling nature and spreading terror.

Today there is no other Bloc which stands dignified, between these two Blocs except the third Bloc which obtains its guidance from the Light of God. This light is neither limited by a certain area nor concealed behind a veil, but it spreads a

permanent brilliance, and is well illustrated by the following verse:

God is the Light of the heavens and the earth, the parable of His Light is as if there were a Niche, and within it a Lamp: The Lamp enclosed in Glass: The Glass as it were a Brilliant Star: Lit from a blessed Tree, an Olive neither of the East nor of the West, whose Oil is well-nigh luminous, though fire scarce touched it: Light upon Light! God doth guide whom He will to His Light".

It is quite apparent, when one nowadays listens to the Radio or reads the newspapers, that this struggle has reached immense proportions and the Part played by the three Blocs have been spotlighted into prominence. The rest of the nations are merely witnessing the struggle that is taking place in an arena, just as spectators, jesters, or gamblers.

The Russians are desiring to spread out in the open fields of the

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنفان
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة
ت ٤٦٤١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بصدور عن مشيختنا الأزهرية في أول كل شهر رجبى

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بذل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدسسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثاني - صفر سنة ١٣٨١ هـ - يولية ١٩٦١ م - المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة العربية تحقق

بقلم : أحمد حسن الزيات



والتعطل يد مصرفة حازمة ، تحكم لتصلح ،
وتهدم لتبنى ، وتحرق لتزرع : ولكن هذه
القوى الشائرة المعمرة لا تستطيع وحدها مهما
تنشئ وتنتج أن تكفل لابن آدم المتمدن
المجتمع الذى يجدر به ويليق له . نعم تستطيع
الثورة أن تلين الحديد وتزرع الصخر وتقهقر
النيل وتشر المعرفة وتبسط الرخاء ، وتيسر
الأداة والحياة للعامل والفلاح ، وتوفر
القوة والعدة للجيش والشرطة ؛ ولكنها
لاستطيع أن تضع القوى فى القلب الأغلف ،

قلت فى عدد جمادى الأولى من سنة ١٣٨٠ أن
الجمهورية العربية المتحدة تعيش اليوم فى ثورات
ثلاث : ثورة سياسية تحقق الحرية وثبتت
الاستقلال على الوحدة والحيدة ، وثورة اجتماعية
تحقق الديمقراطية وتبنى المجتمع على المساواة
والتأخى ، وثورة اقتصادية تحقق الاشتراكية
وتقيم الثروة على العدل والتعاون . وهذه
الثورات الثلاث هى جماع القوى العاقلة
العاملة للشعب أخرجتها من الكون والسكون

الثورى؛ فإن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يتحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك. والأزهر بفضل ما مكن الله له فى التاريخ، وهياً له من الموضع، وأتاح له من الكسفاية، أقدر وراث النبوة على تبليغ الرسالة العظمى، وتوحيد الأمة الكبرى، إذا تسنى له أن يؤدى رسالته على المرسوم الذى رسمته الثورة، وبالمفهوم الذى أعلنه الاتحاد القومى فى مؤتمره العام للسنة الماضية (١).

كنا على هذا النحو العلى المأمول نفكر، وكان الرئيس جمال على نحوه العملى الواقعى يدبر، فرأى كما رأى المصلحون من قبل، أن العالم لا يصلح إلا بالدين، وأن الدين لا يتجدد إلا بالأزهر، وأن الأزهر

ولا أن تبعث الحياة فى الضمير الميت؛ بدليل أننا أصبحنا فى مدى تسع سنوات أمة على وجه الأرض وفى جهة الركب، نقول فنسمع، ونطلب فتجيب، ونعمل فنجد، ونزرع فنحصد، فى ظل حكم ديمقراطى عادل، ونظام اشتراكى معتدل، بضمنان للفرد مساعدة الكل، ويسكفلان للكل مساندة الفرد. ثم لا يزال فينا المرئى والمختلس واللص والمزور والمستتر والهدام والمنافق والخائن، فلا بد إذن لهذه الثورات الثلاث من ثورة رابعة تقوم لهن مقام الروح الملهم والشعاع الهادى، هى الثورة الدينية.

وليس لفظ الثورة نابياً على معنى الدين ولا بحافياً لروحه؛ فإن الإسلام فى حقيقته وطبيعته ثورة مستمرة: ثورة على الفساد والشر، وحرب على البغى والعدوان، وما دامت هذه الكباثر فى الأرض فالثورة دائمة والحرب قائمة. إنما نريد إذكاء شعلتها وإعلاء سناها، لتجد فيها ثورتنا العامة القمى الذى يحياها بحراوته ويهديها بنوره.

وهذا المصلح الناصر الذى أرسله الله على فترة من المصلحين ليجدد ما اندرس، ويبين ما انطمس، ويقم ما انهار، هو الذى يستطيع أن يرفع الإعجام عن كلبة الله، ويدفع الإبهام عن رسالة محمد، بإذكاء هذه الشعلة ووضعها فى مخطط السنين الخمس من سنى الإصلاح

(١) وهذا هو نص القرار: « يعلن المؤتمر - إيماناً بالدور الخطير الذى يؤديه الأزهر الشريف فى معركتنا المقدسة دفاعاً عن عروبتنا وقيمنا الروحية - تمسكه بضرورة العمل على دعم هذا المعهد الإسلامى الجليل حتى يستمر منارة ترسل أشعتها العلمية والروحية إلى أرجاء العالم - وتمكينه له من مساهرة تطورنا الحاضر - يوصى المؤتمر بضرورة العمل على أن تؤمن للأزهر الوسائل لىكون أداة صالحة لخدمة أهدافنا الروحية والقومية من تحرير الوطن العربى وتحقيق وحدته الشاملة فى إطار مفهومات القومية العربية ».

وبلغ الرسول ؛ وأن ينقى العقيدة من المذاهب الباطلة والبدع الضارة ، وأن ينشر الإسلام الصادق الصافي على الناس في معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم .

ثم أتاح له بما أضاف إلى كلياته الإسلامية والعربية كليات مدنية أخرى للبعاملات والإدارة والهندسة والصناعات والزراعة والطب أن يسند بيد الله أيدي العاملين في بناء المجتمع الصالح ، ويشارك بتقوى الله في تفريج أزمة الضمير ، فيخرج العالم المجتهد الذي يجعل من فقه رسالة ومن بيانه دعوة ، والطبيب الذي يجعل من عيادته عبادة ومن مرضاه إخوة ، والمهندس التقى الذي يجعل من عمله جهاداً ومن خلقه قدوة ، والموظف المتدين الذي يؤثر رضا ربه على رضا نفسه في كل نزعة أو نزوة . وهذا هو الإصلاح الجوهرى الشامل الذى تمتى بعضه أئمة الأزهر الأربعة المصلحون من الإمام محمد عبده ، إلى الإمام محمود شلتوت ، فلم يجدوا من أصحاب الحكم والسلطان سبيلاً إليه ولا معيناً عليه ، وكان الله رب الأزهر قد ادخر نعمة تحقيقه لرئيس الدولة جمال ، ونعمة تطبيقه لشيخ الأزهر شلتوت . ذاك لإخلاصه وصدقه وجهاده ، وهذا لعله وورعه واجتهاده ، وهما نعمتان

مضى استكمل أداة التعليم وسائر حاجة العصر ، نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة ، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل في أصوله . ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحي وقانون الطبيعة مضى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت هى وهو ، فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره .

ثم رأى كما رأى المصلحون من قبل أن خمسة وأربعين ألفاً من شباب الأمة في الأزهر ، فهم مواهب وعليهم تكاليف ولم مستقبل ، فمن حتمهم أن يتعلموا ليعيشوا مادام الإسلام لا يتبنى الرمان ولا يتبنى الأديرة . وإن يستطيعوا أن يعيشوا إلا إذا نزعوا بأنفسهم عن معرفة التخلف ، وشاركوا في علوم الحضارة وسائر واقعلية العصر وأرادوا الدين للدنيا ، وطلبوا العلم للحياة ، ثم وضع على أساس ما رأى وعلم قانون الأزهر الجديد الذى تقرأه في مكان آخر من هذا العدد ، فجعل به الجامع جامعة ، والدين سبيلاً ، والعلم دليلاً ، والعلماء قادة ، ثم مكن له بإنشاء المجمع العلمى للبحوث الإسلامية أن يحرد العقل من التقليد الأعمى والتسليم العاجز ، وأن يظهر السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة ؛ وأن يطور الشريعة في حدود ما أنزل الله

الصالح لا يدع محالا إلا أمكن ؛ ولا بعيدا إلا دنا ، ولا ناقصا إلا استكمل .

فنجاح هذا النظام أوله وآخره في أيديهم . هم الذين سيضعون المنهج ويؤلفون الكتاب ؛ وهم الذين سينفذون القانون ويطبقون اللائحة . فإذا ساروا بالإصلاح الجديد على الخطة القديمة ؛ فلم يغيروا إلا في الصور ، ولم يسدلوها إلا في العناوين ، كان قانون الأزهر بين أيديهم أشبه بدستور ما قبل الثورة بين الأحزاب ؛ جمع أحدث الآراء من دساتير الأمم ثم كان بين حقيقة وضعه وباطل تطبيقه كالمصحف في بيت الزنديق ، أو كالمصباح في غرفة الأعمى . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . إن قصارى ما أقوله اليوم في هذا التطوير الشامل الكامل للأزهر أنه يحقق ما تمنيناه وتمناه معنا المخلصون لدين الله ولغة كتابه وسنة نبيه وفقه شريعته : به يحتفظ الأزهر بقديمه ويشارك في جديد الناس . وبه تجمي الفروق المعنوية والمادية بين طلابه وسائر الطلاب . وبه تتحقق وحدة الثقافة وتتقطع أسباب الفقرة ويسهم الأزهر في شركة المدنية وقيادة العالم ؟

أحمد مسع الزيات

سيكون لها في تاريخ الإسلام شأن أى شأن ، وفي مستقبل العروبة أثر أى أثر ، وستكون مشيخة شلتوت للأزهر عنوانا بارزا في تاريخه ، يفصل بين ماض كان محدود الأفق محصور المجال ، لا يجد أهله ميسور الرزق ولا موفور الكرامة ، وحاضر سيكون رحب الجوانب واسع المضطرب ، يتمتع فيه أبناءه بالمساواة في الحق والواجب ، ويتكرم به علماءه بالمشاركة في الخدمة والإنتاج . يندمجون في الشعب ولا يعيشون على هامشه ، ويتخلغلون في البيت ولا يقفون ببابه ، ويتقدمون الركب ولا يسرون في ساقته .

لم يعد للصالحين ما يرجونه ، ولا للأزهريين ما يشكونه . لقد ظفروا لجامعتهم الخالدة في يوم وليلة بما طالما استرسلوا بأمالهم إليه وحاموا بنفوسهم عليه : ظفروا بالأصل الذي يرسو في أعماق الغابر ، وبالفرع الذي يتشعب في آفاق الحاضر . بالقديم الذي يحفظ التراث فلا يتبدد . وبالجديد الذي ينمى الموروث فلا يتضاءل .

لم يبق إلا أن يثبت الأزهريون - وسيتثبتون على ما أعتقد - أنهم أجدد بهذا النظام وأذكر لهذه النعمة وأشكر على هذا الفضل . وخير الذكر والشكر ما صدرنا عن يقين ووردا على فعل . والقول المؤمن إذا صحبه العمل

مَنْ وَحَى الْهَجْرَةَ

للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

أبرها المسلمون :

تلبية لهجرة القلوب ، وهكذا كانت هجرة
الرسول وصحبه .

ولقد نوه القرآن الكريم بمحادث الهجرة :
فذكر الدرجات التي أنعم الله وينعم بها على
المؤمنين ، واعتبر الهجرة فرضا دينيا ،
وواجبا كان مصير من تخلف عنه - مع قدرته
عليه - مصير من ترك الفروض الدينية
من عقائد وعبادات : « إن الذين توفاهم
الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيما كنتم ،
قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم
تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ،
فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » .

والهجرة في واقعها ضم للعناصر المجاهدة
بعضها إلى بعض ، فهي نوع من التكتل
الذي تنجح به الأمم وتقوى ، ولقد تكتل
المهاجرون ، أبناء مكة ، مع الأنصار سكان
المدينة ، وكونوا جميعا كتلة واحدة قوية ،
زعزعت حصون الشرك ، وثلت عروش
الوثنية ، وأقامت الحق على قواعد مستقرة

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فإن أعظم الذكريات وأقوى الأحداث
التي كانت سببا في انتشار النور الإلهي
وإشراق الحق واحتجاب الباطل هو حادث
الهجرة الذي قام به سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم وصحبه الأخيار من مكة مهبط الوحي
إلى المدينة رباط العزة وحلف الجهاد الحق
والعمل الصالح .

هذه الهجرة التي صار لهم بها جوار غير
الجوار عقدوا معه معاهدة الأمن والسلام ،
وبذا اكتملت لهم عناصر الوجود الدولي فيما
بينهم ، بتشريعات داخلية بنت مجتمعهم
على عمد قوية ثابتة ونظمت معاملاتهم على
أساس من العدل والمساواة فيما بينهم وبين غيرهم .
لقد كانت الهجرة هجرة قلوب قبل أن
تكون هجرة أبدان . وعند الله سبحانه وتعالى
لا تقع هجرة الأبدان موقعا إلا إذا كانت

الضعف ، وإلى الغنى بعد الفقر ، وهكذا إلى كل مبدأ من مبادئ الحياة الطيبة ، وإلى كل عنصر من عناصر الأمن السائد .

إن الداعى إلى الجديد لا بد أن يعادى ، خصوصاً إذا كان ذلك الجديد مما يمس العقيدة والخلق والعادة ، فإن النفوس البشرية قد أشربت حب ما نشأت عليه وتوارثته عن الآباء من عقائد وأخلاق وعادات .

وهكذا كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم مثار العداء من قريش لأنه حطم الوثنية التي كانوا يؤمنون بها ، والعقائد التي ساروا في ظلها . ومن واجب التأمل فيما كان من عمل الرسول أن نحذر حذو هذه النفوس العالية التي أثبت أن تقيم على ضيم وأن تعيش في ذل وعافيت على غرسها الذي غرسته في أرض لم تستطع أن تخرجه فتحولت بهذا الغرس إلى الأرض الطيبة الصالحة التي ينمو فيها النبات ويكو فيها الزرع ، اقتداء بقوله تعالى : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » .

وهكذا تبدت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم عامّة . لم تكن خاصة بقبيل دون قبيل ، ولا بمكان دون مكان ، بل كانت دعوة للناس

راسخة في أجواف الأرض ، لا تنزع ولا تضعف ، وكانت الهجرة في القرآن الكريم نصراً من الله لرسوله والمؤمنين .

وفي هذا يقول الله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله » ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .

أجل لقد كانت إيواء ونصراً وتأيداً وفتحاً مبيناً .

إن الهجرة تلمى على دعاة الخير والفضيلة - دعاة الإيمان والحرية ، دعاة الحق والعدالة ، دعاة الأمن والسلام - واجبههم في مكافحة الشر والعدوان ومحاربة الوثنية والعبودية ، ما دام في البشرية قلوب تنبض بالإيمان ، ولسان يلهج باسم محمد بن عبد الله .

إن حادث الهجرة صدّه اتجاه الناس عن سبيل الشر والشقاء إلى سبيل الخير والسعادة وإنه لمن نتائج الهجرة أن نبذت قلوب المؤمنين عبادة الأوثان والأصنام ، واتجهت إلى عبادة خالقها ، والاستعانة ببارئها ، وأخذت تتلبس النجاة والتحول إلى الحق بعد الضلال ، وإلى النور بعد الظلام ، وإلى الحرية بعد الاستعباد والاستغلال ، وإلى القوة بعد

كافة في الغرب وفي الشرق. كانت دعوة لأبناء مكة ولأبناء المدينة، دعوة الأقطار جميعا . وإذن فما على أصحاب دعوة الحق إلا أن يعملوا على نشر دعوتهم وتثبيتها على دعائمها الطيبة القوية بأن يهيئوا للبادئ والمثل المجتمع الصالح الذي يعي ويتقبل ويفهم ، فيؤمن ويؤمل ويعمق في الإيمان فيبذل ويضحى .

وهكذا تنجح المبادئ وتقوم على دعائم قوية وأسس سليمة .

هذا — والمعاني التي يجب أن تمتلئ بها نفوس المؤمنين كلما ذكروا الهجرة وقلبوا التاريخ وعرفوا الأسباب وفهموا الآثار التي ترتبت عليها — هي أن ينظروا إلى المبادئ وما حوت ، وإلى المثل التي تحتاجها الإنسانية كلما حز بها أمر ، أو اشتد بها ضيق أو نزل بها عنت أو تهكم فيها مستبد .

فيا أيها المسلمون — حرروا قلوبكم من تعظيم غير الله يضعف أمامكم الجبارون ، حرروا أخلاقكم من كل ما يثبثها تملسكو على الناس قلوبهم ، حرروا نفوسكم من الملل والجزع واليأس وانثروا دعوة السلام

في الأرض تسلم لكم الدعوة ويستقم لكم الأمر ؛ فكم من دعوة حق اضمحلت وزالت بفقد أسلحة القوة ، وكم من دعوة ظالمة راجت سوقها بالصبر المادى والتوهم العالمى ، وما راج سوق الاستعمار والبغى إلا بالاعتماد على الصبر وإن كان ماديا ، ولكن البقاء الدائم لا يكون إلا لدعوة توافرت فيها هذه الأسلحة جميعا كما توفرت في شخص صاحب الهجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أشبه عيد الهجرة اليوم بأصله بالأمس ، فقد تجمعت في أصله قوى الإيمان فبرزت قوى الشرك والباطل وما هي اليوم تتجمع قوى الحرية بتزاور الداعين إلى الحرية وتعاهدهم فتزلزل قوى الاستعمار والظلم ، وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .

والله الموفق والمستعان .

محمود سلوت
شيخ الجامع الأزهر

الظرف في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

يستخدم الظرف في اللغة - كما يدل عليه اسمه - لبيان الظروف التي تحدث فيها الأفعال والتمييز بين «كيفيات» وقوعها أو توقيفها . ويستدل علماء اللغات ، بكثرة الظروف في لغة من اللغات ، على أن المتكلمين بها يدركون الحوادث على كل صورة من صورها ويدبرون النظر على كل وجه من وجوهه ، ولا يقصرون إدراكهم للحدث على صورة واحدة يكتفون بها ثم لا يخطر لهم أن يحيطوا بها على حسب تعدد جوانبها وتفاوت وجهات النظر إليها .

وليس الأمر كذلك في ظروف اللغة العربية ، فإن الكلمات التي تسمى ظروفًا محدودة معدودة للزمان والمكان ، ولا خلاف في قلة هذه الظروف بالنسبة إلى الظروف التي يتيسر للمتكلم أن يستخدمها في بعض اللغات الهندية الجرمانية .

ولو وقف الأمر عند ذلك لصح - فعلاً - أن قلة الظروف دليل على ضيق أفق التفكير وعجز العقل عن تصور «الكيفيات» ، والأشكال التي تحيط بالحدث وتجعله قابلاً لكثير من الأوضاع تختلف قوة وضعفها ، وظهوراً وخفاءً ، واستقامة والتواء ، واطراداً

وقياساً على هذا يقارنون بين كثرة الظروف في اللغات الهندية الجرمانية وقلتها في اللغات السامية - وعلى رأسها اللغة العربية - فيرجعون بذلك إلى اختلاف أصيل بين المتكلمين بهذه اللغات في الفطر إلى الأمور والإحاطة بجوانب الحوادث واحتمال الظروف الممكنة لكل حادث منها غير ظرفها الواقع الذي هي فيه .

ولا جدال في كثرة الظروف في اللغات الهندية الجرمانية وقلتها في اللغة العربية .

وسعه أن يقول : إنها نسمت أو خفقت أو سرت ، أو هبت ، أو عصفت ، أو قصفت ، أو تهزمت ، إلى أشباه هذا الترتيب في القوة والتأثير . . . فيستغنى عن قول القائل بلغة هندية جرمانية : إنها هبت بقوة ، أو هبت بلطف ، أو هبت بصوت عنيف ، سواء أدى هذا المعنى بإضافة علامة الظرف أو بإلحاق الجار والمجرور .

وإحدى هذه الوسائل أن التضعيف والزيادة عندنا يؤديان معنى الفعل على درجات وأشكال يستغنى بها المتكلم عن الظروف ، فعندنا - مثلاً - فتح وفتح بفتشيد التاء ، وافتح ، واستفتح . وفتح ، وما يلحق بها من الأفعال المطاوعة تغني المتكلم العربي عن أداء درجات الفعل وأشكاله بإضافة علامات الظرف إلى الصفات أو إلى الأسماء .

ومن وسائلنا أن صيغ التفضيل عندنا معروفة بأوزانها ولا حاجة بها إلى العلامات التي تؤدي معانيها باللغات الهندية الجرمانية . فعندنا جميل وأجل والأجمل ، تغني المتكلم عن better, most, more, best, وما يماثلها أو يقابلها من أدوات المفاضلة بين الصفات أو الأفعال .

وعندنا الفرق بين مفضل ومفضل تغني عن بعض الظروف ، كما يغنيها عن بعضها كل فرق عندنا بين اسم المفعول والصفة

وشذوذا ، على حسب الفاعلين ، وحسب الأوقات ، وحسب الأحوال على الإجمال . ولكن هل حق ما يقررونه من الفارق الكبير بين عدد الظروف في لغتنا وعدد الظروف في اللغات الهندية الجرمانية ؟

نقول ، عن ثقة ، إنه غير حق ، وإن الخطأ هنا في أسلوب المقارنين لا في قواعد المقارنة الصحيحة بين اللغات . وقد أشرنا في مقالنا الآخر بهذا العدد إلى علة الخطأ في أساليب بعض المقارنين بين الأديان ، ونرى من الفرصة الحسنة أن نشير بهذا المقال إلى خطأ يماثل عند بعض المقارنين بين اللغات ، وكلاهما يرجع إلى سبب واحد : وهو الأخذ بالظواهر والعناوين وإغفال الجوهر الثابت وراء الأعراض والقشور .

إن الكلمات التي تسمى ظروفًا في إعراب اللغة العربية قليلة بالقياس إلى اللغات الهندية الجرمانية ما في ذلك خلاف .

ولكن الوسائل اللغوية التي تؤدي معنى الظرف أوفر وأوسع في لغتنا العربية من كل لغة هندية جرمانية نعرفها أو نستطيع مراجعتها .

إحدى هذه الوسائل أن اختلاف كيفيات الفعل ودرجانه متحقق من وفرة الأفعال التي تؤدي معنى كل فعل على أشكاله .

فإذا تحدث المتحدث عن هبوب الريح في

وليس باللازم في لغة من اللغات أن يكون الظرف باب واحد من أبواب الأجرومية ، أو علامة واحدة من علامات النحت والاشتقاق وكل ما يلزم اللغة ويحسب عليها أن تؤدي معنى « الظرفية » ، بعبارة من عباراتها الصحيحة وأن تعطي العربي كلاما باغة أخرى فينقله إلى العربية نقلا سليما يطابق مدلوله ولا يقصر عنه ، وقد تكون سعة الوسائل وتنوع الأدوات والعلامات أدل على ثروة اللغة ومرونتها ومطاوعتها لمواضع التعبير على مقتضى الحال .

ولست أذكر في اللغة الأجنبية - التي أفهمها فهما أفضل من فهمي لغيرها - وهي الانجليزية أنني قرأت عبارات الظروف ثراً أو شعراً ولم أجد لها مقابلاً يطابقها أحسن مطابقة بوسيلة من الوسائل التي أشرنا إليها .

فالمرء لذن على قوة التعبير اللغوي وليس على عنوان باب من الأبواب في كتب الأجرومية ، وقد نرى أن نظرة عاجلة إلى قصة يقصها عربي عن إنسان أو حادث أو مكان تكني لتصحيح الخطأ السريع في مقارنات بعض اللغويين الآخذين بالقشور والعتاوين ... فإننا لا نقرأ لإحدى هذه القصص إلا أدركنا من كلماتها الأولى مبلغ حرص الراوية على تحقيق « الظرفية » ، بجميع ملابسائها وعوارضها الزمنية أو المكانية (البقية على الصفحة التالية)

المشبهة وبين الفعل الذي يدل على الأخلاق الملازمة والفعل الذي يدل على التخلق أو الأخلاق العارضة .

ومن وسائلنا « الحال » مفرداً أو جملة - أوجاراً أو مجروراً متعلقين بمحذوف أو مذكور . فأنت تقول « أقبل مبتسماً » ، وأقبل بيتسماً وأقبل وهو بيتسماً ، وأقبل في ابتسماً ، وتترقى بالابتسماً - مع قوة الفعل - من ابتسماً إلى هس ، إلى استبشر ، إلى تهلل ، إلى ضحك إلى قهقهة ، إلى أغرب ضاحكاً ، كما نستطيع أن نحقق هذا التعبير في ألوف من الكلمات غير كلمات هذه المادة قابلة مثلها للتعبير عن مختلف الظروف والدرجات والأشكال .

ومن وسائلنا « المفعول معه » وهو ظرف بكل معاني الظرفية في اللغات الهندية الجرمانية ، وقولك « سار والجبل » ، أو سار والليل هو تعبير عن ظرفية المسكن والزمان يؤديه أبناء اللغات الهندية الجرمانية بظروف عدة لا تزيد على معنى هذا المفعول .

ومن وسائلنا المفعول المطلق موصوفاً وغير موصوف ، ففي وسعنا أن نقول : « اندفع اندفاعاً » ، لتوكيد قوة الاندفاع ، وأن نقول « اندفع اندفاعاً شديداً » ، أو اندفع اندفاعاً موقفاً أو مضطرباً أو متلاحقاً للتعبير عن معاني الظروف التي يعبرون عنها بالمقاطع والإضافات .

الحضارة الإسلامية

تقاس بالكيف دون الكم

للأستاذ الدكتور محمد الهادي

ليس كل عمل فكري أو تصوري أو فني أو سلوكي يصدر من الإنسان يسهم في الحضارة الإنسانية ، وإنما ذلك العمل وحده الذي يصدر من الإنسان ممثلاً لخصيصة من الخصائص الإنسانية ويتميز به الإنسان لأنه إنسان ، هو الذي يكون أو ينمي وصيده الحضارة البشرية .

فالعمل الفكري الدقيق ، والتصور الرفيع والفن في صورته العاليه ، والسلوك في رشدته واستقامته ، هو أساس الحضارة الإنسانية والعامل في نمورها أو تقدمها ؛ لأن في كل واحد منها يتجلى جهد الإنسان ، وتتجلى إرادته ، كما يبدو فيه أن الإنسان ذا فاعلية ، خرج عن التأثر وأضحى مؤثراً : مؤثراً بفكره وبتصوره وبفنه وبسلوكه في التوجيه والتعبير معا . والتوجيه والتعبير عندئذ له صلاحية تتجاوز الدائرة التي وجد ونشأ فيها المفكر أو الفنان أو صاحب السلوك الإنساني .

(بقية مقال الظروف في اللغة العربية ص ١٣٨)

أو النفسية . فهو يتكلم عن بطل القصة ويذكر هيئة لقائه ومنهج حديثه وملاحظه وهو قبل أو يعرض أو يتجهج أو يطرق لإطراق التأمل أو الارتياح ، ولا نذكر أن قصة رويت بلسان عربي لم تشتمل على جملة من الكلمات التي إذا نقلت إلى اللغات الأجنبية نقلت وظروفاً ، كأحسن الظروف في تلك اللغة دلالة على الأحوال والأشكال . وضمن المقارنة الصحيحة في هذه الحالة أن تترجم الكلام العربي إلى كلام أجنبي فترى أن الظروف ، طرأت على الترجمة لتحل فيها محل المعاني العربية ولا تزيد عليها شيئاً . أصيل في لباب الكلام .

وعلى مثل هذه المقارنة الجوهرية ، يصح الحكم على نقد اللغات والموازنة بين القواعد والأجروميات : ولألوم على المقارنة بين اللغات ولا بين الأديان ، وإنما اللوم على المقارنين كلما تركوا الحقائق ووقفوا عند العناوين ؟

عباس محمود العقاد

والشعر الذى يمجّد أمة أو فرداً أو أفراداً لأنها أمة بعينها أو فرد بذاته أو أفراد فى بعينهم — وليس لخصائص أو لقيم إنسانية تتمثل فى تلك الأمة أو ذلك الفرد أو أولئك الأفراد — قليل الحظ فى بناء الحضارة الإنسانية ، وربما كان من عوامل ضعفها أو قناتها ، والفن فى أنواعه العديدة الذى يشير الإنسان ويدفعه نحو تقويم الجانب الحيوانى فيه ، أو نحو تقويم الشعوبية هو فن بعيد عن مقياس الحضارة ، وبالتالى بعيد عن الاتصال بها فى قيامها أو استمرارها . والقانون الذى لا يؤسس على الحرية الفردية والعدل بين أفراد المجتمع ورعاية السلوك الإنسانى الرشيد فيه — وكلها قيم إنسانية — شأنه ألا يتجاوز دائرة واضعه ، وليست له الصلاحية فى التوجيه الإنسانى العام ومن ثم ليس له الطابع الحضارى الإنسانى .

وإذا انتقلنا من هذه المقومات إلى الإسلام — كمصدر فى توجيه الإنسان — نجد أنه يقدر الكيف والنوع ، أكثر مما يقدر الكم ، نجد صلاحيته فى التوجيه لا تقف عند قبيلة أو شعب أو جنس بعينه ، وإنما للإنسان أينما وجد ، وللشعوب مهما كان بينها من فوارق اللون ، أو المكان ، أو الزمان .

وهنا يمكن أن يقال : إن الحضارة الإنسانية هى مجموعة من القيم الإنسانية وضعها الإنسان بخالقيته أو توصل إليها بالجانب الإنسانى فيه وحده ، ولها الصلاحية والاعتبار فيما وراء المجتمع أو البيئة التى وجد فيها صاحب الخالقية أو ذلك الذى بنى وأسس فيها .

وكما كان تفكير الإنسان ، أو تصوره ، أو فنه ، أو سلوكه أوسع شمولاً فى الاعتبار والصلاحية فى التوجيه ، كلما كان أدخل فى الإسهام فى الحضارة البشرية أو فى تقدمها ونموها .

ولإنتاج إنسان — لهذا — يتميز أو يختلف عن إنتاج إنسان آخر ، سواء فى الفلسفة أو الشعر أو الرسم والتصوير والنحت والنشيل والموسيقى ، أو فى القانون . وأساس الاختلاف أو التميز حينئذ ليس هو كم الإنتاج ، بل نوعه وكيفه .

ويمكن أن يقال أيضاً : إن الفلسفة التى توجه نحو العنصرية وتفضل جنساً من البشر على جنس آخر منه ، وتلك الأخرى التى تدعو إلى الحيوانية والسخرية من القيم الإنسانية لا تقوم عليها حضارة بشرية أو هى أقل فى الإسهام فى هذه الحضارة من فلسفة أخرى تدعو فى توجيهها إلى تقويم الخصائص الإنسانية أينما وجدت فى أفراد أو فى شعوب .

أومكان أوزمان ، وليس بين طبيعة وأخرى فضل وتميز من حيث إنها طبيعة بشرية . وإنما التفاوت الذى يقع بين فرد وفرد أو بين مجموعة من الأفراد ومجموعة أخرى منهم ، يقع وراء إمكانيات هذه الطبيعة ، ويرجع إلى مدى ما تحقق من هذه الإمكانيات فى دائرة الطبيعة البشرية نفسها . فكل طبيعة بشرية فردية لها القوى النفسية التى تمثل فى الإدراك والوجدان والإرادة ، واختلاف طبيعة فردية عن طبيعة أخرى لا يعود إلى الزيادة أو النقص فى هذه القوى ، وإنما إلى الاستفادة من هذه القوى فى التوجيه والتقوى التى جعلت فى القرآن سبب المفاضلة فى قوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » — هى حسن توجيه هذه القوى النفسية بإدراك الله وحده ، وبالحبة والأخوة بين الناس ، وبالعمل الصالح لحخير الفرد والبشرية كلها . فإدراك الإنسان فى أصله يمكن أن يتجه به إلى الإيمان بالله الواحد أو إلى إنكاره ، ووجدانه يمكن أن يتجه إلى المحبة أو إلى ما يقابل المحبة من بغض وكراهية . وإرادته يمكن أن تحمله على كبت الهوى ، أو على الاسترسال فيه ، وهنا يتصور فى الإنسان — من حيث أن طبيعته البشرية ذات قوى نفسية ثلاث — أن يكون ذا تقوى وأن يكون غير أتقى . وبما يروى عن الرسول ويذكر فى القرآن

نجده يقدر السكيف والنوع فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . وقوة المؤمن ليست فى قوة عضلاته بقدر ما هى فى قوة قلبه بالإيمان ، وقوة عقله بالمعرفة ، وقوة إرادته بالسلوك المستقيم . وهنا يمكن أن يكون قول الله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ؛ بأنهم قوم لا يفقهون » . موضحاً لهذه القوة ؛ فالصبر الذى جعل أمانة على القوة حتى يكون العدد القليل المحتل به أشد تفوقاً على العدد الكثير الذى لم يكن له هذا الوصف — هو قوة نفسية وليست قوة مادية . ونجد السكيف أيضاً واضحاً فى تقدير الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يقول : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » . إذ لا شك أن الكم هنا قليل الاعتبار فى مواجهة النوع . وبعد ذلك نجد القرآن الكريم فى قوله تعالى : « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » — يحدد أن الطبيعة البشرية هى الطبيعة البشرية فى أى شعب

وبعهد الله أوفوا ، . ويقول : « ولا يحرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هر أقرب للتقوى ، .

والإحسان - بدوره - فوق العدل والموازنة ، لأنه ليس الإعطاء المادى لاحتاج ، وإنما هو التهذيب فى أخص صوره . هو المنح بلا مقابل ، والرد الكريم عند عدم الاستطاعة على الإعطاء . والمعاملة الإنسانية فى العشرة والمفارقة على السواء ، والقول الجميل فى المحادثة . يقول الله تعالى : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » . ويقول : « فإمسك بعروف أو تسريح بإحسان » . ويقول : « واعبدوا الله ولا شركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » ويقول : « ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

ولمزية العدل والإحسان فى المستوى البشرى وبين الخصائص النفسية طلبهما القرآن فى صورة الأمر الجازم فى قوله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . فإذا تحقق العدل الفردى والجماعى وأصبح التوازن ظاهرة فى تصرفات الفرد والمجتمع على السواء - تحققت صورة من صور « النوعية » الإنسانية . وإذا وجه الإحسان بالمعنى الذى قدمنا وجدنا الصورة الأخيرة لهذه النوعية ، وأضحى الفرد

قيماً سبق - نجد الإسلام بقدر ما هو توجيه للبشرية مصدراً للحضارة الإنسانية فى الوقت نفسه .

ودعوته هى دعوة لبناء الحضارة ولبقائها . وتعاليمه لا تتجه الى تكتيل الأفراد لغزو أو اعتداء ، وإنما تتجه الى « النوعية » فى الإنسان ، وهى إنسانيته ، وأخص ما يمثل هذه النوعية فى الإنسان صفتان : العدل والإحسان .

فالعدل هو موازنة فى الفرد بين ما يشتهى أن يحصل عليه وما يجب عليه أن يفعله ويؤديه ، وفى أفراد المجتمع بين ما يؤدى من قبل كل فرد وما يؤخذله ، ليس هناك حرمان فى دائرة الفرد ولكن هناك اعتدال ، وليس هناك أنانية فى دائرة المجتمع ولكن هناك اشتراك فى الوجود وفى حق الحياة وتوازن فهمما ، ومن ثم ليس هناك مجال للطبقات ولا سبب للاحتكاك . وإنما هناك حق للجميع . والعدل كما يكون فى الفعل يكون فى القول ، وكما يكون بين مشركين فى هدف واحد فى الحياة يكون بين اثنين لا يربطهما هدف واحد ولكن تجمعهم خاصائص الإنسانية . يقول الله تعالى : .

« أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » . ويقول : « وإذا قلتم فاعدنوا ولو كان ذا قربى

« الإحسان » . أى إلى الصورة الأخيرة
لنوعية الإنسان .

لم يكن الإسلام فى واحد من تعاليمه مقدرأ
للكم لأنه كم ، ولم يكن مقدرأ الإنسان لمظاهر
جسمه ، ولم يكن مقدرأ الحياة لزينتها وبريقها
مما يقاس بالامتداد أو العمق . ولكن
دائما يتدر النوع ويهدف إلى النوع ، ويحمل
على السعى إلى معرفته ثم تقديره وتحقيقه
فى حياة الإنسان .

الإسلام مصدر للحضارة الإنسانية . وقد
أسهم المسلمون - عندما حققوا مبادئ
الإسلام - فى بناء تلك الحضارة . ولعل
ما أسهموا به كان أروع ما فى هذه الحضارة .
وقد انقطعوا عن الإسهام والمشاركة فيها
يوم أن ابتعدوا عن القيم الإسلامية فى حياتهم
واكتفوا بانتسابهم إلى الأمة الإسلامية
دون أن يصنعوا صنيع المسلم المعبر فى سلوكه
عن الإسلام .

ويقظة المسلمين فى حاضرنا حين تبتدى
من تقدير النوع دون الكم ، ومن تقديم
المبدأ دون الشخص ، ومن الإيمان بالإسلام
دون الاحتراف به ، أو الاكتفاء بالانتساب
إليه ، يومئذ تبتدى فى الإسهام فى الحضارة
البشرية بالنوع الرفيع منها .

الدكتور محمد البهرى

المدير العام للثقافة الإسلامية

ذا إنسانية وأصبح المجتمع مجتمع الإنسان
فما قودى إليه كلمة الإنسان من معنى أصيل
وخاص بها .

وما جاءت به دعوة الإسلام فيما وراء
العدل والإحسان لايعدو أن يكون دفعا
لتحقيق العدل والإحسان أو خلقا لجو يفسر
أمرهما على الإنسان كفرد وكعضو فى مجتمع .
فصنوف العبادات من صلاة وصوم وزكاة
وحج قصد منها حمل الإنسان على أن يرى
نفسه ووضعه فى الحياة كما يرى غيره معه
فى الوجود ويشركه فى أسباب الاستمرار .
فتكرار الصلاة فى الحياة اليومية عدة مرات
والوقوف فيها بين يدى الله ، والسيطرة
على النفس بالصيام مدة شهر فى السنة ،
وإخراج الزكاة عن إيمان قلبى بها كل عام ،
والالتقاء فى بيت الله وفى مكان له حرمانه
مع تحمل المشقة فى الوصول إليه أو البقاء
فيه - كل ذلك سيخلى فى حياة الإنسان مكانا
للغير ويجعل لديه احتمالا قويا للتعاون مع
الآخر ، وربما يصل هذا التعاون للتآخى
بعد ذلك .

وكذا ما جاء فى دعوة الإسلام من تحديد
فى المعاملات المالية والتجارية وفى العلاقات
الأسرية - لايخرج عن كونه دفعا غير مباشر
للبقاء فى دائرة العدل أو الارتقاء إلى دائرة

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ٦ -

- ١ - روى أحمد ، والبخارى ،
والترمذى ، والنسائى ، وغيرهم ، عن
ابن عباس قال : سمعت عمر يقول : لما توفى
عبد الله بن أبى دعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه ، فلما
وقف قلت : أتصلى على هذو الله عبد الله
ابن أبى القائل كذا وكذا ، والقائل كذا
وكذا - أعدد أيامه - ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يتسم - حتى إذا أكرت قال :
« يا عمر آخر عني ، إني قد خيرت : قد قيل
لي : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر
لهم سبعين مرة - فلو أعلم أنى إن زدت على
السبعين غفر له زدت عليها ، ثم صلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه حتى
قام على قبره حتى فرغ منه . فمجيبت لى
ولجرائتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيراً
حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصل على
أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » ،
فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
منافق بعده ، حتى قبضه الله عز وجل .
- ٢ - وروى البخارى ومسلم وغيرهما
من حديث ابن عمر رضى الله عنه قال :
لما توفى عبد الله بن أبى بن سلول ؛ جاء ابنه
عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسأله أن يعطيه قيصه يسكن فيه
أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه ، فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه ،
فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : أتصلى عليه
وقد نهاك ربك أن تصلى عليه ؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما
خيرنى الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر
لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيده على
السبعين ! » ، قال : إنه منافق ، قال : فصل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل
الله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات
أبدأ ولا تقم على قبره » - زاد مسلم فى رواية
أخرى : فترك الصلاة عليهم .
- ٣ - وذكر ابن حجر العسقلانى فى ترجمة
أبى عطية من الجزء الرابع من (الإصابة)
أنه قد أخرج البغوى وأبو أحمد الحاكم من
طريق إسماعيل بن عياش ، وروى الطبرانى

مع أن سياق القرآن صريح في أن آية النهي « ولا تصل على أحد منهم » إلخ نزلت في سفر غزوة تبوك سنة ثمان ، وإنما مات ابن أبي سنة تسع .

٢ — وقول عمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وقد نهاك ربك أن تصل عليه » يدل على أن النهي عن هذه الصلاة سابق لموت ابن أبي — وقوله بعده : « فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فأنزل الله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » صريح في أنه نزل بعد موته والصلاة عليه .

٣ — وقوله : « إنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى خيره في الاستغفار لهم وعدهم ؛ إنما يظهر التخيير لو كانت الآية كما ذكر في الحديث ، ولم يكن فيها بقيتها ، أى التصريح بأنه لن يغفر الله لهم بسبب كفرهم ، وأن الله لا يهدي القوم الفاسقين ، ومن ثم كان المتبادر من « أو » فيها أنها للتسوية بين ما بعدها وما قبلها ، لا للتخير ، وذلك هو ما قرره المحققون ، وهو فهم عمر .

والواقع أن الإشكاليين الأولين مبنيان على أن النهي الذى قصده عمر حين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال ، هو النهي الوارد في قوله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم » ، مع أن الروايات تدل على أنه يريد النهي الذى فهمه من قوله تعالى : « استغفر لهم

من طريق بقية » ، كلاهما عن مجير بن سعد عن خالد بن سعدان ، عن أبي عطية : أن رجلا توفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمال بعضهم - وسيرد في آخر الرواية ما يدل على أن هذا البعض هو عمر - : يا رسول الله ، لا تصل عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل رآه أحد منهم على شئ من أعمال الخير ؟ » ، فقال رجل : حرس معنا ليلة كذا وكذا ، قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مشى معه إلى قبره ، ثم حثا عليه وهو يقول : إن أصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : إنك لا تسأل عن أعمال الناس ، وإنما تسأل عن الغيبة ... الحديث ...

لم يزل العلماء يروون هذه الروايات وأمثالها في شأن الصلاة على المنافقين ، وموقف كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم ، وعمر رضى الله عنه من ذلك ونراهم يوردون عليها استشكالات كثيرة ، ثم يحاولون الإجابة عنها ، أو يقفون دون ذلك في عجز وحيرة ، وقد عد بعضهم وجوه الإشكال والاضطراب فيها ، فكان منها :

١ — أن هذه الروايات تقر أن الصلاة على ابن أبي كانت سببا لنزول آية النهي ،

أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم... إلخ كما سيأتى بيانه.

ولذلك يعد الإشكال الثالث هو أهم
الإشكالات فلنقتصر حديثنا عليه فنقول :

لنا أن نتساءل أولا من أين عرف عمر
أن الصلاة على المنافقين منهي عنها ، ولنا
أن نجيب بأنه عرف ذلك استنباطا من
آية : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن
تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ،
ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله
لا يهدي القوم الفاسقين ».

والذى يدل على أن عمر فهم هذا من الآية
هو أن رسول الله قال له : (إنما خيرنى الله
فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن
تستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيده على السبعين) .
والخلاصة : أن عمر رضى الله عنه فهم من
هذه الآية :

أولا : أن المراد بيان استواء الاستغفار
وعدمه فى عدم القبول من الله .

قال ابن المنير : « هذا كقول كثير عزة :
أسيئ بنا أو أحسنى لا ملومة .

كأنه يقول لها : امتحنى بحلك عندى وقوة
محبى لك ، وعاملينى بالإساءة أو الإحسان ،
وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة
أو محسنة ، وكذلك معنى الآية « استغفر لهم
أو لا تستغفر لهم » ، وانظر هل يغفر لهم

فى حالتى الاستغفار وتركه ، وهل يتفاوت
الحالان أولا ؟

قال : وقد ورد بصيغة الخبر
فى الآية الأخرى فى قوله تعالى : « سواء عليهم
أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، لن يغفر الله
لهم ، اه كلام ابن المنير ^(١) ، وهو التعبير
الواضح عن فهم عمر ، ثم تأتى مقدمة أخرى
لتمام حجة عمر ، وهى أن يقال : ما دام
الامر فى استغفار الرسول وتركه على سواء
فلا محل لاشتغال الرسول بالاستغفار لهم ،
وهو أمر لا يؤدى إلى المقصود منه ، وكل
ما كان كذلك يحرم الاشتغال به ، وإذنه
فالاستغفار لهم حرام ، ولما كانت الصلاة
على الميت من المنافقين ما هى إلا استغفار له ،
فإنها تحرم لأنها فرد من أفراد الاستغفار .

ثانيا : أن عمر فهم من قوله تعالى : « إنه
تستغفر لهم سبعين مرة ، أنه مبالغة فى بيان
عدم القبول حتى مع الكثرة ، وعدد السبعين
لا مفهوم له ، بل هو جار فى كلامهم مجرى
المثل لإفادة الكثرة كما قال الشاعر :

لأصبحن العاص وابن العاصى

سبعين ألفا عاقدى للنواصى
وهنا يبرز إشكال ، فيقال : كيف خفى هذا
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو

(١) ص ١٦٤ هامش الجزء الثانى من تفسير
الكشاف - الطبعة الأولى لمصطفى محمد سنة ١٣٥٤ هـ
بمصر .

عند أهل البيان تردد أن التخصيص بالعدد في هذا السياق غير مراد . ١٥ (١) .

ولكن الحفاظ في فتح الباري لم يرض حل الإشكال على هذا الوجه بإنكار صحة الحديث ، فقال : « لقد أقدم هؤلاء الأكابر على الطعن في صحة هذا الحديث مع كثرة طرقه واتفاق الشيخين وسائر الذين خرجوا الصحيح على تصحيحه ، وذلك ينادى على منكرى صحته بعدم معرفة الحديث وقلة الاطلاع على طرقه ، (٢) » .

وأما صاحب الكشاف فلا يجيب بإنكار صحة الحديث ، ولكن يخرج به تخريجا فيقول : « لم يخف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وإنه كخيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه ، كقول إبراهيم عليه السلام ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم ، وفي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمة ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض ، (٣) » .

ويتلخص هذا الرأي في أن الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمه صحة ما استنبطه عمر ، وأنه الموافق لكلام العرب الذي لا يمكن أن يفهم غيره ، لكنه تغافل عن ذلك ، وخيل بما قال ، أي أظهر أنه مستصحب بوجه قد يفهم ، وذلك لأنه يريد أن يصل

أنصح العرب ، وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته - والذي يفهم من هذا العدد كثرة الاستغفار ، كيف وقد تلاه بقوله : « ذلك بأنهم كفروا ، الآية ، فبين الصارف عن المغفرة لهم - حتى قال قد رخص لي ربى فسأزيد على السبعين ، (١) » . ويقال : « لا يعقل أن يكون فهم عمر أو غيره أصح من فهم رسول الله لحطاب الله ، (٢) » .

وقد حاولوا الإجابة على هذا الإشكال . فأما ابن المنير فقال : « إن مفهوم هذه الآية قد زلت فيه الأقدام حتى أنكر القاضي أبو بكر الباقلاني صحة الحديث وقال لا يجوز أن يقبل هذا ، ولا يصح أن الرسول قاله ١٥ . ولفظ القاضي أبي بكر الباقلاني في التقريب : هذا الحديث من أخبار الآحاد التي لا يعلم ثبوتها ، وقال إمام الحرمين في مختصره : هذا الحديث غير مخرج في الصحيح ، وقال في البرهان : لا يصححه أهل الحديث ، وقال الغزالي في المستقصى : الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح ، وقال الداودي الشارح : هذا الحديث غير محفوظ ، والسبب في إنكارهم صحته ما تقرر عندهم ، وهو الذي فهمه عمر من حمل « أو ، على التسوية لما يقتضيه سياق القصة وحمل السبعين على المبالغة . قال ابن المنير : ليس

(١) ص ٥٧٧ ج ١ من تفسير للنار .

(٢) المصدر والموضع السابق ذكرهما .

(٣) الكشاف في الموضع السابق ذكره .

(١) ص ١٦٤ من الكشاف - الطبعة المذكورة

ج ٢ .

(٢) ص ٥٧٦ من الجزء العاشر من تفسير للنار .

فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم ! قال ابن رشيقي في كتابه « العمدة » ، بعد أن أورد هذه القصة : « وكان عمر رضى الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ، ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات ، فلما قال حسان ما قال بين النجاشي ، وقيل إنه حده » (١) . ولا شك أن التغافل مع الفطنة مسلك قد تقضى به المصلحة ، فهذا تقريب لما أراده الزحشرى حين قال : « إن رسول الله لم يخف عليه ذلك ، ولكنه خيل بما قال » . ونحن إذا نظرنا إلى سياق القرآن وحده ، بعيدين عن الروايات المروية ؛ وجدنا أن سورة التوبة ، قد عنيت بالحديث عن أصناف المنافقين ، وأساليب نفاقهم ، معطية لكل لون حكمه ، وذلك مثل قوله تعالى : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن » ، « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ، « ومنهم من يلزك فى الصدقات » ، « ومن حولكم من الأعراب منافقون » . . . إلخ ، فقلوه تعالى فى هذه السورة : « فرح المخلفون

فى مظهر الرأفة والرحمة إلى أبعد حد ، لطفا بالامة ، وتعليلهم إلى أى حد يتراحون . وقد ذكرنى هذا بكلام قرأته فى بعض كتب الأدب ، وهو أن شاعرا اسمه « النجاشي » هجا بنى العجلان بشعر أوجعهم ، فشكوه إلى عمر بن الخطاب ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال عمر : وما قال ؟ فأنشدوه : إذا الله عادى أهل لؤم ورقة

فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل
فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ! فقالوا إنه قال :

مُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل !
فقال عمر : ليتنى من هؤلاء ، أو قال : ليت آل الخطاب كذلك ، أو كلاما يشبه هذا ، قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية
إذا صدر الورد عن كل منهل !
فقال عمر : ذلك أقل للشكاك يعنى الزحام ، قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل !
فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا فإنه قال :

وما سبى « العجلان » إلا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم !

(١) العمدة لابن رشيقي ص ٢٧ - ٢٨ من الجزء الأول طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م .

لمظهر من مظاهر الكفر ، ولذلك قيل
للرسول : « استغفر لهم أولا تستغفر لهم ،
إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ،
ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله
لا يهدي القوم الفاسقين » .

وأحب أن أنبه في هذا المقام إلى أن
القرآن وصف كلا من هذين الصنفين من
المنافقين ، مع الكفر بالله ورسوله ، بوصف
الفسق حيث يقول عن المخلفين : « وماتوا
وهم فاسقون » ، وعن منع الزكاة : « والله
لا يهدي القوم الفاسقين » ، والفسق الخروج
عن مقتضى الإيمان في إعلان وإظهار ،
وفي اللغة : فسقت الرطبة ، إذا خرجت عن
قشرتها ، فكأنهم بتخلفهم ومنعهم الزكاة ،
أعلنوا ما كان مستخفيا من حقيقة أمرهم
وظهروا بدون حجاب يسترم ، فاستحقوا
أن يعاملوا معاملة الأعداء الصرحاء .

وإذا كانت هذه دلالة القرآن في سياقه ،
فليس في الأمر مشكلة ، إنما المشكلة في الجزء
الآخر من الحديث الذي يقرر : أن عبد الله
ابن أبي من المنافقين الذين لا تجوز الصلاة
عليهم ، وفي الجزء الذي يقرر أنه داخل ضمن
المقصودين بقوله تعالى : « استغفر لهم أولا
تستغفر لهم » .

والواقع أن عبد الله بن أبي بن سلول ،
لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء ، فلم يكن من المخلفين
ولا من المانعين للزكاة ، وإنما كان من

بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن
يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، إلخ .
إنما هو حديث عن صنف من أصناف
المنافقين بعينه ، وهم الذين تخلفوا عن واجب
الجهاد والخروج مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى غزوة تبوك ، فهم ليسوا بمجرد
منافقين لهم مظهر المسلمين وباطن الكافرين ؛
ولكنهم خرجوا على المظهر الإسلامي ، حين
تخلفوا عن الجهاد ، فاعتبروا بذلك كفاراً
صرحاء ، وعوملوا على هذا الأساس ، فقبل
للرسول في شأنهم : « فإن رجعت الله إلى
طائفة منهم ، فاستأذنوك للخروج ، فقل إن
تخرجوا معي أبداً ، ولن تقاوتوا معي عدواً » .
وهذا طبيعي لأنه لا يمكن أن يتكون جيش
الجهاد من مسلمين صرحاء وكافرين صرحاء ،
وقيل له : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً
ولا تقم على قبره » ، وذلك لأن الصلاة إنما
تكون على المؤمن باعتبار الظاهر ، أما هؤلاء
فنفقوا عنهم الآية : « إنهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون » .

وبذلك يتبين أن هذه الآيات عن فريق
معين من المنافقين ، ظهر كفرهم بعد أن كان
خافيا ، وأعلنوا أمرهم ، فكان لابد من
معاملتهم معاملة الكافرين الواضحين .

ويقال مثل ذلك فيمن قصد بقوله تعالى :
« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ،
فإن احتجاز الزكاة والبخل بها ، إعلان

فنعم ما فعل رسول الرحمة صلوات الله وسلامه عليه .

أما عمر رضى الله عنه ، فإن ما ترويه عنه الروايات ، شبيه بما يعرف من شدته وقوة شكيمته ، فهو ينظر إلى ابن أبي بعينه هو ، وبما يعرفه من خباياه ، فتتسبب تلك النظرة المظهر الذى يتستر به ابن أبي ، ولا يذكر إلا أن هذا منافق وكفى .

وستان بين من ينظر إلى الأمر من جميع الزوايا ، ويعطيه الحكم اللائق به حسب المبادئ المقررة فى الحكم بالظاهر وفى دها شققت عن قلبه ، وفى د لك لا تسأل عن أعمال الناس وإنما تسأل عن الغيبة — أى عما تعمله أنت ، شتان بين نظرة محيطية كهذه ونظرة من أفق فى ناحية واحدة كهذه النظرة التى نظرها عمر .

ولكن المولعين بإكثار الروايات أو القصص عن قوة الشخصية العمرية ربما أغراهم ذلك الولوع بمثل هذا اللون الذى يتضمن أن رأى عمر كان أوفق من رأى رسول الله ، وإن هذا الحكم خطير ، فلا ينبغى أن نعجل به دون أن نتأمل وندرس الأمر من جميع جوانبه .

والله المستعان .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

المنافقين المستخفين الذين لم يرتكبوا ظاهراً يفصح عن حقيقةهم ، فوجب معاملته بمبدأ الإسلام المعروف ، أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، ولذلك صلى عليه الرسول ، وكفنه بقميصه وقام على قبره وله فى ذلك غرض بعيد المدى ، بفعل هذا الذى يباح له بحكم قواعد الإسلام أن يفعله مع أبى ، وهو أن يقرب أتباعه وأهله ، والمستظلين بلواء زعامته ، ولا شك أنه يجوز لكل إمام أن يجامل فى سبيل المصلحة العامة بفعل لا يتعارض مع أحكام الشريعة .

تلك هى نظرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهى نظرة الصواب والحق والنظرة التى توافق طبيعته صلى الله عليه وسلم باعتباره رسول الرحمة ، ومربي الأمة ، والحريص على أن يلين للناس ليستل من النفوس عوامل النفور والاستكبار ، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، امتنع عن الصلاة على ابن أبي وهو لم يعلن كفره ، لبقى ذلك عاراً يدمغ به أهله وأتباعه أبداً ، ولكان هناك مثار للشك فى نفوس كثير ممن لا يعرفون حقيقة ابن أبى ، ولا يأخذون إلا بظاهر أمره .

وقد قيل له صلى الله عليه وسلم : لم وجهت قميصك إلى ابن أبى يكفن فيه ؟ فقال : إن قميصي لا يغنى عنه من الله شيئاً ، وإنى أؤمل أن يدخل بهذا السبب فى الإسلام خلق كثير ، فروى أنه أسلم بهذا السبب ألف من الحزرج .

الوحدة العربية

للأستاذ عارف النكدي

وصلب من صلب ، واستشهد من استشهد ، وعيناه شاخصتان إليها ، مطمئن قلبه أنها آتية لا ريب فيها .

إنها الحقيقة لا خيال فيها ، قامت على وحدة الأصل ، ووحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة الأدب ، ووحدة الاشتراع ، ووحدة السياسة والإدارة ، ووحدة الرأي والمبدأ ، ووحدة العقيدة والإيمان ، ووحدة المصالح والأهداف . هي الرغبة في أن نعيش أمة واحدة في وطن واحد ، إلا من أضله الله وما له من هاد . وبحسب الجماعات بعض هذا ليكونوا أمة واحدة . فكيف بالعرب وقد اجتمعت لهم هذه العوامل والروابط كلها .

ولا نقف عند قولة نقولها ، وإن كانت الحق وصوت التاريخ ، فراجع إلى من قبلنا وما قالوا في تكوين الأمة وشرائط بنائها . يقول لاون بورجوا :

« الأمة : حيث الناس وهم روح واحدة ووطن واحد ، ورغبة في أن يحتفظوا بالحياة المشتركة التي ورثوها عن آبائهم وأن يورثوها أبناءهم من بعدهم » .

وأقدم من هذا وأوضح منه ، ما قاله

إن هذه الانتفاضة الجبارة التي ابتعثتها مصر الحالدة ثورة بناء لا قتل معها ولا سبيل ، وما بالعهد أن تكون الثورات إلا حمرا ، هذه الثورة أيقظت العرب ، بل المستضعفين في كل بقعة من بقاع الدنيا ، وتركت دوبا أفزع المستعمر في كل بلد من بلاده ، وفي كل أرض من استعماره . وجعلت الحديث عن العرب والعروبة وعن الوحدة العربية حديثا عذبا مستطابا . وكان من آثار هذه الثورة : هذه الوحدة خصت مصر وبعض الشام ، وستم غدا المشرق والمغرب ، فنضم العرب في كل مكان ، تحمي ما كاد يموت من آمالهم ، وتنشر ما كان انطوى من سلطانهم وأعلامهم .

وبعد : فهل هذه الوحدة ومبادئها ، وما سيكون بعدها بدعة لم يعرفها التاريخ ، قامت على نزعة جاححة ، اقتضتها مصلحة عارضة ، أم هي حقيقة ثابتة مستلة من صلب التاريخ ، يؤيدها منطق الأحداث ومتطلبات الحياة ؟

إن الوحدة العربية هي الحقيقة التاريخية ، والأمل المنشود ، قضى في سبيلها من قضى ،

والعادة ، ربما كانت أبلغ وأوغل من جهة الرحم . نعم ! حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه . وربما كانت أشبه به خلقا وخلقا ، وأدبا ومذهبا .

ولقد كانت الوحدة العربية قائمة على عصبية قومية صحيحة : متينة الأواصر ، متسلسلة الحلقات ، متصلة الموجات والهجرات منبعث بعضها عن بعضها الآخر ، متولد آخرها عن أولها ، في حياتها : الروحية والمدنية جميعاً . فلولا مكة ما كانت المدينة ، ولولا هذه لما كانت دمشق وبغداد ومصر ، وسائر العواصم العربية الكبرى في المشرق والمغرب . ولولا هذه كلها ، وما كان فيها من مدارس ودور العلم ، وما أخرجت من فلاسفة ومحدثين وعلماء وأدباء وشعراء ومؤرخين لما كانت هذه الحضارة العربية الزاهرة الخلافة الولود المؤلفة لهذه المجموعة من الحضارة ، متمم بعضها للبعض الآخر ، عروة متماسكة لا انفصام لها ، ولا ينهض منها جناح إلا بجناحه الآخر . ثم إنها كانت بعد ذلك حلقة الاتصال بين ماضي الحضارات وحاضرها . حضارة أصلها ثابت وفرعها في السماء . قامت في كل بلد عربي ، أو دخل في حكم العرب . وتركت آثاراً وضاءة لا يزال العلم في كثير من شئونه يستنير بها ، ويستقي من معينها الثر الفياض .

(أرست رينان) : الأمة روح ، أو هي مبدأ روحى يتألف من شيئين اثنين هما في الحقيقة شيء واحد . أولها إرث مشترك غنى بالذكريات . وثانيهما رضاء بالحاضر ، ورغبة في الحياة المشتركة ، والعمل على أن نجعل لهذا الإرث القديم الذى انتهى إلينا شائعاً ، شأناً وقيمة .

وكما أن الرجل لا يرتجل ارتجالاً ، فكذلك هي الأمة ، نتاج ماض بعيد ، معمور بالإخلاص ، مملوء بالمساعي والضحايا .

هذا بعض ما قاله بعض الغربيين عن الأمة عامة . أما الجاحظ فيقول عن العرب خاصة ما هو أبين وأبلغ ، يقول : « فأما الخواص الخالص فإنهم قالوا : العرب كلهم شيء واحد ؛ لأن الدار والجزيرة واحدة ، والأخلاق والشيم واحدة . وبينهم التصاهر والتشابك ، والاتفاق في الأخلاق والأعراق ، وبينهم الختلة المرددة ، والعمومة المشتبكة .

ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة ، وطابع الهواء والماء . فهم في ذلك شيء واحد في الطبيعة ، واللغة ، والهمة ، والشبائل ، وفي الرأى والرأية ، والصناعة والشهوة .

فإذا بعث الله نبيا للعرب - نقول : أوزعيا - فقد بعثه إلى جميع العرب . كلهم قومه ، وهم جميعاً يد على العجم ، وعلى كل من حاربهم من الأمم .

قالوا : والمشكلة من جهة الاتفاق في الطبيعة

أسياداً بسيفه في الظاهر ، عبداناً له في الواقع ، فلا يزال يقاتل الوطنية والوطنيين باسمهم ، حتى إذا هو انتهى منهم ، وفرغ من حاجته إليهم ، نبذهم والتفت إلى غيرهم . هذا هو المعروف والمشاهد إلى يومنا هذا ، في كل بلد اجتثله الأجنبي ، في الشرق أو الغرب .

والقضاء على أمثال هؤلاء الخارجين على أمتهم ، المارقين من صفوفها ، له فرص تلتهم : ليست ميسورة كل حين . وقد يجوز أن يطلق على هذا الوضع الاستعمار المستتر ، وإن كان في كثير من الأحيان يكون مكشوفاً مفضوحاً .

الاستعمار : أما الاستعمار الصريح ، فهو السياسة التي يتبعها الأجانب في الدول والبلدان التي يطمعون في استئثارها ، أو في دفع شرها أو استنزاف ثرواتها ، أو في ذلك جميعه .

وهي تقوم على تمزيق وحدة الوطن الواحد ، وتحرير الناس بعضهم على بعض ، والتحرش بينهم لبقاء على سلطانه عليهم ، وتحكمه فيهم . وهي سياسة قديمة قائمة على قاعدة : اقم تحكماً ، أو فرق تسد . فصلها أرسطو في جواب بعث به إلى الإسكندر - بعد تغلبه على بلاد فارس واستعلائه عليها - قال له فيه : « واعد إلى من قبلك من العظماء والأحرار ، فوزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك

وأى عربي صدقت وطنيته ، وصح تفكيره ، يرضى لنفسه أن ينكش في وكره متخلياً عما في الأفطار الأخرى من كرائم ومقومات ، خارجاً عن حقه في ملك هو مملكته ، وعن إرث هو إرثه ، خلفه له آباؤه الأولون في كل قطر من أقطارهم .

ورجالات العربية في العلم والأدب ، كان الوطن العربي كله ، وطنهم كله ، فكانوا حتى بعد ما أصيبت أوطانهم بما أصيبت به من تجزئة وانفصال ، قضت بها المنافع والمآرب الشخصية ، كانوا يتنقلون من جانب إلى جانب ومن دولة إلى دولة ، وهم يرون في كل وطن نزولهم من المشرق أو المغرب وطنهم ، يتقلدون مناصبه ويتمتعون بخيراتهم . ظل ذلك إلى أن احتل الأجنبي ديارهم ، فخرج به وعلى يديه جماعة عدوا كل طارئ عربي على قطر عربي غريباً عنه ، دخيلاً فيه .

وقد يتساءل متسائل بعد هذا الذي بسطناه : وما الذي يمنع هذه الوحدة أن تتم كاملة شاملة ؟ نقول : يمنعها شيان اثنان هما في الحقيقة شيء واحد : الاستعمار والاستثمار أو الاستثمار :

أما الاستثمار : فيقوم بأن يستخدم الأجنبي المستعمر ، نفرأ من أبناء البلاد ، ضعاف الإيمان واسعى الذمة ، يتخذهم أعواناً له على أبناء وطنهم ، فيكونون

السكان في مأمن من اعتداءاتهم . وبحسن إدارة هذه الحكومة وطرد الأمن ، فاطمأنت النفوس ، فسار الأهليون في طريق التقدم ، وحسنت الحالة المالية ، وأما ما يشكو منه بعضهم من تشدد الحكومة في إجراءاتها فشيء لم يكن منه بد ، ولم تكن الحكومة تستطيع أن تفعل غير ذلك . فقد كان عليها أن تصلح كثيراً من الأمور المختلة ، وأن تقضى على القلق والاضطراب اللذين كانا سائدين ، وتستبدل بهما الأمن والسكينة والعدل .

وأكثر أولئك الشاكين ، هم أصحاب المقامات العالية والأقندية والأغوات الذين كانوا يثرون من نهب أموال أصحاب التجارة والصناعة ، وسائر المستضعفين من أبناء الطبقات العاملة .

غير أن هؤلاء سروا كثيراً لخلاصهم من الظلم الذي رزحوا تحته عبثه زمناً طويلاً ، إلى أن يقول :

« والفلاحون الذين عادوا إلى قراهم ، وكانوا هجروها ، أسلفوا مالا لإصلاح بيوتهم وتموينها وأعفوا من الضرائب ثلاث سنوات .

وبذلت جميع المساعدات لتزويد الحاصلات وكانت الجنود المصرية تقوم بنفسها لإتلاف بيوض الجراد ، والقضاء على ما تقف منها . وبفضل هذا الحسك الحازم والعاقل ، الذي احترمه الجمهور أخذت البلاد تترق وتسير في طريق النجاح والنماء ، فلو طال عليها

كل من وليته منهم ناحية ، واعقد التاج على رأسه ، وإن صغر ملكه . فالمنعقد له التاج لا يخضع لغيره . ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم تدابرا ، وتغالبا على الملك ، وتفاخرا بالمال ، حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ، وتعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ... فإن دنوت منهم كانوا لك ، وإن نأيت عنهم تعزوا بك ، حتى يثب كل منهم على جاره باسمك . وفي ذلك شاغل لهم عنك ، وأمان لأحداثهم بعدك . ويعقب على ذلك فيقول : ولا أمان للدهر .

والاستعمار ضد كل نهضة وعدو كل إصلاح . وهذا مثال من آلاف الأمثلة نضربه على ما وقع بين مصر والشام .

ولما دخلت مصر الشام . في أواسط القرن التاسع عشر اصلحت فيه ما أفسدته السياسة التركية إصلاحا عاما شاملا . أترك وصفه للستر برنت قنصل انكلز بهدمشق في كتاب بعث به إلى سفيره في الأستانة تاريخه ١٤/٦ سنة ١٨٥٨ هذا بعض ما فيه :

لما كانت الإيالة - يريد ولاية الشام - تحت حكم الدولة المصرية ، عاد كثيرون إلى سكنى المدن والقرى المهجورة ، واستأنفوا حراثة الأرض المهمله . وهذا ما حدث في حوران ، وفي النواحي الواقعة حوالى حصص وفي كل الجهات على حدود الصحراء . وقد أكره العربان على احترام سلطة الحكومة وصار

فماذا كان موقف تلك الدولة ، من تلك الإصلاحات التي تعترف بها بلسان ممثل رسمي يمثلها؟ كان أن كانت أسرع الدول في مقاومة هؤلاء المصلحين ، والقضاء على إصلاحاتهم ، والعودة بالشام من حكم صالح لم يكن في مصلحتها أن يكون ، إلى حكم فاسد من مصلحتها أن يكون .

وهي سياسة صريحة واضحة لا تحتاج إلى تفسير ولا شرح ، تنادي على نفسها بأن الاستثمار والمستعمرين أعداء لكل نهضة وتقدم في كل بلد يطمعون فيه ، أو يريدون أن يكون لهم عليه سلطان .

هذا الاستئثار ، وهذا الاستثمار هما اللذان جعلاليوم من ألمانية ألمانيايتين ، ومن الكونغو كنفوين ، ومن كورية كوريتين ، ومنا نحن العرب هذه الدول والدويلات ، والإمارات والأميرات ، يؤرثون بينهن الأحقاد ويحكون الضغائن ، ثم يدفعون الواحدة إلى الاعتداء على شقيقتها .

وإذا كانت هذه الانجزئات غير الصحيحة لم يقرها التاريخ فتعيش ، فتوحدت إيطاليا بعد تجزئتها ، واتحدت ألمانية بعد تمزيقها ، وكذلك فعلت روسية وأ.يركة واليابان ، وغيرهن من الدول والدويلات قبلهن وبعدهن اتحد كل من أراد أن يتحد .

فكذلك - نحن العرب - سنتحد ، نعم سنتحد ، ولن تقوى قوة استعمارية ولا قوة استشارية

الحكم المصري لاستفادت سورية منه استفادة عظيمة ، وازداد سكانها ، وأصاب حظا كبيرا من النجاح ، ومن الثروة التي كانت لها في الماضي . بيد أنه ما كاد المصريون يخرجون من البلاد ، ويتخلص ظل سطوتهم ، حتى عاد القوم إلى مثل ما كانوا عليه من نبذ الطاعة . وعمت الرشوة ، وفشا التبذير في إدارة المالية وفقدت النزاهة ، ومنى الدخل بالنقصان ، واضطرب حبل الأمن ، وعاد البدو إلى ما كانوا عليه من الغارات والتخريب . فأخلى الأهلون قراهم ومزارعهم فلا امن على ملك ، ولا على حياة .

ثم يقول :

« وكان الدخل أيام الحكم المصري يدار بنزاهة واقتصاد . ولدى الحكومة المصرية جيش وافر العدد ، وهي تقوم بنفقات الإيالة المتوقع ازديادها تدريجاً . أما الحالة اليوم بعد جلاء القوات المصرية فهي على العكس تماماً من جميع الوجوه . فالضرائب عبء ثقيل لا يطاق ، والأمن مفقود والدخل يقل يوماً بعد يوم ، لإهمال القرويين حراثة الأرض . وكل ما يجمع ينفق بإسراف أو يسرقه الموظفون ، .

هذا ما شهد به رجل كان يمثل دولة كانت في تلك الأيام ، وكانت تزعم - فيصدقها الناس فيما تزعم - أنها تمثل العدل بروحه ، والنزاهة بكل معانيها .

وما هي إلا سنوات حتى قامت الثورات ،
فدكت تلك العروش دكا ، في فرنسا ثم في
روسية وفي ألمانية وفي نمسة : الدول التي
عقد بملوكها اتحادهم المقدس .

وعاد الحكم فيهن وفي غيرهن من الدول
التي سارت سيرتهن إلى صاحب الحق : إلى
الشعب نفسه .
نعود متسائلين :

هل هذه الوحدة بين مصر وبعض الشام ،
فورة جائت ، وشقشقة هدرت ، أم هي وضع
متين قائم على أسس صحيحة راسخة ، ورغبة
تاريخية أكيدة متبادلة ؟ .

إن مصر والشام لم يعرفهما التاريخ منذ
عرف الإسلام إلا وطننا واحدا ، تجمعهما
دولة واحدة إلا في فترات متقطعة كان للسياسة
والدسائس يد فيها . هذا من حيث التاريخ
أما من حيث واقعنا اليوم فإذا نحن
نظرنا إلى هذه الوحدة نظرة ثاقبة صادقة رأينا
أن كل قطر من القطرين كان له نصيب في العمل
لهذه الوحدة .

بما لا شكك فيه أن سورية كانت في هذه
الفترة الأخيرة أخلص الأقطار العربية للوحدة
العربية . وبذلك كان لها في هذه الوحدة
وجه أظهر وأشرق ، كما كان لها في مصر
أساس أعمق وأعرق .

أن تقف سيرنا ، فتحول دون وحدتنا وهي
حقنا ، ومطلبنا ، وغاية أمرنا في هذه الحياة .
إن الوحدة هي اليوم من حقوق الشعوب
لا من حق الرؤساء ، وإن الحكم للشعب نفسه
لا لمن يقوم على رأسه ، وإذا غلبت الشعوب
على أمرها اليوم ، فهم بعد غلبهم سيغلبون .
يقول التاريخ : إن البوربون هم الذين
خلقوا فرنسا ، ولكن فرنسا نفسها عادت
فطاحت بروس البوربون أنفسهم .

لا بقاء في عصرنا هذا للبلوك والرؤساء
ولا حياة لهم ، إلا إذا هم ماشوا الشعب في
مصالحه وسأروه وكانوا لسانه الناطق في
التعبير عن آماله وأمانيه .

حاول أربعة من كبار ملوك أوربة
وقياصرتها أن يعضوا في استبدادهم ، ويقضوا
على كل حركة تحررية في بلادهم ليطفئوا نور
الحرية من قلوب الشعوب ، ويخفوها عن
عيونهم ، ففقدوا سنة ١٨١٥ حلفا اقترحه
عليهم مترنيخ ، وزير النمسة : العدو اللدود
للبادئ الثورية ، أسموه الاتحاد المقدس ،
أجمعوا أمرهم فيه على أن يكونوا رأيا واحدا
وكلة واحدة على شعوبهم ، توطينا العروشهم
وتوكيدا لسلطانهم ، وإبقاء على أنظمتهم
أن يشور عليها ثائر ، أو ينتقص من حقوقهم
منتقص ، ليظلوا على عروشهم والتميزان من
فوق رءوسهم . حكم راسخ ، وملك خالد
كل منهم ملك الأملاك . غلاب القدر .

واستبداد مطلق مزق البلاد كل ممزق . جعل عشر دول وحكومات في قطر واحد لا يزيد عدد سكانه في ذلك الحين على ثلاثة ملايين . ذلك الوضع السيئ كان يحمل سورية على أن تتلقت إلى قطر عربي تتقدمه فتتقوى به . نعم إن الشام بحسوده الأصلية الطبيعية : داخله وساحله ، وجنوبه وشماله ، علق منه على المشائق وتساقط فيه تحت قبائل المدافع ، في سبيل القضية العربية ووحدتها ، عدد لم يكن مثله ، ولا مثل بعضه في جميع الأقطار العربية ولكن هؤلاء الشيوخ والشبان - ولاسيما رعيهم الأول - الذين قضوا شهداء العرب والعروبة أين تلقوا دروسهم في الوطنية العربية ، ومن قلدوا في حركاتهم التحررية القومية ؟ .

مصر قلدوا ، وبها تشبهوا ، وعنها أخذوا ، وإليها لجسوا ، وفيها عقدوا مؤتمراتهم ، ومنها ارتفعت صياحاتهم وصرخاتهم ، ولو لم تفتح مصر للعرب أبوابها ، لتعذر عليهم في ذلك الحين أن يجدوا لأنفسهم المفزع الأمين . إن رجالات العرب الأولين ، هم تلاميذ شيوخ المصريين ، أو تلاميذ الذين أقاموا بمصر من زعماء العرب اللاجئين .

كان شباب العرب يحفظون ما خطته أقلام جمال الدين ومحمد عبده في العروة الوثقى ، ويتدارسون مقالات الطويراني ، ومكتوب

كان لكل من الإقليمين وجهة تختلف عن وجهة شقيقه الآخر .

كانت مصر قد بلغت شأوا بعيدا في نهضتها ، وخطت خطوات واسعة إلى استقلالها الناجز ، وكانت وحدتها الداخلية متماسكة متراسمة ، لا تجزئة ولا تمزيق ، وكانت الشام وغيرها من بلاد العرب ترزح تحت نير انتداب أو استعمار ، تنزى في قيود لا تستطيع معها حراكا ولا منها فككا ، فأى مصلحة كانت لمصر في وحدة لو تمت - وكان مستحيلا مع سلطان الأجنبي أن تتم - لعادت بمصر مراحل إلى الوراء .

كان سعه : زعيم مصر يومئذ - ولم يكن غريبا عن الفكرة العربية وقد صرح بها مرارا ، وساندها أحيانا ، كان إذا سئل في شيء من وحدة أو اتحاد أجاب ، إذا جمعت صفرا إلى صفرا ، كان المجموع صفرا . فالاستقلال أولا .

هذا ما جعل مصر تعمل في يومها لنفسها في معزل عن القضية العربية ، وهذا مما جعل بعض من في مصر وفي غير مصر لغرض أو لمرض يزعمون أن مصر بعيدة عن القضية العربية غريبة عنها .

وأما سورية فكان أمرها غير هذا ، كان الانتداب عليها شرا انتداب عرفته البلاد العربية : أحكام عسكرية غالبية ، وثورات دموية متعاقبة ،

أول مرحلة من مراحلها ، فعلى رجال العلم وفي طلبهم أشياخ المجامع العربية تلقى التبعة الكبرى والرسالة الأولى في هذا الميدان . إن مهمة أهل العلم والقلم هي تقوية هذه اللغة وبعث ما كان لأهلها من تاريخ وأجداد ، والعمل على نشر العلوم فيها ، وتوحيد مصطلحاتها وتقريب الخلف بين العامة والفصحى إلى أن تكون كلمة هذه هي العليا . فنعود ولساننا في الجملة واحد ، فوحدة اللغة ، والنهضة الأدبية واللغوية كانت في كل عصر وفي كل أمة المقدمة الممهدة للوحدة السياسية ، والوحدة لا تكون صحيحة مالم تكن قائمة على دعائم راسخة ثابتة مستمدة من واقعنا التاريخي والاجتماعي ومن مصلحتنا العامة ، تتقبلها نفوسنا راضية مختارة . هذا هو السبيل الصحيح إليها والعمل الصالح لها . والدعوة - دينية كانت أم سياسية - لا تفلاح ، مهما كان صاحبها على حق ، إلا إذا صادفت هوى في النفوس .

هذه آمالنا نحن العرب : ماض زاهر زاهر نريد إحياءه وإبقائه ، وحاضر نعمل له صادقين مخلصين ، ونورته بنينا صالحين . ماض مشرق لحاضر مورك ، لعد محقق ، يكفله الزعيم الموفق ، مؤيدا بنصر من عند الله ؟

عارف النكري

عضو بجمع اللغة العربية

مصطفى كامل إلى مدام د آدم ، الفرنسية ، ويعجبون بمقالاته في اللواء ، ويطربون لخطابه الوطنية ، وكان كتابا الكواكبي : الحلبي موطننا والمصري مقاما : أم القرى ، وطبائع الاستبداد ، زاده في خلواتهم كما كانت خطب سعد غداهم ومادة مذاكراتهم ومسامراتهم ، إلى ما لا يعد ولا يحصى من هؤلاء الشيوخ والزعماء الذين كانت كتاباتهم وأقوالهم مادة العرب في ثوراتهم .

وتتبع العرب حركات مصر الاستقلالية ، منذ عمر مكرم ، إلى ثورة عرابي إلى حوادث سنة ١٩١٩ وما بعدها إلى أن كانت الثورة الأخيرة العظمى فغطت على كل ما سبقها من ثورات وحركات .

هذه هي المبادئ الفكرية ، والنزعات الثورية التي ألقها مصر أم العرب على أبنائها العرب . أفيقال بعدها : إن مصر لم تشارك في القضية العربية ! ومصر كانت للعرب مدرستهم الكبرى ومحجبتهم المثلى . وكانت قصائد شعرائها في الحرية ومهاجمة الاستعمار ، المعلقات التي كانت تعبر عن شعور شبان العرب فيحفظونها ويتناشدونها في ممتدياتهم وجماعاتهم .

وقد طال بنا نفس الكلام فنقف وفي النفس بعد حاجات ، ونختم كلمتنا فذة قول :

إن الوحدة العربية لا تزال في أناتها ، وفي

نَفْحَاتُ الْقُرْآنِ

سُوءُ الْإِخْتِيَارِ مَهْلِكَةٌ

لِلْأَسَازِعِ عَبْدِ اللطِيفِ التَّجَنُّبِيِّ

١ - وَاثِلٌ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ .

ب - وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَسُكُنَتْهُ أَرْضُ الْإِسْرَافِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ : إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَرَكَه يَلْهَثُ ، ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ .

وهذا ما نقف أمامه بالآيات التي معنا الآن .
فَاللَّهُ - تَعَالَى - يَحْدِثُنَا فِيهَا عَنْ رَجُلٍ مِنْ عِبَادِهِ هَبِطَ مِنْ مَشَارِفِ الْكَرَامَةِ إِلَى مَسَاقِطِ الْمَهَانَةِ ، حَتَّى صَارَ مِثْلَهُ فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ مِثْلَ الْكَلْبِ ، وَقَدْ تَعَارَفَ النَّاسُ أَنَّ الْكَلْبَ مِنَ الْخُسَاسَةِ وَالْهَوَانِ بِمَكَانٍ .

رَجُلٌ سَمِعَ دَعْوَةَ رَسُولِهِ ، وَبَلَغَتْهُ آيَاتُ رَبِّهِ ، فَلَمْ يَكْلَفْ نَفْسَهُ أَنْ يَسْتَمَعَ ، وَلَمْ يَسْهَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَصِرَ ، وَيَفْطَنَ .
بَلْ تَنَجَّى عَنْ جَانِبِ الدَّعْوَةِ ، وَتَنَصَّلَ مِنَ الْآيَاتِ كَمَا لَوْ كَانَتْ شَيْئًا بَضْرَهُ ، أَوْ مَهْلِكَةً تَحْدَقُ بِهِ .

أَيَسْكُونُ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : هُوَ بَلْعَمُ بْنُ بَاعُورَ ؟ ؟ ؟
أَمْ يَكُونُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ : هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ؟ ؟ ؟ أَمْ غَيْرُهُمَا ؟ ؟ ؟

١ - كَثِيرٌ أَمَا يَعْتَمِدُ الْقُرْآنَ عَلَى ضَرْبِ الْأَمْثَالِ فِي بَيَانِ قَضَائَاهُ ، وَتَنْبِيهِ الْوَعَى الْإِنْسَانِي إِلَى مَا يَكُونُ غَافِلًا عَنْهُ .

وَلِأَنَّ الْحَوَاسِ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ إِلَى الْعِلْمِ ، وَأَقْوَى الْوَسَائِلِ فِي الْإِقْنَاعِ وَالْإِقْتِنَاعِ ، كَانَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنْ يَخْتَارَ أَمْثَلَهُ مِنَ الْوَاقِعِ الَّذِي نَحْسُهُ ، لِتَبْصِيرِنَا بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ فِي مَسْلَكِنَا الْعَمَلِيِّ . . . وَكَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَنْ يَحْدِثَنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَمَّنْ يَخَاطَبُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْهُدَى ، وَتَرْسُمَ لَهُ مَعَالِمَ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا إِهْدَارُ عَقْلِهِ فَلَا يَحْتَكِمُ إِلَيْهِ ، وَإِهْمَالُ الْآيَاتِ فَلَا يَنْظُرُ فِيهَا ، وَالِاسْتِهَانَةُ بِالْمَصِيرِ الْمَشْتُومِ فَلَا يَحْسِبُ لَهُ حِسَابًا فِي حَاضِرِهِ .

وَحِينَئِذٍ يَسْتَبِدُّ الْمَرءُ بِنَفْسِهِ ، وَيَشْتَطِّطُ فِي غَوَايَتِهِ لَا يَكُونُ مُبْقِيًا عَلَى كِرَامَتِهِ ، وَيَكُونُ نَازِلًا إِلَى الْمُنْزَلَةِ الدُّونِ .

والشيطان في حرص على اجتذاب الغواية إلى مصاف جنوده ، يزين لهم كل سوء ، وينفرهم من كل خير ، ويهون عليهم تكذيب الآيات ، والاستهانة بالنذر ، فيعيشون في ضلال متراكم ومآثم متلاحقة .

وما كان عزيزاً على الله أن يهدى بآياته ذلك الضال ، وأن يرفع من شأنه بسببها !! ولكن : غلبت على للضال شقوته ، فأخذ إلى الهبوط كالنازل إلى الأرض ، وحاد عن مستواه الكريم .

والله يعلم من شأنه أنه لا يهتدى لسوء اختياره فتركه في حمايته ، بين موجات من الفكر المضطرب ، تقذفه يمينا وشمالا بين ملاذه ينهمك فيها ، وتكالبه على جمع الخطام ، وحرصه على مظهره بين المتنفين حوله .

وبين خوفه على شيء من هذا أن يفلت من يده ، ومن طواري تنغص عليه متاعه ، فهو بين شواغل وهموم تساوره وعلى غير قرار في شأنه .

ولو أنه انتفع بالآيات في توجيهاتها ، ورضى بما لديه ، وترك الأمر لتدبير الله بمشيئته وسلطانه لكان أسعد حياة ، وأهدأ بالاً ، وأحظ عاقبة .

ولكن الرجل - وقد رضى لنفسه ما رضى - صار كالكلب الذي يجهد نفسه دائماً في تنسم الهواء فهو يلهث في التنفس بشدة ، ويخرج لسانه من شدة ما به من إعياء في إخراج تنفسه

القرآن لا يمدى بشخصية رجل تخط في ضلاله ، وإنما يعني بقصته في نفسها ، ويسوقها في أسلوب جدير بها ، ويصورها لنا في صورة مجلوة لناخذ منها العبرة .

وهو على أى حال شخص من أولئك الذين كان لهم في القوم شأنهم ، وحوهم أنظار ترمقهم ، ووراهم أتباع يتعلقون بهم ، ولكنهم غرتهم دنياهم ، وفتنتهم مظاهرهم ، فغلبت عليهم ضلالتهم ، وكانوا مثل الخيبة في عصورهم ، وأسوأ ذكرى فيمن بعدهم .

حصل هذا من كثيرين في الأمم السابقة ، وحصل من أناس في أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولكن رجالاً منهم تجاوزوا في إسرافهم ، وانخرطوا في شر ما يختاره الحق لأنفسهم فعمد القرآن إلى ذكر قصة تمثل أيهم في صورة الكلب ، وأمر الله رسوله أن يتلو على الناس نبأه لما في ذكره من تشنيع عليه ، وتحقير له ، ولما في قصته من هول الموقف وبشاعة الحال . يقول الله لرسوله مامعناه : وائل على الناس نبأ ذلك الرجل الذي بلغته آياتنا فانسلك . منها ، وطرحها كما تسلك الشاة من جلدها ويطرح عنها ، فتصير وكأنه لم يكن منها ولم تكن فيه .

وما دامت للإنسان مدارك ، وله اختيار في مسلكه فبطرحه للآيات ، وابتعاده عن تفهمهما يكون قد أسلم نفسه للهوى ، وأقبل راضياً على دعوة الشيطان .

تهذيباً دينياً ، فالقصد تثقيف أعم وأوسع :
 بما يتصل بالحياتين .

وليس من صواب الفهم دائماً أن تقصر
 الإرشاد على ناحيته ، وتقطع الصلة بين
 الإرشاد للدين والدنيا .

فإن الهدف الأكمل تربية المسلم تربية مثلى
 في كل جانب من جوانبها .

وحض الإنسان على حسن الاختيار في
 تصرفاته عامة يكفل فلاحه ، وطيب عيشه
 في دنياه ، وبهذا يكون أكثر قدرة على
 الاحتفاظ بدينه ، وأكثر قوة في المجتمع . .
 والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من
 المؤمن الضعيف .

والله تعالى يختم آية الموضوع بتوصيتنا أن
 نفكر ، ونفطن ، حتى لا يكون النبأ الذي
 أمر الرسول بتلاوته علينا مجرد خبر عار عن
 الغاية منه . فيقول : « فاقصص القصص
 لعلهم يتفكرون » .

وتلاوة الآيات ، أو سماعها دون
 الاستمداد منها والاهتمام بها يكون أشبه
 بانسلاخ الكافرين منها لما في الحالتين من
 إعراض واستهانة بمقاصدها ، والله نرجو
 أن يكون عوناً لنا على الوفاء بما يهبه
 منا ، ويريضه ؟

عبد اللطيف العسكري

عضو جماعة كبار العلماء

ساخناً من جسمه ، والتماس الهواء الرطب .

ولا يستطيع الكلب أن يتخلص من هذا
 السبب يلزمه في جهاز تنفسه الضعيف .

بجهود الكلب لا يريحه ، ومنظره لا يزياله
 وهو على حاله تلك : سواء أحمل عليه
 الإنسان ليبعده ، أم تركه قريباً .

كذلك الكافر المتحدث عنه ، وشأنه
 شأن أمثاله من المكذبين بالدين .

ولبئس هذا المثل الذي يتمثلون فيه
 بالكلب ، وقد كرمهم الله فلم يكرموا
 أنفسهم ، ودعاهم فلم يستجيبوا لدعوته .

فليعيشوا كما أحبوا لأنفسهم مقاطعين لله ،
 وإن يفلتوا مما أعد لهم من عذاب مقيم .

هذا قصص لا يراد منه تصحيح وضع
 سابق بعد أن تردى فيه أولئك الجاحدون .

وإنما يراد بهذا تذكير من غفل ،
 وتدارك الأحياء منا بالنصيحة أن تزل
 أقدامنا فيما زلت فيه أقدامهم .

وتشخيص النبأ في صورة واقعية لا يقبل
 تكذيباً ، ولا ريباً .

وأن تكون هذه الصورة تمثيلاً بالكلب
 أبلغ ما يضرب من الأمثال في بيان شأن
 الكافرين بالله ورسوله وآياته .

والله تعالى يضرب المثل بما يليق بحالنا ،
 ويرجى منه أن يفيد في توجيهنا ، وهو
 - سبحانه - لا يستحي أن يضرب مثلاً ما !!

وإن يكن ظاهر القصص في موضوعنا

من أعلام الفقهاء:

شيخ الإسلام ابن تيمية

للأستاذ إبراهيم عبد الباقى

كان أبوه - رحمه الله - من رجال الحديث فلهذه
وانصل بعلماء الحديث بعد أن حفظ القرآن
الكريم فأخذ يدرس ما جاء في صحيح البخارى
ومسلم، وجامع الترمذى، وسنن أبى داود،
وابن ماجه، والنسائى، والدارقطنى وبخاصة
مسند الإمام أحمد، حتى فاق أهل عصره
فى فن الحديث وروايته.

ولما أغار التتار على الشام تقدم إلى ملكهم
بالقول فكشفوا عن دمشق ولكنهم عادوا
إلى عدوانهم، فلحق الناس رعب شديد،
ولكن قام فيهم هذا البطل وخطبهم خطبة
أهاجت فيهم نيران الغيرة، وقاد الجيش:
جيش مصر، وجيش الشام، وأقسم بالله أن
النصر حليفهم، لأن الله وعدهم النصر والله
لا يخلف وعده، وما جاء اليوم الرابع من
شهر رمضان حتى كبت الله عدوهم وولوا
مدبرين، يتحصنون بالجبال والتلال، ومن
هذا الحين بلغت مكانة ابن تيمية الذروة،

فى كل عصر وجيل يظهر أفاض من علماء
تابعين، وعابرة مصلحين يشيدون من المجد
صروحا، ويطعمون العلم والفضيلة بنيانا أى
بنيان، فمن هؤلاء الأفاض الذين ذاعت
محامدهم، وانتفعت الدنيا بمواهبهم، شيخ
الإسلام والمسلمين أحمد تقي الدين أبو العباس
ابن الشيخ شهاب الدين ابن تيمية.

ولد فى اليوم العاشر من شهر ربيع الأول
سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة، وكان
مسقط رأسه (حران) معهد العلم والعلماء
من أقدم عصور الإسلام وقد شاء الله - جلّت
حكيمته - أن ينزح من هذا البلد هو وأسرته
إلى دمشق على أثر الغارات التى شنّها عليها
التتار فى وقت كانت سنه لا تزيد على سبع
سنين، وهذه أولى المحن التى انتابته، سنة الله
فى المصلحين أن يحميمهم من الترف والنعيم،
حتى يستطيعوا أن يصمدوا أمام ما يواجههم
من كوارث الحياة وأحداثها.

منهجه في فهم القرآن الكريم :

جعل لتفسير القرآن الكريم ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : تفسير القرآن بالقرآن ،
فما أجمل في آية يفصل في أخرى ، ولنضرب
لذلك مثلا واحدا : « إن الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »^(١) ، وجاء
في سورة (طه) « وإني لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا ثم اهتدى »^(٢) ، فالأولى بجملة ،
والثانية مفصلة وهكذا .

المرتبة الثانية : السنة فإن لم يجد في القرآن
ما يفسر القرآن اتجه إلى السنة ، لأنها شارحة
للقرآن الكريم ، قال سبحانه : « وأنزلنا إليك
الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم
يتفكرون » ، وكما أنها شارحة للقرآن الكريم ،
فهى تلى القرآن في مرتبة الحكم ما دامت
صحيحة .

المرتبة الثالثة : إذا لم يكن هناك قرآن
ولا سنة يفسران القرآن الكريم يرجع إلى
أقوال الصحابة ، لأنهم أدركوا الناس بعلم
القرآن حيث شاهدوا الرسول وتلقوا
الشرح منه .

وصار اسمه في كل مكان ؛ لأنه كان العامل
الأول في هذه الانتصارات الرائعة ، وكان
من السهل أن يتقلد مناصبا من مناصب الدنيا
ولكنه أبى ورضى أن يكون الواعظ المرشد .

لم يكتف ابن تيمية بتجريد السيف على
المعتدين ، بل أخذ يحارب المبتدعين الذين
شوهوا جلال الدين بما أدخلوا فيه من بدع
وترهات ، ومواسم وأعياد ، وزيارات
شركية وبخاصة الصوفية ، وإمامهم محي الدين
ابن عربي الذي انتهت فلسفته إلى وحدة الوجود
وهو مذهب ظاهر البطلان والفساد ، ويستلزم
أنه لا حلال ولا حرام . يقول شاعرهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره

مثنى ففعلى كله طاعات
ولقد توالى المحن على ابن تيمية وعصفت
به الفتن حتى عذب عذابا شديدا وذاق مرارة
السجن الذى يضم بين جدرانها حشالة الناس
وهو صابر على ما أصابه ، رموه بالزيغ
والإلحاد والخروج على الأئمة الأعلام
ليصرفوا الناس من حوله ، ولما لم ينالوا
مآربهم سلطوا عليه يد الظلم للعاتية فحبسته
في قلعة دمشق ليقيدوا من عليه ، وليطغفوا
نوره ، ولكن الله غالب على أمره ، فكان
يبعث عليه من طاقات السجن وتلاميذه

ورواد منله يجلسون تحت القلعة بمحاربهم
وأوراقهم ، وهو يملئ عليهم من حفظه .

(١) : ١١٦ النساء .

(٢) : ٨٢ طه .

منهجه في العقائد :

يرى أنه لاسبيل لمعرفة العقيدة والأحكام . كل ما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً إلا من القرآن والسنة المبينة له ، فما يقرره القرآن ، وما تشرحه السنة يقبله كما ورد ، ولا يجعل للعقل سلطاناً في تأويله أو تفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذي تؤديه العبارات ، وتضافرت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لهذا شدد التنكير على الفلاسفة ومن تبعهم كحجة الإسلام الغزالي في أن علم البرهان هو الميزان لسلك العلوم ؛ ذلك بأن إدراك البشر محدود ، وحواسه مقصورة على عالم الماديات وما وراء ذلك غيب ، والغيب قد استأثر الله بعلمه ، قال سبحانه : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله »^(١) ، لهذا جاء الكثير منها في صورة حسية لنذكر منها في عالمها ما ندركه في العالم المادى . وعلى هذا فإنه سلك مسلك السلف الصالح في أن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله من غير غلو ولا تعطيل ، ولا كيف ولا تمثيل ، فكل ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من الصفات التي يخالف ظاهر لفظها المراد منها كالفوقية والاستواء والنزول والغضب والحب واليد

وغير ذلك يؤمن به ويفوض حقيقته إلى الله تعالى كما قال سبحانه : « وما يعلم تأويله إلا الله »^(٢) ، ولنضرب لذلك مثالين : الأول قوله سبحانه وتعالى : « الرحمن على العرش استوى »^(٣) ، الثانى : « وهو القاهر فوق عباده »^(٤) ، فليس استواءه على عرشه كاستواء الملوك على عروشهم ، ولا علوه على خلقه كعلو بعض الأجسام على بعض ، يدل على ذلك قول الإمام مالك رضى الله عنه لما سئل عن الاستواء : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

كذلك الفوقية يؤمن بها ، ويفوض حقيقتها إلى الله تعالى ، والمحدور فوقية المكان المعروف الذى يستلزم الإحاطة والجرم والجهة ؛ لأن هذا من صفات الحوادث .

منهجه في التشريع :

يرى رضوان الله عليه أن التشريع نوعان : نوع يتعلق بالله تعالى وهو العبادات ، ونوع يتعلق بعباده وعلاقة بعضهم ببعض وهو

[١] سورة آل عمران ٧ .

[٢] سورة طه ٥ .

[٣] سورة الأنعام ١٨ .

[٤] سورة النمل الآية ٦٥ .

في ذلك درء المفاسد وجلب المصالح ، وعرف الناس ، وعاداتهم وطباعهم ، لأنها جاءت للبشرية جمعاء ؛ فكانت له نظريات في استخراج الأحكام من تلك السكليات خالف فيها معاصريه فاتهموه بالزيغ والإلحاد لا عن دليل أقاموه أو علم عرفوه سوى التقليد المعقوت الذي هو آفة القديم والحديث .

من ذلك : عدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وتحريم المحلل ، وشدة الرحال إلى المساجد الثلاثة فقط ومنع جميع التوسلات إلا بثلاث : أولا - بالله أو بصفة من صفاته ثانيا : بعمل الشخص نفسه لا بغيره ، ثالثا : بدعاء الحي لا الميت ولا الغائب نيا كان أو غيره من الصالحين .

هذه النظريات التي كانت ولا تزال شجي في حلاقيم الذين تنقصهم سعة الاطلاع ، ولو أنهم - عفا الله عنهم - اطلعوا على أدلته ، وحكموا العقل والصالح العام ، لما شنوا الغارة عليه ، ووضعوا أيديهم في يده ، وعلبوا أنه على الحق المبين ، وضل عنهم ما كانوا يفترون . وحسب أن أبين شيئا من فقهه لعل هؤلاء يشوبون إلى رشدكم فيكفوا ألسنتهم عن المصلح الكبير ، والعالم الزاهد الجليل ، جزاء الله خيرا بقدر ما أسداه للإسلام من جميل .

(١) الطلاق الثلاث بلفظ واحد .

يرى شيخ الإسلام أنه يقع طلقة واحدة .

المعاملات فأما العبادات فهي حق لله تعالى ، وقد جاءت تامة أصلا وفرعا ، فلا يجوز فيها تبديل ولا تغيير ، ولا نقص ولا زيادة ، كما أنها من خواص الربوبية فمن زاد فيها فقد أشرك مع الله في التشريع ، ويلزمه نقصان دين الصحابة . وأنه مكمل لشريعة الله تعالى ، قال الإمام مالك رضي الله عنه : (من زعم أن هناك بدعة حسنة فقد اتهم الرسول بأنه خان الأمانة ، لأن الله تعالى يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ») (١) .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : (من ابتدع فقد شرع) .

وبدعي أن العبادة ليست مقصورة على الصلاة والصوم والزكاة والحج فحسب ، بل هي فوق ذلك من إناة ، وخشوع ، واستعانة في غير الأسباب المستخرة ، ونذر ، وطواف ، وما إلى ذلك مما اختص الله به سبحانه .

منهج في المعاملات الربوبية :

لقد وقف منها موقف المصلح الاجتماعي الرشيد حيث إن أحكامها جاءت كلية ولم تنص على الجزئيات ليستنبط منها الأحكام الجزئية العلماء العارفون بمقاصد الدين التي تناسب كل زمان ومكان ، والتي تحدث للناس مراعيين

بكتاب الله وأنا بين أظهركم ، فأنت ترى من غضب الرسول صلى الله عليه وسلم أن وقوعه دفعة واحدة ينافي قاعدة التيسير التي اختصت به الشريعة الإسلامية وينافي ما جاء عن الرسول من أنه بعث ميسرا لا معسرا ، وأنه ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، وقوله كذلك « بعثت بالحنيفية السمحاء » .

هذا ولقد تنبه بعض الأئمة الإسلامية في السنين الأخيرة إلى تطبيق هذه النظرية في الأحوال الشخصية وصار معمولاً بها في المحاكم الشرعية والأهلية في الجمهورية العربية لما فيها من اليسر .

ابن تيمية والمذهبية :

كان ابن تيمية منتسباً للحنابلة ، ولكنه كان حراً في آرائه . خالف مذهبه بل خالف الأئمة الأربعة عن بيئة وعلم في مسائل مرتب بعضها ، منها أن الطلاق البدعي ، والطلاق الثاني من غير أن تتخلله رجعة لا يقعان ، وكذلك الطلاق الذي يقصد به الحمل على فعل شيء أو الامتناع عنه ، ولم يقصد الطلاق فإنه لا يقع ، وقد أقام الأدلة على صحة آرائه من الكتاب والسنة مستشهداً على ذلك بآراء السلف الصالح ممن كانوا في القرون الثلاثة الأولى . كما أنه يرى أن الغضب الشديد

ويرى الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب أن الطلاق الثلاث يقع بلفظ واحد ، متبعين في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ لأنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة ، أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد كان يقع طلقة واحدة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر ، وفي سنتين من خلافة عمر ، غير أن عمر وجد الناس قد أكثروا منه فعاقبهم بأن أوقعه ثلاثاً تأديباً لهم ، يؤيد ذلك حديث مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، وسنتين من خلافة عمر طلاقاً للثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : (إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم

فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم) . والتأويلات التي تحاول إيقاع الطلاق بلفظ واحد لا تنهض دليلاً على النسخ ، لأنه لا يصح أن يبقى الحكم إلى خلافة عمر وهو منسوخ ، وليعلم هؤلاء أن عمر لم يكن مشرعاً ، وإنما كان معاقباً ؛ لأن الشرع الشريف أباح للمحاكم الشرعية أن يسن عقوبة على الذين يتعادون في المباحات حتى تصير ديناً من الأديان .

ومن الأدلة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام فغضب فقال : « أيلعب

المعنى ، ومن الأدلة التي ساقها على ذلك ما جاء في الحديث الذي روى ^(١) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا : بلى يا رسول الله قال : هو المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له ، وقال عمر : لا أوتى بمحلل ومحلل له إلا رجتهما .

وجاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له : « إن عمى طلق زوجته ثلاثاً أيحلها رجل ؟ فقال : « من يخادع الله يخدعه » . وقد سئل ابن عمر رضى الله عنهما عن رجل طلق زوجته ثلاثاً ، فببر زوجها أخ له من غير مؤامرة بينهما أيحلها لأخيه ، هل تحل للأول ؟ قال لا : إلا نكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما خالف فيه ابن تيمية أهل عصره تحريم إنشاء سفر إلى غير زيارة الأحياء . إلا الله تعالى مستدلاً على ذلك بحديث الصحيحين : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » رأى ابن تيمية أن شد الرحال فيه من التعظيم ما لا يكون إلا لله وحده ، وهذه الثلاثة بيوت الله تعالى ، فالصلاة فيها تعظيم لله وحده

الذى يستولى على الإنسان فيغلق عليه قصده ويفقده وعيه — لا يقع فيه الطلاق لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لا طلاق في إغلاق » وأن الله تعالى لم يعتب على موسى لما ألقي الألواح على الأرض ، ومن أراد التفاصيل فليطلع على كتابه : الفتاوى حتى يعلم علم اليقين أن ابن تيمية كان على نور من ربه ، وبينه من العلم .

ومن آرائه السيدة أن المحلل لم يحل في شريعة من شرائع الله تعالى ، لأن أضراره جسيمة ولم يحقق المعنى الذى أراد الله تعالى في قوله : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، إذ أن المقصود من الآية والله أعلم : أن المرأة التى أنذرها زوجها ليرجع عن غيرها بالطلاق الأول ، ولم يفدها هذا الإنذار ، فأنذرها ثانياً بالطلاق الثانى ، فلم يؤثر عليها ، فالحكمة تقضى ألا ترجع إليه ثلثاً إلا بعد أن تقترن بغيره وتزوج زوجاً شرعياً وتعيش معه ليتبين لها الفرق بين الزوجين ، أكانت ظالمة ، أو مظلومة ، فإن كانت ظالمة ترجع إليه صاغرة إذا ما طلقها الثانى . وقد دلت التجارب الكثيرة على أن كثيراً من اللاتي تزوجن ثانياً يرغبن في الرجوع إلى أزواجهن الأوائل ، لأن للعشرة الثانية أعظمت درسا عملياً . وعلى هذا فإن زواج المحلل الذى يقصد به التحليل لا الزواج لم يحقق هذا

كصلاة تحية المسجد فإنها لرب المسجد لا للمسجد نفسه .

ومما احتج به ابن تيمية عليهم حديث البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فبكى وبكى من معه ثم قال : إن الله قد أذن لي أن أزور قبر أمي ، ولم يأذن لي أن أدعو لها ، زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة .

والحق أن ابن تيمية لم يسكن في ذلك مغالياً ، ولا متجنياً على أولياء الله تعالى ، وإنما كان محافظاً على توحيد الله تعالى ، وتحقيق معنى قول : لا إله إلا الله ، قولا وعملا وتصديقا ، وليس من شك في أن الأوضاع التي درج عليها الكثيرون من الناس في تشييد القبور ، وخلع الزينة فوقها ، ووضع العائيم وغيرها ، وإيقاد السرج عليها - هي التي ورطت دهاء الناس في هذه الضلالات ، وصرفتهم عن التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وجردت سيوف الجهاد ، وقسمت الخليقة إلى أبرار وجنار ، وأقيمت الجنة والنار ، إن الوثنية لا تنحصر في حجر فقط ، بل تعم كل ما صرف الناس عن الله تعالى ، قال عمر رضي الله تعالى عنه : (إنما ينقض الإسلام عروة عروة) إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا يطابق ما قيل :

إن من لا يعرف الشر أخرى أن يقع فيه ، وقد جاء في التاريخ الصحيح أن عمر كان يقبل الحجر الأسود ، ويقول : (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ، فيبدو لنا من كلام عمر أن تقبيل الحجر الأسود لا يدفع شر ، ولا جلب نفع ، وإنما هو مظهر من مظاهر الخضوع لأمر الله ورسوله ، وهذا معنى العبودية ، لأنها لا تتحقق في العبد إلا بالتسليم والإذعان ، والانقياد والطاعة ، ولقد تتابعت آيات القرآن الكريم تبين لنا أن مشركي العرب الذين حاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحددوا الخالق . ولم يشركوا بربهم ، وإنما كان إشراكهم في الألوهية فقط : أعني في العبادة لا في الربوبية ، وليس أدل على ذلك من أن كلمة التوحيد التي أسس عليها الإيمان : لا إله إلا الله ، (والإله المعبود بحق) ، ولم تكن لارب إلا الله ، لأنها لم تسكن موضع جحود .

قال الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقسوا خلقهم للعزيم العليم (١) » .

كتب ابن تيمية :

كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

بعضها منشور وبعضها غير منشور ، فمن المنشور فتاواه المختلفة التي كان بعضها في مصر ، وبعضها في الشام ، وقد طبعت منها المجلدات الضخام ، وقد اشتملت هذه الفتاوى على قواعد كثيرة في الوقف ، والوصايا والاجتهاد والتقليد ، وقاعدة شمول النصوص ، وقاعدة القياس ، ولعب الشطرنج ، وأحكام الكنائس ، ورجوع المغرور على من غره ، والضمان ، وطهارة سؤر ما يؤكل لحمه وبوله ، والجهاد والترغيب فيه ، وغير ذلك مما لا يحصى عددا .

وله كذلك رسائل كثيرة وكتب جليلة منها كتاب في نكاح المحلل وكتاب العقود ، وله تعليق على كتاب المحرر في الفقه لجدّه الشيخ مجد الدين في عدة مجلدات ، وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب العمدة في الفقه للشيخ موفق الدين في مجلدات أيضا ، ومن رسائله رسالة الحسبة في الإسلام ، وإيضاح الدلالة في عموم الرسالة ، ورسالة وضع الحوائج ، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام ، وغيرها .

ابراهيم عبد الباقي

من علماء الأزهر الشريف

تذنيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل كتاب الإيمان ، استوعب فيه جميع نواحي الإيمان . كتاب للصراف المستقيم ، شرح الأصهبانية ، مجلدات ضخمة في الرد على الفلاسفة ، وله رسائل كثيرة عرف منها الواسطية ، الحموية ، التدمرية ، السكيلانية ، البغدادية ، الملبكية ، الإكليل ، الأزهرية ، مراتب الإرادة ، القضاء والقدر ، بيان الهدى من الضلال ، معارج الوصول ، السؤال عن العرش ، بيان الفرق الناجية ، منهاج السنة ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

ويقع هذا الكتاب في أربع مجلدات ضخام بين فيها الكتاب حقيقة المسيحية التي زكاهم القرآن الكريم وما اعترأها من تغيير وتبدل ، وبيان الأسباب التي جهاتهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وإذا ما ذكر القرآن الكريم الإنجيل في مقام الثناء ، فليس هو الإنجيل الذي بين أيديهم ، كما أنه ذكر فيه مسائل لا تتفق والعقل السليم والدين الصحيح ، وأن عيسى بعثه الله تعالى ليعتم شريعة موسى كما جاء عنه : وما جئت لآنقض للناموس الذي جاء به موسى ولكن جئت متما .

أما كتبه في الفقه فقد بلغت عددا عظيما

الإسلام في سيلان

لأستاذ عطي صفر

ثم انتشرت في القرن الثالث قبل الميلاد ،
ويدين بها الآن نحو ستة ملايين ، ويوجد نحو
مليون ونصف يعتنقون الدين الهندو كي ونحو
ثلاثة أرباع المليون يدينون بالمسيحية التي بشر بها
الرهبان الوافدون إلى الجزيرة مع الاستعمار .
أما المسلمون ويعرفون بالموورو ، وهو
اللقب الذي أطلقه عليهم البرتغاليون ، فقد
اختلفت النقول في تقدير عددهم ، وهذه
التقديرات دائرة بين نصف المليون وثلاثة
أرباع المليون ، وهم موزعون في أطراف
الجزيرة من أقصى الشمال في : جفنا Jaffna
وفي جالي galle في أقصى الجنوب ، وفي
كولمبو Colombo العاصمة الحالية للبلاد ،
وفي كاندى Kandy العاصمة القديمة ، وفي القرى
المجاورة لها التي تسكنها غالبية مسلمة . وقرية
د أقرنو ، جميع سكانها من المسلمين من سلالة
عربية ، ويعمل بعض المؤرخين ذلك بأن
ثلاثة من العرب المسلمين نزلوا الجزيرة
وأرادوا التزوج منها فطلبوا من الملك أن
يسمح لهم بذلك فأجابهم إلى طلبهم ، لحاجته
إلى جنود يدافعون عن مملكته ولما يعمله
عن هؤلاء من البأس والشجاعة . فتزوج

في المحيط الهندي وإلى الجنوب من شبه
القارة الهندية تقع جزيرة كانت متصلة بها
قديما بحسر عرف بحسر آدم تعرف بجزيرة
سيلان ، دخلها الهنود فيما قبل التاريخ ، ثم
تعرضت فيما بعد لعدة غزوات حتى عرفها
العربيون في مطلع القرن السادس عشر عندما
نزل البرتغاليون إلى سواحلها سنة ١٥٠٥
ميلادية ، للتجارة في خيراتها الوفيرة واستمروا
بها مدة طويلة حتى نافسهم الهولنديون وغلبهم
عليها ، ثم كانت الجولة الاستعمارية الأخيرة
لبريطانيا التي ظلت تحكمها كمنعمرة حتى
استقلت أخيرا في سنة ١٩٤٨ ، وأصبحت
عضوا في المجموعة المعروفة بالكومنولث .
يسكن هذه الجزيرة - حسب إحصاء سنة
١٩٥٣ - ٦٠٠ و ٩٨ و ٨٠ نسمة ، وهم يقربون
الآن من نحو عشرة ملايين ، منهم ٨٩٪
من أصل هندي ، ٦٪ من الملايوين ، ٣٪
من عرب شمالي إفريقيا ، ٢٪ من الأوربيين
والعناصر المولدة ، والعنصر الغالب فيها هم
السنهاليون ثم يليهم التاميليون .
والديانة السائدة في الجزيرة هي البوذية ،
وقد دخلت إليها قبل خمسة قرون من الميلاد

للدعوة والتعليم ، ولا شك أن هؤلاء التجار ذكروا الإسلام فيما ذكروه ودعوا إليه وهم يعمرون بالبسلاد التي اعتادوا مزاولة نشاطهم التجاري فيها ، في سيلان وسواحل الهند وجاوا والصين التي أسسوا فيها مستعمرة إسلامية فيما بعد في « كاتون » . ويقول الملاح الفارسي « برك بن شريار » في كتابه الذي وصف فيه رحلته البحرية سنة ١٤٠٤ هـ : « لما سمع أهالي سيلان عن الرسول العربي أوفدوا رجلاً ممتازاً إلى جزيرة العرب لاستطلاع حال الرسول ودعوته ، فوصل إليها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه » ١٣ - ٢٣ هـ ، فتشرف بمقابلته وتحدث إليه فيما جاء من أجله ، وعند عودته مات في الطريق ، وكان معه خادم هندي هو الذي بلغ أهل الجزيرة ما شاهدته وما حمل من معلومات ، وتفاصيل المحادثة التي جرت بينهما وبين عمر ، (١) .

ويقول البلاذري في بيان أسباب فتح السند : « كان التجار العرب يذهبون إلى سيلان للتجارة واستوطن هناك بعض التجار المسلمين مع أسرهم ، وقد لاقى بعضهم حتفه فيها ، فلما أصبحت الأسر بدون عائل أرسلهم الملك الذي كان يحكم سيلان إلى الحجاج بن يوسف الثقفي بالكوفة بطريق البحر ، وزودهم

كل منهم ثلاث نساء أنجبن ذرية كانت النواة لقرية صغيرة ، ما زال يكثر عددها حتى أصبحت الآن تعد بالآلاف ، وكان في هذه القرية داعية مخلص نشر الدعوة وعلم الأحكام وهدى إلى الحق ما زال قبره يزار إلى الآن واسمه الشيخ إبراهيم عبد الله بن خفيف .

ويؤخذ من مجموع الروايات التاريخية أن الإسلام وصل إلى هذه الجزيرة في زمن مبكر جداً ، يبالغ بعض المؤرخين فيرجعه إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن الثابت تاريخياً أن العرب كانوا يعرفون سيلان وسواحل الهند الجنوبية قبل الميلاد بعدة قرون ، وكانت لهم صلات تجارية بالمدن الشهيرة في مياه المحيط الهندي والمهادي ، وقد أطلقوا على هذه الجزيرة اسمها المعروف الآن « سيلان » ، لسيلان أنهارها الكثيرة كما عرفت في بعض الأزمان ببسلاد السمن والمسل لكثرة خيراتها ، وكان اسمها قبل معرفة العرب لها « لنكا » ، والذي حمل لواء النشاط التجاري في تلك الأزمان هم العرب الحضارة وسكان جنوبي الجزيرة العربية ، المعروفون بأسفارهم ومغامراتهم البحرية ، ومن الثابت أن هؤلاء دخلوا في الإسلام في العام التاسع والعاشر من الهجرة ، حيث جاءت وفودهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم معلنة إسلامها ، وأرسل إليهم البعوث

(١) ص ١٥٦ مجائب الهند ، بتصرف .

منتشرة في البلاد ، ولها طابعها المميز لها في الوسط الإسلامى من الحرص على زيارة المقابر ، وقراءة المولد النبوى في شهر ربيع الأول لإحياء لذكره الكريم ، وفي شهر المحرم لذكرى الحسين ، وفي ربيع الآخر لذكرى محي الدين عبد القادر الجيلانى ، وفي جمادى الآخرة لذكرى شاه عبد الحميد الهندى . والمساجد موجودة في كل مكان فيه مسلمون ، وتكثر في كاندى ، حيث توجد هناك خمسة مساجد ، وفي القرى المجاورة لها حيث يكثُر المسلمون .

وقبل وصول البرتغاليين إلى البلاد في مطلع القرن السادس عشر كان للمسلمين شأن عظيم فيها حيث أسسوا لتعليم أولادهم مدارس وكتاتيب ، تدرس فيها مبادئ العلوم والشريعة ، ولكن الاستعمار البرتغالى والألماني أضعف من شأن التعليم وأهمل المدارس الأولية في القرى فصار التلاميذ يتعلمون في المساجد .

وأهم المدارس الموجودة هناك :

١ - السكّية الزاهرة أو كلية الزهراء التي أسست سنة ١٨٩٢ وكانت مدرسة صغيرة فأصبحت اليوم كلية لها فروع في المدن الهامة ، وتدرس فيها العلوم العصرية للشهادات الابتدائية والثانوية ، ويتخصص فيها الطلبة لدخول الجامعة ، تلك الجامعة الوحيدة التي

بهذا قيمة على حسابه الخاص ، ولما وصلت السفينة التي تقلهم إلى بلدة « ديل » بالسند أغار عليها جماعة من القراصنة واستولوا على الهدايا ، ولما سمع الحجاج هذا النبأ المؤلم قرر الهجوم على السند انتقاماً من هؤلاء الظالمين ، وقد جرت هذه الوقائع في عصر الوليد بن عبد الملك ٨٦ - ٩٦ هـ ، (١) . وهذه الروايات تدلنا على قدم الإسلام في هذه البلاد ، وأنه قد وصل إليها في القرن الأول الهجرى وزاد اتصال المسلمين بها بعد ذلك في فترات متتابعة من التاريخ .

يشتغل أكثر المسلمين بالتجارة التي ورثوها عن أسلافهم وبعضهم يشتغل بالزراعة ، وقد أدخل الملايويون مهنة صيد الأسماك إليها عندما جاءوا كجنود في الجيش الألماني ، وما يزال كثير منهم يعمل في إدارة البواليس والخدمات العسكرية .

والمسلمون جميعاً سنيون ، ويؤدون عبادتهم على مذهب الإمام الشافعى إلا قليلاً منهم يتبع أبا حنيفة ، وهم النازحون من الهند وباكستان ، والعادات المحلية المتوارثة ومظاهر الديانات القديمة لها أثر واضح في الحياة الإسلامية ، ويقول السيد محمد علوى أبو الحسن عضو بعثة سيلان في الأزهر سنة ١٩٥٢ : « إن الطرق الصوفية الوافدة

(١) ص ٤٣٦ فتوح البلدان بتصرف .

المصرية وتسمى المولوى Moulvi ، تؤهل الحاصلين عليها لتدريس اللغة العربية بمدارس الحكومة ، وقد أنشئ في السنوات القليلة كرسى للغة العربية في جامعة سيلان .

ونفقات التعليم قائمة على التبرعات والهبات وفي رمضان من كل عام يفتح باب التبرع ، وينشط الأفراد والهيئات في جمع هذه التبرعات ، التي كان يقدم بعضها باسم منح ، تحمل اسم صاحبها ، أو اسم أى إنسان عزيز عليه ، ولها صندوق خاص ومجلس إدارة يرأسه السيد م . ا . م . هزير .

وقد أنشئ مؤخرا مركز ثقافى إسلامى في سنة ١٩٥٨ يتكون من مكتبة ضخمة وصالات للعرض وللمحاضرات ، وافتتحت فيه فصول لدراسة اللغة العربية ، يشرف عليها أستاذان من كلية الزاهرة ، أحدهما متخرج من كلية أصول الدين بالأزهر ، والآخر من قسم اللغة العربية بجامعة سيلان ، والدراسة لمدة عامين بحيث تسكنى لقراءة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وفهمهما .

وتوجد رابطة إسلامية لمسئلى سيلان ، وأخرى للبلاويين ، وهناك فروع لجمعية الشبان المسلمين ، وفي المسلمين شخصيات بارزة منها :

بديع الدين محمود وزير التربية والتعليم الذى زار القاهرة في نوفمبر سنة ١٩٦٠ ،

أقيمت مبانيها الحديثة في « باردينيا ، على بعد مائة كيلومتر من كولومبو ، غير أن التعليم الإسلامى في الكلية الزاهرة ضئيل جداً ، وبما يجسدر ذكره أن الزعيم أحمد عرابى ، الذى نفي من مصر إلى هناك عقب الاحتلال البريطانى ، كان له الفضل في إنشاء هذه الكلية ، وهو الذى اختار لها هذا الاسم ، ولعله اقتباس من اسم الجامع الأزهر ، وكان يتعهدا بالزيارة والتوجيهات القيمة .

٢ - المدرسة الغفورية العربية ، التى أنشأها المرحوم الحاج عبد الغفور نور الدين في ضواحي العاصمة ، على نفقته الخاصة ، ويتلقى التلاميذ فيها العلم بالمجان إلى جانب إسكانهم والإنفاق عليهم .

٣ - كلية البنات المسلمات في كولومبو ، وقد ساهمت مصر بعشرة آلاف روبية لاستكمال بنائها .

- مدرسة المهجة الإبراهيمية في « فورت جالى » .

ولغة الدراسة في هذه المدارس ، كمدارس الحكومة والمدارس الأخرى ، هى السنهالية والتاميلية . أما اللغة العربية فتدرس كعلم ، وفي سنة ١٩٤٨ كانت جمعية الثقافة العربية - برئاسة السيد عبد الرحمن عبد الرازق - تجرى امتحانات سنوية في اللغة العربية وتمنح الناجحين فيها شهادة تعادل الثانوية العامة

وبإشرافه أنشئت الحديقة النباتية الملكية في سيلان سنة ١٨١٠ .
وذكر السيد ادوين أن الزعيم أحمد عرابي كان يعتبر ملكا غير متوج على مسلمي سيلان ، وكانوا يحبونه كثيرا واتخذوه مستشارا لهم ، حتى إنهم قلده في ملبسه ، فالطربوش الأحمر والبسطنلون الأوربي صارا زيا شعبيا لأنه زيه المختار .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن أحوال المسلمين في سيلان ولا بد قبل أن أختم الحديث من الإشارة إلى أن هناك اتجاهين مطبوعين بطابعي الدين واللغة ، الاتجاه الأول بوذي سنهالي ، يعتمد على الكثرة العددية والعصبية الدينية ، ويتزعمه الكهنة الذين كثروا كثرة فاحشة ، نظرا لسهولة الحصول على ما يؤهلهم لهذا العمل ، في الوقت الذي يغشون فيه دور اللهو والمجون ويتنافى سلوكهم تماما مع المهمة التي ألقيت عليهم ، والاتجاه الثاني يتزعمه التاميل والمسلمون والعناصر المولدة ، ويعتمد على ثقافته ونفوذ ، ويجهد الكهنة في جعل اللغة السنهالية هي اللغة الرسمية للدولة ، بدل الانجليزية التي لا يعرفونها ، والتي يتقنها الآخرون ، كما يجتهدون في جعل البوذية هي الديانة الرسمية ، وكل ذلك لإقصاء الموظفين من الجبهة المقابلة ، وعدم مزاحمتهم مع قلتهم للكثرة الغالبة ، التي لم يكن لها من الثقافة والنشاط ما يمتاز به الآخرون .

(البقية على صفحة ١٨٠)

وشهاب الدين عز الدين سكرتير مجلس النواب وسكرتير عام الشبان المسلمين ، الذي ألقى محاضرة في القاهرة بجمعية الشبان المسلمين في مايو سنة ١٩٥٧ ، والحاج جوبا عضو مجلس النواب وأحد زعماء المسلمين ، والحاج فريد عبد الرازق وقد زارا الأزهر في يوليو سنة ١٩٥٩ .

وليس للمسلمين حزب سياسي معين ، وكان لهم في مجلس الشيوخ سنة ١٩٥٢ عضوان من بين ٣٠ عضوا ، وفي مجلس النواب ٧ أعضاء من ١٠٣ .

وللمسلمين آثار طيبة في سيلان أشار إليها السيد ادوين ويجراتن ، ممثل سيلان في الهند ، حين ألقى خطابا في جامعة عليكرة ، في نوفمبر سنة ١٩٥٥ (١) ، منها عنايتهم بالطب وكان علماء المسلمين موضع احترام وتقدير من الحكام الذين أقطعهم أراضي دليلا على مكائهم عندهم ، وما يزال اسم أحد هؤلاء يذكر على مر الزمن ، وتعرف ذريته الآن بأعضاء أسرة بيتج موديانس ، Betge Mudiyanse ، وفي مبدأ الحكم الانجليزي عين أحد المسلمين في وظيفة الرئيس الوطني للقسم الطبي ، وكان لهذا العالم مجموعة فريدة من كتب النباتات الطبية المحلية ،

(١) مجلة مجلس الجامعة التي صدرت في سيلان

سنة ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

تأثير العقيدة الدينية :

الإسلام فوق كل اعتبار

للأستاذ محمد رجب البيومي

عن يقظة وإيمان ثم مضى ينشرها في قبائل
الوثنية في جنوب السنغال وغامبيا ،
وعلى شواطئ نهر النيجر الأعلى وروافده
حتى ألف بحجته الباهرة ودليله المقنع أمة
إسلامية مؤمنة تهيم بالإسلام عن دراسة
واقناع ! ، فمن مبلغ هؤلاء الذين يزعمون
أن السيف قد مهد الطريق لدين الله أن فيما
قام به الإمام أحمد دليلاً مناعاً على أن الإسلام دين
الفطرة ، تنجذب إليه الضمائر المخلصة عن رغبة
لا تعرف الرهبة ، وطواعية لا يشوبها إكراه !!
أجل لقد كافح الإمام في ميدان الدعوة
حتى انتصر ، ثم حمل السيف مع شيعته لينازل
المستعمرين الفرنسيين حين قدموا إلى بلادهم
يحملون الصواعق والقذائف ، ويسلطون
على الأبرياء الأمنين كوارث العدوان ،
وفظائع الإرهاب ، وجعل الإمام الأعزل
يجمع الصفوف ، ويلهب العزائم ، ويجمع
الذخيرة مما ينهبه من سلاح المعتدين ، حتى كتب
في سجل النضال صحيفة ناصعة تعبق بأريج
العزة ، وتضيء بنور الإيمان ، ولسنا نورد
الآن تاريخه الحربي ، ولكننا نهد لحادثة

لم أكن أعلم شيئاً عن تاريخ البطل الإفريقي
الإمام أحمد ساموري توري ، حتى قدم حفيده
الرئيس أحمد توري زعيم غينيا المتحررة
إلى القاهرة ، فأفاضت الصحف والإذاعات
في مآثر الجلد والحفيد ، وراعى أن ألم بفرائب
نادرة في دنيا البطولة الإسلامية سجلها كفاح
هذا المسلم الخطير ، وغفل عن تسطيرها
مؤرخو الحركات الإسلامية على كثرة ما ألفوا
من أسفار ، وأذاعوا من أحاديث ، وإذا كنا
في عهد المطبعة والصحافة والمذياع لانعرف
شيئاً من أجداد إخواننا في العقيدة والجهاد ،
فن الذي يقدر على استرجاع مآسيته الأحقاب
الغابرة من روائع التضحية وخوارق التنفيذ
في عهود حالكه أضلّ فيها مصباح البحث
والتنقيب ، !! إن التاريخ الإسلامي ليهيب
برجاله أن دعوا المطروق المهدد من أبواب
البحث في تواريخ الدول والملوك ، وعليكم
أن تولوا أقلامكم شطر بلاد تدين بالإسلام
وتألق بالبطولة ثم لتجد تضحياتها الباسلة
قلبا يرصد ، وكتاباً يذيع !! .

لقد كان الإمام أحمد ساموري توري بطلاً
منقطع النظر حين اعتنق العقيدة الإسلامية

واللذة والعريضة فينتشي بما زين الشيطان من إثم ، ويستكين لما أبدع الباطل من خداع ، حتى إذا قطع الشوط إلى نهايته ، ساوموه على مخالفة أبيه ، والعمل على إنهاء الحرب ، ليصبح الوالد ملكاً مشمولاً بالحماية الأجنبية ، ثم ليكون الابن من بعده ولي العهد وحليف الاستعمار ، ورجع الشاب المغرور متحمساً للخيانة النكراء ، وبدأ بالسعى إلى استمالة الضعفاء لوجهته ، فأدرك الإمام حقيقة ما كان !! والتبّت في صدره عاطفتان قويتان : عاطفة الأبوة ذات الحنان والسماح ، وعاطفة الإسلام ذات القمع للباطل والانتقام للحق ، فأثر دينه ووطنه ثم حكم على ابنه بالإعدام السريع جزاء خيائته ومروقه ، وبأدرفأوقع الجزاء على رموس الأشهاد في ثقة وإيمان ...

هذا الموقف وحده يعلن أن البطل الثاني قد جعل الإسلام فوق كل اعتبار سواء ، ولو لم نعرف من تاريخ حياته غير هذا العمل الجريء لفهمنا بسهولة أن الإسلام قد صار دماً ينبض في عروقه ، ويجرى في مهجته ، فهو الذي يسيطر على مشاعره ، ويقهر كل عاطفة مضادة تحاول أن ترضى غريزة جاحدة أو ميلاً مغرضاً ، وكأنى بالبطل الخالد وقد درس القرآن الكريم دراسة مستنيرة ، فعرف أن الله عز وجل يقول : قل إن كان

خارقة كان بطلها المُعَلَّم ، ولها من سمو الدلالة وبالغ العظمة ما تخشع له القلوب روعة وإكباراً ، وهي وحدها جديرة أن تبوءه مقعد صدق في الدنيا والآخرة من ناحية ، وأن تمد الباحث المحلل بفيض دافق من المعاني الكاشفة السافرة من ناحية ثانية ، ولها - مع ذلك - في سجل الإسلام لظائر وأشباه !!

لقد التحمت كتائب البطل الباسل بشراذم الفرنسيين في كفاح مرير ضاق به القائد الفرنسي د أرسيناد ، ومرت ست سنوات دون أن يتقدم شبراً واحداً في ميدانه ، ومن قبله قاسى السكولونيل د برنى دى بورى ، كئوس الهزيمة مترعة قاتلة ، ورأى المعتدون أن للقتال وحده لا يفضى إلى نصر سريع ، فأعملوا الحيلة حتى اختطفوا نجل الإمام ، ليفتوا بذلك في عضد أبيه ، ولسكنه قال لمن ساوموه على اقتدائه : إن ولدى لن يزيد عن مسلم عادى كهؤلاء الذين تحصدون أرواحهم دون حياة ، فإذا كنتم تتوهمون أن اعتقاله سينهى الحرب فقد أسأتم التقدير ، ثم واصل الرجل جهاده مستميتاً في الكفاح ، ويثس الفرنسيون من النصر السريع فاحتالوا ثانية على اكتسابه ، وعمدوا إلى النجل الأسير فاستمالوه بلذائذ النعيم ، وطرائف الرفاهية ، وبعثوا به إلى باريس ليرى بهجة والنضارة

الإسلام على مشاعره فكان وحده الأب الأول دون هذا المعترض الأنيم ، وينتهي الموقف العاصف بمصرع الأب على يد النجل الباسل فلا يحرك في قلبه غير عاطفة الرضا والارتياح ، ويبارك الله هذا السلوك المثالي من أبي عبيدة فيقول في محكم كتابه : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ، !!

وإن الناظر لهذا الموقف العاصف ليعجب من تيارين مختلفين ، فالوالد المتعاطف يبغى هلاك ولده ، لا لعقيدة ينافع عنها ، أو إله يبغى ثوابه وعدله . بل لينتشر ذكره في الملا من قريش فيقال : إن فلانا قد عاقب نجله يوم بدر إذ فر مع محمد إلى المدينة دون رضا ، والابن الإنساني الرحيم يرى أن يغمض العين عن غضب أبيه ، فيحاول أن يتبعد عنه ، وله فيمن حوله من المشركين مدد لا ينفد ! وإن إحساسه الإنساني وشعوره الديني معالي وجبان هذا الابتعاد ، إذ ليس في الموقف المشترك ما يدفع إلى التصادم الشخصي بين أب وابن

آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ، . بل كأنى به وقد طالع سير السابقين الأولين من أصحاب محمد ورجاله فرأى من سلوكهم البصير ، وسنهم النادر ما دفع به إلى القدوة الحسنة والاحتذاء النبيل ! إن هذا الرعيل الأول من كبار المجاهدين قد جعل الإسلام صلة عريقة تهون معها صلات الدم والأسرة والقرباة ، فإذا صدع الإسلام بأمر يعارض ما جبلت عليه بعض النفوس المتذبذبة ، كان أمره جيباً مرغوباً ، فهو وحده المنافذ المتحكم ، وهو وحده الحق الصريح !! هذا أمين الأمة أبو عبيدة الجراح رضي الله عنه يخف مع المسلمين من المدينة يوم بدر فيكافح الطغاة في معركة الإسلام الأولى ، ويتعرض لأقسى امتحان عاطفي حين يجد والده أمامه ، فيحاول ألا يكون بينهما قتال مبيد ، فيولى وجهه شطر مشرك سواه ، ولكن الوالد الغاضب يتبعه ليقول المشركون : إنه عاقب نجله الصافي شر عقاب ، فيحاول أبو عبيدة أن يتفاداه حتى إذا وجد التصميم الغادر من أب شاذ مريض ، اندفع مخلصاً إلى منازلته وسيطر

أهواء !! وفيه نزل قول الله : « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا . »

بل ما عسى أن تقول في الصحابي المخاض عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول حين قال لرسول الله : إن والدي قد آذاك وأذاع السوء عن أصحابك فإن كنت قاتله فمرفى بقتله ، كيلا أجد من يقتله سوى !! إن هذا النظر الأسنى إلى الإسلام ومنزله المتكسنة من النفوس ليظهر في أبسط دلائله أن من اعتنقوه قد آمنوا به عن حب وهيام ! فأصبح المهيمن على المشاعر ، النافذ الأمر في المآزق مهما اختلفت البواعث والرغبات .

ولا يمكن أن نقف بهذه الخوارق النادرة عند الوعظ الخطابي وحده بل لا بد أن نجد فيها العمل الفني ميدانا للتحليل والتصوير ، فتكون حادثة الإمام أحمد سامورى مثلا نواة لمسرحية شائقة تصطرع فيها الرغبات وتعارض الأحاسيس ، ولها من خاتمها المؤسسية ما يكسبها ألوانا مثيرة من الانفعال والدخشة ، ووراء كل مشهد من مشاهدنا النادرة عبرة بالغة ولحمة وامضة ! وإذ ذاك نعرض حوادث التاريخ الصادق عرضا مؤثرا وهو بواقعيته الملبوسة يغنى عن التلفيق والاختلاق .

أذكر أن الكاتب الفرنسى الشهير

مع وجود البعداء من يتصارعون على أمر جليل ، حتى إذا حزبه الخطب وأدرك أن الموقف موقف انتقام متعمد ، تغير الوضع في هينه وأقدم على مصرع أبيه راضى النفس مرتاح الضمير ! وقد استجاب في الحالتين لتعاليم الإسلام معرضا ومقبلا ، ولنا أن نقدر منه هذا الاعتدال الحميد !!

ولم تكند تنتهى معركة بدر حتى جد من الحوادث ما يثبت أن الإسلام فوق كل اعتبار سواء ، فقد وقع في الأسر جماعة من أقرباء المسلمين ، فتقدم عمر بن الخطاب إلى رسول الله ليقول : مكنى من أخى زيد بن الخطاب لأقتله ومكن على بن أبى طالب من أخيه عقيل ابن أبى طالب ! ولكن محمدا قد آثر العفو الشامل عن القريب والبعيد ، وهو سلوك نبيل لا يفرق بين مشرك ومشرى حتى يقال إن عواطف القربى قد وجدت منفذا تنسرب منه ، على أن موضع العبرة هنا هو قول عمر فلم يكن يرى أن الإسلام وحده الجدير بالتقدير في هذا المآزق ما اندفع إلى هذا الاقتراح .

ثم ما عسى أن نقول في سعد بن أبى وقاص وقد امتنعت والدته عن الطعام والشراب حتى يرجع عن الإسلام إلى الشرك فقال لها فى حدة لو أن لك ألف نفس ، وقد جعلت كل نفس تهلك فى يوم ، ما رجعت بى ذلك عن اعتقاد

الوالد لولده أقوى بكثير من حب الابن لأبيه ، حتى سئل أرسطو عن ذلك فقال : إننا نحب أبناءنا أكثر من حبهم إيانا ؛ لأنهم قطع منا ولسنا قطعاً منهم !! فعناصر التأثير إذن مكتملة دافئة لا ينقصها غير القلم الصنّاع ! وإذا كان الإسلام ديناً ودولة ، فكل بطولة وطنية لديه تعتبر بطولة دينية إسلامية ، ولا كذلك في بطولات الأمم الغربية التي تفرق بين الدين والدولة فتجعل الأول علاقة خاصة بين العبد وربّه ! ثم تناقض نفسها فتؤلف الأحزاب السياسية وتلحقها بصفة مذهبية دينية ، فلا ندري إذا كان هؤلاء يضحكون على أنفسهم أم يخدعوننا بما يدعوا إلى فصل الدولة عن الدين ، ولهم رغم تناقضهم السافر في كل دولة أذئاب وأبواق . وفي التاريخ المصري حادثة فذة يمكن أن تضاف إلى ما أسلفناه من غرائب التضحية في الإسلام ، فقد كان شاور الوزير الفاطمي رجل خيانة وحليف غدر وإسفاف ، وقد غلبته شقوته فتآمر مع الصليبيين على جنود الإسلام ، وحاك مؤامرة شائنة تفضي إلى مصرع أسد الدين شركوه وصلاح الدين الأيوبي ثم إلى وقوع مصر جميعها في قبضة الملك الصليبي الغادر (موري) صاحب بيت المقدس ، ولكن نجله الباسل الأبّي (شجاع ابن شاور) قد وقف على أسرار المؤامرة

(فرانسوا كوبيه) قد اختلق رواية في سبيل التاج التي لخصها المنفلوطي رحمه الله ليصور صراعاً حاداً بين العاطفة والواجب إذ جعل الشاب الباسل قسطنطين يتحدى رغبة والده الأمير ميشيل برانكو مير حين هم بخيانة وطنه مستجيباً لرغوة حبيبته الحفماء (بازيليد) ! ! فثارت في النجل الأبّي عواصف الكرامة والوطنية وأقدم على قتل والده مرتاح الضمير ، وقد أبدع الكاتب الفرنسي حقاً في التصوير والتشخيص مما جعل أعلام الأدب الفرنسي مثل أناطول فرانس ، وإميل فاجيه ، وجول لومتر يسهبون في الثناء عليها إسهاباً جاوز الوصف حتى ألحق بعضهم مؤلف الرواية بكورني ورسين وهيجو ، وفي مقدمة الترجمة العربية للرواية الخالدة تفصيل واف لذلك ! ! وأساس هذا التوفيق المبدع هو اختلاق التعارض بين الواجب والعاطفة في نفس البطل الشاب قسطنطين ! ! فليت شعري هل تعجز هذه الخوارق الإسلامية السالفة عن إيجاد مثل هذا التأثير إذا وجدت المسرحي المبدع الحصيف ؟ ! إلى لأجزم أن واقعة الزعيم الإفريقي المسلم - وهي الحق الصادق - تفوق في تأثيرها واقعة البطل الخيالي قسطنطين ؛ لأن المؤلف الفرنسي قد جعل الابن يقتل والده ، أما حادثتنا تلك فقد قتل فيها الأب فلذة كبده ، وكلنا يعلم أن حب

وبعد : فالإسلام خاتمة أديان سماوية شريفة متفقة الجوهر ، نظيفة اللب ، واضحة الهدف وهو إذ يعتبر العقيدة الدينية أعز وأعلى ما يحرص عليه المؤمن الصادق إنما يكرر تعاليم نوح وإبراهيم وغيرهما من أنبياء الله ! ! فقد قال الله تعالى مخاطباً نبيه نوحاً حين سأله الرحمة بولده العاق : يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، كما تحدث عز وجل عن استغفار إبراهيم لأبيه فقال تعالى : وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم ! ! ، وهو بمثاليته الرائعة ، وتعاليمه الباهرة فوق كل اعتبار دون نزاع ؟

محمد رجب البيومي

فواجه والده بالرأى الحاسم ورماء صراحة بالخيانة والانحطاط ، ثم أعلن أنه لن يصبر على مكروه يفد على بلاد الإسلام فاضطر الوالد الخبيث لمجاراته في الظاهر ، وإلى اجتماعات المؤامرة ، ورسم طرق الخيانة ، فلما تأكد شجاع من دناءته بادر بمقابلة أسد الدين وأوقفه على ما يعتزم والده المجرم من غدر وعقوق ، وهو يعلم أنه يعرض أباه إلى موت محقق : ولكن النفس الشريفة التي هذبها الإسلام وأثارها اليقين قد تخطت رغبات الهوى ، فأثرت الباقية على العاجلة ، وأنقذت مصر والإسلام من شر موبق لا يدري أحد ما كان يعقبه من الكوارث الماحقة لو سيطر المستعمر الغادر على ربوع آمنة مطمئنة لم تواجه أحداً بشر ، ولكن دهمها العدوان الآثم بوجهه الوقاح .

(بقية المنشور على صفحة ١٧٤)

يختارون اختياراً خاصاً يمكنهم أن يقوموا بدور إيجابي في هذا الميدان ، إلى جانب الكتب والنشرات ووسائل التحقيق الأخرى ، التي تحمل الزاد الطيب المعبر بصدق عن الفكرة الإسلامية والمثل العليا - التي يتصدر قدرها المؤمنون المخلصون للدين والوطن .

عطية صفر

واعلم من الخير أن تساعد المسلمين في هذه المنطقة ، وتأخذ بيدهم في وسط هذا المعترك ، ولقد كان للأزهر دوره في هذه الناحية فوفدت إليه البعثات لتلقي العلم ، ولكنها من القلة بحيث لا تكفي للوفاء بحاجة المسلمين ، والأمل أن تكون هناك مساعدة من نوع أكبر تقدمها جمهوريتنا الحريصة في عهدنا الجديد على كسب ود العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا ، ولا شك أن المبعوثين الذين

موقف عمر بن الخطاب يوم السقيفة

للعلامة الهندي شبلي النعمان

ترجمة محمد لقمان الأعظمي

شبلي النعماني علم من أعلام الهند وعالم من كبار العلماء واسم الاطلاع والمعرفة . ومؤرخ من عظماء المؤرخين ، وقد ألف في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي . ومؤلفاته هي خير ما ألف إلى الآن للعجيل الجديد ولا يزال كتابه سيرة النبي في ستة مجلدات كبار أعظم مؤلف في السيرة النبوية وتعاليم الإسلام ، لا يوجد له نظير في مكتبة الإسلام الحديثة وغير ذلك من الكتب القيمة منها : « الجزية في الإسلام » ، و « شعر المعجم » و « الانتقاد » على التمدن الإسلامي لبرجي زيدان . وهذه المقالة جزء من كتابه القيم « الفاروق » ، تلقى ضوءاً على شخصيته العظيمة وتمطى فكرة عن مدى قوته وعمقه ومنهجه في التحليل توفي سنة ١٩١٤ .

وأخطر وأولى بالاهتمام والعناية من دفن الرسول والاهتمام بجسده المبارك ، وكان نفوسهم كانت تشوف إلى الخلافة . وأطمع في الإمارة ، وأعرضت عن حق النبي عليه الصلاة والسلام - هؤلاء الذين كانوا يدعون جبههم للرسول وإخلاصهم له ، بل كانوا يدعون الفداء . والتضحية في سبيل الرسول هم الآن ينحرفون وراء السلطة والسلطان .

وتضاعف الدهشة والحيرة حين نرى الصحابة : صغارهم وكبارهم يهتمون اهتماماً بالغاً بالخلافة حتى إن الذين كانوا يعتبرون النجوم اللامعة في سماء الإسلام ، مثل أبي بكر وعمر ابن الخطاب هم أيضاً يتركون جسد النبي عليه

الصورة التي تصورها كتب التاريخ والسيرة عن قضية المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة غريبة جداً ، بل هي صورة تثير الدهشة والحيرة في النفوس ، فما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتحق بالرفيق الأعلى حتى بدأ المسلمون يتنافسون ويتنازعون في أمر الخلافة ، كل يسعى لنفسه ولمصلحته .

وأغرب من ذلك أن المسلمين تركوا أمر دفن الرسول وشغلوا بأمر الخلافة والحكم ، كأن كل واحد يخاف أن يفلت زمام الحكم ، من يده ، ويتمكن الآخر منه ، وكأنهم كانوا يرون أن قضية الحكومة والخلافة أهم

ألا يفكروا في أمر الخلافة ، وبنو هاشم لم يخضعوا ويستسلموا إلا بعد محاولة شديدة ، بل لم يخضعوا إلا بعد ما رأوا العنف والشدة وإلا لم يكن من السهل الميسور أن يسكت بنو هاشم عن الخلافة .

أرى أن هذه القضية تتطلب منا المناقشة والبحث في الأمور الآتية .

١ - هل أثار قضية الخلافة عمر بن الخطاب وأنصاره ؟

٢ - هل ذهب عمر بن الخطاب وأنصاره إلى سقيفة بني ساعدة لحاجة في النفس ؟

٣ - هل كان علي وبنو هاشم يفكرون في أمر الخلافة ؟

٤ - هل كانت الأمور والأعمال التي صدرت من عمر بن الخطاب في محلها ؟

ونحن ننقل هنا نصاً قيمياً من كتاب مسند أبي يعلى : وهو يوضح لنا صورة القضية ويكشف عن حقائقها ويكون جواباً عن السؤالين الأولين ، يقول عمر بن الخطاب : بينما نحن في منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا رجل ينادى من وراء الجدار : أن اخرج إلى يابن الخطاب . فقلت إليك عنى فأنا عنك

مشاغيل ، يعنى : بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : قد جدت أمور فإن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، فأدركوهم قبل

ألف سلام ويسرعون إلى أمر الخلافة والسيطرة عليها .

وصورة القصة تزداد غرابة وشناعة حين ترى الذين كانوا يمتنون إلى الرسول بصلة الرحم ولا تربطهم إلا أواصر القرابة والدم ، هم في غمار الحزن والحلم ، وتشغلهم قضية دفن الرسول عن كل شيء حتى لا يجدوا فرصة ليفكروا في أمر الخلافة

هكذا تصور لنا كتب التاريخ والسيرة هذه القصة ولا شك أن القصة صحيحة ، وأن الروايات في هذا الصدد قوية الأسانيد ، وموثوقة الرواية وكلها توحى بهذه الفكرة .

ولكن حقيقة القضية ، غير ما يتصورها الناس ، وغير ما يفقهون من خلال هذه الروايات التي تروى هذه القصة . لا شك أن أبا بكر وعمر بن الخطاب تركا أمر دفن الرسول وذهبا إلى سقيفة بني ساعدة ، حيث اشتركا في المناقشة الحادة التي دارت بين الأنصار والمهاجرين ؛ لأجل الخلافة بل جعلوا يراحمون الأنصار ، ويحاولان إزاحتهم وإبعادهم عن الخلافة ، كأنهما في نشوة الحكم والخلافة نسيا أمر دفن الرسول ، وكان الرزية لوفاة الرسول لم تؤثر فيهما .

وصحيح أنهما أخذتا أمر الخلافة بالحزم وأقنعا الأنصار أن ينسحبوا من الميدان كما فرضا على بنى هاشم وأقنعاهم أيضا

الله عليه وسلم ؟ فقال أصبح بحمد الله بارئاً .
فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له أنت
بعد ثلاث عبد العصا وإني لأرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه
هذا . إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند
الموت . اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علينا ،
وإن كان في غيرنا علينا فأوصى بنا ، فقال على :
والله لئن سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمنعناها لا يعطينا الناس بعده ، وإني والله
لا أسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
هذه الرواية توضح تماماً فكرة العباس
ابن عبد المطلب عن الخلافة وتعبّر عما في
نفسه . أما علي بن أبي طالب فإنه إلى الآن
لم ينحلي يقين أن رسول الله يتوفى في هذا
المرض ؛ لذلك لم يثر موضوع الخلافة كما أنه
لم يكن على ثقة تامة أن رسول الله سيرشحه
للخلافة .

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجتمع بنو هاشم مع أتباعهم في بيت فاطمة
بنت الرسول ، وكان علي بن أبي طالب يرأس
هذه الجماعة . كما يظهر من رواية في البخاري
يروىها عمر بن الخطاب (١) .

« كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن
الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في

أن يحدّثوا أمراً يكون فيه حرب . فقلت :
لأبي بكر انطلق (١) .

هذا النص يوضح أن عمر بن الخطاب
وأنصاره لم يثيروا قضية الخلافة ولم يذهبوا
إلى سقيفة بني ساعدة إلا بعد ما طلبوا للذهاب
وأذروا من حدوث الفتنة والحرب .

أما السؤال الثالث فهو : هل فكر بنو هاشم
في أمر الخلافة ؟

بعد دراسة أحوال المسلمين في تلك الفترة
يمكن أن نقسمهم إلى ثلاثة أقسام :

(١) بنو هاشم وكان فيهم علي بن
أبي طالب .

(٢) المهاجرون وكان يرأسهم أبو بكر
وعمر بن الخطاب .

(٣) الأنصار وكان رئيسهم وشيخهم عبادة
ابن الصامت .

وهذه الفرق الثلاث كلها كانت تفكر في
أمر الخلافة وتبحث عنها ، أما الأنصار فإنهم
أعلنوا رغبتهم في الخلافة وصرحوا بما كانوا
يريدون . وأما بنو هاشم فيمكن أن نفهم من
خلال نص نورده هنا في صحيح البخاري (٢) :
أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفى
فيه فقال الناس كيف أصبح رسول الله صلى

[١] فتح الباري ص ٧٣ ج ٧ .

[٢] فتح الباري ص ١٠٩ ج ٨ باب مرض النبي .

[١] فتح الباري ص ١٠٩ ج ٨ باب مرض النبي .

على مدى تأثره بالفاجعة وتأسفه على ذلك ،
بل كان السبب الأساسي أنه لم ير الجوملائم له
ولا لترشيحه هناك .

بقى السؤال الأخير وهو أن الأعمال التي
صدرت من عمر بن الخطاب هل كانت
في محلها ؟ .

أعتقد أن من له أدنى إلمام بأسس الحضارة
والسياسة والتاريخ يعرف تماما أن المدينة
كان فيها عدد كبير من المنافقين الذين كانوا
يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر ،
ويقتزون كل فرصة ليقبلوا فيها نظام الحكم
ويهدموا كيان المسلمين وكانت حادثة وفاة
الرسول أكبر فرصة لتحقيق أغراضهم
وآمالهم . ففي مثل هذه الظروف القاسية
والأوضاع الشديدة ، وللساعة الحرجة هل كان
من المناسب أن يظل المسلمون قلقين نائحين ،
تسودهم الفوضى ويعصمهم الاضطراب . أم كانت
الحاجة تتطلب منهم أن يجتمعوا تحت راية
الخلافة وقيادة الأمير ويلبوا شعهم وينظموا
أمر دولتهم .

ومن جهة ثانية أن الانصار زادوا الأمور
اضطرابا بإثارة قضية الخلافة قبل أوانها
وإثارة الجدل والمناقشة حولها .

ونحن نعرف أن قريش لم تكن تقيم وزنا
للانصار ، فحينما كانت معركة بدر الحاسمة وخرج
جماعة من شبان الانصار لمقاتلة قريش ،

سقيفة بني ساعدة وغالطنا على الزبير ومن
معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، لقد
قال عمر بن الخطاب هذا الكلام في خطبة
ألقاها أمام جمع كبير من الصحابة فلا يتسرب
الشك إلى صحتها ، وتزداد هذه الرواية وضوحا
وصراحة برواية عن مالك رضى الله عنه ، يقول :
إن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا
في بيت فاطمة بنت رسول الله - أما الطبرى
فروايته هكذا (١) :

وتخلف على والزبير واختلط الزبير سيفه
وقال لا أغنده حتى يبايع على . بعد دراسة
هذه الروايات المختلفة فصل إلى عدة
نتائج وهي - :

١ - أن الصحابة بعد وفاة الرسول
عليه الصلاة والسلام انقسموا في قضية الخلافة
إلى ثلاثة أقسام .

٢ - المهاجرون يريدون أبا بكر .
وبنو هاشم كان ضلعهم مع على بن أبي طالب ،
كما أن عمر بن الخطاب وأنصاره جاءوا
إلى سقيفة بني ساعدة وتركوا الرسول
في بيته .

نرى أن على بن أبي طالب أيضا خرج
من بيت النبي وجاء إلى بيت فاطمة حيث كان
بنو هاشم مجتمعين . أما عدم ذهاب على بن
أبي طالب إلى سقيفة بني ساعدة فلا يدل

بعد الآخر ، ثم تهافت الناس على مبايعة أنى بكر . . ، وهكذا استطاع عمر بسياسته الحكيمة وبصيرته النافذة ، أن يوقف التيار الذى كاد أن ينبجرف فيه المسلمون وانسد باب الفتنة التى كادت تززع كيان المسلمين وعادات الأمور سيرتها الأولى ، وهدأت العاصفة وانصرف الناس إلى أمورهم ، اللهم إلا فئة من بنى هاشم كانت تجتمع فى بيت فاطمة بنت الرسول حينما بعد حين ، تتكلم فى أمر الخلافة . وحاول عمر أن يقنعهم باللين والحكمة ولكنه لم ينجح ، وقد ذكر ابن أبى شبة فى المصنف والطبرى فى تاريخه رواية فيها :

أن عمر بن الخطاب ذهب إلى بيت فاطمة بنت الرسول عليه السلام ، ووقف على الباب وقال مخاطباً إياها : (يا بنت الرسول أنت أحب الناس لى ، ومع ذلك لو استمر الناس فى الاجتماع عندك والتحدث فى أمر الخلافة ، لأحرقن هذا البيت بسبب هؤلاء) .

أنا لا أبدي رأياً فى صحة الرواية ومدى قوتها وإن كنت لا أرى حرجاً فى قبولها لأن عمر بن الخطاب كان معروفاً بين الناس بطبيعته ، ولا يستبعد أن تصدر منه هذه الكلمة أو أمثالها ، ولكنه لا يغيب عنا أنه لولا حكمة عمر وشدة لحدوث حروب أهلية بينهم كما حدثت بين معاوية وعلى ، وكأنهم كانوا يفتقدون حكمة عمر وسياسته الممزوجة باللين حينما وبالشدّة حينما آخر ؟

سبلى النعمانى

لم يملك عتبة نفسه وكشف عما فى طويته وقال مخاطباً محمداً عليه السلام فى لهجة الاستنكار كيف يطيب لنا القتال مع هؤلاء (يعنى الأنصار) ونحن قوم لانحارب إلا الأاكفاء ؟ .

ثم من ناحية ثانية بقية العرب أيضاً ما كانت ترضى مثل قريش أن يكون الخليفة أو الأمير فى الأنصار حتى إن أبابكر لما خطب فى سقيفة بنى ساعدة صرح بهذه الحقيقة : « إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش » .

ثم نرى أيضاً أن الأنصار أنفسهم كانوا منقسمين بين أوس وخزرج وما كانوا على وفاق ولا اتفاق .

ففى هذه الحالة الخطيرة كانت الحاجة ماسة لأن يقضى على دعوة الأنصار للخلافة ويبحث عن شخص جدير بتحمل أعباء الخلافة عن جدارة وإخلاص ، وكان أبو بكر أكثر الناس جدارة لحل هذه الأعباء الثقيلة ، كما كان أكثر الناس احتراماً وإجلالاً بين المسلمين ، وأرخصهم علماً بأمور الدين وأشدّهم تحملاً لمشقات الحكم ؛ لأجل ذلك كان أصلحهم للخلافة ، وكاد انتخابه أن يتم بسرعة لولا قضية الخلافة التى أثارها الأنصار حيث وقع الناس فى حيرة وقلق وأدرك عمر بن الخطاب خطورة الموقف ، فأسرع إلى أبى بكر ووضع يده فى يده وبأبىه صراحة وعلناً ، وتابّع الناس بعده فتقدم عثمان بن عفان ، وأبو عبيدة ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف ، واحداً

رَأْيُ الْأَزْهَرِ

فِي الْأَتِّجَاهَاتِ الْحَدِيثَةِ إِلَى تَدْرِيسِ النَّحْوِ

لِلأَسْتَاذِ أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ غَنِيمٍ
« تَمَّةٌ مَا نُشِرَ فِي الْعَدَدِ الْمَاضِي »

واحد ؟ ويحتج النحاة لتقدير المتعلق العام
بقول كثير .

فإن يك جثمانى بأرض سواكم
فإن فؤادى عندك الدهر أجمع
فإن فؤادى تؤكد مرفوع ، وليس في الكلام
المنطوق ما يصلح أن يكون متبوعا ، فكان
لامفر من تقدير أن الأصل كائن عندك ،
وأن في كائن ضميراً مرفوعاً انتقل إلى الظرف
حين حذف الوصف وجاء لفظ أجمع مرفوعاً
على نسقه تأكيداً له . هذا من ناحية الصنعة ،
وأما من ناحية المعنى فالخبر حكم على المبتدأ
ووصف له . والوصف يدل قطعاً على معنى
في الموصوف . فلا بد إذن أن يدل الخبر
على معنى في المبتدأ . فإذا قيل في زيد عندك .
زيد مبتدأ والظرف خبر . وجب أن يدل
الظرف على معنى في زيد . والظرف من حيث
هو ظرف مدلوله المكان . وزيد مدلوله الذات
ولا ارتباط بينهما إلا على جهة حلول الذات
في المكان . وذلك هو ما يرشد إليه المتعلق

المحاولة الرابعة :

إلغاء متعلق الظرف والجار والمجرور
جاء في قرار مؤتمر الجمع اللغوي مانصه :
« يجب إرشاد المبتدئين إلى أن المتعلق العام
للظرف والجار والمجرور في نحو زيد في الدار ،
وزيد عندك محذوف ، وإن كانوا لا يكلفون
كل مرة تقديره عند الإعراب . بل يقبل
منهم تخفيفاً عنهم أن يقولوا في إعراب زيد
في الدار . في الدار جار ومجرور مسند » ،
وهذا تفسير مقبول . لا يخالف ما قاله القدامى
إلا في إبدال كلمة مسند بكلمة خبر .

أما ما يراه مؤلفو الكتب المدرسية ، من أنه
لا متعلق للظرف ولا للجار والمجرور مقلدين
في ذلك ابن مضاء ، فذلك ما لا يقره النظر
السليم . وإذا كانوا يعترفون بأن المتعلق الخاص
هو المسند في نحو قولنا : زيد مخلص في عمله .
فأى ضرر في ملاحظة المتعلق العام حتى تكون
الأساليب كلها على نمط واحد ومن طراز

القاضي في حالة النصب منصوباً بالفتحة الظاهرة
لخفة الفتحة على الياء .

ثالثاً : ليطمن التليذ إلى أن الحكم
الإعرابي الذي تقتضيه وظيفة الكلمة في الجملة
مطرد دائماً لا يتخلف . وإذا تخلف في الظاهر
فإن ذلك يعود لسبب من الأسباب . ولو لم يفهم
التليذ ذلك لسوخ لنفسه أن يقول جاء زيد
ورأيت زيد بالجهر قياساً على جاء هؤلاء
ورأيت هؤلاء وجاء غلامى ورأيت غلامى .

المحاولة السادسة :

إعراب التكملة

يرى أنصار التيسير أن يقال في إعراب
أكرمت زيداً : زيداً مفعول به تكملة .
وفي قمت إجلالاً لك : إجلالاً تكملة للفعل
ليبان السبب إلى آخر ما جاء في القرار .
ولا أستطيع أن أفهم وجه التيسير في زيادة
كلمة تكملة ، بعد أن أضافوا إليها كل ما ذكره
النحاة من مصطلحات مع بعض التغيير .
وإذا كان غرضهم من زيادة تلك الكلمة بيان
مكانتها في الجملة . فالنحاة لم يغفلوا هذا ، فقد
ذكروا أن كل ماسوى المرفوع فهو فضلة .
إلا أنهم لم يروا التعرض لذكر ما عند الإعراب
تسهيلاً على المتعلمين ، وإيثاراً للإيجاز .
لهذا أستحسن الإبقاء على المصطلحات القديمة ،
فهى أوضح وأيسر وأوجز .

الذى يلاحظه النحاة . ولو لم يلاحظ هذا
لم تكن لإحدى الكلمتين صلة بالأخرى .
وكذلك القول في نحو زيد في الدار .
وإن فلا وجه لما يقولون . من أنه لا متعلق
للظرف ولا للجار والمجرور .

المحاولة الخامسة :

إلغاء الإعراب التقديرى والمحلى

يرى مؤتمر المجمع ضم الإعراب التقديرى
إلى المحلى . فيقال في نحو جاء الفتى والقاضى .
الفتى والقاضى مرفوعان محلا . ويرى مؤلفو
تحرير النحو العربى . الإعراض عن تكلف
الإعراب التقديرى والمحلى والاكتفاء ببيان
وظيفة الكلمة في الجملة وصلتها بما معها ،
ولست أرى مبرراً للعدول عما يقوله القدامى .
بل ينبغى الرجوع إلى قولهم لما يأتى :

أولاً : ليتبين التليذ كيف يضبط التوابع
إذا كان المتبوع مما يعرب محلاً أو تقديرأ
نحو جاء القاضى الفاضل وغلامى المطيع والفتى
للنشيط وهؤلاء المخلصون .

ثانياً : ليدرك المتعلمون الفرق بين ما هو
مبنى كمن ، وما هو معرب تقديرأ كالفتى
والقاضى ؛ فإن المانع من إعراب الأول قائم
بجوهر الكلمة ، والمانع من ظهور الإعراب
على الثانى قائم بالحرف الأخير . ولذلك كان

شك أنه يقف أمام تلك الشواهد الكثيرة
حائراً مشدوها ، لا يدري كيف يوفق بينها
وبين معلوماته الناقصة .

المحاولة الثامنة :

إعراب المنادى

يرى جمهور النحاة أن المنادى إذا كان
مضافاً أو شبيهاً به أو نكرة غير مقصودة
ينصب لفظاً نحو : يا عبد الله . يا رجلاً
بالعباد . ونحو قول الشاعر :

فيا راكباً إما عرضت قبلن

ندامى من نجران أن لا تلاقيا
وإذا كان مفرداً علماً ، أو نكرة مقصودة
فإنه يبنى على ما يرفع به ، ويكون منصوباً محلاً
نحو يا داود ، يا جبال أوبى معه ، وإنما يبنى
في هذين لوقوعه موقع كاف أدعوك وكونه
مثلاً لإفراداً وتعريفاً ، ولم يبن المضاف
والشبيه به ؛ لأنهما ليسا كالكاف في الإفراد
ولم تبن النكرة غير المقصودة ، لأنها ليست
كالكاف في التعريف ، ولم تقع موقعها .
وبالتأمل في هذا التوجيه ، نجد أنه من الدقة
والإحكام بحيث يقدره ويعترف به كل منصف ،
ولا عسر في فهمه وتفهمه .

وفي الاتجاه الجديد يجعلون للمنادى ثلاثة
أحوال :

ينصب إذا كان مضافاً ، وهم في ذلك
موافقون للقدماء .

المحاولة السابعة :

إعراب المستثنى

يرى أنصار التيسير في إعراب المستثنى
بإلا إذا كان الكلام تاماً منفيًا . الاختصار
على تعليم التلاميذ ، أنه يكون منصوباً دائماً ،
ونحن نقرهم على أن النصب في هذه الحالة
عربي كثير ، ولكن لا نزاع في أن أكثر
كلام العرب نظماً ونثراً إنما جاء على الإتيان
ومن شواهد ذلك قوله تعالى : « ولم يكن لهم
شهداء إلا أنفسهم » ، وقوله « ولا يلتفت منكم
أحد إلا امرأتك » ، في قراءة من رفع . وقوله
« ومن يغفر الذنوب إلا الله » .

وقول الشاعر :

عشية لا تغنى الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرقي المصمم
وقول الآخر :

وبلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس
وقول سعد بن مالك :

والحرب لا يبغى لجأ
حماها التخييل والمراح
إلا الفقى الصبار في الد
منجذات والفرس الوقاح

وإذا كانت شواهد الإتيان من السكثرة
كما نرى . والتليذ لا يعرف إلا النصب ، فلا

للقدماء فإنها مذاهب ضعيفة ، لا تنضج حجة للتيسير الذي يريدون .

ثانيا : يرى القدامى أن المنادى يكون مبنياً ، ويكون معرباً : وقد علموا ذلك بما يكفى للإقناع . ويرى أنصار التيسير أنه معرب دائماً ، ولم يبينوا لنا سبب ترك التنوين في حالة رفعه ، والمعروف أن التنوين لا يترك من المعرب إلا للإضافة أو للاقتراح بال ، أو للنوع من الصرف .

ثالثاً : عند نداء النكرة ، يعين القدامى للتليذ متى تعرب ومتى تبنى ، وأنصار التيسير يعطونه الحرية المطلقة ، فإذا بداله أن ينون نصب ، وإذا بداله ترك التنوين رفع ولم يحددوا له معنى مقصودا .

المحاولة التاسعة :

دراسة التراكيب

في دراسة التراكيب يرى أنصار التيسير دراستها على أنها أساليب تبين معانيها وطرق استعمالها ، والمناسبات التي تستعمل فيها . ويعيرون على القدامى أنهم أتعبوا أنفسهم في تحليلها وتخريجها .

وإذا كان القدامى قد أتعبوا أنفسهم فيما ذهبوا إليه في تلك التراكيب من تأويلات فإن لهم كل العذر . فقد أرادوا أن يخفصوها للقانون العام في تأليف الكلام من ركنين

ويرفع ويمنع التنوين إذا كان علماً غير مضاف . وفيما عدا ذلك . إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع هذا كلامهم ويدخل في هذا القسم الأخير النكرة غير المقصودة والنكرة المقصودة والشبيه بالمضاف ، ويلاحظ أنهم لم يبينوا للتليذ متى ينون فينصب ، ومتى يترك التنوين فيرفع . وكأنهم يتركون له حرية الاختيار ، فينون وينصب إذا أراد . ويمنع التنوين ويرفع إذا أحب . وإذا فله أن يقول : يارحيم بالعباد . وهو ينادى شبيهاً بالمضاف . ويا شرطياً أمامك اللص ، وهو ينادى معيناً . وللأعشى أن يقول يا رجل خذ بيدي ، وهو ينادى غير معين ، ولا نزاع أن استعمال الأساليب المذكورة ، على هذا الوجه يخالف ما جاء عن العرب .

وبالمقارنة بين المذهب القديم والمذهب الجديد يتبين لنا ما يأتي :

أولاً : يرى القدامى أن المنادى منصوب دائماً إما لفظاً وإما محلاً ؛ لأنهم يرون موضعه في الكلام موضع الفضلة والتسكلة ويراها المذهب الجديد تارة مرفوعاً وتارة منصوباً مع أن موضعه في الكلام واحد في الحالين . فعلى أى أساس رفع ، وعلى أى أساس نصب ، لم يبينوا لنا ذلك ، ولا يجدى استنادهم في هذا الاتجاه إلى بعض مذاهب

أو بأقل ليس من السهل إثباته . ويحضرني الآن بعض كلمات أراها أشهر وأكثر استعمالاً من بعض ما ذكروا وهي : العلا . الربا . الضحا ، فهذه الكلمات الثلاث أشهر من كلمة القرا التي ذكروها ومعناها الظهر .

وفي رأي أن تترك القاعدة القديمة كما هي . وإن كانت تشبه الإحالة على مجهول ، فإنها فضلاً عن كونها أسلم ، تلجئ التلاميذ إلى الاطلاع على كتب اللغة والاستفادة منها . ولست أدري لم يهجو هذا النهج في طريقة جمع الاسم بالالف والتاء فيعدوا لم ما تقلب ألفه واوا نحو قطاة وقناة وأداة وفلاة .

ملاحظة جديرت بالذكر :

وقبل أن أختم كلامي أبدى ملاحظتين جديرتين بالذكر :

الأولى : أن اللغة للعربية ليست وقفاً على الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، وإنما هي لغة جميع الناطقين بالعناد ، وهم لا يزالون يدرسون قواعدها على الطريقة المعروفة ، والمصطلحات المألوفة التي ورثوها عن أسلافهم ، وتواطأت عليها كتبهم ، وهي إحدى الروابط التي تربط بيننا وبينهم ، فلو قدر للثورة على النحو القديم أن تنجح في ما تدعو إليه كما رسمه زعماءها ودعا إليه القائمون بها ، لكننا قد أحدثنا ثغرة

أساسيين . حتى لا يراها المتعلمون غريبة على الكلام العربي ، لا تدخل في إطاره ، ولا ينطبق عليها نظامه .

ومع هذا فلا بأس من مسابقة أنصار التيسير ، في ترك هذه التخريجات ، إذا صح أن الجدوى من ورائها لا توازي ما يبذل فيها من مجهود . على أن يكون هذا مقصوراً على الناشئين .

المحاضرة العاشرة

كيفية ثنية المقصور الثلاثي

يرى واضعو المنهج أنه إذا أريد ثنية ما آخره ألف تقلب ألفه ياء دائماً . إلا في كلمات لا تتجاوز العشرين . وعدوا ثمانى كلمات قالوا إنها المشهور من هذا القبيل وهي : الحجا . الجدا . الحنا . الرضا . العصا . الصبا . القرا . القفا .

وجاء في النحو نهجى أن الألف الثالثة التي أصلها واو وبشبه إجماع لا تكاد تعدو عشر كلمات وهي : الشذا . الشفا . الصلا . الطلا . العشا . العصا . القرا . الفنا . القفا . المها ، وفي تحرير النحو العربي عدل مؤلفوه عن التحديد ، ورجعوا إلى قول القدماء فقالوا : المقصور الثلاثي تقلب ألفه ياء إلا إذا كانت منقلبة عن واو فإنها ترد إلى أصلها كالعصا والقفا . واعتقد أنهم سلكوا الطريق الأسلم . فإن تحديد الكلمات الثلاثية الواوية بعشرين أو بعشر ، وتحديد المشهور منها بثمان أو بأكثر

لا يجديهم فتيلًا ، فمن المعروف أن علم النحو ، كثير الخلافات ، متعبد الآراء ، وإنما يبقى من هذه الآراء ، الرأى القوى الراجح ، الذى يستطيع أن يصارع الزمن ، ويثبت أمام الجدل والنقاش .

أما الآراء الضعيفة التى يستندون إليها ، فقد تنوسيت على مر الزمن ، ولم تجد من أحد القبول ، وكفى بهذا دليلًا على وهنها وسقوطها عند ذوى النظر ، فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . . . والآن يمكننى تلخيص رأى فى أمرين : الأول : الرجوع إلى الآراء المتواضع عليها فى تسمية ركنى الجملة بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ، والاعتراف بالضمائر المرفوعة المتصلة ، والإعراب التقديرى والمحلى ، وإعراب التكملة ، وإعراب المستثنى والمنادى وكيفية التثنية .

الثانى : الموافقة على الأخذ بالتيسير فى دراسة التراكيب للناشئين . وعدم التعرض فى علامات الإعراب إلى أصلية وفرعية . والتخفيف من المصطلحات القديمة فى الإعراب : واعتبار متعلق الظرف محذوفًا دون تكلف تقديره فى كل مرة وأسأل الله التوفيق . وأن يهديننا سواء السبيل .

أحمد محمد غنيم

(التعليق على صفحة (٢٠٨)

فى بناء الجامعة التى تجمعنا ، وأعملنا معا ولنا فى أساس الوحدة التى ندهو إليها ، ونحرص عليها ، وذلك ما ينبغى أن نفكر فيه ، قبل أن نخطو خطوة فى هذا السبيل .

الثانية : يقول أنصار التيسير : إنهم كانوا يترددون فى إظهار آرائهم ، ويخشون الرأى العام ، حتى جاءت الثورة المصرية ، فبعثت فيهم الجرأة ، وسهلت لهم مواجهة الناس بمذهبهم الجديد . ولست أدري ماذا يريدون بهذا . وكأنهم يريدون الاحتماء بالثورة ، ويؤمنون أن ثورتهم على النحو القديم ، من قبيل الثورة المصرية المباركة ، وأيا كان مرادهم ، ففرق كبير بين الثورتين ؛ فالثورة المصرية ثورة على الحكم الفاسد ، والاستعمار الغاشم ، والإقطاع المقيت ، ولذلك ظفرت بتأييد الجميع ، وكتب لها النجاح التام ، والنصر المؤزر ، وأما الثورة على النحو ، فهى ثورة على الكتب النافعة ، والآراء السديدة ، التى أثبتت الأيام صلاحيتها ، وأقرها العلماء فى جميع البلاد العربية ، وفى جميع العصور ، منذ قرون .

والثالثون أنفسهم يحسون بحرج موقفهم فيرجعون إلى القدامى يلتمسون منهم التأييد ، ويذكرون أنهم لم يخرجوا على آراء المتقدمين ، وأن كل ما يدعون إليه ، لهم فيه سند من قبلهم ، على أن هذا الاستناد

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

كالبيتوتة والسكوسة والطعام ، ولكنه كان يحب بعض نسائه أكثر من بعض الآخر فكان يدعو ربه ويقول : (اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فاغفر لي ما تملك ولا أملك) ؛ يريد ميل القلب ، لأن الله مقلب القلوب .

ثانيا : ألا يرغم الزوج زوجته السكتابية على ترك دينها ، أو يحرضها على ذلك ، وعليه أن يمكنها من القيام بشعائرها الدينية إذا بقيت على دينها وارتنه لنفسها ، وله أن يقيم لها كنيسة في بيته لتصل فيها إذا رأى عدم ذهابها إلى الكنيسة ورضيت بذلك .

ونلاحظ هنا أن الزوجة غير المسلمة لن تزوج المسلم إلا بالرضى والموافقة ، فليس هناك إرغام ، وفي هذه الحالة سيكون هناك أمان من سوء المعاملة .

ثالثا : إذا استقر رأى المسلم على أن يتزوج سكتابية فإن هناك إجراءات خاصة بهذا الزواج فيها مزيد من الاحتياط والتبصير ، فعقد الزواج في هذه الحالة يكون في وثيقة خاصة ، ولا يتولى المأذون عقد العقد ، بل يتولاه القاضى الشرعى ، وبعد إلغاء المحاكم

تبين لنا في بحث سابق في هذه المجلة ، أن جمهور الفقهاء متفقون على جواز زواج المسلم من السكتابية التي لها دين سماوى له كتاب وله نبي بعث به . وقد يظن ظان أن هذا الزواج يجعل الزوجة في مقام الظلم لها أو الهضم لحقوقها ، ولكن الشريعة أقامت الضمانات لتحقيق العدالة مع هذه الزوجة ، ومنها :

أولا : حسن العشرة من الزوج لها ، لأن هذا حقها ، وحينما استشهد الفقهاء على حسن العشرة بقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » وقول الرسول : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) قالوا إنه : لا فرق في هذا بين المسلمة والسكتابية ؛ وإذا كان للسكتابية ضرة مسلمة وجب على الزوج أن يعدل بينهما في النفقة والبيتوتة وغيرهما من أمور تقبل القسمة والعدل ، ومقتضى العدل والمساواة هنا أن الزوج لو أحب زوجته السكتابية أكثر من المسلمة لها عيب عليه ذلك ؛ لأنه لا يملك التحكم في قلبه . ولا حيلة له فيه ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعدل بين نسائه فيما يمكن العدل فيه من أمور الحياة

سيكونون مسلمين كأبهم ، لأن الأولاد في الشريعة الإسلامية يتبعون خير الأبوين ديناً .
٧ - لا توارث بينهما ، فإذا مات فلن ترثه ، وإذا ماتت فلا يرثها .

٨ - لها حق الحضانة ، إلا إذا رأى القاضي غير ذلك لمسوغ شرعي (١) .

يقول الشيخ أبو زهرة : « واتحاد الدين بين الحاضنة والطفل ليس بشرط ، فإذا كان مسلم مقزوجاً مسيحياً وله بنت منها واقترا ، فإن الخلاف الذي بينها وبين بنتها لا يمنع حقها في الحضانة ، إذ تكون البنت مسلمة تبعاً لأبها ، وذلك لأن سبب ذلك الحق هو وفرة الشفقة . ولا يؤثر فيه اختلاف الدين ، ويستمر حق الحضانة ثابتاً للحاضنة مع اختلاف الدين إلا أن يضر ذلك الطفل ، ولذلك ينزع الطفل من يدها إذا خيف على الطفل لإفساد دينه ، وذلك في حالتين :

إحداهما : إذا كان الطفل في سن التمييز ، فيعقل الأديان ويفهمها ، ويخشى من تأثره بدينها ، إذا رآها تقوم بصلواتها وطقوسها الدينية .

ثانيهما : إذا لم يبلغ الطفل سن التمييز ، ولكن ثبت أنها تحاول تلقينه دينها ، وتعويده عاداته وتفتشته عليه ، فإنه في هذه الحالة ينزع من يدها ، إذ تصبح غير أمينة

(١) كتاب الأحوال الشخصية ، قسم الزواج ، للأستاذ محمد أبو زهره ، ص ١٠١ .

الشرعية صار يتولاه الميراث المختص في وزارة العدل ، وفي لائحة المأذونين جاءت هذه المادة « ليس للمأذون أن يباشر زواج من لا ولي له من الأيتام ، ولا العقود التي يكون فيها أحد الطرفين تابعاً لدولة أجنبية ، أو كان غير مسلم إنما ذلك كله من اختصاص القضاة » .

وهذا نوع من الاحتياط ، حتى لا يقال : إن هناك تعديراً من الزوج المسلم بالزوجة الكتابية .

وفي وثيقة الزواج بين المسلم والكتابية جاء تبصير واضح للزوجة بحقيقة الموقف وتبعات الزواج التي تتعرض له حتى لا تؤخذ فيه على غرة ، فنص في هذه الوثيقة على الأمور التالية التي يجب أن تعلم بها الزوجة وتوافق عليها :

١ - للزوج أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٢ - للزوج أن يطلقها حينما يشاء ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٣ - للزوج أن يراجعها إذا طلقها طلاقاً رجعياً ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٤ - إن طلقها قبل الدخول فلها نصف المهر ، وإن دخل بها فلها مهرها .

٥ - من الواجب عليها أن تطيعه ، وألا تخرج إلا بإذنه ، وأن لها النفقة في وقت الزواج وفي العدة .

٦ - الأولاد الذين سترزق بهم منه

لا يجل ، وتلا قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وقد أعجب بذلك إبراهيم النخعي ، وكره الإمام مالك تزوج الحرييات لعله ترك الولد في دار الحرب ، ولتصرفها في الخمر والتخزير^(١) وفي تفسير البيضاوي أن ابن عباس قال : لا تحل الحرييات^(٢) أي لا يجل زواجهن للسلم . ومن المتصل بالموضوع أيضا زواج المرتدة ، وقد نص الفقهاء على أن المرتدة لا تعتبر صاحبة دين ، سواء ارتدت عن الإسلام إلى الإشراف والوثنية . أو ارتدت إلى دين كتابي ، وحكم المرأة إذا ارتدت أن تحبس وتستتاب ، ولا يجوز للسلم أن يتزوج امرأة مرتدة ، فحكمها في ذلك حكم المشركة ، أو من ليس لها دين سماوي .

وبمناسبة الحديث عن إسلام الزوج أو الزوجة ، يتحدث الفقهاء عما يلزم وجوده لاعتبار الشخص قد أسلم فعلا ، فلا بد من النطق بالشهادتين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وأن تظهر منه الدلائل هل اقتناعه بكل ما جاء في الكتاب والسنة ، وكل ما ثبت من الدين بالضرورة ، وألا يظهر منه ما يدل على منافضته لما أعلنه من الإسلام ، فلو أعلن إسلامه

على دينه ، وقد علمت أن الأمانة شرط^(٣) . ويصح في زواج المسلم بالكتابية أن يكون شاهدا الزوج غير مسلمين ، ولو كانت الزوجة مسلمة لوجب أن يكونا مسلمين ، وكأن هذا أيضا نوع من إطلاع قوم الكتابية على حالتها ، وإشعارا بأن الزواج يتم في حالة رضا وإعلان ، لأن الزوجة إذا اختارت شاهدا فستختاره غالبا من قومها وأهل دينها . مسيحية كانت أو يهودية . ومن مظاهر سماحة الإسلام هنا أنه إذا تزوج المسلم مسيحية وانتقلت إلى اليهودية ، أو يهودية وانتقلت إلى المسيحية ، لا يضر ذلك الزواج ، ولكنهما لو كانت كتابية وصارت مشركة أو بلا دين لزم التفريق بينهما . وإن أسلم الزوج وبقيت زوجته على دينها ، فإن كانت غير كتابية عرضنا عليها الإسلام ، فإن استجابت له بقي الزواج ، وإن رفضت فرقنا بينهما ، وإن كانت كتابية جاز له إبقاؤها . والأولاد الذين يكونون بين الزوج المسلم والزوجة غير المسلمة يكونون على دين أبيهم ، ويرثون منه ، ويرث منهم ، ولكن أهمهم لاثرت منهم وهم لا يرثون منها مادامت غير مسلمة لأن شرط التوارث اتفاق الدين .

وعما يتصل بالموضوع حكم نكاح أهل الكتاب إذا كانوا حربا ؛ وهذا النكاح لا يجل ، وقد سئل ابن عباس عن ذلك فقال :

(١) تفسير القرطبي ، ج ٣ ص ٦٩ .

(٢) تفسير البيضاوي ، ص ١٤١ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٠٨

و يبقى يعمل عمل دينه الذي كان عليه من قبل ، كان هذا دليلا على أنه غير صادق في إسلامه وغير جاد فيه ، فلو فرضنا أن شخصا نطق بشهادتي الإسلام ، ولكنه بقي يصلي صلاة غير المسلمين أو يتخذ شعارهم ، فإنه لا يعد مسلما .

ومن هنا نستطيع أن نحدد موقف أولئك الذين يتخذون النطق بشهادتي الإسلام وسيلة للتخلص من مأزق أو صعوبة ، أو لتحقيق مأرب من المآرب ، وهم لم يقتنعوا بالإسلام حقا ، يقول للشيخ أبو زهرة : « ولأنه يجب أن يتنبه القضاء لذلك ، ويتحققه إن بدرت بوادر تعلن مستور أمره ، وأنه يخفى ما لا يديه ، فإن فريقا من الناس قد اتخذوا الأديان ذريعة لإشباع الرغبات المادية ، كإعلان الإسلام ليتزوج مسلمة ، ويقضى منها أربا كما ذكرنا ، أو يعلن الإسلام ليطلق امرأته ، ولا يسهل الطلاق في دينه ، أو يعلن الإسلام كيداً للأمة ، وليسهل عليه تدبير الشر . وفي الشرع الإسلامي ما يقطع على أمثال هؤلاء الطريق ، وإنه ليحدث للناس من الأقضية بمقدار ما يحدثون من شر ، ولقد أغنانا ما عندنا من أحكام عن أن نحدث للعابثين بالمبادئ الدينية في هذا الزمان جديداً ، فلننبسح ما عندنا بكل ما فيه ، لكي نمنع ذلك الشر الجديد (١) . »

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن انتشار زواج المسلمين بالأجنبيات غير المسلمات يؤدي إلى أخطار كثيرة ، وفي تفسير المنار ، هذه العبارة :

« فتن كثير من الشبان المصريين بنساء الإفرنج ، فتزوجوا بهن فأفسدن عليهم أمورهم الدينية والوطنية ، واضطر بعضهم إلى الطلاق ، وغرم كثيرا من المال ، ومنهم رجل غنى قتله امرأته الفرنسية ، وجاءت تطالب بميراثها منه ، وقليل منهم من اهتدت به زوجته وأسليت ، وقد سرت العدى إلى المسلمات ، فمن الغنيات منهن من تزوجن بمن عشقن من رجال الإفرنج بدون مبالاة بالدين الذي لا تعرف عنه غير اللقب الوراثي ، وقد عظمت الفتنة وفي الله البلاد شرها ، ولن يكون إلا بتجديد التربية الإسلامية وإصلاح الحكومة (٢) . »

(١) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٢) الأحوال الشخصية : قسم الزواج ص ١٠١ .

قد يؤدي إلى تضییع المسلمات وتركهن بلا زواج ، فيذكر الكتاب أن زواج المسلم بغير المسلمة كان محرماً في أول الأمر ، وأن ابن جریر روى الحديث : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات ، وحرم كل ذات دين غير الإسلام) . ويعلق صاحب الكتاب المرحوم الشيخ على محفوظ على ذلك بقوله : (لأن الرجال كانوا قلة ، وكان النساء المؤمنات كثيرات) (١) ١ .

ونجد أيضاً تفسير المنار ، يشير إلى حكمة الإباحة لزواج المسلم بالكتابية ، ثم يعود فيقول : (ولا يخفى أن هذا الأمر يختلف باختلاف الأشخاص ، فرب مسلم مقلد يتزوج بكتابية عالمة فتفسد عليه تقاليد ، ولا عوض له عنها ، فينبغي أن يعرف هذا) (٢) .

قد يقال بعد هذا : إذا كان الإسلام قد أباح للمسلم أن يتزوج الكتابية ، فلماذا حرم على غير المسلم - سواء أكان كتابياً أو غير كتابي - أن يتزوج المسلمة ؟ وتفصيل الجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى حديث مستقل قابل بمشيئة الله .

أهم المصادر

(١) كتاب الإبداع في مضارلات ادعاء ص ٣٧٢ .

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٣٥٧ .

عن مركزهم الطبيعي في الأسرة ، حدا يردم عن غيرهم ، ويسكن في المنع العام أن ترى الحكومة أكثرية الذين يتزوجون بأجنبيات يضعون أنفسهم من زواجهم هذا الوضع الذي يفسدون به أسرهم وقوميتهم .

إن حفظ مبادئ الدين ، وحفظ سياج القومية لمن أوجب الواجبات على الحكومات الإسلامية ، وما ضعف المسلمون وانحلت روابطهم إلا بهذا الذوبان الذي كثيراً ما كان منشؤه الافتتان برقي الأجنبية وتقديمها في تنظيم البيوت وتربية الأبناء ، وهي في الواقع تعمل على هدم السكبان وتقويض القومية ، وقد كاد يتم لها الأمر على أيدي هؤلاء السفهاء ، ضعاف الإيمان والقومية ، يؤازرهم في ذلك من يقرءون عليهم - من غير فهم ولا تدبر ، ولا إدراك لحكمة التشريع - قوله تعالى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » . وكلم لعبت الزوجة الكتابية من أدوار في خدمة أمته وحكومتها ، وهي مقيمة في بلاد الإسلام ، ترزق بخيراتها ، وتنعم بحياتها تحت رجل مسلم غر ، خدعته واتخذت منه جسراً تخطو على ظهره إلى نكبة بلاده ، والعمل على تركيز قومها فيها (١) .

ويشير كتاب « الإبداع » إلى حكمة النهي عن زواج المسلم بغير المسلمة ، وهي أن هذا

(١) كتاب الفتاوى ص ٢٥٤ .

زعماء المسلمين في الهند

وموقفهم من الاستعمار الانجليزي

للأستاذ محمد اسماعيل الندوي

الناحية الاقتصادية كان المسلمون هم الغالبين عليها ، ولم يفقدوا شيئا من المهارة في الصناعة والزراعة ، ولكن الانجليز لم يستطيعوا الصبر على هذه الحال ، فأغلقوا المدارس وصادروا ممتلكاتهم وقطعوا أيدي الصانع فتغيرت حالهم وأصبحوا فقراء بعد أن كانوا ملوكا وأمراء ، وحرموهم الوظائف الرسمية أيضا ، وشغل الهندو كيون المواليون للانجليز وظائفهم حتى أظلمت الدنيا أمامهم (١) ، لقد كتب السروايم هنتر (Sir willium Hunter) أحد دبلوماسي الانجليز في كتابه «مسلو الهند» أنه لا يكاد يوجد مسلم في الوظائف الرسمية . وإذا وجد واحد منهم فهو إما أن يكون بوابا أو فراشا . ففي سنة ١٨٥٨ وظف ١٢٤ هنديا في وظائف المحاكم ، ولم يكن بينهم إلا مسلم واحد . وفي الوظائف الأخرى في العام نفسه كان هناك ٩٢ مسلما من بين ١٣٣٨ هندوكيا .

وطىء الاستعمار أرض الهند في القرن السابع عشر حينما أسس فيها شركة الهند الشرقية . وفي هذه الأيام وقعت الفتنة بين أبناء (أورنك زيب) آخر امبراطور إسلامي في الهند ، فنفرقت البلاد وقامت في كل ناحية دول الطوائف ، وانتهزت الشركة الانجليزية هذه الفرصة فتدخلت في الشؤون السياسية لهذه البلاد واحدة بعد أخرى بمكرها وخداعها حتى أصبحت لها سلطة كبرى في سنة ١٧٩٩ حينما انهزم الشهيد البطل تيبو سلطان في معركة ميسور في جنوب الهند .

ولكن المسلمين لم يرضوا بهذا الوضع ، فقد فقدوا امبراطورية إسلامية ظلت في الهند أكثر من سبعة قرون . وكانوا يتألمون لذلك ألما شديدا ، وكان الإنجليز يعرفون ان المسلمين ما داموا في وعى بما صاروا إليه فلن يستطيعوا أن يوطدوا أقدامهم في الهند ، فالمسلمون وإن كانوا قد فقدوا حكومتهم فإنهم لم يفقدوا الشعور والوعى والصلاحية الإدارية والنبيل والذكاء ، فمن

(١) نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدني ج ١ ص ١٣٦ .

الثقافية حتى تفشى فيهم الجهل والفقر وسوء الخلق ، وحرّموا من الاشتراك في جميع الهيئات الرسمية حتى لم يبق لهم أى نشاط (١) عند ذلك تهيأ تلاميذ الشاه عبد العزيز مرة ثانية لمقاومة الاستعمار ، ولقد خرج هذه المرة المسلمون والهندوكيون وغيرهم لمقاومة الطغاة ، وهذه الثورة هى التى سميت بالثورة الكبرى فى سنة ١٨٥٧ ، ولكنها لم تنجح أيضا بل كتب عليها الفشل ، ولقد أوقع الاستعمار العلماء فى محنة شديدة فقتل منهم الكثير وعذب كثيرون عذابا لم يسمع به فى التاريخ البشرى ، ونفى كثيرين إلى جزيرة اندومان ، والبحر الأسود ، وألقى الاستعمار هذه المرة بقايا النشاط الدينى للمسلمين حتى طال عليهم الأمد وقست قلوبهم .

وقد أنشأ الاستعمار من سنة ١٨٥٨ إلى سنة ١٨٨٧ خمس جامعات فى مدن الهند الكبيرة : كلكتة وبمباى ومدراس ولاهور وإله آباد . وبدأت تدرس فيها المواد الحديثة باللغة الانجليزية . كانت الحرب الدامية تقع بين الاستعمار والعلماء المسلمين كما سبق القول ، وكان العلماء دائما فى طليعة الثورات والمعارك وهم الذين كانوا يقودون المسلمين . فلم يسترح العلماء لهذه الجامعات التى أراد بها الاستعمار

أقد فكرت صفوة من العلماء فى هذه الحالة وكان على رأسهم الشيخ عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله صاحب حجة الله بالغة ، فأفتى عبد العزيز بأن الهند أصبحت الآن دار حرب ، فوجب على المسلمين أن يحاربوا الاستعمار الطاغى الغاشم الكافر ، فقام العلماء من الفقهاء والمحدثين والمتصوفين يجاهدون فى سبيل الله وفى سبيل إجلال الانجليز من بلادهم ، وتكون منهم جيش كبير كان يقوده الشهيد الشيخ أحمد والشهيد الشيخ إسماعيل وغيرهم ، وكان هؤلاء من تلاميذ الشاه عبد العزيز ، وقد وقعت حرب دامية بينهم وبين الاستعمار وحلفائه وفتحوا مدنا كثيرة ورفعوا فيها راية الإسلام حتى سعى الشيخ أحمد بأمير المؤمنين ، ولكن حدث فى سنة ١٨٣١ بمقاطعة بالاكوت فى بنجات أن انهزم هؤلاء الأبرار على يد الخونة من المسلمين أنفسهم ، وكانت هذه أول ثورة ضد الاستعمار .

ولكن شعلة الجهاد وحاسة الثورة لم تنطفئ بهذه الهزيمة ، بل اضطربت نيرانها وزادت قوة على قوة فى كل يوم وإسيلة ، لأن حالة المسلمين زادت سوءا على سوء ، فقد قبض الاستعمار على العلماء الذين اشتركوا فى الجهاد وألقاهم فى السجن وعذبهم أشد العذاب ، وبدأ يشدد على المسلمين جميعا فى معيشتهم وتعليمهم ، فألغيت جميع المدارس والمجلات

[١] نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدنى ، ج ١

الحياة فكان يترعها الشيخ محمد الذي كان يقول: إن المسلمين لا يجب عليهم الجهاد، لأنهم ضعفاء وليست في أيديهم القوة ولا السلطان. والجهاد لا يجب على المسلمين إلا إذا كانت لهم قوة وسلطة (١).

والثانية طائفة المسلمين وكان يرأسها السيد أحمد خان، الذي ولد في سنة ١٨١٧ وكان من أسرة أرستقراطية نبيلة محترمة، وأجداده كانوا يتقبلون في مناصب كبرى في أيام المغول. وكان موظفا في شركة الهند الشرقية في بداية عمره. ولذلك لم يشترك في الثورة الكبرى بل بعكس ذلك كان صديقا للانجليز وأنصارهم. وقد رأى السيد أحمد بعد الثورة الكبرى في سنة ١٨٥٧ أن المسلمين قد تخلفوا في جميع الميادين في الثقافة والتعليم والسياسة والاقتصاد.

ووجد أن الانجليز يشددون عليهم ويرهقونهم ويحرمونهم من جميع المجالات الرسمية. ووجد أن العلماء أيضاً قد منعوا المسلمين من الدخول في الجامعات الرسمية حتى تخلفوا عن إخوانهم الهندوكيين في جميع الميادين وحتى تفشى فيهم الجهل والفقر والقلق والاضطراب. ورأى أن الانجليز أصبحت لهم قوة وسلطان في الهند ولهم القوة المادية من الأسلحة والذخائر في البر والبحر والقوة

القضاء على المدارس الدينية والنشاط الديني في الهند فامتنع المسلمون من دخول هذه الجامعات عملاً برأى علمائهم. وكان هذا بغضا وعداوة للاستعمار ولم يكن عن ضيق فطر أو جمود كما شهر به أعوان الاستعمار، وإن كان الجيل الذي جاء بعد هؤلاء العلماء قد وقع فعلاً في التزمّت والرجعية وضيق الفكر.

لقد أنشأ هؤلاء العلماء من بقايا تلاميذ الشاه عبد العزيز مدرسة دينية عربية سموها دار العلوم بدوبند. وقد أنشئت هذه المدرسة لكي يحافظ فيها المسلمون على تراثهم النجيد ويتخرج فيها الدعاة والزعماء كي يقودوا المسلمين ويكافحوا ضد الاستعمار ويرفعوا راية الإسلام في الهند.

والذين أنشأوا هذه المدرسة هم الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ حاجي إمداد آقه وغيرهم من العلماء. وتخرج على أيديهم صفوة من العلماء الذين سلكوا مسلكهم في الجهاد والكفاح، وهم الشيخ محمود الحسن، والشيخ محمد أشرف علي التهانوي، والشيخ حسين أحمد المدني، وغيرهم من العلماء الأبرار في القرن العشرين.

لقد كانت هناك طائفتان من العلماء لم تشركا في الثورة الكبرى. الأولى طائفة الحيات. والثانية طائفة المسالمة أما طائفة

(١) نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدني ج ١ ص ٤٣.

العلبية والسياسية بحيث لا يستطيع أحد مقاومتهم ؛ فالأولى بالمسلمين مسألة الانجلايز والتفاهم معهم وأخذ ما يستطيع منهم لخير الشعب، وأن يفهموا الانجلايز أن عليهم واجب النهضة بالشعوب التي يحكمونها، وأنهم مسئولون عن جهل هذه الأمة كما أنهم مسئولون عن فقرها وقلتها . ورأى أن التعليم والثقافة الحديثة في مصلحة المستعمر والمستعمر . ولناخذ من الانجلايز ما نستطيع أن نأخذه من طريق الإقناع والمسالمة . وبعد الثورة كتب كتابا أظهر فيه أسبابها قائلا بجملة : إن الانجلايز هم الباعث لهذه الثورة ؛ لأنهم أوقعوا المسلمين في أنواع العذاب ، وأرهبوهم في جميع الميادين ، وضيقوا عليهم في السياسة والحرية . ولم يكن أحد يستطيع أن يجهر بهذا القول إلا السيد أحمد خان ؛ لأنه لم يكن من أعداء الانجلايز . وقد طالب الانجلايز أن ينشئوا مجلس القانون ويضموا فيه الهنود من المسلمين والهندوكيين وطالب أن تنشأ المحافظات والبلديات في أنحاء البلاد ، وتتاح للهنود فرصة لكي يشتركوا في أمور السياسة ويتدربوا على شئونها . فوافق الانجلايز على هذا بعد سنين وعملوا كما أشار به السيد احمد خان . فكافح هذا من أجل المسلمين ومستقبلهم ورفع مستواهم من الناحية الاقتصادية والثقافية . ولقد رأى أن الجامعات التي أنشأها

الاستعمار لا يدخلها المسلمون ؛ لأن العلماء يعارضونها ووجد أن الهندوكيين وحدهم يفيدون من هذه الجامعات وهم الذين يتولون الوظائف الكبرى في الحكومة ، أما المسلمون فليس أمامهم أى مجال يضمن مستقبلهم ومستقبل أبنائهم ورأى أن هذه الطريقة في المقاومة لن تفيد الأمة الإسلامية في الهند أبدا ؛ لأن المسلمين إذا ابتعدوا عن هذه الجامعات فإنهم لن يتخلفوا اقتصاديا وسياسيا فحسب ، بل يتخلفون كذلك عن موكب الحضارة والثقافة التي تمدهم بها البلاد الغربية المتحضرة . إن الجامعات العصرية التي تدرس فيها المواد الحديثة لم تخطر على بال أجدادنا ، وإن التراث المجيد الذي احتفظ به علماؤنا في مدرسة ديوبند وتمسكوا به لاشك أنه تراث حبيب إلينا ولكنه لن يكفي حاجتنا في حياتنا المعاصرة . فلن نتطلع أمتنا إلى المستقبل بهذا التراث المجيد وحده ولا بد لنا من أن نأخذ من العلوم الحديثة لكي نسير مع الشعوب المتحضرة . لذلك أنشأ السيد أحمد خان في سنة ١٨٧٧ كلية محمدية لكي يدرس فيها المسلمون ويتقنوا ثقافة حديثة . وقد أضاف إلى المنهج بعض مواد دينية أيضا لكي لا يبقى جيل المستقبل جاهلا بثقافته القديمة وديانته . وهذه الكلية هي التي تقدمت بمرور الأيام وأصبحت الجامعة الإسلامية

للمحركة القاديانية ، وهذا أيضاً مغالاة شديدة من ناحية أخرى . ولعل الدكتور محمد البهي فأنثر بالمقال الذي كتبه الشيخان محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في مجلة العروة الوثقى والذي نقل منه بعض الاقتباس في كتابه « الفكر الإسلامي الحديث » . إن جمال الدين الأفغاني مع جلالة قدره لم تتح له فرصة طيبة لكي يطلع على الحركة والدعوة التي قام بها معاصره في الهند السيد أحمد خان . ولا شك أن جمال الدين الأفغاني أقام في الهند في مدينة حيدر آباد إلى مدة وجيزة ، ولكن في هذه الإقامة البسيطة لم يطلع جمال الدين على دعوة السيد أحمد خان ؛ لأن مدينة حيدر آباد تبعد عن دهلí وعليكرة أكثر من ألف ميل ، ولم تكن المواصلات سهلة في تلك الأيام كما هي اليوم . لقد سمع جمال الدين من عامة الناس والفقهاء في حيدر آباد أقوالاً كثيرة ضد السيد أحمد خان وسماء هؤلاء ملجداً وطبيعياً ونسبوا آراءه وأفكاره إلى الإلحاد ومخالفة الدين والشرعية الإسلامية ، ولذلك كتب جمال الدين « الرد على الدهريين » ، باللغة الفارسية وعن ذلك الرد على السيد أحمد خان مع أن السيد أحمد خان كان بريئاً من هذه الآراء والأفكار التي أباطها جمال الدين في كتابه . « البقية في العدد القادم »

محمد إسماعيل النمرى

بعليكرة . إن جامعة عليكرة ، يعتبرها المسلمون في شبه القارة حصناً إسلامياً ومنازة للثقافة الإسلامية . ولو لم تكن هذه الجامعة لما ظهرت شخصيات فذة مثل محمد علي ومحمد إقبال والزعماء المسلمين الكبار الذين قادوا الأمة الإسلامية في الهند في منتصف القرن العشرين . ونحن نشكر المرحوم الأستاذ أحمد أمين الذي وفي حق هذا الزعيم الإسلامي في كتابه « زعماء الإصلاح » ، وعده من زعماء المسلمين في العصر الحديث ، ولكن أحمد أمين قد خفف من شأن علاننا الذين قاموا بالثورة ضد الانجليز لنصرة سيد أحمد خان وإظهار بطولته . وفي رأينا أن أحمد أمين قد اطلع فقط على المصادر الانجليزية التي وضعها الاستعمار وأعوأه واعتمد عليها كل الاعتدأ وأخطأ في فهم الحركات السياسية والدينية في الهند . والباحث الذي يريد أن يكتب عن النهضة والحركات الإسلامية في الهند وفي الباكستان لابد له من أن يطلع على المصادر التي توجد باللغة الأردية التي تعتبر اللغة المشتركة الثقافية في شبه القارة .

ومن الغريب أن أحمد أمين سلك مسلك التقريظ والثناء على السيد أحمد خان وغالى في هذا كثيراً . وأما الدكتور محمد البهي فإنه يعد السيد أحمد خان من عملاء الاستعمار وقادة الإلحاد والتفرقة ، ويعتبره من الحلقة الأولى

سَيُّ مِنْ النَّقْدِ :

مناجاة الهلال لحافظ إبراهيم

للأستاذ على العمّار

وليس معنى ذلك أن الشعراء من أمثال حافظ لم يكونوا يخوضون في السياسة خوفاً في بعض الأحيان ، ولكن معناه أن (الوقت) كان يتحكم فيهم ، والظروف السياسية توجههم ، فمرة يجدون متنفساً فيقولون ، ومرة تضيق بهم مذاهب القول ، فيلتمسون له الوسائل التي تباعد بينهم وبين السجن والتعذيب .

في سنة ١٩٥٧م نجد حافظاً ينشر قصيدتين سياسيتين ، يودع بإحداهما اللورد كرومر ، ويستقبل بالأخرى السير غورست ، وفي كلتا القصيدتين يعنف في بعض الآيات إلى حد يجعلنا نعتقد أن حافظاً لم يكن يخشى بطش الانجليز وجبروتهم ، فيقول - مثلاً - في وداع كرومر :

يناديك قد أزديت بالعلم والحجى
ولم تبق للتعليم يا (كُرْدُ) مهجداً
ولأنك أخصبت البلاد تعمداً
وأجديت في مصر العقول تعمداً
قضيت على أم اللغات وإنه
قضاء علينا أو سيدل إلى الردى

كان من التقاليد الجميلة في مطلع هذا القرن ، وإلى عهد غير بعيد ، أن يتخذ كبار الشعراء ، والكتاب من المناسبات الدينية مجالا لنشر آرائهم في حياة المسلمين : الدينية والسياسية ، والاجتماعية ، وكان (هلال المحرم) أو بدء العام الهجري الجديد من أبرز هذه المناسبات ، وربما اقتصر بعض الشعراء على الناحية الدينية ، يصف ما عليه المسلمون الآن ، وما كانوا عليه في العهود الزاهرة الماضية ، وقد يعمدون إلى الحديث عن هجرة الرسول إلى المدينة ، وما كان لها من نتائج غيرت وجه التاريخ ولكن أكثر الشعراء كانوا يتخذون مناجاة الهلال في أول العام الجديد مجرد مناسبة للحديث في السياسة وفي الوطنية ، ومن هؤلاء حافظ إبراهيم .

ولعل من أسباب ذلك أن يتحاشى هؤلاء الشعراء الحديث المباشر في السياسة ، فقد كان مجرد (العنوان السياسي) لقصيدة من القصائد كافياً للسؤال والمحاسبة ، فكانوا يشئون الهلال آمالهم وآلامهم ، لعل ذلك يبعد عنهم عين الرقيب .

أجئت تحوطنا وترد عنا
وترفعنا إلى أوج السعود
أم اللورد الذي أنحى علينا
أتى في ثوب معتمد جديد ؟
وبعد ذلك بسنتين يقول قصيدة في (تحية
العام الهجري) وابتدئها بالحديث عن الهجرة ،
ويقول : إن الهلال ذكر المسلمين بيوم أغر
محجل هو اليوم الذي هاجر فيه خير داع
للهدى . وبعد ثمانية أبيات يسير مع طبعه
من الحديث في شئون مصر والعالم الإسلامى ،
فيذكر أن العام السابق مضى ميمون الشهور ،
وإن ذكروا له هنات ، فطالع الدهر الصفاء
والكدر ، ويذكر من إحسان ذاك العام
أن بعض الشعوب هبت أطالب بحريتها ،
وأن (الترك) أدركوا بعض آمالهم ، وذلك
بما حصلوا عليه من حياة دستورية بفضل
(نيازى) و (أنور) وأن (الفرس) تنهوا
فيه إلى ما هم فيه من ظلم الشاه وطغيانه ، وبعد
أن يعدد أحداثا راقته ، في بلاد المغرب وفي
الآفغان ، وفي الهند وفي (جاوة) و (الجزائر)
يرجع إلى مصر فيقول : إنها سرت فيها روح
جديدة ، ولكن حديثه يجرى هادئا حذرا ،
فزمزمت التثويم مضى وانقضى ، والمصريون
شعروا بحاجات الحياة ، وأنهم محتاجون إلى
قادة تبني وشعب يعمر ، وإلى عالم يدعو ،
وعلم يقرر ، وإلى حكمة تملى ، وكف

ووافيت والقطران في ظل راية
فما زلت بالسودان حتى تمردا
وأودعت تقرير الوداع مغامرا
رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
فما عهد لإسماعيل ، والعيش ضيق
بأجذب من عهد لكم كم سال عسجد (١)
ولا يخفف من عنف هذه المغامر ، ماملا
به حافظ قصيدته من الشناء على اللورد ، فقد
كان مضطرا لأن يلف ويدور حتى يتق
(القوم) ؛ ويمكن أنه استطاع أن يعدد
مثالب (كرومر) وأن ينشرها على الناس ،
وعلى رأسها تذكير الأمة بمحادثة (دنشواى) .
ويقول في استقبال غورست ، والخطاب
للانجليز :

أذيقونا الرجاء فقد ظمنا
بعهد المصلحين إلى الورود
ومنتوا بالوجود فقد جهلنا
بفضل وجودكم معنى الوجود
ثم يعود إلى اللورد كرومر فيرميه بالظلم ،
ويذكر أنه أنبت في نفوس المصريين جفاء
للانجليز ، وأن الوحشة بلغت — بمحادثة
دنشواى — مداها ، ويطعن سياسة
(دنلوب) في المعارف ، ثم يختم هذه القصيدة
بهذين البيتين :

تدرس لطلاب المعاهد الدينية على أنها من روائع حافظ .

وقد ناجى حافظ بهذه القصيدة الهلال ، فأعلن .. من أول بيت - أن له عنده أملا يسأل الله أن يتحقق ، ويسجل على هلال العام السابق أنه كان مششوم المنازل ، فقد جر على مصر أحداثا ، ومآسى ، في حين نالت بعض البلاد حريتها ، ويتحدث عن الصحافة وما لقيته في عام ١٣٢٧ هـ من تقييد لحريتها ، وتضييق على رجالها ، كما يتحدث عن المساومة في مد امتياز شركة قناة السويس أربعين سنة أخرى ، ثم يوجه فصاحته إلى الشباب فيدعوهم إلى اطراح اليأس ، وإلى اقتحام العظام في سبيل المجد ، وإلى التعلم ، فالسعادة في العلم ، وأن يكونوا يقطن حذرين ، يزنون كلامهم . ويتنبهون إلى المزالق التي تحبونها لهم أعداؤهم (الانجليز) . وعلى الشباب أن يتحسبوا فرص الجهاد ، وأن يسلكوا إليها طرق الحيلة والدهاء .

ولا يفنى في أثناء ذلك أن يتحدث عن المستعمرين - ولكنه الحديث الهادئ الحذر - وما كان من قصهم حواشى الصحافة ، واستعانتهم ببعض المصريين ، وعن انتهازهم فرص أحداث الزمان ، واتخاذها وسيلة للنيل من المصريين ، ومن يقطنهم وتذنبهم لكل ما يقال وما يعمل ، وقد نصبوا الفخاخ في كل طريق يسلكه المصريون .

تحرر ، وإلى رجال الغد المسأول ، يسدون النقص ، ويشمرون عن ساعد الجدد ، فملهم أن يكونوا رجالا عاملين ، وأن يصونوا حمى أوطانهم ، ويشير إلى المطالبة بالدستور ، ويحذر من اليأس في هذه المطالبة . ثم يبلغ به الحذر أشده ، فينهى عن التهور ، ويأمر بالساد في النطق .

فلا تنطقوا إلا صوابا فإننى أخاف عليكم أن يقال تهوؤروا ويدعو إلى الثقة بالأمير القائم . ويدعو له ألا يزال محروس الأريكة . وهكذا نرى أن الروح الهادئة تسرى في القصيدة ، وأن التهيب والحذر يملكان على الشاعر ناصية القول ، ولا تفسير لهذه الظاهرة إلا أن الزمن حكمه .

ففي سنة ١٩٠٧ م كانت حركة مصطفى كامل على أشدها ، وكانت نفوس المصريين تشتعل حماسا ، فكان حافظ صدى لهذه الروح ، فلما مات هذا الزعيم بعد ذلك بعام أصيبت الوطنية المصرية بنكسة ، وكان من ذلك الخوف الذى تمكن من نفوس الناس عامة ، وشعراء الوطنية خاصة .

وفي العام التالى ، أى في سنة ١٩١٠ م وفي مطلع عام ١٣٢٨ هـ نظم حافظ قصيدته الثانية في (تحية العام الهجرى) . وهذه القصيدة هى موضوع حديثنا ؛ لأنها التى

من الروح الشائرة التي تجذب القلوب ، وتثير النفوس ، وما هشتت قط لقراءة هذه القصيدة ، وهي لا تختلف عندى عن قراءة نص فى كتاب على ، إذا استثنينا بعض أبيات منها .

ولست روعة الشاعر فى دقة التصوير ، ولا فى صحة النظم ، وصدق التوجيه وإنما روعته فيما يثيره فى نفوس القراء من انفعالات تكون صدى لحرارة عاطفته ، وقوة روحه . ولا نزاع فى أن حافظا كان ذا دياجعة ناصعة ، وأسلوب محكم ، وألفاظ متخيرة حتى يقل أن نجد له لفظا ينبو به موضعه ، ويبدو أنه كان ينظم شعره وهو يترنم به فيأتى الشعر وفيه روح الخطابة ، وقد يروعك حين تسمعه يفسد ، أوحين تترنم به أنت ، فإذا فكرت فى معانيه ، وألقيت موسيقاه جانبا لم تجد فيه ما يروعك ، فلا عمق ولا خيال ، ولا انفعال يهز عواطفك . ويبدو هذا واضحا فى هذه القصيدة . اقرأ قوله - مثلا -
عن هلال العام السابق :

لو كنت أعلم ما يخبئه لنا
لسألت ربى جاهدا أن يحمقا
أولى الأعاجم منة مذكورة
وأعاد للأتراك ذاك الروتقا
توغيرت فيه الخطوب بفارس
حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا

فى مافظ :

يقول بعض من كتبوا عن حافظ : « إن حافظا كان قريب الغور ، لا يضرب فى سموات الخيال بسهم بعيد الرمية ولا يخلق إلا بأجنحة متكسرة ، ولا بد للشاعر الفحل من الخيال السامى الجوال ، المتلفت إلى المعانى ، والمتغلغل فى ضمائر الأشياء ، الباحث فى أكنافها ، وعن خباياها ، والمستنبط الدقائق ، والمستخرج الدقائق ، ثم عرضها بعد ذلك فى صور فنية أنيقة ، تستهوى نفوسا كانت تحس هذه الأشياء ، ولا تستطيع التعبير عنها ، فهمى مستغلقة فى هذه النفوس حتى يأتى الشاعر الملمهم فيعرضها للناس مفتحة الجوانب ، فنصيب غرضا كانوا يشددونه ، ولا يستطيعون إبرازه فيبرزه لهم هذا الشاعر المعبر . ولم يكن حافظ من هؤلاء السحرة ، بل كان شاعرا قريب التعبير ، سهل المتناول ، لا يجد قارئه فى شعره ما يرضى خفاياه ، ولا ما يشبع هواه وخياله ، ولكن رزق عطف القلوب ، ولم يرزق عطف الأخيلة .

كان شعره لا يملأ القلب ، فإن روحه الحلوة تناسب فيه ، فقد كان ينظم بقلبه لا بخياله . وهذا الحكم يصدق على كثير من شعر حافظ ، ويصدق الجزء الأول منه على هذه القصيدة ، فهمى قصيدة فتميرة من الخيال ، لا تعدو أن تكون نظما لمقال صحفي ، وفقيرة

فإذا دعوت الدمع فاستمعى بك
عنا أسي حتى نغص ونشرق
فلا فرق بين الغصص والشرق ، وفي كتب
اللغة : غص بالطعام وبالشراب كغرح
إذا شرق . ومن ذلك قول الشاعر :

لو بغير الماء حلقي شرق

كنت كالغصان بالماء اعتصاري
وفي قوله (ماذا ألم بها وماذا أحدا)
لا أرى داعيا لذكر الإلمام مع الإحداق .
إلا ما يتمحل به من أن الصحافة تارة تلم بها
بعض الأحداث ، وتارة يحيق بها بعض آخر .
على أن الذي نزل بها وأحداق هوشى . وإحداك
تقييد حريتها ، ولكن القافية - كما ذكرت -
هى التى اضطرت به إلى هذه الركة . وكذلك
قوله فى النيل : (فلکم أفاض عليكم وتدفقا)
فالإفاضة والتدفق شئ واحد ، والقافية
كذلك هى التى اضطرت به إلى الابتذال فى قوله :
وأنى يساوم فى القناة خديعة

ولو أنها تمت لثم بها الشقا
وإلى التعبير عن نهب الانجائز لخيرات
بلادنا ، وإعمالهم فى ذلك الحيل . إلى التعبير
عن ذلك (بالتأنيق) (فتأنقوا فى سلبنا
وتأنقا) . واعتراضى على هذه اللفظة أن
فيها رقة لا تناسب مكر المستعمرين .

وإلى أن يجعل الخنادق بما يتقى به الأعداء
فى هذا العصر ، فى قوله يخاطب الشباب :

وأدال من (عبد الحميد) لشعبه
فهوى ، وحاول أن يعود فأخفقا
ورمى على أرض الكنانة جرمه

بالنازلات السود حتى أرمقا
فأى روعة فى هذا الشعر ؟ أليست كل
هذه الأبيات تحكى حكاية عادية ؟ .

الفرس نالوا حريرهم ، وعبد الحميد سقط ،
وحاول الرجوع فلم يستطع ، ومصر نزلت
بها خطوب سود .

وليس كل شعر حافظ بهذه المثابة ، فإن
فى مرثيته من صدق العاطفة وتأججها ،
وفى شكواه من دم القلب ، وانفعالاته ،
وفى بعض شعره الاجتماعى من أسي الألم
أو روح الفكاهة ما يروع ويمعجب .

ولما لنجد هنات فى نظم هذه القصيدة ،
فن ذلك أن القافية اضطرت فى غير موضع
إلى أن يأتى بلفظين مترادفين ، أو متقاربين ،
يمكن الاكتفاء بأحدهما عن الآخر ،
وهذا ما يسميه علماء البلاغة تطويلا مفسدا ،
ومثلوا له بقول الشاعر (وألنى قولها كذبا
ومينا) . ومن ذلك فى هذه القصيدة ،
عن الهلال :

فأى بجانبه وخص بنحسه

مصرأ ، وأسرف فى النحوس وأغرقا
فأى فرق بين الإسراف والإغراق ؟
ومن ذلك قوله عن الصحافة :

وابنوا حوالى حوضكم من يقظة
سورا ، وخطوا من حذار خندقا
وقد يأتي بالترادفات دون أن تضطره
القافية كقوله عن طريق الحرية :
الموت فى غشيانه وطروقه
والموت كل الموت ألا يطرقا
فلا فرق بين الغشيان والطروق .

ولكن فى القصيدة أبياتا ، وأنصاف
أبيات جميلة من ذلك قوله : (إن القوى بكل
أرض يتقى) وقوله ، والاستفهام فيه
رائع حقا .

أو كلما قالوا تجمع شملهم
لعب الشقاق بجمعنا فترقا ١٩
ويبدو التفاوت واضحا إذا وضعنا بجانب
هذا البيت قوله :

فتجبنوا فرص الجهاد كثيرة
وتعجلوها بالعزائم والرقى
ومهما قيل إن هذه العزائم ، وتلك الرقى
ليست سوى قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة
وحسن التأتى إلى المقاصد ، فإن الضعف
والركه ظاهران فى هذا الشطر حتى ليلج
إلى درجة الإسفاف .

ولا تعجبني فى القصيدة هذه الأوامر
والنواهي المتابعة (لا تأسوا فتجشموا —

فندفقوا — فتعلموا — وابنوا — وزنوا
وسددوا — وامشوا — وتجنبوا —
واخلقوا) وذلك أن الشاعر المنفعل لا يسير
على درب واحد ، ولا يجمد على أسلوب
خاص من أساليب الكلام ، وإنما يخلط
الأمر ، بالاستفهام ، بالخبر بالتنى .
وبعد :

فالقصيدة سجل حافل بحوادث مصر وآلامها
فى تلك الحقبة من الزمن ، وفيها تظهر وطنية
حافظ ، ولكنها وطنية متحفظة حذرة ،
تقدم رجلا ، وتؤخر رجلاين .

ويظهر فى هذه القصيدة اعتزاز حافظ ببني
وطنه ، فأبن النيل سباق الورى والشباب
جددوا العهد الذى قد أخلق ، والصحافة
أحذق من المستعمرين ومن أعوانهم ، وهى
المواسية فى الآلام ، والسوابق التى تملكها
مصريوم اللقاء ، والأسهم التى ترمى بها فى
الشدائد ، وهى صواعق على المستعمرين
وأذنانهم .

وهذا يدلنا على أن نظرة حافظ للبصريين
بدأت تتغير ، وبدأ هو يعدل عن أسلوبه
فى تنقص بنى قومه ، والنيل منهم ، ورميهم
بالخنول والتواكل .

وكم ذا بمصر من المضحكات
كما قال فيها أبو الطيب
وشعب يفر من الصالحات
فرار السليم من الأجرب
وصحف تطن طنين الذباب
وأخرى تشن على الأقرب
ألم يقل بعد حادثة دنشواي في سنة ١٩٠٦
وهو يخاطب اللورد كرومر .
وإذا سئلت عن السكنانة قل لهم :
هي أمة تلهو وشعب يلعب
وربما كان هذا أسلوبا من أساليب
حافظ في استهزاء قومه ، وتقريعهم على

سكوتهم عن المستعمرين ورضاهم بما هم فيه
من ذل ، ولسكننا على كل حال نجد النغمة قد
تغيرت ، والأسلوب قد سالم بنى السكنانة :
عار على ابن النيل سباق الوري
مهما تقلب دهره أن يلحقا
* * *

أهلا بنباتة البلاد ومرحبا
جسدتم العهد الذي قد أخلقا
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

على العمارة

بقية المنشور على صفحة (١٩١)

وبعد إلقاء هذه المحاضرة علق عليها رئيس
الحلقة شيخ الأدباء الأستاذ الكبير أحمد
حسن الزيات فوصفها بأنها كلة علمية واعية
تمثل الأزهر أصدق تمثيل .
وقد أوجت هذه الكلمة الكريمة إلى
الدكتور صالح الأشتري أستاذ الأدب العربي
بجامعة دمشق ، أحد مبعوثي الإقليم السوري
في حلقة التيسير بالآيات الآتية :

تحية وإعجاب
الشيخ غنيم أمتعنا
بحديث عذب كالكوثر
قد زاد عن النحو السلفي

تيسيراً كالدهاء الأصفر
ولى التيسير ولم تثبت
قدماه كما ولى شرشر
ورئيس الحلقة قال لنا
قد أحسن تمثيل الأزهر
فيحق إذا لفصيلته
أن يزهي بالنصر الأكبر
ولما اطلع على الآيات المذكورة الدكتور
مهدى علام عميد كلية الآداب بجامعة عين
شمس أضاف إليها البيت التالي :
قسما بالله لقد صدقت
كلمات الحق من الأشتري

الجريمة والعقاب

في الشريعة الإسلامية والشرع الوضعي

للأستاذ محمد سرحان

من عدام من المالك والدول . وأثبتت التجارب الطويلة أن التشريع الإسلامي هو وحده العلاج الناجع لأدواء المجتمع ومشاكله في شتى الأزمنة والأمكنة والأحوال . وليس الأمر كذلك في التشريعات الوضعية التي خضعت في وضعها لاعتبارات تتصل بالبيئات المحلية والأحداث الطارئة . ومالت في كثير من الأحيان مع الأهواء وإباحة كثير من نوازع النفوس وملذاتها - ومثل هذه التشريعات إن كتب لها بعض النجاح ، فإنها لا تصلح في بيئة غير التي نبتت فيها ولا بعد زوال الأحداث التي سيطرت على عقول واضعيها .

ولذا نرى التشريع الجنائي الوضعي قد تقلب في أطوار عدة وامتدت إليه يد التغيير والتبديل في كل حين . وبقي قاصراً عن إقامة مجتمع قوى سليم . ونمت في ظلاله الجريمة وكثر المجرمون في البلاد التي تزعم أنها قد بلغت الغاية في المدنية والحضارة ، فضلاً عن الانحدار الخلقي الذي هوت إليه هذه البلاد وكان مثار الشكوى والألم من بعض الناهيين من أبنائها .

عنيت الشريعة الإسلامية ببناء المجتمع على أسس راسخة قوية ودعائم ثابتة مستقرة . وحرصت على تمكين أسباب الأمن والطمأنينة للأفراد والجماعات . وسنت أمثل الطرق وأقومها في مكافحة الجريمة والضرب على أيدي العابثين والمنحرفين كي يسلم الناس من أذاهم . وتحفظ عليهم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم . وقد جعلت لكل جريمة عقاباً يتكافأ مع نوعها ومقدار جسامتها وأثرها في حياة الأمة ونظامها ومثلها ، وأهابت بالمسلمين ألا يتهاونوا في تنفيذ هذه العقوبات وألا تأخذهم بالجاني شفقة أو رحمة .

وقد طبقت الشريعة الإسلامية في بيئات مختلفة ، وضرب على يد جماعات مردت على السطو والنهب واستباحة الدماء والأعراض ، فاجتثت جذور الشر من أصولها . وانصرف المسلمون في ظلها إلى العمل والكفاح في سبيل رفعة بلادهم وإسماع أنفسهم وأوطانهم . واستطاعوا أن يقيموا مجتمعات فاضلاً نزيهاً . وأن يضربوا أروع الأمثال في التعاون والتراحم والإيثار والتضحية والفداء . وكانت لهم العزة على

وأبنائنا . فلم لا تكون جمهوريتنا كذلك منبعاً للتشريع شامل تستمد من دينها ومثلها ومقدساتها وأحاسيس أبنائها، ويكون علاجاً حاسماً لعالمها وأمراضها، وتأخذ عنها جميع البلاد التي ترسم خطاها وتعلق الآمال السكارى على عونها ورعايتها؟ وبذلك نضع الأساس الممكن لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية .

ها هي ذى جرائم السرقات على اختلاف ألوانها تمثل نسبة كبيرة بين الجرائم في بلادنا . ومن أراد الوقوف على مدى استئراء هذا الخطر في مجتمعنا فليذهب إلى ساحات المحاكم ليرى جرائم السرقات تمثل جانباً خفياً بين القضايا التي تنظرها وتأخذ من وقت القضاة الثمين قدراً يبلغ بهم غاية الجهد ويعوقهم عن النظر في القضايا الأخرى فتظل أمامهم سنين طوالاً .

المسئول عن ذلك هو التشريع الوضعي العقيم . والاستهانة بالعقاب الذي قرره . فاللص يقدم على جريمته وهو مطمئن إلى أن أقصى ما يتعرض له إن ظفر به هو السجن شهوراً أو سنوات . وحياة السجن في نظره ليست مما يخاف ويخشى . فوراءه من اللصوص من يعول أسرته ويرعاها . ويقضى هو هذه الفترة بين مجرمين يوثق صلته بهم ويعقد معهم الاتفاقات لاستئناف العمل بعد الإفراج عنهم وبجلات الشرطة مليئة بأسماء مجرمين عادوا إلى السرفة في اليوم الذي خرجوا فيه من سجنهم .

وقد فتن المسلمون عن أحكام دينهم ومبادئ شريعتهم بعد انهيار دولتهم وقضاء المستعمرين على مجدهم وعزتهم ، واستطاع هؤلاء في غمرة الأحداث التي طغت على البلاد الإسلامية أن يزعموا عقائد المسلمين في مبادئ دينهم ويصرفوهم عن مثاهم وأنظمتهم إلى الأخذ بالتشريعات الغربية باسم المدنية والحضارة . وخلقوا جيلاً يظاهروهم ويروج لمبادئهم وشرائعهم . وبذلك انفرط عقد الحياة الفاضلة وفشت الجرائم في بلاد الإسلام بصورة بشعة .

وهذه الجمهورية العربية وهي قلب الإسلام النابض وفؤاده الخفاق وهي بحق أعظم بلاد الإسلام قاطبة في قوتها وحضارتها وثقافتها واستكمال نظمها وأجهزتها التشريعية والتنفيذية ما تزال برغم الجهود الصادقة التي تبذلها في مكافحة الجريمة والمجرمين تلاقى كثيراً من المتاعب في سبيل القضاء على هذا الخطر الوبيل . ولا سبب لذلك سوى القانون المجتلب والعقوبات اللينة التي فرضها .

إن هذه الجمهورية الفتية هي مركز الحضارة والإشعاع العلمي في الشرق كله . وقد رسمت لنفسها سياسة وطنية استقلالية تنبع من واقع حياتها وأحوال أهلها . وهي تسير بخطوات واسعة نحو العزة والمجد وتطهير البلاد من أدران الاستعمار وألوان الفساد التي بدرها في بلادنا ولوث بها عقول كثير من رجالنا

بين ربوعها . ولم يعد أحد يسمع بأى نوع من أنواعها إلا فى النزر اليسير .

ونستطيع نحن فى فترة الانتقال أن نعطي للقاضي الحق فى الحكم بالحبس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات إذا بدت له اعتبارات تقضى بالتخفيف وتستوجب الشفقة والرحمة، وكانت هذه أول جريمة من نوعها يرتكبها المجرم . لقد فشل القانون الوضعى فشلا ذريعا فى مكافحة جريمة السرقة . وهو أشد فشلا فى مكافحة الزنى والجرائم الخلقية . وإذا نحن راجعنا نصوصه فى جريمة الزنى رأيناه يجعل الأصل فيها الإباحة ولا يفرض عقابا عليها إلا فى حالات خاصة وبشروط وقيود أضاعت الغرض المقصود منها وفتحت أمام الزناة عددا من النوافذ للإفلات من العقاب .

فالزنى لا يعاقب إلا إذا زنى بقاصر أو امرأة متزوجة ، أو كان الزنى بالإكراه أو فى منزل تقم فيه زوجته — والزانية لا تعاقب إلا إذا كانت متزوجة وتمسك الزوج برفع الدعوى العمومية عليها ، ومعنى ذلك أن القانون الوضعى لا يفرض على الزنى فى ذاته عقابا . وإنما يفرض للعقاب على ما يقترب به من تغير أو إكراه أو اعتداء على حق فرد معين لم يتنازل عنه . ولا عقاب على الزانية المتزوجة إذا رضى زوجها أو اصطنعت لها زوجا يعان هدم رغبته فى محاكمتها . وبذلك تخرج هذه الجريمة عن نطاق

ومع هذا كله لم نر أحدا من القائمين على شئون التشريع يفكر فى التماس العلاج الحاسم لهذه الحالة الخطيرة من مبادئ التشريع الإسلامى ؛ لأن الاستعمار قد لقن الناس أن هذا التشريع بنا فى المدنية والحضارة . وأن قطع يد السارق قسوة ونكال . والعقوبة قد شرعت للتقويم والتهديب والإصلاح .

حقا إن العقوبة قد وضعت للتهديب والردع والإصلاح ولكن أين هى العقوبة الرادعة المصاحبة ؟ ومتى رأينا لصا تاب وصلحت حاله بعد توقيع عقوبة الحبس عليه ؟ لا ؛ بل إن هذه العقوبة اللينة هى التى ساقته وساقته غيره إلى ارتكاب هذه الجريمة وأشباهها فأين التهديب وأين الإصلاح ؟ .

فلماذا لا نطبق الشريعة الإسلامية ونقطع يد السارق لينجو الناس من شره ويرتدع غيره عندما يدرك أنه صائر إلى هذا المصير .

إن قطع يد السارق علاج ناجع وتشريع رادع يقضى قضاء مبرما على هذه الآفة الخطيرة . ولن يتجاوز عدد من ينفذ فيه هذا العقاب بضعة أفراد فى كل عام . وبذلك ينصرف الناس إلى حياة كريمة شريفة وتوفر الدولة جهود أجهزتها المختلفة للبناء والتعمير فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ حياتها .

لقد طبقت بعض الدول الشقيقة هذه العقوبة فى بلاد كانت قد تأصلت فيها بذور هذه الجريمة وعزت مكائنها . فاستتب الأمن

الانتماء ولم تستوف الشروط المعتبرة لإقامة الحد ، وإذن فلن يطبق الحد إلا في القليل النادر ولكن وضع هذه العقوبة في القانون واعتبار الزنى جريمة ذاتية مهما كانت صورتها، سيردع الناس عنها ويحمي المجتمع من شرورها وأضرارها إن هلى رأس البلاد الآن رجلا مؤمنا بربه ودينه ووطنه وقد آلى على نفسه أن يطهرها من أدران اليهود الماضية ومبازلها وأن يحميها من الأمراض الفتاكة التى بذرها الاستعمار بين صفوفها . وقد نصره الله فى جميع خطواته وأيده بعنايته ورعايته . وهو لا يرضى أبدا ببقاء هذا الداء ينخر فى عظام الأمة ويفتك بأخلاقها وليس بعزىز عليه أن يأمر بحذف هذه النصوص الشاذة من قانوننا والإسراع بالتماس العلاج الشافى من مبادئ شريعتنا وأحكام ديننا .

لقد آن لنا أن نتحرر فى تشريعنا كما تحررنا فى سياستنا ، وأن نكون القدوة الصالحة للأمم المتطلعة إلينا وهى تضم سكان القارتين الكبيرتين آسيا وإفريقيا . وبذلك نحفظ بمقام القيادة الحققة لهذه الشعوب . ونخلق فيها مجتمعا راسخ الأركان قوى البنين . ويعود للشرق مجده وهظمته . ويربط حاضره الباسم بماضيه المشرق . ويغدو مصدرا للهدى والعرفان كما كان فى عهد النبوات .

حق علينا فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل

الدعوى العمومية إلى الحقوق الفردية التى لا تعتبر فى ذاتها جريمة . أما المجتمع فلاحقه قبل هذه الجريمة النكراء التى تلتخ شرف الأسرة وتزلزل كيان الجماعة وتدمر الكرامة الإنسانية وتورث الولد من غير ذويه وتنسب إلى غير أبيه . ومن ثم فشت هذه الجريمة الخلقية وانبت فى المجتمع عدد كبير من الفجار والساقطات يرتكبون هذه الرذيلة المدمرة فى حماية القانون وفى غير ما حياء ولا خجل . وكثيرا ما يمتد هذا المرض الويل بطريق العدوى إلى أسر سعيدة آمنة فيحطمها ويقوض هئاءتها وسعادتها .

سيقولون أيضا : إن الشريعة الإسلامية قد فرضت على الزنى عقوبة صارمة عنيفة تراوح بين الجلد ، والرجم ومدنيتهم الزائفة وحرينهم الحمرأ تأبى أن يتعرض الزانى للقسوة والنكال ؛ ويتناسون أن هذه الجريمة تدمر أخلاق الأمة وتقضى على مهنوياتها وأن جميع الشرائع السماوية والوضعية لا تأخذها رافة بمن يعرض سلامة أمة للدمار والانهيار ، على أن الشريعة الإسلامية قد أحاطت لإثبات هذه الجريمة بضمانات قوية لا يقام الحد إلا بها ؛ رعاية لما يترتب على ثبوتها من مساس بكرامة الأسر والجماعات ، وتركت للمقاضى حرية الحكم بأية عقوبة أخرى متى قام لديه الدليل المقنع بصحة

وأحزاباً . وصرف الأمة عن أمانها وأفسد الأخلاق والضمائر ونظام الحكم وأسلم البلاد للمستغلين والمنفعيين وتجار السياسة وكادية ضى على مقوماتها المادية والمعنوية حتى امتدت إليه حكمة الثورة فألغته واستبدلت به دستوراً نابغاً من صميم حياتها ومتوخياً مصالح أبنائها وجمع كلتهم والربط بين قلوبهم ؛ ليقيموا بناء حضارتهم وينهضوا بمرافق بلادهم . واستطاعت الأمة في ظل النظام الجديد أن تحقق المعجزات وأن تتوالى انتصاراتها في الداخل والخارج . فلماذا لانجأ إلى هذه الطريقة نفسها في إصلاح تشريعنا فنأفئ النصوص التي لا تتفق مع ديننا ومبادئنا وواقع حياتنا ونستبدلها بنصوص أخرى تعين على دهم قوتنا وصيانة مجتمعنا . وتكفل لامتنا الحياة الجادة الكريمة وتحفظ أخلاقنا من السقوط والتدهور والانحلال . وينصرف أبنائنا إلى العمل المشمر والكفاح النافع . والجمهورية الآن موشكة أن تصدر قانوناً موحداً يطبق في إقليمها والفرصة سانحة للإصلاح والتعديل . ومن الخير أن نغتنمها ولا ندعها تفلت من أيدينا . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد سرمد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

حياتنا أن نخطو خطوات جريئة في سبيل إصلاح تشريعنا مستلهمين أحكامه من مبادئ ديننا فنقطع يد السارق ونعاقب على الزنى في جميع صورته وأحواله . ونحرم الخمر ونحد شاربها . ونضرب بيد قوية على المقامرین الذين يفتكون بالثروات وتدفعهم الموائد الخضر إلى السرقة والاختلاس . وقد ثبت بالدليل القاطع أن معظم الجرائم الكبرى يرتكبها السكارى ، وأنهم يتخذون من شرب الخمر عوناً على المضى في جرائمهم بلا خوف ولا تردد . وأن القمار كان سبباً في أكثر حوادث الاختلاس من الأموال الحكومية وغير الحكومية .

إن أهم المصادر التي استقينا منها تشريعنا الجنائي هو القانون الفرنسي الذي صدر في أعقاب الثورة الفرنسية . وامتلات قلوب واضعيه بالحققد والضعفينة على الكنيسة ورجال الدين ؛ لأسباب تاريخية معروفة . فقالوا في تشريعهم إلى الإباحة والتحلل والتفلت من القيود الدينية والخلقية تملقا لعواطف الجماهير وإرضاء لنزواتهم وشهواتهم ، وخذعوا الناس باسم مبادئ الحرية والإخاء والمساواة . وهي حرية فاجرة وإخاء كاذب ومساواة في القشور دون الباب . فلماذا لا نتحرر من التبعية التشريعية كما تحررنا من التبعية السياسية ؟ .

لقد جربنا دستورهم في بلادنا فزقمها شيعة

رأى للمناقشة :

المسرح والتوجيه الديني

للأستاذ إبراهيم محمد نجما

وهكذا آمنت بأن فكرة المسرح الديني يجب أن تبرز إلى حيز الوجود ، إذا أردنا أن تقوى في النفوس ما ضعف فيها من معاني الدين ، وأن نرد إلى طريق الهداية ما انحرف منها عن هذا الطريق .

وقد يقول قائل : إن الوعظ والإرشاد على النمط المؤلف يؤدي هذه المهمة ، ويوصل إلى تلك الغاية ، ولكننا نقول : إن تقوية النزعة الدينية ، وهداية النفوس العصية ، هما أسى غاية يجب من أجلها أن تتضافر كل الجهود ، وتتعاون كل الهيئات ، وتتخذ كل الوسائل .

ومن المسلم به أن النفوس معادن ؛ فمنها ما لا يؤثر فيه غير الوعيد الشديد أو الوعد الأكيد ، في لفظهما المباشر ، ومعناها الصريح ، ومنها الذي لا يلين إلى المثل الذي يوحى ، والصورة التي ترمز . ولكل نفس حالات تختلف وتباين ، فما يلائمها في حال ، قد لا يلائمها في حال أخرى .

والعلم الحبير ، جل شأنه ، وتقدس حكمته . يقول في محكم كتابه مخاطبا نبيه

فكرة راودتني منذ سنوات ، ولا تزال تراودني حتى اليوم ، وقد آمنت بها منذ راودتني وازداد هذا الإيمان قوة وعمقا على مر الأيام ، وتوالى السنين .

كان ذلك حين أسند إلى الإشراف على التمثيل في إحدى المدارس الثانوية ، فألفت بعض المسرحيات الدينية والوطنية ، وشاركت في إخراجها على مسرح هذه المدرسة ، وحينئذ أدركت ما للتمثيل من أثر كبير في التوجيه والإرشاد ؛ لأنه يوجه النفوس إلى معاني الخير والحق والفضيلة توجيها تلقائيا لا أثر فيه للضغط الذي يولد المقاومة ، والقسر الذي يثير العناد .

وأنا بطبيعة نشأتى الدينية من جهة ، وبحكم ميولى الفنية من جهة أخرى ، أحب أن تغلغل النزعة الدينية في كل نفس ، فتؤثر فيها تأثيراً عميقاً ، وتوجهها توجيهاً واعياً ، وأحب أيضاً أن تكون وسيلتنا إلى ذلك غاية في اللطف والرفق ، ولا توجد وسيلة أطف لطفاً ، وأرفق رفقاً من الوسيلة الفنية التي تنسرب إلى النفس في رقة ويسر فتملؤها بأنبال المشاعر ، وأجمل الأحاسيس .

الدينية ، وأذكيا وجدانهم المسيحي ، وكأنا دعاية واسعة للمسيحية في كل بلد عرضا فيه . ولا أنسى كذلك فيلم « ظهور الإسلام » ، وما كان له من تأثير عميق في نفوسنا معشر المسلمين ، على ما تجلى فيه من نقص في الوسائل المادية ، والكفاية الفنية .

وهنا نلج المسألة الشائكة في هذا الموضوع ، فنسأل هذا السؤال :

هل يباح تمثيل الشخصيات الإسلامية ذات القداسة والإجلال ؟

وأنا أستثنى شخصيات الرسل والأنبياء عليهم السلام . ثم أقرر أني لا أجد مبرراً للامتناع عن تمثيل أية شخصية دينية أخرى ، مادام هذا التمثيل لن يغض من قداستها ، أو ينقص من جلالها .

إن تمثيل الشخصية هو في جوهر أمره ، تجسيم حي لصفات النفسية ، وسلوكها العملي وهذا التمثيل لا يختلط بشخصية الممثل والشخصية التي يمثلها ؛ لأنهما في واقع الحياة شخصيتان متميزتان . وهل يكون الممثل في حتمية أمره نفس الشخصية التي يمثلها ؟ لو حدث ذلك لما رأينا ممثلاً يرضى أن يمثل شخصية مارق من المجتمع ، أو خارج على القانون .

فنحن إذأ نحفظ للشخصية الدينية بكل ما لها من قداسة وإجلال حين نمثل على المسرح حياتها كلها ، أو قطاعاً من هذه الحياة ، ومع ذلك كله ، فعندنا من أصحاب الاحتراف

الكريم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . والمراد بالحكمة في الآية الكريمة ، الدعوة إلى سبيل الله بالوسيلة الناجحة ، والعمل الصائب . والحكيم من لا يخرج عن الصواب في قوله أو فعله . ومن الموعظة الحسنة ألا تتخذ العنف وسيلة دائمة إلى الهداية والإرشاد ، وصدق الله حيث يقول : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

ونحن حين نتخذ المسرح الديني وسيلة من وسائل الهداية والإرشاد ، نجعل تاريخنا الإسلامي المجيد يمثل أمامنا زائراً بالحركة نابضاً بالحياة ، ونستحضر شخصياته العظيمة بأخلاقها القويمة ، وأعمالها الكريمة ، ومثلها العالية ، فيملأنا ذلك كله إيماناً بديننا ، واعتزازاً بتاريخنا ، وبحفزنا إلى العمل الدائب لنصرة دين الله ، وإعلاء كلمته . وإذا كانت قراءة التاريخ تجعل وقائعته تنفذ إلى النفوس ، فتؤثر فيها تأثيراً عميقاً ، فإن تمثيل هذه الوقائع هو من غير شك أبعد نفاذاً ، وأعمق تأثيراً .

وأنا لا أنسى الأثر الكبير الذي أحدثه فيلم « الرءاء » ، الذي يمثل تاريخ المسيح عليه السلام كما تؤمن به المسيحية أو فيلم « صياد الجليل » ، الذي يعرض حياة بطرس أحد الحواريين ، أقول لا أنسى الأثر الذي أحدثه هذان الفيلمان في نفوس المسيحيين ، فقد ألها مشاعرهم

يستطيعون أن يمدوا هذه الفرقة بالمرحيات التي تلاقى النجاح ، وتحقق الغاية . ولا أشك في أن وجود هذه الفرقة سيدفع الكثيرين من المؤلفين إلى العناية بالأحداث الجلية التي يحفل بها تاريخنا الإسلامى المجيد والانصراف عن الموضوعات الضئيلة الشأن ، أو المنحرفة القصد ، التي تقوم عليها مسرحياتهم الرخيصة الهزيلة ولا بد من الإشراف الواعى الحكيم على هذه الفرقة حتى لا تنحرف عن القصد وتضل عن الغاية ، وينبغى أن تقوم بهذا الإشراف لجنة مختارة من رجال الأزهر ووزارة الثقافة وهذه اللجنة تراجع نصوص المسرحيات وتشهد تجاربها ، ولا تسمح بعرض مسرحية حتى تطمئن إلى سلامتها من ناحية الأداء الفنى ، والهدف الدينى على السواء .

إن تيار المادية يوشك أن يطغى على العالم الذى نعيش فيه ، ومن هذا التيار نشأ تيار آخر هو تيار الانحراف عن الدين والأخلاق فلنقاوم ذلك بكل وسيلة ممكنة ؛ لنحفظ للدين جلاله ، وللخلق جماله . وللروح منزلتها فى شؤون الحياة ، وسلوك الإنسان .

وبعد : فهذا رأى أعرضه للمناقشة ، لا أبتغى به غير الخير للدين والنفع للمجتمع والله الموفق إلى الصواب ؟

ابراهيم محمد نجما

المدرس الأول بوزارة التربية والعلم

أو الهواية فى التمثيل من يتصفون بكال الإيمان ، وسلامة الأخلاق ، وحسن السلوك إلى جانب ما يمتازون به من مقدرة فى الفن ، وبراعة فى التمثيل ، فلنجعل تمثيل الشخصيات الدينية مقصوراً عليهم ، فلا يقوم اعتراض من هنا ، أو نقد من هناك . وما ذا يبقى بعد ذلك ؟

تبقى الشخصيات النسائية التي قد توجد فى بعض الوقائع التاريخية .

ونحن حين نتمتع هذه المسألة ، لا نجد فيها ما ينافى الدين ، ويحافى الخلق ، ما دمتنا سنحرص على أن يكون مظهر الممثلة وسلوكها فوق المسرح بعيداً كل البعد عما يחדش الحياء ويحرج الفضيلة . وعندنا من الكرائم من يجدن التمثيل ويحاولنه هواية لا احترافاً

وقد شاهدت بعضهن فى أدوار تاريخية على مسرح جمعية الشبان المسلمين ، فسكن موضع التقدير والاحترام من الجميع .

والآن أظن أننى أستطيع أن أقترح على المسئولين فى الأزهر ووزارة الثقافة تكوين فرقة للمسرح الدينى تزاوّل نشاطها إلى جانب الفرق المسرحية الأخرى ، كفرقة المسرح القوى ، وفرقة المسرح العسكرى ، وغيرهما من الفرق .

وبطبيعة الحال ستختص هذه الفرقة بتقديم نوع من المسرحيات لا تتعداه إلى سواء ، وهو المسرحيات الدينية المستمدة من تاريخنا الإسلامى . وعندنا من كتاب المسرح من

أُصُولُ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ وَفلسفته

للأستاذ عباس طه

صحابي حسب ما رآه من عبادات الرسول ، وبما حفظه وعقله من فتاواه وأقضيته صلى الله عليه وسلم ، أو بما استنبطه من ذلك ، وإن لم يجد فيما حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه ، وعرف العلة التي أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الحكم في منصوصاته ، فطرد الحكم حينئذ وجدها لا يألو جهداً في موافقة غرضه عليه الصلاة والسلام .

وقال الأستاذ أحمد أمين في د جحر الإسلام : : « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقطع الوحي ، واتسعت المملكة الإسلامية اتساعاً عظيماً ، فواجه المسلمون بهذا الفتح مسائل كثيرة ، في كل شأن من شئون الحياة ، تحتاج إلى تشريع ، في جميع الشئون الداخلية والخارجية ، ولم يدع أحد أن القرآن والسنة الصحيحة نصاً في المسائل الجزئية على كل ما كان وما هو كائن فنتج عن هذا أن كان أصل آخر من أصول التشريع ، وهو (الرأي) الذي نظم بعد ذلك وسمى (القياس) .

جرى على كثير من الصحابة ، فكانوا يستعملون رأيهم حيث لا نص . وقد نقل

بأمر كثير من السلف والخلف بالاجتهاد ويمدحونه ويحضون عليه ، لما يترتب عليه من حماية الوطن الإسلامي من احتلال الشرائع والقوانين الأجنبية له ، ولضمان حفظ الشريعة الإسلامية وسرمديتها واستمرارها ، وجدتها ونشاطها في كل زمان ومكان ، ولسد حاجات البشرية في التشريع وكفاء أحكام الحوادث والوقائع التي تتجدد وتحدث في كل يوم ، ولتكون غنية المجتمع الإنساني في أفضيته ، ومرافقاته ، وعقوده وتوثيقاته وجميع معاملاته وتصرفاته التي تحتاج إلى تشريع وقوانين إلى يوم الدين .

ولعظم فوائد الاجتهاد ، وجليل آثاره حول عليه الصحابة رضي الله عنهم بعد أن استأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم ، وسدوا به حاجات المسلمين في كل شأن من شئون الحياة الداخلية والخارجية التي تحتاج إلى تشريع ولم يرد لها نص خاص .

قال ولي الله الدهلوي : « لما انقضى عصر الرسول الأعظم ، وتفرق الصحابة في البلاد ، وصار كل صحابي مقتدى به في ناحية من النواحي ، وكثرت الوقائع ، ودارت المسائل ، واستفتاهم الناس فيها ، أفق كل

وأجورهم على الله ، وإنما الدنيا بلاغ . وكان أبو بكر يعمل برأيه فيسوى بينهم ، ولما أفضت الخلافة إلى عمر فرق بينهم ، ووزع على تفاوت درجاتهم .

والمتتبع لما روى عن العصر الأول في (الرأى) يرى أنهم كانوا يستعملون كلمة (الرأى) بالمعنى الذى نفهمه الآن من كلمة (العدالة) ، وبعبارة أخرى ؛ ما يرشد إليه الذوق السليم بما فى الأمر من عدل وظلم ، وفسره ابن القيم بأنه ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجهة الصواب .

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يجتهد فى تعرف المصلحة التى لأجلها كانت الآية ، أو الحديث ، ثم يسترشد بتلك المصلحة فى أحكامه ، وهو أقرب شئ إلى ما يعبر عنه الآن بالاسترشاد بروح القانون لاجتهاده . فالاجتهاد كان سبباً فى نماء الفقه الإسلامى ذلك النحو الفريد ، حتى أصبح بحراً زاخراً لا ساحل له ، وأضحى فى سعته وثراته وشموله لا نظير له فى جميع الشرائع والقوانين القديمة والحديثة .

هل ورد فى كل مادة نص :

تعرض القرآن الكريم لجميع ما يصدر عن الإنسان من أعمال : إلى العبادات من صلاة وصوم ، إلى النظم الاجتماعية من زكاة وحج ، وأحوال الأسرة من زواج وطلاق وميراث ، إلى الأمور المدنية كبيع وإجارة وربا ، إلى

إلينا المؤرخون ، والمحدثون والفقهاء ، جملة صالحة من المسائل التى استعمل فيها الصحابة رأيهم . فلم يسكد يتوفى الرسول الأعظم حتى رأوا أنفسهم أمام أكبر مشكلة قانونية وهى : من يتولى الأمر بعده : أمن المهاجرين ، أم من الأنصار ، أم من هؤلاء أمير ومن هؤلاء أمير ؟ وإذا فصل فى ذلك ، فمن هو خير من يتولاها ؟ لم يرد فى كل ذلك نص من كتاب ولا سنة .

فلم يكن إلا أن يستعملوا رأيهم ، وقد كان ، فالحضر الذى ذكره المؤرخون لاجتماع السقيفة يدلنا على كيفية استعمال رأيهم ، وتقليب الأمر على وجوهه .

ولم يفرغ أبو بكر من مبايعة الناس له حتى واجهه مسألة الردة ، فاجتهد فيها ، واجتهد عمر . وعرضت له مسألة الجسد مع الأخوة : هل يرث الإخوة ؟ فالقرآن لم ينص على هذه المسألة إنما نص على الأب مع الإخوة ، فذهب ابن عباس وأبو بكر إلى أنه يحجبهم وذهب آخرون ومنهم زيد بن ثابت ، وعلى ، وعمر ، إلى إرثهم معه .

وأرادوا أن يعطوا العطاء ، أعنى الغنائم التى يفتنمونها فى الحروب ، فاختلفوا : هل يسوى بين المهاجرين والأنصار ؟ فقال عمر : لا نجعل من ترك دياره وأمواله مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم كمن دخل فى الإسلام كرها . فقال أبو بكر : إنما أسلبوا

فإذا هم يقيسون الأشباه بالأشباه منها ،
وينظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم
وتسليم بعضهم لبعض فى ذلك ، فإن كثيراً
من الوقائع والحوادث بعده صلوات الله
وسلامه عليه لم تندرج فى النصوص الثابتة ،
فقاسوها بما ثبت ، وألحقوها بما نص عليه
بشروط فى ذلك الإلحاق تصح تلك المساواة
بين الشئيين أو المثليين حتى يغلب على الظن
أن حكم الله تعالى فيهما واحد ، وصار ذلك
دليلاً شرعياً بإجماعهم ، وهو (القياس)
وهو رابع الأدلة . واتفق الجمهور من العلماء
على أن أصول الأدلة هى : الكتاب والسنة
والإجماع والقياس ، وإن خالف بعضهم فى
الإجماع والقياس ، إلا أنه شذوذ .

وقال إمام الحرمين فى البرهان : لم يخل أحد من
الصحابة من اجتهاد . ومن أنصف لم يشك عليه
إذا نظر فى الفتاوى والأقضية أن تسعة أعشارها
صادرة عن الرأى المحض ، والاستنباط ، ولا
تعلق لها بالنصوص ولا بالظواهر .

وبما ذكر يتبين أنه لم يكن لكل حادثة
جزئية أو واقعة فرعية ، نص خاص ، لذلك
عول الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة
والعلماء على جواز الاجتهاد فى دائرة الكتاب
والسنة والإجماع والقياس ، فسدوا به هذا
حاجات الناس فى التشريع .

عباس طه

الأمور الجنائية من قتل وسرقة وزنا وقطع
يد ، إلى الشئون الدولية كالأقتال وعلاقة
المسلمين بالمحاربين وما بينهم من عهود وغنائم
الحرب ، وهو فى كل هذا يتعرض غالباً للأمور
الكلية ، ولا يتعرض كثيراً للتفاصيل
والأمور الجزئية ، فهو قد نص على الأصول
وترك معرفة الحكم فى الجزئيات إلى النظر
والاستدلال ، ولذلك قال ابن برهان : البارى
سبحانه قادر على التنصيص على حكم الحوادث
والوقائع ، ولم يفعل ، ولكنه نص على
أصول ، ورد معرفة الحكم فى الفروع إلى
إلى النظر والاستدلال .

وقال الشهرستانى : نعلم قطعاً وبقينا أن
الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات
مما لم يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعاً أنه لم
يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك ،
والنصوص إذا كانت متناهية ، والواقع غير
متناهية . وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى .
علم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب
الاعتبار ، حتى يكون بصدر كل حادثة اجتهاد .
وقال ابن سراقه فى كتابه إبحار القرآن : لم
ينص الله تعالى على جميع الحوادث مفصلاً ، وقال
الإمام النووى فى شرح مسلم : إن النصوص
الصريحة لا تنفى إلا بالسير من المسائل الحادثة .
وقال العلامة ابن خلدون : نظرنا فى طرق
استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة

مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

خَطَأُ الْمُقَارِنِينَ لِاخْطَأِ الْمُقَارَنَةِ

لِلْأَسَازِ عِبَاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَمَّادِ

أو العسكرية ، وأن نبي الإسلام ، صلوات الله عليه ، لم يكن يفكر قط في الدعوة إلى دينه خارج الجزيرة العربية ، وأن الخليفة عمر بن الخطاب هو ناشر هذه الدعوة ، وموجه الإسلام إلى العالم بوحى من ضرورات السياسة ، بدا لخلفاء النبي بعد فتنة الردة وقلق الخلفاء على المسلمين أن يبقوا في حدود الجزيرة العربية بغير شاغل يصرفهم عن منازعاتها وعن مشكلات الساعة التي تتولد بين قبائلها وشعوبها .

يقول الأستاذ سوندرز في أول مقاله المطول : « ما من دليل واف يدل على أن محمداً - صلوات الله عليه - كان يتصور الإسلام ديناً عالمياً لجميع الناس ، أو يتصور أنه أرسل لهداية شعب من الشعوب غير شعبه العربي ، وليست قصة رسائله إلى الإمبراطور هرقل وشاه فارس وملك الحبشة وغيرهم من الرؤساء للدخول في دينه بالقصة التي تقوم على أساس .

تصدر باللغة الانجليزية مجلة كبيرة تسمى «تاريخ اليوم» History Today تختار أصحاب الشهرة بالمباحث التاريخية للكتابة في المبحث الذي تفرغوا له وتوفروا عليه وتعرض المناسبة للكلام عنه تعليقاً على حادث مشهور من حوادث العصر الحاضر ، وقد كانت قضية فلسطين إحدى المناسبات التي دعت هذه المجلة إلى اقتراح الكتابة في تاريخ الخليفة عمر رضي الله عنه ، فندبت لكتابة هذا التاريخ الأستاذ سوندرز Saunders المحاضر الأول لدروس التاريخ بجامعة كانتربري بزيلانده الجديدة ، ونشرت له في عدد شهر مارس وشهر أبريل الماضيين مبحثاً مطولاً في هذا الموضوع بعنوان « الخليفة عمر المستعمر العربي » ، يخرج منه القارئ بنتيجة من أغرب النتائج عن الدعوة المحمدية والدولة الإسلامية ، فخواها أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان مصادفة كصادفات الضرورات السياسية

المحمدية أن محمداً عليه السلام كان رسول رب العالمين إلى جميع العالمين : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأن رب الناس وملك الناس : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. »

ففي كل آية من آيات الدعوة المحمدية غنى للورخ المحقق عن الرجوع إلى إسناد كياسناد كابتاني ولانمس ، وهن اصطناع « الدقة العلمية » في استقصاء أخبار الرسائل النبوية إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشي ، ولو ثبت له بعد ذلك الاستقصاء أنهم لم يوجدوا في زمانهم ولم تبلغهم رسالة من رسول . . . فمن جهل رسالة القرآن كلها فالعجب أن ينتظر الخبر اليقين من قرطاس معطوى في بيزنطة أو في غيرها يحتمل الشك والإنكار .

إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خلية أن تفتح باب الاتهام في سلامة المقصد قبل الاتهام في سلامة التفكير ، وإذا كانت القضية قضية فلسطين فما أكثر الشبهات التي تحوم حول كل تاريخ يتصل بتاريخها الحديث ؟ وما أكثر الدفاتن والخبايا التي يستخرجونها من أعماق الزمن المجهول لتزييف الحاضر المعلوم ؟ !

يجوز أن يكون المقصد من ذلك « التحقيق العلمي » ، أن يعلم أبناء العصر أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان بعض الطوارئ

ثم يقول : « ولا شك أن محمداً لم يفكر في فتح العالم وإنما أعتقد أن واجبه الأول أن يمهّد لأبناء أمة أسباب الإيمان بدينه ، فإذا صدوه عن دعوته فواجبه إذن أن يقابل القوة بالقوة » .

ويرى الأستاذ الخبير باللغة العربية وتاريخ الإسلام : « أن كلمة - أمير - باللغة العربية تعني أولاً إمارة الجيش ، وأن تحويل لقب عمر من خليفة رسول الله إلى أمير المؤمنين كان على ما يظهر فاتحة عصر الفتوح ، إذ يصبح الخليفة قائداً أول للإمبراطورية التي أخذت في الاتساع .. »

وبعد هذه المقدمات يسترسل المؤرخ في تفصيل هذه الفكرة فيستند في قواعدها إلى مصدرين بارزين : هما الأمير كابتاني الإيطالي والمبشر الفرنسي المتعصب بير لمانس الذي خلق قصة الثالث المتسلط على دولة الإسلام الأولى من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة !

ولا حاجة إلى الإطالة في بيان جهل المؤرخ بالموضوع الذي تصدى له وحسبته المجلة المتخصصة للتاريخ في العصر الحاضر أهلاً للاعتماد عليه دون غيره في هذه المسائل الإسلامية . فإن هذا المؤرخ لم يكن مطالباً بقراءة شيء عن الدعوة المحمدية غير ما وضعت به هذه الدعوة في كتاب الإسلام الأول ، فإنه يعلم من القرآن في كل وصف للدعوة

بعضهم « بالمقارنة بين الأديان » ، فذهبوا - مخلصين - في التماس وجوه الشبه بينها حيث يوجد الشبه وحيث تنقطع كل لمحة من ملامح المشابهة من قريب أو بعيد .

وأخطر هذه المشابهات والشبهات على عشاق المقارنة . أن المراجعة « السطحية » تقارب عندهم بين تواريخ الأنبياء الكبار في نشر دعوتهم أثناء حياتهم وبعد انتهائهم من أداء رسالتهم . ففرض موسى عليه السلام قبل أن يدخل أرض الميعاد ، وقام بولس الرسول بالعبء الأكبر في نشر المسيحية بعد ختام رسالة السيد المسيح ، وهكذا ينبغي في تقديرهم أن يكون عمر بن الخطاب هو ناشر الإسلام ومؤسس شريعته بعد النبي وصاحبه الصديق .

والخطأ - كما قلنا في عنوان المقال - إنما هو خطأ المقارنين وليس بخطأ المقارنة بين الأديان على إطلاقها ، أو خطأ المقارنة بين نشر المسيحية ونشر الإسلام على الخصوص . ومرجع الخطأ في تقدير المقارنين أنهم نظروا إلى الحركات الظاهرة ولم ينظروا إلى أسبابها الأولى في طبيعة كل من هذه الدعوات وفي سيرة كل من أصحاب الديانات الذين اشتركوا في إبلاغها إلى الناس ، على نهج لم يتفق بين رسولين ولا بين رسالتين .

فمن الحركات الظاهرة أن الرسول بولس كان في مبدأ سيرته أشد الأعداء على المسيحية

العارضة التي لم يقصد إليها نبي الإسلام ولم يلجأ إليها خليفته العظيم إلا انقياداً لمطمع عاجل من مطامع الاستعمار . . .

يجوز هذا ويعززه إن عدد شهر مارس الذي ظهر فيه المقال الأول عن « الخليفة المستعمر » ، قد تحلت صفحته الأولى بصورة النبي « موسى واضع الشريعة » ، ودارت أخباره كلها على « تأصيل » علاقة العبريين بفلسطين من عهد إبراهيم الخليل ، ثم على تسويغ هذه العلاقة بهجرة العبريين من مظالم وادي النيل إلى أرض الميعاد !

يجوز هذا ، ويدل مع هذا على « عمق أغوار » الدعاية التي تحيط بهذه القضية ، ولا تتورع عن تسخير العلم والتاريخ لتأصيل الدعوى حول جذورها من وراء السياسة والتبشير .

وعلىنا عند النظر في أقوال هؤلاء المؤرخين للإسلام أن نرقب مقاصدهم ، ومطان الشبهة في آرائهم ودعواهم ، لأن النيات والأعمال بمنزلة واحدة في قضايا الإسلام العصرية ، حيثما اشتبكت بمساعي الدول والحكومات . ولكن الشبهة الغالبة في مجال البحث الديني إنما هي تلك الشبهة التي تملك عقولهم ونياتهم ولا يملكونها أو يملكون القصد والاختيار فيها ، وإنما ترد عليهم تلك الشبهة الغالبة من قبل هذه الدراسات الحديثة التي أولعت

وليس جواب المقوقر له ولا زواجه عليه السلام من السيدة مارية القبطية بالخبر الذى يتوقف على تحقيقات « لامنس » ومن استمع إليه .

أما بولس الرسول فقد خاطب الاميين لأنه يئس من خطاب بنى اسرائيل ، وقد روى بولس وغيره عن السيد المسيح أنه بعث « لهداية خراف بيت اسرائيل الضالة » وأن الحزب الذى يحتاج إليه أبناء البيت حرام أن يطرح أمام الكلاب ، وقد ضرب المثل فى الاناجيل بالولية التى أعرض عنها المدعوون اليها فأمر السيد عبيده بدعوة الغرباء إلى البيت حتى يمتلئ ولا يبقى فيه مكان لمن دعاهم فلم يستجيبوا الدعاء .

ولم يكن فى وسع بولس الرسول أن يدعو اليونان والرومان إلى المسيحية ليقول لهم : إن السيد المسيح قد بعث لخلاص بنى اسرائيل منهم وأن الأمم الأخرى لا يحق لها أن تطمع فى الخلاص بهذه الرسالة وهو يدعوهم إليها ، فلم تكن لبولس الرسول من قبلة يلجأ إليها غير هذه القبلة ، ولم تكن خطة الخليفة الثانى ولا الخليفة الاول تعديدا لهذه الخطة أو وجها من وجوه المقارنة بين نشر الدعوة العالمية فى الإسلام ، ونشر تلك الدعوة من قبل فى المسيحية ، وإنما تقع المقارنة هنا (البقية على الصفحة التالية)

ثم آمن بها فكان أكبر الناشرين لها خارج بلادها ، ويشبه هذا أن عمر بن الخطاب كان عدواً للإسلام ثم انتصر به الإسلام فى موطنه وانتصر به بعد ذلك فى مواطن الفرس والروم .

فالمقابلة - إذن - تامة بين الدعوتين - وبين الرجلين .

ولكنها - عند الرجوع إلى الأسباب الأولى - مقارنة مبتورة بتبدى بد منتصف الطريق ونسب وجوه الاختلاف وهى - عند البحث عنها - أظهر من جميع هذه المشابهات . فالسيد المسيح لم يجاوز فى نشر دعوته مدى أربع سنوات ولم يبلغ هذا المدى فى رأى بعض المؤرخين .

والنبي محمد عليه السلام قضى نحو عشرين سنة ولم يبق بقية لأحد من أصحابه يتم رسالته أو يعلم المسلمين ركننا من أركان الدين لم يحفظوه من آيات القرآن ومن سنة رسوله .

وقد كان النبي عليه السلام يدعو العرب وغير العرب إلى الدخول فى دينه ، وكان يخاطب بنى اسرائيل برسالته ، كما كان يخاطب بها المهاجرين والأنصار من أبناء قومه ، وكان رسولا من الاميين إلى الاميين وإلى جميع العالمين كما علم منه أهل الكتاب والمشركون فى مكة وفى المدينة ، وفى كل مكان بلغت إليه الدعوة من الجزيرة العربية وما وراءها ،

بريد المجلة

ولا بأس بأن يحتفظ الأزهر بشئ من تقاليده التي لا تتعارض مع العلم الصحيح ، وكثيراً ما تتخلف على الجامعات العريقة ظلال طفيفة من الماضي تكون طابعا تميز شخصيتها ...

ونحن لا نقول بأن يذهب طالب التعليم العام بوضعه الراهن إلى الأزهر ، ولكن لا بد من تدعيم الجانب الإسلامى فى المناهج والمقررات ، وتخصيص شعبة من الشهادة الثانوية تؤهل لدخول الأزهر أو التعمق فى فروع الدراسات الإسلامية فى كليات

طانه تطویر الأزهر ملهم المفكرين :

قال الأستاذ فتحى عثمان فى كتابه (الفكر الإسلامى والتطور) ص ٢٥١ - ٢٦٤ :

« ... والجامعة الأزهرية ذاتها ، لماذا لا تحوى كليات للهندسة والطب والعلوم ؟؟ . إن أكسفورد وكبريدج لهما أصلهما السكسنى الدينى ، لكن هذا لم يحجزهما عن التطور ، وقديما كان الأزهر يدرس الرياضه والعلوم والفلك وفق معارف العصر ، فهل تراه ارتضى أن يسير إلى الوراء ؟ .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

والعلمية ، فقد نعلم - إذن - أن دخول الإسلام إلى فلسطين لم يكن فلتة من فلتات المصادقة العشواء ، ولكنه كان نتيجة منتظرة لمقدمات مقرررة ، وجواباً من القدر على عناد بنى إسرائيل ووفاء لوعده الله خليله إبراهيم ، مع أبناء له غير أبنائه الذين تنكروا لكل نبي من ذريته الصالحة ، من قبل موسى وهارون إلى ما بعد عيسى والحواريين .

عباس محمود العقاد

للمقابلة بين حالتين متناقضتين . إذ كانت دعوة بولس للآم بديلا من دعوة بنى إسرائيل المعرضين عنها ، وكانت قبلة بيت المقدس فى الإسلام أول قبلة أقيمت عليها الصلاة الجامعة ، ثم استقامت هذه القبلة على البيت الذى يستقبله أهل المشرق والمغرب من أمم العالمين .

وإذا انتهينا من هذه المقارنات إلى المجال الذى اختاره مؤرخو العصر ، لتحقيقاتهم

إن من التدين الصحيح أن فطلب الحق وراء كل مذهب ، وأن نلتمس الدليل الذي يظهر كل رأى - لناخذ بالاقوى أنى كان . وإن من العلم الصحيح أن يتعود أبناءنا مقارنة الحجج ومقارنة الشرائع ...

وتدريس العقائد والديانات (أصول الدين) يتورط في هذه المأخذ نفسها .. وما أحوجنا إلى دراسات مقارنة في مختلف الأديان وتاريخها ، وفي الفلسفات ومذاهب الفكر وفي الآراء المعاصرة أيضاً ... وتستطيع أن تختبر مدرسا أو واعظا ينطلق مدافعا عن الإسلام ومهاجما غيره - تختبره في الفكر اليوناني أو الفارسي ، في العهد القديم أو الجديد أو المزامير أو نشيد الإنشاد ، في البروتستنتية أو الكاثوليكية ، في الشيوعية أو الوجودية .. وتستطيع بعد الاختبار أن تطمئن إلى مدى عمق الاعتقاد والعلم عند العلماء ! إنه علم يواظن الأمور في جديلات المجسمة والمشبهة والمعطلة والجهمية ، بمن انقرض معظمهم من الوجود وأمس آراؤهم قطعة من التاريخ ... !

هذه الرابطة متى تنقضي ؟

ذكرت الصحف أن الملك سعود دعا في خطابه الذي وجهه إلى جموع الحجاج إلى إقامة رابطة إسلامية تجمع شمل المسلمين ، وتؤيد كفاح شعب الجزائر كما تؤيد قضية فلسطين .

الحقوق والآداب ، وفي هذه الشعبة التوجيهية يزود الطالب بعدة ملائمة لمثل هذه الدراسات العالية .

والطالب الأزهرى يدرس مثل زميله في التعليم المدني تقريرا مقررات الآداب والرياضة والعلوم ، وفي مقابل دراسة الطالب المدني للغة أجنبية دراسة خفيفة يدرس الطالب الأزهرى أطنانا من الفقه ، والتفسير والحديث والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والعروض والمنطق وخلافه ، وكل هذه دراسات مطولة والضغط في التعليم الأزهرى منصب على الذاكرة ، والذاكرة وحدها ! . يصل الطالب الأزهرى إلى أعلى الدرجات العلمية في دراسة الشريعة . وبجته مقصور على مذهب بعينه لا يحمده عنه ، بل على كتب معينة من كتب المذهب ، وربما لم يعرف من كتب الطبقة الأولى من أئمة المذهب إلا كلمات متناثرة في كتب المتأخرين ! فمن إذن يدرس هذه المذاهب كلها دراسة مقارنة ... ويدرسها مقارنة بالشرائع اللاتينية والجرمانية والانجلوسكونية وسائر القوانين القديمة والحديثة ؟ ؟ .

أليس الأفضل في التخصص أن يكون موضوعيا لا ذميا : في الناحية الجنائية أو المدنية أو التجارية أو الأحوال الشخصية في الناحية الدستورية أو الدبلوماسية أو الاقتصادية ؟ ؟ .

هؤلاء الطغاة الآثمين الذين شردوا الألوف المؤلفة لأن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ، ولأن عيونهم قد عميت عن الحق وآذانهم قد صمت عن الهدى ...) .

إن أربعمائة مليون مسلم أو يزيدون على ثقة من أن العقيدة الدينية أقوى الروابط لجمع شملهم ، حتى تأخذ دولتهم مكانها وسط هذا الصراع السياسى العنيف ، وكلهم أمل فى أن يحقق الله رجاءهم .

السراة

مول « فموره كفاء للعمل »

أنا معجب بما يقدمه العالم اللغوى المحقق الأستاذ محمد على النجار من لغويات يتجلى فيها سعة العلم ، ودقة الفهم ، وحسن التخرج . وقد قرأت ما كتبه فى لغويات عدد المحرم من مجلة الأزهر الغراء عن هذا التعبير : « فلان كفاء للعمل » ، فوجدته لا يطمئن إلى صحته .

والذى أراه أن التعبير صحيح على التجوز والتوسع ، فإذا صح أن نقول : فلان كفاء للخلافة ، فنصور الخلافة عروسا تنقاد لنظيرها وتخضع له ، فإنه يصح أن نقول : فلان كفاء للعمل ، فنصور العمل لإنسانا ينقاد لنظيره ، ويخضع له ، ألا ترى أنه يصح قياسا على قولنا هو كفاء للخلافة ،

ولا نتأجلنا ذرة واحدة من الشك فى أن هذه الرابطة الإسلامية أمنية كل مسلم ، بل هى أعز أمانيه على الإطلاق ... وأى مسلم لا يرجو أن تكون للسلمين رابطة قوية تأخذ بيد الشعوب المسلمة المستضعفة التى لم تزل تحت قبضة الاستعمار العاشم ، وتؤيد قيم الحق والعدل والسلام فى أركان هذا العالم المضطرب ٤٠٠٠ .

إن قضيتى فلسطين والجزائر كانتا محكا للعقيدة الإسلامية ، وبحسا لقوة رابطتها ، فالمسلمون جميعا أسهم البعض منهم فى قضيتيها وأبدى البعض الآخر استعدادا للإسهام فيها . نحن لا نريدها رابطة تبغى فى الأرض بغير الحق ، ولكن تدفع الباطل الجاثم فوق صدر الحق ، ولا نريدها رابطة تخدم الشرق أو الغرب ، ولكننا نريدها رابطة تقف عند حدود العدل .

ونحن لا نريدها رابطة ضعيفة لا تنهض بشعوب ، ولا تقوى على إقامة حق ، بل نريدها رابطة قوية ، وقوتها — كما يقول الأستاذ الأكبر — (مستمدة من مبادئنا التى ضمها كتاب الله . فلا تبقى فى أراضينا الطيبة خبثا من هؤلاء المستغلين . تنصر الحرية فى كل مكان ينشدها ويطلب حقه منها فى الحياة ، فيعود أبناؤنا وإخواننا إلى فلسطين التى ما تزال ولن تزال عنوانا صارخا على ظلم

سنة ١٠٢٠ هـ أى بعد تاريخ المخطوط أيضاً وكان يجب على ناشري المجلة وهم من أعيان الأدباء أن يتنبهوا لمثل هذا الخطأ الواضح .
٢ - فى ص ٢٦٤ ورد ذكر (القانون فى الطب) لابن سينا وذكر الأماكن التى بها نسخه المختلفة مع الإشارة إلى طبعة د بولاق ، ولم أفهم السبب فى عدم الإشارة إلى طبعة روما سنة ١٥٩٣ م أى منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف وهى من أقدم الكتب العربية المطبوعة وقد تكون أقدم ما طبع فى اللغة العربية وكان ينبغى ذكر هذه الطبعة ولا سيما أنه يوجد بمصر منها نسخ فى دار الكتب المصرية وفى بعض المكتاب الخاصة أيضاً مثل مكتبة (روضة خيرى باشا) فكان يجب ذكرها أو على الأقل الإشارة إليها مع ذكر الملاحظات التى تجعل الدكتور المنجد يغفل هذه الطبعة :

٣ - ورد فى ص ٢٨٥ كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه) وكان يجب على الدكتور المنجد ، الإشارة إلى أنه طبع فى بولاق سنة ١٣٠٩ منسوباً إلى ابن كمال باشا وهو خطأ . فابن كمال باشا ترجمه إلى التركية بأمر السلطان سليم ، كما قيل ، والسكوت عن ذلك يوم بأنهما كتابان أحدهما د للتيفاشى ، لا يزال مخطوطاً وهو الذى ذكره الدكتور المنجد والثانى لابن كمال باشا وهو الذى طبع

أن نقول هو كفى . للمهمة ؟ ولا فرق بين العمل والمهمة .

وهناك تصحيح لهذا التعبير من جهة أخرى ، وذلك أننى وجدت الرجل من العامة إذا كلف القيام بمهمة من المهام قال : د أنا قدما وقدود ، يقصد أنه نظيرها ، فإذا كانت عظيمة الشأن ، كثيرة الأعباء ، فإنه عظيم القدر ، تام المقدرة ، وإذا كلف القيام بعمل من الأعمال قال : د أنا قدما وقدود ، قاصداً هنا ما قصده هناك .

ولاجدال فى أن لعتنا الفصحى تنزع إليها اللغة العامية بمرق ، فما يوجد فى هذه ، فله أصل فى تلك .

وبعد ، فلأستاذ المحقق تقديرى وإعجابى .

ابراهيم محمد نجما

ملاحظات :

على مجلة معهد المخطوطات العربية وقع فى مجلة معهد المخطوطات العربية ما استوجب الملاحظات الآتية على الجزء الثانى من المجلد الخامس : —

١ - ص ٢٢٣ س ٤ ذكر أن نسخة من مؤلف لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني كتبت سنة ١٠٠٠ هـ أى قبل مولد المؤلف بخمس وخمسين سنة وهذا مستحيل فقد ولد سنة ١٠٥٥ هـ أما والده عبد الباقي الزرقاني فقد ولد

الثقيل بعض التراب من الأرض الواقعة أمام مسجد الطرودى .

هذا هو قطاع الدجل والشعوذة فى العاصمة الثانية للإقليم الجنونى ومهبط السياح الأجانب من كل صوب وحذب .

إن السيد محافظ القاهرة فى يناير الماضى أحدث انقلاباً حين قضى على الخرافة والشعوذة فى مولد السيدة زينب ، وجعل الاحتفال بالمولد تقديم ألوان النشاط الاجتماعى مما أثار صحيفة النيويورك تايمز فقالت :

« إن انقلاباً اجتماعياً هاماً وقع فى القاهرة ، وكانت الصحيفة تتحدث عن الاحتفال بمولد السيدة زينب ، وتساءلت : كيف أمكن للمسؤولين فى القاهرة أن يقضوا على مظاهر الشعوذة التى عاشت سنين طويلة حتى أصبحت وكأنها جزء من التراث الاجتماعى المصرى ؟ »

ونحن نقول : ماذا ستقوله هذه الصحيفة لو وقفت على الحال فى حى الأنفوشى بالإسكندرية لابد أنها ستصاب بنكسة قاسية ...

إن الخرافة والشعوذة والدجل لا زال لها مكان مرموق فى مجتمعنا ، ولا نظن أن الوعظ والتوجيه وحدهما كافيان للقضاء على هذه الطواغيت ، مالم تتحرك درة عمر رضى الله عنه . (قارى*)

مع أن ما طبع باسم ابن كمال باشا هو نفس كتاب التيفاشى . والإشارة إلى ذلك تزيل ما قد يحدث من لبس وإيهام .

عبد السلام النوار

روضة خيرى باشا

مجمع الأولياء :

قرأت فى ملحق « الجريدة الأخبار » عن الإسكندرية ، ما أثار دهشتى ، وليس وجه العجب فى أن حى الأنفوشى هناك ملتقى لزهاء ستة وعشرين ضريحاً لأولياء الله وإنما لأن هؤلاء الأولياء - كما تقول الجريدة - يعملون هذه الأشياء :

« أبو وردة » يشفى الطفل المريض بالشلل مقابل قرش واحد يوضع فى صندوق النذور « باقوت العرش » يرد للزوجة زوجها بمتته السهولة إذا وضعت قطع فضية من فئة الخمسة قروش فى الصندوق أيضاً .

« مكين الدين . نصر الدين . سيدى كاظمان » يستطيع أى منهم شفاء المريض بشرط أن يذبح فرخة سوداء منقطة بأبيض أمام باب المسجد ليأكلها خادمه بالطبيع .

« الجمرانى » يستطيع إيجاد عمل لأى عاقل مقابل فئة عدس .

« سيدى الطرودى » يطرد أى ساكن ثقيل بمنزلك بمجرد أن تضع على عتبة الساكن

اللغة العربية في مدارسنا :

لا يشك أحد في أن مستوى الطلبة في مدارسنا ضعيف في اللغة العربية قراءة وكتابة ومحادثة . ضعيف إلى الحد الذي يوجب علينا أن نتساءل في دهشة عن السبب في هذا الضعف ، وعمّا يمكن عمله لحل هذه المشكلة التي لا يصح السكوت عليها . هل السبب هو التيسير في دراسة اللغة العربية ؟ فبعد أن كانت قواعدها وسائر فروعها تدرس دراسة جدية يلتزم بها المدرس ، ومحاسب عليها الطالب ويؤخذ بيده إلى الطريق القويم بمنتهى الحرص والحزم أصبحنا الآن نجد كتب اللغة مبسطة مبسطة تنحو نحو التخفيف والسهولة ، وترشد الطالب إلى النجاح في الامتحان بأقل جهد يبذله ، وبأيسر طريق يسلكه .

وهل السبب هو السهولة التي يلجأ إليها المدرسون في الامتحانات ، فيسرفون في الدرجات حتى لا يرسب التلميذ في مادة أساسية يتخلف بسببها عاما ؟ وسواء لديهم أكتب لغة سليمة أم خليطا من العامية والعربية ، لحرام أن يرسب المسكين ، وما الذي يضير اللغة أن تكون النتيجة مائة في المائة وفي مبدأ ديسر ولا تعسر ، متسع للجميع ؟ .

وهل السبب هو تحرر مدرسي اللغة أنفسهم من التدريس بلغة عربية سليمة والتحول إلى

العامية ليفهم التلميذ ما يقولون ، ولا يتعهم في طلب المزيد من الشرح والإيضاح ؟ . لقد جربنا ذلك وكانت النتيجة أن عجمت ألسنة التلاميذ ، وظهر بجملا ضعفهم في القراءة والكتابة والحديث ، وأصبح من النادر أن نجد واحداً يستطيع أن يقرأ موضوعا أو يكتب رسالة بعربية سليمة . أم أن السبب هو العداوة التقليدية بين مدرسي المواد الأخرى واللغة العربية ؟ فهم لا يألون جهداً في التزام العامية والبعد عن العربية لأنها في رأيهم جامدة لا تسير العصر . وأصبح التلميذ الذي لا يدرس في اللغة - والحالة هذه - إلا سبوع حصص أو سنا في الأسبوع مقابل ثلاثين حصّة لسائر المواد معذوراً كل العذر إذا هو لحن فأخش في اللحن ، أو عجز عن التعبير السليم إذا أراد التعبير السليم .

بقي النشاط الذي يمارسه التلميذ خارج فصله من تمثيل وصحافة وخطابة وكان من الممكن أن يكون مجدياً ومفيداً للتلميذ ، إلا أنه في حالته الراهنة لا يخرج عن أن يكون مجرد نشاط يؤدي بأيسر السبل ، وأخف الطرق وأسهلها مثونة وتكليفاً وكفى الله المؤمنين القتال .

فإذا ما ذهب للتلميذ إلى المنزل واستمع إلى أمه وأبيه وباقى أسرته كان الحديث بلغة

الصفوة المثقفة من الجيل الصاعد ، والعدة التي ندخرها للمستقبل .

مشكلة خطيرة ولا شك ، والسكوت عنها خيانة للعربية والعرب . ومن غير « الأزهر » يقف عندها ، ويبحث في أسبابها حتى نجد إلى الخروج منها سيلاً ١٩

أصبح أصبح برر

مدرس بيور سعيد الإعدادية

حول الأولياء والقديسين :

حل البريد إلى إدارة المجلة سؤالاً من أحد القراء يسأل فيه عن رأى الإسلام فيما نشر على لسان إحدى الممثلات في مجلة آخر ساعة ، وكانت الممثلة المسئلة ذكرت أنها تستشير في كل أمورها صديقتها ومستشارها « مارجرجس » ، فذهب إلى هناك وتضى شمعاً وتقرأ الفاتحة ، ثم يأتيها مارجرجس مناماً ليدلى لها برأيه .

كما جاء على لسانها قولها : « ... وأنا من النوع الذي يتفاد بزيارة سيدنا الحسين والسيدة زينب والقديسة سانت تريزا ، وعندما أقوم بزيارتهم جميعاً أقرأ الفاتحة على ضريح كل منهم دون أن أستشعر أى حرج بالنسبة لاختلاف الدين ... » .

ونحن نحيب الأخ بأن اللجوء إلى أضرحة الأولياء والصالحين من المسلمين للتوسل بهم يرى منه بعض علماء الدين : كإبن تيمية

لأنه بالعبودية ولا تعرفها ، وما أسهل ما يتجاوب التليذ في الحديث وينسى تلك القاعدة الهزيلة التي علقت بذهنه المرفه في دروس اللغة العربية .

وكثيراً ما يجلس إلى المذياع ليستمع إلى التمثيلات والبرامج وكلنا يعرف لغتها ومستواها ، ولنا أن نحكم بعد ذلك على مقدار تأثيرها ، وكثيراً ما يتأثر بها سائر التلاميذ . وفي السينما ولا أقول المسرح يذهب التليذ وكثيراً ما يذهب ، فيستمع إلى اللغة التي يمكن أن نسميها بلا تحفظ بلغة السينما فيتأثر وغالباً ما يتأثر ، وينسى وكثيراً ما ينسى ذلك الأسلوب الغريب الذي حفظه في حصة النصوص .

كل هذا الإهمال الذي يدرج التليذ عليه من أول سنة يدخل فيها المدرسة حتى آخر سنة يتخرج فيها نجد أثره في طلبة السلكيات فنادر ما نجد طالباً في كلية نظرية - ولا أقول عملية - يستطيع أن يقرأ بإتقان قصيدة لأبي تمام أو البحتري أو المتنبي أو مقالا للجاحظ أو صاحب أو ابن العميد .

نقول هذا ولا نستطيع أن نطالب طالباً في المرحلة الثانوية بشيء من هذا وإلا كنا كمن يتطلب في الماء جذوة نار .

ونتيجة لهذا كله نجد الشكوى من خريجي الجامعات لا تنقطع ، والحديث عن مستواهم العلمي والأدبي لا يهدأ ، وهم كما نعرف

والاستمساك به كما هو ثابت في اللغة ،
فسارعنا - في ملحق أضفناه للكتاب - نسجل
له هذا السبق ، على أننا زدنا عليه أن بسطنا
المسألة ، ودعمناها بالأدلة القائمة على أساس
من علم الأجنة ، ووضحناها بعدد من الرسوم
لاغنى عنها لبيان المعنى وبحسنا تركيب الدم
السائل والدم الجامد ، ثم بحثنا تركيب العلقه
وبينا اختلاف التركيبين بحيث يستحيل تفسير
العلقه بالدم الجامد . وهي كلها مباحث لاتجدها
في كتاب الدكتور وصفي الذي صدر أخيراً
بعنوان « القرآن والطب » .

أضف إلى هذا أننا خالفنا الدكتور في
مسألتين جرحه ريتين كنا نود أن يشير إليهما
الأستاذ الناقد .

والخلاف بيننا وبين الطبيب الفاضل
يدرر حول كنهه العلوق من الناحية الطبية ،
وما يتبع هذا من تفسير طوري النطفة والعلقه .
فالنطفه في رأينا هي الطور الأول من
أطوار الجنين ، الذي ينشأ من اتحاد الحيوان
المنوي ببويضة المرأة . . . والنطفه في رأى
الطبيب الفاضل هي الحيوان المنوي وحده ،
قبل أن يتحد ببويضة المرأة .

والعلقه في رأينا هي الطور الثاني من أطوار
الجنين ، حيث يعاق الجنين بجدار الرحم ثم
يغوص فيه . . والعلقه في رأى الطبيب الفاضل
هي هذا الطور من أطوار الجنين الذي يعلق فيه
الحيوان المنوي ببويضة المرأة فيكون التلقيح !

ومحمد بن عبد الوهاب والإمام محمد عبده ،
لأن الله وحده هو الذي يجيب المضطر إذا
دعاه فكيف بالتوسل بأضرحة غير المسلمين ؟ .

حول كتاب بحوث في تفسير القرآن :

في مقال نشر في عدد المحرم ، عرض
الأستاذ محمد عبد الله السمان لكتابنا الجديد
« بحوث في تفسير القرآن » ، وقال : إن الكتاب
لم يأت بجديد ! واحتج لذلك بأن تقريرنا
لأسبقية نزول مطالع العلق ليس بجديد ،
إذ سبقنا الكثير من المفسرين إلى تقرير
هذه الحقيقة !

وأحب أن : أذكر الأستاذ الناقد بشيء
هو أن الباحث قد يعرض لحقيقة مقررة
ككروية الأرض ولا يكون مقلداً ، فقد
يؤكد هذه الحقيقة بأدلة جديدة ، تكاد تعدل
في جدتها وقيمتها اكتشاف الحقيقة نفسها .
ونحن حين بحثنا الترتيب التاريخي لسورة
العلق لم نقل إن مطالع العلق أول ما نزل
ونسكت ، ولم ننقل ما احتج به أصحاب هذا
الرأى لحسب . . . ولو فعلنا لكنا مقلدين
أو مجرد ناقلين ؛ ولكننا سبقنا من الأدلة
ماهدانا إليه تفكيرنا الخاص .

هذا وقد تبين لنا بعد أن تم طبع الفصل
الرابع أن الدكتور محمد وصفي قد سبقنا إلى
رفض تفسير العلق بالدم الجامد ، وإلى اعتبار
العلقه من العلوق وهو التشبث بالشئ

بشركة الشعرلى بالقاهرة ومختوم بختم الشيخ عامر عثمان عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف به خطأ فى أرقام آيات سورة الشعراء فأيات هذه السورة (٢٢٧) آية كما هو معروف . وأرقام الآيات صحيحة إلى آخر قوله تعالى :

« ولو نزلناه على بعض الأعجمين ١٩٨ ، فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين ١٩٩ ، كذلك سلكتناه فى قلوب المجرمين ٢٠٠ . والواجب أن يكون رقم آية : « لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم » ٢٠١ إلا أنه أثبت رقم ١٠١ بدلا من ٢٠١ واستمر هذا الخطأ إلى آخر السورة التى آخرها رقم ٢٢٧ ولكنه أثبتته ١٢٧ . فخرجوا نفاذ ذلك فى المستقبل حفظاً لكتاب الله وعليكم سلام الله . »

فتى عبد الحالى المصرى

طالب بمعهد سمود الدينى

وقد - بينا بالأدلة القاطعة صدق ما ذهبنا إليه فى ملحق الحقناه بالكتاب (١) . . ولكن الناقد الفاضل لم يشرف فى نقده إلى هذا الخلاف . ولم يخل هذا الفصل أيضا من مبحث مستقل عن العلاقة فى الحديث (١) ، هو فى جوهره جديد ، لأننا بحثناه فى ضوء العلم الحديث ، وهو شىء لا يجده فى كتابنا من كتب التفسير أو الحديث .

والفصل الخامس تفسير جديد لقوله : « اقرأ وربك الأكرم » ، بينا فيه اختلاف مدلول القراءة فى الآية التالية عن مدلولها فى الآية الأولى على وجه لم نسبق إليه بحيث لا يبدو لمعنى القراءة فى الآيتين صفة التكرار كما بدا لكثير من المفسرين !

م . جمال الدين عباد

خطأ فى ترتيب آيات المصحف :

تحت يدى الآن مصحف شريف مطبوع

(١) من ١٥٩ .

(٢٤) من ٧ .

تصويب فى الجزء السابع

سقط سموا جزء من الآيتين الكریمتین انواردين بالسطر ٢٢ من النهر الأول صفحة ٥٤ من الجزء السابق ونعيد نشرهما هنا كاملتين . :

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكون من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني برىء مما تشركون ... الخ

الكتاب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — فلسفة تاريخ محمد :

للعامة محمد جميل بهم

أستاذنا العلامة الكبير من العلماء المحققين في لبنان ، وعن لهم هناك يد طول في نشاط الحركات الإسلامية والفكرية والاجتماعية ، ومؤلفاته التاريخية والفلسفية والاجتماعية التي تبلغ ثمانية عشر مؤلفاً لها مكان في مكتبة المثقف الناضج .

ومؤلفه الأخير دراسات واعية لها تقديرها تناولت : شخصية محمد - صلوات الله عليه - بين خصومه وأنصاره في الكتلتين الغربية والشرقية ، أحداث العالم الفكرية والدينية التي تقدمت الإسلام ومهدت له ، العناصر الداخلية الدينية والأدبية التي تقدمت الإسلام أيضاً ومهدت له ، العناصر السياسية والدينية والقومية والاقتصادية التي وفرت الأسباب لنجاح الإسلام ، نبوة محمد ورسالاته ، تطور العلاقات بين محمد وأهل الكتاب ، وتطورها

بينه وبين الدول ، كيف أسهمت شخصيته - صلوات الله عليه - في انصار الإسلام ، نفوذ محمد الروحي ، أثر الإسلام في اكتساب الناس ، على أي شيء قام دين محمد ؟ بمجمل العوامل التي مهدت للرسول ولانتصار رسالته . هذه فصول الكتاب التي تناولها أستاذنا بالدراسة والتحليل ، وأضنى عليها من منطق التاريخ ما أكسبها جانباً كبيراً من التقدير . . فهو لم يعرض علينا هذه الدراسات عرضاً تاريخياً مفصلاً ، دون أن يناقش الآراء الأجنبية - غربية كانت أو شرقية - هذه الآراء التي حاولت جاهدة أن تعرض بشخصية الرسول لتتألم منها ، أو تعرض بنبوته لتشكك فيها .

فأستاذنا يذكر في مقدمة كتابه أن الحافظ علي تأليفه كتاب دعاية للغرب تحت عنوانه : « الإسلام في نظر الشيوعية والشيوعيين » ، وقد استعان مؤلفه بنشره ترجمة كتاب صدر عن موسكو عام ١٩٥٦ بقلم . أ. كليموفتش

الشرقية الوافدة من الشيوعية ، والغربية الوافدة من عقلية الحروب الصليبية ، كنا نود أن يكون لمناقشة هذه وتلك نصيب أكبر في مساحة هذا الكتاب الجليل ..

٢ - الأسرة في الاسهوم :

للأستاذ مروض عوض إبراهيم

المؤلف من شباب العلماء ، وهو مبعوث الأزهر في لبنان ، وكتابه ليس مجرد آيات من القرآن عرضها عرضاً ، ولا مجرد أحاديث فبوية سردها سرداً ، ولكنه في الواقع مناقشة سادها الألق الواسع ، والقراءات الكثيرة لا في أمهات الكتب الدينية وحدها بل في المراجع الصحفية التي تناولت مقالاتها شئون الأسرة .

تناول الكتاب الزواج كأساس للأسرة ، والطلاق وتعدد الزوجات وتحديد النسل ، كشكلات تعوق استقرارها ، والتبني والتربية الجنسية والتلقيح الصناعي ، كقضايا كثر الجدل فيها وفي مسألة عمل المرأة واشتراكها في الحياة العامة ، يذكر فضيلة المؤلف : أن الإسلام يقرر حق المرأة في العلم ، وحقها في العمل وإن احتاج كلاهما إلى الآخر ، ويستشهد ببعض البحوث الاجتماعية في أمريكا وأوروبا التي اتجهت أخيراً إلى رجوع المرأة إلى البيت ، فيذكر لنا رأى الدكتورة إيدا إيلين التي قالت فيه نتيجة بحث قامت به :

بعضوان : الإسلام . وينقله تنفا من الموسوعة الروسية الصادرة عن موسكو عام ١٩٥٤ ، والأمر الذي أثار اهتمام أستاذنا هو أن المؤلفين الأجانب دائبون على النيل من الرسول استناداً إلى الصورة المزورة التي وضعها له بعض أصحاب السير على شكل لا يتفق مع صورته الحقيقية .

في البحث الأخير نفى أستاذنا أن يكون دين محمد قد قام على السيف كما يراه الأعداء من المستشرقين وغيرهم ، أو أنه قام على المعجزات التي كدسها له في كتبهم أمثال : البهيقي وأبي نعيم والقاضي عياض .

فالرسول اختار السيف ليدافع عن دعوته ، بعد ثلاث عشرة سنة قضاه في مكة مسالماً محتملاً لصنوف من الأذى والاضطهاد ، على أنه - صلوات الله عليه - وإن كان قد اضطر إلى إظهار السيف إلا أنه قد كان حريصاً أيضاً على اجتناب العدوان وعلى ألا تكون له المبادرة في امتشاق الحسام .

ويرى أستاذنا أن محمداً أتيح له الفوز استناداً إلى مؤهلاته الخاصة وإلى عوامل طبيعية مختلفة داخلية وخارجية ، منها ما يرجع إلى زمان سابق لزمانه ، ومنها ما كان معاصراً له .

إن بحوث الكتاب امتازت بالمسحة التاريخية ، وكنا نود أن يكون لمناقشة الآراء المفتراة :

في الفلسفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتطور نظام الدولة الإسلامية الأولى ، والفكر الإسلامى المبكر ، وقضية المرأة ، ورواد الفكر الحر المتطور من أمثال : الأفغانى — محمد عبده — رشيد رضا — الكواكبي .

وفي خاتمة الكتاب قدم الأستاذ فتحى بحثاً عن المستقبل تناول فيه الأزهر والجامعات ، وما يلفت النظر إليه أن المؤلف كأنما كان يتنبأ بقانون تنظيم الأزهر الذى صدر أخيراً فهو يقول بعد أن دعا إلى توحيد المرحلة الأولى من التعليم كله ، وأن يكون للدين قسط واف حتى لا يكون التوحيد على حساب الثقافة الإسلامية ، ثم يترك الطالب يختار بعد أن ينضج ويتميز ، فإن صار طبيباً أو مهندساً كان على علم بأصول دينه ، وإن اختار التعمق في الدراسات الإسلامية كان على معرفة بعلم الكون والحياة ، يقول بعد ذلك في صفحة ٢٥٣ :

« والجامعة الأزهرية ذاتها ، لماذا لا تحوى كليات للهندسة والطب والعلوم . . . إن أكسفورد وكبرج لها أصلها الكفى الدينى ، لكن هذا لم يحجزهما عن التطور ، وقد يما كان الأزهر يدرس الرياضة والعلوم والفلك وفق معارف العصر ، فهل تراه ارتضى أن يسير إلى الوراء ؟ .

« إن سبب الازمات العائلية في أمريكا وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة ، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق ، . وفي تحديد النسل يقول المؤلف : « إن الإسلام لا يقره كبدأ وقاعدة لا يحيد الناس عنها ، ولكنه يبيح التحكم في النسل وتحديد عدد بل ومنعه عند الداهية القاهرة .

إلا أن المؤلف كان يرجع في استشهاده بالأحاديث النبوية إلى الكتب المجمعة للأحاديث ، ككتب التفسير ، وإحياء علوم الدين للغزالي ، ونيل الأوطار للشوكاني وغيرهما دون ما نظر إلى درجة هذه الأحاديث من حيث الصحة والضعف والوضع . .

٣ - الفكر العلمى والتطور :

للأستاذ محمد فتحى عثمان :
الأستاذ المؤلف معروف لدى قراء هذه المجلة بمجوه ودراساته التى يقدمها من آن إلى آخر على صفحاتها .

وكتابه الجديد هذا دراسات عميقة واعية عن تطور الفكر الإسلامى ، جاء أشعة تكشف عن مجالات التطور فى ديننا ، ليكون المؤمن فى رحلة الحياة على بصيرة من حقيقة الدين وطبيعة الوجود . .

تناول الكتاب قضايا كبرى أثارها الفيلسوف إقبال ، وجنات تنتظر السداد

من القطع الكبير ، جمع فأوعى من الموضوعات الشاملة الجامعة ، التي يراها فضيلة المؤلف : بحوثاً دينية في المشكلات العالمية ، ومحاضرات شعبية وخطابة دينية . شيخنا المؤلف مدرس وخطيب مسجد أولاد عنان بالقاهرة ، ومن علماء الأزهر القلائل الذين يؤدون رسالة شعبية في مجتمع القاهرة الصاخب اللاغب ، جاء كتابه أقساماً : قسم العقائد ، وقسم العبادات ، وقسم المعاملات ، وقسم المحاضرات الإرشادية والوعظية ، وختم الكتاب بتلخيص لكتاب العلم يدعو إلى الإيمان ، للكاتب الأرمبكي ، كرليس موريسون .

في هذا الكتاب تقرأ عن التوبة والتوسل وزهد الولاة والإسلام في نظر المستشرقين والمتشابه والمحكم ، كما تقرأ رأي الإسلام في الأزياء الحديثة ، التلقيح الصناعي ، الوجودية ، التدخين ، البهائية ، القاديانية . إن شيخنا يؤدي خدمة للعامة ببحوثه وكتبه الدينية ، وهم في مسيس الحاجة إلى الأسلوب السهل المبسط ، الذي تنجذب إليه العواطف ، ويتيسر فهمه للأذهان ، وهضمه للعقول .

عبد الله السهام

ولا بأس بأن يحتفظ الأزهر بشيء من تقاليد التي لا تتعارض مع العلم الصحيح ، وكثيراً ما تتخلف على الجامعات العريقة ظلال طفيفة من الماضي تكون طابعاً يميز شخصيتها ، ويوم يكون الأزهر جامعة متطورة فإنه يستحق استقلالاً كاستقلال الجامعات ، ليعلن رأيه العلي وقد توفرت له الحصانات والضمانات

وفي مقدمة الكتاب رسم المؤلف المنهج الذي يقترحه في دراسة الفقه الإسلامي لإحيائه وللنهضة به نهضة علمية في ضوء القانون المقارن ، يعني في هذه الدراسة بأمرين جوهرين : ندرس نشأة الفقه دراسة دقيقة ، وتدرس مذاهب الفقه الإسلامي : السني والشيعي والخارجي والظاهر وغيرها دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة . والكتاب بعد ذلك ثمرة قراءات كثيرة دينية وغير دينية ، والمؤلف من المعنيين بالدراسات الإسلامية ، والغيورين على فكرة الإسلام ، وقد تكون في الكتاب بعض الآراء التي لا نتفق معه فيها ، أرجو أن تتاح فرصة أخرى لمناقشتها .

٤ - البيان في نصيب الإيمان :

لفضيلة الشيخ إبراهيم محمد عبد الباقي :
هذا كتاب يقع في زهاء خمسمائة صفحة

قانون الأزهر الجديد

كما أقرته مجلس الأمة

العصور إلى اليوم، وقد اكتسب اسم الأزهر بذلك قدسية، واكتسب المنتسبون إليه احتراماً، وصار رأيه هو الرأى فى كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة، وصار هو الجامعة الإسلامية الكبرى فى الشرق والغرب، لا يطلب أحد علوم الإسلام إلا عن طريق الأزهر، ولا تتجه قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى معهد يفد إليه أولادهم للفوز من أسباب المعرفة غير الأزهر.

على أن التزام الأزهر الوقوف قروناً طويلة فى وجه كل محاولات العدوان قد ألزمه نوعاً من المحافظة لعلها كانت بعض خصائص الموقف الدفاعى الذى التزمه خلال تلك القرون، فلما نشطت الحياة حوالية وزالت الأسباب التى كانت تضطره إلى المحافظة والتزم، لم يجد الوسيلة الملائمة التى تعينه على الحركة المتجددة التى تلائم بينه وبين عصره مع احتفاظه بخصائصه وقيامه بواجبه لحياطة الدين والمحافظة على تراث الإسلام، من ذلك أن خرجيه لم يزالوا حتى اليوم — فيما يريدون لانفسهم أو فيما يصفهم غيرهم — رجال دين، لا يكادون يتصلون بعلوم الدنيا

وافق مجلس الأمة على القانون الجديد لتنظيم الأزهر وتطويره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته، عالج القانون مشكلات الأزهر فى صميمها.

المذكره الادبائيه :

لقد قام الأزهر بدور عظيم فى تاريخ العلم، وفى تاريخ الإسلام، وفى تاريخ العروبة. وفى تاريخ الكفاح القومى على توالى العصور ووقف قمة شاحنة فى وجه كل المحاولات التى قصد منها استمبادنا والسيطرة علينا وتحطيم كياناتنا القومى والروحى.

وكانت التقاليد العلمية فى الأزهر أساساً للنظام الجامعى والتقاليد الجامعية فى كل بلاد الدنيا، فهو أقدم جامعة فى العالم وإن لم يكن اسمه بين أسماء جامعاتنا.

ومن علم الأزهر شع نور الإسلام فى بلاد كثيرة من إفريقيا ومن آسيا وزاد عدد المسلمين عشرات الملايين. وكانت بعوث الأمم المختلفة إلى الأزهر سبباً لتوثيق علاقاتنا ببلاد كثيرة وشعوب متعددة منذ أقدم

بلغت من ذلك مبلغا ما حين أوقعت في أذهان كثير منهم أن الإسلام عبادة وقرى إلى الله وفناء في الله ، وأن العمل للحياة شيء آخر يختلف عن الدين أو يتعارض مع الدين . وربما أوقعت في أذهان بعضهم كذلك أن المذاهب الاجتماعية المستحدثة تضمن للبشر سعادة ورفاهية لا يكفل مثلها الإسلام ، وربما لا يكفلها غير الإسلام من الأديان السماوية . وفي كثير من البلاد التي تخلصت حديثا من ربقة الاستعمار رغبة في التخطيط والعمل والإنشاج في مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض ، وهي حين تلتبس الخبراء في كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تمكاد تجد إلا أجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو من غير المواطنين ، وحين تلتبس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تمكاد تعرف أين توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة وهي عناصر ثلاثة ضرورية لتشكل هذه البلاد نهضتها وتمضي في وجهها على الطريق السوى . وإذا كان الأزهر وحده هو المعهد أو الجامعة التي يحرص المسلمون وراء الحدود على أن يعد فيه أبنائهم لهذه المسؤوليات فقد كان من الطيبى أن يكون نظام الأزهر وعلوم

اتصال النفع والانتفاع ، والإسلام في حقيقته الأصلية لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا ، لأنه دين اجتماعي ينظم سلوك الناس في الحياة ليحيوا حياتهم في حب الله عاملين مؤثرين في المجتمع في ظل طاعة الله ، ولأن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا ، فكل مسلم يجب أن يكون رجلا دين ورجلا دنيا في وقت معا ، والله في يقين المسلم أقرب إليه من جبل الوريد ، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، فليس في حاجة إلى شفيع أو وسيط يقربه إليه .

على أن العالم الإسلامى اليوم قد انفسح مداه واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديدة ووضعته الظروف السياسية التي تمر به موضع الاختبار في مجالات شتى . وأكثره قد خرج منذ قريب من تحت النير الاستعماري وفي نفوس أهله آمال ضخمة لاستكمال أسباب تحرره ونهضته والارتفاع بمستوى معيشته .

وكافت الثقافات الاستعمارية تحاول طوال السنين التي يسيطر فيها الاستعمار على العالم الإسلامى أن تلون أفكار أهله وعقائدهم وأن تضع في نفوسهم موازين جديدة وقيا جديدة يمكن أن تباعد بينهم وبين الإسلام . فلولاً طبيعة المقاومة في نفوس المسلمين لسحقهم المحاولات المتوالية خلال تلك السنين وأخرجتهم عن دينهم ، ولعلها قد

أو أن يكون سبباً للتعطل والضياع في المجتمع ، وسبيل ذلك أن تتطور معاهد الدراسات الإسلامية العالية بحيث تواجه احتياجات النهضة فلا تقتصر على الدراسات الدينية بل يجب أن تجمع إليها علوماً أخرى تتحقق بها لكل خريج الخبرة والمعرفة وسلامة العقيدة ليؤد هؤلاء الخريجون إلى مراكز القيادة في كل مجال من مجالات النشاط في العالم الإسلامي المنحصر .

هذه الحقائق المسلم بها لا تكاد تجد لها صورة صحيحة في خريجي الأزهر لمصرنا ، ومن ثم كان نوع من الانفصال بينهم وبين المجتمع الذي يعيشون فيه . ونشأت مشكلة تعطل كبيرة بين هؤلاء الخريجين زادتهم انفصالاً عن المجتمع . وأعقبت هذه المشكلة آثاراً كبيرة في نفوس الأزهريين وفي نفوس الشعب جميعاً ، كما كان لها أثرها في قوة العقيدة في نفوس هؤلاء وأولئك ، أما في نفوس الأزهريين فذلك أن خريج الأزهر حين يتعطل يمكن أن يقع في وهم أحد أمرين : إما أن عالم الدين مآله التعطل والهوان ، فيصيبه وهن العقيدة قبل أن يصاب غيره ، وإما أن الدولة لا تعترف به والشعب يحاربه ، فيعتزل الدولة والمجتمع .

وأما في نفوس الشعب فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا من صورة عالم

الأزهر بحيث تعد هؤلاء الخبراء مستكلمين لكل العناصر التي تهيمهم لحل أعباء النهضة في بلادهم .

ولكن الأزهر إذ يعد علماء في الدين وفي لغة القرآن لم يتهياً بعد لتأهيل العالم الديني المتخصص في عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التي تحتاج إليها نهضة المسلمين في كل البلاد . وحين قذبت بعض البلاد الإسلامية إلى هذه الحقيقة المؤسفة خولت بعثاتها كلها أو بعضها إلى الجامعات المدنية في الجمهورية العربية المتحدة أو في غيرها من البلاد ، عاد إليها مبعوثوها بعد إتمام دراستهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين ، في حين يعود المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظاً كبيراً ، ولكنهم لا يحسنون عملاً ولا يطبقون إنتاجاً ولا يقدرون على المشاركة في لون من ألوان النهضة التي أشرنا إليها آنفاً . وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية في كثير من بلاد العالم الإسلامي وتعثرت النهضة في تلك البلاد .

ومن حسن الحظ أن يجمع كل أهل الغيرة في كل البلاد الإسلامية على رأى واحد في هذه المشكلة هو أن يعرف عالم الدين علوماً أخرى يعيش بها ويشارك بها في النهضة ليرتفع مقام الدين عن أن يكون حرفة

الدين ، فإذا كان عالم الدين على ما وصفنا
فما أسرع أن يرين الشك على بعض القلوب
وتفسد بعض العقائد .

من ذلك أو من بعضه يكون وهن العقيدة
وتكون بعض صور الانقسام في المجتمع ،
ويكون تعقد نفوس كثيرة ، ويكون سوء
ظن بعض المواطنين ببعض ، وسوء رأى
بعض المواطنين في بعض .

ويمكن أن نلاحظ مثل هذا الشعور في بلاد
أخرى وراء حدود وطننا ، إذ كان مآل
كثيرين من المبعوثين من تلك البلاد إلى الأزهر
بعد أن عادوا إلى بلادهم مثل مصير خريجي

الأزهر في بلادنا . فانتقلت هذه الآثار إلى
مجتمعاتهم وكاد مجتمعهم يفقد ثقته بالأزهر ،
ويوشك هذا الشعور إن عم أن يقطع كثيراً
من الأواصر بيننا وبين تلك البلاد .

من أجل ذلك جميعه كان لابد من تجديد
الأزهر وتطويره والاعتراف بمكانته وأثره
مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته
التي استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا
وعلى العلاقات الوثيقة بيننا وبين إخوان لنا
في شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة .

وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض
منذ أكثر من نصف قرن ، ولكنها جميعا
لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحارل علاجها

جذريا ، فكانت قشور من الإصلاح لعل
بعضها كان أساساً أثراً .

ولعلاج المشكلة من صميمها كان لابد من
تقرير مبادئ لتكون أساسا لكل محاولة
إصلاح .

وعلى أساس المبادئ التي انتهينا إلى تقريرها
كان مشروع الإصلاح الذي يتضمنه هذا
القانون . وهذه المبادئ هي :

أولاً : أن يبقى الأزهر أون يدعم ، ليظل
أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة في الشرق
والغرب .

ثانياً : أن يظل كما كان منذ أكثر من ألف
سنة حصناً للدين والعروبة ، يرتقى به الإسلام
ويتجدد ويتجلى في جوهره الأصيل ويتسع
نطاق العلم به في كل مستوى وفي كل بيئة ويزداد
عنه كل ما يشوبه وكل ما يرمى به .

ثالثاً : أن يخرج علماء قد حصلوا كل ما يمكن
تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل ما يمكن
من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج في كل
مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون
كل حرفتهم أو كل بضاعتهم هي الدين .

رابعاً : أن تتحطم الحواجز والسدود بينه
وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى ونزول
الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين في كل
مستوى ، وتكافأ فرصهم جميعا في مجالات
العلم ومجالات العمل .

وتتابع تنفيذ سياسة البحث وسياسة التعليم في أجهزته المختلفة ، ويرأسها الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ويشترك في عضويتها إلى جانب الكبار من العلماء - متخصصون وذوو خبرة في التعليم وفي الإدارة .

وأما مجمع البحوث الإسلامية فوضع نظامه بحيث يكون هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ، يقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث ، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع فطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة وبيان الرأي فيها يحد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجعل من مهمة هذا المجمع كذلك أن يتتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي من بحوث الأجانب ودراساتهم ، للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد . كما يقوم المجمع على رسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامي ومن العالم الإسلامي ، كما يعاون في توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية في جامعة الأزهر والإشراف عليها والمشاركة في امتحاناتها ، وجعلت شروط

خاصة : أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين في جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية وبين سائر المتعلمين في الجامعات والمدارس الأخرى - مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التي يمتاز بها الأزهر منذ كان - لتحقيق لحرى يحيى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين أبناء الوطن ، ويتحقق بهم للوطن والعالم الإسلامى نوع من التخرجين مؤهل للقيادة في كل مجال من المجالات الروحية والعلمية .

سادسا : أن توحيد الشهادات الدراسية والجامعية في كل الجامعات ومعاهد التعليم في الجمهورية العربية المتحدة .

على أساس هذه المبادئ أعد مشروع القانون المرافق لتنظيم الأزهر فاحتفظ له بكيانه وصفته وخصائصه العلمية ، وجعلت الهيئات التي يتكون منها خمسا هي :

١ - المجلس الأعلى للأزهر .

٢ - مجمع البحوث الإسلامية .

٣ - إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .

٤ - جامعة الأزهر .

٥ - المعاهد الأزهرية .

أما المجلس الأعلى للأزهر ، فهو الهيئة التي تحمل مسؤوليات التوجيه في كل شئون الأزهر وتخطط لأنواع النشاط في هيئاته المختلفة ،

إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية والعربية والأجنبية . وقد نص القانون في المادة ٣٤ على السكليات التى تشملها جامعة الأزهر وهى :

كليات الدراسات الإسلامية ، وكلية الدراسات العربية ، وكلية المعاملات والإدارة . وكلية الهندسة والصناعات ، وكلية الزراعة ، وكلية الطب ، مع النص على جواز إنشاء كليات أخرى كلما دعت الحاجة ، وطبيعى أن هذه السكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للسكليات القائمة الآن فى الأزهر أو فى الجامعات الأخرى ، إذ لا بد أن تتحقق لها مع صفتها للامامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر ، بحيث يكون فيها إلى جانب الدراسات الفنية الخاصة ، دراسات إسلامية ودينية تتحقق بها للطالب ثقافة دينية عميقة وواعية إلى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤه فى السكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى ، وبحيث تتاح لخريجها بعد الحصول على درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) من أى كلية من كلياتها دراسة عليا فى مادة التخصص أو فى مادة من مواد الدراسات الإسلامية والعربية العالية للحصول بها على درجة التخصص أو العالمية

العضوية فى هذا المجمع بحيث تضم أصلح العناصر لأداء مهمته .

وأما إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية فهى الجهاز الذى يهيم لمجمع البحوث الإسلامية كل أنساب البحث والدراسة فى الموضوعات التى تتصل باختصاصاته ، كما تقوم بالإعداد والتحضير لهذه البحوث والدراسات وتحمل المسؤولية الكاملة للتابعة والتنفيذ ، وتضع نتائج هذه البحوث والدراسات مرضع الانتفاع العام ، سواء فى المجالات الثقافية العامة أو فى فروع الدراسات الأزهرية . وتقوم هذه الإدارة كذلك على إعداد مشروعات البعث من الأزهر وإليه ، وتحمل مسؤولية التنفيذ بالنسبة لهذه البعث وتقوم نتائجها .

وأما جامعة الأزهر فقد وضع مشروعها على أساس أن تختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر ، وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه ، كما تهتم ببعث التراث العلى والفكرى والروحى للشعوب الإسلامية والعربية ، وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى التفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية تؤهلهم للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدرة الطيبة والدعوة

يكون منهم في مجلس الجامعة ثلاثة من أعضاء هذا المجمع ، مع احتمال زيادة عددهم ببعض الأعضاء الذين يمثلون هيئات أخرى من الأزهر أو من خارجه .

وإذ كان المأمول أن تكون بعض أنواع الدراسة في كليات جامعة الأزهر على هذا الأساس نموذجاً لنوع من الدراسات يلائم رغبات كثير من المواطنين ، لتحقيق بها لأبنائهم معارف وثقافات دينية وقومية وكان من المتوقع لذلك أن يقبل بعض خريجي المدارس الثانوية على هذه الكليات ، فقد حرص مشروع القانون على مواجهة هذا الاحتمال باشتراط أداء الطلاب الذين لم تنهياً لهم فرصة الدراسة في المعاهد الأزهرية امتحان معادلة يؤهلهم لمتابعة الدراسة في هذه الكليات مع زملائهم من خريجي المعاهد الأزهرية .

وأما المعاهد الأزهرية ، فإنه لكي يعد لسكليات الجامعة الأزهرية على اختلافها طلاب على حفظ من الثقافة الإسلامية والعربية لا يقل عن حفظهم منها في الوقت الحاضر ، إلى جانب المعارف والخبرات التي تتيح لهم الاستمرار في الدراسات الجامعية على الوجه الذي وصفناه ، وضع نظام المعاهد الثانوية والابتدائية للأزهر ، بحيث ينتهي فيها الطلاب إلى جانب دراساتهم الدينية والعربية للحصول على الشهادات الإعدادية والثانوية

(الماجستير أو الدكتوراه) في مادة الدراسة ، وليس مثل هذا النظام مستحدثاً في تاريخ الأزهر والجامعات الإسلامية ، فإن أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة في الماضي كانوا علماء في الدين ، منهم ابن سينا والفارابي وابن الهيثم وجابر بن حيان وآخرون ...

ولابد أن يكون لكل كلية من هذه الكليات أقسام مختلفة تختص بها أو تشارك فيها مع غيرها من الكليات لتوزيع الدراسات وتوزيع الخريجين إلى أكثر مما يدل عليه عدد هذه الكليات .

وإذ كانت جامعة الأزهر هي جامعة المسلمين من كل بلد منذ كانت ، فقد نصت المادة الثامنة والثلاثون على أن تتساوى فرص القبول في كلياتها والأقسام الملحقة بها للطلاب المسلمين من كل بلد .

ورعاية للصفة الخاصة لجامعة الأزهر ، رؤى أن تستقل عن الجامعات الأخرى في الجمهورية العربية المتحدة ، بتبعية لها لرياسة الجمهورية ، مع الحرص على التنسيق بينها وبين الجامعات الأخرى بقدر ما تقتضيه الصفة الخاصة بالأزهر وأغراض الدراسة فيه .

وحرص القانون على أن يكون أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ممثلين في مجلس الجامعة بالقدر الذي يتيح لهم أن يوجهوا الدراسات الإسلامية في الكليات المختلفة ، فتقرر أن

وإدارتها ليتحقق بهذا التعاون نوع من الثقة يدعم قيمة الشهادات التي يحصل عليها الطلاب من هذه الأقسام .

وقد واجه مشروع القانون مرحلة الانتقال بين وضع الأزهر وكياناته والأقسام الملحقة به في الوقت الحاضر . ووضعها المنتظر بعد التطبيق الكامل لهذا القانون فنص على إنشاء دراسات إضافية في الأقسام الثانوية والابتدائية منذ الموسم الدراسي المقبل لتهيئة تلاميذ هذه الأقسام الحاليين للحصول على شهادات معادلة تتيج لهم الانتفاع بمزايا هذا القانون في أسرع وقت ممكن . كما حرص على الملاءمة بين وضع الطلاب الحاليين في الكليات الأزهرية وبين مقتضيات تطبيق القانون .

كما نص مشروع القانون على أن يحتفظ للعلماء الموظفين الآن والمدرسين في أقسام الأزهر وأعضاء هيئات التدريس في الكليات الأزهرية الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء ، ولطلاب الأزهر الحاليين ، بكل الحقوق المالية المقررة لهم فلا تتأثر هذه الحقوق بشيء . نتيجة لتطبيق هذا القانون . سواء في المرتبات أو في المعاشات ومدة الخدمة . أو غير ذلك . لتكون النظم المستحدثة في هذا الشأن بغير أثر رجعي .

ولكيلا يتضمن القانون تفصيلات يضخم بها رؤى أن يقتصر على الخطوط الرئيسية

بأنواعها المختلفة ، لتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ في مدارس الدولة فيحصل تلميذ القسم الابتدائي على الإعدادية العامة ، أو الإعدادية الفنية ، إلى جانب ما درس من علوم الدين واللغة ، ويحصل تلميذ القسم الثانوي على الثانوية العامة بأحد قسميها الأدبي أو العلمي ، أو على الثانوية الفنية بأنواعها من زراعية أو صناعية أو تجارية أو غير ذلك ، إلى جانب ما درس كذلك من علوم الدين أو اللغة ، وبهذا يتاح لكل تلميذ في هذه الأقسام أن يوجه حياته الوجهة التي يريد والتي تلائم ميوله واستعداده ، فإن شاء خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب بعد كل مرحلة ، وإن شاء استمر في الدراسة مرحلة أخرى أو مرحلتين ليخرج بعدها مؤهلاً للعمل والكسب ، وإن شاء تحول إلى المدارس الأخرى يتم فيها دراسته وفق ميوله ورغباته ، وتجد كليات جامعة الأزهر في النهاية طلاباً يجمعون بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ولهم كل الأهلية لمتابعة الدراسة الجامعية في كليات جامعة الأزهر أو في غيرها من الكليات ومعاهد الدراسة العالية .

وقد حرص القانون في هذه الناحية على أن يكون التعاون كاملاً بين وزارة التربية والتعليم والإدارة المختصة بالإشراف على هذه الأقسام

الباب الأول في الأحكام العامة

مادة ٢ - الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره في تقدم البشر ورفق الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس في الدنيا والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمي والفكري للأمة العربية ، وإظهار أثر العرب في تطور الإنسانية وتقدمها ، وتعمل على رقي الآداب وتقديم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والإنسانية والقيم الروحية ، وتزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالمختصين وأصحاب الرأي فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتخريج علماء عاملين مثقفين في الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح ، كفاية علمية وعملية ومهنية ، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة في كل أسباب النشاط والإنتاج والريادة والتقدم الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة في الدعوة إلى

لتنظيم ، على أن تتضمن اللائحة التنفيذية التي يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية كل التفاصيل التي توضح الصورة وتيسر التنفيذ .

وإذ كانت تفاصيل المشروع قد أحيل أكثرها على تلك اللائحة التنفيذية ، فقد نص المشروع على ألا يتأخر صدور هذه اللائحة عن تاريخ معين ، لتهيأ الأخذ في أسباب التنفيذ الكامل للمشروع قبل ابتداء الموسم الدراسي المقبل .

والمشروع معروض رجاء الموافقة على إصداره :

وزير الدولة

كمال الدين محمود رفعت

قانون الأزهر

باسم الأمة

رئيس الجمهورية :

قرر مجلس الأمة القانون الآتي نصه وقد أصدرناه :

مادة ١ - تستبدل النصوص المرافقة بأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له ويظل كل ما يخلفه من القوانين .

وذلك دون إخلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق والاختصاصات المقررة في اللوائح والقوانين .

مادة ٧ — يكون للأزهر وكيل يختار من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة . ويعين بقرار من رئيس الجمهورية ، فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضواً في هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها . ويعاون الوكيل شيخ الأزهر ويقوم مقامه حين غيابه .

هيئات الأزهر :

- مادة ٨ — يشمل الأزهر الهيئات الآتية :
- ١ — المجلس الأعلى للأزهر .
 - ٢ — مجمع البحوث الإسلامية .
 - ٣ — إدارة للثقافة والبحوث الإسلامية .
 - ٤ — جامعة الأزهر .
 - ٥ — المعاهد الأزهرية .

الباب الثاني

المجلس الأعلى للأزهر

مادة ٩ — يكون للأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر ، ويتكون على الوجه الآتي :-

شيخ الأزهر وله رئاسة المجلس .
وكيل الأزهر .

سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية ومقره القاهرة ، ويتبع رئاسة الجمهورية .

مادة ٣ — يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر .

مادة ٤ — شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام ، وله الرئاسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية في الأزهر وهيئاته ويرأس المجلس الأعلى للأزهر .

مادة ٥ — يختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة في أعضاء هذه الهيئة . ويعين بقرار من رئيس الجمهورية فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضواً في تلك الهيئة صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها .

مادة ٦ — يكون للأزهر شخصية معنوية عربية الجنس ويكون له الأهلية الكاملة للمقاضاة وقبول التبرعات التي ترد إليه عن طريق الوقف والوصايا والهبات بشرط ألا تتعارض مع الغرض الذي يقوم عليه الأزهر .

وشيخ الأزهر هو الذي يمثل الأزهر ويكون له حق مقاضاة نظار الأوقاف التي للدرسين أو الموظفين أو الطلاب نصيب فيها ،

التعليمية في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية واقتراح المواد والمقررات التي تدرس لتحقيق أغراض الأزهر .

٣ - النظر في مشروع ميزانية هيئات الأزهر وإعداد الحساب الختامي .

٤ - اقتراح إنشاء الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية .

٥ - قبول الأوقاف والوصايا والهبات مع مراعاة أحكام المادة (٦) من هذا القانون .

٦ - النظر في كل مشروع قانون أو قرار جمهوري يتعلق بأى شأن من شئون الأزهر .

٧ - النظر في منح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح الكلية أو الجامعة .

٨ - تشكيل اللجان للفنية الدائمة أو المؤقتة من بين أعضائه أو من غيرهم من المتخصصين لبحث الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

٩ - تدبير أموال الأزهر واستثمارها وإدارتها .

١٠ - النظر فيما يعمد إليه هذا القانون أو غيره من القوانين والقرارات واللوائح وفيما يعرضه عليه شيخ الأزهر ، وفي كل ما يرى المجلس فائدة في بحثه من المسائل التي تدخل في اختصاصه .

مادة ١١ - لا تنفذ قرارات المجلس الأعلى للأزهر فيما يحتاج إلى قرار من الوزير المختص

مدير جامعة الأزهر .

عمداء الكليات بجامعة الأزهر .

أربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية بناء على ترشيح شيخ الأزهر لمدة سنتين .

أحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من كل من وزارات الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة ، يصدر بتعيين كل منهم قرار من الوزير الذى يمثل وزارته في المجلس .

مدير الثقافة والبعوث الإسلامية .

مدير المعاهد الأزهرية .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة في شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به ، يكون أحدهم على الأقل من أعضاء المجلس الأعلى للجامعات في الجمهورية العربية المتحدة ، ويعينون بقرار من الوزير المختص بعد أخذ رأى المجلس ، وبناء على ترشيح شيخ الأزهر وذلك لمدة سنتين .

مادة ١٠ - يختص المجلس الأعلى للأزهر بالنظر في الأمور الآتية : -

١ - التخطيط ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق الأغراض التي يقوم عليها الأزهر ويعمل لها في خدمة الفكرة الإسلامية الشاملة .

٢ - رسم السياسة التعليمية التي تسيير عليها جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية والأقسام

وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وتعاون جامعة الأزهر في توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية والإشراف عليها والمشاركة في امتحاناتها .

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون

واجبات بجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذي يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه .

مادة ١٦ — يتألف بجمع البحوث الإسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الإسلام ، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ١٧ — يشترط في عضو المجمع :

١ - ألا تقل سنه عن أربعين سنة .
٢ - أن يكون معروفا بالورع والتقوى في ماضيه وحاضره .

٣ - أن يكون حائزا لأحد المؤهلات العلمية العليا من الأزهر . أو إحدى الكليات أو المعاهد العليا التي تهتم بالدراسات الإسلامية .

٤ - أن يكون له إنتاج علمي بارز في الدراسات الإسلامية ، أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الإسلامية في كلية أو معهد من معاهد التعليم العالي لمدة أدناها ٥ سنوات أو شغل إحدى الوظائف الإسلامية في القضاء أو الإفتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات .

إلا بعد صدور هذا القرار - فإذا لم يصدر منه قرار في شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة .
مادة ١٢ — يكون للجلس الأعلى للأزهر أمين عام ، يصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية .

مادة ١٣ — يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مرتبات شيخ الأزهر ووكيله وأمين المجلس الأعلى للأزهر ومكافآت أعضائه .

مادة ١٤ — يكون للجلس جهاز يتابع تنفيذ مقرراته ويرأسه الأمين العام للجلس .

الباب الثالث

مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة

والبحوث الإسلامية :

مادة ١٥ — بجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجربتها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي ، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة

إذا اقتضت الظروف ذلك بموافقة الوزير المختص وبناء على اقتراح شيخ الأزهر ويكون اجتماع المؤتمر صحيحا في الحالتين بحضور أكثرية أعضائه ، بشرط أن يكون من بينهم ربع الأعضاء غير المواطنين على الأقل .

مادة ٢٣ - يكون للجمع أمانة عامة دائمة يرأسها أمين عام ويشغل هذا المنصب مدير الثقافة والبعوث الإسلامية بشرط أن تحقق فيه شروط العضوية المنصوص عليها في المادة ١٧ من هذا القانون ، ويصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية . بناء على عرض الوزير المختص وبموافقة شيخ الأزهر ويكون الأمين العام للجمع بمقتضى قرار التعيين عضوا في الجمع ما دام شاغلا لهذه الوظيفة .

مادة ٢٤ - تتألف الأمانة العامة للجمع من الأمين العام ، وأمين مساعد أو أكثر ، وعدد من الموظفين اللازمين لتصريف الشؤون الفنية والإدارية للجمع ومباشرة تنفيذ قراراته طبقا لما تبينه اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٢٥ - تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة ، في نطاق أغراض الأزهر ، وعليها إلى ذلك تنفيذ مقررات

ويعتبر الأعضاء الحاليون في جماعة كبار العلماء - في حكم هذا القانون - مستوفين لهذا الشرط .
مادة ١٨ - يعين بقرار من رئيس الجمهورية أعضاء مجمع البحوث الإسلامية في أول تشكيل له - بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من شيخ الأزهر .

ويكون شيخ الأزهر رئيسا لهذا المجمع .
مادة ١٩ - يكون نصف أعضاء المجمع هلى الأقل متفرغين لعضويته ، وتبين اللائحة التنفيذية واجبات العضو المتفرغ والمضو غير المتفرغ .

مادة ٢٥ - هيئات المجمع هي :
(أ) مجلس المجمع : ويتألف من الرئيس ، والأعضاء المتفرغين ، والأعضاء غير المتفرغين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ، والأمين العام للجمع .
(ب) مؤتمر المجمع ويتألف من كل أعضاء المجمع .

(ج) الأمانة العامة للجمع .
مادة ٢١ - يجتمع مجلس المجمع مرة في كل شهر على الأقل - ولا يكون اجتماعه صحيحا إلا بحضور أكثرية أعضائه .

مادة ٢٢ - يجتمع مؤتمر المجمع اجتماعا عاديا مرة في كل سنة . وتستمر دورة اجتماعه أربعة أسابيع للنظر في جدول أعمال السنة ويجوز أن يدعى المؤتمر إلى اجتماع غير عادى

المجمع ونشر بحوثه ودراساته وتجميع ما يلزمه من البيانات لهذه الدراسات .
وتبين اللائحة التنفيذية لهذا القانون تفصيل ذلك ووسائل تنفيذه .

مادة ٢٦ — يختار مؤتمر المجمع بالأغلبية المطلقة بناء على ترشيح اثنين من الأعضاء ، أعضاء مراسلين من مواطني الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم في تحقيق أغراضه ويصدر باعتماد عضويتهم قرار من الوزير المختص .

مادة ٢٧ — يجوز منح لقب عضو فخري لأعضاء المجمع السابقين ، أو لمن يؤدي للإسلام خدمات عليية ذات أثر ، ويصدر بمنح هذا اللقب قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من مؤتمر المجمع .

مادة ٢٨ — يؤلف المجمع من أعضائه لجائنا لتحقيق أغراضه المنصوص عليها في هذا القانون وفي اللائحة التنفيذية .

مادة ٢٩ — يجوز دعوة الأعضاء المراسلين والأعضاء الفخريين إلى جلسات المجمع بموافقة الوزير المختص بناء على قرار مجلس المجمع .
مادة ٣٠ — تسقط عضوية المجمع في إحدى الحالات الآتية :

(١) إذا صدر ضد العضو حكم ماس بالشرف والأمانة .

(ب) إذا وقع من العضو ما لا يلائم صفة العضوية ، كالظن في الإسلام ، أو إنكار ما علم منه بالضرورة ، أو سلك سلوكا ينقص من قدره كعالم مسلم ، ويكون سقوط العضوية في هذه الحالة بقرار مسبب يصدره المجمع بأغلبية الثلثين من أعضائه ويعتمده الوزير المختص .

(ج) إذا عجز العضو عن مباشرة أعماله لمرض أو ظروف أخرى ، ويكون سقوط العضوية في هذه الحالة بقرار جمهوري بعد موافقة المجمع .

(د) إذا تقرر قبول استقالته ، أو اعتبره المجمع مستقلا بتخلفه عن حضور جلسات المجمع ، وفقا لما تفصله اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٣١ — إذا خلا مكان عضو من أعضاء المجمع لأي سبب من الأسباب السابقة أو غيرها ، انتخب المجمع العضو الذي يخلفه من بين المرشحين للعضوية ويتم الترشيح بتزكية اثنين من الأعضاء ، ولا تكون جلسة الانتخاب صحيحة إلا إذا حضرها الثلثان على الأقل من أعضاء المجمع ، ويكون انتخاب المرشح صحيحا إذا حصل على أكثرية أصوات الحاضرين بشرط ألا يقل عددهم عن نصف العدد الكلي لأعضاء المجمع ويكون التصويت سرا ، ويصدر باعتماد العضوية قرار من

الدنيا للشاركة في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، في داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية .

مادة ٣٤ — تتكون جامعة الأزهر من الكليات الآتية :

- ١ — كليات للدراسات الإسلامية تحدد هدفها اللائحة التنفيذية .
 - ٢ — كلية الدراسات العربية .
 - ٣ — كلية المعاملات والإدارة .
 - ٤ — كلية الهندسة والصناعات .
 - ٥ — كلية الزراعة .
 - ٦ — كلية الطب :
- ويجوز إنشاء كليات أخرى أو معاهد عالية بقرار من رئيس الجمهورية .
- وتتكون كل كلية من عدد من الأقسام العملية يتولى كل قسم منها تدريس المواد التي تدخل في اختصاصه ويقوم على بحوثها في الكلية أو في غيرها من كليات الجامعة ومعاهدها وتعين هذه الأقسام بقرار من الوزير المختص . ولا يجوز أن تتكرر الأقسام المتأثلة في كليات الجامعة

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون الأقسام التي تتبع كل كلية من هذه الكليات

رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص .

مادة ٣٢ — يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مكافآت المتفرغين وغير المتفرغين من أعضاء المجمع ، كما يحدد مكافآت أعضاء اللجان من غير أعضاء المجمع الذين قد يستعان بهم لخدمتهم .

الباب الرابع

جامعة الأزهر :

مادة ٣٣ — تختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالي في الأزهر والبحوث التي تتصل بهذا التعليم أو ترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتحليلته ونشره . وتؤدي رسالة الإسلام إلى الناس وتعمل على إظهار حقيقة وأثره في تقدم البشر وكفالة السعادة لهم في الدنيا وفي الآخرة كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمي والفكري والروحي للأمة العربية . وتعمل على تزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه في العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للشاركة في كل أنواع النشاط ، والإنتاج والريادة والقُدوة الطيبة وعالم

- وأنواع الدراسات بها والدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة من هذه السكليات .
- مادة ٣٥ - يجوز أن تنشأ بقرار من الوزير المختص معاهد تابعة للسكليات إذا كانت الدراسة فيها تتصل بأكثر من قسم من الأقسام ، وتسرى على هذه المعاهد الأحكام الخاصة بأقسام السكلية .
- مادة ٣٦ - يجوز أن تلحق بكليات الجامعة أو بعضها مدارس تعليمية لمواد أو دراسات تتصل بأغراض الأزهر ، مثل مدرسة تجويد القرآن الكريم وتعليم القراءات ، أو أقسام الإرشاد العامة المنشأة لمراجعة حاجات الذين يريدون التزويد من المعارف الدينية والعربية وغيرها من فئات الشعب . ولا تنطبق على هذه المدارس والأقسام شروط الدراسة الجامعية ، وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل بها .
- مادة ٣٧ - اللغة العربية هي لغة التعليم في جامعة الأزهر ، ما لم يقرر مجلس الجامعة في أحوال خاصة استعمال لغة أخرى .
- مادة ٣٨ - تساوى فرص القبول للتعليم بالجان في كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد ، في حدود الإمكانيات والميزانية والأعداد المقرر قبولها ، وفقاً لما تقتضيه اللائحة التنفيذية .
- وتنظم الدراسات الخاصة لطلاب البعوث من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة ، ليتأهلوا لمتابعة الدراسة في السكليات والمعاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب .
- مادة ٣٩ - يتولى إدارة جامعة الأزهر : -
- ١ - مدير جامعة الأزهر .
 - ٢ - مجلس الجامعة .
- مادة ٤٠ - يتولى إدارة كل كلية : -
- ١ - عميد الكلية .
 - ٢ - مجلس الكلية .
- مادة ٤١ - يكون تعيين مدير الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية ، بناء على ترشيح الوزير المختص واقتراح شيخ الأزهر ويشترط فيه أن يكون قد شغل أحد كراسى الأستاذية بجامعة الأزهر أو إحدى الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة .
- مادة ٤٢ - يتولى مدير الجامعة إدارة شئون الجامعة العلمية والإدارية والمالية . وهو الذي يمثلها أمام الهيئات الأخرى ، وهو مسئول عن تنفيذ القوانين واللوائح في الجامعة وقرارات مجلس الجامعة في حدود هذه القوانين واللوائح وله في حالة الإخلال بالنظام أن يقف الدراسة كلها أو بعضها . على أن يعرض قرار الوقف على مجلس الجامعة خلال ثلاثة أيام .

ممثل لوزارة التربية والتعليم يختاره الوزير من بين كبار موظفيها .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يرشحهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من الوزير المختص ، وذلك لمدة سنتين .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة في شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به ، يعينون بقرار من الوزير المختص وذلك لمدة سنتين .

مادة ٤٨ - يختص مجلس جامعة الأزهر بالنظر في الأمور الآتية :

١ - وضع خطط الدراسة .

٢ - وضع النظام العام للدروس والمحاضرات والبحوث والأشغال العلمية وتوزيع الدروس والمحاضرات بالكليات .

٣ - تعيين مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة .

٤ - شروط قبول الطلاب في الجامعة ونظام تأديبهم .

٥ - المكافآت والإمانات المالية على اختلاف أنواعها .

٦ - إدارة حركة الامتحانات وتشمل مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم .

٧ - منح الدرجات العلمية والشهادات .

مادة ٤٣ - يقدم مدير الجامعة إلى شيخ الأزهر في نهاية كل سنة جامعية تقريراً عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحي النشاط الأخرى بالجامعة .

مادة ٤٤ - يكون لجامعة الأزهر وكيل يعاون المدير في إدارة شئونها العلمية والإدارية والمالية ، ويقوم مقامه عند غيابه . ويكون تعيين وكيل الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص واقتراح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر . ويشترط فيه ان يكون قد شغل أحد كراسى الأسانذية بجامعة الأزهر أو بإحدى الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٤٥ - يكون للجامعة أمين يعين بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص بعد استطلاع رأى مدير الجامعة .

مادة ٤٦ - يدير الأمين العام للجامعة الأعمال المالية والإدارية بالجامعة تحت إشراف مدير الجامعة ووكيلها ، ويكون مسئولاً عن تنفيذ القوانين واللوائح في حدود اختصاصه .

مادة ٤٧ - يتكون مجلس جامعة الأزهر على الوجه الآتى :

مدير الجامعة : وله رئاسة المجلس .

وكيل الجامعة .

عمداء الكليات .

٢١ - الموضوعات التي يحيلها عليه الوزير

المختص أو شيخ الأزهر .

٢٢ - الموضوعات الأخرى التي تتصل

باختصاص الجامعة وفقا لهذا القانون .

يؤلف مجلس الجامعة من بين أعضائه ومن

غيره من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين

لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لبحث الموضوعات

التي تدخل في اختصاصه .

مادة ٤٩ - لمجلس الجامعة أن يلغى القرارات

الصادرة من مجالس الكليات أو المعاهد

التابعة للجامعة إذا كانت مخالفة للقوانين

واللوائح أو القرارات التنظيمية التي تعمل

بها الجامعة .

مادة ٥٠ - لا تنفذ قرارات مجلس الجامعة

فيما يحتاج تنفيذه في هذا القانون أو في اللائحة

التنفيذية إلى تصديق من شيخ الأزهر أو من

الوزير المختص إلا بعد صدور قرار التصديق .

فإذا لم يصدر قرار في شأنها خلال الستين يوما

التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه

تكون نافذة .

مادة ٥١ - يعين الوزير المختص عميد الكلية

من بين أساتذة الكلية بناء على ترشيح مدير

الجامعة وموافقة شيخ الأزهر ويكون العميد

مسؤولا عن تنفيذ القوانين واللوائح الجامعية،

وكذلك عن تنفيذ قرارات مجلس الكلية

ومجلس الجامعة ، في حدود هذه القوانين

٨ - تنظيم الشؤون الاجتماعية للطلاب .

٩ - وضع اللوائح الخاصة بالمتاحف

والمكتبات ومساكن الطلاب وغيرها من

المنشآت الجامعية .

١٠ - تتبع النشاط العلمي للكليات والمعاهد

والتنسيق بين الدراسات والبحوث القائمة بها .

١١ - تنظيم البحث العلمي وتوفير الإمكانات

اللازمة له

١٢ - إنشاء كراسي الاستاذية .

١٣ - تعيين أعضاء هيئات التدريس بالجامعة

ونقلهم وإيفادهم للدراسات العلمية .

١٤ - نذب أعضاء هيئة التدريس وإعارتهم .

١٥ - إعداد مشروعات الميزانية والحساب

الختامي .

١٦ - إقامة أبنية الجامعة وترميمها .

١٧ - منح العالمية الفخرية للجامعة أو إحدى

كلياتها بناء على اقتراح مجلسها وبموافقة المجلس

الأعلى للأزهر ، ويصدر بذلك قرار من

رئيس الجمهورية .

١٨ - إبداء الرأي فيما يتعلق بجميع مسائل

التعليم في درجاته المختلفة .

١٩ - الترخيص لمدير الجامعة في إجراء

التصرفات القانونية .

٢٠ - وقف الدراسة بالكليات ومعاهد

الجامعة .

الطلاب ونظام الدروس والمحاضرات والأعمال الجامعية الأخرى .

٢ - وضع مناهج الدراسة وبرامجها والتنسيق بينها في الأقسام المختلفة وتوزيع الدروس والمحاضرات على أعضاء هيئة التدريس .

٣ - تنظيم البحوث العلمية وتنسيقها بين أقسام الكلية .

٤ - وضع نظام الامتحان وتوزيع أعماله على هيئة الممتحنين .

٥ - تقديم اقتراحاته إلى مجلس الجامعة بخطط الدراسة ومواعيد الامتحان وشروط منح الدرجات العلمية ابدلومات والشهادات .

٦ - رعاية الشؤون الاجتماعية والرياضية للطلاب .

٧ - تقديم ما يراه من الاقتراحات إلى مجلس الجامعة في شأن تيسير التعليم والنظام في الكلية .

٨ - الأمور الأخرى التي يختص بها وفقاً للقانون .

ويؤلف المجلس من بين أعضائه وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لدراسة الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

مادة ٥٦ - أعضاء هيئة التدريس في الجامعة هم :

(١) الأسانذة .

واللوائح، ويقدم العميد إلى مدير الجامعة في كل سنة جامعية تقريراً عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحي النشاط بالكلية .

مادة ٥٢ - يكون لكل كلية وكيل يعاون العميد في أعماله ويقوم مقامه عند غيابه ، ويكون تعيينه من بين أسانذة الكلية بترشيح من العميد وقرار من مجلس الجامعة

مادة ٥٣ - يكون تعيين كل من العميد والوكيل لمدة سنتين .

مادة ٥٤ - يؤلف مجلس الكلية من : عميد الكلية .

رؤساء الأقسام بالكلية .

أحد الأسانذة من كل قسم .

وللوزير المختص بناء على اقتراح الجامعة أن يضم إلى مجلس الكلية عضواً أو عضوين من الخارج ممن لهم دراية خاصة في المواد التي تدرس في الكلية ، ويكون التعيين لمدة سنتين ، وتكون رئاسة المجلس اعميد الكلية وعند غيابه للوكيل .

ويشترك رؤساء الأقسام التي تقوم بأعباء التدريس بكلية غير الكلية التابعة لها في مجلس هذه الكلية عند النظر في المسائل الداخلة في اختصاص أقسامها .

مادة ٥٥ - يختص مجلس الكلية بالنظر في الأمور الآتية :

١ - وضع القواعد المتعلقة بمواظبة

التمرينات والدروس العملية وسواها من الأعمال تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس وبالأعمال الأخرى التي يكلفهم بها العميد وتحدد اللائحة التنفيذية شروط تعيينهم .

مادة ٦١ - مرتبات مدير الجامعة ووكيلها وأعضاء هيئة التدريس والمعيدين وقواعد تطبيقها ومكافآت الأساتذة غير المتفرغين يحددها الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٦٢ - مع مراعاة أحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية : -

(١) يطبق مجلس الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين اللوائح الخاصة بأعضاء هيئة التدريس، وتكون قراراته في ذلك نهائية ونافذة .

(ب) يطبق مدير الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين القواعد المالية العامة المعمول بها في حق جميع الموظفين والمستخدمين في الدولة على المعيينين وعلى سائر الموظفين بالجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس ، إلا أنه في الحالات التي توجب القوانين إصدار قرار من رئيس الجمهورية يتعين إرسال القرارات إلى الوزير المختص لاتخاذ اللازم في شأنها .

مادة ٦٣ - للجامعة في حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على شهادة الدراسة

(ب) الأساتذة المساعدون .

(ج) المدرسون .

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون شروط تعيينهم ونقلهم وندبهم وإعارتهم وإجازاتهم العلمية والإجازات الاعتيادية والمرضية وغير ذلك من شئون الوظيفة ، كما تحدد اللائحة واجباتهم والنظم التأديبية الخاصة بهم وجدول مرتباتهم .

مادة ٥٧ - يجوز أن يعين في هيئة التدريس مسلمون من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة ممن تؤهلهم كفاياتهم لذلك لمدة معينة ويكون التعيين بقرار من الوزير المختص بناء على طلب الجامعة .

مادة ٥٨ - يجوز الاستعانة بأساتذة مسلمين من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة بصفة زائرين لمدة معينة ويكون ذلك بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٥٩ - يجوز أن يعين مدرسو لغات وموظفون فنيون مسلمون من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة لمدة معينة ويكون تعيينهم بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٦٠ - يجوز أن يعين في السلكية معيّدون يقومون بالدراسات والبحوث العلمية وبما يعهد إليهم القسم المختص من

وذلك فيما يختص بتعيينهم وتأديبهم وإنهاء خدمتهم وإجازاتهم وترقياتهم وغير ذلك من شئونهم الوظيفية ، ويكون للأمين العام للجلس الأعلى للأزهر وللأمين العام للبحوث الإسلامية وللأمين العام للثقافة والبعوث الإسلامية وللمدير المعاهد الأزهرية سلطة مدير المصلحة بالنسبة للموظفين التابعين لكل منهم ولوكيل الجامعة سلطة وكيل الوزارة بالنسبة للموظفين التابعين له وللمدير الجامعة سلطة الوزير فيما يختص بموظفي الجامعة طبقاً لما تحدده اللائحة التنفيذية .

مادة ٦٧ — إذا نسب إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ما يوجب التحقيق معه طلب مدير الجامعة إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى الكليات أو طلب إلى النيابة الإدارية مباشرة التحقيق ويقدم عن التحقيق تقرير إلى مدير الجامعة ، وإلى الوزير المختص إذا طلبه - ويحيل مدير الجامعة العضو المحقق معه إلى مجلس التأديب إن رأى محلاً لذلك .

مادة ٦٨ — لمدير الجامعة أن يوقف أى عضو من أعضاء هيئة التدريس عن عمله احتياطياً إذا اقتضت مصلحة التحقيق معه ذلك . ولا يجوز أن تزيد مدة الوقف على ثلاثة أشهر إلا بقرار من المحكمة التأديبية ويترتب على وقف عضو هيئة التدريس عن عمله وقف صرف مرتبه ابتداء من اليوم الذى

الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين فى وظائف مدرسي اللغات إذا كانت لدى المرشح إجازات عليية أخرى تعتبر كافية بالنسبة إلى الوظيفة التي سيعين فيها .

مادة ٦٤ — لمدير الجامعة إعفاء الموظفين من شروط اللياقة الطبية كلها أو بعضها بعد أخذ رأى اللجنة الطبية العامة والقومسيون الطبي العام .

مادة ٦٥ — تكون الإجازات الاعتيادية السنوية لموظفي الجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس فى أثناء العطلة الصيفية فيما عدا المعاهد التى تكون طبيعة العمل فيها مختلفة فتحدد الإجازات فى هذه الحالة بقرار من مدير الجامعة بعد أخذ رأى عميد الكلية المختص .

وبحسب منح الموظف أجازة اعتيادية بمرتب كامل لتأدية فريضة الحج وذلك مرة واحدة خلال مدة خدمته .

قانونه التوظيف :

مادة ٦٦ — فيما عدا أعضاء هيئة التدريس فى كليات الجامعة ، ومع مراعاة أحكام هذا القانون يطبق على الموظفين فى الأزهر بجميع هيئاته القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفي الدولة فى الإقليم المصرى والقوانين المعدلة له .

وتسرى بالنسبة للمحاكمة أحكام القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٥٨ على أن تراعى بالنسبة للتحقيق والإحالة إلى مجلس التأديب أحكام المادة ٧٦ من ذلك القانون .

مادة ٧٢ - العقوبات التأديبية التي يجوز توقيعها على أعضاء هيئة التدريس هي :

١ - الإنذار

٢ - توجيه اللوم

٣ - توجيه اللوم مع تأخير العلاوة المستحقة .

٤ - العزل من الوظيفة مع الاحتفاظ بالمعاش أو المكافأة .

٥ - العزل مع الحرمان من كل أو بعض المعاش أو المكافأة وفقاً للقوانين واللوائح المعمول بها في هذا الشأن .

وكل فصل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الإسلام ، أو يمس دينه ونزاهته يكون جزاؤه العزل .

مادة ٧٣ - تنقضى الدعوى التأديبية باستقالة عضو هيئة التدريس وقبول مجلس الجامعة لها وموافقة الوزير المختص وذلك فيما عدا الحالات التي نصت عليها القوانين واللوائح الخاصة بالخالفات المالية ولا تأثير للدعوى التأديبية في الدعوى الجنائية والدعوى المدنية الناشئتين عن الواقعة ذاتها

أوقف فيه ، ما لم يقرر مجلس التأديب صرف المرتب كله أو بعضه بصفة مؤقتة إلى أن يقرر عند الفصل في الدعوى التأديبية ما يتبع في شأن المرتب عن مدة الوقف سواء بمحرمان عضو هيئة التدريس منه أو بصرفه إليه كله أو بعضه .

مادة ٦٩ - يعلن مدير الجامعة عضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب ببيان اللهم الموجهة إليه وبصورة من تقرير التحقيق وذلك بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم وصول قبل الجلسة المعنية للمحاكمة بعشرين يوماً على الأقل .

مادة ٧٠ - لعضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب الاطلاع على التحقيقات التي أجريت وذلك في الأيام التي يعينها مدير الجامعة .

مادة ٧١ - تكون محاكمة أعضاء هيئة التدريس بجميع درجاتهم أمام مجلس تأديب يشكل من : -

وكيل الجامعة رئيساً .

مستشار من مجلس الدولة .

أستاذ من إحدى كليات الجامعة يعينه مجلس الجامعة سنوياً .

ويحل أقدم العمداء محل وكيل الجامعة عند غيابه .

رابعاً : درجة العالمية أو الدكتوراه في أى الدراسات العليا من أى الكليات الأخرى .
مادة ٧٦ - تبين اللائحة التنفيذية تفصيل الدرجات العلمية والإجازات التى تمنحها جامعة الأزهر والشروط اللازمة للحصول على كل منها، ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية التعديل فى الدرجات العلمية بالإضافة أو بالحذف ويكون ذلك بناء على عرض الوزير المختص وبعد أخذ رأى مجلس الجامعة وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه .

مادة ٧٧ - تبين اللائحة التنفيذية مناهج الدراسة والمقررات التى تدرس لنيل الدرجات العلمية والإجازات والشهادات التى تمنحها جامعة الأزهر كما تبين كيفية توزيعها على سنى الدراسة وفصولها الدراسية .

ومجلس الجامعة بناء على طلب الكلية أو المعهد وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه أن يعدل فى هذه المناهج والمقررات بالإضافة أو بالحذف إذا اقتضت مصلحة التعليم ذلك .

مادة ٧٨ - تنظم اللائحة التنفيذية الامتحانات، ولا تمنح الدرجات العلمية أو الأجازات العالية أو الشهادات إلا من نجح فى جميع الامتحانات المقررة لكل منها :

مادة ٧٩ - يشترط لنجاح الطالب فى الإمتحانات أن ترضى لجنة الامتحانات عن فهمه وتحصيله فى كل مقررات الدراسة، وذلك وفقاً لأحكام اللائحة التنفيذية .

مادة ٧٤ - لمدير الجامعة أن يوجه تنبيهاً إلى أعضاء هيئة التدريس الذين يخلفون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفاً لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين ، ويكون التنبيه شفهاياً أو كتابياً وله توقيع عقوبتى الإنذار وتوجيه اللوم المنصوص عليهما فى المادة ٧٢ ، أو يطلب نقلهم إلى وظائف أخرى خارج نطاق الأزهر وذلك كله بعد سماع أقوال عضو هيئة التدريس وتحقيق دقاعه . ويكون قراره فى ذلك مسلياً ونهائياً وعلى عميد كل كلية أن يبلغ مدير الجامعة كل ما يقع من أعضاء هيئة التدريس فى كليته من إخلال بواجباتهم أو بمقتضيات وظيفتهم .

مادة ٧٥ - تمنح جامعة الأزهر الدرجات العلمية الآتية وفقاً لأحكام اللائحة التنفيذية :
أولاً : درجة الإجازة العالية للكلديات ، وتصادل الليسانس أو البكالوريوس فى الجامعات الأخرى بالجمهورية العربية المتحدة .
ثانياً : درجة التخصص فى دراسة من الدراسات المقررة فى إحدى الكليات وتعادل درجة الماجستير .

ثالثاً : درجة العالمية فى أى الدراسات الإسلامية أو العربية من إحدى كليات الدراسات الإسلامية والدراسات العربية للحاصلين على الإجازة العالية منهما أو من غيرها من الكليات : وتعادل درجة الدكتوراه .

الأزهرية المذكورة في اللائحة التنفيذية ، ويجوز أن تنشأ معاهد أخرى بقرار من الوزير المختص بعد موافقة المجلس الأعلى للأزهر .

وتسمى الأقسام الابتدائية منها المعاهد الاعدادية للأزهر وتسمى الأقسام الثانوية المعاهد الثانوية للأزهر .

مادة ٨٤ — تقوم مدارس تحفيظ القرآن مقام مدارس المرحلة الأولى بالنسبة للطلاب المتقدمين إلى المعاهد الإعدادية للأزهر .

وتحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول وشروطه بالنسبة للبتقدمين من تلاميذ هذه المدارس ومن غيرها .

مادة ٨٥ — الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافي من الثقافة الإسلامية ، وإلى جانبها المعارف والخبرات التي يتزود بها نظراءهم في المدارس الأخرى المماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها وإعدادهم الإعداد الكامل للدخول في كليات جامعة الأزهر ولتتأهلهم جميعاً فرص متكافئة في مجال العمل والإنتاج ، كما تتأهلهم الفرص المتكافئة للدخول في كليات الجامعات الأخرى في الجمهورية العربية المتحدة وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالي .

مادة ٨٦ — مدة الدراسة في المعاهد الاعدادية للأزهر أربع سنوات ، يعد فيها

مادة ٨٠ — لمجلس الجامعة بناء على طلب مجلس الكلية أو المعهد أن يعنى طالب الأجازة العالمية من المقررات الدراسية كلها أو بعضها مقررات السنة النهائية ، إذا ثبت أنه حضر مقررات دراسية تعادلها في كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة .

وللمجلس أن يعفيه كذلك من امتحانات النقل كلها أو بعضها إذا ثبت أنه أدى بنجاح امتحانات تعادلها في كلية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة .

وللمجلس أن يعنى طالب الدراسات العليا من بعض المقررات الدراسية ومن امتحاناتها إذا ثبت أنه حضر مقررات ماثلة في كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما أو أدى بنجاح الامتحانات المقررة .

مادة ٨١ — يشترط في قيد الطالب للتحضير لدرجة التخصص أو لدرجة العالمية أن يحصل على إذن من مجلس الكلية في متابعة الدراسات والبحوث الخاصة بالدرجة .

مادة ٨٢ — يشترط في رسالة العالمية :
١- الدكتوراه ، أن تكون عملاً ذا قيمة علمية يشهد للطالب بكفاياته الشخصية في بحوثه ودراساته ويأتى للعلم بفائدة محققة .

ويشارك بجمع البحوث الإسلامية في الموضوعات التي تتصل باختصاصه .

الباب الخامس

المعاهد الأزهرية

مادة ٨٣ — تلحق بالأزهر المعاهد

مادة ٨٩ — لل حاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر حق الدخول في إحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها وفق قواعد القبول التي يقرها مجلس الجامعة ، ولهم إلى ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى الكليات المختلفة في الجامعات الأخرى ، وإلى سائر الكليات ومعاهد التعليم العالي وفقا للقواعد المقررة لذلك . كما يجوز لل حاصلين على الشهادة العامة من المدارس الثانوية العامة أن يطلبوا الالتحاق بإحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها بعد النجاح في امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر .

مادة ٩٠ — مع مراعاة أحكام المواد ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ من هذا القانون تحدد لللائحة التنفيذية المواد التي تدرس في كل من المعاهد الإعدادية والثانوية للأزهر بناء على اقتراح لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم . كما تحدد لللائحة التنفيذية شروط القبول والنظام العام للدراسة والامتحانات في هذه المعاهد .

مادة ٩١ — يكون للمعاهد الأزهرية إدارة عامة مهمتها الإشراف والإدارة وعلى وزارة التربية والتعليم تقديم المعونة اللازمة في هذا الشأن مع الاستعانة بالأجهزة المختصة بوزارة التربية والتعليم . وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا

التعليم إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية .

مادة ٨٧ — مدة الدراسة في المعاهد الثانوية في الأزهر خمس سنوات يعد فيها التليذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الثانوية العامة بأحد قسميها العلمي والأدبي ، أو للحصول على الشهادة الثانوية الفنية بأحد أنواعها الصناعي والتجاري والزراعي وغيرها .

ويجوز أن تعدل مدة الدراسة في الأقسام الثانوية الفنية بالزيادة أو بالنقص بقرار من رئيس الجمهورية .

مادة ٨٨ — لل حاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر حق الدخول في المعاهد الثانوية للأزهر ولهم إلى جانب ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى المدارس الأخرى التي تجعل الشهادة الإعدادية شرطا لقبول .

وتحدد وزارة التربية والتعليم مدى التجاوز عن شرط السن بالنسبة لهؤلاء التلاميذ على أن يوضح ذلك في اللائحة التنفيذية كما يجوز لل حاصلين على الشهادة الإعدادية من المدارس الإعدادية العامة أن يطلبوا الالتحاق بالمعاهد الثانوية بالأزهر بعد النجاح في امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر .

في تنظيم هذه الدراسات وأن تعد العدة لعمل امتحانات المعادلة المشار إليها في ختام العام الدراسي ١٩٦١/١٩٦٢ .

ومع ذلك فإن من حق كل حاصل على إحدى الشهادات الابتدائية أو الثانوية من هذه الأقسام دخول امتحانات المعادلة المشار إليها وفقا للنظام الذي تحدده اللائحة التنفيذية وينتهي العمل بهذا النظام بانهاء العام الدراسي ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .

مادة ٩٥ — يستمر قبول التلاميذ الحاصلين على الشهادة الابتدائية من الأقسام الابتدائية في المعاهد الأزهرية هذا العام في الأقسام الثانوية بهذه المعاهد وفقا للنظام الذي تحدده اللائحة التنفيذية وتعديل مناهج الدراسة بالنسبة لهؤلاء التلاميذ ، وللتلاميذ المعيدين بالسنة الأولى بالأقسام الثانوية على الوجه الذي يحقق التعادل في آخر المرحلة .

مادة ٩٦ — ابتداء من العام الدراسي ١٩٦٢ / ١٩٦٣ وإلى ابتداء العام الدراسي ١٩٦٦ / ١٩٦٧ يكون للتلاميذ الحاصلين على معادلة الشهادة الإعدادية أو معادلة الشهادة الثانوية المشار إليهما في المادتين السابقتين كل الحقوق المقررة للحاصلين على الشهادة الإعدادية أو الشهادة الثانوية سواء في القبول بالمدارس والكلديات الجامعية ومعاهد التعليم

القانون مهمة هذه الإدارة ونظام العمل بها واختصاصات مديرها وموظفيها ووسائل التعاون بينها وبين وزارة التربية والتعليم .

مادة ٩٢ — تشكل لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم لوضع المناهج وتخطيط المواد الدراسية في المعاهد الأزهرية وفقا لأحكام هذا القانون وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل في هذه اللجنة .

مادة ٩٣ — تجري الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية بالاشتراك مع وزارة التربية والتعليم امتحانات الشهادات الإعدادية والثانوية بأنواعها المختلفة في المعاهد الأزهرية .

الباب السادس

في الأعظم الانتقالية

مادة ٩٤ — إلى أن يتم تنفيذ هذا القانون ويتعادل خريجو الأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية مع نظرائهم من خريجي المدارس الإعدادية والثانوية تنظم دراسات إضافية للتلاميذ المقعدين في هذه الأقسام حين صدور هذا القانون لتأهيلهم لدخول امتحانات معادلة للشهادة الإعدادية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الابتدائية للمعاهد الأزهرية وللشهادة الثانوية العامة أو الفنية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الثانوية لهذه المعاهد . وعلى وزارة التربية والتعليم أن تعاون

الأزهرية وأعضاء هيئات التدريس في كليات الأزهر الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء ، كما يحتفظ بأصحاب الحقوق من أولاد العلماء وللطلاب في الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام العامة بكل الحقوق المساية المقررة لهم قبل صدور هذا القانون سواء في المرتبات أو في المعاشات أو في الأوقاف أو في مدة الخدمة بالنسبة للوظفين ، أو غير ذلك .
على أن تتضمن اللائحة التنفيذية لهذا القانون تحديد كل ما يتعلق بهذه الحقوق بالنسبة للذين يعينون في الوظائف أو يلتحقون بأقسام الدراسة المختلفة مستقبلاً .

مادة ٩٩ — تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون المسائل الآتية وغيرها مما وردت الإشارة إليه في هذا القانون :

١ — اختصاصات شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر ، ومدير جامعة الأزهر ، ووكيل جامعة الأزهر ، وعمداء الكليات ، والأمين العام للجلس الأعلى للأزهر ، والأمين العام للجامعة ، ومدير الثقافة والبعوث الإسلامية ، ومدير المعاهد الأزهرية ، والمجالس المختلفة ، وذلك في الحدود المبينة في هذا القانون .

٢ — جدول المرتبات والمكافآت لشيخ الأزهر ووكيل الأزهر وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية .

٣ — كيفية إدارة أموال جامعة الأزهر .

العالي ، أو في غير ذلك من الحقوق المقررة بالوائح والقوانين والقرارات ، مع التجاوز عن شرط السن إلى سنتين بالنسبة للحاصلين على معادلة الإعدادية وإلى ثلاث سنوات بالنسبة للحاصلين على معادلة الثانوية أو طبقاً لما تحدد اللائحة التنفيذية .

مادة ٩٧ — الطلاب المقيدون في كليات الأزهر الحالية ، والذين ينتظر قيدهم في أول الموسم الدراسي ١٩٦١/١٩٦٢ ، تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون النظام الذي يتبع للملاءمة بين وضعهم وبين مقتضيات تطبيق هذا القانون .

ومع ذلك فإنه يجوز أن تزداد سنوات الدراسة بالنسبة للطلاب المقيدون حالياً في كليات الأزهر سنة أو سنتين بصفة مؤقتة لتحقيق هذه الملاءمة .

كما يجوز للحاصلين على الشهادة العالية من كليات الأزهر الحالية أن ينتظموا في دراسات عليا في جامعة الأزهر الجديدة للحصول على درجة التخصص أو العالمية ، وللذين يحصلون منهم على إحدى هاتين الدرجتين أو كليهما مثل الحقوق النخوة للحاصلين عليهما أو على الماجستير أو الدكتوراه من جامعات الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٩٨ — يحتفظ للعلماء الموظفين الآن وللدرسين في أقسام الأزهر المختلفة وفي المعاهد

- ٤ - شروط قبول الطلاب في الجامعة .
- ٥ - نظام تأديب الطلاب .
- ٦ - كل ما يتعلق بالمنح والمكافآت والإعانة الخاصة بالطلاب .
- ٧ - مناهج الدراسة .
- ٨ - مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة .
- ٩ - الدرجات العلمية والشهادات التي تمنحها الجامعة وشروط كل منها .
- ١٠ - القواعد العامة للامتحان .
- ١١ - مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم .
- ١٢ - الانتداب للتدريس .
- ١٣ - تحديد المكافآت المالية والمنح لأعضاء هيئة التدريس والمعيدين .
- ١٤ - نظام تعيين أعضاء هيئة التدريس والمعيدين وجدول المرتبات والمكافآت في الجامعة .
- ١٥ - قواعد الشؤون الاجتماعية والرياضية للطلاب .
- ١٦ - القواعد العامة لتنظيم الدراسة والإدارى في المعاهد الأزهرية الملحقه وذلك في الحدود المينة في هذا القانون .
- مادة ١٠٠ - تصدر اللائحة التنفيذية لهذا القانون في مدى أربعة أشهر من تاريخ صدوره ، ويعمل بها من تاريخ صدورها . وللوزير المختص إصدار ما يراه من قرارات تنظيمية أو تكميلية مؤقتة تتعلق بشئون الأزهر وهيئاته بما لا يتعارض مع نصوص هذا القانون وذلك خلال الفترة التي تعد فيها اللائحة التنفيذية لحين صدورها .
- مادة ١٠١ - ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ نشره . يصمم هذا القانون بخاتم الدولة وينفذ كقانون من قوانينها .

order to enter into a controversy with him. And sometimes, he directs his attacks against Arab Nationalism and this confirms our views that the writer desires our advanced Arab caravan to halt. And sometimes, we notice him doing his utmost to attack the personality of president Nassir. He accuses him with individuality, of the dictatorship to break our confidence in our leader, hoping that this will bring him out of his hateful disease.

On a complete reading of the book, we are inevitably led to the conclusion that the primary motive of the author of this book was not to serve the cause of education as he purports to do but was surreptitious means to achieve the cause of Imperialism and the Imperialists. This is further evidenced by certain characteristics of the author himself such as :

1 — The hatred towards Islam by the author Mr. Raymond Charlie.

2 — His hatred towards the Arabs.

3 — His enmity towards the Arab leader Gamal Abd El-Nassir.

On a careful Scrutiny of this book one is led to conclude that it has no relation either to science or religion. It is nothing but a plan envisaged by the colonialists and imperialists to draw one to a futile debate and argument through this writer. Indeed, the above mentioned characteristics of the author are

manifest throughout his book and abounds with lies and prejudices.

In my opinion, the second hypothesis is borne out by the authors Statements. Surely, we must consider that the imperialists have endeavoured to the best of their abilities to destroy what has been constructed by the occupied countries through interference in their affairs which they consider their avowed duty and according to their speech as a matter of right.

Hence, it is not astonishing to find a situation when the imperialists divert the rivers of those countries where Dams and irrigation projects are under construction. It is no less a surprise also to see them influence the thoughts of those peoples to veer them in support of their policies.

Upon a consideration of all these facts, we are led to conclude that this book was primarily intended to distract the attention of Muslim authors who devoted themselves to spot light the current problems facing Muslim countries. It was intended to dissuade them from expressing their feelings and opinion and on the contrary to compel them to write and to listen to the dictates of London, Paris and Washington just as Mr. Raymond Charlie has been influenced to direct the thoughts of the Muslim peoples to serve the cause of imperialists and for the benefits of imperialism.

the Muslim Society. They paid full attention to the stationary aspect, while ignoring the active one in their consideration. As a result, this leads to a bad outlook with regard to the Islamic world in one of its two aspects : either, because he cannot conquer the laziness, or because he cannot adjust the wrong direction.

The writer personal comparison:

If we suppose that the book contains teachings, we shall know that the fault has arisen not from out, but from itself.

As a matter of fact, Mr. Raimond Charlie does not write according to the freedom of thought and the dictation of the heart, as it is the duty of the writer who devotes his life and struggle for the service of science and fact.

Therefore, he compels us to doubt his scientific ability and spirit, in spite of what is written in his book of the various knowledges. Consequently, we find that he contradicts himself in many parts of his book.

As for example :

He refers to in page 8. that Islam is the sole religion whose followers enhance daily in our present time. And at the same time, he states in page 79. that the religion of Mohamad is the only one threatened by the wave of secularity which is sweeping the world in our present time.

From this, we conclude that the writer either contradicts without paying any attention to it, or creates imaginative contradictions. For instance, he tries in the page 38. to show the reader his mistakes with regard to the spirit of Islam which means that God is over his creatures, and at the same time considers Him with them. Indeed, Mr. Charlie does not understand that the Muslims consider God over everything, and at the same time, believe that He is nearer to them than the vein of throat.

This shows that the writer has gone astray, and as a result, he compels us to ignore his views in view of his contradictions. He makes us feel that Science is not — merely — knowledges written in a book.

The second hypothesis :

If we consider that the book contains teachings, then it is indeed a misconception. Surely, we consider Mr. Charlie the man who sacrifices his conscience and his scientific honesty for the benefits of the imperialists. His aim is to distract our attention from the field of construction to the square of debate and contradiction.

Sometimes, we notice throughout his writings that he criticizes Islam by a method whereby we can conclude that he is baiting us ni

Under these circumstances, we shall ask: Do the book of Mr. Raimond and Charlie of any benefit to us? I am sorry, if my answer is in the negative. Whether we appreciate it or not, I am quite sure that it has no benefits to us, and I think, it will not be of any benefit to the others as well.

The first hypothesis :

If we suppose that the book is for studying, we must admit that it contains the following three defects :

- 1 — The title.
- 2 — The method of treatment in the book.
- 3 — The personal Comparison of the writer throughout the book.

The wrong title :

As regards the title, the writer has replaced the term " Islamic Society " which is the Subject of his book, with the word " Islam ".

Our criticism will be futile, if this error, is merely a literal mistake. Nevertheless, it means that the writer, by using his special term, is following the footsteps of other European writers. The term leads them to an insensate change of the Subject, and this in turn leads to the mental confusion between the Islamic Social facts which are subject to rise and decline according to certain time factors, and the other facts of Islam

which are unexposed to the evolution as we understand it.

This confusion leads us to judge religion by the crimes which are committed by its followers, or rather, to judge the virtues of the creator, by the misdeeds of the creature.

The Qur'an affords the right Solution in the holy verse "Whatever good (a man) Happens to thee is from they (own) Soul ".

The wrong method of treatment in the book :

Since the 19 th Century, in Spite of their culture which had accepted the evolution principle, either in physics Since the time of Darwen, or in Social and economical Sciences Since the time of Brodon, The European writers who Studied the Islamic Sciences, refused to apply the evolution of principles in their studies.

In this respect, we notice that the writers, like Mr. Raimond charlie Study the present Social Conditions of Islamic Society, not in the context of its historical evolution, but as a permanent condition which the Muslim Society, not only can not get rid of but is also destined to live it. This gives us a clear idea about the European writers and their misconceptions of Islam and Muslims. They believe in the evolution theory, but do not apply it in their studies of

THE EVOLUTION OF ISLAM

By

RAIMOND CHARLIE

CRITICISM AND COMMENTARY

BY

Prof. Malik Ben Nabi

Contents :

Part (a) The traditional Islamic Society.

- 1 — Man and Woman.
- 2 — Society and its regulations.

(b) The reformers and Modernists in Islam.

(c) Islamic Nationalism.

(d) The present evolution in the Society and Islamic regulations.

- 1 — The political evolution.
- 2 — The economical evolution.
- 3 — The Social evolution.
- 4 — The evolution of the law.
- 5 — The Cultural evolution.
- 6 — The evolution of the Woman.

(e) The evolution of present Morocco and Algiers.

(f) The factors of Islamic Rise.

(g) The future.

(h) Islam and Communism.

The general base :

We shall have misunderstood, if we consider that what the Orientalists wrote about Islam was to preach the Islamic virtues among their European Citizens.

As a matter of fact, the Orientalist who writes about Islam and Muslims, is urged by many motives which sometimes are of noble purpose, such as the profession urges the professor — as Gibb — to write, or the intellectual tendencies urge one to write merely as a scholar, as it is done by (FLOFAL).

The works of this scholar or that professor, sometimes benefits the Muslims. This is because one of them — whatever was his aim — enlightened some points that had an effect on Islamic society, while the other devoted his life to explain the words of the holy Qur'an to place within the hands of unmemorizer be that Muslim or non-Muslim.

connection Aisha, the prophet's wife said "Your prophet has repudiated from those who divide the religion and wage was against each other" and then she recited His glorious saying "Those who splitted their religion and became sects, they will be judged by God who will tell them of what They have already done.

The ten commandments in the Koranic chapter of the cattles include a verse which says : Surely this is my straight path follow it and do not follow their pathes for they will lead you away from Him. Thus Allah exhorts you so that you may guard yourselves against evil the Muslim scholars Ahmed and El Nasa'iy related that the prophet drew a straight line and said this is the straight path then he drew several other lines on both sides of the first one and said : "and those are all the ways of Satan who do his best in order that

they may be followed then he recited the verse : "Surely this is my straight path follow it and do not follow their pathes for they will lead you away from Him" and the verse "do not be as those who disunited and disagreed among themselves after the revelation of our signs to them".

The Koran has taken great care of warning the nation against the disunity and the dissension because they are fatal evils that lead nations to an utter decay.

Then after we have given a summary of the bad effects of innovation let us hope that it will serve to prevent the innovators from innovating and urge them to recognize the genuine Prophetic way and follow them strictly.

May God lead us to the straight path.

and it happend that it was contradicted by three parties: the disbeliever contradicted it by denying it, its consealer contradicted it by his concealment and the innovator contradicted it by introducing the meanse to leave what God clarified and to conceal what He explained.

As for what be fall the innovator's followers it is their deprivation from recompense because they worshipped God by the innovations that he did not sanction or permit and because they postponed the prophetic traditions (ways) by their adoption of innovations the matter which made them participate in the complete disappearance of the religion. They will be severely punished for that as relates the verse " When they face their punishment the leaders will disown their followers, and the bonds which now unite them will break asunder. Those who followed them will say " could we but live again we would disown them as they have now disown us. Thus Allah will make them see their own deeds with remorse but they Shall never come out of the Hell., and the verse " On the day when their heads will roll in Hell they shall say would that we obeyed Allah and the Apostle, and they shall say Lord, we obeyed our masters and our great ones but they lead us away from the right path. Lord let their punishment be doubled,

lay on them a mighty curse ". As for what be fall the religion itself because of innavotion, it is the ambiguity of many of ifs precepts and tenets and the distortion of its beauty. The occurring ambiguity leads to the desertion of the religions and the distortion in its turn baves the way to its coutempt and neglecton. This is clearly manifested in the innovation of the Sufi orders and the others that exhibit the religion in away inconsistent with its beauty and solimnity. Innovations may repeatedly propagate, substitute for, the religion and bacome the follwed religion. The more innovations prevail the more the religions fade away and this is how the previous religions have disappeared and how their followers were parverted from them. Therefore the Koran rebuked those who change the meaning of this words and conceal many of this precedts.

As for what befall the nation tbrough which innovations dominate enmity and hatred will be instilled in the hearts of its people, because the followers of the innovations will do their best to plead them while the defenders of the prophetic way will guard it and present it purely and explicitly the mather which results in the division of the nation into parties and sects. The conflict between those sects may be so tense that they may excommunicate and kill each other. In this

them altogether. It was related that Hodhayfa (may God be pleased with him) had taken two stones and put the one on the other and said "do you see any light between these two stones?" they answered "O son of Abd Allah we do not see between them but a trifle gleam of light" then he said "upon the name of my Lord who held my soul in his hand innovations will exist so densely that one will not be able to see of the truth except such slight traces" It was also related that the son of Abbas said: "As ysars pass on people shall add innovations and desert the prophetic tradition (way) till come a time when innovation reaches a comprehensive prevalence while the prophetic traditions are doomed to an utter absence.

There existed genuine traditions that charge the innovators of the complete responsibility of his innovation and declare his deprivation of any reward for it. It was related that yahya son of yahya mentioned the heights (in the hereafter) and its people and said "they are people who aimed at some sort of good but missed" then it was said to him: "O father of Mohamed may it be hoped that their endeavour will be rewarded?" he said "There will be no reward for the deviation from the prophetic tradition (way) and this is self-evident because no one

could reach God's pleasure except by doing his religious obligations and enjoiments as they were prescribed. There will be no gurrdon beyond these. There also existed genuine tradition that states the innovator's deprivation from the intercession of the prophet in the day of judgement. In this concern the prophet said "the culpable and who sever defend him are accursed by God, the Angels and the whole people. El-shatby said "The innovator will share the curse with the apostate. He has no excuse so far as he acknowledged the truthfulness of the prophet and the comprehensive explanation of God's revelation God said in this relation: "How God guide a people who apostated after they have acknowledged Mohamd's message . . . etc until his saying" these are accursed by God, the Angels and the whole people.

The innovator is also like this who concealed what God had revealed and clarified in his Book as is shown by the verse: "Those who conceal God's revelation in the book are to be accursed by God, the Angels and the whole people. Conceive the subject of similarity between the innovator and the two mentioned parties, that is the contradiction with the divine legislator in the Book what He revealed and in the laws what He legislated. This is so because God clarified His religion to its followers

of deviation error and foolishness so accept what the knowing and pious had accepted before”.

If the innovator sees that his innovations are for the good of the people in their religion he should be greivously sorry for himself because of his attitude towards the innovations of whice error the devine legislator was completely aware if innovation emplies this bad position in the two points of consideration namely, the usurpation of the right of legislation and, the assumption of the position of those who attripute infirmity and unperfectness to the religion. It leads people to believe in what is alien to religion and this is the deceiving confusion that duped many of the people of the scriptures and pervert them with many others from the way of guidance and wisdom in this connection the Koran adressed them saying “O people of the book ! Why do you confound the truth with the false and knowingly hide the truth ?” and “Some wrangle about Allah though they have neither knowledge nor guidance nor devine revelation. They turn their backs in scorn and lead others astray from Allah’s path. Such men shall incur disgrace in this life and taste the torement of Hell on the day of resurrection. “This” we shall say, “is the reward of your misdeeds. Allah is not unjust to his servants.

From this the innovator was both an errant who is responsiple for his own deed and a deceiver who is charged with the deeds of the followers of his innovation. In this aspect God said “Let them carry all their sins and a lot of the sins of those whom they dupe unknowingly” and the geunine tradition said “Who soever introduce a bad way is to be responsiple for its bad effects and for the sins of those who adopt it ” Another tradition referred also to this saying “ Whenever a soul is killed Man is responsiple for it because he was the first who commits this crime ” This tradition bear a clear evidence that who legislate what displease God and his messenger is like the first Man in shouldering the responsibility of Killing the soul wrongly because the denunciation of killing is not only due to its harmful nature but due to that it is also a bad action that displeases God and does not consist with the prophetic way. If the innovator did not perceive the bad effects caused to the religion by his innovation, he would not have failed to recognize that he contributed to the killing of the prophetic traditions (ways) because it has been stated that the avoidance of innovaton is enjoined by the prophetic tradition (way) This is so because it is impossible to carry out

assigned only to God no matter whether it was aimed at by the innovator or not.

The Arab infidels had committed this usurpation as well as the scholars and monks of the people of the scriptures. They all were denounced by the Koran that related to us some of what the infidels had legislated saying in the chapter of cuttle "They say : These animals and these crops are forbidden none may eat of them save those whom we permit; so they assestr. And there are other beasts which they prohibit men from riding, and there are others over which they do not pronounce the name of Allah, thus committing a sin against Him. Allah will punish them for their invented lies. They also say the offspring of these beasts is lawful to our males but not to our females, But if it is still-born they all partake of it Allah will punish them for what they impute to Him he is wise and all-knowing' and in the chapter of bees "Do not falsely declare" This is lawful and, this is forbidden in order to invent falsehood about Allah. Those who invent falsehood about Allah shall never prosper" In the enterpretation of the verse "They adopt their scholars and preists gods other than Allah" it was said that they did not adore them but see their opinion so

they conferred upon them the devine right of legislation.

No doubt the behaviour of the innvator in legalizing and illegalazing what he pleases without any proof, and in urging people to accept his innovations is the same as the behaviour of those who usurp God,s right of legislation. The innovator in this field is considered a usarper of the right of legislation assigned only to God. In this respect he poses himself in the position of that who assume either that the devotions revealed by God in order to enable his servants to approach Him are defficient and try to do away with this defficiency or that Mohamed peace be upon him has betrayed the mission of which he concealed some that would enable its adherents to approach the pleasure of their God. The leading scholar Malik has said in this regard : "Whoever invent a hertic in Islam is assuming that Mohamed petrayed the mission because Allah says : "This day I have perfected your religion for you" and that what was not a religion in that time is not also a religion to day.

Omar son of Abd El Aziz said in this letter to Adey son of Artah : "Follo the way of the prophet because it was adopted by those who knew what is emplied in its avoidance

As for the second cause of the propagation of innovation. namely the laxity of the scholars in explaining the Muslim jurisprudence. It is the responsibility of the scholars who gave their covenant to God to fulfil it, to explain to people what was revealed for them but they committed the guilty of leaving it unaccomplished.

The majority of the scholars neglected for a long time their religious duty upon which relies the maintainence of the religion clear from deformation. They neglected their duty either because of their incapability and fear of the majority's discontent or because of their indifference of the anonymous duty. They, in behaving so, followed the saying: leave creature to their creator.) Their neglectation may be attributed also either to their heedlessness or their knowing that this duty was anonymously imposed duty which is characterized by the fact that if it is fulfilled by some the others will be relieved from it its obligation.

When the scholars were silent and when the people were accustomed to the scholars' silence and heedlessness concerning whatever people do. People thought that what they do is the religion and it was difficult to drive them away from what they were accustomed to, to the right that they had deserted.

God has warned the scholars against trifling the explanation and neglecting the enjoiment of good and the prohibition of evil so enough to urge them to strive against the innovation wherever it existed and to do their best to defend their religion against the tempests of whims.

Let us hope that we will find in this article what draw our attention to our duty and rescue us from the woes that have befallen us.

The second chapter
The bad effects of innovation

If the bad effects of innovation do not affect persons other than the innovator its matter would be trifle and its losses could be tolerated. But the bad effects of innovation have amongst them that which affect the innovator and his followers, that which affect the religion and that which affect the nation through which prevails the innovation. The sort that affect the innovator is the usurpation of the right of legislation which is confined to God only, because the innovator assume that people are obliged to follow a certain innovation so he plead it and urge its application. In this aspect he put himself in the position of the divine legislator and this is a usurpation of a right

are not to permit ourselves to consider the tradition and leave the devotions and ways of devotions we are accustomed to.

This viewpoint propagated among people and made them follow the heretics and desert the way of the prophet. The innovators justify their behavior by repeating a famous quotation forged by the innovators themselves so as to propagate their heretics this quotation says "This who imitate a scholar meet his God safe". They forgot that imitation is only allowed on condition that it should search for truth and be modified according to the truth when it proved to be wrong. They also forgot that all the leading scholars warned their followers against the attachment to their opinion when there is a genuine opposing tradition. They also missed that this conduct was denounced by God in the holy Koran when He rebuked those who made it a religious principle to follow their fathers and ancestors and to reject the proofs of the mission.

This rebuked conduct is represented in the verse, "we have found our fathers following a faith and we are following their foot steps". They missed also that the adherence to the opinion of the scholars to such an extent is a sort of believing in a

god other than Allah. This is the behaviour of the followers of scholars and monks as the verse says, "They made their scholars and monks their Gods other than Allah". In this connection the followers of innovation missed that the consensus of opinions included in the sources of legislation must be followed.

Many people think that the actions of the majority especially if they were, followed throughout the successive generations, propagated among the different classes and prevailed in mosques, communities and scholars clubs, are a form of the consensus of our Muslim nation. And since it has been said that Muslim nation does not accept to follow an errant action these people said that what is accepted by the masses of people is not to be rejected even if there are contradicting proofs. However, this is a misunderstanding of what is meant by the consensus of opinion. Owing to this misunderstanding they adhered firmly not only to innovation but also to what are forbidden on the assumption that these are acceptable matters at have been sanctioned by the scholars the matter which proved that they are lawful. Great number of innovations prevailed through this way such as the Saint's Fairs, congregational (Dhikr) and to the liking of what are known to be of the true religion while they are really alien to it.

which says: "Our knowledge and religious science are kept and maintained by the fair adherents through the successive generations who removed from them the disformity introduced by the exaggerators, the inventions of the errants and the misinterpretations of the ignorance" In this tradition the disformity introduced by the exaggerators alludes to blind prejudice and rigidity, the invention of the errants alludes to the trust of the human mind and the misinterpretations of ignorance alludes to the ignorance of the sources and of the ways of their understanding.

The causes that lead to the
Propagation of Innovation

The propagation of innovation is due to two things that jeopardize the integrity of the religions and expose them to deformation either by encreasement or by decreasement to their tenets.

The first of these two is the confidence in the fallible being. The other is the laxity in explaining the Islamic jurisprudence as it was delivered and planned by the prophet peace be upon him. It happened that we see many of those who belong to Sufi orders and see that they are ordered by their chiefs to do things alien to Islamic laws. They may think that their chiefs' orders are

legislations revealed by God to his privileged servants, that their chiefs do not do except the right and do not say except the truth and that the known jurisprudence is assigned to the common believers while their practices and ways are also another jurisprudence special for the choosed faithfuls. So they follow whatever their chiefs say as if it were the nearest way to God's pleasure. The confidence in the fallible being may also be seen in the case of the followers of the jurists who study their works and believe in their infallibility. They accordingly hold fast to all their opinions even if there is an original tradition different to their leaders, opinions. There existed people who exaggerate in uplifting their scholars and composers by virtue of their heritage of opinions and works. They believe in the righteousness of their chiefs' opinion saying: If their opinions were wrong they would not have been followed through our the ages and would have been denied by the former scholar and leaders." They also said that we are not entitled to consider a tradition different from the opinions of the leading scholars or contradicting their established works because their scholars are more knowing than us and even more clever in understanding and interpreting the tradition. So we have nothing to do with it and we

misunderstanding of mind or thinking that mysteries are justifications for legislation, it is also caused by the desire to push away an abominable action or to do away with the indifference to certain desired religious actions.

Innovation may gain approval in order to pervert people from doing this prohibited actions on the allegation that practising such innovation is preferable to the open practice of the prohibited ones. Reading Koran loudly in the mosques is an example for these innovations. This reading aims at preventing people from speaking nonsense in the mosques.

There is a sort of innovation aiming at the increasement of God's reward by means of overloading the muslim by making him does actions similar to devotions. This kind of innovation may sometimes take the form of annexing the un-enjoined actions to the enjoined ones because these annexed actions exaggerate in acheiving the religious object such as fasting without eating at midnight which dubles the suppression of soul aimed at by fasting, and sometimes take the form of choosing hard devotions not enjoined by God such as the continuous fasting, the avoidance of marriage and the performance of the secondary

religious duties on the same level as the obligatory ones. There have come many warnngs against these, let us offer an example to these the tradition which says : "I wonder why some people avoid the actions that I do myself, on my God's name I am the most knowing and God fearing of them and nevertheless I practise these actions". And the tradition which says : Do not exaggerate in this religion lest God should impose hard obligations on you".

The prophet reproved Ibn Omar and the group who were not satisfied of the amount of his devotion and meant to perform the hardest of them. Some people were not aware of these warnings and invented devotions or ways of devotions. They practised these invented ones, enjoined their followers to practise them as if they were parts of the religion. They ignore that the real approach to God is attained by the rigorous attachment to His orders and laws. They ignore also that the ways of approaching God is limited to what was revealed by Him and delivered by His honest prophet. Their mentioned ignorance lead them to commit casuistries and disagree with God's religion, the matter which makes them forfeit God's reward because they were sinful. These above mentioned causes of innovations are all encompassed in the tradition

who knows all about his creatures. According to this principle God has sent his messengers to reveal to people what please their God and what assure their ultimate happiness, and to enable them to enjoy their share of good in the world and the hereafter.

There existed people who denied this principle, exalted the human mind and uplifted it over its real degree. They said that it is the divine guide for man. They trust its judgements in the revealed questions of which he can know nothing. They sought its aid in legislation and rejected the texts that does not appeal to it exaggerating in that attitude and making it a principle in legislation. Accordingly they accepted what is not permitted by God, what we do not know whether it pleases or displeases God. They were aided in their innovation by the fact that they are in research for the reason d'être or motive of legislation and they alleged that these motives were aimed at by the religious legislation. So they introduce certain devotions according to these motives into the religion of God.

This is the approbation denounced by the Prophet and the religious leaders. The great scholar El shafiy said in this connection

"Approbation is a passion" and if it is permitted in religion there is no reason to deprive the illetrate thinkers from its appliance. In this case legislation would be permitted in every aspect of the religious life. Every one would have a legislation of his own. El-shafiy said also : "Who sees the acceptability of opprobation in religious affairs is legislating from his own side" He meant as the Rayyani said : "That who accepted approbation makes for himself a legislation other than that of God."

Many of the adherents of Islam have fallen in innovation through the lately mentioned cause to the degree that many of the unknown aspects were rejected while they were enjoined by original traditions, such as the Path to Paradise, the Balance, the Resurrection of the body, the vision of God and the likeness of which conception mind is incapable and lacking the means. According to to approbation of the minor human mind many religious tenets were deserted under the pretext that there existed others which are more effective in realising their objects. Through approbation many devotions have been increased. Such devotions were unknown to the eagerest person to approach God.

As innovation through trusting the human mind is caused by a

This sort of innovation prevails among these who are to obey kings wishes so as to aquire the rubbish of the world and enjoy it spleasures. The greatest number of tricks from which religion repudiates may belong to this sort. It is probable that the sultanic call for prayer and such liking innovations that do not exist except in praying with kings and sultans are examples of this sort so are the seremonial sending of clothes for Kaaba, the conogrigational night devotions called the revival of night and others which are characterised by the intention to satisfy a kings desires or obey the advice of one of his retinue. These matters practised by the successive generations gained prevaillance amingst them and became in their opinion creeds for the sake of which they disown who denounce them.

The innovators who follow their desires belong in their bad condnct to those who are addressed by God's saying, "Do not sell my revelations for a paltry price and fear me." and by, "These who concealed Gods revelations in the book and purchase for them miserable prefit they swallow into themselves naught but fire, God will not address them in the Day of ressuretion, nor purify them. Grievions will be their penalty. They are the ones who buy error in place of guidance and tornment in place of

forgiveness. Ah what boldness (they show) for the fire. This is because that God has sent the Book for truth and that who differs about the Book are in greivions cleavage." In fact following the desies devasts religion and do. Away with their good. Innovation inspired by it is the most sinful sort of innovation in the eye of God and the most criminal in connection with the truth. How whims deviate religions, change creeds and lead to utter aberration.

Trusting The Human Mind in the Issues of Legislation :

God has sited limits for minds after which they can not conceive any thing. They are not capable of undetstanding every thing. There exist among things some which mind can not comperhend at all and some other things which it can only conceive superficially. Minds though so inert do not concord in understanding the facts which they manage to understand. This is due to the difference of the individual faculties and means of conception. Therefore it is necessary as regards the questions inaccessible to mind to rely on a truthful teller who force mind to believe him by means of his convincing meracles. This condition is not fulfilled except in the case of the God's messenger because he is supported by the omni-scient God

"Don't you fear God on the side of a lover who has a buring heart that is broken for you".

There are several examples which clarify how many an innovation arised from the ignorance of the charactaristics of the Arabic language such as the ignorance of the caractaristics of vocabulary and style. The former scholars has agreed that the knowledge of the charactaristics of the Arabic language upon which depends the understanding of the Koran and the prophetic traditions is issential for permitting the practice of individual interpretation dealing with or approaching the religions texts.

As for the ignorance of the rank of analogy among the legislative sources, it is self-evident that it comes after the prophetic traditions. The ignorance of these facts resulted in that some people recoured to it while there were genuine prophetic traditions that were overlooked by these people the matter which paved the way to innovation. The investigator of the jurists' opinions finds many examples for this sort such as the above mentioned analogy that was held by some people between the caller for the prayer and his listeners (hearers) in the matter of praising the prophet. Though there existed certain prophetic traditions enjoining the abstention

from that, though the order of these traditions as you know is proir to analogy and though the tradition,:- "When you hear the caller for prayeretc." indicates by its style that the hearers are ordered to praise the prophet after the call for prayer.

Following The Human Desire In
Issuing Legislative Articles,

The seaker for proofs may be dominated by certain desires that urge him to issue certain laws so as to realise his ends consequently he would have to submit the supporting proofs upon which he relies in his argument. Such an errent scholar may consider his desire to be so radical that he does not scruple to twist the texts to serve his desires and he would estimates the value of the texts according to their concordance with them. This is really an inversion to the question of legislation and a flagrant violation to the aim for which God revealed the texual proofs. The following of human desire is the main cause of deviation from God's straight path. Those who are meant by the Koranic verse that reads, "Who is more erreno than that who follow his desires unguided by God." and by the original tradition that reads, "He is still unbliever who does not subject his desire to what I came for."

which intruded into the religion things that are completely unknown to the formers. Let us mention here for example the tradition which says, "When you hear the caller for prayer call for prayer say as he says and praise me". This tradition is understood by some people as an order to the caller to praise the prophet after his calling without determining way to do that other than the same way of calling, namely in a loud voice. Accordingly, they assume that this tradition proves the enjoinder of praising the prophet in the known way To prove that this tradition implies an order to the caller himself they assumed that this is an order to all Muslims and the caller is one of them or that the prophet's saying, "If you hear includes the caller because he hears himself. These two conceptions of the tradition show an ignorance of the arabic style in such matter because in the beginning of the tradition the caller is not included at all and he is not also included at the end because it is based on the beginning.

Another example of that sort of innovation is the assumption that the prohibited part of the pig is its meat and not its grease because Koran prohibited the meat but not the grease. This is an innovation arising from the ignorance that the arabic word meat includes grease also.

Another example is saying of some scholars that God has a side, as proved by the Koranic verse. "Lest the soul should say woe is me in that I neglected towards God's side".

This is also another innovation attributed to the ignorance of fact that the Arabs did not use the word side to mean a part of the body in such a sentence.

The Arabs say this thing is little in the side of that meaning in comparison with that. The scholar El Razy has said in his exegesis, "Those who say that God has bodily parts submit the already mentioned verse as a proof. Beware that our proofs to deny that God has bodily organs are so unmeasured that there is no need for their repetition." After the Razy had mentioned several quotations of the ancestors about what is meant by the word side he said, "Be aware that the increase of that interpretation has no good in heartening the hearts or satisfying the thirst. So say the side is named so because it is a part of thing. Similarly the thing which is always related to another thing is also similar to its side. Because of this similarity between the relation of the body and its side and the relation of the thing to its constant quality, the use of the word side for both meanings is right.' Moreover the word side was used to mean both privilege and obedience As is shown by that poet's saying.

There is a tradition refering to this case which says: "God does not remove knowledge by removing it from the breasts of people but it is removed by the death of the scholars. When there are no scholars people would follow ignorant chiefs who would give judgments though they have no knowledge so they will dupe and will be duped." dealing with this matter came another tradition which says: "all the prophets who were sent by God to their nations before me have had followers who traced the way of their prophets and carried on their orders but after those came a successors who said what they did not do and did what they did not say, who so ever, struggled them by his hand was a believer, who so ever struggled them by his tongue was a believer, who so ever struggled them by his heart was a believer and there is no form of faith other than these.

As for the ignorance of how and where to apply analogy in legislation it has caused that people of the late jurist apply analogy in issues of devotion. By so doing they intruded into the religion what are completely alien to it and what are inconsistent with the traditions and conduct of the prophet (though their existed a need in doing these matters in the time of the prophet. The prophet himself did not practise

such matters regardless that there arose a need in doing and there was no hindrance against doing them).

Let us Take the (acquittance) atonement for prayers as an example. This atonement was likened to the atonement for fasting disregarding that the latter has its supporting texts while the former has not. Those jurists did not stop in that matter at claiming the acceptability of atonement of prayers but they went so far as to submit many casuistries to prove this acceptability and to support their claim. This point of view would make prayer a mere form that has neither spirit nor effect.

This sort of innovation is the queerest one, because it invents new principles and try to exclude the religious obligations. To achieve this goal innovation and casuistry are resorted to.

Therefore we must name this sort of innovation the compound innovation that relieves its applicants from the religious obligations and entitled them to enjoy the same reward as these who believe and do good deeds.

As for the ignorance of the linguistic style it resulted in misunderstanding of the texts. The matter

followers. Seeing that the prophet warned the Muslims against this gaps and bitterly reproved all those who venture approaching them.

We saw after thorough investigation that the ways leading to innovation are either ways leading to its creation or causing its application and diffusion, we knew also that the Islamic jurisprudence has looked after both and alluded to the causes of each and prescribed the remedy that guarantee the purification of the religion and the integration of the nation. Should this remedy be applied well it would keep the religion immaculate and perfect as it was revealed from God, delivered by the prophet and followed by its true adherents.

Innovation as we have already stated has three main causes.

1 — The ignorance of legislative sources and of the effective ways of understanding and locating the legislative items in the original main sources.

2 — Following the human desire in issuing the legislative laws.

3 — Trusting the human mind in the aspects of religion.

(1) The ignorance of legislative sources and of ways of their understanding and location.

The main sources of religious laws are the Koran, the prophetic traditions and their annexes namely analogy and consensus of opinions. Among these source the Koran came first followed by the prophetic traditions followed by the consensus of opinions which is followed finally by analogy.

It is a matter of fact that analog is not recourse to in the questions of devotions because analogy is based on the existance of some sort of similarity among the matters applicable to it while devotions are not by any means bound to this consideration but they are rigorously based on the absolute adoration and on the pure ordeal.

The inlets of voilation throug this factor are ascribed to the ignorance of the prophetic tradition, the ignorance of the feild of analogy, the ignorance of the linguistic style and the ignorance of the rank of analogy.

As for the ignorance of the prophetic tradition it includes the ignorance of the genuine traditions and the ignorance of the rank of the prophetic tradition in legislation. The first matter causes the disregarding of some laws supported by original prophetic traditions. The second may lead to overlooking some genuine traditions and to substituting innovation for them.

CAUSES AND BAD EFFECTS OF INNOVATION

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

Many traditions attributed to the prophet peace be upon him aim at the warning of innovation. The most famous of these traditions is that which says "Whosoever intrude into our religion that is not making part of it is to be disproved".

The real cause of innovations is the desire to create some sort of devotions. This created sort is not authentically ascribed to the prophet, and void of any considerable legislative proof.

In fact innovation is confined to devotions, so there are no innovations in customs or in the general ways of life.

Innovation in religion has causes leading to it and bad effects arising from its application. Wise men are to exert all their efforts to be away from doing things that have bad effects and to erect bars between themselves and causes of bad actions in order that they may not practise such abominable things.

In dealing with the subject of innovation we shall classify it into two chapters, one is dedicated to the clarification of the causes that issue innovation and cause its propagation. The other is assigned for exposing the bad effects of innovation.

*The first chapter,
causes of innovation.*

It is essential for every religion destined to remain clear from defects and void of disfiguring, to take care of knowing the windows through which violation infiltrates its pure doctrine so as to shut them firmly particularly if this religion was founded on the base of generality to organize numerous peoples different in languages, customs and creeds.

So did our prophet Mohamed in his pure religion He perceived at the first step the ways through which corruption may intrude into the religion and prevail among its

co-operation, their leaders are visiting and consulting each other, the governments are doing their utmost to propagate the Islamic culture by means of spending money and holding conferences.

At present time, Al-Azhar graduates advisors and preachers, establishes colleges and institutes and publishes religious publications to light the way in front of people and to show them the right way. The several religious associations are defending the abiding message and preaching it as well. The theologists and erudites are striving hard to serve the faith which is revealed to please mankind and to consolidate co-operation and peace,

The pulpit in the mosque, the loudspeaker in the broadcasting station and the print in the press are declaring the advantages and the ability of Islam in replacing the satanic society by the good one. The evil-ridden society composed of the two blocs : eastern communism and western capitalism. These two blocs are

leading the world at the present time with their money, science and Power. They led the peoples falsely and caused them much troubles.

The National Union forms Committees of those who possess wealth of ability and qualifications and who follow the guidance of God for the favour of the family, to promote the Society, to develop the wealth and to increase the power of the government.

The spirit of all those peoples is a part of the spirit granted by God to the good and faithful leadership which, united the people, revived the dead, destroyed the system of classes gave every one his rights and made — for the first time in the history of mankind — the revolution a merciful, constructive and peaceful one. Moreover, it obliterated the fear and hungry, ended the feudalism, raised the standard of living among the poor and humiliated the tyrants. Hence, the people smelt the breeze of freedom, and now, they can see nothing in front of them but the mercy of God.

imperialists face to face in a great battle. In this matter, it was following the saying of the first Islamic caliph — Abu Bakr — to the Islamic hero — Khalid Ben Al-Waleed when he sent him to Yamamah fighting "Fight them with weapons like theirs: sword to sword and arrows to arrows."

Islam is the religion of power because it — unlike the other religions — based on two pillars : religion and treatments. Worship makes people in permanent contact with God and leadership controls the relations between the leader and the people. Because of these two pillars, Islam is considered as a way which leads the one to be in peace with himself. It is the constitution which governs the society. But without a nation, there is no constitution, and without unity, there is no nation. The Unity depends upon the support of religious power, and secular authority.

The deterioration of the leader leads to, disunity, division of the nation and suspension of the law. And this will be followed by a reign of terror by a tyrannical government or the criminal imperialist. This will not only be the result, but the religion will be turned also into an imaginative worship in the ill-souls people or changed into soffism which has no relation with the secular life.

Hence, the light of Islam began to reappear and the rise of Muslims began in the United Arab Republic, especially because it is the first Islamic country which is encountered by the mercy of God, Who granted it the great reformer and guided him, to complete its liberation, to realize its freedom, to make the Unity of Arab its policy and the rise of Muslims its message and to raise it to the standard of the big nations in both, political and economical fields.

Consequently, Arabs and Muslims became aware of their excellent situation, their free homeland and the restoration of their authority and will. They remembered their previous similar condition, when they were the rulers and the leaders of mankind, when they guided humanity to the straight path by the message of God and governed it by the constitution of his prophet Mohammad. They realized that Islam had gone deep in their hearts, advised them to respect each other as if they are the members of one family, requested them to organize themselves at war for the cause of God, as in the same manner in their congregational prayers, and to direct their faces towards their aim as they direct them towards the holy shrine of Mecca.

Now, the Islamic nations are in

in the hearts of its followers they will leave the Qur'an and the prophetic traditions aside, and follow the falsehoods of liars. This will result in the abandonment of the religion in their hearts, and its guidance to be changed in their minds. Here the Saying of Ali Ben Abi Talib has its place, he said: "Surely, those people wear the religion as well as the one who wears a turned fur".

They yielded to the destiny, and, as a result, they did not take any step to protect themselves against the dangers. Besides this they avoided to work depending upon the Fate and subjugating themselves to property and dignity. They believed in Governors and considered them vice-gerents of God. Those governors harnessed them for their personal benefits, used them for their low desires, humiliated them and put them under the mercy of the imperialists who tore their homeland into pieces and created artificial leaders and barriers amongst them. They also created a special flag and emblems for every nation, and then put them under their protection or custodianship.

But now, Islam has come back after the restoration of its strength which came back to it, after its people had believed and accepted its instructions and guidance, and further after

the appearance of the faithful leader who possesses the ability to represent and protect it.

Without complete existence and liberal will, the belief of the people will not be perfect. Without high ability and guidance of God, the faithfulness of the leader can not be realized. Both, the high ability and the guidance of God had been gathered in both our people and our leader.

The past ten years of Nasser's revolution marked the end of imperialism which stunted our thought to think and obliterated our values. They were the end of the tyrannical government which corrupted the manners and weakened the good motives. They were the commencement of: The National liberation which freed the souls and bred a new spirit into life, the popular government which worked for the benefit of the nation, the government which revived what is good from the ancient and established what is useful from the modern on materialistic, rational and spiritual foundations. The government, which harnessed science to serve production, used the advices of religion for protection and placed the Arabs on a high pedestal.

This government was aware of the fact that victory in modern warfare depended on strength. Hence it made preparations and met the

THE REVIVAL OF ISLAM AND ITS ROLE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief



On the first day of Moharram, the observer could see the precursors of Islam throughout the horizon of the Islamic east. It reappeared to obliterate the darkness out of Asian and African Continents. The revival of Islam guided Muslims to know each other, to cooperate, to love their brothers in Islam and guided Muslim nations to be connected and united as well. On the day, when blessings of God be granted to Muslims, Islam will regain its pristine position: Arab Nationalism, the Islamic union and moderate nation which enjoins what is right, forbids what is wrong, struggles in the cause of God and co-operate with all to consolidate world peace.

In this respect, the observations and criticism made by the late Sheikh Mohamad Abduh regarding the well known article of Hamouto, minister of the French foreign affairs, deserves mention. He says "However deep may Islam lay forgotten, it must reappear one day. And whatever misfortunes had befallen it, it should regain its feet once again".

To day, God has willed his religion to return after a long absence, his light to reappear after a long period of darkness, and his constitution to come back and control mankind again.

As a result of the decadence of Islam for a long time, it no longer commanded the consciousness of the individual or of the family and further its spirit failed to exert its influence in society or the functions of the government. This led to disintegration of the Islamic opinion, the disunity of Muslims and the wheel of fortune to be turned against them.

As a matter of fact, Islam is the religion of power. It arises from the unity which is one of its cardinal principles and from the society which is found as a result of its propaganda. It will not surprise you to know that it is called "the religion of Monotheism".

If Islam loses the characteristic of monotheism and the unity of its society, it will be relegated to the worse position and the light of its guidance will be put out to make a room for darkness. If Islam becomes faint

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِيَّةِ

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة

ت ٤٦٢١٤

يَشْرِكُ فِي التَّحْقِيقِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَعْقَارُ
بَدَلُ الْأَشْتَرَاكِ
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلبة يتفويضون

بَصْدُ عَنْ شَيْخِنَا الْأَنْزَهَرِيَّةِ فِي ذَوِّ كَلِّ شَهْرِ عَرَبِي

الجزء الثالث - ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ - أغسطس ١٩٦١ م - المجلد الثالث والثلاثون

لِسَمَاءِ الْمَرْيَمِ

على بئر أريس

من ذكريات ربيع الأول في طيبة

بقلم: أحمد حسن الزيات

في غداة ضاحية من غدوات شهر ربيع الأول،
وفي درب هادئ من دروب طيبة المقدسة،
خرج الرسول صلوات الله عليه إلى ظاهر
المدينة يطلب الخلوة إلى نفسه، والجلوة عند ربه.
وكان صاحب الغار المهجور من جبل النور
لا يزال يستحب العزلة، ويستطيب الوحدة،
إمعانا في القرب من الله بالفسكر والذكر
والتأمل، فجعل وجهه إلى غربي المدينة تلقاء
مسجد قباء، ومشى وحده تحوم عليه العيون
وتمفو إليه القلوب من وراء الجدر وعلى
حواشي الطريق وهو مطأطأ الرأس مطمئن
النفس حتى بلغ بئر أريس (١).
وكانت هذه البئر العذبة الرحبة تستكن من
الريح والشمس بظلة من جريد النخل لها
باب منه، وتنظر إلى حقول خضر وبساتين
[١] حديث بئر أريس الذي جعلناه لبنا لهذا
المقال رواه البخاري ومسلم.

خبره وأثره حتى تأدى إلى بئر أريس ،
فدخلها فوجد الرسول جالسا على قفّها وقد
كشف عن ساقيه وأدلاهما فيها . فسلم
عليه ، ثم عمدت لسانه الهيبة والجلالة فارتد
إلى الباب وهو يقول لنفسه : لا كون
بواب الرسول هذا اليوم .

وما هي إلا هنيهة حتى دفع الباب دافع .
فقال البواب الأواب : من بالباب ؟ فقال أنا
أبو بكر ، فقال أبو موسى : يا رسول الله ،
هذا أبو بكر يستأذن عليك ، وكان صاحب
الدعوة حينئذ يستحضر في ذهنه ما لقي في
سبيلها من البلاء في نفسه وفي أهله وفي صحبه .
وقد تمثل في خاطره وفاء المهاجرين بعهدهم
إلى الله ، واحتمالهم الغربة والفاقة والقسوة
والأذى ابتغاء مرضاته ، فأكبر ما فعلوه وما
بذلوه ، وما هو إلا أن سمع أبا موسى يذكر اسم
صديقه في الدار وصاحبه في الغار حتى قال له

أئذن له وبشره بالجنة ، فلما أخبره بالإذن
والبشرى دخل فجلس عن يمين رسول الله
فوق القفّ وحذا حذوه ، فكشف عن
ساقيه وأدلاهما في البئر ، ورجع الأشعري
إلى مقامه بالباب ، وكان قد ترك أخاه يتوضأ
ليلحق به عند الرسول ، فقال في نفسه : إن يرد
الله خيرا بأخى يأت به ، يرجو أن ينال من هذا
الفيض النبوي ما ينفعه في آخرته ، ولكن

فيح تستمد من مائها المعين النماء والخصب ،
فهي مستراض ومستراح ومنظر . دخلها
الرسول على عادته في كل يوم اثنين دخول
المعتكف المسجد ، فتوضأ وصلى ثم جلس على
قفّها (١) وكان طوله ثلاثة أذرع ، واستغرق
في عبادة صامتة لا يتخلجها أمر من أمور
الدنيا ولا شأن من شئون الناس . ومثل
هذه العبادة الروحية النبوية التي تصل الرسول
بألقه ، والأرض بالسما ، والشرعية بالحقيقة ،
والمحدود باللامحدود ، لا يستطيع أن يدرك
كنهاها العقل القاصر ، ولا أن يبلغ
وصفها البيان الناقص . وما كانت عبادة
النبي في بئر أريس بعد الهجرة إلا معنى من
عبادة محمد في غار حراء قبل البعثة ؛ استيحاء
لحكمة الله وقدرته أن يؤيد دعوته بروحه ،
وأن يجمع أمته على كتابه .

* * *

وكان أبو موسى الأشعري رضى الله عنه
قد أصبح ونيته معقودة على أن يلزم
الرسول عامة يومه ؛ جلاء لصدده من صدأ
الدنيا ، وصفاء لنفسه من كدر العيش ،
فطلبه في مسجده فلم يجده ، فسأل عنه ف قيل له
اتخذ طريقه إلى حى قباء ، فما زال يتمتع

[١] قف البئر : الدكة التي تقام من حول رأسها .

ركب البشرية التائه العامه في الطريق الآقوم
إلى الغاية الأكرم ؛ وخليفنا الرسول اللذان
حملا دعوته من بعده فلأما صدعها يوم السقيفة ،
وقويا ضعفها سنة الردة ، ونشرا ضوءها
وراء الجزيرة ؛ وخليفة الشورى الذى
صدقته فيه نبوة الرسول فأصابته البلوى التى
فرقت الكلمة ومزقت الأمة ؛ وقاضى التحكيم
الذى داهاه ابن العاص وداوره حتى حكم حكما
جعلت نتيجته الخلافة لخلافتين . والأمة أمتين ،
والدين المحكم القيم اثنتين وسبعين فرقة !

على أن بئر أريس كانت لها في حياة الخليفة
الثالث دلائل خاصة . فجلس الرسول
والعمرين معا على شق ، وجلسه منفردا
قبالنهما على شق ، تأوله سعيد بن المسيب
باجتماع قبور الثلاثة في حجرة عائشة وانفراد
قبره هو في موضع آخر . وإنذار الرسول
إياه بالبلوى التى أصابته وأصابت المسلمين معه
كان طائفا من الهم يعتاده الحين بعد الحين
فلا يصرفه عنه إلا اعتقاده الوثيق بالله ،
وإيمانه العميق بالقدر ، وإمضاؤه النية على
الجهاد في سبيل الله بماله ونفسه . ثم سقوط
الخاتم النبوى من يده في هذه البئر كان نذير شؤم
ومنازل قلق ؛ فقد كان محمد خاتم النبيين قد اتخذ
خاتما من فضة جعله في يده بقية حياته ؛ ثم كان

الله أراد هذا الخير لعمر ، فقد كان في تلك
اللحظة وراء الباب يحركه ، فلما قال أبو موسى
في سرعة ولطفة : من هذا ؟ قال أنا عمر بن الخطاب ،
فقال له : على رسلك يا عمر ، ومضى إلى الرسول
يستأذن له فقال له عليه صلوات الله وسلامه :
أئذن له وبشره بالجنة ! فدخل عمر وجلس
على القف عن يسار الرسول وصنع ما صنع ،
وعاد الأشعرى إلى الباب يتسمع من وراءه
أن تدب رجل أو يند صوت رجاء أن يكون
أخوه قد قدم . فلم يمس غير يسير حتى لقلق
الباب لإنسان ، تخفق فؤاد أبي موسى وضاء
بالأمل وجهه ، وصاح من القادم ؟ فقال :
أنا عثمان بن عفان ، فاستأناه وعاد إلى
الرسول يستأذن له ، فقال من اصطفاه الله
لحمل رسالته وارتضاه لعلم غيبه : أئذن له
وبشره بالجنة مع بلوى تهيبه ، فلما بشره
وأنذره دخل الشهيد على الثلاثة فلم يجد معهم
مجلسا على القف . فتحول حتى جاء قبائهم
من الشق الآخر وجلس ، ثم كشف عن ساقيه
وأدلاهما في البئر .

وهكذا شاء الله أن يجتمع في هذه البئر
الباضة بالخير ، النابضة بالحياة ، في وسط هذه
الرمال القاحلة والصخور الصلدة ، خمسة نفر
كان لهم في حياة العروبة أثر بالغ ، وفي تاريخ
الإنسانية خطر أبلغ : خليفة الله الذى قاد بنوره

وساسوهم بالمحاباة، حتى اضطرب الحبل وشاعت
الفتنة وقتله الثوار في داره وعلى مصلاه قتلة
لا يزال يردد من هولها الدهر .

كانت هذه الدلائل رموزاً من لغة القدر
خطها على صفحة وجهه وفي صحيفة حياته يوم
جلس وحده تجاه الرسول وصاحبيه على بر
أريس ، فسرتها الأحداث رمزا بعد رمز ،
وكابدها عمول جيش العسرة دلالة بعد دلالة .
وما كانت فراسة الرسول الكريم في عثمان
ومآله سواء أكانت إعلاما من الوحي أم
إلهاما من الروح لإدليلا على ألمعية في القائه
الاعظم تكشف ما استكن من ممر الطباع ،
وتعلم ما استسر من عقبي الحوادث ، ولولا
هذه الألمعية المستمدة من علم الله أو من لقائه
الرسول لما تسنى لصاحب الرسالة أن يختار
أسنادها وأمدادها من هذه الصفوة القليلة
من المهاجرين الذين غرس في قلوبهم البذرة ،
 ووضع في أيديهم الشعلة ، وألقى على كواهلهم
التبعة ، ثم لحق بالرفيق الأعلى وهو ينظر
إليهم من ستور النور وهم يرفعون مسجده
فوق أيوان كسرى ، وينصبون منبره على
عرش قيصر ؟

أحمد حسن الزيات

في يد أبي بكر مدة خلافته؛ ثم تحتم به من بعده
عمر، ثم انتقل من يده بعد مصرعه إلى يد عثمان .
فكان معتزاً به حريصاً عليه ، حتى ذهب
يوماً إلى بر أريس يجلس في مجلس الرسول
وينعم بذكرى يومه فيه . وكانت هذه الزيارة
ديدنه كما كانت ديدن الصديق والفاروق منذ
اجتمعوا فيه برسول الله . فأخرج الخاتم
من إصبعه وجعل يعبث به فسقط في الماء .
واختلف هو والناس إلى البر ثلاثة أيام
ينزحونها ويبحثون فيها فلم تقع يد عليه ،
كأنما ضنت به الأرض فابتلعتة ، أو تآقت
إليه السماء فرفعتة ، فاكتأب عثمان ووقع
في نفسه أن قوة كانت تسنده غابت في الماء ،
وأن نورا كان يرشده تبدد في الريح ، وأن
الخاتم النبوي كان في يده عقدة تمسك عليه
الناس ، وتريض له لأمر ، فتمضى خلافته كما
مضت خلافتا الشيخين في وحدة لا تشتت ،
وعروة لا تنفصم ، وسبيل لا تجور . فلما سقط
منه في البر وأعجزه الحصول عليه لم ييأس من
روح الله ، ولكن شكاً اخلاج في نفسه
الراضية المطمئنة ألا يكون كعمر بطل
السقيفة ، وأبي بكر بطل الردة ، صلابة رأى
وصرامة عزيمة ، ففوض الأمر إلى بعض
أهله فحكموا الناس بالهوى وفرقوهم بالعصية،

حيدر الثورة (التاسع حيدر) :

عيد الإصلاح الدينى و عيد الإصلاح الدينى

للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

نباتا حسنا من أبنائها يأخذ بيدها ويعيد
إليها قوتها .

ولقد أتت علينا عهد أصفنا فيها بانتكاس
في حياتنا فتزلزلت فينا قوى الإيمان والعمل
في تنمية شخصية الأمة حتى جددت عن الإنتاج ،
فانكشفت القوة وسامت الإدارة واستولى
الاعداء على منابع ثروتنا وعلى جماز قوتنا ،
وعلى وسائل ثقافتنا ، وأعانهم علينا قوم
آخرون منا نفشوا سمومهم فأضاعوا المعاني
الروحية التى ربانا عليها ديننا ، وتلقينها
عن آبائنا وأجدادنا ، وبذا جعلوا منا أمة
أشتانا وشعبا متفرقا حتى عشنا حيارى
لا نعرف لنا مصيراً فى ظلة حالكة لا ترى
فيها نوراً ، حتى شاء الله أن يبدد هذه الظلة ،
ويكشف عنا هذه الحيرة ، فكانت ثورتنا
المباركة ثورة ٢٣ يوليو فأنتم الله علينا بها
نعمته ؛ بأن جعل ولاية الأمر فينا من أنفسنا .
لقد كانت ثورة الحق على الباطل ، والعدل
على الظلم ، وثورة الحرية على الاستعباد ،
فأمن الناس بأن الباطل مهما طال أمره
واشدت وطأته وقويت عناصره فهو أمام

ما أقوى الأمم التى ترسم لنفسها الطريق
الذى يوصلها إلى أهدافها السامية ، وتحدد
معالم العزة التى تريد أن تتبوأها ، وإن
تستطيع أمة أن تصل إلى هذا إلا إذا
اكتملت لها شخصيتها المعنوية التى تضمن
لها الرأى السديد والوجود المعنوى .
والأمم التى تكاملت لها هذه المعانى هى
الجديرة بالحياة ؛ لأنها التى أحاطت بمعانى
الحرية وأدركتها ، وهى فى الوجود من أقوى
عناصر القوة والخلود .

ومن ثم يهى الله فيها شعبا واعيا ويصنع
على عينه رجالا أحراراً يأبون الضيم ،
ويضحون من أجل أمتهم بما يحقق لها
الأمم الذى ترجوه . وقد يخبو شعاع هذه
الشخصية المعنوية فترة من الزمن ، فتميش
فى هوان وضعف ، وفى قلة وذلة على الرغم
مما هى فيه من كثرة فى العدد حتى لتتأفت
عليها الأمم المستقلة المستعمرة كما تتأفت
الأكلة على قصعتها ، بيد أن الأمم ذات الماضى
العريق والمجد الخالد لا تستمر كثيراً فى حياة
الاستعباد بل سرعان ما تنبت تربتها الطيبة

أن يطهر أرض مكة من الشرك ولوازمه ،
ظهر أرضنا من الاستعمار وتوابعه وبذا
تبدلت حالنا وازدهرت نهضتنا وتعلق بنا
إخواننا في جميع أنحاء الأرض فكانت
جمهوريةتنا لهم نعم الأم الروم وبلدنا لهم
نعم البلد الطيب .

ولأنه لمن يمن الطالع أن يجتمع لنا في عيد
ثورتنا التاسع عيدان اثنان : عيد ثورة الحق
على الباطل ، وعيد ثورة علمية تجلت في تنظيم
الأزهر وهيئانه ، هذا الأزهر الذي أنار للعالم
طريق العلم والمعرفة ألف عام وعشرين مما
ربط به قلوب المسلمين في مشارق الأرض
ومغاربها .

إن هذا التنظيم هو خير وبركة ؛ لأنه تمكين
للأزهر من أداء رسالته ، وإننا به - نحن
المسلمين والعرب - لنستأنف طريقنا بإذنه
تعالى إلى الغاية التي نهدف إليها ونسعى من
أجلها ، مترسمين خطاً قائد نهضتنا الواسعة
الشاملة ، ونحن أشد ما نكون تماسكاً وأقدر
على أداء الرسالة التي جعلها الله أمانة في عنقنا :
رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .
وعلى قدر حرص أمتنا على الأزهر ورسالته
يكون حرصها على دين الله وتمسكها به وحفظها
لأصوله ، ورعايتها لمبادئه . وإن الأمم
الإسلامية التي لانفتت تذكّر الأزهر وتعلق به
لترجو من وراء هذا الإصلاح الخير الوفير
(البقية على الصفحة التالية)

الحق والعزم القوي والإيمان بالله خائر
العزيمة مفكك الأوصال مهدم البنيان ،
وأن مصيره إلى التلاشي والزوال .

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع
الناس فيمكث في الأرض .

وقد أراد الله الخير لهذه الأمة حين أحياها
بهذه الثورة المباركة ؛ إذ كانت بشير خير
وبركة علينا وعلى الناس أجمعين ؛ فنشرت
الحرية بين الناس ، وفتحت لهم أبواب الخير
بما مكنت لهم من مشاركة فعالة في الرأي
وفي الحكم .

وإذا كنا اليوم نتخفل بالعيد التاسع لهذه
الثورة ، فإننا لسعداء بالحرية التي نعمنا بها
والإنتاج في كل جانب من جوانب مجتمعتنا ،
حتى حقق الله لنا الاكتفاء الذاتي فلم نعد
عالة على أمة من الأمم ، ولا ذيلاً لشعب من
الشعوب ، لا نميل إلى شرق ولا إلى غرب
إلا بقدر ما يحقق السلام الذي يدعو إليه
الإسلام . وبذا غدونا أمة وسطاً جديدة
بوصف الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة
وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » ، وإذا
كانت ثورة الإيمان على الشرك قد حددت
موقف المؤمنين من المشركين : « إنما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا » فقد كان من فضل الله على ثورتنا أن
حددت موقفنا من الاستعمار ، وكما أراد الله

درس من جزيرة مالطه

للأستاذ عباس محمود العقاد

اللغة المالطية لهجة لغوية ، لا يزيد عدد المتكلمين بها على ثلث المليون هم أبناء الأرخبيل المعروف بأرخبيل مالطة ، ولكنها تزود علماء اللغات بمادة غزيرة لتحقيق آرائهم ونظرياتهم ؛ لأنها لهجة مستقلة تنعزل بشواهد الحية على كل تطور يعرض للهجات بين الانصال والانفصال وبين الاختلاط والاستقلال ، ويكاد أثر العوامل المختلفة فيها أن يترامى للنظر كأنه عرق بارز يتخال بنيتها ولا يغيب عن النظر حيث يجرى في مجاريها فليس فيها عامل من عوامل التطور ياتبس بعامل آخر كما يحدث في أكثر اللغات المعروفة .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

في دينها وديناها ، ولما كان للأزهر مكانته العالمية التي جعلت أنظار العالم الإسلامي والعربي تتجه إليه ، وكان في نفس الوقت حبل الترابط بين جمهوريتنا العزيزة من جانب وبين الشعوب الإسلامية والعربية من جانب آخر ، وبالتالي كانت القاهرة قبلة الدراسات لتلك الشعوب ، وحسب الناس جميعا أن يعملوا أن البحوث الوافدة إليه تمثل أربعا وخمسين جفسيية ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وكلهم يجتمعون على صعيد واحد في الأزهر الشريف مما يوحد بينهم ويقرب بين غاياتهم وأهدافهم .

لذا كان ضرورة أن تجتمع الخبرة والدين على الوجه الذي اشتمل عليه هذا الإصلاح حتى يؤدي الأزهر رسالته في نهضة الشعوب

الجديدة وبحق رغبات هذه الشعوب في الدين والبناء والإنتاج ، والإصلاح .

وانني بهذه المناسبة لأدعو الله لكل من وضع لبنة من لبنات إصلاح الأزهر وتمكينه من رسالته مخلصا لدينه راجيا الخير لهذه الجامعة العتيقة ، كما أدعوه سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأن تأتي ذكريات ثورتنا بكل جديد يشد أزرنا وينصر ديننا ، ويعلى كرامتنا . . . وينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، ؟

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

التصانيف الأدبية والعلمية فكتبوها بلهجتهم العامية التي أضيفت إليها أشنات الألفاظ والتراكيب من اللغات الدخيلة ، بعد توالى الأحكام عليها من الإيطاليين والفرنجة ، ولا يزالون يكتبون بتلك اللهجة بعد إضافة الدخيل إليها من الفرنسية والانجليزية ، على أثر حكم الفرنسيين والانجليز لتلك الجزيرة ، وقد سقطت منها الحروف المميزة للنطق العربي ، ولا سيما الصاد والظاء .

صدرت في السنة الماضية مجموعة حسنة من مختارات الأدب الحديث في اللغة المالطية ، وترجمت إلى اللغة الانجليزية ومعها بعض أصولها مكتوبة بالحروف اللاتينية ، وعنى مترجمها الأستاذ « آربرى » المستشرق المعروف بتمثيل الأدب الدارج والأدب المذهب في هذه المجموعة بموضوعاته المنوعة ، فاحتوت مجموعته نخبة من الأمثال السائرة كما احتوت أنماطا من « الحكايات » المنشورة وأنماطا متنوعة من الشعر الغنائى ، وهو فى المصطلح الغربى يشمل الشعر العاطفى كله وإن لم ينظم للغناء .

يطالع القارئ العربى هذه المختارات فيرى الكلمات العربية تتردد فى كل سطر من سطورها المنشورة وكل سطر من شطورها المنظومة ، وقد تقابل بين مفرداتها ومفردات اللهجات العامية فى مدن السواحل عندنا فلا نرى فرقا كبيرا بينها من حيث العدد إذا رجعنا بها إلى

كان لها سكانها الأصلاء قبل التاريخ ، ثم سكنها الفينيشيون فالقرطاجيون من سنة ألف وخمسمائة إلى نحو سنة مائتين قبل الميلاد فغرسوا فيها أصول « النطق » السامى التى مهدت السكان بعد أكثر من عشرة قرون لغلبة اللغة العربية على ألسنة أهلها ، وتردد عليها أبناء أوربة الجنوبية من اللاتين والفرنك فى أثناء ذلك ، فدخلتها مئات الكلمات الإيطالية والإفرنجية ، ولا سيما الكلمات التى كانت تشيع فى جزيرة صقلية .

وقد ملكها العرب وبقيت فى حوزتهم من سنة سبعين وثمانمائة إلى سنة تسعين وألف الليسلاد ، وهى السنة التى أغار فيها النورمان على الأرخبيل فملكوه وحكموه ، وبقيت فيه طوائف عربية إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلاد أجلاهم عنها الامبراطور فردريك عاهل صقلية المشهور .

ولكن العرب تركوها وتركوا لغتهم فيها يتكلم بها أبناء الجزر المسيحيون كما كانوا يتكلمون بها وهم يحكمونها ويستخدمون العربية فى مخاطباتها الرسمية وإدارة دواوينها . إلا أن لغة الحديث فيها كانت لهجة « عامية »

لا ترتقى إلى طبقة الفصحى ولا تهبط إلى لهجة السوق بعد بضعة قرون ، ولم يكتب بها المالطيون شيئا فى مصنفات الأدب أو العلم طوال القرون التالية إلى أواخر القرن السادس عشر ، ثم ظهرت فيهم بواكير

على فهم الجمل القصار ولكن لا يغنى كثيراً
في فهم المملولات ولا في فهم التركيب الذي
تختلف فيه قواعد التقديم والتأخير وخصائص
القياس والشذوذ .

ومما يلاحظ في هذه المجموعة أن الأمثال
الموزونة أقرب إلى الفهم من الجمل المرسله
ولو تساوت في عدد كلماتها .

وهذه نماذج من تلك الأمثال يظهر أنها
حفظت بوزنها فلم تقبل بما طرأ على اللغة
من الزيادات الدخيلة .
يقولون في أمثالهم :

« الله فينا إضافية ، كل ما يعمل علينا ،
كل ما نعمل عليه ، »

ويقولون :

« مين يرقوت (يرقط) ما يقبضش حوت » .
ويقولون :

« بدم الفقير ، جيد قط ما يصد » ،
ويقولون :

« واحد يموت في سكرة واثاني يموت
على قطرة » .

ويقولون :

« أخير هربة من كربة » .

ولا يصعب فهم الأبيات المقفاة إذا كانت
منظومة في أوزان قريبة من الأعارض
العربية ، ولكن المنظوم منها على قواعد
التقطيعات الإيطالية أو الأوربية على العموم

أصولها العربية ، فقد تبلغ الكلمات من هذه
الأصول سبعة أعشار المعجم المالطي الحديث ،
وقد أحصى أحد هذه المعجمات فقاربت كلماته
حشرة آلاف ، منها نحو سبعة آلاف يفهمها
القارئ العربي بغير جهد أو يفهمها بجهد
قليل بعد المقارنة بينها وبين الدخيل من
قبيله في لهجاتنا العامية .

لكن الملاحظة الأولى التي يستفيد منها
دارس العلوم اللغوية من مطالعة اللهجة
المالطية هي أن اللغة تفهم بالعلاقات بين
مفرداتها في الجمل قبل أن تفهم بحفظ
كلماتها المنفصلة في المعجمات .

فالقارئ العربي يفهم الجملة القصيرة
بلهجتها المكتوبة في المالطية ولكنه يفهمها
على الأكثر بالقرينة إذا فهم الكلمة المهمة
من أسماؤها وأفعالها .

أما الصفحات المطولة فهي على الجملة أشبه
بالغة الأجنبية بالنسبة إلينا ، وليست هناك
مشابهة بينها وبين الكلام العامي مهما يبلغ
من طوله في لهجة من لهجاتنا الكثيرة ؛ فإن
هذا الكلام لا يخفى علينا وأن خفيت
مصطلحاته التي تتغير بين قطر وقطر في ثنايا
تراكيبه ومفرداته .

وأقرب ما نشبه به اللهجة المالطية بالنسبة
إلينا أنها كاللغة الإيطالية أو الأسبانية
بالنسبة إلى المعارف بالفرنسية أو الانجليزية
فإن تشابه المفردات بين هذه اللغات قد يساعد

فاللغة المالطية - إذن - لا تزال لهجة من لهجات اللغة العربية باعتبار عدد المفردات . ولا تزال كذلك لهجة من لهجاتها باعتبار علاقات التركيب التي يحفظها الوزن وتدل عليها القرينة في الجملة القصيرة .

ولسكنها كادت أن تصبح لغة أجنبية في مطولاتها المنشورة على الخصوص ؛ لأننا نقابل بين عشر صفحات مكتوبة بها وعشر صفحات مكتوبة باللهجات العامية في أقطار بلاد العرب فلا نحصل مفهوم صفحة منها ولا يفوتنا مفهوم صفحة من اللهجات الأخرى . والدرس المستفاد من تطور اللغة في تلك الجزيرة يتلخص في ملاحظتين ظاهرتين :

أولاهما : أن اللهجة العامية إذا انفصلت عن الفصحى تمام الانفصال فقدت ضوابطها وأهمها علاقات التركيب بين جملها وعباراتها المطولة ، وفقدت الحروف التي تتميز بها العربية .

وثانيهما : أن تسجيل اللهجة بالكتابة ينتهي إلى قطع الصلة بين فروع اللغة وجنودها ، ولا سيما الكتابة بالحروف اللاتينية .

وليست قيمة الوزن في حفظ علاقات التركيب مما تفوتنا ملاحظته في هذا المقام ؟

عباس محمود العقاد

قلبا يفهم موجزا ويتعذر جداً أن يفهم إذا جاوز البيتين أو الثلاث .

وهم ينظمون الشعر اليوم على مذاهب مختلفة : فمنهم من يفضل النظم بالإيطالية أو الانجليزية لفظاً ووزناً ، ومنهم من يختار النظم باللهجة المالطية في أوزان أوربية ، ومنهم من يوحد القافية ويميل إلى الأوزان التي تقترب من الأعاريض العربية ويسهل نقلها إليها ، وهؤلاء هم أقرب الشعراء معنى ولفظاً إلى قراء اللغة العربية الفصحى أو العامية .

ومن أمثلة الشعر الموزون الذي يسهل فهمه هذه الأبيات على لسان محب ينوى السفر :
حنينة إصاير أنسا فر
يا حسرة ما تحذوكش معاى
لك الله يعطيله الصبر

ويضحك في دحبة وياى ؟ ، ولكن هذا الضرب من النظم يلاحق بالأغاني الشعبية المحفوظة ويحكمها في موضوعاتها وأوزانها ، ويندر أن ينظم فيه شعراء العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر ؛ لأنهم يميلون إلى النظم باللهجة المالطية على مثال نظمهم باللغة الإيطالية أو اللغة الانجليزية ، ويختارون من أجل ذلك عروضاً توافق عروض الشعر اللاتيني القديم ، وتنطلق أحياناً من القوافي والأوزان .

* * *

التقابل - دُون التشابه

عامل من عوامل النمو الاجتماعي، ونسبة من سنن الطبيعة

للأستاذ الدكتور محمد البهي

والتصميم يتطلب قوة الاحتمال وطول الأناة
والكياسة وسعة الحيلة .

وأنوثة المرأة تفرض عليها من طبيعتها أن
تكون متجاوبة : تملك الطاقة على الملاءمة
والقدرة على التقبل . وهي بحكم أمومتها
السكينة فيها ، تعطف ، على ولدها وتميل إليه
أو تميل نحوه في حضانه ورعايته . والولد لا يتبع
اتجاهها واحداً في صغره . بل شأنه في الاتجاه
كشأنه في الحركة التي يتحركها ، لا يُعرف
معالمها على وجه محدد ثابت . فإذا لم تكن
الأنثى من طبيعتها كأم ذات عطف وذات
قدرة على الملاءمة لا تستطيع حضانة طفلها
ولا قيادته في السلوك وتكوين العادات فيه
نحو اتجاه خاص مرغوب فيه .

والطبيعة البشرية كما تفرض على الرجل
إذن أن يستمر في خط واحد - وهذا
ما يتطلب منه قوة الإرادة أو قوة الشخصية -
تفرض على المرأة أن تعدّل اتجاهها ، كلما
كانت هناك حاجة ماسة إلى التعديل فيه .
وهذا التعديل بدوره يتطلب منها قوة الملاءمة
أو التجاوب أو العطف والميل كما ذكرنا .
ولو فرض العكس ، وكان الذكر ضعيف

هل يمكن أن يقوم مجتمع بشري من أفراد
لم خصائص واحدة ؟ : هل يمكن مثلاً
أن يكون مجتمع ذكور أو مجتمع إناث فقط ؟ .
هل يمكن أن يكون أفرادهم متساوين في
الثروة أو في عدمها أو متساوين في قوة
الشخصية الفردية أو ضعفها ؟ .

إن التقابل - وليس التشابه - مبدأ ضروري
لبقاء المجتمع البشري . في انسجامه وتماثله .

١ - والأسرة - التي هي النواة الأولى
للمجتمع - قيامها واستمرارها ليس رهناً
فقط بمقابلة طرفها من ذكورة وأنوثة بالمعنى
الجنسي الذي يحقق التفاعل الحيواني بينهما
ويشكل النسل المقبل الصادر عنهما . وإنما
يكون مع ذلك أو قبله بالتقابل في الخصائص
النفسية التي للذكورة والآخرى التي للأنوثة .
وربما يتبع ذلك عدم التشابه في التكوين
الجسدي بين الذكر والأنثى .

فرجولة الرجل تفرض عليه من طبيعته
أن يكون ذا شخصية قوية في الترجيع ، وفي
التصميم والتنفيذ . والترجيح يستلزم التأمل
والدراسة كما يستلزم الخبرة والتجربة .

طول قيساءها بحكم الضرورة التي أوجبها افتراض قوة الشخصية في الاثنين ، هي مثل الأسرة الأخرى التي يسود في العلاقة فيها الملل والاضطراب والتخبط ، بناء على افتراض ضعف الشخصية لكل من الزوج والزوجة - لا تعتبر إحداهما هي الأسرة التي يقوم على أساس منها مجتمع قوى متناكس .

والقرآن الكريم عند ما يقول في تنظيم العلاقة الأسرية : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، يعبر ضمنا عن مبدأ التقابل الذي بين الذكر والأنثى والذي هو سبب في الانسجام واستمرار الزوجية الصالحة ، بعد أن يكشف صراحة عن خصيصة الرجل وهي رجولته التي تفرض عليه القيادة . تلك القيادة التي تتطلب بدورها قوة الشخصية في التوجيه والتمييز على السواء .

وليس في القرآن هنا في هذه الآية ما يفيد بعد ذلك أنه وراء قيادة الرجل - بناء على قوة الشخصية المفترضة فيه - معنى آخر يبرر له أن يسيّر التصرف مع زوجته بما يخرج عن مفهوم القيادة الإنسانية الرشيدة . وليست قيادته أو قوة الشخصية المفترضة فيه إلا خاصة وجدت في طبيعته ، كما وجدت الخاصة البشرية الأخرى وهي قوة التجاوب والملاءمة في الأثر كيزة لها تفضل بها طبيعة الرجل . وكلتا الميزتان تحققان مبدأ التقابل

الشخصية : يتردد عند الترجيح أو التصميم ، ويميل بمنة ويسرة في اتجاهه ، وكانت الأنثى في مقابل ذلك قوية الشخصية ، قليلة العطف والميل ، وقليلة التجاوب والملاءمة - فإن الاقتران بينهما لوقام لا يدوم ، وتفقد المرأة على وجه أخص أهم عامل في حياتها الزوجية وأهم معاون يدفعها كزوجة على الاستمرار في هذه الحياة الجيدة الطارئة عليها ؛ لأنها تشعر وقتئذ بالرجولة في طبيعتها ، بينما لم تتخلص هذه الطبيعة بعد من جميع خصائص الأنثى .

وهنا يكون التناقض الداخلي في نفسها ويكون الصراع بين عنصرين متنافرين في مركب واحد ، وهو مركب طبيعتها المسترجلة . ثم بالإضافة إلى ذلك لو ولدت ولداً بحكم التفاعل الحيواني مع زوجها لا تملك توجيه الأمومة عندئذ ، وبالتالي لا تصلح بحكم تشويش طبيعتها أن تكون حاضنة له . ومن ثم لا تكون مثل هذه الأسرة نواة طيبة لمجتمع سليم .

ولو فرض أيضا أن كليهما كان قوى الشخصية أضعفها فالأمر لا يعدو استمرار الاحتكاك والنزاع في حال قوة شخصيتهما معاً ، ولا يعدو الملل والسآمة والتخبط والاضطراب في حال الضعف الذي يسيطر على شخصية كل منهما .

وأمرأة يبدأ الاحتكاك فيها ، من أول قيام العلاقة بين طرفيها ، ولا ينقطع هذا الاحتكاك

الذى يعطيه الرجل لنفسه — هي اشتراكية بالمعنى الذى يحاول كتاب الشيوعية أن يجعلوه مبدأ إنسانيا ، لكنه لا يفتش عن ازدواج الطبيعة البشرية للرجل والمرأة ، ذلك الازدواج الذى تكشف عنه الخصائص الجسمية ، ومعها الخصائص الإنسانية المميزة لكل من الاثنين .

إن هناك فرقا بين إساءة الرجل استخدام خصيسته البشرية وبين عدم اعتبار ما بين الرجل والمرأة من خصائص تميز أحدهما عن الآخر تمييزاً طبيعياً لا حيلة لإطلاقا للإنسان فيه ، ولا يخضع لاختلاف التقدير والاعتبار . ليس هناك كاتب إنسانى أو اجتماعى يرضى عن سوء السلوك الإنسانى أيا كانت دوافعه . ولكن يجب أن تحدد الحقائق طبقاً لواقعها . لا طبقاً لاعتبار خاص يميل نفس الكاتب ويدفعه عند عرض معالجته لمشكل ما إلى اتجاه خاص .

إن معالجة بعض ظواهر النقص الاجتماعى لا تكون بإنكار مبدأ طبيعى واقعى فى حياة الإنسان ، وإنما بتتبع مصادر النقص نفسها ورفعها أو كبتها من حياة الإنسان فى المجتمع .

* * *

٢ — ولو انتقلنا إلى مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى فيما وراء الأسرة لوجدنا

الذى هو ضرورة للانسجام والتعويض فى التقاء فردين وبقائهما فى علاقة بشرية قوية .

وحديث المتحدثين عن المساواة بين المرأة والرجل ، أو بالأحرى حديث المتحدثين عن حرية المرأة إذا عنيوا بالمساواة بين الاثنين أو عنيوا بحرية المرأة عدم استغلال الرجل لقوة شخصيته وعدم إساءة استخدامه لقيادته فى سلوكه مع المرأة — فذلك منطق الطبيعة البشرية ، وبالتالي تعاليم الإسلام . ولكن إذا قصدوا — من وراء ذلك — كما يحاول كتاب الشيوعية — إلغاء هذا الفارق البشرى فى طبيعة كل من الاثنين ، فقبل ذلك يجب عليهم أن يزيلوا نتوء الشدين فى صدر المرأة ، عن طريق « إله العلم ١١ » ، أو ينموا بوسيلته أيضا صدر الرجل ليصبح مساويا لصدر المرأة . وعندئذ تكون الطبيعة البشرية العضوية متساوية ، كما تكون خصائصها التى تنبثق عنها واحدة ، لا تفرق إلا فى نموها واتجاه تطورها ، بعد أن تكون متحدة فى ذاتها وجوهرها .

والاشتراكية الاجتماعية التى يحاول بعض كتابنا العرب بعد أحداث الثورة فى عيدها التاسع أن يفرضها فى الأسرة العربية على أنها تنظيم إنسانى فى الدرجة الأولى : فتعطى المرأة نفس الحرية الشخصية التى تعطى للرجل بداهة ، وتعطى من المسؤولية نفس المستوى

طبيعية . فليس من المعقول أن يكون جميع أفراد المجتمع أطباء ، أو علماء طبيعة أو جيولوجيا ، أو علماء اقتصاد قومي أو سياسى ، ولا من المعقول كذلك أن يكونوا متساوين بدرجة واحدة في نفس المستوى الذى لكل واحد منهم . وإنما المفارقة أو التقابل تملئ ضرورته حياة المجتمع نفسه بل يملئ تماسكه واستمراره كمجتمع : فهناك الطبيب وفى مقابله من لا يعرف الطب من رجال القانون أو الهندسة أو الطبيعة أو الكيمياء . وهناك القانونى ومن معرفته بالقانون معرفة سطحية أو قليلة الجدوى من رجال الطب أو العلماء الآخرين وهكذا ...

وهناك التقابل فى القيادة والتوجيه : هناك شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ، وهناك شخصية الرعية التى تؤمر فتطيع . هذا التقابل حتمى لبقاء المجتمع وتماسكه وظاهرة طبيعية فيه . وليست شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ترجع إلى العنف أو إلى القهر والإلزام - وإلا لا تكن عنصراً فى ظاهرة طبيعية - وإنما ترجع إلى كياسته وصبره وتحمله المشاق فى سبيل تنفيذ قيادته ، بعد فهمه الواعى لحياة مجتمعه ونفسية شعبه ، وبعد محبة له من رعيته بناء على إحسانهم الذى يسكاد يكون مجسداً بما تنطوى عليه نفسه وينطوى عليه تفكيره وقلبه بالنسبة لخير مجتمعه .

أن «التقابل» كما هو ضرورة فى قيام الأسرة - كنواة للمجتمع - ضرورى لبقاء الحياة الاجتماعية وبقاء قوة المجتمع وتماسكه : التقابل فى الثروة والغنى والتقابل فى المعرفة ، والتقابل فى القيادة والتوجيه ، والتقابل فى الإمكانيات التى تجعل من بعضها عوضاً عن البعض الآخر بين الأشخاص والتى من أجل ذلك تقرب الفردين لحاجة العوض إلى الإبقاء على العلاقة والترابط بينهما .

فحرمان الأفراد من الملكية الفردية إطلاقاً ، والمساواة التامة فى توزيع الثروة بحيث لا يشذ فرد عن فرد فى عدد أو فى نوع ما يملك - ظاهرة غير طبيعية فى المجتمع ، وبالتالي لا تؤدى إلى لقاء الأفراد بعضهم مع بعض ولا إلى تماسكهم . لأن مبدأ العوض القائم على «التقابل» غير موجود الآن . وهنا كانت الشيوعية - فى الجانب الاقتصادى - القائمة على الحرمان من الملكية الفردية إطلاقاً ظاهرة تُفرض على المجتمع ، ولكنها لا تكون منبثقة عن تطوره الطبيعى . وكذلك الشأن فى توزيع الثروة القومية على الأفراد بنسب متساوية فى كمها نوعها أيضاً ظاهرة تأتى من خارج المجتمع ، ولكنها لا تعبر عن تطور داخلى فيه .

والتقابل فى المعرفة كذلك مبدأ طبيعى ، والتخصص الداشى عنه ظاهرة اجتماعية

من التقاء الأفراد بعضهم مع بعض .
والمفروض أن مبدأ التقابل هو للحمل على
الالتقاء وليس للنبذ من اللقاء .

فالطبقة والطائفة إذن مرض من أمراض
المجتمع يجب أن ينحى ، ولكن التقابل نفسه
أمر ضروري يجب أن يندمى وأن يحافظ عليه
لبقاء المجتمع وقوته .

وفي حديث الرئيس جمال عبد الناصر في
عيد الثورة التاسع صور القوانين الاشتراكية
التي أصدرتها الثورة للنظيم الاجتماعي
والاشتراكي : بأنها للقضاء على الطبقة ،
وليس للقضاء على المفارقات الفردية . هذه
المفارقات التي تكون مبدأ التقابل المذكور .

والإسلام عندما يشير في آيات كثيرة من
آيات القرآن الكريم إلى المفاضلة في الرزق
على نحو ما في قوله : « والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق » ، أو إلى المفاضلة في
الإمكانات الأخرى الإنسانية : في المعرفة
والتوجيه والقيادة مثلاً ، على نحو ما في قوله :
« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » ، و قوله : « وهو الذي جعلكم
خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض
درجات ليلولكم فيها آناكم » ، وفي قوله : « يرفع
الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم
درجات » - يقصد إلى المفارقات الفردية
التي هي ضرورة في المجتمع ، ولكنه لا يقصد

وشخصية الرعية التي تؤمر فتطيع لا ترجع
قابليتها للأمر وتنفيذها للطاعة إلى ضعف
في أفراد الرعية وإنما إلى تأثيرهم بمحبة القائد
الموجه ، وإلى إدراك لما تنطوى عليه نفسه
من استقامة في السلوك نحو رعيته وما ينطوى
عليه تفكيره من حكمة وكياسة لقيادة مجتمعه
والخروج به من الأزمات الداخلية والخارجية
إلى ما يحقق رفاهيته وقوته .

ويستحيل أن يكون جميع أفراد المجتمع
من أصحاب القيادة الذين يأمرون فيطاعون ،
كما يستحيل أن يكونوا جميعاً من الذين يقبلون
الطاعة ، دون أن يكون من بينهم من يولي
عليهم لصلاحيته للقيادة والتوجيه .

وهكذا التقابل بين أفراد المجتمع ،
كما هو واضح بين الذكورة والأنوثة ، واضح
أيضاً بين أفراد المجتمع فيما يتميز به فرد عن
فرد ، وفيما يتميز به مجموع الأفراد عن قائدهم
ويتميز به القائد الموجه عن بقية الرعية التي
تقبل القيادة والتوجيه . والمساواة الحرفية
في كل شيء إذن مساواة تفرض أو تفنعل ،
ولكنها لا تنبثق إطلاقاً عن واقع المجتمع
وعن علاقات الأفراد بعضهم مع بعض .

ولكن لا ينبغي إطلاقاً أن تكون هذه
المفارقات ، أو يكون مبدأ التقابل مؤدياً إلى
تكوين طائفة أو تكوين طبقات في المجتمع .
لأن الطائفة أو الطبقة مستقيم حُجُباً تمنع

استقرار ، طالما الإنسان يتطور ، وطالما الإنسان يسعى للكشف والمعرفة في الحياة ، وما دامت وسائل العلم نفسها تتجدد وتغير .

وهو من أجل ذلك لا يعبر عن حقيقة نهائية ، فلا يصلح بذاته أن يكون وسيلة للإقناع لأجيال الإنسانية جميعها . وإنما ما يصلح منه اليوم لإقناع جيل بعينه قد لا يصلح فيما بعد لإقناع جيل الغد . فضلا عن أن عقلية الناس تختلف ويستحيل أن تكون واحدة ولها مستوى واحد واتجاه واحد . مما يحتمه مبدأ التقابل أو مبدأ المفارقات الفردية . والعلم إن صلح لإقناع بعض الناس قد لا يصلح للأكثرية الغالبة منهم .

ومن أجل ذلك كان العلم - الذي تحاول الشيوعية أن تجعله بديلا عن الدين في الإقناع - وسيلة قاصرة في ذاتها ووسيلة محدودة بالنسبة للناس جميعاً .

والاشتراكية بمفهومها غير المتوتري تقرب للناس فيما يملكون وإعادة الوضع الإنساني الطبيعي فيما يمارسونه في حياتهم من حرية ومن علاقة ، طبقا لخصائص الطبيعة البشرية ، وتبعاً لما توحى به هذه الطبيعة من الكفاح في سبيل المثل العليا ، وهي مثل الإنسانية : من عدل ، وكرامة وسلام واطمئنان وأخوة ، ومحبة .

المستور محمد البهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

بحال إلى خلق الطائفية أو الطبقة التي تضع الحجاب بين فرد وفرد والتي تجعل تقدير الأفراد التقدير الإنساني مختلفاً .

فنداء الله للدومنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يستخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، — يعبر تعبيراً واضحاً عن أن المفارقات الفردية ليست سبباً لاختلاف التقدير الإنساني الذي تقوم عليه الطائفية أو الطبقة . بل يجب أن يظل — كما هو شأنه في الوجود — عاملاً في قوة المجتمع ونموه وليس عاملاً في هدمه أو في تفتيته . إذ الطائفية أو الطبقة تفتي عن قيام مجتمعات متعددة ، أو وحدات اجتماعية مختلفة داخل إطار المجتمع الأصلي . وهذا بدوره يعني انحلال المجتمع الأول أو ضعفه على الأقل .

وبتقرير الإسلام المفارقات الفردية ، ومبدأ التقابل في الحياة الإنسانية ، تختلف نظراته عن نظرة الشيوعية ويقف من أجل ذلك في طرف آخر مقابل لها . ومن هنا ندرك لماذا تهاجم الشيوعية الإسلام ؟ وندرك بالتالي محاولة بعض كتابنا العرب الاشتراكيين التقليل من قيمة الدين في حياة الإنسان واستبداله بما يسمى « العلم » ، وبالوسيلة العلمية في الإقناع .

والعلم الذي تؤله الشيوعية وتحاول أن تجعل منه بديلاً عن الدين هو علم صائر متطور ، ومتغير متقل . لا يعرف له

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ٧ -

من مواقف عمر التي مثلوا بها ، وهما : حكمه بعدم قطع الأيدي على السرقة في عام المجاعة ، وإبطاله لعقوبة التغريب (النفي) للزاني غير المحصن ، بسبب التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، عند ما عاقبه بهذه العقوبة ، فقال عمر : لا أغرب بعدها أبدا ، وجرى من بعده على هذه السنة .

فنقول وبالله التوفيق :

إن الذين يقررون أن عمر رضي الله عنه خالف النص القرآني حين منع قطع الأيدي بالسرقة في عام المجاعة ، يريدون بالنص القرآني قوله تعالى : د والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، ويقولون إن هذا النص عام مطلق ، فقد أمر الله بقطع يد السارق والسارقة أيا كانوا ، فعمم هذا الحكم تعميا ، وأطلق فيه فلم يقيده بما إذا كانت السرقة حدثت في حالة مجاعة أو في حالة يسر ، وقد فهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا العموم ، حتى قال : د والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم تقييد القطع بما إذا كان

اشتهر بين الناس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حكم في بعض الأمور بأحكام تخالف ظاهر الكتاب أو السنة ، ويمثلون لهذا بموقفه من المؤلفة قلوبهم ، وبإيقاعه الطلاق الثلاث بكامة واحدة ، وبتجريم بيع أمهات الأولاد ، وبمنع قطع الأيدي على السرقة في عام المجاعة ، وغير ذلك .

وبعض المؤلفين والباحثين المعاصرين يطيب لهم أن يصفوا هذا الصنيع من عمر رضي الله عنه بأوصاف تفيد معنى التحرر ، أو التطور ، أو تعليق النصوص أو نسخها ... إلخ ، وهذه نزعة لا تمثل الواقع ، ولا تلائم مركز عمر في فقهه وعلمه وإيمانه بكتاب الله وسنة رسوله .

وقد تحدثنا من قبل عن موقف عمر في أمر المؤلفة قلوبهم ، وبيننا أننا لا نرى في صنيعه نسخا لآية قرآنية ، أو تعليقا لنصها ، أو تغييرا في حكمها (١) .

والآن نعرض بالتحليل لموقفين آخرين

[١] راجع مقالنا الخامس من هذه النظرات في

ح ٧ الصادق في رجب سنة ١٣٧٩

السكفائي للبضطين كان آثما ، وكان للبضطر أن يأخذما يقيت به نفسه ويدفع ضرورته . وعام المجاعة من غير شك ، هو ظرف زمانى يغلب فيه وجود أفراد مضطرين على هذا النحو ، فهو مظنة لوجوب الحق لهم على المجتمع ، ولا ينظر في هذا لتحقيق الضرورة فعلا بالنسبة لشخص السارق ، أو عدم تحققها حتى يقطع أو لا يقطع ، فإن هذا موطن من مواطن الحدود ، والحدود تدرأ بالشبهات ، فيكفى أن يقول الحاكم لعل هذا إنما سرق لضرورة ألجأته إلى السرقة ، فتكون هذه شبهة قوية تدرأ عنه الحد ، أما لو كان العام ليس عام مجاعة ، وإنما هو عام يسر ورغاء فإن هذه الشبهة لا تكون قوية ، ولا يجوز درء الحد بها ، لأن العبرة في الشبه التي تدرأ بها الحدود إنما هي بقوتها ، وتأيد الظروف لها

فعمربن الخطاب ، يتعلق فقهه بلفظ ارد في النص ، هو قوله تعالى : د والسارق والسارقة ، فيفسره بأنه أخذ ما لا حق له فيه خفية ، ثم يطبق مفهومه على السارق في عام المجاعة ، فبراء أخذا ماله حق فيه ، ومن ثم لا يشمل النص ، فلا يجب قطعه ، ثم يعمق فقهه في هذا فيقرر أن مظنة الضرورة ، وهي عموم الأمر ظنا في عام المجاعة ، تزل منزلة الضرورة للفعلية ، ومن ثم لا يجب الفحص في عام المجاعة عن حالة سارق بعينه ، ليعلم أكان في فاقة وضرورة ، أم لم يكن .

السارق في حال يسر ، ومنعه إذا كان في حال احتياج ، فمن أين أتى عمر بن الخطاب بهذا التقييد ؟ ثم إن عمر لم يكن يكلف نفسه البحث عن حالة السارق ، وهل كان في حالة فاقة واحتياج ، أو كان في حالة يسر وخرج من أمره ، ولكنه اكتفى بالحالة العامة للناس في سنة المجاعة ، وقد يكون السارق بالذات غير محتاج ، فإن حالة المجاعة وإن عمت كثيرا من الناس قد يخرج عنها فرد أو أفراد ، فكيف ساخ لعمر أن يوقف حد القطع قبل أن يحقق حالة السارق نفسه ؟ فما ذلك إلا لأن عمر أعطى نفسه حق التصرف في النصوص وتقييدها ، أو تعليقها بما يراه محققا للصحة .

والجواب - وبالله التوفيق :

أن عمر رضى الله عنه لم يعلق هنا نصا ، ولم يعدل ، ولم ينسخ - وحاشاه أن يرى لنفسه هذا الحق - وإنما فهم أن أخذ المال في عام المجاعة لا يوصف بأنه سارق ؛ لأنه يرى لنفسه حقا فيما يأخذ ، والسرقة هي أخذ الإنسان ما لا حق له فيه خفية .

بيان ذلك : أن من أصول الإسلام القامعية التكافل بين الناس ، على معنى أنه يجب على المجتمع وجوبا كفائيا أن يغيث أفراداه الذين نزلت بهم الفاقة حتى أوردتهم موارد الضرورة ، فإذا لم يقم المجتمع بهذا الواجب

ألا يأخذه فعليه القطع ؛ لأنه سرق ذلك عن غير ضرورة ، وإن فرضا على الإنسان أخذ ما اضطر إليه في معاشه ، فإن لم يفعل فهو قاتل نفسه ، وهو عاص لله تعالى ، قال الله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم ، وهو عموم لسكل ما اقتضاء لفظه ، وبالله التوفيق ، ص ٣٤٣ ج ١١ » من المحلى .

وهكذا نرى ابن حزم يفهم ما فهمه عمر من أن أخذ حقه لا يكون سارقا ، نعم إنه خص عدم القطع بما إذا اقتصر الآخذ على أخذ حقه ، أو أخذ الأكثر الذي لا يمكن تجزئته ، وهذا خلاف في تفصيل الرأي بعد الاتفاق على المبدأ ، وعمر أجرى الأمر ، في عام المجاعة على التيسير في تقرير الضرورة دون اعتبار ما اعتبره ابن حزم ؛ لأنه رأى ذلك أشبه بغرض الشارع من درء الحدود بالشبهات ، والشبهات كما تكون في ثبوت الفعل تكون في تقدير الحاجة وتكميف الفعل .

ومما يتلاقى مع فكرة عمر في أن الآخذ لا يعد سارقا إلا إذا أخذ ما ليس له فيه حق ، ما قرره مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل وغيرهم من أن الأبوين إذا أخذوا شيئا من مال ابنهما أو بنتهما ولو على سبيل الخفية فلا قطع عليهما ، قال الشافعي : وكذلك الأجداد والجدات كيف كانوا لا قطع عليهم فيما أخذوه ولو على سبيل التخفي من مال من

ومما يدل على نظرة عمر رضى الله عنه في تفسير السرقة بأنها أخذ الإنسان مالا حق له فيه ، ما رواه القاسم بن عبد الرحمن من أن رجلا سرق من بيت المال ، فسكتب فيه سعد بن أبي وقاص ، لعمر بن الخطاب ، فسكتب إليه عمر : « أن لا قطع عليه ، لأن له فيه نصيبا ، ولذلك أيضا نظير فيما يروى من فقه على رضى الله عنه ، فقد حدث سفيان الثوري عن سمك بن حرب عن عبيد بن الأبرص : « أن علي بن أبي طالب أتى برجل قد سرق من الخنس مغفرا ، فلم يقطعه على » وقال إن له فيه نصيبا » .

وفي صنيع عمر من منع القطع في عام المجاعة ، يقول ابن حزم الظاهري ، مع شدة تمسكه بتحكيم النص مطلقا عاما في قوله تعالى : « والسارق والساارقة قاطعوا أيديهما » ما نصه : —

« قال أبو محمد : من سرق من جهد أصابه فإن أخذ مقدار ما يغني به نفسه فلا شيء عليه ، وإنما أخذ حقه ، فإن لم يجد إلا شيئا واحدا فيه فضل كثير كشوب واحد أو أوأوة واحدة أو بعير أو نحو ذلك فأخذه كذلك فلا شيء عليه أيضا ، لأنه يرد فضله لمن فضل عنه ، لأنه لم يقدر على فصل قوته منه ، فلو قدر على مقدار قوت يبلغه إلى مكان المعاش فأخذ أكثر من ذلك ، وهو ممكن

الضرورة الملجئة فيقول في ص ٣٣ من الجزء الثالث :

« وقد وافق أحمد على سقوط القطع في المجاعة الأوزاعى ، وهذا محض القياس ،

ومقتضى قواعد الشرع ، فإن السمة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة

والضرورة ، فلا يسكاد يسلم للسارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه ، ويجب

على صاحب المال بذل ذلك له إما بالثمن أو بجائنا ، الخلاف في ذلك ، والصحيح

وجوب بذله بجائنا ، لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل

مع ضرورة المحتاج ، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج ، وهى أقوى من كثير

من الشبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ، بل إذا وازنت بين هذه الشبهة وبين

ما يذكرونه ظهر لك التفاوت ، فأين شبهة كون المسروق مما يسرع إليه الفساد ، وكون

أصله على الإباحة كالماء ، وشبهة القطع به مرة وشبهة دعوى ملكه بلا بينة ، وشبهة

إتلافه في الحرز يأكل أو احتلاب من الضرع ، وشبهة نقصان ماليتة في الحرز بذبح

أو تحريق ثم إخراجها ، وغير ذلك من الشبه الضعيفة جداً ، إلى هذه الشبهة القوية ، لاسيما

وهو مأذون له في مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد به رمقه ، وعام المجاعة يكثر

تليه ولادتهم ، ودليلهم على ذلك أن للوالد حقاً في مال ولده وقد فرض الله على الولد أن يعفف أباه إذا احتاج إلى الناس ، فله من ماله حق بذلك .

فاعتبارهم ثبوت حق الوالد في مال الولد بما فرضه الله عليه من إعفائه إذا احتاج ، يرشدنا إلى أن من أخذ مال غيره لجهد أصابه

لا يعد سارقاً لأن الشارع أوجب له بمقتضى الجهد والحاجة حقاً في المال الذى أخذه ،

ولا فرق في هذا المعنى بين مجهود يأخذ من مال غيره ، وأخذ من بيت المال أو من

الغنيمة ، إذ كل هؤلاء لهم نصيب فيما أخذوا منه .

وابن حزم يناقش في مسألة الوالدين والآخذ من بيت المال أو من الغنيمة

بما ناقش به في مسألة الآخذ في حالة الجهد ، ويصرح في مسألة الوالدين بالمبدأ المتفق عليه

فيقول :

« ولم يخالفهم أحد في أن الوالدين إذا احتاجا فأخذوا من مال ولدهما حاجتهما باختفاء

أو بقهر أو كيف أخذه ، فلا شيء عليهما فإنما أخذاهما حقهما ، (٣٤٥ من المصدر نفسه) .

ويذهب ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين مذهبا قريباً مما ذهبنا إليه ، حيث يعتبر

سقوط القطع للشبهة التى تدرأ الحد بناء على

فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشقبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب فدرى ، نعم إذا بان أن السارق لا حاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع .

كل هذا يبين لنا أن الأمر في نظر عمر لم يخرج عن النص ، وليس فيه إبطال له ولا نسخ ولا تعديل ، وإنما هو تطبيق دقيق للفظ المشرع مع ملاحظة رغبته الصريحة في درء الحدود بالشبهات .

والأمر كذلك في عقوبة التغريب ، أي نفي الزاني غير المحصن : ليس في ترك عمر إياه نسخ لنص ، وذلك أنه إنما امتنع عن التغريب بعد التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، متبعاً في ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين ص ٢٩ جزء ٣ :

في أرض العدو ، وذكرها أبو القاسم الخرق في مختصره فقال : لا يقام الحد على مسلم في أرض العدو ، وقد أتى بشر بن أرطاة برجل من الغزاة قد سرق مجننه ، فقال لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تقطع الأيدي في الغزو لقطعت يدك رواه أبو داود ، وقال أبو محمد المقدسي وهو لإجماع الصحابة : روى سعيد بن منصور في سننه بإسناده عن الأحوص بن حكيم عن أبيه : أن عمر كتب إلى الناس أن لا يجلدن أمير جيش ولا سريه ولا رجل من المسلمين أحدا وهو غاز ، حتى يقطع الدرب قافلاً ، لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار . إلخ .

ثم أورد ابن القيم في ذلك أمثلة أخرى . وعقب بقوله :

« وليس في هذا ما يخالف نصاً ولا قياساً ولا قاعدة من قواعد الشرع ولا إجماعاً ، بل لو ادعى أنه إجماع الصحابة كان أصوب ، قال الشيخ في المغنى : وهذا اتفاق لم يظهر خلافه . « قلت ، وأكثر ما فيه تأخير الحد لمصلحة راجحة إما من حاجة المسلمين إليه أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار ، وتأخير الحد لعارض أمر وردت به الشريعة كما يؤخر عن الحامل والمرضع ، وعن وقت الحر والبرد والمرض ، فهذا تأخير لمصلحة الحدود ، فتأخيره لمصلحة الإسلام أولى . »

والأمر كذلك في عقوبة التغريب ، أي نفي الزاني غير المحصن : ليس في ترك عمر إياه نسخ لنص ، وذلك أنه إنما امتنع عن التغريب بعد التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، متبعاً في ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين ص ٢٩ جزء ٣ :

« إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدي في الغزو ، - رواه أبو داود ، فهذا حد من حدود الله تعالى وقد نهى عن إقامته في الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره ، من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضباً كما قاله عمر وأبو الدرداء وحذيفة وغيرهم ، وقد نص أحمد وإسحق بن راهويه والأوزاعي وغيرهم من علماء الإسلام : على أن الحدود لا تقام

(٥١) ما ذكره ابن القيم ص ٣٠ من الجزء نفسه) .
خوف لحوق المحدود بالكفار ، و فرع
وهو عدم التغريب لليلة نفسها .

وإذن فليس هذا نسخا من عمر لحكم شرعي
وإنما هو اتباع لسنة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، ولو أن الخوف من لحوق
المسلم بالكفار زال لوجب الحد ، جلدأ
كان أو قطعاً أو تغريباً .

هذا وفي التغريب كلام آخر من حيث كونه
حداً أو تعزيراً ، وعلى أنه تعزير يكون
الامر فيه إلى الإمام ، إن شاء فعله وإن شاء
تركه لمصلحة يقدرها ، وهو مفوض في ذلك
من الشارع ولا يعد حين الترك نسخا لحكم؟

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

وأقول : إن هذا البحث وإن كان في تأخير
الحد وليس في مسألة التغريب ، إلا أنه يرشدنا
إلى ما استند إليه عمر أخذنا من سنة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حيث رآه ينهى عن
القطع في الغزو ، وعن أن يحد مرتكب مع
خوف لحوقه بالمشركين ، ففهم من ذلك أن
الحرص على بقاء المسلم وعدم لحوقه بالكفار
مقدم في السنة على إقامة الحد ، ولا شك أن
هذا رعاية للمصلحة ، ولكنها مصلحة أرشد
إليها الشارع نفسه واعتبرها وطبقها ، فلا
مناص من تطبيقها وتنزيل النص عليها ،
والامر فيها يرجع إلى القياس ، حيث معنا
أصل وهو عدم تنفيذ الحد ، وعلته وهي

المرء بمخبره لا بمظهره

وقف رجل حسن الشارة ، حلو الإشارة على المبرد فسأله عن مسألة ، فأحال ولحن
وتسكع في الخطأ فقال له المبرد : يا هذا ، أنصفنا من نفسك ، إما أن تلبس على قدر
كلامك ، وإما أن تتكلم على قدر لباسك ! .

فتحائمه القرآن

مقارنات ومفارقات

بين الجنّ والانس والأنعام

للمؤسّذ عبد اللطيف السبكى

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرآ من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون . »

١ — والوفاء بما عهد إليه من طاعة ، وتعمير ، واستخدام للطبيعة في إبراز معالم القدرة .
٣ — والنزول بالإنسان بعد ذلك منوط بأسباب من جهته هو ، وبما رضى لنفسه من تجاهل لمساكنه ، وشأنه ، وتساح في أمانته وزهادة في حسن علاقته بربه الذى بوأه مقعد السيادة بين خلائقه .

وقد مررنا في حديث قريب أن بعض بنى الإنسان هبط بنفسه حتى عاد في لجججه أشبه بالكلب اللاهث دائماً والذى اعتاد الناس أن يذكروه في معرض التسفيه والحقارة ، وإن كانت له مزايا مشكورة .
٤ — فإن يكن للإنسان مقام رفيع في اعتبار القرآن فذلك بما آتاه الله من فضله ، وإن يكن الإنسان هوان ، ونزول في قصص

١ — بينما نجد القرآن الكريم يرفع من شأن الإنسان في كثير من آياته ، حتى ليصرح بأن الله فضله على كثير من خلقه تفضيلاً .

نجد القرآن في مقامنا هذا ينزل بالإنسان إلى حضيض الهوان ، حتى ليجعله في منزلة الأنعام من بقر ، وأغنام ، وإبل .

وهذا تنويع في الحديث عن الإنسان يثير الانتباه إلى ما هنالك .

٢ — فتفضيل الإنسان باختياره خليفة في الأرض ، وإيثاره بالمدارك والشعور ، وتخصيصه بالعلم والحكمة ، وتمييزه بالتشريع . وتوجيه الخطاب إليه ، واختيار الأنبياء منه وفى كل ذلك إشادة بالإنسان ، وتقليد له بمقاييد الثقة فيه ، وانتظار الأمانة من جانبه ،

وهذه شبهة يتخيلها الفهم ، ولكن المراد أنه بعد أن خلقهم كانت عاقبة ذلك أن حصل من كثير منهم انحراف باختيارهم ، فعملوا عملا غير صالح ، فكانوا لهذا أهل جهنم ... والله تعالى يحيط بكل هــذا من قبل أن يخلقهم ، ويعلم أن اختيارهم سيكون شرا على أنفسهم ، فذرهم في دنياهم عالما بما لهم الأخير ، فكأنه خلقهم لهذا وحده بمقتضى اختيارهم الخاص وانصرافهم عن الهداية إلى غيرها .

وذكر الجن في صدر السكلام يؤكد أنهم مكلفون كما تؤكد ذلك آيات كثيرة صريحة ، بل يؤكد أن حظهم في العقاب أشد من الإنس لسكرة العصاة ، منهم وحسبنا أن الشياطين منهم . وفي هذا ما يزيل الجبهة التي دفعت بعض المنحدرين إلى إنكار تكليف الجن بما كلف به الإنس من شئون الدين .

٦ - ثم أخذ القرآن يواجهنا بسبب انحدر الإنسان مع المنحدرين من الجن عن مستواه الرفيع ، واتجاهه إلى غير أهدافه السكرية .. فذكر أمورا ثلاثة .

الأول - أن لهم قلوبا - ولكن لا يفقهون بها .
الثاني - أن لهم أعينا - ولكن لا يبصرون بها .
الثالث - أن لهم آذانا - ولكن لا يسمعون بها .
(١) فالقلب للتعقل ، وهو هنا جانب روحى في الإنسان ، ليس مرادا منه تلك القطعة المعروفة في الجسم ويسمى عند العلماء

القرآن ، فذلك بما اختار الإنسان لنفسه والجنانية منه ، لا من سواه ، والإنسان ظلوم ، جبار ، كفار .

٥ - ومن عدالة القرآن في حديثه أن يفصح في موضوعنا الآن عن صفات أولئك الذين أساءوا ، ويذكر شأنهم ، وما كانوا عليه ، فلم يجعل الحكم لجنى الإنسان جميعا ، وإن كان له تعميم في بعض الأحيان قاصدا إلى الجنس في عموم الإجمالى ، لا إلى التعميم في حكمه وهو يقول هنا : « ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس ، فهذا حديث عن هن فريق من الجن والإنس لا عن الجميع والحمد لله .

فالجن والإنس مكلفون جميعا ، وإن كانت الرسالة في الإنس خاصة فالتبليغ عام بالوساطة ، ونحن نعلم أن الله إذ خلق الجميع جعل الغاية العليا المنظورة منهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به غيره « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

وهذه الغاية بحسب فطرتهم وما أتيح لهم من إدراك ، ومقارنة بين الخير والشر والحق والباطل ، وتفضيل واختيار لأنفسهم . وفي جانب ذلك يقول : « ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والإنس ، فكيف يخلقهم للعبادة ، ثم كيف يخبر أنه خلقهم وبهم في كثرة ظاهرة ليكونوا لجنهم .

لأحداث التاريخ ، كانوا في هذه الناحية أشبه بالأنعام في سذاجتها .

فإن الأنعام لا تعقل من دنياها إلا ما تدفعها إليه الغريزة من إحساس بالجوع أو العطش والتعب ، وليس لها في دنيا العلم مجال ... وعلى هذا لا يتحقق الفرق في الإنسان على الحيوان ما دامت الغاية واحدة في أكل وشرب ، وملاذ ، ومتاعب .

بل المكلفون من الجن والإنس يكونون أكثر ضلالا من الأنعام ؛ لأن هذه معذورة بتجربتها من تلك المزايا ، والوقوف بها عند تسخيرها للإنسان في منفعته .

بل يكون المتكلفون كذلك أكثر ضلالا لسماعهم ما سمعوا من الآيات ، وشهودهم ما شهدوا ، ولعلمهم بأنهم مسئولون عن كل ذلك ، ومعاقبون على إغفاله ، فهم سادرون في غير اكترات .

مع أن الأنعام تتق ما يخيفها ، وتتجنب ما يضرها إذا استشعرت شيئا من ذلك . فوضح أن الإنسان والجن قد نزل مكانهما في الاعتبار عن درجة الأنعام .

وصدق فيهم قول الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها » - إلى قوله : « إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل » .

ولو كانوا من غير قلوب ، أو من غير أعين ، وأسماع : لكان خطبهم أهون

في الجانب الشرعى عقلا بالنسبة لأنه أداة الفهم ، والتعقل ، ومن هذا قوله تعالى : « أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ؟ » .

ويسمى عندنا اليوم بالضمير ، ومن هذا قوله تعالى : « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » . أى تألمت ضمائرهم بسبب كفرهم .

(ب) والأعين للإبصار ، والمشاهدة ، وتعرف ما في الدنيا من آثار القدرة وملاح الوجود في هذه الحياة .

(ج) وكذلك الأذان للسمع ، واستماع القرآن والإرشاد والاعتبار .

ومن هذا يتبين أن الآيات الكونية المشاهدة ... وأن الآيات المنلو في القرآن تتلاقى كلها من طريق السمع ، والبصر ، وتستقر آثارها في القلب الواعى ، فتكون النتيجة علما وإيمانا وفطنة إلى كل ما ينفع وتلك غاية الدعوة الدينية لخير الإنسان من هنا وهناك .

وهذه الوسائل موفورة للجن ، وللإنس خلقت لهم ؛ لأنهم أهلها ، وفي حاجة إلى الانتفاع بها ، فإذا عطلوها عن الجانب الدينى أوصرفوها إلى غير النواحي الجدية ، فلم يستفيدوا بها عقلا ، ولا مشاهدة ، ولا متابعة

والتقريع : « والله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون ، نعم : من طرق العبادة التي رضيها الله لنا ودعانا إليها ، ومحاسنها عليها . أن ندعوه بأسمائه ، ونقصد إليه فيما نحتاجه ونطلبه ، متوسلين بذكره والثناء عليه بما هو أهله ، وفي الذكر تواضع مفروض علينا ، وتعظيمه حق مطلوب منا ، وفي الثناء تقرب ، واستشفاع ، وحظوة .

ثم لم يضيّق الله علينا فيما نذكره به ، بل له أسماء كثيرة ، وكلها ميسورة ، وله صفات كذلك تثبت له ما هو حق له وحده .

وطريق العلم بها كتابه وسنة رسوله فهو الله ، العلي ، السكبر ، الواحد ، الأحد ، المنعم ، الرحمن الرحيم ، السميع العليم ... وهكذا بما نعرف بداهة وما نتلوه في كتابه ، وباب ذلك واسع .

وهناك صفات وردت في سياق آياته ولكنها لا تذكر إلا مقرونة بما يتعلق بها فالله يقول « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟ » فلا يقال مثلاً : الله زارع لأنه وصف لم يختص به تعالى بل يقال على أنه خالق الزرع .

ويقول تعالى عن الكفار : « الله يستهزئ بهم » ، فلا يقال في دعائه : يا مستهزئ لأن ذلك ليس من الثناء المحض .

ولكن الحجة قائمة عليهم بما أنعم الله ، وبما فضلهم به ، ولكنهم عطلوا هذه الأسباب التي أتتحت لم فكفت عليهم مسئولياتها ، وصاروا في غفلة عن أنفسهم لا تساويها غفلة الحيوان الأعجم ، وكأنه لا غفلة من سواهم مهما يكن الشأن ، فحصرها القرآن فيهم . . . وأولئك هم الغافلون ، وما زال القرآن يحدد الذكري ، ويصدق بها في الأسماع ، وهم على ما وصفوا به « إن السمع والبصر والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسئولا . » وما يزال الإنسان يعطى من نفسه دليلاً على صدق ما ورد في شأنهم ، وما يزال واقفاً من دعوة الله موقف الأجنبي عنها ... كأن هناك إنساناً آخر ، وكأنه هو ذاهب إلى عاقبة مضمونة في ناحية غير الناحية التي يحشر الناس إليها جميعاً .

وإذا كانت الآيات التي عرضناها زاجرة : أو من شأنها أن تزجر المرء عن ضلاله ، فعليه في حساب العقل الواعي أن يختار غير ملوكه .

ومن لطائف الكتاب العزيز أن ينتقل بنا من جانب الإنكار ، والتنديد في هذا المقام : إلى جانب الإرشاد ، والتبصير . . . وهذه سياسة علاجية يستريح إليها المنطق المناضج ، ويدركها الشعور الحصيف . وانظر إلى قول الله - سبحانه - عقب ذلك التهديد ،

يجهلون ذلك أو يتجاهلونه وكانوا يدخلون في أسمائه مالا يليق به كوصفه بالآب ... أو كانوا يطلقون بعض أسمائه المعروفة ويريدون بها غير الصواب .

والله سبحانه ينهانا عن الوقوع في مثل هذا فيقول : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، أى اتركوا هؤلاء المنسكرين ، أو المختلقين ، أو المتأولين ، فكل ذلك يسمى إلحادا ، وحشوا غير سائغ في جانب الله .

وقد يمتد هذا الكلام إلى ما يدور في صفوف الذاكرين من إخواننا الاتباع وما أحب أن أثير نقاشا حول هذا وفي ترجيحه أو عدم ترجيحه ، ومن الخير كثيرا أن نأخذ بمالا شبهة فيه ، والنبي صلوات الله عليه يقول : « دع ما يريبك إلى مالا يريبك ، والله يعصمنا جميعا من الإلحاد والانحراف ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

ويقول سبحانه : « ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ، فلا يقال في دعائه ولا في جانيه مطلقا : يا ما كر أو الله ما كر .

لذلك نذكره بما هو مشهور لدينا من صفات السكال .

وأما مالا نعرفه فلنتوقف في ذكره به ، وكفانا ما نعرف من أسمائه وصفاته . وللعلماء تفصيل مشكور في مواضع الحديث عن أسماء الله تعالى .

وقد وصف الله الأسماء بقوله : « الحسنى فادعوه بها ، بشير إلى أسمائه الواردة وإلى ما ليس بمحظور ، ولا شبهة فيه . . وكل أسمائه الواردة وصفاته الكريمة : كلها حسن وحق وذكرها عبادة .

وكان الناس قديما يلحدون في أسمائه ، فينكرون بعضها كلفظ الرحمن مثلا ، وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا : وما الرحمن؟

قيل ليزيد بن المهلب : إنك لتلقى نفسك في المهالك !

قال : إني إن لم آت الموت مسرسلأ أأناى مستعجلا ، إنى لست آتى الموت من حبه ، إنما آتية من يقبضه ، ثم تمثل :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدم

من تاريخ الممالك

مصر تحتفل بالمولد النبوي

للأستاذ محمد رجب البيومي

تحتاج العواطف النفسية إلى متنفس يحسدها للبيان فتتخذ مظهراً محسوساً يكون تعبيراً صادقا عن أوراها الملتب، وحب المسلمين عامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح للتأمل في مشاهد كثيرة لعل أعظمها روعة وخلاصة هو الاحتفال بمولده الشريف، فقد دأب أبناء الإسلام منذ أمد بعيد على الاهتمام بذكره الطيبة في كل مناسبة تحين، ومصر الإسلامية كانت بمحمد الله أسبق الدول كافة إلى الاحتفال بالمولد السعيد، فلا يعرف التاريخ الإسلامي قبل الدولة الفاطمية بلداً إسلامياً بدأ بهذه السنة المباركة غير وادي النيل، وقد لمس المعز لدين الله حقيقة هذا الحب الكامن في النفوس لنبي الإسلام فقام لأول مرة في التاريخ بالاحتفال بمولده الشريف، ورأى من الاستجابة الصادقة والترحيب الحار ما جعله يتفنن في استقباله عاماً بعد عام ثم سار خلفاؤه من بعده على طريقته فكان لهذا اليوم الأغر في تاريخهم صدى مسموع، وإن يقول قائل: إن الدولة الفاطمية قد احتفلت بمواسم كثيرة غير المولد النبوي لتلفت إليها الأنظار، لأن أكثر هذه المواسم قد فنيت بفناء الدولة

الفاطمية، ولكن الاحتفال بالمولد النبوي قد فرض وجوده على التاريخ فلم يذهب بذهاب الفاطميين، إذ أنه يعبر عن رغبة حارة في النفوس، فهو يستمد وجوده الدائم من خبايا المشاعر ونبضات الأحاسيس! وأنت ترى الآن جمهور المصريين في الريف يحتفلون بالمولد النبوي حتى في غير مناسباته، فإذا ما أراد رب المنزل أن يظهر نعمة الله عليه في مناسبة سعيدة أعلن عن وليمة خاصة يدعو إليها الفقراء والفقهاء، ودعاها وليمة المولد النبوي، وفي مساء هذه الليلة العامرة يحضر الأصدقاء والأقارب ليستمعوا قصة المولد النبوي من فقيه القرية!! ولدينا أدب خاص بالمولد النبوي في تراثنا العلي لا أدرى كيف غفل الباحثون عن تقييمه ورصده، فعشرات العلماء والأدباء كالبرعي والبرزنجي والمناوي والنووي قد ألفوا قصص المولد النبوي، وملئوها بالمعجزات الخارقة والآيات السائرة، وكاد الريفيون يحفظونها عن ظهر قلب لسكرة ما ترددت على أسماعهم في الليالي العامرة والأمسيات السعيدة، وأذكر أن وزارة الأوقاف لعهد غير بعيد قد دعت

ليلة الميسلاد فى منزله يقرأ القصة النبوية ، ويولم لأصدقائه وأهله ، ويؤدى واجبه الدينى عن إخلاص وإيمان !

وسنجلو فى هذا الحديث صفحة رائعة لملك من ملوك الإسلام فى مصر هو الأشرف قايتباى إذ قام بالاحتفال بمولد الرسول الأعظم قياما لا يشاركه فى روعته وجلاله أحد فيما نعلم غير الملك المظفر صاحب إربل ، وقد تناولته بالحديث فى مناسبة سابقة على صفحات مجلة الهلال ، فلن أعود إليه الآن ، ولكنى أيجل هنا بعض ما قام به الأشرف قايتباى من احتفاء واستعداد ، ليعلم الناس كيف يدفع الحب المؤمن صاحبه إلى التفتن والإبداع .

لم تكن سلطنة الأشرف قايتباى - وقد ناهزت الثلاثين - مجالا للدعة والهدوء ، فيظن أحد أنه تفرغ للاحتفال بالمولد على هذا النطاق البديع حين خلا له الجو وسالته الأيام ، ولكنه قاسى من الشدائد والأحوال ما يرهق النفس ويشغل الخاطر ، فقد انتقض عليه الثوار غير مرة فى شمال الشام ، وزحفت جنوده إلى قمع الثورة ، وإعادة الهدوء متكبدا شتى المصاعب والأحوال ، كما منى بإغارة ملك العراقيين لعهد على أطراف مملكته ، فلم يستطع السكوت وتحركت إليه الكتائب المصرية فردته على أعقابها بعد كفاح مرير وجهد شاق ، وكانت ثالثة الأثافي مناقشات

إلى مسابقة عامة لوضع قصة معاصرة من قصص المولد النبوى وكان الأستاذ عبد الله عفيفى فائزها الأول !! ومع أن الشيخ على محمود قد قام بتلحينها وإذاعتها عدة مرات إلا أنها لم تلق قبول سابقها من القصص النبوية ، لأن أسلوبها الأدبى كان يعلو مستوى الجمهرة من السامعين ! وبقيت القصص القديمة تتردد إلى الآن فى شوق وإعجاب .

هذه القصص وحدها دليل لا يخطئ على اهتمام الشعب المصرى بالمولد النبوى فى ربيع الأول وغير ربيع الأول من شهور العام ، وكأنى بنابليون الداهية ، وقد أدرك هذه الحقيقة القوية فأصدر أمره لأول عهده فى مصر بإقامة احتفال مشهود بالمولد النبوى ، فأقام للسراقات الفخمة ، وأوقد المصابيح المتلألئة وجعل الزوارق الجبيلة تعبر مياه الخليج حاملة طوائف المغنين وأرباب اللهو والمسرة ، وقدم المطاعم والمشارب على فطاق متسع ! وكان فى هذا العمل الرائع ما يدعو الجمهور المصرى إلى المشاركة فيه ! ولكن العاطفة الصادقة تلبح أثر الرياء الكاذب فيما تشاهد وتلس ، إذ لا يعقل فى منطق العقل أن يقوم بالاحتفال بمولد محمد صلى الله عليه وسلم لإنسان لا يؤمن بنبوته ولا يعرف حقيقة دينه ! فأنصرف الناس عن هذا الاحتفال الرسمى ، وعكف كل مصرى

الآثار العربية وفي مساجد السلاطين ومزارات الأولياء فإن هذا السراق الحافل قد جمع من آيات الفن الإسلامى ما جعله حديث الناس فى الشرق والغرب ، حتى إن السلطان سليم الأول حين داهم مصر بجيوله وجبروته كان أول ما سأل عنه هو السراق الأشرفى النبوى لحمله بنسيجه ومصاييحه وأثاثه ونمارقه إلى بلاده . ولو كان للفن مكانة ما لدى الأتراك اصين فى أحد المتاحف رمزا لتقدم الحضارة الفنية فى إحدى بلاد الإسلام : ولكنه استهلك فى أشياء تافهة ، ومن ورائه زفرات حارة يصعدها المصريون كل عام إذا هاد المولد النبوى ورأوا مكانه خاليا من الروعة والبهاء !

كان هذا السراق النبوى يشبه إيوانا ضخما متسع الجوانب ، متعدد الأرجاء ، وهو على هيئة دائرة ضخمة ذات أبعاد وأطوال ، تعلوه قبة شاهقة تنهض على أربعة أساطين وقد زينت سماؤها بالمصاييح البلورية ذات الألوان المتعددة من أبيض وأحمر وأخضر فإذا تقابلت أنوارها نسجت للتناظرين أبدع حلة من الضياء أما الطنافس والأرائك والناروق والبسط فمما يخلب ويروع ، وقد رتبت ترتيباً بديعاً يعرض المقامات والمراسيم فالكراسى الذهبية لرجال الصف الأول من الحكام والرساء والكراسى الموشاة بالفضة

الدولة العثمانية التى بدأت تتطلع من ذلك الحين إلى مصر فكسدت الخواطر وأهبت الصدور واضطر الأشرف قايتباى إلى محاربة العثمانيين فى عقر دارهم ، واستولى على مدن كثيرة من ممتلكاتهم مثل أذنة وقيسارية ثم تصالح الطرفان وطويا الصلوع على شجون وآلام !! والعجب العاجب أن هؤلاء العثمانيين يتطلعون إلى مصر ، ويتركون الاندلس عن جانبهم تسقط مدينة وراء مدينة : وكان فى قوتهم الهائلة وذخيرتهم القائلة ما يحفظون به الإسلام فى بلاد تتكالب على إبادته ، لو صدقت الهمم وأخلصت القلوب ؛ ولكن هذا ما كان :

أجل ، لم تحمل هذه الكوارث المتتابعة دون إقامة الاحتفالات الباهرة بالمولد النبوى الكريم على نحو باهر عظيم ! ولعل من الغرائب النادرة أن نعرف أن قايتباى قد أعد سرادقا خاصا بالمولد النبوى كان يسمى إذ ذاك بالسراق الأشرفى ، يضم آلافا من القطع المطرزة المبطنة بالحرير والديباج ، وقد حليت بمختلف الزخارف والرسوم ، وكتب عليها نماذج متعددة من آيات القرآن وأحاديث الرسول وقلائد الأبيات بخطوط أنيقة مختلفة الألوان والحجوم ، وإذا كان الفن الزخرفى قد بلغ روعته فى هذا العصر كما يلحظ من يشاهد آثاره الناطقة فى دار

بهجوم السلطان سليم فاففض السامر وانتقض الشمل وكأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ١١ .

أما مراسم الاحتفال ؛ فقد جرت العادة على أن يحضر الناس إلى السرايق كل ليلة من الليالى السابقة لليلة الأخيرة دون ترتيب ، وإذ ذاك يسمعون الترتيل والوعظ ، ويقومون بالذكر والأدعية ويتنازلون الخفيف من الشراب والطعام ، أما الليلة الثانية عشرة فلها تقليدها المتبع ، ومنهجها المرسوم ، إذ تقام الزينات في الشوارع والميادين ، وتمر المواكب غاصة بالقراء والمنشدين ، وتدوى الطبول في كل ساحة ثم تتوجه الجموع إلى السرايق ، وفق ترتيب خاص ، إذ يتقدم الموكب الأول الخليفة العباسي ومعه القضاة الأربعة وأصحاب المناصب الدينية في الدولة من علماء وفقهاء ثم يأتي في الموكب الثاني وفيه عليّة القوم من أمراء الممالك وقواد الجيش ووراءهم عظماء الدولة من أرباب الوظائف وحكام الأقاليم وأصحاب الحسبة والالتزام وفي الموكب الأخير رجال الشعب من العامة على ترتيب في الأقدار ومراعاة لمكانة كل رجل واستحقاقه : أما طوائف المتصوفة وأصحاب الطريق فيظلون في الساحة الواسعة يشدون ويقربون حتى ينزل السلطان فيصافح رجال المواكب ،

لمن يلهم من صدور الأعيان ووجهاه القوم ، أما بقية المقاعد فقد كساها المخمل الناعم والديباج الوثير فأضحت رمزاً للبهجة الناعمة والترف الحضارى الجميل ، وقد جرت العادة أن ينصب هذا الإيوان الفخم في الليلة الأولى من ليالى ربيع الأنوار ، ولا يقوم بتشيدته وإعداده غير ستمائة بطل من أبطال الأسطول المصرى قد دربوا تدريباً كاملاً على إحكامه وإتقانه مع جمهرة من المهندسين وأرباب الفن والذوق ، وقد وصفه أحد الرحالة : فقال إنه يشبه مدينة كبيرة ذات شوارع وميادين ففي كل جانب من جوانبه ترى موضعاً للتأمل والاستطلاع : ولقد كان الملك المظفر صاحب إربل يستعد للاحتفال بالمولد ابتداءً من المحرم فيدعو الصناع إلى إقامة ميدان فاخر للاحتفال ولا يكادون يفرغون من عملهم حتى يمضى شهران ويشرق ربيع ، أما الأشرف قايتباى فلم ير ضرورة في تكرار هذا العناء كل عام ، واهتدى إلى صنع هذا السرايق لينصب كل عام في مناسبته السعيدة دون إجهاد : وحسناً فعل ، فقد ظل خلفاؤه من السلاطين يحرصون على استعماله فأصبح شاهداً ينطق بفضله بعد أن وورى في التراب : وأخذ الناس ينظرون إلى رغبته فيترحمون عليه ، ويستغفرون له الله ، حتى عمت الكارثة

الإبداع ، كما قام برحلات مختلفة داخل القطر وخارجه فأمتع عينه بروائع الطبيعة في القرى والمدن ، ورأى مشاهد الشروق والغروب في الفضاء الممتد والمرج الشاسع ، والبحر المحيط وذلك لا يتأتى لغير فنان متذوق يتعشق الحسن في شتى مجاليه !

ويخيل إلى أن اهتمام الأدباء والشعراء بالمذامح النبوية في العصر المملوكي لم يكن دافعه الأول هو الشغف بالمحاكاة والولوع بالبديع كما يرى بعض المؤرخين ، ولكن الشعور الديني العام ، وانفساح المجال للإنشاء في هذه الاحتفالات قد ساق الأدباء سوقاً إلى الاهتمام بهذا الضرب من المديح ! ! فجاءت قصائدهم النبوية تنفيساً عن شعورهم الصادق ! وإذا كان البديع المتكلف قد أثقلها ببعض الإغراب فإن ذلك لا يمنع القول بصدقها المخلص وإحساسها الأمين ! ! وهي في رأي الخاص احتفال آخر بالمولد النبوي في دنيا الفكر قد يعادل احتفال السلاطين به في دنيا الواقع ! بل أنه أخلد أثراً وأبقى ذكراً من كل احتفال وقد ذهبت سرادقات الاجتماع مع المذاهبين ، وبقيت قصائد البوصيري وابن نباتة وابن حجة وغيرهم من شعراء الماليك لتكون احتفالاً نبوياً لا تبلى جدته ولا ينقطع صده .

محمد رجب البيومي

ويسامر الضيوف من السفراء والأجانب ، ثم يأذن لمن بالخارج من العامة أن يأخذوا أماكنهم الخلفية في هدوء ! ! فيهرع معهم المتصوفة إلى منتصف السرادق يرتلون وينشدون ! ! ثم يبدأ الاحتفال الرسمي على نحو يقرب من النحو الفاطمي إذ يرتل القرآن الكريم أولاً ، ثم يستمع الحاضرون إلى الوعظ الديني متوجهاً إلى سيرة الرسول مولداً وبعثةً وغزواً وجهاداً وانتصاراً والتحاقاً بالرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه : ثم تمت الاستمطة الراحلة بالأطعمة ، فلا يتخلف أحد من الحاضرين عن تناول أطايب الطعام ، ولذا نذ الشراب ، ولك أن تقدر ما ينفق على هذا الحشد الزاخر من مال وما يذبح من حيوان ، وما يبذل من هدايا ، وما يخلع على العلية من تحف وأوسمة وما يفرق على المحتاجين من صدقات ! ! بل إن الدراهم والدنانير كانت تنثر نثراً على الجموع فيصيبهما من يشاء ! وينتهي الحفل الساهر مع الفجر المشرق في فرحة غامرة وسرور عظيم .

ويظهر أن الأشرف قايتباي كان فناناً بطبعه ، فهو يرى في إعداد السرادق على نظامه السالف إشباعاً لرغبته الفنية ، يؤكد ذلك اهتمامه الحافل بالعارة والتشييد فقد أقام برجاً عظيماً بالإسكندرية كان مثال البراعة والذوق ، وبني المساجد بناءً يزينه الخزف ، ويحوطه

قولوا الجنّس العربي لا السّامي

للأستاذ محمد عَزّه دروزه

لاحظ المستشرقون وعلماء اللغات والآثار
تشاركا واسعا في اللغات والأفكار والعقائد
وللتقاييد بين شعوب الشرق العربي القديمة
في جزيرة العرب ووادي النيل والهلل
الحصيب وأثيوبية ، فرجحوا أنها ترجع
إلى أصل واحد مشترك ، ثم رأى بعضهم
أن بعض أسماء هذه الشعوب هي من الأسماء
التي وردت في سفر التكوين كأبناء وأحفاد
سام بن نوح ، فأطلقوا عليهم اسم الشعوب
السامية وعلى لغاتها اسم اللغات السامية ^(١)
وتوسعوا فأدخلوا في نطاق هذا الاسم أقواما
لم ينسبهم السفر المذكور إلى سام كالحاميين
أو الكوشيين الذين ينسبهم إلى حام بن نوح ،
والكنعانيين الذين ينسبهم إلى حام ،
والعبرانيين الذين ينسبهم إلى إبراهيم الكلداني
أو الآرامى حسب اختلاف الاستنتاج ،
والكلدانيين والآكديين والعموريين الذين

لم يذكروا في الانساب ، والأثيوبيين الذين
قالوا لأنهم حاميون ...
وهذا الاصطلاح حديث لم يبلغ من العمر
مائتي سنة ^(٢) وواضح أنه لا يستند إلى علم
وثيق . ومع ذلك فإنه انتشر وتوطد بين
الباحثين والأعاجم وسرى إلى كتب العرب
ومؤرخيهم .

ولقد اختلف المستشرقون في مهد الساميين
الأول ، فمنهم من قال : إنه جزيرة العرب ،
ومنهم من قال إنه جزيرة الفرات ، ومنهم
من قال : إنه أرمينية ، ومنهم من قال : إنه
أثيوبية ، ومنهم من تردد . غير أن كثيرا
منهم بل أكثرهم يقررون أنه جزيرة العرب
التي كانت في ظروف مناخية مساعدة على
ما أنبته الجيولوجيون والأثريون . ومنهم من
يخصص جنوب الجزيرة ويقول : إن الشعوب
السامية انساحت منه إلى سائر أنحاء الجزيرة ،
ثم إلى الأقطار المجاورة لها شمالا وجنوبا .

على أنه يبدو من خلال أقوال المتخلفين
في العهد الأول أن الخلاف هو في مهد النواة

[١] انظر الصحيفة المذكورة في الذيل الأول
من الكتاب نفسه وما بعدها .

[١] انظر الجزء الأول من كتاب تاريخ العرب
قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها
كتاب الأساس في الأمم السامية ولغاتها للبراشي
ورفقاء ١ - ص ٣٥ وتاريخ اللغات السامية
لإسرائيل ولفسون .

سبباً أن جزيرة العرب ظلت ترسل بموجاتها إلى هذه الأقطار بدون انقطاع قبل دور العروبة الصريحة - أى قبل أن تغدو اللغة العربية الصريحة لغة العرب ، واسم العرب ، اسماً لهم - ثم فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام ، ثم منذ الإسلام إلى اليوم . مما سجلت أحداثه القديمة نقوش المصريين والآشوريين والكلدانين وأسفار العهد القديم وكتب اليونان والرومان القديمة وقرره علماء الآثار والتاريخ .

ومما تواصلت أحداثه فيما عرف يقيناً ، من انسياح القبائل العربية من الجزيرة العربية فى دور العروبة للصريحة قبل الإسلام إلى العراق وجزيرة الفرات وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء ، ثم من انسياح القبائل تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق وادى النيل : شماله وجنوبه والأقطار المغربية فى شمال إفريقيا ثم انسياح القبائل الذى استمر بعد المواجهة الإسلامية الأولى من الجزيرة إلى جميع هذه الأجزاء وإلى سواحل أثيوبية والصومال بدون انقطاع ، ثم من الصورة الحية المسألة اليوم بالقبائل والعشائر التى تمثل جنبات هذه البلاد كذلك وإلى ما يمت إلى القبائل القديمة ومنها من جاء قبل قرون قليلة بل منها من جاء قبل أجيال قليلة . فكل ما تقدم يبرر بدون ريب اعتبار

الأولى لهذه الشعوب قبل عهود التاريخ المعروفة . ومن الذين لم يقولوا : إن هذا المهد هو جزيرة العرب أو جنوبها بالتعيين من قالوا : إن النواة هاجرت من مهدها الأول خارج الجزيرة إلى الجزيرة قبل عهود التاريخ ، ثم نمت وكثرت فأخذت تنساح منها موجات بعد موجات إلى الأقطار المجاورة نتيجة لأسباب مناخية وجغرافية واقتصادية واجتماعية . وبعبارة أخرى إن أصحاب هذا الرأى يلتقون مع أصحاب الرأى الأول فى دور من أدوار تاريخ جزيرة العرب^(١) .

ولقد أصبح أمر انسياح الموجات من جزيرة العرب إلى الأقطار المجاورة لها منذ أقدم الأزمنة ، - وكون الكلدانين والآشوريين والأكديين فى العراق والكنعانيين والعموريين والآراميين والعبرانيين فى جزيرة الفرات وبلاد الشام ومعظم سكان وادى النيل شماله وجنوبه ومعظم سكان أثيوبية والصومال من هؤلاء المنساحين فى القرون التاريخية من الحقائق التى لم تتحمل جدلاً ولم تبق موضوعاً قديماً مضى وانقضى ، وغدا محل إثبات ونفى وظن وتخمين . ولا

[١] انظر أيضاً الجزء الأول من تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ٩ ص ١٤٨ وما بعدها . فإن للؤلأ استعرض أقوال الباحثين التى استنتجنا منها ما ذكرناه .

واختلاف في المسميات . أما الاشتراك الفعلي فقد كان قائماً على ما تدل عليه نقوش الجنوب والشمال . وهذا لا يتعارض كما هو واضح مع احتمال كون المهـد الأول لنواة هذه المجموعة ليس جزيرة العرب على ما يقرره بعض الباحثين ولا مع احتمال تكون هذه المجموعة في عصور ما قبل التاريخ من عناصر إفريقية وآسيوية، على ما يقرره بعض الباحثين كذلك^(١) وكل هذا بقطع النظر كذلك عن احتمال تكون تلك المجموعة البشرية في جزيرة العرب قبل الأزمنة التاريخية المعروفة بمدة طويلة وحينما كانت ذات مناخ وطبيعة غير ما هو عليه الآن معظم أقسامها ، وهن احتمال انسياب موجات منها إلى الأقطار المجاورة لها ثم إلى ما ورامها قبل الأزمنة التاريخية المعروفة وتوطنها فيها كالأقطار المغربية في شمال إفريقيا مثلاً بما لا سبيل إلى معرفته معرفة يقينية والكلام عنه بعمق ووثوق . كذلك حينما نقول ذلك لا نريد أن تنفي تأثير الموجات التي هاجرت من جزيرة العرب في القرون القديمة وقبل دور العروبة الصريحة

سكان جزيرة العرب الأصليين القدماء ومن هاجر منهم إلى الأقطار المجاورة قبل دور العروبة الصريحة وبعده جنساً واحداً . ولا سيما أن التشارك في اللغة والأفكار والعقائد والتقاليد ظل قائماً بين الباقيـن في الجزيرة والنازحين منها في مختلف الأدوار .

ونحب أن نستدرك أمراً . وهو أننا حينما نقول : « الجنس العربي » لا نقصد المعنى الفني الدقيق الذي يتميز فيه جنس بشري من جنس آخر بخصائص جسيانية في الدرجة الأولى ، مما كاد أن يكون غير قائم منذ الأزمنة التاريخية المعروفة إلا نادراً في إفريقية وآسيا الشرقية والوسطى بسبب ما حدث من هجرات الأمم وتمازجها وما مصاهرة وتقاليد ولغة وعادات وأفكاراً ، وإنما نقصد المجموعة البشرية التي عاشت في جزيرة العرب منذ أقدم الأزمنة التاريخية المعروفة وتشاركت في اللغة والأفكار والتقاليد حتى صارت جنساً واحداً ، فلما أخذت تنساح من هذه المجموعة إلى البلاد المجاورة للجزيرة في الشمال والجنوب موجات كان ذلك التشارك قد تم بينها ثم ظل قائماً .

والقول أن لغة أهل جنوب الجزيرة غير لغة أهل شمال الجزيرة ليس صحيحاً بمعناه الإجمالي^(٢) وكل ما في الأمر تنوع اللهجات

[١] انظر تاريخ الفئات السامية لإسرائيل ولفسون ص ١٦٢ .

[١] انظر الكافي في تاريخ مصر لشاروبيم ج ٦ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣٤٥ والتاريخ العام بالتركي لأحمد رفقي ج ٤ ص ٤٩٥ ، ج ٢ ص ٢٦٦ ونسريح الإبصار للأب لامانس الديومى ج ٢ ص ٣٥ ، ٣٨ والمجلد الثاني للحرليات السورية لسنة ١٩٥٢ .

الشام ألف عام (٣٣٠ ق.م. — ٦٤٠ ب.م.) وجاء منهم إليها وبخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفين واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم . وقد جمع بينهم دين واحد هو المسيحية قرابة أربعة قرون . وترجمت إلى اليونانية السكس المقدسة . وصارت لغة عبادة وطقوس لكثير من النصارى فيها . ومسح ذلك فإنتهم لم يستطيعوا أن يفرضوا طابعهم وصيغتهم ، بل كان جمهرة أهلها يرونهم غرباء عنهم وينقبضون عن معاشرتهم بل يعتبرونهم أنجاساً^(١) وكذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق أكثر من ألف ومائتي عام (٥٣٨ ق.م. — ٦٤٠ ب.م.) وكان لمدينتهم وثقافتهم انتشار واسع حتى لقد مجتسوا كثيراً من أهل البلاد ، ومع ذلك لم يستطيعوا بدورهم أن يفرضوا طابعهم وصيغتهم ، في حين أن الموجات العربية الصريحة التي جاءت إلى الهلال الخصيب في حكمهم ورضخ ملوكها لسيادتهم العليا ، أخذت تفرض طابعها على البلاد وتمتزج بأهلها القدماء بسهولة ويسر . ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق ووادي النيل ، فأخذ التمازج يشتد بينها وبين السكان السابقين ، ولم تسكد نمضى بضعة أجيال أو قرون حتى توطدت

إلى الهلال الخصيب ووادي النيل بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة واختلاط دماؤها بدماء أمم أخرى كانت فيها قبل هجرتها أو جاءت بعدها وتأثرها بأصحاب هذه الدماء لغة وعادات ، واكتسابها بذلك كله شخصية خاصة نوعاً ما في الأرض التي حلت فيها . غير أن ذلك ليس من شأنه أن ينقض دعوى وحدة الجنسية ، ولا سيما أن غالبية سكان الهلال الخصيب ووادي النيل كانت وظلت تمت إليها وتطعم بالهجرات المتوالية من الجزيرة والتي لم يكدها سيلها ينقطع إلى دور العروبة الصريحة ثم دور الإسلام والتي تتمثل في وحدة العروبة الشاملة وطابعها الذي يطبع هذه البلاد وسيظل يطبعها إلى الأبد ما دام وراءها الجزيرة وتظلها راية القرآن الكريم ، ولنا نرى فرقاً بين ما كان من ذلك قبل دور العروبة الصريحة وبعده حيث تأثر التمازجون عن الجزيرة في دور العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة ، واختلطت دماؤهم بدماء أمم أخرى كانت فيها أو طرأت عليها واكتسبت بذلك شخصية خاصة نوعاً ما ، غير أن ذلك لم يخرجها من نطاق العروبة وطابعها الشامل ، وقد ابتلعت كل هذه العناصر وفرضت عليها هذا الطابع .

ولقد حكم اليونان والرومان مصر وبلاد

[١] انظر هامش العدد الثاني بالصفحة السابقة .

ونيم اللآة وضبيعة في بلاد العراق مثلاً (١) .
وإذا كان حقاً أن الذين ظلوا في جزيرة
العرب قد احتفظوا بنقاوة سلالتهم وأصالة
لغتهم أكثر من الذين نزحوا إلى عارجهما (٢)
وأن هؤلاء قد اختلطوا بعناصر أخرى ممن
كان في الأرض الجديدة التي حلوا فيها ومن
جاء إليها بعد حلولهم . فإن هذا ليس من شأنه
أن يخرجهم من جنسية العروبة ويجعلهم أمماً
أخرى ؛ لأن وجوه التشابه والتشارك بين
أولئك المستقرين في الجزيرة وبينهم ثم فيما
بينهم أنفسهم على اختلاف الأقطار وعلى
اختلاف الأدوار التي عاشوها كذلك ، ظلت
بارزة قوية .

وأنسب الأسماء لهذا الجنس وأصحابها في
دوره القديم هو الاسم الذي صار علماً له
في دور العروبة الصريحة وهو الجنس العربي ،
بدلاً من اسم « الساميين » .

لجزيرة العرب أخذت تسمى باسم العروبة
الصريح في كتب اليونان والرومان وأسفار
العهد القديم منذ ألفين وخمسمائة عام . واسم
« العرب » الصريح أخذ يطلق على أهلها
المستقرين في داخلها وتخومها الشمالية جزئياً
ثم كلياً منذ ألفين وخمسمائة عام كذلك .

السيادة في هذه البلاد للطابع العربي الصريح
وغداً شاملاً عاماً .

وليس هناك من تعليل معقول لهذه الظاهرة
التي تكررت في عهد الإسلام بما كان من
سيادة الترك على هذه البلاد قرابة أحد عشر
قرناً (٢٠٠ - ١٢٣٣ هـ) وبما كان من
زحف تركية كبيرة إليها واستقرارها فيها
إلا صدق نظرية وحدة الجنس التي كانت
تجمع بين القادمين من جزيرة العرب في دور
العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده وبين
سكان الهلال الخصيب ووداي النيل الذين
يتمون في أصولهم إلى جزيرة العرب والجنس
العربي حيث سهلت تلك الوحدة ذلك التقارب
والتمازج وسيادة الطابع العربي الشاملة لهذه
البلاد .

وإذا كان قد بدا شيء من المناوأة ضد موجة
الفتح من بعض سكان مصر والعراق والشام
وتمرد على السلطان الإسلامي في أوائل عهده
فمرد ذلك إلى الاعتبارات الدينية التي كانت
ذات التأثير الأقوى في حياة الأمم والتي
استغلتها المسمات الأجنبية . وليس من شأن
ذلك إضعاف النظرية . ولقد كان من جملة
المناوئين والمتضامنين مع الفرس والروم
في بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة
من براء وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان
في بلاد الشام ، وبكر بن وائل وبني العجل

[١] انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٦٠ و ٥٨٧ -

[٢] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي

ج ١ ص ١٦٩ وما بعدها و ج ٣ ص ٢٧٧ وما بعدها .

وقدماء النازحين منها وبين الواقع الراهن الممتد إلى ألفين وخمسمائة عام ويصل بين قديم العروبة وحديثها . وقد قال بهذا جمهرة من علماء العرب وباحثيهم ^(١) غير أن التسمية « السامية » ظلت تجرى على السنة وأقلام علمائنا وكتبهم حتى الذين قالوا بوجوب وأولية إطلاق اسم الجنس العربي بدلا منها . وهو ما يجب أن ينتهي فيما نعتقد . وليس من الحق والمنطق والعاطفة القومية معا أن نظل نجري وراء الأعمام في تسمية الأقسام القديمة من جنسنا تسمية تحككية حديثة لا تمت إلى العلم والواقع في شيء .

واستنباعا لهذا يجب أن ننتهي من التفريق بين تاريخ جزيرة العرب وبين سكانها القدماء وبين تاريخ الموجات التي انشاحت منها في القديم ، وأن نعبد تدوين تاريخ الجنس العربي في سلسلة واحدة بدلا من تدوينه كتاريخ أمم قائمة بذاتها .

ولقد سلك مؤرخونا تاريخ المعينين والسبئيين والخضرمين والقتبانين وشعوب شمال جزيرة العرب وإماراتها في القرون القديمة في سلسلة تاريخ العرب ، مع أن هؤلاء لم يوصفوا في أي أثر قديم بصفة العروبة بالتحديد ولم يكونوا أكثر

بل قبل ذلك على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة واللغة العربية التي تسلم بها سكان الجزيرة والنازحون منها منذ ألفين وخمسمائة سنة كذلك هي اللغة العربية المصرية بقطع النظر عن تعدد لهجاتها وبعدها قليلا أو كثيرا عن اللغة الفصحى . على ما تدل عليه آثار وأسماء وأعلام ونقوش السبئيين والحجريين والنبطيين والتدمريين واللحيانيين والثوديين والصفويين العائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعده ^(٢) . وقد ساعدت عوامل متنوعة على سرعة تطورها بعد ذلك حتى بلغت ذروتها باللغة الفصحى قبل البعثة المحمدية بأمد ما .

فإطلاق هذا الاسم على الموجات القديمة التي انشاحت من جزيرة العرب ، وعلى الذين ظلوا مستقرين فيها في القرون القديمة معا هو الأصح على كل حال الذي يجب أن يحل محل تلك التسمية الحديثة الأعجمية في كتبنا ودروسنا ومحاضراتنا وبحوثنا . ولا سيما أنه يتفق مع اللصلة التي لم تنقطع بين قدماء سكان الجزيرة

[١] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ٢ ص ٨ - ٢٧٧ - ٣٥٧ و ج ٣ ص ٥ - ١٢٩ و ١٣٦ - ٢٠٩ و ٢١٥ - ٢٦٨ و ٤٢٣ - ٤٦٢ و ج ٤ ص ٥ - ٣٧٩ و ج ٧ وتاريخ الفئات السامية لإسرائيل ولفسون ص ١٦١ - ٢٥٢ .

[١] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ٢ ص ٢٨٧ ومعالم الحضارات في الشرق والغرب للرفاعي ورفقاء مثلا .

الإسلامى إلى اليوم فى سلسلة واحدة هادفاً بذلك إلى تصحيح التوجيه التاريخى القومى ووصل حلقات تاريخ جنسنا بعضها ببعض ثم إلى إحباط مكر المستعمرين والمبشرين المغرضين وتلازمهم ومأجورهم وأعداء العربوبة الذين يصرون على تجاهل الحقائق والمكابرة فيها ليوقروا فى أذهان سكان وادى النيل والهلل الخصب وشمال إفريقيا المغربية وهن الصلة بين أصولهم القديمة وبين العربوبة ويجعلهم يعتبرون العرب الذين جاءوا هذه المرة تحت راية الإسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طردوا عليهم ووطدوا حكمهم على بلادهم بالقوة وحسب، وكون ما هنالك من فرق هو أنهم أعطوهم دينهم ولغتهم، حتى بالرغم من السيل الذى أخذ وظل يتدفق من جزيرة العرب على هذه الأقطار فى دور العربوبة الصريحة، وقبل الإسلام وبعده دون انقطاع، ويغمر مدنها وقراها وصحاريها وبواديها استعماراً لما كان يجرى قبل دور العربوبة الصريحة والذى قد تفوق أعداده أعداد سكانها أضعافاً، والذى يتمثل فى كل ناحية من أنحائها وفى كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثيلاً شاملاً. ولقد صدر من السلسلة ثلاثة أجزاء: الأول فى تاريخ الجنس العربى فى جزيرة العرب فى القرون القديمة ومآثره، والثانى فى تاريخ الموجات

قرباً فى لغاتهم وصبغتهم الجنسية بوجه عام إلى العربوبة الصريحة من الموجات التى انساحت من الجزيرة إلى وادى النيل والهلل الخصب بل كانوا أكثر قرباً على اعتبار تقارب الزمن التاريخى. بل هناك ما هو أدعى إلى العجب. فقد سلك جرجى زيدان الدولة البابلية التى من ملوكها حمورابى ودولة الرعاة فى مصر فى كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام فى سلك تاريخ العرب^(١) ولم يسلك بقية الدول التى قامت فى بابل ونيوى وسواحل بلاد الشام وداخلها وجنوبها، والتى يقرر هو بالذات أنها تمت بأصلها إلى الجزيرة العربية وتشارك فى اللغة والعادات والأفكار والعقائد كالأكاديين والكلدانيين والاشوريين والآراميين والعموريين والعبرانيين والمؤابيين والعمونيين والآدوميين.

ويسعدنى أن أعلن أنى قد خطوت خطوة متواضعة فى هذا المضمار فوضعت خطة لتدوين تاريخ العرب على هذا الأساس بعنوان «تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأديار والأطوار والأقطار» بحيث تشمل سكان الجزيرة ومن هاجر منها إلى الهلال الخصب ووادى النيل وشمال إفريقيا المغربية فى القرون القديمة قبل دور العربوبة الصريحة وفى دور العربوبة الصريحة قبل الإسلام، ثم فى العهد

العربية إلى وادي النيل ومآثرها في القرون القديمة ، والثالث في تاريخ الموجات العربية إلى العراق في القرون القديمة ومآثرها . وقد توخيت فيها الإيجاز مع عدم الإخلال بحيث يستطيع الناشئ العربي أن يلم بتاريخ قومه إلماماً مجزياً . وأرجو أن يصدر في هذا العام الجزء الرابع في تاريخ الموجات العربية إلى بلاد الشام في القرون القديمة ومآثرها ، والجزء الخامس في مراحل تطور العروبة من دور العروبة غير الصريحة إلى دور العروبة الصريحة ، وتاريخ الجنس للعربي في هذا الدور قبل الإسلام . وقد تضمن كل منها من تقارير العلماء والباحثين ومن نصوص النقوش ما يؤيد جميع ما قررته في هذا البحث .

وإني لأناشد علماءنا ومؤرخينا وكتابتنا أن يعيروا هذا الأمر عنايتهم وأن يتبنوه وأن يحلوا اسم « الجنس العربي » محل اسم « الساميين » في الإشارة إلى سكان جزيرة العرب ومن هاجر منها في القرون القديمة ، فيساعدوا بذلك على تثبيت الصلة بين تاريخ جنسنا القديم والحديث وواقعنا الراهن بما هو الأولى والأصح ، ويحبطوا مكر الماكرين أعداء قومنا وبلادنا ويثبوا في ناشئتنا على اختلاف نحلهم شعور الفخار بجنسهم العظيم الذي كان أول من حمل مشاعل الحضارة والهداية ثم ظل يحملها ليهتدى بها الناس في مشارق الأرض ومغاربها .

دمشق محمد عزة دروزه

بين المبرد وثلعب

كان النحو مادة الدراسة الأولى لكل متعلم . فكان الأدباء يتحلقون حلقتين متعارضتين : الأولى في مذهب البصريين يتصدرها محمد بن يزيد المعروف بالمبرد وهو صاحب كتاب (السكامل) والثانية في مذهب الكوفيين يتصدرها أحمد بن يحيى أبو العباس ثعلب . وكلاهما كان حجة في الأدب واللغة عالماً بأصول الفقه . وكانت بينهما منافرات كثيرة أدت إلى عدم اجتماع أحدهما بالآخر . وقد سئل صهر ثعلب أبو عبد الله الدينوري وكان يتردد على المبرد : « لم يأت ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة حلوا الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثلعب مذهبه مذهب المعلمين . فإذا اجتمعوا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن » .

بَيْنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ

للدكتور حامد عبدالقادر

عضو مجمع اللغة العربية

للتعبير عن تجارب الإنسان المتشابهة المتنوعة، وعلومه ومعارفه الراقية، وظروف حياته المتغيرة المتقلبة. أما لغات الأمم والشعوب الراقية الناهضة فتساير نهضتهم وتنسج للتعبير عن إحساساتهم الدقيقة وعواطفهم الرقيقة، ولتسجيل علومهم ومعارفهم ونقل ثقافتهم ومظاهر حضارتهم من جيل إلى جيل.

ونستطيع أن نسهر في تشبيه اللغة بالسكان الحى إلى أبعد من هذا فنقول: إن اللغات قد تشعبت واختلفت فانقسمت إلى طوائف أو سلالات كما انقسم النوع الإنسانى إلى أجناس، وقديما كانت اللغات تنقسم إلى سامية وحامية ويافثية تبعاً لانقسام النوع الإنسانى إلى ساميين وحاميين ويافثيين أيضاً. ولا يزال تقسيم اللغات يلبنى في عصرنا هذا على أساس تقسيم الجماعة البشرية إلى طوائف تؤلف بين أفراد كل منها روابط مختلفة منها رابطة اللغة. ونخطو خطوة أخرى في هذا التشبيه فنقول إن كل لغة تتكون من أفراد هى ألفاظها أو كلماتها، فهى بمثابة الجماعة، وألفاظها بمثابة الأفراد، وإن كل كلمة لها شخصية قائمة بذاتها

إذا سلمنا بأن اللغة ظاهرة اجتماعية وجب علينا أن نقول: إنها أبرز الظواهر الاجتماعية. وأعلما شأنها وأعظمها قدراً، وأن نقول أيضاً: إنها ضرورة اجتماعية لا غنى عنها؛ لأنها أداة التعليم والتعلم والتفاهم ونقل العلوم والمعارف من جيل إلى آخر، ومرآة صادقة للمجتمع، وسجل أمين لتطوراتهِ في مختلف عصور حياته.

وأن نقول مع هذا وفوق هذا: إنها كائن حى يعترها ما يعترى الكائن الحى من قوة وضعف وتقدم وتأخر، وفتوة وشيخوخة. وهى تتأثر فى أطوار حياتها بما يتأثر به الكائن الحى من عوامل ومؤثرات فى مقدمتها الوراثة والبيئة، فلكل لغة مميزات أو خواص ترثها عن أصلها أو أصولها التى انحدرت عنها، وكل لغة تتأثر بالبيئة التى تعيش فيها طبيعياً كانت تلك البيئة أو اجتماعية؛ فليست لغة البدو كلغة الحضار، وليست لغات سكان الأقاليم الاستوائية كلغات سكان المناطق المعتدلة أو الباردة، ولغات القبائل البدائية محدودة ليس فيها من الألفاظ والعبارات ما يكفى

الإمبراطور أكبر إمبراطور الهند سنة ١٥٥٦ - ١٦٠٥ م نتيجة لاجتماع طوائف مختلفة من الجنود في معسكر واحد جمع بين الفارسي والهندي والأفغاني والتركي، ومن ثم كانت هذه اللغة خليطاً من العربية والفارسية والهندية والأفغانية والتركية، فما أشبه هذه اللغات بأصحابها .

هذا هو شأن اللغة أية لغة . وليست اللغة العربية بدعا من اللغات ، بل إنها قد خضعت في نشأتها وتطورها لما خضع له غيرها من أسباب التطور ، وعوامل القوة والضعف ، ولولا القرآن الكريم كتاب العربية المقدس ومنار المسلمين في جميع أقطار الأرض لكان مصير العربية كصير اللاتينية والسنسكريتية . وغيرهما من اللغات القديمة التي فُتيت أو حلت محلها فروعها .

والئن كانت اللغة العربية قد اتصلت في عصور حياتها المختلفة بعدة لغات فإن اتصالها باللغة الفارسية كان أقوى وأظهر . وبيان الصلة بين هاتين اللغتين هو الموضوع الذي أكتب اليوم فيه .

وإنه لموضوع طويل متعدد النواحي لا يمكنني لتفصيل القول فيه مقالة واحدة ذلك لأنه بحث يتطلب عرض ما كان بين العرب والفرس من علاقات سياسية وتجارية وغيرها قبل الإسلام وبعده . وغنى عن البيان

ذات ناحيتين: هما الناحية اللفظية أو الصوتية، والناحية المعنوية ، فلفظ الكلمة أو صوتها بمثابة جسم الإنسان أو مادته التي يتكون منها، ومعناها بمثابة روح الإنسان التي تسرى في جسمه وتمكسه الحياة . وكما يتطور الإنسان جسماً وروحاً تتطور الكلمة لفظاً ومعنى .

واللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب . فيغلب القوى منها الضعيف ، ولا يزال يصصره حتى يقضى عليه .

ونذهب إلى أبعد من هذا كله فنقول : إن بعض أفراد اللغة أو ألفاظها قد تنتقل أو تهاجر من لغة إلى أخرى كما يهاجر بعض الناس من بلد إلى بلد ، وعوامل الهجرة اللغوية تكاد تكون هي عينها عوامل الهجرة البشرية التي تشمل العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والتجارية والحربية .

وكما تتصل الأمم والشعوب بعضها ببعض ويتأثر كل منها بالآخر تتصل اللغات بعضها ببعض وتتأثر كل منها بغيرها نتيجة لهذا الاتصال . وكذلك نجد أن اللغات أو اللهجات المختلفة قد يندمج بعضها في بعض فتتحد وتعتبر لغة واحدة حين تتحد الشعوب وتكون جماعة بشرية واحدة كما في الدول الإسلامية والولايات المتحدة . ويمدنا التاريخ بمثل يؤكد لنا هذه الحقيقة بصورة بارزة ذلكم هو مثل اللغة الأردنية التي ولدت في عهد

الأولى بعده كان العرب على صلة بالأنباط (١) الذين امتدت بلادهم من شبه جزيرة طور سيناء إلى ما حولها في الركن الشمالي الغربي من جزيرة العرب .

وقديما قامت في الجزء الجنوبي من بلاد العرب دول يمنية قوية كان لكل منها شأن عظيم في مجرى الحوادث التاريخية . منهم المعينيون ، والسبثيون ، والحيريون ، والحضرميون . وكانت اليمن حلقة الاتصال بين العرب والاحباش بطريق بوغاز باب المندب ، وبين العرب والهنود والصينيين عبر البحر العربي وبحر الهند وغيرهما .

وكان اليهود يحاورون العرب في فلسطين . وكانت لهم جالية بالعراق وأخرى في الحجاز . وكانت اليمن تمتاز في العصور القديمة بموقع جغرافي يصل بينها وبين أمم العالم القديمة ويجعلها حلقة الاتصال التجاري بين الشرق والغرب ، فكان الهنود يحملون إليها من بلادهم ومن الصين البضائع التي يحتاج إليها المصريون والآشوريون والفينيقيون والروم ، كالذهب ، والقصدير ، والاحجار الكريمة ، والعاج ، وخشب الصندل ، والقطن والتوابل

[١] كانت دولة الأنباط بين فلسطين وبلاد العرب وكانت دولة ذات مدنية وحضارة اشتهرت بالزراعة وقبل: إن العرب أخذوا عنهم الكتابة واستمرت هذه الدولة من القرن الرابع ق م إلى أن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م .

أن هذه العلاقات هي أساس ما حدث بين الشعبين العربي والفارسي من صلة لغوية وثيقة قبل الإسلام وبعده .

ولارغب أن تفصيل هذه الصلة وبيان تلك العلاقات حقيقة بأن يمثلا صفحات وصفحات ، ومن ثم أراني مضطراً إلى التزام جانب الإيجاز المعتدل والاكتفاء أحياناً بالإشارة إلى المراجع المطولة ، ليرجع إليها من يود التوسع في البحث والإسهاب في التحصيل .

ولابد اليوم بالكلام على صلة العربية بالفارسية قبل الإسلام مرجعاً إلى مناسبة أخرى الحديث عن هذه العلاقة بعد الإسلام .

من المعلوم أن بلاد العرب لم تكن بمعزل عن العالم قبل الإسلام ، فالواقع الذي لا مرأ فيه أن جزيرة العرب وبخاصة أطرافها كانت على صلة بما حولها وما جاورها من البلاد .

كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس الواقعة في شمالها الشرقي ، وكانت العراق أو بعبارة أدق وكانت الحيرة مملكة المناذرة حلقة الاتصال بين العرب والعجم ، وكانت بلاد العرب على صلة ببلاد الروم الواقعة في أقصى شمالها الغربي ، وكانت مشارف الشام مملكة الغسانيين حلقة الاتصال بين العرب والروم .

وفي القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون

فقد هيئت طرق للقوافل منذ القدم بين مكة والشام، وبينها وبين اليمن، أو العراق، أو مصر. وكان لتجارة الحبشة طريق معبد يبدأ من جدة على البحر الأحمر وينتهي بالقطف على خليج العرب ببلاد الأحساء.

ويروى المؤرخون أن كسرى برويز (٥٩٠ - ٦٢٨ م) كان يجهز كل سنة لطبيعة أى قافلة تجارية تباع بصكاظ، وأن بنى عامر بن صعصعة غزوا لطبيعة في بعض السفين فكان ذلك سبباً في نشوب حرب بين النعمان ابن المنذر أبي قابوس (٥٨٥ - ٦١٣ م) صديق كسرى وعامله على الحيرة وبين بنى عامر. وتسمى هذه الحرب يوم السلان وفيها انهزمت جيوش النعمان.

ويشير القرآن الكريم إلى انتشار التجارة في بلاد العرب فيقول: «أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء» (١) ويقول: «لأيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف».

ويروى المؤرخون أيضاً أن القدماء من

والأفاريه كالفلفل والزنجبيل وبعض أنواع من الحرير. وكان التجار يأتون من بلاد إفريقية الشرقية بالطور وخشب الأبنوس وريش النعام والعاج والذهب ويحملونها إلى اليمن. فكان اليمنيون ينقلون هذه البضائع وتلك إلى الأمم المذكورة آنفاً بطريق البر أو بطريق البحر، وكانوا يحملون إلى هذه الأمم ما تخرجه بلادهم من المر والبخور كالعود والند، وبعض الأحجار الكريمة كالشب والعقيق.

وكانت قوافل التجارة تسير في قلب الجزيرة مخترقة طرقاً خاصة بعيدة عن الجبال ومغاصات الرمال ذات مراحل ومرافق يقوم على حراستها أشخاص يختارون من البدو.

وكان أهم هذه الطرق طريق عمان وأحضر موت وكان يمر بالدنهاء فنجد ويصل إلى الحجاز فيمر بمكة فالمدينة فبظرا ثم يمتد شمالاً إلى فينيقية وفلسطين وتدمر أو غرباً إلى مصر.

وكما كانت قوافل التجارة تنقل بضائع الصين والهند وبلاد إفريقية الشرقية من الجنوب إلى الشمال كانت قوافل أخرى تنقل بضائع البلاد الشمالية إلى اليمن ومن ثم إلى الهند والصين وشرقي إفريقية، أو تنقل بضائع أخرى مخترقة قلب الجزيرة من الغرب إلى الشرق أو بالعكس.

[١] القصص: ٥٧. والمراد بالحرم الأمن بيت الله الحرام بمكة وكان العرب يقدسونه ويحجونه ويأتون إليه رجالاً وركبانا من كل جانب حاملين إليه الخسائر المختلفة الأصناف والبضائع المختلفة الأنواع لينهضوا منافعهم بالتجارة ونحوها فكانت حركة البيع والشراء تشتد في أيام الحج في سوق عكاظ.

بعض صلات اجتماعية ، فمن ذلك أن كسرى برون كتب إلى المنذر الرابع أن يبعث له يقوم من العرب يترجمون الكتب له فبعث إليه بعدى بن زيد الشاعر وأخوين له فكانوا بين كتابه يترجمون له .

وقيل : إن الأكاسرة كانوا في أوائل عهد دولة المناذرة يعجبون بنشاط العرب وأنفقتهم ، ويعهدون إليهم بترية أولادهم وثقيفهم وذلك كما في حال بهرام كور بن يزدركد التي سنقص قصصها فيما بعد .

وقيل أيضاً : إن كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) هم بترينج بعض أولاده من بنات العرب فاستشار في ذلك زيد بن عدى الشاعر المعروف فأشار عليه أن يطلب من النعمان بن المنذر بعض بنات عمه وأثنى على جمالهن فأمره أن يذهب في طلبهن . ولذلك قصة لا يتسع المقام لذكرها .

كل هذه الحوادث وغيرها مما لا قبل لنا باستقصائه تدل دلالة قاطعة على حقيقتين لا مناص من التسليم بصحتها .

أما الأولى فهي أن العرب قد اتصلوا في عصور حياتهم المختلفة قبل الإسلام بجميع الدول التي شاع أمرها في العصور القديمة ، وأن هذه الصلة كانت متعددة النواحي شملت السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية .

المصريين والآشوريين غزوا بلاد العرب في عصور مختلفة تمتد من أوائل القرن السابع عشر إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وأن الفرس خلفوا البابليين في الاستيلاء على العراق في عهد كيروش حوالي سنة ٥٣٨ ق م . ويقال : إن العرب أو فريقاً منهم كانوا يؤدون له الجزية ، وأنهم كانوا عوناً لقمييز خليفة كيروش حين أغار على مصر (٥٢٩ - ٥٢٢ ق م) .

ويروون كذلك أن الأحباش غزوا اليمن سنة ٥٢٥ م وظلوا يحكمونها حتى سنة ٥٩٩ م ، وأن الفرس حاربوا الأحباش وأخرجوهم من اليمن سنة ٥٩٩ م في عهد كسرى برون (٥٩٠ - ٦٢٨ م) .

وقد نشبت بين العرب والفرس قبل الإسلام حربان عظيمتان كان النصر فيهما للعرب : الأولى حرب استخلاص الملك لبهرام كور وسيأتي الكلام عليها ، والآخرى حرب ذى قار (يوم ذى قار) وكانت في عهد كسرى برون (٥٩٠ - ٦٢٨ م) وإياس بن قبيصة ملك الحيرة (٦١٣ - ٦١٨ م) وفيها دارت الدائرة على الفرس فانهمزوا بصفوفهم وخيلهم على كثرة عددهم . وقد وقعت هذه الحرب سنة ٦١٤ م أو في السنة الثالثة من البعثة المحمدية . وتدلل بعض الروايات التاريخية على أنه كانت بين الفرس والعرب

الحبشية الأصل : كفلين ، مشكاة ، وهرج ، ومنبر . ونفاق ، وحوارى (رسول) وبرمان (منبر واضح) ومصحف ، ومن الكلمات السنسكريتية الأصل : صبح وبهاء وضياء ومسك . ومن الألفاظ الهندية الأصل : كافور ، وزنجبيل وفلفل . دخلت العربية هذه الألفاظ وغيرها من مئات الكلمات فصقلت بالصيقل العربى وصارت عربية الصيغة ، ودخلت فى كيان اللغة العربية ، ونزل القرآن الكريم فاستخدم كثيراً منها (١) ولم يقدح ذلك فى أنه أنزل بلسان عربى مبين .

أما ما نقل من الفارسية إلى العربية من الألفاظ فكثير لا يكاد يحصى ، ذلك لأن علاقة العرب بالفرس كانت قبل الإسلام أوثق وأبعدمدى مما يعتقده كثير من الناس . لذا سأفيض فى بيان هذا الموضوع .

قلت من قبل : إن المناذرة ملوك الخيرة كانوا حلقة الاتصال بين العرب والفرس ، ومع أنهم كانوا يحكمون العراق بالنيابة عن الفرس فقد كان ملوكهم ذوى حول وطول وأصحاب سلطان ونفوذ ، وكان لكل منهم مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة لدى الأكاسرة .

وأما الثانية فنأشئة عن الأولى ، وخلاصتها أن اللغة العربية قد احتكت بأهات اللغات القديمة وتأثرت بها ومن بين هذه اللغات : الفارسية واليونانية ، والنبطية والآرامية ، والعبرية ، الحبشية والهندية .

ومن ثم نعرف السبب الأساسى فى أننا نجد فى اللغة العربية كلمات أو أصولاً لغوية منقولة أو مهاجرة من هذه اللغات حتى لقد قيل : إن معظم الألفاظ الدالة على الحضارة والملك والأثاث والرياش منقولة عن الفارسية . وإن معظم الألفاظ المتصلة بالعلم والفلسفة منقولة عن اليونانية ، وإن كثيراً من الكلمات الدالة على النباتات وشئون الزراعة منقول عن النبطية ، وأن ما يدل على طقوس دينية أكثره منقول عن العبرية أو السريانية أو الحبشية ، وأن ما يدل على التوابل والأفاويه والعقاقير والأطياب والأحجار الكريمة فأصله فى الغالب سنسكريتى أو هندى .

وقد ذكر علماء اللغة من الألفاظ اللاتينية أو اليونانية الأصل : التسطاس ، والدرهم ، والقنطار ، والقبسان ، والاصطرلاب والترياق ، والبطريق ، والقنطرة ، ومن الألفاظ العبرية الأصل : الملوكوت والرحموت ، والجبروت والمشكاة واللهم وحج وكاهن وعاشوراء ومعظم أسماء الأنبياء ومن الألفاظ

[١] راجع فى هذا الموضوع الإتيان فى علوم القرآن والمزهر للسيوطى ، والأصل والبيان فى معرب القرآن للشيخ حمزة فتح الله .

ويبدو لي أن الرأي الثاني هو الصواب لأن الرأي الأول لا يستقيم وما ذكره المؤرخون عن تاريخ حكم المنذر للحيرة وحكم بهرام لفارس ، فالمنذر تولى ملك العراق سنة ٤٣١ م ، وبهرام جلس على عرش فارس سنة ٤٢٠ م ومعنى هذا - إذا صح هذان التاريخان - أن المنذر تولى الملك في العراق بعد أن تولاه بهرام في فارس بنحو إحدى عشرة سنة ، ومن ثم لا يمكن أن يكون هو الذي تولى تربية بهرام وساعده على استرداد عرشه من اغتصبه كما سنذكر فيما بعد .

ومهما يكن من أمر هذا المربي فما لا شك فيه أن بهرام كورتربي في بلاد العرب ، وربما كان ذلك في مكان قريب من بادية الشام ، وقد عني ملك الحيرة بعلاجه حتى برأ من علته . ويقال : إنه أحضره ثلاث مرار من إحداهن فارسية والآخرين عربيتان ، وإنه هيا له وسائل التربية الصحية والعقلية وأعد له عددا كافيا من المربين والمعلمين فعملوه القراءة والكتابة والرماية والفروسية . وكان ليبياً فظناً فأجاد التعلم في صغره ، وطلب من المشرف على تربيته أن يأتي له بمعلمين آخرين لأنه قد استوعب جميع مالمدي معلميه من علم ومهارة .

وقد أهله ذكاؤه النادر لأن يجيد تعلم اللغة العربية ويقرض الشعر العربي الموزون المقفى الذي لم ير له نظيراً في الفارسية .

ولقد بلغ من ثقة الأكامرة بملوك المناذرة واعتمادهم عليهم في مهام أمورهم أن كان بعضهم يرسلون أبناءهم إلى البادية لينشئوا بها في رعاية ملوك الحيرة وتحت إشرافهم . وتلك حقيقة تتجلى بأجلى مظاهرها فيما كان من أمر يزدگرد الأول بن بهرام الأثيم (٣٩٩-٤٢٠ م) وابنه بهرام كور (٤٢٠-٤٣٨ م) الذي أجمع مؤرخو العرب والعجم على أنه تربى في بلاد العرب .

ويعد بهرام هذا أبرز حلقة اتصال بين العرب والفرس ثم بين العربية والفارسية قبل الإسلام . ويذكر المؤرخون في سبب تربيته في بلاد العرب أن أباه يزدگرد كان لا يعيش له ولد فلما ولد له بهرام هذا أصابته علة في صغره ولما يزل رضيعاً ، فأشار عليه الأطباء أن يخرج به إلى بلاد العرب ليعيش في مكان هوأوه طلق نقي يساعد على شفائه فدفعه إلى أحد ملوك الحيرة ليربيّه ويشرف على علاجه . وهنا نسأل : من كان ملك الحيرة الذي أشرف على تربية بهرام كور ؟ فنجد أن المؤرخين قد اختلفوا في الجواب عن هذا السؤال فقال فريق منهم وعلى رأسهم حمزة الأصفهاني : إنه كان المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١-٤٧٣ م) الذي تولى الملك بعد أن تركه أبوه النعمان السامح وتزهد . وقال فريق آخر : إنه كان النعمان بن امرئ القيس (٤٠٧-٤٣٠ م) .

وتذهب بوحشتك ؟ فما كان منه إلا أن أجابه
بقطعة من الشعر منها هذان البيتان .

يرومون تزويجي من السكفاء مطلباً
ومالى من جنس المملوك عدل
أرى أن مثلى كالحمال وجوده

وليس إلى مثل المحال سبيل
ويروى العوفى لبهرام بيتين آخرين هما :
فقلت له : لما نظرت جنوده

كأنا لم تسمع بصولات بهرام
فإني لحامى ملك فارس كله

وما خير ملك لا يكون له حام
ولبهرام كور أشعار كثيرة بالفارسية
كان يغنيها المغنى الفارسى الشهير المسمى
« بأربد » فى بلاط كسرى برون ، ولكن
هذه الأشعار لم تكن موزونة مقفاة كالشعر
العربى بل إنها كانت خالية من الزوى والقافية
ولم تخضع لنظام البحور الذى اتبعه العرب .
ويروى أن أول بيت نظم بهرام على
مثال الشعر العربى هو قوله :

مسم آن شير كله مسم آن ببلى يله
نام من بهرام كور وكنيتى بوجبه
« أنا ذلك الليث الكاسر أنا ذلك الغيل
الناثر .

اسمى بهرام كور وكنيتى أبو جبلة
ويروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه
« تذكرة الشعراء » الذى ألفه بالفارسية فى

يقول محمد عوفى فى كتابه « لباب الألباب »
الذى ألفه بالفارسية فى الأدب الفارسى فى
أوائل القرن السابع الهجرى ما خلاصته
مترجمة :

نشأ بهرام كور بين الأعراب وتعلم العربية
والم بأسرارها ووقف على دقائقها . ويقال
إنه كان فى صباه متوقفاً الذكاء سريع الخاطر
مرهف الحس ، وكان شجاعاً مقداماً بين
السابقين من أبطال العجم . ويروى أنه كان
ينظم شعراً جيداً بالعربية .

ويمضى محمد عوفى فيقول إنه : اطلع فى
إحدى دور المكتب على ديوان شعر لبهرام
يحتوى على قصائد باللغة العربية وأنه قرأ
بعض هذه القصائد وكتبها وحفظها ويذكر
من بين تلك القصائد واحدة نظمها بهرام
فى رفضه الزواج بعد أن عاد إلى بلاده وساعده
العرب على الجلوس على عرش أبيه يزدكرد .
وسبب ذلك أن جماعة من أقاربه ورجال
دولته مثلوا بين يديه وقالوا له : أيها الملك
العظيم : إن أيام الشباب هى موسم انتهاز
الفرص لتحقيق الرغبات . وليس من المقبول
أن تقضيها فى عزلة ووحدة ، وأن ماء الحياة
إذا شربه الشاب من كأس العزوبة يفقد
ما قد يكون فيه من عذوبة . فهل تفضل
فتأذن لنا أن نختار إحدى الخدرات من
أكفء الأميرات لتكون لك زوجاً تؤانسك

الأدب الفارسي حوالى سنة ٨٩٢ هـ فى بيان
السبب فى نظم هذا البيت ما خلاصته مترجمة .
ولم يجد العلماء والأدباء شعراً نظماً باللغة
الفارسية قبل الإسلام . ولم تقع أنظارهم على
أسماء الشعراء فى ذلك العصر .

بيد أنه قد شاع على ألسنة الناس أن بهرام
كوركان أول من نظم الشعر بالفارسية .
وسبب ذلك أنه كان يعشق فتاة اسمها دلارام
جنكى (جذابة القلوب فى ميدان الحروب)
وكانت ممشوقة القوام ، مستقيمة الطبع ،
رشيقة الحركات ، حاضرة البديهة طريفة
الفكاهة . ولما كان بهرام لا يصبر على فراقها
كان يصحبها كلما خرج للصيد والقنص .
وذات يوم خرجا للصيد فرأى بهرام أسدا
فى إحدى الغابات ، فطارده وظفر به فأخذ
بأذنيه وربط إحداهما بالأخرى ، وعاده
إلى عشيقته ، وقد بلغ من إعجابه بنفسه
واغترباطه بشجاعته أن جرى على لسانه قوله :

منم آن بيل دمان

منم آن شير يله

أنا ذلك الفيل الشائر

أنا ذلك الليث السكاسر

وكانت عادة دلارام أن تعلق على كل عبارة
يقولها بهرام بما يناسبها فحين جرت على لسانه
العبارة السابقة قال لها : ماذا لديك يا دلارام
فى مناسبة هذا الكلام ؟ فأجابت :

نام بهرام ترا

وبدرت بوجبله

فبهرام لك لقب

وبوجبله لك الآب

فوافق هذا الكلام ذوق بهرام وحسن
وقعه على نفسه وعرضه على الأدباء فقررُوا
أنه موزون مقفى من النوع الذى عرف فيما
بعده باسم المنشوى فى الفارسية والمزدوج
فى العربية .

ومن ثم يرى مؤرخو الأدب الفارسي أن
بهرام كوركان أول من نظم الشعر الموزون
المقفى بالفارسية وأنه هو الذى ابتكر نظام
المنشوى . وسنوفى هذا الموضوع حقه
فيما يأتى :

هذا وإن رواية دولتشاه للبيت ليست
كرواية محمد عوفى له ، فليت شعرى هل
أخذت بهرام نشوة أدبية حينما سمع كلام دلارام
فقال مرددا لما قالاه فى صورة جديدة :

منم آن شير كله

منم آن بيل يله

نام من بهرام كور وكنيتىم بوجبله

وكان لبهرام كور مغامرات فى أثناء إقامته
فى بلاد العرب منها ما رواه الملاحين الواعظ
السكاشنى فى كتابه « أخلاق محسنى » الذى
ألفه بالفارسية فى أواخر القرن التاسع
الهجرى حيث يقول ما ترجمته :

يدك بسوء إلى هذه الظبية وأثنى قتلتي ليتبعنك قومي ليأخذوا بثأري ويستردوا الظبية منك، فأربأ بنفسك وتخل عن هذه الظبية وإذا أردت عوضاً عنها فأمامك جوادى العربى مسرجاً ملجماً مقيداً أمام خيائى نغذه هدية منى إليك واركبه واجعل جوادك جنبيه من ورائك، والحق بأهلك وديارك .

فأعجب بهرام بهذا السلام وأكبر فى الأعرابى حمايته لجارته الضعيفة، ولم يلتفت إلى جواد الأعرابى . بل إنه لوى عنان جواده هو وأغذ السير حتى وصل إلى موكبه .

ولما جلس بهرام على عرش أبيه (على النحو الذى سنشرحه) ودخل فى طاعته أبناء وطنه أرسل فى طلب قببصة ولما وفد عليه أكرم وفادته وأطلق عليه لقب «مجير الظباء» فصارت مثلاً .

وبينما كان بهرام كور يرتع ويلعب فى رحاب البادية ويستمتع بهوائها الطلق النقي إذ بلغه أن أباه يزدكرد قد مات، وأن الفرس قد ملكوا عليهم رجلاً اسمه خسرو من سلالة أردشيرين بآبك، وعلم أن السبب فى ذلك هو أن عظام الفرس وأشرافهم تعاهدوا فيما بينهم على ألا يملكوا عليهم أحداً من نسل يزدكرد بعد وفاته لسوء سلوكه فيما بينهم، ولأن ابنه الأكبر بهرام نشأ بين العرب وتخلق بأخلاقهم الجافة فى نظرهم ولا علم له

لقد أقام بهرام كور بعض الوقت فى بلاد العرب فى صحبة النعمان بن المنذر (١)، وكان النعمان هذا يقوم على تربية بهرام بناء على طلب أبيه يزدكرد، فحدث ذات يوم أن خرج بهرام لصيد الظباء فلاحته له ظبية فقصد إلى رميها، فقفزت وفرت هاربة فطاردها واقتنى أثرها، واشتد الحر فأدرك الظبية شئ غير يسير من الجهد والنصب من العطش ومتابعة العدو، فاضطرت إلى أن تأوى إلى ديار إحدى قبائل العرب .

ودخلت خباء أعرابى اسمه قببصة، فأخذها وعقلها وما أن فعل ذلك حتى رأى رجلاً يصل إلى باب خيمته متفكباً قوسه متلهاً يطلب الظبية، ويصيح بأعلى صوته : يا صاحب هذه الدار ههنا صيدى فأخرج به إلى . فقال قببصة - ولم يكن يعلم من الواقف بيبابه - دأبها الفارس الطلق المحيا ليس من المروءة فى شئ أن أسلم حيواناً احتتمى بدارى ولجأ إلى جوارى إلى يد إنسان ليقتله .

وسمع بهرام هذا الكلام فاستشاط غضباً وأخذ يكلم قببصة فى غلظة، فقال قببصة : لا تسكتر من الكلام . فما دمت حياً ولم يصبنى أذى من سهمك الذى فى قوسك فلن تمتد

[١] لعل الصواب : ابن امرئ القيس كما بينا من قبل .

ملك الروم إلى طلب الصلح وعاد الجيش العربي ظافراً منصوراً .

هذه هي قصة بهرام كور . وأذكر هنا على سبيل الاستطراد أن كلمة بهرام معناها المريح ، وأن كلمة كور معناها الحمار الوحشي وقد لقب بهرام بهذا لأنه كان مولعاً بصيد الحمار الوحشي ، وقد ظل على هذه العادة طول حياته حتى كانت سبباً في هلاكه ، ذلك أنه بينما كان يطارد حماراً وحشياً إذ عدا بجواده إلى نهر من الرمل فغاصت فيه قوائمه فهلك وهلك معه راكبه .

ولما أطلت في سرد هذه القصة لأقول :

١ — أن بعض الأكاسرة كانوا يرسلون أبناءهم إلى بلاد العرب ليتعلموا بها .

٢ — أن الأكاسرة كثيراً ما كانوا يستعدون العرب ويستعينون بالجيش العربي في تحقيق أغراض عسكرية يعجزون عن تحقيقها .

٣ — أن بهرام كور أجداد العربية نثراً ونظماً ونقل إلى الفارسية نظام الشعر العربي المنظوم ، المقفى ، وابتكر نظام المثنوى أو المزدوج .

٤ — أن الاتصال الوثيق بين العرب والعجم لكل ما ذكرت من الأسباب قد أدى إلى أن يدخل العربية في العصر الجاهلي كثير من الألفاظ الفارسية ، وجاء الإسلام ونزل

بسياسة الملك ولأن ابنه الأصغر يحب لنفسه يؤثر مصلحته الخاصة على مصلحة الوطن؛ فقد كان والياً على أرمينية ولما بلغته وفاة أبيه تركها وشأنها دون أن ينب عن برعائها ، وأسرع في العودة إلى عاصمة الدولة ليجلس على عرش أبيه قبل أن يسبقه إليه أخوه الأكبر بهرام .

علم بهرام بذلك لجن جنونه وهرع إلى النعمان بن امرئ القيس يستعديه على قومه ويتوسل إليه أن يعاونه على استرداد عرشه المسلوب فلبى النعمان طلبه وقال له : لا يهولنك ذلك حتى أطف الحيلة فيه ، ثم جهز جيشاً ضخمًا اقتحم به أرض فارس ، وراه الفرس فأفرعهم كثرة عدده وعدده ، وانهى الأمر بانتصار العرب ، وإذعان الفرس لبهرام وجلسه على العرش ، وعاد الجيش العربي منصوراً مؤزراً ، وكانت للنعمان منزلة عظيمة لدى بهرام ، وأدرك الفرس ذلك فتوسلوا إليه أن يخاطب بهرام في أن يعفو عن عظائمهم وأشرفهم الذين كانوا قد خرجوا عليه ففعل . وكان للجيش العربي موقف مشرف آخر مع بهرام كور وذلك حين نشبت الحرب بين الفرس والروم وحاصر الروم مدينة نصيبين من أرض الجزيرة ، فاستنصر بهرام بالمنذر ابن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ - ٤٧٤ م) فلبى طلبه واضطرب أهل القسطنطينية فاضطر

في القرآن الكريم . وأما تأثير الفارسية بالعربية فأمر طبيعي معقول على الرغم من أنه ليس بين أيدينا الآن من المراجع أو الأدلة القيقينية ما يثبت ، لأن لغة فارس قبل الإسلام كانت اللغة الفهلوية التي حلت محلها العربية كما حل الإسلام محل الزرادشتية ، وحل القرآن الكريم محل الزند والابستاق . على أن تأثر كل من العربية والفارسية بالأخرى قبل الإسلام كان في حدود نطاق ضيق . ذلك لأن الفرس تأثروا في العصر الساساني بالآرامية التي كانت لغة شبه رسمية في الشرق الأوسط جميعه ، وقد ثبت أن الفرس قد استبدلوا بالخط المسماري الخط الآرامي ، وأنهم اتبعوا في الكتابة والقراءة طريقة الهزوارش أو الزوارش وهو ما يسميه ابن النديم الزوارش . ذلك أنهم كانوا يكتبون كثيراً من الكلمات بالآرامية ويقرءونها كلمات فارسية تؤدي معانيها كأن يكتبوا بالحروف الآرامية ملكان ملكا (ملك الملوك) ويقرءوا شامان شاه أو يكتبوا كلمة بسر (لحم) ويقرءوا كوشت ، أو يكتبوا كلمة د زانا ، (ذلك) ويقرءوا آن ، ويكتبوا لحما (خبز) ويقرءوا د نان ، (١) .

القرآن الكريم وقد صقلت هذه الكلمات بالصيغة العربية واندجت في كيان اللغة العربية فاستعمل القرآن بعضها مثل سندس واستبرق لا على أنها كلمات أعجمية بل على أنها كلمات عربية الصيغة والصيغة .

ولم يكن بهرام كور هو وحده الذي تعلم العربية فإن بعض التراجم ورجال الدولة من الفرس كانوا يعرفونها أيضا . يؤيد ذلك ما ورد في قصة وفود النعمان على كسرى ومعه عدد كبير من خطباء العرب ، وكذلك ما روى من أن كسرى أرسل زيد بن عدى إلى النعمان ابن المنذر في طلب بنات عمه ليكن زوجات لأبناء كسرى وأنفذ معه سفيرا يعرف العربية ليرى جواب النعمان .

وكما كان بعض الفرس يجيدون العربية ، كان بعض العرب يجيدون الفارسية وخاصة من كانوا يسكنون الحيرة وما حولها . وقد ذكرنا من قبل أن بعض الكتاب والمترجمين في بلاط كسرى كانوا من العرب .

من هذا كله نستطيع أن نستخلص حقيقة لا مجال للشك في صحتها هي في الواقع خلاصة هذا البحث هي أن صلة العرب بالعجم قبل الإسلام قد أدت إلى أن اتصلت العربية بالفارسية وتأثرت كل منهما بالأخرى .

أما تأثير العربية بالفارسية فيؤيده ما دخل العربية من كلمات فارسية ذكر بعضها معربا

[١] راجع كتاب : قصة الأدب الفارسي :

ومن مغناطيس مغطس ، ومن قسطاس قسط بمعنى عدل وأقسط ظلم ، ومن لجام ألجم ، ومن مهر (= خاتم) مهر الكتاب بمعنى ختمه أو ذيله بتوقيعه . ومن ديوان دون وهكذا ، ثم اشتقوا من هذه الأفعال أفعالا ومشتقات أخرى كما لا يخفى .

٣ — أنها أسماء من أنواع خاصة ، كأسماء النبات ، أو الحيوان أو المعادن ، أو الآلات أو المأكولات أو المشروبات أو الملابس أو غيرها مما يدل على معان فلسفية أو على أشياء لم يعهد لها العرب من قبل .

على أن العرب قد نقلوا إلى لغتهم ألفاظاً محدودة العدد لها نظائر في لغتهم إما لحقتها على اللسان أو السمع ، وإما ليدلوا على سعة اطلاعهم على الفارسية وشدة اتصالهم بالفرس . فمن النوع الأول الكلمات : ورد . ومسك وتوت ، وهاون ، ورصاص ، وميزاب ، فقد استعملها العرب بدلا من حوجم ، ومشوم ، وفرصاد ، ومهراس ، وصرقان ، ومشعب .

ومن النوع الثاني : بوصى (معرب بورى) وجردقة ، وسجنجل ، وموزج ، فقد استعملت بدلا من : سفينة ، ورغيف ، ومراة ، وخف .

٤ — أنها تنقل عن شعوب عرفوا بالمهارة والاختصاص أو السبق في استعمال مدلولاتها ، فقد أخذ العرب عن الفرس كلمات يدل

إن هذا يرجح أن تأثر الفرس بالآرامية كان أشد من تأثرهم بالعربية قبل الإسلام . أما فيما بعد الإسلام فقد تغيرت الأوضاع فتعلم الفرس العربية التي حلت محل الآرامية في الانتشار . ولما جسد الفرس في إحياء لغتهم وآدابهم في القرن الثالث الهجرى اتخذوا الأبجدية العربية .

ويبدو أن تعصب العرب للغتهم قد جعلهم ينفرون من تقبل الكلمات الفارسية التي لم يشعروا بحاجة إليها ، فإننا إذا نظرنا في هذه الكلمات وجدنا :

١ — أنها قليلة لا تسكاد تذكر بجانب الكلمات الأصلية لأنها دخلت العربية بعد أن نمت وأثبتت صلاحيتها للبقاء ، ولم تكن في حاجة لأن تقتبس من غيرها إلا القليل النادر من الألفاظ التي تدل على معان مستحدثة أو على مسميات لم يكن لها نظائر في بلاد العرب .

٢ — أنها أسماء ، إذ لم يأخذ العرب عن غيرهم حروفا ولا أفعالا ، وإنما أخذوا عنهم أسماء ، غير أن العرب بما طبعوا عليه من مرونة لغوية كانوا كثيراً ما يشتقون من الأسماء الدخيلة أفعالا ، فاشتقوا من زرکش (= الرامم بالذهب) زرکش = نقش أو رسم بالذهب ، ومن كهرباء كهرب .

وكربق = الحانوت ، وبراقي = الحمل ،
وباشق = صقر الصيد ، فأصولها على
الترتيب هي : جوسه ، وجرده ، وكربه ،
وبره ، وباشه .

وإذا كان قبل هذه الهاء دال قلبت الدال
ذالا والهاء جيا كما في : ساذج ، ونمोज ،
وفالोज ، فأصولها هي على الترتيب : ساده ،
ونموده ، وبالوذه .

وإذا كان قبل الهاء تاء قلبت دالا وقلب
الهاء قافا كما في بودقة فأصلها بوته .

وإنما قلبوا هذه الهاء لأنه ليس في العربية
اسم ينتهي بهاء السكت ، وإنما قلبوها جيا
لأنها تقلب كفا فارسية عند الجمع أو النسب
أو اشتقاق اسم المعنى في الفارسية كما في بند
كان = عبید مفردة بنده ، وبندكي =
العبودية . والجيم من أقرب الحروف إلى
الكاف ويليهما الكاف ثم القاف كما ستري بعد .
ثانياً : قلب الكاف الفارسية جيا كما في
لجام ، وبنج ، وجريز (= المكار الخادع)
وجورب وجلنار (= زهر الرمان)
فأصولها : لكام ، وبنك ، وكرين ، وكورب
وكلنار .

وقد تقلب الكاف كفا كما في كوش
(= الأذن) وكردن (= العنق) ، وكنز
وبركار . فأصولها : كوش ، وكردن ، وكنج
وبركار .

معظمها على أنواع من الطعام أو الشراب
أو الملابس أو الزهور وما إليها ، وأخذوا
عن اليونان بعض كلمات تدل على معان
فلسفية ، وعن الأنباط ألقاظاً تتصل بالزراعة
وآلاتها . . . وهكذا كما سبق شرحه .

وللسبب نفسه أخذت اللغات الأوروبية عن
العربية بعض المصطلحات الرياضية مثل : الجبر
والصفر ، واللوغاريتمات (الخوارزميات)^(١)
وبعض المصطلحات الكيمائية كالكحل ،
والقلويات وبعض كلمات أخرى كتعريفه ،
وقالب .

هـ - أنها كثيراً ما تخضع في أصواتها
وموازينها الصرفية لما هو متبع في العربية ،
وهنا تظهر مهارة العرب واعترازم بلغتهم ،
فإنهم لم يخضعوها للوازين والصيغ الغربية
عنها ، وإنما أخضعوها لما كان غريباً عنها
من أصوات أو موازين ، متبعين في ذلك
قواعد معينة أهمها :

أولاً : قلب هاء السكت المتطرفة جيا كما
في كوسج = الأمرد ، وموزج = الخف ،
وطازج = الغض الطرى : فأصلها
على الترتيب : كوسه ، وموزه ، وتازه .
وقد تقلب هذه الهاء قافا كما في جوسق =
القصر ، وجردق = الرغيف أو السكك ،

[١] نسبة إلى أبي جعفر محمد بن موسى الخوارزمي
صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » .

= غطاء ، بابوج = الخف ، با = القدم
 + بوج = بوش = غطاء ، والمهردار =
 صاحب الختم = حامل أختام الدولة مهر
 = خاتم + دار = صاحب ، والمهماندار
 = المضيف = من يقوم بشئون الضيوف
 مهمان = ضيف + دار = صاحب .
 ومن يرجع إلى المطولات من معاجم اللغة
 العربية يجد كلمات كثيرة من هذا النوع .
 وبعد :

فأرجو أن أكون قد وفقت في تصوير
 الجهود الموفقة التي بذلها أسلافنا الأقدمون
 ورحمهم الله في سبيل تنمية لغتنا الحبيبة ،
 وتوفير أسباب نهضتها وتقدمها ، والاحتفاظ
 بعزتها وشخصيتها حتى إنهم أخضعوا لسلطانها
 كل ما كان غريبا عنها أو دخيلا فيها .

فعسى الله أن يوفقنا كما وفقهم في متابعة
 سيرنا نحو تحقيق الأغراض نفسها التي سعى
 في تحقيقها هؤلاء السابقون الأولون .

والله المسئول أن يلهمنا القوة والصبر
 حتى نقف صامدين في وجه ذلك الجيش الجرار
 من المصطلحات الأجنبية ، فلا نسمح له بأن
 يقتحم ديارنا ، ويدخل في حمى لغتنا إلا بعد
 أن نقره ونزغمه على أن يتعرب فيلبس إرداء
 العروبة ، أو يطرح جنسيته ويتجنس
 بالجنسية العربية .

هاعد عبر القادر

(البقية في العدد القادم)

وقلنا تقلب هذه الكاف قافا أو غينا كما في
 قرين (= جرين) وقنديفر (= العجوز
 للشمطاء المحطمة) وغربال ، فأصولها : كرين ،
 وكنده بير ، وكربال .

ثالثا : قلب الياء الثقيلة فاء أو باء خفيفة
 كما في فرند السيف (= جوهره) وفالودج ،
 وفستق ، وفيروزج ، وبندق (الماء كول
 المعروف) وبندق (= الجندي الماشي) ،
 فأصولها : برند ، وبالوده ، وبسقي ، وبيروزه
 وبندق ، وبياده .

رابعا : قلب الشين سينا في بعض الحالات
 كما في بنفسج ، دست (السهل) ، وسكر ،
 وسروال ، وسليج (= اللفت) ، فأصولها :
 بنفشه ، ودشت ، وشكر ، وشلوار ، وشلغم .
 خامسا : قد تقلب السين صادًا كما في صرد

(البرد) وصنجة فأصلهما : سرد ، وسنج
 أوسنك . هذا وقد دخل العربية كثير من
 الكلمات الفارسية المركبة مثل الزركشة ،
 زر = ذهب + كش = الراسم والكلنار
 كل = زهر + نار = الرمان ، والسرداب
 سرد = بارد + آب = الماء أي ذو الماء
 البارد ، والميزاب ميز = مسيل + آب =
 الماء ، السراب مير = مملوء + آب =
 الماء ثم استعمل فيما يظن الراي من بعد أنهاء ،
 والكلاب كل = زهر أو ورد + آب
 = ماء ، وخشاب خوش = حلو + آب
 = الماء ، وسربوش سر الرأس + بوش

الجلال السيوطي والتفسير

للأستاذ فوزي عسرفه

هذا التفسير في سنة سبعين وثمانمائة وخرج بتفسير موجز لنصف القرآن الكريم ، يبدأ من سورة البقرة وينتهي عند سورة الإمراء تكملة لتفسير المحلى الذى بدأ تفسيره من الأسرار وانتهى عنه الفاتحة .

إن الجلال السيوطى لم يبلغ فى هذا التفسير أقصى آماله فقد ألف بعد ذلك كتابيه القيمين « الإتيقان فى علوم القرآن » و « لباب النقول فى أسباب النزول » .

وحسبك أن تقرأ كتابه « الإتيقان فى علوم القرآن » فترى أنه قد تجر فى دراسة القرآن حتى تناول موضوعات متعددة فدرس آيات القرآن : المبكى والمدنى والحضرى والسفرى والنهارى والليلى والصفى والشتائى والفراشى والنومى والأرضى والسمائى ، وأول ما نزل وآخر ما ترك ، وسبب النزول ، وما نزل على لسان بعض الصحابة ، وما تكرر نزوله ، وحكمة نزوله وما نزل مفرقا وجمعا ومفردا ومشيعا ، وما نزل على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيفية إنزال القرآن وأسمائه وأسماء سورته وجمعه وترتيبه وعدد كلماته وسوره

ألف جلال الدين السيوطى نحواً من ثلاثين كتاباً فى التفسير والقرآن . وكان تعلقه بالتفسير من مطلع عمره حتى نهاية حياته ، ألف فى شرح الاستعاذة والبسملة أول ما ألف . وكان شاباً مفعماً بالحيوية لا يجاوز عمره السادسة عشرة أو السابعة عشرة . وتقدم بهذا التفسير إلى شيخ الإسلام علم الدين البلقينى فأعجب به مما جعله يواصل الجهد ويكابد المشقة فى سبيل تفسير القرآن تفسيراً جديداً يتلامح مع اطلاعه الواسع وفهمه الدقيق .

ولقد حدثنا السيوطى عن نفسه بأنه رزق التجرب فى سبعة علوم وجعل أولها التفسير . وإن هذا الحق لا مرأ فيه ، فليس غريباً على من بدأ حياته بشرح الاستعاذة والبسملة وحدد خطوط هذه الحياة منذ شبابه بأن يتضلع فى علم التفسير ، خاصة وقد أكثر من الاطلاع ، مما مكن له أن يكون حجة فى التفسير لا يبارى .

وعندما بلغ الثلاثين وقع على كتاب يفسر نصف القرآن ألفه جلال الدين المحلى العالم المصرى ، وكان قد توفى سنة أربع وستين وثمانمائة فابتدأ جلال الدين السيوطى يكمل

التي تدور حول القرآن مما يمكن بحثه ؟ ، ولعلك لا تمنع نفسك من العجب عندما تعرف أنه لم يكتشف بهذا بل ألف في مفردات هذه المسائل كتباً عدة منها كتاب د التحجير في علوم التفسير ، الذي ألفه سابقاً لكتاب الإيقان ثم كتاب د لباب النقول في أسباب النزول ، الذي ألفه لاحقاً لكتاب الإيقان . وعلى الجملة قد استطاع أن يهيئ نفسه تهيئاً كاملاً للخوض في القرآن الكريم والتحدث عن مختلف النواحي التي تدور حول اللفظة والجملة والسورة على وجه العموم .

ولكن ما السبب الذي دعاه إلى هذا التبحر ؟ كان السبب أنه اعتقد اعتقاداً جازماً أن القرآن الكريم كتاب حوى من جميع الفنون والعلوم ما يجب على الباحث أن يستقى من منبعها وهو القائل : د إن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها ، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدى وغى فترى كل ذى فن منه يستمد وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوي يبنى منه قواعد لغته ويعتبر مسالك البلاغة في صريح الكلام ، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار .

ومعرفة حفاظه والعالي والنازل من أسانيده ، ومعرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج . ومعرفة الوقف والابتداء والإمالة والفتح والإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب والمد والقصر ، وكميافيات القراءة وتجويد القرآن ، وآداب تلاوته ، وما وقع بغير لغة العرب وما يحتاج إليه المفسر ومعرفة لغته ومعرفة الوجوه والنظائر .

هذا ما يدرسه في الكتاب الأول ، أما الكتاب الثاني من الإيقان فيبحث في المحكم والمتشابه ومقدمه ومؤخره وعامه وخاصة وبجمله وناسخه ومنسوخه ومشكله وموهم الاختلاف والتناقض ومطلقه ومقيده ومنطوقه ومنهومه وجميع مخاطباته وحقيقته وعجازه وتشبيهه واستعارته وكنياته وتعريضه والحصر والاختصاص والإيجاز والإطناب والخبر والإنشاء وبدائع القرآن وفواصل الآي وفوائج السور وخواتمها ومناسبة الآيات والآيات المتشابهات ، وإعجاز القرآن والعلوم المستنبطة من القرآن وأمثال القرآن وأقسامه وجدل القرآن وما وقع في القرآن من الأسماء والمبهمات وأسماء من نزل فيهم القرآن وفصائل القرآن وفضله ومفرداته وخواصه وغرائب التفسير وطبقات المفسرين .

ولعلك تسأل : ماذا يبقى بعد من المسائل

علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك ، وألف في ذلك كله كتاب « الإكليل في استنباط التنزيل ، فذكر العلوم المستنبطة من القرآن علما علما بتوسع يشفي العليل ويروى الغليل .

لهذا عظم الجلال « علم التفسير » واهتم به منذ صغره وبأكورة شبابه ، ذلك لأن العلوم وإن كثر عددها وانتشر في الخافقين مددها فغايتها بحر قعره لا يدرك ونهايتها طود شامخ لا يستطاع إلى ذروته أن يسلك . ولهذا يفتح العالم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب . وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير .

فشعور الجلال بأن هناك موضوعات لم تطرق حول تفسير القرآن وبأنها لم تبوب وتنظم هو الذي جعله يؤلف كتبه العديدة في تنظيم سور القرآن المسكية والمدنية وآياته المسكية والمدنية ثم معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وما إلى ذلك من الأمور . وشعوره بأن القرآن منبع العلوم وأصلها دفعه إلى التبحر في فهم هذا الكتاب الكريم مما جعله ينتج فيه إنتاجا قويا ويحاول أن يتوج هذا العمل كله بتفسير كامل شامل للقرآن الكريم جميعه .

ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها ، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب قهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا اعلام الغيوب .

وعلى هذا يجري في كتابه متبعا هذا الأسلوب ومعتقدا أن القرآن منبع العلوم ومفجرها ومعتمدا على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فالله تعالى يقول : « وما فرطنا في الكتاب من شيء » ، ويقول : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » ، وقال صلى الله عليه وسلم (ستكون فتن قيل وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم) .

إن الإيمان بشمول القرآن وعمومه وأنه آخر الكتب المنزلة قد أفضى بالجلال إلى فلسفة لا تزال نجد لها صدى في وقتنا الحاضر ، فالذين يرجعون الفتنائج العلمية المعاصرة إلى آيات في القرآن ويحاولون أن يردوها إلى هذه الآيات إنما يصعدون من نفس المنبع الذي استقى منه الجلال ويتفقدون معه في أن القرآن جماع العلوم ومنبع الفنون وأصل الأفكار . ولقد حاول هو كما حاول السابقون أن يجدوا للعلوم والصنائع أصلا في القرآن حيث يقول : « وقد احتوى - القرآن - على

فكرى فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى .
تجدى وألفته في مدة قدر ميعاد السكيم ،
وجعلته وسيلة للفوز بجنت النعيم ، وهو في
الحقيقة مستفاد من الكتاب المسكول ، وعليه
في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول ، فرحم الله
امراة نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه
على خطأ فأطلعني عليه وقد قلت :

حمدت الله ربى إذ هداني

لما أبديت من عجزى وضعف
فمن لى بالخطأ فأرد عنه

ومن لى بالقبول ولو بحرف
هذا ولم يكن قط في خلدى أن أتعرض
لذلك لعلى بالعجز عن الخوض في هذه
المسالك وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً ،
ويفتح به قلوباً غلفاً ، وأعيناً عمياً ، وآذاناً صماً .
وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن
هذه التكملة وأصلها حسناً ، وهدل إلى صريح
العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهما ، من كان في
هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ، رزقنا الله به
هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً ، وإطلاعا على
دقائق كلماته وتحقيقاً ، وجعلنا به مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . . .

ثم يذكر قصة تهدف إلى تبين الاختلاف
بينه وبين جلال الدين المحلى حيث يقول :
« قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر

ولقد نشأ نشأة دينية وكانت صورة أبيه
لا تزال ماثلة أمام عينيّه وهو صبى صغير
حيث كان الأب يختم القرآن كل أسبوع . فاهتمام
الوالد بالقرآن واعتزاله الناس وإقباله على
هذا الكتاب الكريم قد أثر في نفس الطفل
فأصبح يتمثل سلوكه وراحته في اللجوء إلى
هذا الكتاب محققاً لأبيه ما كان يصبو إليه .

كل هذه أسباب جعلت السيوطى يرزق
التبحر في التفسير كما وصف هو نفسه عند ما
أرخ لحياته في كتابه « حسن المحاضرة في
أخبار مصر والقاهرة » ، ولكن مع هذا كله
لم يفسر القرآن بعد أن استكمل له عدة التفسير
الذى كان يرجوه ، ولا تعتبر تكملة لتفسير المحلى
قمة ما وصل إليه ، لأنه فسر في الثلاثين أى
في منتصف عمره تقريباً ولم يكن قد نضج
تمام النضوج واستوى ورسخ كل الرسوخ .
ومع ذلك فإننا نجد في هذا التفسير نظرات
فائقة وآراء ناضجة وتبجلى فيه شخصية الجلال
القوية جلاء واضحاً ولعلنا عند ما ننظر في
كلامه الذى ختم به تفسيره يتضح لنا عمق
الجلال في تفسيره المختصر . فما بالك لو كان
قد أتحننا بتفسيره المطول .

يقول « هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن
الكريم الذى ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة
الحق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله
عنه . وقد أفرغت فيه جهدى وبذلت

عن الروح قبل الروح من أمر ربى الآية :
فهى صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من
علم الله تعالى لا فعله ، فالإمساك عن تعريفها
أولى ، ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي
فى جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها بحمد
صلى الله عليه وسلم فتمسك عنها . ومنها أن
الشيخ قال فى سورة الحج : « الصائبون فرقة
من اليهود ، فذكرت ذلك فى سورة البقرة :
وزدت أو النصارى ، بيانا لقول ثان فإنه
المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء ، وفى
المنهاج : وإن خالفت السامرة اليهود والعصاة
النصارى فى أصل دينهم وفى شرحه
أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن الصائبين
فرقة من النصارى ولا استحضر الآن موضعا
ثالثا ، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل
هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .
هذا كله يدل دلالة واضحة على أن الجلال
لم يكن متبعا مقلدا ولا ضعيفا لأمعة بل كان
عميقا فى أفكاره دقيقا فى تفهمه ، قويا فى
شخصيته بحيث خالف جلال الدين المحلى وسنه
ثلاثون عاما ، وخالفه فى مسائل هامة تلتصق
بالتفسير النصا ق كبيرا ، وخاض فيها المسلمون
حقبة طويلة من الزمن حتى أصبحت هناك
فرق وشيع ، وحتى استطاع هو - بعد - أن
يختار من بين هذه الفرق والشيع ما يحده
موافقا لرأيه ملائما لفهمه .

فوزى عرفة

الخطيب الطوخى أخبرنى صديق الشيخ العلامة
كمال الدين المحلى أخو شيخنا الشيخ الإمام
جلال الدين المحلى رحمهما الله تعالى . أنه رأى
أخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم
وبين يديه صديقتنا الشيخ العلامة المحقق
جلال الدين السيوطى مصنف هذه التكملة
وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها
ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن :
وضعى أو وضعك ؟ فقال وضعى ، فقال :
انظر . وعرض عليه مواضع فيها وكأنه
يشير إلى اعتراض فيها بلطف ، ومصنف هذه
التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ
يبسّم ويضحك .

وعلق على هذه القصة بقوله : « الذى
أعتمدته وأجزم به أن الوضع الذى وضعه
الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى
قطعة أحسن من وضعى أنا بطبقات كثيرة :
كيف وغالب ما وضع هنا مقتبس من وضعه
ومستفاد منه لأمرية عندى فى ذلك . وأما
الذى روى فى المنام المكتوب أهلاه فلعل
الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التى خالفت
وضعه فيها لنسكته . وهى يسيرة جدا ما
أظنها تبلغ عشرة مواضع ، منها أن الشيخ
قال فى سورة ص : والروح جسم لطيف
يحيا به الإنسان بنفوذ فيه وكنت
تبعته أولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر
ثم ضربت عليه لقوله تعالى : « ويسألونك

زعماء المسلمين في الهند وموقفهم من الاستعمار الانجليزي للأستاذ محمد اسماعيل النذوي

- ٢ -

المسائل الإلهية والمعجزات وغيرها من المسائل المهمة . وذهب السيد أحمد خان في هذا مذهب المعتزلة كالنظام والجاحظ وأندادهما . ولم يذهب مذهبا جديدا خطر على باله . ولكن البيئة الإسلامية في تلك الأيام كانت متمسكة بعلم الحديث ولذلك خالفه علماء الحديث وسموه بالزنديق والملحد وأفتوا بكفره لأن هذه المسائل كانت مثيرة جداً .

وقد كتب مولانا أبو الكلام آزاد في كتابه « التذكرة » أن السيد أحمد خان قد تناول هذه الموضوعات قبل أن يحين وقتها وقد أتعب نفسه لأنه لم يكن أحد في الهند قد درس الفلسفة الغربية والكتب الانجليزية التي صنفها المستشرقون . ولم يترجم أى كتاب إلى اللغة الأردية الثقافية من الكتب الانجليزية الحديثة . كان الناس آمنين مطمئنين إلى أن أثار السيد أحمد خان هذه الموضوعات التي لم ترغب فيها الأمة الإسلامية في تلك الأيام . ومن ناحية أخرى فإن السيد أحمد

إن السيد أحمد خان كافح وناضل لتحقيق غايتين : الأولى رفع مستوى المسلمين من ناحية اقتصادية وثقافية وبقرهم من تقدم الانجليز الذين كان يكرهمهم ويصب عليهم جام الغضب والسخط ويسقطهم في جميع الميادين . والثانية قام كمصلح ديني لينذود عن كيان الدين من الحملات الفكرية الصليبية ويوجه المسلمين توجيهها سليما دينيا ، ولم يرقه الكتب التي صنفها المستشرقون مثل السير وليم ميور (Sir William Mure) وغيره من الذين طعنوا في الإسلام وصاحب الشريعة وتعاليمه من ناحية تاريخية وفكرية وعقيدية . لقد سافر لأجل ذلك إلى إنجلترا وصنف بالأردية كتابا سماه بالخطبة الأحمدية ، رد فيه على المستشرقين رداً قاطعا . ولقد ترجم هذا الكتاب إلى الانجليزية في إنجلترا . وكذلك حاول في كتابه تهذيب الأخلاق - وهو مجموعة من مقالاته التي كان يكتبها في مجلة كان يصدرها بهذا الاسم - أن يفسر تفسيراً جديداً (يلائم روح العصر وثقافته)

انجليزية ولم يكن إنتاجه الفكري باللغة الشقافية التي هي اللغة الاردية .

إن السيد أحمد خان كان رجلاً مخلصاً دينياً أميناً . ولا شك أنه وقع في أخطاء شنيعة في توجيهاته وشرحه وتفسيره لمبادئ الإسلام وعقائده وأفكاره في ضوء العلم الحديث، ولكنه كان مخلصاً فيما كتب ولذلك حينما أفتى العلماء بأنه ملحد وخارج عن الدين وأخذوا توقيعات كافة الفقهاء والمحدثين رفض الشيخ محمد قاسم النانوي منتهى دار العلوم بدوبند أن يوقع على هذا وهو الذي يعتبر في طليعة العلماء الأبرار من مدرسة الشاه عبد العزيز الدهلوي ومن أنصار العلماء الذين رفعوا راية الثورة في الهند، لقد أرسل الشيخ محمد قاسم رسالة إلى السيد أحمد خان وسأل فيها ثلاثة أسئلة ورد السيد أحمد خان عليها :

السؤال الأول : ما هو رأيك عن الله تبارك وتعالى ؟ .

الجواب : الله خالق السموات والأرض وهو أزل وأبدى ومالك وصانع .

السؤال الثاني : هل تؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

الجواب : أشهد أن محمدا عبده ورسوله وحببيه وصديقه .

السؤال الثالث : ما هي عقيدتك عن اليوم الآخر ؟ .

خان لم يدرس اللغة الانجليزية ولم يطلع على الافكار الحديثة من مصادرها الأصلية ولذلك أخطأ في فهم النظريات والافكار الحديثة لأنه أخذها بمجرد السماع . وكذلك لم يكن السيد أحمد خان ملماً بالدراسة الإسلامية كما ألم بها أقرانه مثل العلامة محمد شبلي النعماني . ولم يستطع أن يبحث في المسائل الإلهية والمعجزات بكل دقة وعمق حتى يعد نفسه من مفكري الإسلام في القرن التاسع عشر وينشئ مدرسة فكرية تجرى مع الزمان والظروف والثقافة المعاصرة . لقد أظهرت هذا الرأي في مقالتي الاردية التي كتبتها لمجلة البصير التي أصدرتها جامعة بنجاب في الباكستان في سنة ١٩٥٨ .

إن أحمد أمين عد أمير على من زعماء الهند وخصمه له بابا في كتابه وترك محمد شبلي النعماني الذي يعتبر من رواد النهضة الحديثة في الهند . وأما أمير على الذي كتب عنه أحمد أمين فلا يعرفه أحد كزعيم ديني أو سياسي . فقد كان مجرد كاتب صنف كتباً كثيرة في اللغة الانجليزية وأشهرها روح الإسلام (The Spirit of Islam)

والقانون الإسلامي (The Islamic law) ولم يشتهر أبداً بين أوساط المسلمين كزعيم أو رائد الفكرة الإسلامية ولا يعرفه كثير من المسلمين إلى الآن ، لأن ثقافته كانت ثقافة

فعل لنزعة العلماء الذين أقنوا بأن الهند دار كفر ووجب على المسلمين الجهاد في سبيل الله أما مسألمته للانجليز فكانت لمصلحة المسلمين وترقيسة أحوالهم السياسية والاقتصادية والثقافية . وهو يشبه في مسألمته للانجليز الشيخ محمد عبده في مصر . وأما موالة القاديانيين للانجليز كانت مبنية على تشييت القيم الإسلامية كما قال الدكتور محمد البهي . لقد وجدت في الهند في منتصف القرن التاسع عشر مدرستان : الأولى مدرسة المحافظة على التراث الديني وكان يزعم هذه المدرسة الشيخ محمد قاسم وكان مركزها دار العلوم بديوبند والمدرسة الثانية هي مدرسة التجديد وتطوير الفكر الإسلامي وكان السيد أحمد خان زعيمها وكانت جامعة عليكره مركزها . وقد ازدادت الفجوة بين هذين المدرستين اتساعا وعمقا بمرور الأيام . واشتدت الحاجة إلى إنشاء مدرسة ثالثة وهي مدرسة توفيقية . وزعيم هذه المدرسة معاصر السيد أحمد خان وزميله محمد شبلي النعماني . إن شبلي رافق السيد أحمد خان في جميع نشاطه وحركاته كما كان رفيقاه في كلية المحمدية في التدريس . ولكن شبلي كان يختلف عنه ببعض نزعاته . فقد كان يؤمن بالنسك بالتراث الفكري الذي خلفه أسلافنا مثل ابن حزم والغزالي وابن تيمية والشاه ولي الله الدهلوي وغيرهم من رجال الدين والفكر . وكان

الجواب : إن اليوم الآخر حق لا مناص منه ولما وصلت إلى الشيخ هذه الإجابة قال للعلماء هل تكفرون رجلا يؤمن بالله ورسوله وهو صادق في إسلامه (البصير شبلي نمر ص ١٦٦) .

شبان بين دعوة السيد / أحمد خان والدعوة القاديانية . إن دعوة السيد / أحمد خان كانت دعوة إيجابية متطورة . وهي قد قامت على أساس البناء والإصلاح وتطوير الفكر الإسلامي والوعي القومي . أما الدعوة القاديانية فهي دعوة سلبية رجعية وأساسها المنامات والإلهامات والخرافات والخرعبلات التي لا يقبلها الفكر الإنساني في العصر الحديث . وكتب مولانا أبو الكلام آزاد (وزير المعارف السابق بالجمهورية الهندية) في التذكرة : أن غلام أحمد القادياني لم يدع يوما من الأيام أنه نبي أو رسول بل أتباعه وأنصاره استغلوا اسمه وأضافوا إليه أقوالا غريبة وأنشؤا جماعة تبشيرية لكي يحصلوا على مركز بين أوساط الناس . وانهز الاستعمار هذه الفرصة واشترى هذه الطائفة لأغراضه السياسية وتشكيك أبناء المسلمين في القيم الإسلامية . ولا شك أنه يوجد شبهة بين السيد / أحمد خان وغلام أحمد القادياني في بعض الأشياء ولكنهما يختلفان كل الاختلاف أو يبتعدان كل البعد . إن السيد أحمد خان خالف الجهاد ضد الانجليز وكان هذا رد

بل اندفعت هذه الحاسة في بداية القرن العشرين بقوة دافقة . انضم هؤلاء العلماء إلى حزب المؤتمر الذي أنشئ في سنة ١٨٨٥ وكانت رسالة هذا الحزب أن يحارب الاستعمار ويجليه عن أرض الهند بطريق سلمي لا بطريق الخشونة والثورة الذي باء بالفشل مرتين . يقول الشيخ حسين أحمد المدني (الذي يعتبر في منتصف القرن العشرين في طليعة هؤلاء العلماء الذين انضموا إلى حزب المؤتمر وحاربوا الاستعمار حتى طرده من بلادهم) ، يقول : إن حزب المؤتمر لم يكن أول حركة قومية لطرد الاستعمار بل سبقته حركات ومحاولات عديدة . أما هذه الحركة فهي حلقة أخيرة للمحاولات السابقة (نقش حيات ج ٢ ص ٧) . إن النزعة السياسية للسيد أحمد خان بادت بالفشل لأن أنصاره وتلاميذه وقادة جامعة عليكرة انضموا إلى الحركة الوطنية ولذلك أصبحت هذه الحركة قوة جبارة لم يستطع الاستعمار القضاء عليها بل ترك الهند وخرج منها في سنة ١٩٤٧ .

أما شبلي النعماني فكانت له جوانب عديدة في خدمته للأمة الإسلامية . فقد كان من العلماء القدماء ولكن اتصل بالسيد أحمد خان واشترك معه في جامعة عليكرة أستاذاً للشرعية الإسلامية واللغة العربية . وكذلك كان من

يحب الوثبات الحديثة في حدود الشريعة . ولذلك كتب عن رجال الفكر والدين وأظهر بطولتهم وأهدى هذه التحفة للجيل الناشئ . وقد كتب سيرة عمر رضى الله عنه بأسلوب علمي حديث وبحث فيه عن الجوانب السياسية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية في الإسلام ، وكان هذا بحثاً طريفاً على طريقة علماء الغرب من حيث التدقيق والتحقيق والإشارة إلى المصادر . وقد سافر لأجل هذا الكتاب في سنة ١٣٠٩ هـ إلى الآستانه والقاهرة ليطلع على المخطوطات النادرة . وهو أول من عالج بحثاً علمية طريفة رداً على المستشرقين في مسألة الجزية وإحراق مكتبة الإسكندرية في عهد عمر رضى الله عنه وغير ذلك من موضوعات هامة لم يألفها العلماء المسلمون في القرن التاسع عشر . وقد ترجمت هذه البحوث إلى اللغة الانجليزية . وقد أعجب بها السيد أحمد خان إعجاباً شديداً وشجعه في معالجة هذه الموضوعات الهامة .

وكذلك لم يتفق شبلي مع السيد أحمد خان في مسألمته الانجليزية بل كان ينتمى في نزعته السياسية إلى العلماء الأبرار الذين قاموا بالثورة الأولى والثانية لطرد الانجليز من الهند . وانتسب إلى حزب المؤتمر .

إن جهود العلماء الأبرار الذين قضوا حياتهم في محاربة الاستعمار لم تذهب سدى

بالغا . وفي نفس الوقت أقلق باله منهج الأزهر القديم والحالة السيئة التي كان عليها طلاب الأزهر وأساتذته من حيث الفكر والنزعة ولذلك انتقد الأزهر نقداً لاذعاً في مذكراته التي سماها بسفرنا م مصر وروم (رحلة مصر والروم) وطبعت باللغة الأردية في الهند سنة ١٨٩٢ (البصير شبلي نمر ص ١٠٤) .

وحينما رجع إلى الهند طلب من جمعية ندوة العلماء التي أسسها العلماء الهنود أن ينشئوا مدرسة حديثة تماثل دار العلوم بالقاهرة تأخذ من كل من مدرسة دار العلوم بديوبند وجامعة عليكره وتكون وسطاً بينهما . وكان شبلي عضواً فعالاً في هذه الجمعية . ولقد وافق العلماء في الجمعية على هذا وأنشئوا مدرسة حديثة باسم دار العلوم لندوة العلماء . ونجحت هذه الدار في رسالتها نجاحاً بارزاً في مدة بسيطة لا تزيد على عشر سنين . ولقد تخرج على يديه في هذه المدرسة كبار الكتاب والزعماء والمفكرين مثل مولانا أبو الكلام آزاد والسيد سليمان الندوى وعبد الماجد الدريابادي ومولانا عبد الباقى الندوى . وهؤلاء هم الذين قادوا الأمة الإسلامية في الهند في منتصف القرن العشرين كما تخرج على أيديهم كبار العلماء مثل الأستاذ أبى [البقية على صفحة ٣٣٤]

أصدقاء السير عقومس آرنولد Sir okomas Arnold وعرف منه كثيراً عن الثقافة الغربية وفلسفتها ونهضتها الحديثة وتعلم منه اللغة الفرنسية كما علمه اللغة العربية . وحصل على تجارب وخبرات استغناها في بعث نهضتنا الحديثة مع التمسك بالدين . فدعا المدارس العربية في الهند وعلى رأسها دار العلوم بديوبند إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة والعلوم البالية مثل الفلسفة والمنطق وعلم الفلك وغيرها . ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت في العصر العباسي الأول وإضافة بعض مواد حديثة مثل علم الاجتماع والاقتصاد وتدريس المواد الحديثة بطريقة تطبيقية بين الشريعة الإسلامية والثقافة الغربية . وقد خالفه العلماء القدماء المزمعين وعارضوه ولكنه لم يترك هذه الدعوة . وقد أتيحت له الفرصة في سنة ١٨٩١ لزيارة مصر والآستانة . وقد قامت في تلك الأيام حركة إصلاحية في مصر أيضاً تماثل حركته ونزعته . وكان رائد هذه النزعة في نظره على مبارك منشئ مدرسة دار العلوم في القاهرة . وقد تبادل الآراء مع على مبارك والشيخ محمد عبده في جلسات متعددة وأعجب بمدرسة دار العلوم بالقاهرة ودراساتها ورسالتها وكتب عنها صفحة كاملة في مذكراته واثني عليها ثناء

أثر الحضارة الإسلامية في المدينة الأوروبية

للدكتور محمد غلاب

غرست السياسة الاستعمارية من جهة ، والعنصرية الجنسية من جهة أخرى في نفوس الغربيين أنهم نشأوا من عنصر آخر غير عنصر الشرقيين ، وبالتالي هم أسمى منهم طبيعة وأرقى مدنية . وقد طفق الطغيان طوال أزمان الاستعباد الممقوت يعمل على تثبيت هذه الفكرة الخاطئة حتى جعلها بالنسبة إلى الغربيين أشبه الأشياء بالحق المكتسب الذي لا مشاحة فيه ولا نزاع ، وتمكن بوسائله الجهنمية من ترسيخها في نفوس الشرقيين ترسيخا لم يلبث أن تحول إلى عقدة نفسية كانت إلى عهد قريب عسيرة الحل ، أو مركب نقص مرهق ظل إلى ما قبل الآن عسير الزوال . وكان من نتائج هذا المركب النقصى الخطر أن آمن الجيل الذي نشأ وربى بين أحضان الاستعمار ، وهدد بإرهابه ومخاوفه بأنه أدنى من الغربيين عنصرا ، وأقل منزلة ، وأحط مدنية ، ولولا هذا لما كان لهم على الشرق حق السيادة والامتلاك . ولا ريب أن هذه الفكرة بعيدة عن الحقيقة بعد الظلام عن النور . ولا زريد أن نستشهد على ذلك

إلا بما سجله أعلام كتبهم ، وأفذاذ علمائهم وباحثيهم الزهاء .

ففيما يتعلق بالعمود الأثرية ، يصرح الكاتب الانجليزي ريدر هيجارد مخاطبا مصر بقوله : (في الوقت الذي كان فيه فراعنتك يتزهون في زوارق أنيقة يجذف لها بمجاديف من ذهب ، كان أجداد أولئك الذين يستعمرونك الآن يقطنون الغابات ويقتلون الحيوانات بالاحجار ، فيشؤون جلودها ، ويرمون لحومها جهلا منهم بما يؤكل وما يرى .

أما في العصور الوسيطة التي أثار فيها الإسلام مشاعل الحضارة العربية ، ورفع راياتها الخفاقة ، ونشر معارفها المتنوعة والتي التقي فيها الغربيون بالمسلمين في أسبانيا عند نهاية القرن السابع ثم إبان الحروب الصليبية في فلسطين وسوريا ومصر أثناء عدة قرون ، فاليك ما يقوله فيها العالم الفرنسي جوزيف كليمت في كتابه : تاريخ أسبانيا ، الذي ظهر في سنة ١٩٤٧ :

د قد يبدو للوهلة الأولى أن تعارض الدينين كان يمكن أن يضع عقبة كأداء أمام

ونحن لا نريد أن نهب هنا في تفاصيل هذا التأثير المعترف به من الجميع ، بل الذى بلغ من الشهرة حداً يجعل الحديث عنه ضرباً من ضروب الإعادة والتكرار ، وإنما حسبنا أن نشير إلى تأشير ابن سينا في « ألبير الأكبر » و « القديس توماس الأكويني » وهما على رأس أعلام المفكرين الغربيين في العصور الوسيطة . أما تأثير ابن رشد في فلاسفة ومتفلسفي تلك العصور وعصر النهضة فهو غنى عن كل وصف وليس عليك إلا أن تلقى نظرة عاجلة على تاريخ جامعتي السوربون وبادوا وما كان يحدث فيهما من معارك فلسفية طاحنة حول آراء ابن رشد في ذلك العهد ، وحسبنا أن نسجل هنا أن اسم « الشارح » كان إذا أطلق في أوروبا في ذلك الحين لا ينصرف إلا إلى ابن رشد وحده . وأن هذا الفيلسوف قد ترك في الغرب مدرستين قيمتين أطلق المؤرخون على إحداهما اسم المدرسة اللاتينية ، وعلى الأخرى اسم المدرسة العبرية وأن رينان قد خصص لدراسة مذهبه كتاباً عنوانه « ابن رشد والمدرسة الرشدية » ، وإذا أردت بياناً عن هذا كله فارجع إلى كتابنا : « الفلسفة الإسلامية في المغرب » وإذا غادرنا العلوم والفلسفة ، واتجهنا إلى الإلهيات التنسكية ، ألفينا المستشرق الأسباني الكبير الأستاذ ميجيل أزين

تبادل التأثير بين الثقافتين ، ومع ذلك فلم تقم هذه العقبة على الأرض الأسبانية ، إذ أن الظاهرة الملحوظة هي ظاهرة عمل متبادل مستمر متغلغل إلى الأعماق . غير أن في وصفنا هذا التأثير بالتبادل شيئاً من التجوز لأن الجانب الإسلامى كان أكثر نشاطاً ، أى أن الإسلام هو الذى قدم عنصر الإنتاج ، وأن العالم المسيحى هو الذى تلقى الأثر الانفعالى . وفى الواقع إن هذه العناصر النشيطة ، قد تناولت جميع جوانب المعرفة البشرية كعلوم : الطب والهندسة والجبر والفلك . ولقد أجمل الأستاذ رودينسون ذلك في « مجلة تاريخ الأديان » الصادرة في ديسمبر من سنة ١٩٥١ في تلك العبارة الجامعة الشيقة فقال : « إن علوم الغرب في ذلك العصر كلها علوم عربية » .

أما الفيلسوف حسبنا أن نذكر عنها رأى أحد الأعلام الفرنسيين المتخصصين في دراسة فلسفة العصور الوسيطة وهو إيتلين جيلسون ، الذى يبرز تأثير فلاسفة المسلمين في مفكرى المسيحيين في كتابه : « التاريخ المذهبي والأدبي في العصور الوسيطة » ، حيث يقول : « إن أول الأوهام التى ينبغى تبديدها هو الذى يصور الفكر المسيحى والفكر الإسلامى على أنهما عالمان متباينان . تمكن معرفة أولهما مع جهل ثانيهما » .

إن من الوقائع الجديرة بالملاحظة تلك الجاذبية وذلك الاتصال الاجتماعي للذين استقروا منذ زمن بعيد بين العرب والاسبانيين وجعلوا ينموون على التوالي ، وهاتيك السهولة التي خضع بها الآخرون لذلك السمو النبيل الذي أفاضه عليهم الآونون ، إذ استهوتهم عبقريتهم اللطيفة فاستساغوا لغتهم ، وألغوا عاداتهم بل أخيلتهم ...

... إن طباع العرب ، وأنظمتهم هي التي لفتت أنظار أهل الجنوب في فرنسا في القرن الحادى عشر حين بدوا يرون في أولئك المسلمين - وهم الذين كانوا أول الأمر يرهبونهم بوصف أنهم أعداء للعقيدة المسيحية - رجالا أكثر منهم حضارة ...

د ... كان الإجماع في ذلك العهد يعزو إلى العرب كل ما كان يبدو خليقا بالإعجاب ، أو كل ما كان يقتضى وجود فن من الفنون الرفيعة

وإذا نصفحنا كتاب : د حضارة العرب ، تأليف جوستاف ليون ، ألفينا أنه لا يقل عن سالفه جزما بأن الفرنجة مدينون للمسلمين بكثير من مدينتهم التي يتيه بها اليوم أحفادهم عجباً وافتخاراً . وهو في هذا يقول : د إنما عن العرب وحدهم قد أخذ سكان أوروبا ، إلى جانب قوانين الفروسية ، الاحترام والتلطف اللذين تفرضهما هذه القوانين عليهم

بالاسيوس يلتقى أعظم الاضواء وأسطعها على تأثير الأئمة : الغزالي وابن مسرة ومحيي الدين ابن عربى في المدارس التنسكية الاسبانية . وكما قرر أولئك العلماء تأثير المسلمين في جميع فروع العلوم المتنوعة ، كذلك سجلوا هذا التأثير في الحضارة الأوروبية الرفيعة على اختلاف مناحيها المترامية الأطراف . وفى هذا يقول إيرينست رينان في كتابه المذكور آنفا - رغم تحامله أحيانا على الإسلام والمسلمين - ما بلى :

د إن الميل إلى العلوم ، وتذوق الفنون الجميلة قد أنشأ في أسبانيا في القرن العاشر تسامحا لا تكاد العصور الحديثة تقدم إلينا منه مثالا واحدا ، إذ أن المسيحيين واليهود والمسلمين ، كانوا يتكلمون بنفس اللغة ، ويتناشدون ذات الأشعار ، ويتقاسمون عين الدراسات الأدبية والعلمية ، وأن كل الحواجز التي تفرق بين بنى الإنسان قد انهارت ، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين في تشييد الحضارة المشتركة ، وأن مساجد قرطبة التي يمد طلابها بالآلاف قد صارت مراكز نشيطة للدراسات الفلسفية والعلمية . وكذلك يسجل العالم الفرنسى الأستاذ فوريل ذلك في كتابيه : د تاريخ الجول الجنوبي ، و د تاريخ الشعر البروفانسى ، فيقول :

أن المسيحية والإسلام في العصور الوسيطة لم يلتقيا للقتال فحسب ... فهناك وقائع متضادة ومحقة تشهد بأنه قد وجد بين صفوئيهما المسئولين — فيما وراء التلاع والتقاتل — كثير من التآلف ، ولكنهم لم يكن تآلفاً ناشئاً من تبادل التفاهم السطحي الناجم عن المصادفة بل كان اتحاداً روحياً حقيقياً لعبت فيه الثقافة الإسلامية أثناء عدة قرون دور الملهم والمرشد

وأوضح وأصرح من ذلك كله ما يتحدثنا به الكتائب العصرية الكبرى : « أنا تول فرانس ، إذ يسجل على لسان أحد أبطاله في كتاب « الحياة مزهرة ، ما يلي .

إن أشأم أيام التاريخ هو يوم معركة بوايه في سنة ٧٣٢ حين تتهقرت العلوم والفنون والحضارة العربية أمام البربرية الفرنجية . وفي الواقع أن هذا اليوم الذي ينعتة أنا تول فرانس بالشؤم هو الذي استطاع فيه جيش شارلمان بقيادة شارل مارتيل أن يقف زحف الغزو العربي الذي كان يحتاج أوروبا ثم وقف عند مدينة بواتيه في وسط فرنسا ثم تراجع واكتفى بالثواء في أسبانيا ، ويرى أنا تول فرانس بهذا إلى أنه لو لم يقع هذا الحادث المشؤم ، وشاءت الأقدار أن تتغلغل الحضارة العربية في أوروبا حتى تشملها كلها لتغير وجه التاريخ ولكان للإنسانية -

للرأة فرضاً . وإذن فليست المسيحية — كما يظن في الغرب بصورة عامه — هي التي رفعت المرأة وإنما هو الإسلام .

وفي الحق أن قوانين الفروسية التي يتحدث عنها جوستاف لبيون كانت أحد المؤثرات الهامة التي سجلها التاريخ للشرق على الغرب بأحرف الخلود ، وأن أبرز ميدان تلاقح هذا التأثير في سمائه هو جبهات الحروب الصليبية إذ أن المسلمين هم الذين ألهموا فرسان الفرنجة الذين كانوا — مسح شجاعهم — معروفين بالجفاف والفظاظه مبادئ الشهامة والوفاء بالعهد والقسامح وكرم الخلق واحتقار الثروة واحترام المرأة ، ولقد قدم لنا السيد الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقال قيم نشرته له مجلة الأزهر في أواخر العام المنصرم بعنوان « الفتوة في الإسلام ، مثلاً رائعاً من سلوك قائد جيش المسلمين الأعلى صلاح الدين مع قائد جيش الفرنجة قلب الأسد ، وهو سلوك يسجل في مباهاة سمو الفروسية الإسلامية الذي أعطى الغربيين درساً لا يمحوه الزمن ، وما يستوعى الانتباه هنا أن هذه الرفعة الإسلامية قد سجلها الأستاذ بيير بونسواي في كتابه « الإسلام والجرال ، في نزاهة وإخلاص دفعنا إلى أن نقبس منه الفقرة التالية :

« يعلم الناس اليوم أكثر من ذي قبل

البائد بأن يلقنوا شبابنا أساليب تلك الذلة
البغيضة التي لم تسكن ترمي إلا إلى ترسيخ
أقدامه في بلادنا وخضوعنا لأوامره ونواهيهِ .
أما وقد شعت أنوار الحرية في الشرق كله ،
فليس على أبنائه الآن إلا أن يفتشوا في تاريخهم
المجيد ليستخلصوا من بين سطوره المتلاثة
مبادئه السامية التي أخفاها المستعمرون
كل ذلك الزمن المظلم البغيض ، والتي لا يستطيع
بعد الآن كائن من كان أن يقف في طريق
سيرها الجارف الذي اجتاحت وسيجتاح
الآخضر واليابس من غروس المستعمرين
وتعاليم سماسرتهم من الذين مروا على
العبودية حتى ألفوها والذين قضت وستقضي
عليهم ثورتنا المباركة قضاءها الأخير .

المكتوب محمد غنم

بفضل المبادئ الإسلامية - شأن غير هذا
الشأن البربري الذي تعيش فيه أوربا الآن
غارقة في الطغيان والاستبداد والفسوة
والوحشية والاستعمار تمتص دماء الضعفاء ،
وتخيف الأمنين الوداعين ، وتغري الخونة
والمرتدين ، وتدمر المسكن والقرى باسم
المدنية والإنسانية وترقية المتأخرين وتعليم
الجهلاء والقوامة على القاصرين ، وهي في
ذلك كله ليست سوى وحوش كاسرة لا تعرف
الرحمة إلى قلوبها سبيلا .

بان من كل ما تقدم أن لدينا من تراث
حضارتنا العالية ومن أخلاق أسلافنا
الخالدين ما هو قين بأن يملأ قلوبنا بالعزة ،
ويغعم نفوسنا بالكرامة بدلا من انزوائنا
أو تخاذلنا أو اقتناعنا بأن الغرب أعرق
منا مدنية كما أمر الاستعمار سماسرته في العهد

[بقية المنشور على صفحة ٣٣٩]

ونضالها من القرن التاسع عشر إلى القرن
العشرين مسع عرض الأفكار والآراء
 والاتجاهات وإن كان هذا البحث يحتاج
في الحقيقة إلى دراسة واسعة في عدة مقالات
تزيد من توضيح وشرح هذه الأفكار
 والآراء والاتجاهات .

محمد اسماعيل النمرى

الحسن على الندوى ، والأستاذ مسعود
الندوى ، والأستاذ أبو الليث الندوى .
 وغيرهم من الندويين . ولا يزال يتخرج
 منها العلماء والادباء والكتاب ورواد
 النهضة الحديثة .

وهذه صورة وجيزة وضئيلة لكفاح
 الأمة الإسلامية في الهند وفي باكستان

مَوْلِدُ الرَّسُولِ

فِي الْمَدْحِ النَّبَوِيِّ

لِلأَسْتَاذِ عَلَى الْعِمَارِي

الشعراء السابقون للإسلام بمدوحهم من
الجود والشجاعة ، والوفاء ، وكرم الأصل ،
وطيب العنصر ، كما قال عبد الله بن الزبير
بعد إسلامه يمدح الرسول :

قَرَمَ عَلَا بَنِيانَهُ مِنْ هَاشِمٍ

فَرَعَ تَمَكَّنَ فِي الذَّرَى وَأُرُومَ (٢)

والنبي مهند من سيوف الله ، وهو خير
من حملته ناقة على أوصالها ، وقد عمت فضائله
كل العباد كما عم البرية ضوء الشمس والقمر ،
وهو ركن معتمد وعصمة لا تزل ، وجار مجاور ،
وهو - كما قالت قتيلة بنت الحارث - نجل كريم
في قومها ، والفحل خلٌ معرق ، وذكره - كما
قال الأعشى - أغار في البلاد وأنجد . وهكذا .

فلما صارت المدائح النبوية بابا واسعا في
الأدب العربي انتهج شعراء المديح منهاج
جديدة ، فزادوا على الأوصاف السابقة نظم

(٢) القمر السيد الذرى جمع ذروة وهو أعلى الشيء .

وأروم : جمع أرومة وهي الأصل .

كانت الأشعار التي قيلت في مدح الرسول
أو في جهاد المشركين ، والرد عليهم ، هلى
ههد حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ،
وأبي سفيان بن الحارث ، وأضرابهم تزخر
بالحديث عن الإسلام ، والقرآن ، وهداية
البشر ، وقاتل الكفار ، وتتضمن الاعتراف
بوحداية الله وطاعته ، والثناء عليه تعالى ،
والحديث عن الجهاد ، كما قال كعب بن مالك
حين اعتزم رسول الله السير إلى الطائف :

نَطِيعٌ نَبِينَا وَنَطِيعٌ رَبِّهَا

هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَتْ بَنَاهُ رَوْفَا

فَإِنْ تَلَقَّوْا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبَلْ

وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضْدًا وَرِيفَا

وَإِنْ تَأْبَوْا نَجَاهِدْكُمْ وَنَصْرُ

وَلَايِكُمْ أَمْرًا رَعِشًا ضَعِيفَا (١)

كما كانت صورة من المديح الجاهلي ، فهي
حافلة بوصف الرسول بما كان يصف به

(١) الريف : أرض فيها زرع وخصب . الرعش : الجبان .

وأول ما يلفت النظر في تجميع يوم الميلاد عند هؤلاء المداح هو الحديث عن الإرهاصات التي صحبت مولد النبي ، والتي جاءت في قصة سبقت مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وقد روتها كتب الأدب وأملت بها كتب السيرة ، وهذه صورة مما ورد لهذه القصة :

« جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن هبّاس ، قال : لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى ؛ فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أو شك أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره ، وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبذان : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعبا ، تقود خيلا عربا ، قد اقتحمت دجلة ، وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيما ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى

السيرة النبوية بحيث تسكاد ترى لسل صغيره وكبيرة حدثت في عهد الرسول صدها في هذه المدائح .

وبعض المدائح تسجيل لحياة الرسول منذ ولادته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى حتى لو نثرتها لم تعد أن تحصل على فصل أو فصول من كتب السيرة .

وكان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم من الموضوعات التي عنى بها شعراء المديح ، فقد اعتبروا ذلك اليوم - وهم يحقون - أكثر الأيام بركة وخيرا في تاريخ البشرية ، فكل مكرمة نالها الإنسانية أو سئلها عن طريق الإسلام ، إنما مرجعها ومنتهاها إلى اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، الموافق العشرين من شهر أبريل عام ٥٧١ م^(١) .

وقد تفتحت قرائح الشعراء عن صور من الحقيقة ، ومن الخيال ، أبرزوا فيها هذا اليوم المبارك فوصفوه بما يستحق من سني الأوصاف ، وجلوه في معرض جميل رائع يليق بسيد المرسلين .

[١] اتفق الثقات من الرواة على أن ولادة النبي كانت في يوم الاثنين ، واشتهر أنها كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ولكن بعض الباحثين من المحدثين حتى أن الولادة كانت في اليوم التاسع من هذا الشهر . (انظر مجلة الأزهر عدد ربيع الأول سنة ١٣٦٧ ص ٢٢٩) .

فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا
يدور الزمان فهلكوا كلهم في أربعين سنة^(١).
وقد ردد أصحاب المدائح هذه الظواهر في
أشعارهم ، يشير أحدهم إلى بعضها ، ويستقصي
آخر ، ومن أوائل من أشار إلى بعض هذه
الإمام جمال الدين الصرصري^(٢) العراقي الضرب
المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وقد توفي شهيدا قتله
التتر في بلده (صرصر) حيث قال يذكر
ميلاد الرسول :

وطاف به الأملاك تمنع مهده
أذى كل شيطان يخاف اقتحامه
وكسرى أنوشروان زلزل قصره
وُسُق ، وتاج الملك فك نظامه
ونار بجوس الفرس أطفئ وقدها
ولم يك في الإعصار يخبو ضرامه
والشعر ضعيف ، ولكن الذي يعنينا هو
سبق الإشارة في الشعر إلى بعض الإرهاصات
التي صحبت المولد .

[١] العقد الفريد ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ط .
سعيد الريان

[٢] اشتهر عند مؤرخي الأدب أن أول من فتح
بات للمدائح النبوية بعد أن سكنت الشعراء زمنا
طويلا ، هو الإمام البوصيري وهذا خطأ لأن
الصرصري سبق البوصيري حيث توفي الأخير
سنة ٦٩٦ هـ وسبقهما الشيخ عبد الرحيم البرعي
القدي طاش في القرن الخامس الهجري .

حاملك بالحيرة ، يوجه إليك رجلا من علمائهم
فإنهم أصحاب حلم بالحدثان ... فبعث إليه
عبد المسيح بن بقليلة الغساني ، فلما قدم عليه
أخبره كسرى الخبر فقال له أيها الملك ، واققه
ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن ،
جهزني إلى خال لي بالشام يقال له (سطيج) ،
قال : جهزه ، فلما قدم على سطيج وجده
قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكلمه فلم يرد
عليه ؛ فقال عبد المسيح :

أصم أم يسمع غطريف اليمن
يا فاضل الخطأ أعيت من ومن
أناك شميخ الحمى من آل سمن
أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يهوى للوثن
لا يهرب الرهد ، ولا ريب الزمن
فرفع إليه رأسه وقال : عبد المسيح ،
على جبل مشيخ ، إلى سطيج ، وقد أوفى
على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان لارتجاج
الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان ،
رأى إبلا صعبا ، تقود خيلا عرابا ، قد
اقتحمت في الواد ، وانتشرت في البلاد ،
يا هيد المسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وفاض
وادي السماوة ، وظهر صاحب الهراوة ،
فليست الشام لسطيج بشام ، يملك منهم ملوك
وملكات عدد سقوط الشرفات ، وكل ما هو
آت آت ثم قال (أبيات من الشعر) . ثم
أتى كسرى فأخبره فغمه ذلك ، ثم تعزى

ولكن صاحب المولد المشهور بمولد البرزنجي
حددها تحديدا آخر فقال :
« وعاضت بحيرة ساوة ، وكانت بين همدان

وقم من البلاد العجمية » .
كما حدد وادي السابرة في قوله : « وفاض
ماء سابرة وهي مفاضة في فلاة وبرية » .

والمشهور أن بحيرة ساوة هي التي غاضت ،
وقد تردد ذلك في أشعار المديح ، ولكن
القاضي عياض في الشفاء ذكر أن البحيرة
التي غاضت هي بحيرة طبرية (٣١٤ ص ٣١) .
وقد علق الخفاجي على قول عياض فقال :
المعروف بالغرض - كما في البرهان - بحيرة
ساوة ، ثم قال : والحق أنها بحيرة طبرية ،
وقد سبق في القصة أن البحيرتين كلتيهما غاضتا .
وساوة في بلاد الفرس ، أما طبرية فهي
بلدة بالشام معروفة ، بينها وبين القدس
مرحلتان ، وبحيرتها عظيمة .

وتسبع (شوقي) البوصيري ، في الإشارة
إلى تصدع إيوان كسرى ، فقال في نهج البردة :
سرت بشائر بالهادي ومولده
في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

تخطف من هج الطاغين من عرب
وطيرت أنفاس الباغين من عجم
ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت

من صدمة الحق لا من صدمة القدم
وكرر ذلك مرة أخرى في نفس القصيدة فقال

ولكن الذي أجاد تسجيل هذه الأحداث
هو الإمام البوصيري ، فقد ذكرها في همزيته
فقال :

وتداعى إيوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا

ن لنيرانهم بها إطفاء
كما ألم بنفس المعاني في قصيدته (البردة)
فقال :

وبات إيوان كسرى وهو منصع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه ، والنهر ساهى العين من سدم

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردة بالغيط حين ظمى

كان بالنار ما بالماء من بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضر

ونلاحظ أنه صرح هنا باسم البحيرة التي
غاض ماؤها ، وهي بحيرة (ساوة) وقد
وردت في القصة التي أئبناها آنفاً ، ومنها يفهم
أن (ساوة) في بلاد اليمن ، لأن الذي كتب
لكسرى بشأنها إنما هو صاحب اليمن ،

لم تسقط منه أربع عشرة شرفة خسب ،
بل أصبح كله كما قال عنه البعثرى فى القرن
الثالث الهجرى :

لو تراه علمت أن الليالى
جعلت فيه مأتما بعد عرس
وكان فيما ذكر من طريف الحكايات أن
رجلا من (غامد) كانت له غنم يرعاها فإذا
جاءت الظهيرة لجأ بها إلى بقايا الإيوان فتقيل
فيه ، فربما سعدت بعض الأغنام فنامت فى
مكان جلوس كسرى ، وذات يوم جلس هذا
الرجل مع صاحب له يتذاكران أحداث
الأيام ، وتقلبات الدهور ، فقال صاحبه :
وبما رأينا من العجائب صعود غنيمات
الغامدى فى سرير كسرى .

وكما أشار شوقى إلى تصدع إيوان كسرى
أشار كذلك إلى خمود نار الفرس ، وإلى
غيض الماء فقال :

ذعرت عروش الظالين فزلزلت
وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم
خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآى تترى ، والخوارق جمة

جبريل رواح بها غدام (١)

[١] فسر الملق على الشوقيات كلمة تترى بكلمة
(تتوالى) ظنا منه أنها فعل ، والحقيقة أنها اسم ،
لأنه لا يوجد فعل ماض من هذه الصيغة حتى تكون
هذه مضارعا له .

وخل كسرى وإيوانا يدل به
هوى على أثر النيران والأيام (١)

وقد روى حديث الإرهاصات البيهقى وابن
أبى الدنيا وابن السكن — كما فى شرح الشفاء
ومعنى هذا أنه لم يرد فى الكتب الصحاح .
ومن هنا تطرق الشك إلى هذه القصة ، وأول
ما تمسك به هؤلاء الشاكرون ، أن القصة
تحمّل فى طياتها بعض المتناقضات ، فهى
تقول : إن أربعة عشر ملكا من ملوك
الفرس هلكوا فى أربعين سنة ، ذكر ذلك
غير واحد منهم صاحب الشفاء ، وقد جاء
فى شرحه أن النبي ولد فى عهد كسرى
أنو شروان ، وكتب كتابه المشهور إلى
كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان .

وجاء فى كتاب السكامل لابن الأثير
ولد رسول الله سنة اثنتين وأربعين من
سلطان كسرى أنو شروان ، وبعث لاثنتين
وعشرين من ملك كسرى أبرويز بن كسرى
هرمز بن كسرى أنو شروان وهاجر لاثنتين
وثلاثين مضت من ملك أبرويز ، ج ١
ص ١٨٥ .

فلوك الفرس فى هذه الفترة ثلاثة فقط .
وسواء صحت هذه القصة أم لم تصح ، فإن
الذى حدث فعلا أن ملك كسرى كله ذهب
بعد قليل من ظهور الإسلام ، وأن الإيوان

عنه يتمه ، أما حليلة السعدية ذلت الاتان العرجاء ، والناقة المسنة فقالت : (والله ما بقى من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعا غيرى ، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معى رضيع ، لأطلقن إلى ذلك اليتيم فلأخذه) . وأخذته فدرت شاتها ، وأخصبت أرضها ولقيت من يمنه صلى الله عليه وسلم ما قرت به عينها ، وقد أجاد البوصيرى فى عرض هذه القصة حيث قال :

وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته أيتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأته من آل سعد فتاة
قد أبته لفقرها الرضعا
أرضعته لبانها فسقتها
وبنها ألبانها الشاء
أصبحه شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل
إذ غدا للنسب منها غداء
يا لها منة لقد ضوعف الأجر
(م) عليها من جنسها والجزاء

ومن هنا ترى أن : (شوقى) تبع البوصيرى فى كل هذه الأمور التى ظهرت أو قيل : إنها ظهرت عند مولد الرسول ولا نرى وجهها لقول بعض الباحثين إن (شوقى كان أبعد نظراً من البوصيرى فى نقد الأخبار والآثار) .

وقد أشار البوصيرى إلى قصة تشميت الملائكة للرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : شمتته الأملاك إذ وضعته وشفتنا بقولها الشفاء

والشفاء هى أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ، وحديث التشميت رواه سيدنا عبد الرحمن بن عوف ، كما جاء فى كتاب الحلية لأبى نعيم ، وقد حضرت الشفاء ولادة النبى ، وأخبرت ابنها بذلك ، ولم يشر إلى هذه القصة شوقى ولا أكثر المداح .

كما أشار كثير من المداح إلى قصة رضاع النبى فى بنى سعد ، وكيف جاءت حليلة السعدية تبغى طفلا ترضعه ، واضطرت أخيرا أن ترضى بهذا اليتيم فيكون بركة عليها ، قالوا : إن نساء بنى سعد وفدن فى سنة مجدبة على مكة يلتمسن الرضعا ، وكان يهمن المال ، فما منهن واحدة إلا عرض عليها اليتيم فصدهن

وإذا يَخْضِرُ الإله أناسا يوم أغر كفاك منه أنه
 لسعيد فإنهم سعداء يوم كأن الدهر فيه تجمعا
 وهي أبيات جميلة حقا .
 كما أشار بعض الشعراء المحدثين إلى حادثة
 (الفيل) ومعلوم أن الفيل نكل أن يمس
 الكعبة، وقد ولد النبي عام الفيل، قال الشاعر :
 أدرك الفيل بالغريزة معنى
 كان عند الفيال معنى بعيدا
 حاد - لما رأى الجلال - عن البيت
 (م) ولولاه لم يكن ليحيدا
 آية للوليد علت العجم
 فراحت تعظم المولودا
 هذه كلها إشارات إلى قصص معلومة مشهورة،
 أما عمل الخيال في وصف يوم الميلاد فقد
 جاءتنا منه بدائع ، سطرها الشعراء قديما
 وحديثا ، ويعجبني قول شاعرنا محمد الأسمر
 عليه رحمة الله ، وبه أختتم هذا الحديث :
 علي العمري

قال الزجاج : دكنت أخطر الزجاج فاشتبهت النحو ، فلزمت المبرد لتعلمه فقال لي :
 أى شيء صناعتك ؟ قلت : أخطر الزجاج ، وكسبي في كل يوم درهم وداققان أو درهم
 ونصف ، وأريد أن تبالغ في تعليمي ، وأنا أعطيك كل يوم درهما - وأشرط لك
 أن أعطيك إياه أبدا إلى أن يفرق الموت بيننا ، استغنييت عن التعاليم أو احتجيت إليه ،
 قال : فلزمته ، وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم ، فينصحنى في العلم ،
 حتى استقلت .

من وحي الرّوضة النبويّة للأستاذ محمد محمد خليفه

زخارف تتلألا ولا على الألسنة عبارات
تخلب بل عاشت بين القلوب رحمة وبين
النفوس شعوراً وبين الجفون دموعاً وبين
المجتمع الإسلامي وجداناً صادقاً تألف عنده
الأرواح ، هذه هي الإنسانية التي أعلن
للدنيا ميلادها ثم تقدمت تفتح قلوب الأمم
قبل أن تفتح السيوف ، فكان المسلم إنساناً
قبل أن يكون غازياً وصاحب دعوة قبل أن
يكون صاحب سيف ، حكته أخلاقه فحكم
الناس حين رعاهم بالقانون الذي حكم به
نفسه قانون الإنسانية السمحة لا السبعية
الجارحة .

من هنا بدأت شريعة الحق تموج وتنطلق
لا كما تنطلق أمواج البحر القوية ثم تتسكّر
على الصخور أو تمتد إلى الشاطئ ثم تعود
واهية لتستمد من البحر قوتها فتظل في صراع
حتى تغلب على أمرها فتخلد إلى الدعة ، لا بل
إن الشريعة انطلقت في الزمان تجتاز سدوده
وحدوده لا تحطمها القوى المداهمة ولا تردّها
النزعات المداهنة فهي أمضى من أن تسالم
الجاحد أو تستسلم لغير الجاحد .

هنا صحا التاريخ على صورة الحق ليكتب
للزمان أبجد كتاب هو سمع الزمان لتاريخ
لإنسان .

هنا ولد التاريخ أمة جديدة رأى فيها
العالم معجزة الحياة ؛ لأنها أمة الأميين المؤمنين
الذين قوضوا عرش القياصرة وزلزل بأسهم
سلطان الآكسرة .

هنا خلق الإيمان قوة من اختلفت عليهم
من قبل أسباب الفناء ، وفرقت قلوبهم
الإحن والدماء ، وأسلبتهم عوادي الفتن إلى
خوف قلقت به المضامع ، وأرعشت عواصفه
للفتناء والآمنين والمسلمين والمستسلمين قبل
أن يكونوا مسلمين .

هنا وحدت كلمة التوحيد أولئك الذين
هفروا جباههم بين يدي اللات والعزى
والذين سجدوا في الماضي للشعري لا لرب
الشعري والذين عبدوا الشمس أو دانوا للجن
ومن كانوا هوداً أو نصارى كل أولئك
جمعهم هنا كلمة الله وخرت هاماتهم في محراب
الحق للحق .

هنا ولدت الإنسانية الكاملة في ظل
الإنسان الكامل وعاشت لا بين الألفاظ

إلى نفوس مشرقة تضىء ما حولها كالقمر
يستمد نوره من الشمس ثم يهديه إلى دنيا
الناس حين يغيب عنهم وجه الشمس .

وكان ربى فتخلق تربيته من الطبيعة البشرية
طبيعة جديدة تعمل فيها قوى السماء التى وهبها
الله له عملها ، إن شاء الله حتى تبدو أحيانا
أقرب إلى الطبيعة الملائكية منها إلى الطبيعة
البشرية فهى طبيعة عابدة وتزيد عنها أنها عابدة
لخير المجتمع البشرى بعد أن كانت طبيعة
العربى تتحكم فيها الأنانية الذاتية أو القبلية .

وكانت توجيهاته فيضاً من الحكمة تدفق
فيها حيناً حكمة الحكيم الخبير وحيناً حكمة
الآسى الذى خبر أدواء البشرية وقد أصبحت
لديه أمانه يؤمنها متاهات الحياة فهو يرسم لها
سبلها وهى ناجية ما سلكت تلك السبل .

وهنا كان يجلس صلوات الله وسلامه عليه
لل قضاء فترى الأفضية الحائرة عنده شاطئه
الرجاء فليسته حتى لمسته فى حكم من السماء
أو من رسول رب السماء يطمئن إليه المظلوم
وتسكن عنده شررة الظالم .

وهنا كان يرسم الخطط ويعلم النعمة
ويرتب القادة ويحدد منازلهم ويعقد
الرايات لهم ويوصيهم بالحق والصبر حتى
إذا التقي الجمعان أدرك المسلمون أن الخير
فيما فعل وأن ما رسمه سبيل النصر .

وهنا بنى كيان المجتمع الإسلامى على قواعد

لأنها نزلت من السماء فيها طبيعة الغيث الذى
يغسل ويطهر ويروى ويحيى ويحرف ويعلو
وزادت عن طبيعة الغيث أنها لا تتبخر
أو تختفى فى أعماق الوجود مهما طال عمرها
فى هذا الوجود .

وكما كانت هذه الشريعة فيها طبيعة الغيث
وزيادة كان فى خلق صاحبها معنى السحاب
الفر فيها الخير وليس فيها العبوس الذى
قد يكون مع الخير .

فقد كان خلقه صلوات الله وسلامه عليه
يفعل فى النفوس ما يفعل الماء الفرات
فى الدوحة الصادية حين يسرى فيها فلا تلبث
أن تحيا وتورق وكأنما تغيرت طبيعتها به
ونسيت كل ما كانت فيه حين مد إليها حياة
لا تقاس بمقاييس الحسن والازدهار بل
بمقياس الخير الذى تتغذى به ثم تنفع به فى كل
يوم من دنياها .

كانت هنا مجالس للهداية والتربية والتوجيه
والقضاء والقيادة والاجتماع والشورى يهذى
فيها ويربى ويوجه ويقضى ويقود ويرشد
ويشير من لا ينطق عن الهوى ، ومن لا يبغي
لنفسه من كل ذلك مجدا ولا جاها . كان صلوات
الله وسلامه عليه يهذى فتنبعث إشعاعات
هديه فلما من صبح يقينه ينتشر فى النفوس
فيبدد دياجى حيرتها فلا تلبث أن تشرق
بما انعكس عليها من إشعاعه ثم تتحول

وهنا كانت لأرواح العابدين والعابدات انطلاقات تنفذ بها من عالم البشر إلى عوالم تلمس فيها قدرة الله وجلاله ليزيد ولاؤها لله تبارك جلالة ، إلى عوالم السموات وطبقاتها ومازيناها به ، إلى ما وراءها من عوالم الملائكة والعرش ثم تعود سريعا من مطافها إلى حيث خلفت أشباحها الساجدة فتضيء جواربها بالإيمان بالقادر الذي أمسك السموات والأرض أن تزولا ، فكم يحمد هنا جباهه وكم خشعت هنا هاماته وكم بكى هنا قلوب من خشية الله أرقها طلب الغفران فسهرت مع التوبة والدموع تسكع عن جرأتها وتغسل خطاياها بدموعها .

في هذه الروضة تعارفت الأرواح وتلفتت النفوس وجمعها سبيل الله جتمع الحق طلابه المؤمنين به ، ينفث فيهم القوة الغالبة فيندفعون لابلون على شيء حتى يظفروا ، بأكاليل الغار .

وليس ثمت من مسلم يعيش مع تاريخ الروضة البعيد حتى يسمع صوت الماضي يهيب بالمسلمين : لا عزة لكم إلا بوحدة خالصة من شوائب الأنانية والسيطرة والسلطان ، وحتى يحس يد المجد تهزه لتوقظه وتنبه فيه روح الكلمات التي تعيش في لغتنا ألفاظا بلا روح كالأخوة الإسلامية والتعاون والإيثار والتضحية وغيرها ... وكأن روح هذه الكلمات تعيش معها حين الذكرى فحسب ، ثم تتخلف عنها حين توغل في شباب الآهواء والاحقاب خطاها

أرسي وأرسخ من أن تغيرها دسائس الأعداء أو تغير عليها هوج الفتن ، وطال بناؤه فعز على كيد اليهود وغدر اليهود من تربصوا وأوغسوا في المكربه ، وعملت الأخوة الإسلامية والتعاون والتسامح والإيثار والرحمة وتوثيق عرى الأسرة والبذل في سبيل الله وفي سبيل تدعيم الوحدة الإسلامية ، عمل كل ذلك على تقوية بناء ذلك المجتمع فكان أعظم مجتمع عرفه تاريخ البشرية ، ولم تزل المجتمعات المتعاقبة ترى في المجتمع الإسلامي الأول قوى من الروابط كانت سببا فيما أفاء الله على المسلمين من الفتح والنصر ، وهنا كان مجلس الشورى حيث كانت تناقش الآراء ويدبرها صلوات الله وسلامه عليه في أناة لا تثير ثورة الغضب وحكمة لا توهمها حدة الجدل فلم يكن جبارا ولا فظا غليظ القلب ولا مستعبدا برأى ، وكم نزل على أصحابه حين نزل يؤيدهم أمر السماء .

كان يشاورهم في شئون السلم والحرب فإذا رأى أقنع وإذا اقتنع برأى كان له من يقينه ما يدرأ ويب المعارض وينشر اليقين في نفس المرتاب فجنب قافلة البعث الإسلامي اختلاف الآراء وتعصب أصحابها لها ، وقادها بهدى من الله إلى الخير الباني لسمو الإنسانية المشيد لمساكناتها ولعانيها ، ومن ثم كان رسول الإنسانية الداعي إلى إسعادها .

فهل من دعوة إلى الله أن يجنبه الانحلال والوهن حتى لا ينزلق في الهاوى التي يحفرها له الأعداء ؟ .

سيدى يار رسول الله :

لقد تذابت البشرية لكل القيم الأخلاقية التي نادت بها رسالتك ، وعبأت الأفكار والأفلام والأعمال والأموال بل السلاح للقضاء على تلك المقدسات ، وكأنهم ورثوا عداوات الآباء . للرسالة وصاحبها فهم أبدا لا يفسون التاريخ وهم أبدا ينقمون وينتقمون لتاريخهم . فاضرع إلى ربك يار رسول الله أن يجمع الأمة على خير ما جمعها عليه وألا يفتنها عن دينها ولا عن كتابها وألا يجعل للأهواء عليها سايلا !

سيدى يار رسول الله . . .

برحابك الطاهر يقف المسلمون ، وحول مقامك العظيم يطوف الخاشعون وفي روضتك الطاهرة يستروح المؤمنون عبيد الجنة وينشئون أريجها ، وكأنى بأرواحهم الباكية المفزعة ترجو أن تثوى هنا في جنة روضتك ، بعيدة عن فتن الدنيا العاصفة والمادية الجارفة حتى تحف إلى ربها في ركابك يوم تقع الواقعة وتقرع القارعة يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . . ؟

محمد محمد خليفة

المدرس في الأزهر

وليس ثمت من مسلم يذكر هنا الأجداد التي ماتت حتى يغلبه الدمع فيبكها ويبكى أحبابها ، وكأنى به وهو غارق في عبراته محترق بنفثاته ، يرجو عودة التاريخ ويدور بعينه في وجودنا لعله يرى في الآفاق شعوبا زاحفة إلى الملتقى تحت ظلال وحدة إسلامية شاملة . إن صوراً من ذكريات التاريخ تعرض هنا للكثير من الملبين بالتاريخ فتطوف بها أحياتهم الباكية كشكلى سلبتها أجواف الثرى أنبأها فهمى تنقل بين قبورهم تتمثلهم وتسكب فوق كل قبر عبرات ، فلذكريات العزة الشاحخة صور ، ولذكريات البذل والتضحية صور ، ولذكريات النضال الصادق صور ، ولذكريات القوى البانية والأيدى الطاهرة العاملة صور ، ولذكريات الأخلاق والمثل العليا صور ، فحق لكل مسلم وهو يرى المجتمع الإسلامى فقد كل ذلك وعبثت به الفتن وذهبت به مذاهب شتى أن يذكر ثم يبكى ، ولعل حرارة الذكرى تثير نفسه فيصيح في هذه المجتمعات المنحلة : إن فى تراثنا أجداداً يجب أن نعود إليها أو نعيد لها وجودنا .

سيدى يار رسول الله :

إن المجتمع الإسلامى الذى تركته قوة تحطم دونها المسكيات قد تعاورته الفتن الجائحة فى العصور والأحقاب فلا ينجو من فتنة حتى تلفة أخرى ، وشر الفتن ما يحيق به من بنيه الذين تنكروا له بل أفكروه

القدوة الحية لأخلاق الحركة

للأستاذ فتحى عثمان

تعبر عنه بلغة العقل ، والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة ، ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسنا بالمعبر عنه .

كذلك فرق برجسون بين المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح ، وإن الغريزة الاجتماعية التى وجدناها فى أعماق الواجب الاجتماعى إنما تستهدف أبدا مجتمعا مغلقا ، مهما يكن هذا المجتمع واسعا ... لأن الأمة مهما اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدود واللامحدود ، ما بين المغلق والمفتوح .

والفرق بين هذين الشئيين فرق فى النوع لا فى الدرجة فحسب ! . وفى المجتمع المغلق تسود أخلاق الضغط بينما تسود فى المجتمع المتحرك أخلاق النطاع ، فالنوع الأول أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا يبغي إلا البقاء ، فحركته الدائرية التى يسوق فيها الأفراد تجرى فى مكانها لا تحيد عنه ، فتحاكى ثبات الغريزة بوساطة العادة ، ولعل الشعور الذى يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرفة حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع ، وهو كالشعور الذى يصاحب سير الكائن الحى سيرا طبيعيا سليما ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح ! أما أخلاق التطلع

أوضح برجسون سمات الانفعال الأصيل الذى يفسرق عن العقل الصرف ، والذهن فى الحالة الأولى يعمل فى برود ، فيؤلف بين أفكار قد اندرجت منذ القديم فى ألفاظ وأسلفها إليه المجتمع جامدة متصلبة . أما فى الحالة الثانية فكأن المواد التى يقدمها العقل تنصهر فى بوتقة الانفعال ، ثم تخرج منها وقد صبغت أفكارا جديدة يعلنها الفكر ... وعلى أساس هذه النظرة أقام برجسون تفرقه بين أخلاق السكون وأخلاق الحركة

وإن بين القبول العقلى والانقلاب الإرادى لشقة بعيدة ... ، وهو يتكلم عن الأخلاق التى يأتى بها الدين فيقول : « قبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزياء - هنالك الانفعال : يتجلى من جانب الإرادة فى وثبة ، ويتجلى من جانب العقل فى تصور مفسر ! انظر إلى هذه العاطفة التى بشرت بها المسيحية وأسمتها بالحب : إنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت فى إثرها عقيدة معينة ، فلا هذه الفلسفة هى التى فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هى التى جعلتنا نفضل هذه الفلسفة ! وإنما كلنا الفلسفة والأخلاق تعبران عن شئ واحد : الأولى

على عكس ذلك : فبعد أن تكون مبعثرة في قواعد عامة يقابلها العقل من غير أن تصل إلى أن تهز الإرادة ، إذا بها تصبح جارية قوية بنسبة ما تنصهر مواضعها المتعددة

العامة في وحدة إنسان فرد ١ فالأخلاق الأولى هي التي تفكر فيها عادة حين نشعر أننا ملزمون إلزاماً طبيعياً ، وفوق هذه الواجبات الواضحة تمام الوضوح نحب أن نتصور واجبات أخرى غامضة تتنضد فوق الأولى - كالإخلاص وبذل النفس وروح التضحية والمحبة ... على أنه يكفي أن تكون هذه الكلمات موجودة ، فسوف تستعيد معناها ونمليء بفكرتها الفعالة حين تتاح الفرصة ، وقد لا تتاح لكثيرين وقد يرجأ العمل إلى حين ، فبعض الناس لانهتزاز إرادتهم إلا خفيفاً ، وتكون الهزة من الخفة بحيث يمكن أن يقال عنها هي الواجب الاجتماعي نفسه وإنما تحدد واتسع وضعف ، أما إذا امتلأت الصيغة بالمادة ثم اضطربت المادة بالحياة فإن حياة جديدة تؤذن نفسها ، فنفهم ونحس أن ثمة أخلاقاً أخرى تنبثق !

وقد يحق لنا أن نتحدث هنا عن حب الإنسانية... والذين يشتغلون في تربية الشبيبة يعرفون حق المعرفة أن الظفر على الأناية لا يكون بالنصح بالغيرية ، حتى لقد يتفق أن ترى نفساً كريمة تتحرق للتفاني في مهمة صادقة

فتتضمن شعوراً بالنقد ، والانفعال الذي يبعث عليها هو الحاسة للبضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان هنا أحدهما بالآخر ، (١) .

كيف يتاح التوصل إلى الانفعال الأصيل الخلاق ، الذي يبعث أخلاق الحركة ويخلق المجتمع المفتوح ؟؟

هنا يتحدث برجسون عن (الوسط الحى) الذى لابد أن يندقل خلاله إشعاع هذا النوع الإنسانى من الأخلاق ، خلافاً للنوع الآخر الاجتماعى الذى تسكنى فيه النظريات .

فبينما نرى الأخلاق (الاجتماعية) تزداد صفاء ونقاء على قدر ما نستطيع ردها إلى قوانين لا شخصية ، نجد أن الأخلاق (الإنسانية) لا تكون هى هى ذاتها ما لم تتجسد فى شخصية ممتازة تتخذ قدوة تحتذى .

فعمومية الأولى تأتى من قبول الناس عامة قانوناً من القوانين ، بينما عمومية الثانية تأتى من محاكاة الناس لمثال يحتذونه ... والحق أن هذه الشخصية ترسم فينا منسنداً نصطفى المثال ، فالرغبة فى المماثلة - وهى التى تولد نظرياً الشكل الذى يذبحى اتخاذه - تصبح هى المماثلة نفسها ... إن الأخلاق الأولى كلها كانت ترد بوضوح إلى واجبات غير شخصية كانت أقوى وأشد ، وأما هذه فهى

حتى تلحقها سائر المواعظ ، فإذا بها تلتقي
جميعاً في هذا الانفعال الحار الذي خلفها
من قبل وراه ...

أما المحرك الذي يثير نار الانفعال خلال
الرماد حتى يستعيد الحياة والتوهج فهو الأنبياء
والمصلحون ... هم القدوة الحية ، وهم الذين
يشيعون الحيوية في المحيط الذي يعيشون فيه ،
وهم التجربة الشخصية الواقعة للانفعال الخلاق
وأخلاق الحركة ، وعن طريقهم تنبعث
الحياة في المجتمع فيتحرك وينفتح وينطلق :

« إن الضغط كلما كان غير شخصي ، وكان
أدنى إلى القوى الطبيعية التي تسمى عادة
أو غريزة كان أتم . وأما النطلع فيزداد
سلطاناً كلما كان الذي يوحى به إلينا أشخاصاً ،
وكما كان أكثر ظفراً على الطبيعة ... يجب
أن نمر بالبطولة حتى نصل إلى الحب ،
والبطولة لا يوهظ بها وعظا ، وليس
عليها إلا أن تظهر على المسرح حتى تهز الناس
وتبعث فيهم الحركة ، ذلك أنها هي نفسها
عودة إلى الحركة ، ولأنها تنبع من انفعال
يتم إلى الفعل المبدع بقربي ، وهذه الحقيقة
هي ما يلح إلينا الذين بقوله : إننا نحب الناس
في الله !! .. إن الإرادة عبقريتها كما للفكر ،
والعبقرية تتحدى كل تنبؤ ، فمن طريق هذه
في الإرادات العبقرية استطاعت وثبة الحياة
التي تجري المادة أن تحصل من المادة على
وعود تتعلق بمستقبل النوع ، ما كانت تخطر
على بال حين كان النوع يتكون .

فإذا عرفت أنها تعمل في سبيل (النوع
الإنساني) أصابها فتور وبرود ، لأن
الموضوع واسع والثمره مشتتة !

ومن ميزات أخلاق الحركة أصالتها الباقية
وحيويتها الكامنة ، وترباطها وتفاعلهما
معاً ، وقد يخلف الانفعال شغالة — هي
الأوامر التي استقرت فيما يمكن أن نسميه
بالوجدان الاجتماعي إبان تكون المفهوم
الجديد للحياة — أو قل الموقف الجديد
منها الكامن في هذا الانفعال .

فنحن إذن أمام رماد انفعال قد انطفأ ،
فلن نستطيع الأوامر التي تبقت أن تهز
إرادتنا ما لم تأخذ — بالعدوى — من
الأوامر الأخرى التي تعبر عن المطالب
الأساسية للحياة الاجتماعية شيئاً مما تنصف به
من إلزام . وهكذا تغدو الأخلاق الأولى
والثانية كأنهما أخلاق واحدة ، أخذت
الثانية من الأولى صرامة وأكسبتها في
مقابل ذلك معنى إنسانياً ، لا اجتماعياً
ضيقاً ، حتى إذا هزنا الرماد قليلاً ، وجدنا
أن ثمة أجزاء ما تزال حارة ، ثم ما تلبث
الشرادة أن تنبجس ، فيمكن للنار أن تشتعل
ثانية ولكن بالتدرج !! أعني أن قواعد هذه
الأخلاق الثانية لا تفعل فيما منعزلة بعضها

عن بعض ، شأن مواعظ الأخلاق الأولى ،
فما تمكاد إحدى هذه المواعظ تتخلص من
التجريد وتمتلئ بالمعنى وتكتسب قوة الفعل

حكما وإن كانوا جديرين حقا بالاعجاب ،
وبين مثل أعلى يقذف إلى العالم رسالة مترعة
حبا تبشر بالحب ، ١١١ .

ترى ما هو السر الدفين وراء هذا التأثير
الرائع العميق : الحق أن الأمر هنا ليس أمر
حكمة محدودة يمكن أن تصاغ جميعها في قواعد ،
بل هنا اتجاه ومنهج ... إن ذكرى النفوس
الصوفية وما فعلته ثابوية في ذاكرة الإنسانية
لا تبارحها ، وفي وسع كل منا أن يحيطها في
نفسه ، ولا سيما إذا قارب بينها وبين صورة
شخص ساهم في هذه الصوفية وأشاعها من حوله ،
وبقيت صورته حية في النفس ... وكما أنه
وجد عباقرة وسعوا حدود العقل ، فأنتج
لأفراد من حين إلى حين أكثر مما كان من
الممكن أن يوهب للنوع دفعة واحدة ، كذلك
قد انبثقت نفوس ممتازة شعرت أنها تمت
بقربى إلى سائر النفوس ، فلم تقف عند حدود
الجماعة ، ولا اكتفت بالتضامن الذي أقامته
الطبيعة ، بل ارتفعت - في وثبة من حب -
إلى الإنسانية كافة .

تلك كلمات من كتاب برجسون عن
الأخلاق والدين ...

كلمات مفيدة هادية ، تكشف عن حقيقة
(الطاقة الروحية) في الإنسان ، وتبرز دور
(الإيمان) في تربية النفوس والمجتمعات ...
ودعاة الدين في حاجة دائما إلى مطالعة مثل
هذه التأملات الفكرية الرائعة ، والتماس الحكمة
من شتى مصادرها ، ليجادلوا في الله على علم ،
وهدى ، وكتاب منير ؟ فتمنى هـ

وهكذا فإننا بالانتقال من التعاون
الاجتماعى إلى الأخوة الإنسانية ، نتطع
صلتنا بنوع من الطبيعة لا بكل الطبيعة ،
فلمستطيع إذن أن نقبس عبارة سبينوزا بعد
أن نحور معناها فنقول : إننا تنفصل عن
الطبيعة المطبوعة لسرند ثمانية إلى الطبيعة
الطابعة . . . ، ويتابع برجسون بيسانه
المشرق ، فيبرز دور التأثير الشخصى ويهمل
أهميته وخطره ، إن كل ما يستطيعه العقل هو
أن يورد حججا ، وهذه الحجج من المباح
دوما أن نرد عليها بأخرى ١١ فيجب ألا
نسكتنى بالقول إن العقل الموجود في كل منا
يفرض علينا احترامه وينال خضوعنا لقيمه
السامية ، بل يجب أن نضيف إلى ذلك أن
هنالك وراء العقل الرجال الذين أسبقوا على
الإنسانية حلة الألوهية ، فطبعوا العقل -
وهو الصفة الأساسية في الإنسان - بطابع
إلهى ، وهؤلاء هم الذين يجذبوننا إلى المجتمع
المثالى ، في نفس الوقت الذى نخضع فيه
لضغوط المجتمع الواقعى .

ويسوق برجسون مثالا على تأثير القدوة
الحية من المسيحية التى يحبها ويفتن بشخصية
صاحبها : لقد انقضى ثمانية عشر قرنا قبل
أن تعلن حقوق الإنسان فى أمريكا أولا على
يد المتطهرين ، ثم فى فرنسا على يد رجال
الثورة ، ولكن هذا لا يبطل أنها بتعاليم
الإنجيل بدأت ثم استمرت بعد ذلك لا يحدها
شئ . وشتان بين مثل أعلى يقدمه للناس

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

أخذت خمسة كتب فحسبُ

عاب بعض أدباء العصر هذه العبارة ، وأنكر دخول الفاء هـ (حسب) . والوجه عنده أن يقال : أخذت خمسة كتب حسبُ وكأن هذا جاء من الوقوف عند قول اللسان في (حسب) ففيه : د ولك أن تتكلم بحسب مفردة ؛ تقول : رأيت زيدا حسبُ يا فتى ؛ كما تقول ؛ جاءني زيد ليس غير ، تريد : ليس غيره عندي ، ورب شيء سكتت عنه المعاجم وهو جائز من وجه آخر يسوغه .

ومن المقرر أن حسب مثل قد وقط ، وهما يدخل عليهما الفاء ، ويذكر النحويون أن الفاء زيدت عليهما لتزيين اللفظ ، وجاء في اللسان في ترجمة (قدد) : د وتكون (قد) مثل (قط) بمنزلة (حسب) : يقولون : مالك عندي إلا هذا فقد ، أي فقط حكاه يعقوب ، وزعم أنه بدل ، فتقول : قدِي وقدني ،

وأنشد : إلى حمامتنا ونصفه فقدي ، ويريد صاحب اللسان بيعقوب ابن السكيت ، وعبارته في كتاب القلب والإبدال المطبوع في مجموعة السكندر اللغوي ص ٤٧ : د ويقال : ماله عندي إلا هذا فقد ، وإلا هذا فقط . والشطر الذي ورد في اللسان للناطقة بقوله في شعر في زرقاء اليمامة ، والبيت بتمامه .

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا ونصفه فقدي
وقصتها معروفة ، ويشير صاحب اللسان بقوله : د وزعم أنه بدل ، إلى أن هذا غير مرضي ، وذلك أن كلا من قد وقط من مادة مستقلة كاملة ، فالأول من قد والثاني من قط وهما يتلاقيان في معنى القطع . والعبرة فيما سقته أن الالفاظ الثلاثة : حسب ، وقد وقط من قبيل واحد ، وقد جاز في قد وقط دخول الفاء عليهما فهذا يقضى بجواز ذلك

لهذا أن تختص بالفعل كقصد ؛ غير أنه كثير تضمنها للاستفهام ، فسوخ ذلك دخولها على الجملة الاستفهامية كهمزة الاستفهام . غير أنها إذا رأت الفعل في حيزها عاردها رئيس من هوى الفعل فأبت إلا إياه . ويقول الرضى فى شرح الكافية ٢/٣٨٨ : « فلما كان أصلها قد ، وهى من لوازم الأفعال ، ثم تطفلت على الهمزة ، فإن رأت فعلا فى حيزها تذكرت جهوداً بالحصى ، وحنّت إلى الإلّف المألوف وعانقته . وإن لم تره فى حيزها تسلت عنه ذاهلة . » وما يمتنع للمانع السابق أن تقول : هل زيدا أكرمت وهل زيدا أكرمه ، يقول الرضى فى الموضوع السابق : « ومع وجود الفعل لا تقنع به أيضا مفسرا للفعل المقدّر بعدها . فلا يجوز اختيارا : هل زيدا ضربته ، بل لابد من إيلائها إياه لفظا . »

ويذكر النحويون أن هذا الحظر يزول فى الشعر ، فتدخل هل على اسم خبره جملة فعلية ، ويذكرون من هذا قول علمتمة الفعل فى قصيدة مفضلية :

أم هل كبير بكى لم يقض خبرته
إثر الأحبة يوم البين مشكوم
وقد ود صاحب الخزانة (ص ٥١٦ ج ٤)
الاستشهاد بالبيت على ما أرادوا بأن (هل)
دخلت على جملة طرفاها إسمان هما كبير
ومشكوم ، فأما جملة بكى فهى صفة للببتدأ ،

فى حسب ، إذا لا خصوصية لحسب تمنعها هذا الحق وهذه الزينة .

وجاء فى شرح المفصل لابن يعيش ٢/١٣١ « وربما استعملوا قط وحسب مفردين من غير إضافة فقالوا : رأيت مرة واحدة فقط ، وأعطاني ديناراً فحسب ، أى اكتف بذلك وأقطع . » وانظر قوله : استعملوا . . فقالوا فهو يسند ذلك إلى العرب .

ويقول الأشبوني فى شرح الألفية فى مبحث الإضافة : « قبضت عشرة فحسب أى فحسب ذلك . »

وقد فشت هذه العبارة فى كلام العلماء . فالرضى شارح الكافية — وهو نحووى دقيق متحفظ فى عبارته — يقول فى باب العدد ص ١٤٥ ج ٢ : « ولو قال : العدد ما وضع لكمية الشيء فحسب لم يدخل نحو رجل ورجلان ، . »

هل محمد محضر :

المشهور فى النحو إنكار هذا الأسلوب . وذلك أن (هل) إنما تدخل على جملة فعلية أو جملة طرفاها اسمان ، نحو هل يحضر محمد ، وهل محمد حاضر فأما أن تدخل على اسم بعده فعل فذلك يحظره النحاة ويميلون هذا الحكم تعليلا شعريا طريفا . فيقولون : إن (هل) فى أصل وضعها بمعنى قد ، وكان من حقها

أُجِبَ تَحْرِيرِيًّا ، مُحَمَّدِيًّا مَا أَسَامَةُ جَبِداً
وَلَمْ يَخْطئه

يدور الأسلوب الأول في أسئلة الامتحان .
ويراد بالتحجير المنسوب إليه الكتابة . وقد
عاب بعض النقاد استعمال التحجير في الكتابة ؛
إذ التحجير جعل الشيء حراً ، كما يححر المالك
مملوكه أى يعتقه ويخرجه من عقال الرق .
ولكن المجاز يتسع لهذا المعنى ويسوغه .
فالأصل في تحرير الكتابة تقويم الحروف
وتنظيمها من عيوب الخط والرسم ثم استعمال
التحرير في مطلق الكتابة ، فهنا مجاز على
مجاز . وقد صرح الزحشرى بالمجاز الأول
فقال في الأساس : د وحرر الكتاب :
حسنه بإقامة حروفه وإصلاح سقطه .

ويعني هنا البحث في هذا الأسلوب من
جهة أخرى . ذلك أن (تحريراً) صفة
مصدر محذوف للفعل السابق ومصدر أجاب
إجابة ، وهى مؤنثة اللفظ ، فكان الوجه أن
يقال : أجب تحريرية أى إجابة تحريرية .

والامر هنا سهل . فالجواب اسم مصدر بمعنى
الاجابة ، فليكن هو المقدر المحذوف ، والتقدير :
أجب جواباً تحريراً ، ويكون هذا من قبيل
قوله تعالى : « والله أنذكم من الأرض نباتاً .
وثمة تخريج آخر ، وهو أن يكون المقدر
إجاباً دون تاء ، وهذا قد يأتي وإن كان

وتقدير الكلام : أم هل كبير باك مشكوم
أى مثاب مكافأ ، ولا شيء في هذا . وقد
رأيت في شعر المحدثين ما يصلح شاهداً على
هذا ، فقد جاء في نفح الطيب ٤ / ٣٨٩
(طبعة التجارية) لأبى حامد ابن شعيب
الأندلسي شعر يقول حين كبابه فرسه فحصل
في أسر العدو :

وكننت أَعْدَى طرْفِي لِلرَّزَايَا
يَخْلُصْنِي إِذَا جَعَلْتَ تَحُومَ
فَأَصْبَحَ لِلْعَدَا عَوْنِي لِأَنِّي
أَطَلْتُ عَنَاءَهُ فَأَنَا الظَّالِمُ
وَكَمْ دَامَتْ مَسْرَاقِي عَلَيْهِ

وهل شيء على الدنيا يدوم
هل أنى وجدت قولاً يجيز هل زيد يحضر
في الاختيار ولا يقصره على ضرورة الشعر .
فقد قال في اللمع ٢ / ٧٧ في هل : د وتختص
بعدم دخولها على اسم بعده فعل إختياراً .
وجوزة السكسائي فأجاز هل زيد قام جوازاً
حسناً ؛ لأنهم أجازوا هل زيد قائم وابتدءوا
بعدها الأسماء فكذلك مع وجود الفعل .
وترى أن السكسائي توسع في هذا القياس
على عادته وعادة السكوفيين ، والقياس هنا
غير دقيق كما علمت من الفرق بين هل زيد
حاضر وهل زيد حاضر ، ولكنّه على كل
حال رأى نحوى يصح أن يحتج به ويؤخذ
بقوله للخروج من الخلط في أسلوب اشهر
عند الناس وأصبح من العسير اجتنابه .

أن يقال : كذلك أى إراءة كذلك الإراءة ، وقد خرج البيضاوى من هذا الإشكال بجعل المصدر الإراءة لا الإراءة فقال : د (كذلك) مثل الإراءة الفطيع ، وقال الشهاب الخفاجى فى كتابته عليه ٢ / ٢٦٥ : د (قوله : مثل ذلك الإراءة) الإراءة هنا مصدر أراءة إراءة ؛ كما سمع إقاما وإقامة ، والمعروف فى مثله التاء لأنها عوض عن العين المحذوفة ، لكن حكى هذا سيويه . قيل : واختاره مع أنه خلاف المشهور ليوافق تذكير (ذلك) ، وإن كان تأنيث المصدر غير معتبر ، أو لأن الإراءة فى معنى الرياء ، وهو غير صحيح هنا ، ويشير بحكاية سيويه إلى قوله فى الكتاب ٢ / ٢٤٥ : د وقالوا : أريته إراءة مثل أفته إقاما لأن من كلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا . وفى الآية . من سورة الأحزاب : د ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ، فهنا اسم الإشارة ، والضمير المستتر المرفوع فى (زادهم) والمتبادر عودهما على الرؤية ، وهما مذكران والرؤية مؤنثة . وقد خرج الشهاب الخفاجى من هذا بجعل الإشارة إلى الخطب والبلاء لا إلى الرؤية وخرج البيضاوى بجعل الضمير المستتر فى الفعل عائدا إلى ما رأوه أو إلى الخطب والبلاء . وانظر الشهاب على البيضاوى ٧ / ١٦٧ .

محمد على النجار

خلاف المشهور ، فالمشهور الإجابة ، نعم قد يأتى فى المشهور دون تاء مع الإضافة ، كما فى قوله تعالى : د رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ، على أنه يصح أن يسكون المقدر إجابة ، وأن يذهب فى وصفها مذهب المذكر لأنه مصدر مؤنث مجازى يؤول بالرد ونحوه ، كما سيأتى فى كلام الشهاب الخفاجى .

وفى الأسلوب الثانى (محمد يرى ما أمامه جيدا) تأتى المشكلة بعينها ، ذلك أن (جيدا) صفة مصدر (يرى) وهو (الرؤية) وهى مؤنثة اللفظ ، فكان الواجب أن يقال : يرى ما أمامه جيدة أى رؤية جيدة .

والمخرج من هذه المشكلة أن يعتبر فى (الرؤية) التذكير بتأويله بالنظر أو الإبصار ، ومثل هذا كثير فى الكلام العربى ، وإن كان لا يتوسع فيه غير العرب ، ويسهل الأمر هنا أن الموصوف محذوف ، فلا يظهر القبح اللفظى من وصف المؤنث بالمذكر ، ويصح أن يقدر المصدر المحذوف (رأى) وإن اشتهر هذا المصدر فى الاعتقاد واشتهرت الرؤية فى الإبصار .

وقد وقع قريب مما نحن فيه فى الكتاب العزيز ، فقد جاء فى الآية ١٦٧ من سورة البقرة كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، فقوله (كذلك) صفة مصدر محذوف من أرى وهو الإراءة ، وإذا كان الواجب

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٤ -

كما استدلووا على ذلك بقول الله تعالى في سورة البقرة : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، يقول ابن جرير الطبري : « يعنى تعالى ذكره بذلك : أن الله تعالى حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا كائنا من كان المشرك ، من أى أصناف الشرك كان ، ولا تنكحوهن أيها المؤمنون منكم ، فإن ذلك حرام عليكم ، ولأن تزوجوهن من عبد مؤمن مصدق بالله ورسوله ، وبما جاء من عند الله ، خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك ، ولو شرف نسبه وكرم أصله ، وإن أعجبكم حسبه ونسبه ، (١) » .

وقال الزهري في الآية : لا يحل للمسلمة أن تتزوج يهوديا أو نصرانيا أو مشركا . ولقد جاء في السنة قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا نساء أهل الكتاب ولا تزوجوهن نساءكم ، رواه جابر ابن عبد الله ، وإذا حرم تزويج المسلمة فتحريم زواجهما من المشرك أو من لا يدين بدين أولى وألزم .

وقد وردت في السنة آثار صحيحة بالتفريق

أباح الإسلام للمسلم - كما عرفنا من قبل - أن يتزوج الكتابية ، وعرفنا أن الإسلام جعل لهذا الزواج شروطا يحفظ بها حق الزوجة ، وإذا كان يباح للمسلم أن يتزوج الكتابية ، فإنه لا يجوز لغير المسلم أن يتزوج المسلمة ، سواء كان كتابيا أم كان غير كتابي ، فما دام لا يدين بالإسلام ولا يؤمن به فإنه لا يجوز له أن يتزوج بمسلمة .

وقد استدلل الفقهاء على ذلك بقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار ، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا هاجرت إليه امرأة أسلمت من دار الشرك امتحنها ، فكان يجعلها تقسم بالله إنها ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حب الله ورسوله . فإذا حلفت على ذلك حرم ردها إلى المشركين ، لأن الله تعالى يقول : فلا ترجعهن ، لأن المؤمنات لسن حلالا للكفار ، ولا الكفار يحلون للمؤمنات .

(١) تفسير الطبري ، ج ٢ ص ٣٧٩ .

المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك وأعجبكم ، وأشار إلى أن المشركين بينهم وبين المسلمين غاية الخلاف والتباين في الاعتقاد ، فلا يجوز للمسلمين أن يتصلوا بهم برابطة المصاهرة ، لا بتزويجهم ولا بالتزوج منهم ، وأن الكتابيات حلّ للمسلمين في الزواج لقول الله تعالى في سورة المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان » .

وإذا كانت آية البقرة : « ولا تنكحوا المشركين ... » قد سكنت عن حكم تزويج المسلمة بالكتاني ، فإن أصل ذلك المنع ، وهو مؤيد بالسنة والإجماع ، فلا يقال بعد هذا التأييد أن الأصل الإباحة ، ولذلك جاء في تفسير المنار هذه العبارة :

« ولكن قد يقال إن الأصل الإباحة في الجميع ، فجاء النص بتحريم المشركين والمشركات تغليظاً لأمر الشرك ، وبجمل الكتابيات تألفاً لأهل الكتاب ، ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا ، وهذا إنما يظهر بالتزوج منهم ، لأن الرجل هو صاحب الولاية والسلطة على المرأة ، فإذا هو أحسن معاملتها كان ذلك دليلاً على أن ما هو عليه من الدين القويم ، يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،

بين النصراني وزوجته إذا أسلمت ، يقول عبد الله بن عباس : « إذا أسلمت النصرانية قبل زوجها فهي أملك لنفسها ، ومثل هذا القول لا يأتي من قبل الرأي يراه ابن عباس وأمثاله ، فلا بد أنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد أجمعت الأمة على حرمة زواج المسلمة بالمشرك ، يقول القرطبي : « وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه ، لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام » (١) وكذلك أجمعت الأمة على أن الكتاني (كاليهودي والنصراني) لا يجوز له أن يتزوج المسلمة .

ولذلك قرر الفقهاء أنه إذا أسلمت الزوجة وبقى الزوج على دين غير دين الإسلام — ولو كان كتابياً — يفرق بينهما ، وذلك بعد أن نعرض للإسلام على الزوج لتبقى معه زوجته ، فإن أسلم بقيت ، وإن أبقى ففسخ ما بينهما من زواج ، وقال الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأحمد إن الفرقة تكون بعد انتهاء العدة ، فإن أسلم الزوج خلال العدة بقيت زوجته معه ، وإلا انقطعت صلتها به .

وقد تحدث « تفسير المنار » عند زواج المسلم بغير المسلمة وحرمة زواج المسلمة بغير المسلم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشرك ولو أعجبكم ولا تنكحوا

للؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التي جرى عليها المشركون^(١) .

ونستطيع أن نقول في حكمة المنع أيضا أن الإسلام له مجتمعه ودولته ، والقوامة في دولة الإسلام للإسلام ، فلا يجوز للمسلم أن يحكمه غير المسلمين أو يسيطر عليه ، وقوامة الدولة قوامة عامة ، والزواج له قوامة على زوجته ، وهي قوامة أسرية خاصة ، وما دام المسلم يحكمها في دولته بالمسلم ، فلا يجوز أن تسكن المسلمة محكومة في أسرتها بغير المسلم ، لأن القوامة الخاصة في الأسرة هي التي تتعدد وتتكرر في الأسر الباقية . فيتسكون من الثأمها وانسجامها جو القوامة العامة ، وهي قوامة الحاكم المسلم على الأمة المسلمة . وهناك الأولاد الذين ينشئون من زواج المسلمة بغير المسلم ماذا يكون شأنهم ومصيرهم لو أيسح هذا الزواج ، إنهم يتبعون خير الأبوين ديناً ، ولكن هذه التبعية لن تمنع تعرض هؤلاء الأولاد للبلابة والزلة ، فمن الطبيعي أن يحاول الوالد غير المسلم جرمه إلى دينه وعقيدته ، فما تبنيه لهم الأم المسلمة قد يهدمه الوالد غير المسلم ، ولا يبعد أن يتغلب الأب بسيطرته وقوامته وقوته على الأم فيفسد على الأولاد دينهم .

ثم إن هناك وجهاً آخر من الحكمة لا يقال معه : لماذا أباح الإسلام زواج المسلم بغير

والعدل بين المسلمين وغير المسلمين ، وسعة الصدر في معاملة المخالفين ، وأما تزويجهم بالمؤمنات فلا تظهر منه مثل هذه الفائدة لأن المرأة أسيرة الرجل ، لا سيما في ملل ليس للنساء فيها من الحقوق ما أعطاهن الإسلام ، وأهل الكتاب وسائر الملل كذلك^(١) .

ويمضى التفسير في بيان الحكمة لحل زواج المسلم بالكتابية ، ثم يتعرض للسبب في تحريم زواج المسلمة بغير المسلم فيقول : « ومثل هذه الحكمة لا تظهر في تزويج الكتابية بالمؤمنة ، فإنه بماله من السلطان عليها ، وبما يغلب عليها من الجهل والضعف في بيان ما تعلم ، لا يسهل عليها أن تقنعه بحقيقة ما هي عليه ، بل يخشى أن يزيغها عن عقيدتها ويفسد منها دون أن تصلح منه ؛ وهذا المعنى يفهم من تعليل النهي عن مناهجة المشركين في قوله عز وجل « أولئك يدعون إلى النار » ، أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أى من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعداً على تأثير الدعوة ، لأن من شأنها أن يتساح معها في شئون كثيرة ، وكل تساهل وتساح مع المشرك أو المشركة محذور الشر بما يخشى منه أن يسرى شيء من عقائد الشرك

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(١) تفسير النار ، ج ٢ ص ٣٥١ .

في العراق ، و بقيت منهم بقية إلى الإسلام ، وقالوا عن أنفسهم إنهم من النصارى ، ولكنهم قدسوا الكواكب ، ولهم تعاليم وطقوس يخفونها .

اعتبرهم الإمام أبو حنيفة من أهل الكتاب النصارى ، وأعتبرهم أصحابه محمد وأبو يوسف من المشركين الذين لا تحل نساؤهم للمسلمين .

والفصل في هذا الأمر يتوقف على اطلاعنا على حقيقة اعتقادهم وعباداتهم ، ويميل الشيخ أبو زهرة إلى رأى الصاحبين اللذين منعوا المسلم زواج نساؤهم ، ويستند في هذا إلى عبارة للجصاص عن الصائبين يقول فيها : « وأصل اعتقادهم تعظيم الكواكب السبعة

وعبادتها ، واتخاذها آلهة ، فهم من عبدة الأوثان في الأصل ، إلا أنهم منذ ظهر الفرس على إقليم العراق ، وأزالوا ملكة الصائبين لم يجبروا على عبادة الأوثان ظاهرا ، لأنهم منعوه من ذلك ، وكذلك كان أهل الشام والجزيرة صائبين ، فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على الدخول في النصرانية ، فبطلت عبادتهم الأوثان من ذلك الوقت ، ودخلوا في غمار النصارى في الظاهر ، وبقي كثير منهم على النحلة مستخفين بعبادة الأوثان ، فلما ظهر الإسلام دخلوا في جملة النصارى إذ كانوا مستخفين بعبادة الأوثان كاتمين لأصل الاعتقاد ، وهم أكرم الناس

المسلمة ولم يباح زواج غير المسلم بالمسلمة ... هذا الوجه هو أن المسلم يؤمن بدين الكتابية في أصوله ويؤمن بنبيها الذي جاء بهذا الدين بينما الكتابي لا يؤمن بدين المسلمة ولا بنبيها فأيمان المسلم بدين الكتابية - غير محرف - وكفران الكتابي بالإسلام وبني الإسلام منعه أن يتزوج المسلمة .

ولذلك يروى أن أوريا قال منذ حين لأحد المسلمين : لماذا تمنعون أن يتزوج اليهودى أو النصرانى مسلمة ؟ فقال له المسلم : يستطيع هذا اليهودى أو النصرانى أن يؤمن بدين هذه المسألة وبنبيها ، كما تؤمن هى بدينه وبنبيه ، ونحن نزوجها له !!

* * *

هناك بعد هذا مسألة تتصل بالموضوع الأساسى لهذا البحث ، وهو الزواج بين بين المسلمين وغير المسلمين ... وهى مسألة التحديد الطوائف الكتابية والتحديد للراد بالمشركون ... فإذا كان الفقهاء قد اتفقوا على أن عبدة الأصنام مشركون ، ولا يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، واتفقوا كذلك - إلا من شذ برأى - على أن اليهود والنصارى من الكتابيين الذين يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، فقد اختلفوا بعد هذا في طوائف أخرى . أمشركة هى أم كتابية ، ومن هذه الطوائف الصائبة ، وهم جماعة كانوا قديما

بأن الجزية إنما تؤخذ من أهل الكتاب ،
والنبي والخلفاء قد أخذوا الجزية من المجوس
في البحرين و هجر وفارس ، وجاء في المجوس
الحديث المنقطع : « سنوا بهم سنة أهل
الكتاب » . وروى الشوكاني في « نيل
الأوطار » أن الإمام عليا قال في المجوس :
« كان المجوس أهل كتاب يدرسون وعلم
يقرأونه » ، ثم ذكر الإمام علي ما طرأ لهم
من فساد .

ويقول السيد رشيد رضا : « إن إطلاق
كلمة (أصل الكتاب) على طائفتين من الناس
لتحقق أصل كتبهما ولزيادة خصائصهما
لا يقتضى أنه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم
مع العلم بأن الله بعث في كل أمة رسلا مبشرين
ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط » (١) .

وعما تقدم نفهم أن أساس الحكم بالإشراك
على طائفة ، أو بأنها من أهل الكتاب
ينهض على دراسة نشأة هذه الطائفة والوقوف
على عقيدتها وعبادتها ، فإذا نهض الأساس
على الوثنية أو الإشراك كانت الطائفة مشركة
وإن كان لها كتاب سماوى ولو في القديم
كانت كتابية ، وإيضاح ذلك يستعان عليه
بما جاء في كتب الملل والنحل ، وهى كثيرة
متعددة ...

أصغر الشرباصى

لعقائدهم ، وعندهم أخذت الاسماعيلية كتمان
المذهب (١) .

وهناك من أحل زواج المسلم من المجوسية
وهو أبو ثور صاحب المشافى - لأنها تدعى
نبوة زرادشت ، وجاء في تفسير المنار ما يفيد
أن المجوس والصابئين والبوذيين والبراهمة
وأتباع كوفوشوريوس في الصين من أهل الملل
الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب ، ثم قال :
« وذلك أن كلا من الصابئين والمجوس عندهم
كتب يعتقدون أنها إلهية ، ولكن بعد العهد
وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ،
ولا يبعد أن يكون من جاءوا بها من المرسلين
لأن الله تعالى يقول (إنما أرسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)
وقال (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)
وإنما قويت فيهم الوثنية لبعدهم العهد بأنبيائهم
على القاطعة المفهومة من قوله تعالى (ألم يأن
للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل
من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب
من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من
أهل الكتاب عن هداية كتبهم ، ودخول نزغات
الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب
الله على المشركين وعدم صنفا آخر (٢) .
ويستدل على أن المجوس ليسوا من المشركين

(١) الأحوال الشخصية « قسم الزواج » ص ٩٧ .

(٢) تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٨٧ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

في ذكرى مولد الرسول الكريم للاستاذ عباس طه

كانت قذارة عقله في اعتقاده تلك العقائد
البدائية الصبغانية الممعة في الجاهلية : من
الشرك وعبادة الأصنام ، ومن سائر العقائد
الفاسدة التي عشت وباضت ، ثم أفرخت
وشاعت بين العرب وغير العرب في سائر
أمم العالم القديم ، والتي لا تزال آثارها باقية
إلى اليوم بين من لا يدينون بالإسلام
الصحيح .

وكانت قذارة روحه في تخلقه بالأخلاق
المرذولة : من الكذب ، والرياء
والنفاق والجبن والبخل والطمع والاثرة
وسائر الرذائل ، وفي حيوانيته وإسفافه
وانغماسه في الشهوات البهيمية .

وكانت قذارة بدنه في تركه نفسه هملاً
كالعجافات .

جاء الإسلام والعالم على هذه الحالة من
الدنس والرجس ، فأذكى غارته المقدسة ،
وحمل حملته الشعواء على هذه الأوبئة التي
تحتاج العالم ، ودعا الناس أول ما دعا

إذا كنت بمن تخلى عن التعصب ، وتطلع
إلى سيرة النبي الأسمى الكريم ، وإلى مداورة
شماله الكريمة الطاهرة ، ثم حاولت أن
تستخلص من كل ذلك معنى تستريح إليه ،
ومثلاً أعلى تتمثله وتحذيه ، فسوف ترى كما
رأيت معنى قد تظنه بادي الرأي لا شأن له
ولا خطر ، وهو في الحقيقة القطب الذي تدور
عليه رحى الخير كله ، وإن شئت قلت هو
دستور هذا الوجود وناموسه . أتدرى ما هو
هذا المعنى ؟ هو الطهارة . ولك أن تقول :
النظافة ، النظافة بكل معانيها وسائر مجالها .
نظافة العقل ، نظافة الروح ، نظافة البدن ،
إنما المشركون نجس ، إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيراً ، إن الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين ، (النظافة من الإيمان) .

كان العالم قبيل ظهور المصطفى صلوات
الله وتسليحاته عليه ، وخماً قذراً ، غارقاً
في قذارة عقلية ، وروحية ، وبدنية .

الأولى التي لم يشبها شوب من دنس الجاهلية ، فلم يسجد لهم ، ولا شارك قومه في عيد من أعيادهم ، ولا ذاق لحوم قرايبتهم ولا انغمس فيما انغمسوا فيه من ضلالتهم وحقاقتهم . نقول : إن من كان مثله في نشأته هذه ، وفي كياسته وحن سياسته وسداد تدبيره حتى أعطاه العرب زمامهم وقيادتهم ، وهم من هم حمية ونعرة وعنجهنية ، وخشونة مراس ، وشدة شكيمية ، وتوهر خلق ، وجفاء طبع ، مع ما أفاضه الله عليه من العلم والعرفان ، وأوحى إليه من القوانين والشرائع والآداب ، وهو النبي الأمي الذي لم يجلس إلى المعلمين ، ولم يختلف إلى المدارس والجامعات - نقول : إن من كان هذا شأنه لابد أن يكون عقله فوق مستوى العقول .

ومن هنا حفل كتاب الله وأحاديث المصطفى بالتنويه بالعقل والإشادة بذكره ، والحض على اللجوء إليه ، والتعويل في سائر الأمور عليه ، بالكثير من الآيات والأحاديث : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

وكانت أخلاقه صلى الله عليه أطهر الأخلاق وأسمأها وأجملها ، حتى قال الله تعالى فيه : « وإنا لك لى خلق عظيم » أى رسول الله : لقد فضلك ربك على الناس كافة فكنت خيرة الله من خلقه ، واصطفاك

إلى تطهير عقولهم من العقائد الفاسدة والثرهات الباطلة . نهاهم عن الشرك ودعاهم إلى التوحيد ، وبمسبك هو من عقيدة هى أصل الفضائل ومنبج المحامد ، والمعنى الذى يسمو بالإنسان إلى الملاء الأعلى ، ويصل روحه مباشرة بالذات الأقدس « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون لمن يشاء » .

ودعا الناس إلى تطهير أرواحهم ، فسن لهم من مكارم الأخلاق ما سن ، وشرع لهم من الشرائع ما شرع ، بما تراه مشبوتا مستوفى في تعاليم الإسلام وفى هدى المصطفى عليه السلام . وبما كان له أثر أى أثر فى تطهير أرواح المسلمين وتنزيه نفوسهم من كل ما علق بها من أقدار الجاهلية حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس .

فالنظافة الحسية والمعنوية هى روح الإسلام ، وهى الغرض الاسمى الذى يقصد إليه ، والمثل الأعلى الذى يحث على التمسك به . كان صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى للنظافة فى سائر مظاهرها . كان عقله أسمى العقول إذ كان عليه السلام من كمال العقل بحيث يند عن كل ما هو غير جدير بالسكال والمثل الأعلى . وقد أطبق أصحابه وكل من رآه على أنهم لم يروا عقلاً كمقله ، ولا سمعوا بمثله أو بما يقاربه ، وإن من كان مثله فى نشأته

مصدقا لما قلت لعمرك - إذ طلب إليك
أن تترك هذا الأمر اتقاء شر قريش ، كبتك
الحالدة التي ردها الدهر - : د واقه يا هم
لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري
على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه حتى
يظهر الله ما تركته ، . أي رسول الله :
لقد قتت بالمهمة العظمى خير قيام ، وتركت
لنا ديناً جمع بين خيري الدنيا والآخرة ،
فقد نظرنا في حكمة الأولين وفلسفة الآخرين ،
فلم نر فلسفة أجمع ولا أسمى وأروع من
الإسلام د إن الدين عند الله الإسلام ،
ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل
منه ، د ما فرطنا في الكتاب من شيء ، .
عباس طه

لوحيه وإبلاغ رسالته ، فكنت عند العهد
بك وبلغت ما أنزل إليك على أبداع وجه
وأكمل تبليغ .

لقد كنت يا رسول الله بسيرتك وأقوالك
وأفعالك وشمائلك مثلاً أعلى وقبساً يستضاء
به في الظلم الحوالك لم تجد الأقدار بمثله ولن
تجود أبد الدهر ، فكنت في الحق خاتم
النبيين ، وكنت واسطة عقد المرسلين .

لقد جاهدت حق الجهاد في سبيل الله وإعلاء
كلمته ، وحوربت وعوديت ، وشوققت
وضوررت وأوذيت أيما إيذاء ، فلم يكن
ذلك من عزمك ، ولم يفعل من إرادتك ،
بل مضيت قدما لا تلوى على شيء ، فكنت
بذلك حقاً من أولى العزم ، وكان ذلك منك

قال ابن الرومي في حب الوطن :

ولي وطن آليت ألا أبيعته

وآلا أرى غير له الدهر مالكا

وجب أوطان الرجال لإيهم

مآرب قضاها الشباب هنالك

أَلَا رَحِمَ اللَّهُ الشَّعْرَ !

للدكتور عارف قيات

شعر نزار قباني :

قد لا يعجب بعض الناس شعر نزار
القباني ، ويرون فيه معرضاً لتجميل المرأة ،
فأكثر شعره منصرف إلى وصف المرأة ،
ووصف أدوات زينتها ، وستائر غرفتها ،
وقوارير عطرها ، وألوان (فساتينها) ،
وكيفية ارتدائها ملابسها ، وكيفية خلعها
لها ، إلى آخر هذه الأشياء الصغيرة التافهة
التي تداعب أحلام المراهقين ، وتستثير الشهوة
في غرائزهم الملتهية .

ومما لا شك فيه أن إصغاء الشاعر
للأحاسيس الرفيعة ، وتعبيره عن المشاعر
البناءة يخلع على شعره هالة من السمو ، ويمده
بطاقة أكبر من الجلال والفتنة ؛ لأن في المشاعر
الذليلة السامية سحراً يضاف إلى سحر التعبير ،
فيضم الشاعر ، آنذاك الجلال من طرفيه ،
ويغدو الشعر رائعاً وبنياً في وقت واحد ،
وبذلك يتم جماله كما يتم حسن الوجه بحسن
الأخلاق في الإنسان .

ومهما يكن من شيء فإننا لا نستطيع أن
ننكر أن نزار قباني وهو شاعر من شعراء
الأدب المكشوف ، قد استطاع في بعض
شعره ، أن يزرع الجلال في تلك الأشياء الصغيرة ،
بما لديه من قدرة خصبة ، وبما تنطوي عليه
نفسه من صدق وتوهج وموهبة .

لقد كنت أنتظر بشوق ولهفة وصول
(حبيبتي) ، الديوان الجديد للشاعر نزار
قباني . فقد كتبت عنه الصحف كثيراً ،
وأشادت به ، وأثنت عليه للثناء المستطاب ،
ولكنني مع الأسف الشديد ، لم أجده فيه
ما كنت أتوقع ، أو بعض ما سمعت ، أو
بمعنى أصبح لم أجده فيه شعراً يتناسب مع تلك
الدعاية الواسعة التي بثت حوله . ويبدو لي
أن تقييم الآثار الفنية أصبح اليوم في أيدي
الصحف السطحية العابرة ، ولم يعد بين
الأيدي الآمنة الخبيرة التي لا تتأثر إلا بما
في الأثر الفني من جمال ، مهما بلغ صاحبه
من امتداد الشهرة ، وذيوع الصيت .

وأنا لا أنكر على نزار قباني شاعريته ،
فنزار شاعر حتى روس أنامله ، فقد قرأت له
قصائد عابرة ، مشبعة بالصدق نابضة بالدفء
والحياة انتزعها من صميم وجدانه وقلبه ،
وجعل صورها الأبنكار تختلج على الورق
وتتحرك في أبهة وخيلاء وبهاء .

ونزار لم نعرفه في يوم من الأيام ، شاعراً
متسكفاً يقول غير ما يحس ، وإنما هو
شاعر أصيل يفيض ببساطة وعذوبة ونغم .

ولكن ببغاوية الشعر الحديث أدركته في
ديوانه الجديد (حبيبتى) فإذا به ينق أحيانا
كالضفادع على حواف السترع فى الليالى
القمرء . وإلا ما معنى هذا الشعر فى قصيدته
(أكبر من كل الكلمات) :

سيدتى :

فى هذا الدفتر

تجدين ألوف الكلمات

الأبيض منها والأحمر

الأزرق منها والأصفر

لكنك يا قمرى الأخضر

أحلى من كل الكلمات

أكبر من كل الكلمات .

أو فى قصيدته (خطاب من حبيبتى) :

هذا خطاب منك

ما أخطأتى شعورى

عرفته من خطك المنتمى الصغير

من جبرك الأخضر . . من أسلوبك الأمير

من رشة النقاط . . فى أواخر السطور

من اسمك النائم . . عنقوداً من العبير

فى آخر الصفحة

عنقوداً من العبير . .

أو فى قصيدته (حبيبتى) التى اتخذها عنواناً

لديوانه :

حبيبتى إن يسألك عنى يوما

فلا تفكرى كثيراً

قولى لهم بكل كبرياء يحبنى كثيراً ...

وينهى نزار هذه القصيدة العرجاء فيقول
لا فض فوه :

حبيبتى

يا ألف يا حبيبتى

حبي لمينيك أنا كبير

وسوف يبقى

دائماً كبير ...

وإنى أدعو أنصار هذا النمط من الشعر

الحديث ليدلوني على ما خفى من عبقرية

فى هذه الأشعار الخرساء ، فقد تكون

فى الزوايا خبايا لا تدركها كل العيون . وإذا

كننا نغفر لشاعر مبتدى* مثل هذا التعبير

اللفج القاحل ، فإننا لا نغفر لنزار قباني ،

وهو الشاعر الذى طبق صيته أرجاء العالم

العربى مثل هذا الشعر الألبم الكسيح ، وإننا

فى سكوتنا عنه نجنى على الأدب العربى ،

ونجعله يسير فى دروب التفكك والانحلال .

لقد قلنا أكثر من مرة إن هذا النمط من

الشعر الحديث يحسن على أصالة الشاعرية

فى الشاعر ويجعله يركن إلى السهولة واليسر

وينأى به عن التركيز والتكشيف . هذا الشعر

المقتبس عن (إيليت) وأمثاله قد يلائم

طبيعة غير طبيعتنا ، وبينة غير بيئتنا ،

ولكنه لا يزدهر فى تربة متوهجة كتربقنا ،

فالعرب لم يعرفوا فى أدبهم المظلمن ومضغ

اللبن ، وإنما كان كلامهم حكماً ، وإيجازاً

مجنحاً ، وكانت قصائدهم أشجاراً تنوء بالأثمار .

إن نزار القباني الذي عرفناه شاعرا يحمل
الكلمة ثروته الحية فتنتطلق كالسهم إلى أجواز
الفضاء ، نراه في أغلب هذا الديوان يزحف
على الثرى مشقلا بالقيود ، لقد تخلى عن
شاعريته الفياضة الحسنة وجنح إلى النثر
الركيك ، وأخذ ينظم الشئون الصغيرة
بذهنه وفكره ، لا بعاطفته وقلبه :

شئون صغيرة ...

تمر بها أنت دون التفات

تساوى لدى حياتي

جميع حياتي

حوادث قد لا تثير اهتمامك

أعمر منها قصور ...

وأحيا عليها شهور ...

لقد سيطر على نزار حب الغربة ، فراح
ينفض السهل والوعر ، والسماء والبحر ،

لم يترك بهار الهند ولا مزارع البن في البرازيل

ولم ينس بجاير شيراز ولا خزف الصين ولا مانجو

إفريقيا ولذلك جاء أكثر شعره حافلا بالصنعة

والتكلف مما جعل بينه وبين أنقارى جدارا

كشيئا من الجليد لا يخرق :

يقول في قصيدته (أوريانتيا) :

أوريانتيا

تكونت من رغبة البحار

من نكهة المانجو . .

من الأصداغ والمحار

من كل ما في الهند من طيب ، ومن بهار .

أوريانتيا

نهدان واقفان

كقبتى نحاس

في ذهب المغيب

صحفان صيفيان رائعان .

قلعان من لبيب تزودا من آسيا .

بزهرقى غاردينيا .

بغبر

بفلفل

بطيب

وحبى زيب .

رحم الله أحاديث جدتى التى كانت تقصها

علينا فى سن الطفولة ففيها كثير من هذا الشعر ،

الذى يمليه الذهن لملاء دون أى انبثاق من

أعماق الوجدان ، ودون أى فورة من فوران

الشعور .

إنه شعر جامد يعالج الأمور من ظواهرها

ولا يتدخل إلى غياها حيث الحياة الدافقة ،

والحرارة المتوهجة .

لقد طوف نزار ، بحكم وظيفته الدبلوماسية ،

فى أقاصى آسيا وأوربا وأمريكا وإفريقيا -

ولا أدري إذا كان بلغ استراليا . وما كان منه

إلا أن جمع ما رآه من فئات ، هنا وهناك ،

ليقول لنا بعد ذلك : إنه أبدع قصائد جديدة .

ثم ما هذان البرجان العاجيان أو النهندان

كقبتى الواقفان نحاس ، أو كصحفان رائعين

من الصينى .

لم يجد لديه ما يقوله لجأ إلى هذه البهلوانيات
القشرية ، ليوهم الناس بعمقه ، ولا شك أن
هذه البهرجة الكاذبة التي لا تمت إلى الشعور
بصلة ، لا تخفى على الآذواق المتفتحة ، فنزار
هنا قد بز القدمى من أنصار البديع والتحنن
في جهود الانحطاط الأدبي .

لقد كان نزار قباني شاعرا يوم كان يستمد
لوحاته من طبيعة بلاده ، من طبيعة الشام
الضاحكة النقية ، أو من طبيعة جبل لبنان
المتبرجة الشذية ، ولما راح يستمد صوره
من هونج كونج ، وحانات باريس ومزارع
البن في البرازيل ، فقد الكثیر من براءته
وعفويته وغنائه .

لقد أعمت الشهرة نزار ، فترك لخياله العنان ،
ولم يعد يحسب للقراء أو النقاد أى حساب .
حسبه أن يمد يده إلى اسم أحد المسارح
(القمر الأخضر) فيقتله ويخاطب به حبيبته
قائلا : يا قرى الأخضر ، وحسبه أن يبك
في شعره الإسفنج والمحار ، والقراصنة ،
والتبغ ، والمطر الأسود ، والفلفل والبهار ،
على طريقة الشعر الأجنبي الحديث ، ليقول
لنا بعد ذلك إنه أتى بشعر رائع جديد .

الأرحم الله الشعر . ١ .

[عن الرائد]

المكتور عارف قبائس

الشاعر الحق يجعل الجامد يتحرك ، ويبث
في الميت الحياة فيختلج ، ونزار هنا يمسح
النمدين بقدرة قادر أو شعوذة ساخر فإذا هما
قبنا نحاس في كاندراقية ، ن كاندراثيات باريس
أوروما - لأدرى - أو صحنين من صحن الصينى .
أف هذا هو مفهوم التجديد الذى يراه نزار
ضروريا للشعر العربى ؟ إن الشاعر القديم
الذى شبه قد حبيبته بغصن البان ، هذه
الصورة التى أصبحنا نمجها اليوم لفرط ما
لا كتبها الألسن ، هو عندى أصدق من نزار
تعبيرا وأففذ منه إلى مسارب الحياة والروح .
ثم ما هذا العنبر ، والفلفل والزبيب ؟
أنحن على مائدة الشعر الحافلة بغذاء الروح
أم على مائدة أحد المطاعم الفقيرة ؟ .

ويقول نزار ، سائرا على طريقة (سعيد
هقل) فى النحت الذهبى والاهتمام فقطط
بالرنين والشكل الخارجى :

و أنتظر الصوت . صوتك . يهيم على .

دفيئا . مليئا . قوى .

كصوت ارتطام النجوم .

كصوت سقوط الحلى .

فإذا بشعره فارغ من كل شىء إلا من الرنة
الموسيقية ، والمبالغة الممقوتة المشكفة ،
وإلا فما هو وجه الشبه بين صوت حبيبته
وصوت سقوط الحلى ، سوى ملء فراغ
الروى . إن نزار يلعب هنا بالالفاظ ، ولما

مَائِقَاتُ الْعَنْزَالِ سَلَامُهُ

الإسلام دعوة عالمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

وأتباع عيسى عليه السلام هم الذين قاموا بتوجيه الدعوة إلى العالم بعد حصرها في بني إسرائيل ، فينبغي على هذا القياس ذهابا مع شهوة المقارنة بين الأديان في غير موضع للمقارنة أن يكون خلفاء النبي هم الذين نشروا الإسلام بين الأمم غير العربية ، ولم يكن ذلك من برنامج محمد عليه السلام ولا من أصول رسالته إلى قومه .

أما إذا ساءت النيات ، وما أكثر الدواعي إلى سوء النية في كتابة تاريخ فلسطين .. فقد يفهم من كلام الكاتب أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان عملا من أعمال الاستعمار العربي ولم يكن هداية دينية خالصة لوجه الله ، ويرد هذا على الخاطر — قسرا — إذا اطلع القارئ في العدد نفسه على مقال مسهب عن دخول اليهود إلى فلسطين ، ليتخذوها مأوى لهم وموطنا موعودا من عهد الحليل إبراهيم . وقد وصل إلينا عدد شهر يونيو من المجلة

في العدد الأخير من مجلة « الأزهر » ، عقبنا على المقالين اللذين نشرتهما مجلة « التاريخ اليوم » ، الانجليزية للأستاذ سوندرس المحاضر الأول بقسم التاريخ في جامعة نيوزيلاندة ، وقد جعل عنوان المقالين « الخليفة عمر المستعمر العربي » ، وذهب فيهما إلى أن ابتداء انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية إنما كان من عمل هذا الخليفة ولم يكن عملا داخلا في برنامج الدعوة المحمدية .. لأن محمدا عليه السلام لم يفكر في دعوة أحد غير العرب إلى الإسلام .

وكان موضوع التعقيب أننا أخذنا على الكاتب دعواه هذه وقلنا إنها ، مع حسن النية ، سوء تطبيق لعلم المقارنة بين الأديان ، إلتامسا لوجوه الشبه التي لا وجود لها بين الدعوة إلى الموسوية والدعوة إلى المسيحية والدعوة إلى الإسلام . فإن أتباع موسى عليه السلام قد دخلوا أرض الميعاد بعد وفاته ،

وهو يشير — كما هو واضح — إلى العرب ، ومثله قوله في سورة الشورى : « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ، فإنه يدعو إلى التساؤل عن القرآن العربي هل يخاطب به أناس غير المتكلمين بالعربية .

قال : « إن الأوروبيين المتخصصين للإسلاميات ينقسمون انقساما شديداً في هذه المسألة . فإن موير يرى أن الدعوة من البداية إلى النهاية كانت دعوة للعرب وحدهم ولم يدع بها أحد غيرهم ... ولكن نولدكه وجلدنير وأرنولد وكلهم ثقات — يقولون إن محمداً عليه السلام أراد بدينه منذ أوائل الدعوة أن يكون ديناً عالمياً ولم يرد به أن يكون مجرد عقيدة وطنية محلية ، ونقول : إنه لو كان قد ثبت أنه كتب إلى هرقل وملك الفرس وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى الإسلام لانتفى الشك بالواقع . ولكن آراء الباحثين — مع الأسف — لا تميل إلى قبول هذه الأخبار ، وموتغومري وات يقول إن هذه القصة لا يمكن أن تقبل على حسب هذه الروايات .

ثم ختم جوابه على تعليق الأستاذ الشريف قائلا : « وعندنا صعوبة كهذه في أمر المسيحية . فهل كان المسيح عليه السلام ينظر إلى نفسه كأنه صاحب ديانة جديدة كما جاء في متى حيث

الانجائزية فقرأنا فيه تصحيحاً لدعوى الأستاذ النيوزيلاندى بقلم الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية ، أشار فيه إلى الأدلة الكثيرة التي تثبت دعوة الإسلام العامة ، ثم قال : « إننا إذا تركنا هذه الأدلة جانباً واكتفيينا بالنظر في القرآن الكريم وحده فهناك أكثر من أربعين آية يذكر فيها الله سبحانه وتعالى باسم رب العالمين ، وهذا عدا الآيات التي ذكر فيها بالنص الواضح أنه عليه السلام قد أرسل إلى الناس كافة ، وأن القرآن قد نزل عليه ليقرأه على الناس . » وقد أحالت المجلة هذا الرد إلى الأستاذ سوندرس فعاد يقول إن هناك أدلة تفيد أن محمداً (صلوات الله عليه) قد أراد بدينه أن يفسر على الناس ، كما أن هناك أدلة أخرى تفيد أنه لم يفعل ذلك ، فهي إذن مسألة من مسائل الشك لا يقطع فيها بأى القولين .

قال : « أما إن محمداً قد آمن بأن الله هو إله الجميع فليس محل مناقشة ولكننا ليس بموضع البحث فيما نحن بصدد ، ولنا سند من القرآن نفسه حيث ترد الآيات التي يمكن الاستدلال بها على القولين ، فقوله في أول سورة الفرقان « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، قد يقابله في سورة القصص قوله : « ... لتنذر قوما ما آنأهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ،

فهذه هي الثغرة التي نفذ منها خطأ القياس إلى رأى الأستاذ النيوزيلاندى مع تقدير حسن النية فيما قرره من حصر الدعوة الإسلامية بين أبناء الجزيرة العربية .

ولسنا نرى دليلاً على التحرز — ولا على الجدل — فى استفاد الكاتب إلى نزول القرآن باللغة العربية لتعزيز حجته على تخصيص الإسلام بمن يتكلمون اللغة العربية ، إذ كيف كان يريد أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية ولم تكن مقصورة على المتكلمين بلغة الرسول ؟ إنه يمنع بذلك أن توجد فى العالم دعوة عالمية إنسانية على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق باللسنة الناس أجمعين .

ولا نحسب قراء الأستاذ النيوزيلاندى قد استفادوا شيئاً من اليقين أو الترجيح بما استشهد به من أقوال المختلفين على عموم الرسالة المحمدية أو خصوصها بين زملائه المستشرقين بل كل ما يستفيد القارى المطالع من وقوع هذا الخلاف أن أناساً غير قليلين بين « جهابذة المستشرقين » يقرءون الكتاب المبين ولا يستبينون منه أظهر معانيه ، بل أظهر كلماته ، التي لا تحتاج إلى مراجعة من أخبار الإسلام أو أخبار التواريخ .

فإذا كانت كلمة الناس كافة تحتل اللبس فى أذهان هؤلاء المستشرقين لسبب من أسباب

يقول : إذعبوا وعلبوا جميع الأمم ؟ أو كان ينظر إلى نفسه كأنه مصلح لليهودية ليس إلا وأنه ما جاء إلا لهداية خراف إسرائيل للضلالة ؟ . وأحسب أننى أمام هذا الخلاف قد كنت متحرزاً حيث قلت : إن البرهان القاطع غير موجود .

والأمر البين بعد قراءة هذا الجواب أن الأستاذ لم يكن متحرزاً كما قال فى ختام جوابه ولكن — كما قدرنا — قبل الاطلاع على هذه المقارنة بين الدعوة المسيحية والدعوة المحمدية فى كلامه الأخير كان مفسقاً مع إغراء المقارنة فى غير موضع للمقارنة ، فلم يظهر له الفارق الشاسع بين موقف الخلفاء من الدعوة المحمدية وموقف بولس الرسول وإخوانه من الدعوة المسيحية ، فإن بولس وإخوانه لم يكن فى وسعهم أن يبشروا اليونان والرومان بمسيح منتظر فى بنى إسرائيل لخلاصهم واستعادة ملكهم الذى قضى عليه الرومان أنفسهم ، فلا جرم تتحول الدعوة من إسرائيلية إلى عالمية لهذه الضرورة التى لا محيص عنها ، وليست هناك مشابهة قط بين الدعوة الخاصة ببنى إسرائيل وبين الدعوة إلى الناس كافة كما وردت فى القرآن الكريم بذلك الوضوح الذى فهمه الكاتب ولم يستطع أن يتجاهله فى جوابه على اعتراض الأستاذ الشريف .

وأيا كان القول في اللغة التي تكلم بها النبي ، وفي صلاح هذه اللغة للدعوة العالمية ، فإن النوع الإنساني يشمل أم القرى وما حولها ولا تعتبر هداية أهلها عزلاً لهم عن عداهم من الناس ، إذ كان خطاب الناس كافة يمنع أن يكون الخطاب مقصوراً على أم القرى ومن حولها ولكن خطاب أم القرى ومن حولها لا يمنع أن يعم الناس أجمعين .

وبعد ، فكيف يسيغ العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية خاتم النبيين إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير .

إن طائفة من المستشرقين تسيغ ما لا يسيغه العقل في أمر القرآن وأمر الإسلام ، ولا نحب أن يشيع لأحد من هؤلاء قول مسموع في العصر الحاضر ، لأننا نقرأ لغيرهم من فضلاء الأوربيين المحدثين صفوة من الآراء السديدة في الإسلام ونبيه ، ينزهونها عن هوى الاستعمار والتبشير ما استطاعوا ويحسنون بها إلى قرائهم وقراء العربية غاية إحسان العالم الأمين على عبه ، وليس من هؤلاء — ولا ريب — من يذكر الخليفة الفاروق اليوم فلا يعرف له صفة إلا أنه مستعمر قديم ؟

عباس محمود العقاد

التأويل في اللغة أو في المنطق فما هو اللبس في وصف العباد الذين تكرر الخطاب بإنذارهم ودعوتهم إلى الدين ؟ .

إننا نذكر من وصف هؤلاء العباد في الكتاب العربي مثلاً واحداً وهو قوله في خطاب النبي بالعربية :

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خصال . الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » .

فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سخر لهم البحر وسخرت لهم الأنهار وسخر لهم الليل والنهار لا يخطر له لحظة أنهم أبناء الجزيرة العربية دون غيرهم من بقى الإنسان فى جميع البلدان .

وإذا كان عرب الجاهلية قوماً لم يأتهم نذير من قبلى فالدين الذى جاء به صاحب الدعوة المحمدية يعم المتدينين الذين سبقت إليهم الرسل ويقوم النبي العربي بالدعوة إليه ليظهر على الدين كله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

آراء وإحاديث

والتعاون ، والعطف على الفقراء والمساكين يدعو إلى كل خير يحبه الله .

هذا الأزهري يرحب بالفيلسوف الهندي ، ويسره أن يضع يده في أيدي جميع الفلاسفة لنشر مبادئ الإسلام في أنحاء الأرض .

ثم تلا قوله تعالى : « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ، »

ثم قال فضيلته : « ومن يمت نفسه في سبيل هذه المبادئ فهو حي على الإطلاق . »

إن كل الرسائل السماوية تدعو إلى ذلك ، وكلها تلبية للطبيعة الإنسانية ، والإنسان بنفسه معترف بربه ، حتى ولو عاش في الجبل فإنه يعترف بوجود ربه ، ويسكني الإنسان في الإيمان التأمل في هذا الكون .

قال الزائر - إنه لمن عظيم سروري أن أسمع ذلك من فضيلتكم ، وسيسعدني أن أعمل على ضوء هذه المبادئ ، وسأستنير بها في جميع غدوقي وروحاني .

فقال الإمام الأكبر - إنها فرصة طيبة أن اقترنت زيارتكم لنا بأعظم حادث في تاريخ الأزهري ، وهو إعادة تنظيمه حتى ليؤدي رسالته كاملة للدين والدنيا .

مؤتمر أديان لاقرار السلام :

استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السيد / سوامى باسكرا نند - الفيلسوف الهندي .

وقد دار الحديث حول عقد مؤتمر تمثل فيه جميع الأديان للعمل على إقرار السلام في الأرض والحث على التعاون والمحبة والمساواة بين البشرية جمعاء دون تمييز بين جنس ولون .

وقد صرح الزائر للإمام الأكبر بأنه كلما قدم مقترحه لدولة إسلامية اشترطت لعقد المؤتمر موافقة الأزهري .

ثم قال : وقد دفعني ذلك إلى لقاء الإمام الأكبر ، وزيارة الأزهري ، وها أنا ذا قد سعدت بأن أتيت لى هذه الفرصة .

فشكر له الإمام الأكبر مشاعره الطيبة واقتراحه ، ووعدته ، ببحث الموضوع قريبا والانصال به بعد ذلك .

ثم أبرز له فضيلته المبادئ السامية التي يدعو إليها الأزهري قائلا : إن الأزهري يدعو إلى الله ، والسلام ، والخلق الكريم ، والرحمة

الثقافي الإسلامي فإنه يحمل هذه الرغبة إلى الإمام الأكبر وكله ثقة في أن يحققها الأزهر لهم .

وقد رحب فضيلته برغبة السيد الزائر ، ووعدته بأن يعمل على تحقيقها بكل الوسائل الممكنة .

ثم أكد له فضيلته أن الأزهر على استعداد لمعاونة المسلمين في أنحاء العالم وبخاصة مسلمو مونتريال بكندا لإنشاء المساجد ، ومدهم بالمدرس والكتاب .

كما ذكر له فضيلته أن الأزهر سيعمل على الاتصال بالجامعة العربية لمنحهم ما يمكن من مساعدة من جانبها .

وقد أهدى فضيلته إليه وإلى زوجته ، التي كانت ترافقه بعض مؤلفاته ، وبعض الكتب الثقافية باللغة الانجليزية وحله خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع المسلمين في كندا .

ومرر هاشم الأوقاف في باكستان :

واستقبل فضيلته السيد أبو الحسن قرشي مدير عام الأوقاف في باكستان يرافقه السيد إسماعيل كشميري المستشار الصحفي في سفارة باكستان .

وقد دار الحديث حول العلاقات الثقافية بين الأزهر وباكستان كما طلب من فضيلته أن يوفد الأزهر مبعوثاً دينياً لتوجيه الأئمة

الاستاذ الأكبر يستقبل زعيم المسلمين في مونتريال :

استقبل الإمام الأكبر بمكتبه السيد / محمد حبيب الله خان زعيم المسلمين في مونتريال بكندا . وقد حضر المقابلة الأستاذ الدكتور محمد الهبى المدير العام للثقافة الإسلامية ، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الأزهر .

وقد حضر الزائر إلى القاهرة في طريق هودته إلى كندا بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام ، وزار الأزهر ليقدم إلى الإمام الأكبر خالص تحيات المسلمين في كندا ، وبخاصة في مونتريال ، ورغباتهم في أن يعمل الأزهر على مساعدتهم في إقامة مسجد بمونتريال وإيفاد إمام من الأزهر له يقوم بتدريس اللغة العربية والدين الإسلامى .

وقد أوضح الزائر أن عدد المسلمين في مونتريال يبلغ ثلاثمائة مسلم ويأسف إذ ليس لهم مكان مخصص لإقامة الشعائر الدينية التي يؤدونها مؤقتاً في إحدى الكنائس ، كما ذكر الزائر أنهم يبذلون جهودهم لتعليم أبناء المسلمين هناك اللغة العربية عن طريق إنشاء مدرستين إحداهما للكبار والأخرى للصغار .

ثم قال السيد الزائر : إنه لما كان لهؤلاء المسلمين رغبة شديدة في النهوض بمستواهم

العربية المتحدة بمناسبة عيد الثورة التاسع ، وأقام الأزهر ندوة لهؤلاء الضيوف في قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر صباح الثلاثاء ١٨ / ٧ / ١٩٦١ تناولت البحث في بعض الشؤون الإسلامية ، وما يتعلق بحاجات المسلمين في تلك البلاد .

وألقي فضيلة الأستاذ الأكبر في هذه الحفلة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا النور الذي أنزل معه .

أبنائي وإخواني :

إن الأزهر الذي مكث عشرة قرون كاملة يبحث كتاب الله ، يستنبط منه أحكام الشريعة وينشر إرشاداته في النظر إلى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء .

إن هذا الأزهر يحييكم اليوم ويرحب بكم ، ويمدده إليكم باعتباركم أبناء من أبنائه وأنصاراً من أنصار دعوته ، وليس من اختلاف الأماكن وجهات الإقامة في نظر الإسلام أن تختلف الأهداف والغايات .

فغاية المسلمين جميعاً وأهدافهم في كل الأقطار واحدة ، ونظرة الإسلام إليكم وأنتم

والوعاظ في باكستان توجيهاً فنياً في مضمار الوعظ والإرشاد ليستطيعوا القيام بهذه المهمة على خير وجه . فرحب الإمام الأكبر بهذه الرغبة ، وأجاب الزائر بأن الأزهر سيعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة ، كما وعده بالعمل على إيفاد من يحتاجون إليه من العلماء الذين أعدوا إعداداً كاملاً في الأزهر ، وما يحتاجونه من المكتبة الثقافية الإسلامية . وأوصاه بأن يعمل على تعميم اللغة العربية في باكستان حتى تكون لغة التخاطب والتفاهم بين المسلمين ، وحتى يمكن تفهم كتاب الله وسنة رسوله ، باللغة العربية ، لغة القرآن ، وأسف فضيلته أن تكون اللغات الأجنبية وسيلة تفاهم بين المسلمين .

ثم قال فضيلته : ولو أن المسلمين وضعوا نصب أعينهم دراسة اللغة العربية لأدركوا مدى قيمة هذا العمل في كل ما يتعلق بشئون دينهم وديارهم .

وقد أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته وحمله خالص تيمناًه وتمنياته الطيبة لجميع إخوانه الباكستانيين .

تكريم الأزهر لمعالي الجاليات الإسلامية :
بالولايات المتحدة ، وكندا :

زار ممثلو اتحاد الجاليات الإسلامية بالولايات المتحدة ، وكندا الجمهورية

إخواني وأبنائي : إن الأزهر بهذه الاعتبارات كلها يرحب بكم ويمد يده إليكم وبخاصة في هذه الآونة التي يقف فيها على باب تنظيم جديد ، يقرب بين عقليات المثقفين من أبناء الأمة الإسلامية ، ويفتح لأبنائه كثيراً من أبواب الحياة العلمية وبسط أمامهم الكون وما حوى من سموات وأرض وماء وهواء ، فيعرفون أسرار الله فيها ويستخدمون سنته في الهوض بالبشرية وسعادة الناس ، كما يفتح أمامهم أبواب استنباط أحكام الإسلام من كتاب الله وسنة رسوله ، وبذلك كله يعود إلى الأزهر الفقهاء المشرعون ، والأئمة المجتهدون ، والفلاسفة الباحثون ، والعلماء المخترعون وأئمة اللغة العربية لفهم كتاب الله وسنة الرسول .

لذلك كانت زيارتكم للأزهر حادثاً جليلاً سيكون له فيما يأتي أعظم الذكريات في حياة هذه الجامعة الجليلة التي تعتبر أقدم الجامعات التي نهضت بالإنسانية .

هذا الأزهر يحبيكم ويرحب بكم ويعتبر هذا الاجتماع أداة ربط قوية بين مسلمي أمريكا ، وكندا ، وبين شعب الجمهورية العربية المتحدة . وذلك كله بفضل السيد الرئيس العظيم جمال عبد الناصر الذي تلقى الأزهر ونظر إلى سائر الجماعات الإسلامية فطرة الأخ لإخوانه — حقق الله لنا وله

في أمريكا وكندا هي فطرته اليكم وإلى غيركم من أبنائه في أوروبا ، وآسيا ، وإفريقيا ، وأستراليا ، فالكل أبنائه تجمعهم عقيدة التوحيد ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدة اليوم الآخر ، وهذا هو المحور الذي يدور حوله المسلمون جميعاً ويعتدون به ، وهو جبل الله الممدود من السماء إلى الأرض الذي ربط الله به المسلمين بعضهم ببعض ، وجعل الإيمان به والعمل بأحكامه طريقاً من طرق السعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة .

هذا الجبل هو دين الله (الإسلام) الذي ليس لله دين سواه . وقد سجل تعالى هذه الحقيقة في كتابه فقال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ونفى أن يقبل الله غير الإسلام ديناً فقال : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

هذا هو الإسلام الذي يربط بين أبنائه ويجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — ليجعلنا — ونحن هنا وأنتم في دياركم — نشعر جميعاً بألم إخواننا في فلسطين وفي الجزائر وفي عمان وفي البحرين . بل يجعلنا نشعر بألم كل مكافح في سائر أنحاء الأرض ، فنشاركه ونعاونه في جلب سرائه ودفع ضرائه .

الفسكرى الذى بزغت شمسهُ ، وشع ضياؤه
على الآفاق جميعاً .

والأزهر بعد هذا حصن اللغة العربية
ومصدر قوتها ، وروح نهضتها وأقوى
العوامل على بقائها شابة فتية صامدة أمام
الاحداث والحوادث التى تضافرت عليها ،
وهى لغة القرآن ، دستورنا القويم ومنهاج
أمتنا الواضح . إذ أنه الدستور الذى سار
عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مواقفه ،
والذى سار عليه المسلمون فى كل العصور
المتعاقبة فكان لهم مصدر القوة ، وأصل
الرخاء ، ومبعث الحرية ومنتار السلم والسلام .
يجب أن تعنى الأمة الإسلامية بدراسة
اللغة العربية لتستطيع تفهم كتاب الله وسنة
رسوله . وهذا الأزهر يرحب بكم ويفتح
ذراعيه لاستقبالكم .

قال السيد رئيس الوزراء : « لئن أشكر
لكم جهودكم ومشاهركم ، وأنا جدد آسف
لأن كثيراً من مواطني في نيجيريا يقرءون
القرآن بالعربية ولكنهم لا يفهمونه ، نتيجة
للاستعمار البغيض ، ونرجو أن نعمل على
إزالة أسباب ذلك .

ويسرنا أن يفتح الأزهر بابهُ لنا
ولأبنائنا ، ليعودوا حاملين لواء العلم ،
وينشروه بين أهلهم وذويهم . ثم أضاف :
« إن الأزهر ليس مقصوراً على العرب

الآمال وسدد خطاه وأنازل لنا وله طريق
العمل من أجل الإسلام والإنسانية جمعاء .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وفى مساء اليوم نفسه أقام فضيلته حفل
عشاء لتكريمهم فى نادى الشرطة بالجزيرة .

الإمام الأكبر يستقبل

رئيس وزراء نيجيريا الشمالية

استقبل فضيلته السيد الحاج أحمدو بللو
رئيس وزراء نيجيريا الشمالية ، وقد حضر
المقابلة بعثة الشرف وكبار رجال الأزهر ،
وقد رحب به فضيلة الإمام الأكبر قائلاً :

« إن لأزهر يرحب بكم ، ويسعدنا أن
يضع يده فى أيديكم للعمل من أجل الإسلام
والمسلمين ولخدمة التراث الإسلامى . .
لقد احتفظ الأزهر باللغة لجمع شمل
العرب ووحد كلمتهم وحمل رسالة محمد بن
عبد الله ، واحتضنها أكثر من ألف عام
مكن الله له فيها ليكون مصدر علم ونور
ومعرفة وأمل باسم المسلمين فى أنحاء
الأرض ، ثم كان من فضل الله عليه أن جعله
معيناً لا ينضب ومنهلاً عذباً ومصدر أمن
واستقرار ، ينشر فى الأرض ألوته فى كل
مكان وجد فيه . فهو مصدر الإشعاع

« هذا عهد الله بيني وبينكم للعمل من أجل الإسلام ومبادئه ، كما أهدى إليه مؤلفاته . ثم أهدى فضيلته إلى جميع مرافقيه كتاب الله ، ومؤلفاته . وقال : « إن الأزهر ليشيد بكل ثغر وتقدير بالجهود التي يبذلها الرئيس جمال عبد الناصر للأخذ بيده ودعم كيانه وإعادة تنظيمه ليكون بحق مثل المسلمين الأعلى ليحقق آمالهم فيه ويرضى رغباتهم ويمكن لهم من الدين والدنيا .

ويبرلى بحريته في قوائم الأزهر الجريدة
لمراسل جريدة أمريكية :

واستقبل فضيلته بمكتبته مستر توم استريتهورست مراسل جريدة نيوزويك الأمريكية . الذي تقدم بعده أسئلة عن قانون تنظيم الأزهر الجديد . وقد صرح له فضيلته بأن الهدف من تنظيم الأزهر هو خدمة الإسلام والإنسانية بتزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بعلماء متفهمين في الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة .

كما أجاب فضيلته عن سؤال وجهه إليه المراسل عن دور الأزهر في خدمة القومية العربية فقال : « إن الأزهر يعمل على نشر مبادئ الإسلام وينادي بدعم السلام في أنحاء الأرض وتأكيد الحريات ويدهو

ولكنه جامعة لكافة الشعوب الإسلامية ، وسأبحث بأولادي وأحفادي للدراسة في الأزهر الذي اعتبر نفسي جندياً من جنوده ، وبخاصة بعد أن عرفت مدى الإصلاح والتنظيم الذي سيأخذ بيده إلى الأمام قروناً طويلة . وإنني إذ أشكركم الآن على هذه الحفاوة أعدكم بأن يشكركم أبنائي من بعدى على اهتمامكم بهم . »

فقال الأستاذ الأكبر :

« إن مهمة الأزهر أن يشرح الإسلام للمسلمين وأن يعمل من أجلهم ، إنه اليوم قد اتسع نطاقه فأدخل علوم الدنيا بجانب علوم الدين ، وفتح باب الكون على مصراعيه أمام طالب الأزهر ، ويسره أن يستقبل أبناءكم وأحفادكم ليعودوا رسل خير ورخاء لبلادهم .

وقد طلب السيد رئيس الوزراء من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين من الأزهر يختارهم فضيلته بنفسه لنشر الثقافة الإسلامية في نيجيريا .

كما دعا فضيلته رسمياً لزيارة نيجيريا لأنهم في شوق لقائه . وقد وعد فضيلته أنه سيعمل في الحال على إيفاد المبعوثين إلى بلاده وسيختارهم بنفسه . كما قبل فضيلته الدعوة لزيارة نيجيريا .

ثم أهدى إليه فضيلته كتاب الله قائلا :

هذا التنظيم فإنهم سيعضدونه بكل قلوبهم ومشاعرهم .

• • •

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد المتوكل أمير المسلمين في غانا . وقد حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قائلاً له : : إن المكان العلى الأول الذى يتجه إليه المسلمون إنما هو الأزهر فمرحباً بك فى هذا المكان ، وأنا مسرور معجب بك إذ تتكلم العربية وهو أحب شيء إلى ، لأن المسلمين جميعاً يجب أن تكون لهم لغة واحدة هى اللغة العربية التى نزل بها القرآن ، وأنا أعتبر أن الذين يبقون على لغة غيرها أو يتقنون عليها دون تعلم اللغة العربية ، إنما يكونون ظلاً للاستعمار . ونحن نكره الاستعمار ونبغضه والأزهر الذى ظل حصناً للغة العربية والشريعة الإسلامية ألف عام وعشرين يمد يده لكل مسلم بالمدرسين والكتاب ليعلمه لغة نبيه ولغة القرآن الذى أنزله الله على رسوله . ثم قال فضيلته : : يجب أن نهجر الاستعمار فى لغته وفى حكمه وفى عقيدته ، فقد خلق الله المسلم مستقلاً يقف على قدميه بنفسه لا يحتاج إلى من يكون سيده له ، إنما هو سيد نفسه ، وأمير نفسه ، فنحن نريد أن يشعر بهذا كل مسلم سواء . أكان حاكماً أو محكوماً . نريد أن يقدر المسلم

إلى الوحدة والتعاون ، ورد الظلم والطغيان . وهو بهذا يخدم القومية العربية .

كما سأل المراسل عن مدى اهتمام الرئيس جمال عبد الناصر بالأزهر ، فأجاب فضيلته : : إن الرئيس يعرف حاجة بلاده ، ويعمل جاهداً لتحقيق الأهداف التى تخدم الإسلام والوطن العربى والإنسانية جمعاء ، ولذلك أصدر قانون الأزهر ليتمكن هذه الجامعة العتيقة من أداء مهمتها كاملة على أساس من كتاب الله وسنة رسوله فى العلم والدين . كما سأل الزائر فضيلته عن المشكلة التى تعترض طالب الأزهر عندما يلتحق بالسلكيات الجديدة ، وأجاب فضيلته بأن الأزهر سيمهئ للطلاب برامج إعدادية وتوجيهية حتى يتمكنوا من متابعة هذه الدراسات ، وسأل الزائر عما إذا كان لقب الإمام الأكبر ، يعنى مسئولية جديدة ، وأجاب فضيلته بأنها نفس المسئولية لخدمة الدين والثقافة الإسلامية وتتناول نواحى الإشراف العام والتوجيه والإرشاد والتربية . وسأل الزائر عما إذا كان إصدار هذا القانون قد وجد معارضة من الأزهريين . فأجاب فضيلته بأن كل جديد له مآدح وقادح ، ولكن معظم الأزهريين يرحبون بهذا القانون لأنه سيخدم العالم الإسلامى فى جميع الميادين بجانب التفقه فى الدين ، ويوم يفهم هؤلاء القلة مزايا (البقية على الصفحة التالية)

بريد المجلة

على بر أريس :

عنه ، ولكن إجابة المجيب لم تكن سديدة ولا موفقة .

وهأنذا أنقل للقراء الأسئلة والإجابة عنها ثم أعقبها بالجواب الصحيح .

١ - قال المجيب : أما سؤالكم هل الموق يسمعون دعاء من يدعوهم ؟ فإنهم يسمعون بدليل ما في الصحيحين لما قتل صناديد قریش في يوم بدر وقف عليهم رسول الله وقال يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً . قال : فقال عمر : إنهم أجساد بلا أرواح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

كتبت هذه المقالة لتشر في العدد الممتاز من الصحيفة الحجازية (المدينة المنورة) لصاحبها الأستاذ على حافظ ثم نقلتها مجلة الأزهر عنها .

أستاذ علمية وأجوبتها :

اطلعت في جريدة « بريد الصومال » على إجابات عن أسئلة وجهت إلى السيد حاج علم عبد الله درر محام الصوفية ، والسائل هو السيد جامع عمر عيسى السلفي . والسائل يريد أن يقف على الحق فيما سأل

البقية على الصفحة السابقة

كرامته ويعرف رسالته في الحياة فلا يدين لغير الله ولا يستعين إلا به مصداقاً لما يقرأه في كل يوم مرات ومرات « إياك نعبد وإياك نستعين » .

قال السيد الزائر : « إنني يا فضيلة الأستاذ الأكبر سمعت من آبائي أنه لا ينبغي لأحد منا أن يأخذ عن المستعمر لغة أو حكماً ، وكنت لا أفهم سر هذا ولا معناه ، وكنت لا أعى

الحكمة من هذا ، ولكنني الآن وبعد أن استمعت إلى حديثكم تبينت لي الحكمة ووضع المقصود ، وسأحل هذا إلى المسلمين في غانا أبشرهم به لن دعم استقلالنا ونبنى نهضتنا على أساس من الفهم الواعي والمبادئ المستقلة ثم أهدى الأستاذ الأكبر للسيد الزائر القرآن الكريم وبعض مؤلفاته .

قال السيد الزائر : « إنني يا فضيلة الأستاذ الأكبر سمعت من آبائي أنه لا ينبغي لأحد منا أن يأخذ عن المستعمر لغة أو حكماً ، وكنت لا أفهم سر هذا ولا معناه ، وكنت لا أعى

وإنما أطلق الاستغاثة بالنبي أو الولي وهو
جائز شرعا وعرفا . والدليل قوله تعالى :
« وأبصرى الأكمة والأبرص وأحبي الموتى
بإذن الله ، فأسند إليه إبراء الأكمة والأبرص
ولأحياء الموتى . وذلك من باب المجاز
كأنبت الربيع البقل . وكقوله تعالى :
« وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها فاسدة أتم فساد
فإذا قال شخص لميت من الموتى : جدلى
بمرادى أو عجل لى بحاجاتى أو أنت اعتادى
أو أغثنى يا غوث كان داعياً غير الله وسائلاً
غير الله . وهذا أمر فى غاية الوضوح ،
ومحاولة تصحيحه محاولة لتصحيح الباطل .
وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن سؤال غيره
ودعاه فقال : « فلا تدعوا مع الله أحداً » ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا
سألت فاسأل الله .

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على من
يدعون غيره بقوله : « إن الذين يدعون
من دون الله عباد أمثالكم » ، وقال تعالى :
« له دعوة الحق » ، والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم بشئ إلا كباطل كفيه إلى
المساء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وقال تعالى :
« إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذباباً ولو اجتمعوا له » ، وقال تعالى : « ومنى

الجواب الصحيح :

والحق أن سماع الموتى من الأمور الغيبية
التي لا تثبت إلا بنص قطعى والحديث الذى
أورده المجيب أنكرته الصديقة بنت الصديق
كما جاء فى صحيح البخارى وقالت : إنما قال
لأنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق
ثم قرأت : « فإنك لا تسمع الموتى » ، وما
أنت بسمع من فى القبور . وعلى فرض
صحة هذا الحديث فإن هذه حال خاصة لا يصح
القياس عليها ولا تبني عليها عقيدة . وقد قال
قتادة كما فى صحيح البخارى : أحياء الله حتى
أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً وقمة وحسرة
ونداما .

فالحق أن الموتى لا يسمعون دعاء من
يدهوهم من الأحياء بدليل قول الله تعالى
« فإنك لا تسمع الموتى » ، وما أنت بسمع
من فى القبور ، وإذا ثبت بنص القرآن
الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم
لا يسمعهم فإن غيره أحق ألا يسمعهم
٢ - وأجاب المجيب عن سؤال السائل :

« إذا قال قائل عجل لى بحاجاتى هل
يدهو غير الله أم لا : إن قول
الشخص : يا فلان جدلى بمرادى داخل
فى التوسل إلى الله وصرف النداء إليه
بجهاز والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربى
أن يجرى بمرادى فالمسئول حقيقة هو الله

به أو يبعضه بغير أن يكون للولى أو للقبر دخل فى ذلك .

أما سوق الذبيحة إلى قبر الولى فهو قرينة واضحة تدل على أن سائقها لا يقصد ذبح ذبيحته إلا التقرب إلى هذا الولى الذى يذبح له . وتكون هذه الذبيحة من قبيل ما ذبح على النصب . ولا يحل أكل لحمها شرعاً ، بل هى كالميتة ولحم التحزير ولو ذكر اسم الله عليها عند ذبحها كما لا يحل أكل لحم التحزير ولو ذكر اسم الله عليه .

والقاعدة الأصولية تقرر أنه إذا تعارض المانع والمقتضى يقدم المانع . والمانع هنا قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم التحزير وما أهل به لغير الله » وقال : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم التحزير وما أهل لغير الله به — إلى أن قال — وما ذبح على النصب ^(١) » .

والمقتضى قوله تعالى : « وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم » .

وإذا كان الذابح يقصد الذبح لله وحده كما يقول المجيب فلم يسوق ذبيحته إلى قبر الميت ؟ ولم لا يذبحها فى بيته مثلاً ؟ ولم يتصدق

أضل عن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون . وأى مجاز هذا الذى يتمحله ؟ والعامّة لا يعرفون المجاز ، ولم يدرسوا فن البلاغة فإذا قالوا : يا فلان جعد لنا بكذا فإنهم يقصدون حقيقة ما يقولون ويعتقدون أن هذا المدعو يستطيع أن يجيبهم إلى ما طلبوا ولولا ذلك ما دعوه .

ومن الافتيات على شريعة الله أن يقول المجيب : إن التوسل بالأشخاص جائز شرعاً وهرفاً . والاستدلال بقوله تعالى : « وأبرىء الأكنه والأبرص ، استدلال غير صحيح إذ لا صلة للآية الكريمة بهذا الموضوع .

٣ — ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل يجوز سوق الهدايا إلى القبور وذبحها (هندا) ؟ وهل يكون ذبحها لوجه الله أو لغير الله ؟ وهل لحمها حلال أو حرام ؟ .

فالجواب : إن ذبحها مسلم أو كتابى ذبحاً شرعياً فهى حلال إن لم تذبح باسم الطواغيت . وأما سوقها إلى القبور فهو تقرب إلى الله لأن الزائرين يقصدون الذبح لله وحده . ويتصدقون بلحمها على حب الشيخ الولى . .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها مغالطة وتضليل ، فإن الذبح الشرعى هو ما تراعى فيه شروطه ، ويراد به أحد أمرين : إما أكله وإما التصدق

(١) النصب كما قائم أمام الحجر التى فيها الصنم تذبح عليه الذبائح التى يتقرب بها إلى الصنم وهو مربع يحيط به بجرى يجرى فيه الدم وبه ثقب ينزل منه الدم ليتبقى فى إناء ويقذف به فى الخارج .

الحق ، وكلمة (تصوف) نفسها كلمة لا علاقة لها بالإسلام . ولا نجد لها في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في قول صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما دخلت في الإسلام بعد ترجمة كتب اليونان إلى العربية في عهد العباسيين ، وكلمة صوف Sophi يونانية الأصل ، وقد نقلها اليونان عن العجم وكانت تستعمل لقباً للملك العجم وتطلق على الحكيم والتقى في لغتهم ، وقد يضيفون إليها مقطعا آخر فيقولون تيوصوفي (Theosophi) ومعناها عندهم الاعتقاد بالاتحاد بالله ، أى وحدة الوجود . التي يقول بها المتصوفة .

ومهما يكن من أمر فهذه الطرق لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الخلفاء الراشدين ولا في أيام القرون الخيرة . ورقص جعفر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم - إن صح - لا علاقة له بالطرق الصوفية ولا يصح دليلاً على وجودها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على جوازها .

هـ - ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل من الناس من يعلمون الغيب ؟ فاعلموا .

قال الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، فأنزلت آية لرسوله علم الغيب بدليل الآية

بلحمها على حب الشيخ ؟ ولم لا تكون صدقة على حب الله ؟ وفي سبيل الله وابتغاء مرضاة الله ؟ .

٤ - ويقول المجيب للسائل : أما سؤالكم هل كانت هذه الطرق الصوفية المنتشرة اليوم بين الناس موجودة في عهد رسول الله أو عهد الخلفاء الراشدين أو عهد التابعين أو عهد الأئمة الأربعة ؟ نعم كانت هذه الطرق الصوفية موجودة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلقي وخلقى ، وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً فإن الجنيد البغدادي كان في زمن الخلفاء العباسيين وثبت في محكمات قضائهم أنه أهل الله وأن الشافعى وأحمد بن حنبل لقبوا بشيخان الراعى فقال الشافعى : أنا أسأل هذا الصوفى مسألة من الفقه فقال أحمد : لا تسأله فقال : لا بد . فقال : يا شيخان من نسي إحدى (صلوات) الخس ولم يعرف عينها كيف يفعل ؟ فقال : قلوب غفلت عن الله وجب تأديها بقضاء (الكل) ، (فغشى) الشافعى فقال أحمد : ألم أقل لك ؟ اهـ .

الجواب الصحيح :

وأقول إن كل هذه الإجابة بنجوة عن

والمراد بالتكليم هنا الإلهام كما يفهم من رواية مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم) . قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون . والحق أحق أن يقبض وليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال .

أبو الوفاء محمد درويش

رئيس أنصار السنة المحمدية بسوهاج

حول المزمري المنتظر :

دأب بعض الكتّاب على تأويل أحاديث سيد البشر تأويلاً يحدد وقت ظهور المسيح الدجال وغير ذلك . وقد نشرت جريدة صوت الإسلام مقالا للسيد / حسن صبرى حدد فيه ظهور المهدي بشهر رمضان سنة ١٣٨٠ هـ وخروج الدجال على رأس مائة سنة تبدأ في سنة ١٣٨٧ (العدد ١٠٧) مسنداً ذلك إلى سيد البشر صلى الله عليه وسلم . وذكر الكاتب أن الأحاديث النبوية الشريفة تدل على أن تركيا ستتحالف مع الاتحاد السوفيتي وقد تنقلب إلى جمهورية من جمهورياته ، وذكر أنه لو أذن له في نشر ما يعلم لحدد بأقصر العبارات مصير كل دولة في السنوات المقبلة (العدد ١٠٨) .

الكريمة وكذلك الأولياء يلهمهم الله وقوع بعض الوقائع في المستقبل ويدل على صحة ذلك ما روى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس ملهمون من غير أن يسكنوا أنبياء وإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر بن الخطاب) أخرجه البخاري .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كسابقاتها كلها مغالطة فإن الرسل لا يعلمون الغيب علماً ذاتياً تلقائياً . وإنما يعلمون ما أخبرهم الله تعالى به بطريق الوحي للآية الكريمة . وقياس الأولياء على الرسل خطأ لأن الرسل يوحى إليهم والأولياء لا يوحى إليهم ، وقد أخبر رب العزة في كتابه الكريم أن علم الغيب من خصائصه تعالى فقال سبحانه : وإنما الغيب لله ، وإنما تفيد الجهر في لغة العرب . وقال تعالى : وعندنا مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، وقال تعالى : قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله .

فالزعم بأن الأولياء يعلمون الغيب زعم باطل وقد أخطأ الحبيب في نقل حديث البخاري ولفظه الصحيح هكذا (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي أحد فعمرو) .

ذكر هلالا الفاسي زعيم حزب الاستقلال
المراكشي ووصفه بأقبح وصف .
كما وضع هذا الإمام الحافظ ، كتابا
أسماء (الإقناع بصحة صلاة الجمعة خلف
المذيع) ذهب فيه إلى جواز صلاة الجمعة
في المنزل خلف المذيع والالتزام بإمام المذيع ،
وقد بينا فساد هذا الرأي في كتابنا الوجيز
في العبادات .

وقد قيل بأن ذلك كان خدمة للفرنسيين
بمنع المجاهدين الجزائريين من التجمع
بالمساجد يوم الجمعة وقد عرفت حقيقة
عبد الله بن الصديق الغماري هذا وأنه جاسوس
لفرنسا وقد صدر ضده أخيراً حكم بالإعدام
من المحكمة العسكرية العليا للإقليم الجنوبي
من الجمهورية العربية المتحدة .

أما ما ورد بشأن المهدي المنتظر من
الأحاديث فليس فيه تحديد وقت ظهوره كما
أن بعض الأحاديث في متنها يجب التحفظ
في قبولها إذا سلمنا بصحة سندها :

١ - فهناك روايات تذكر أن المهدي
اسمه الحارث ، من ذلك ما رواه أبو داود
في كتاب الفتن عن علي رضي الله عنه قال
(قال النبي صلى الله عليه وسلم) يخرج رجل من
وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته
رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل
محمد كما مكنت قريش لرسول الله ، فإذا ظهر

كما ذكر أن إيران سوف تكون دولة من
دول الاتحاد السوفيتي أو حليفة له ، مسترشدا
في ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم
(لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا أخوزمام
وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس
الأنوف صغار الأعين ...) العدد ١٠٨
وتأويل هذه الآثار بما يحدد وقت قيام
الساعة وأشراطها تحمیل للتصوص فوق
طاقاتها وتدخل في العلم بالغيب الذي لا يظهره
الله تعالى على أحد من خلقه إلا من ارتضى
من رسول قال تعالى : عالم الغيب فلا يظهر
على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول
فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً .
ولما كان كاتب المقالات قد أسند ذلك
إلى السنة النبوية الشريفة بطرق واهية لا
يرتضيها العلم ولا الدين فإنه يجب أن تمتنع
الصحف عن نشر أمثال هذه المهازيل ، وهذا
أضعف الإيمان .

وقد أسند السكاتب إلى من لقبه بإمام
السنة الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصديق
الغماري وشقيقه عبد الله الغماري .

ونوضح للقوم أن ضمن مؤلفات هذا
الحافظ كتاب (مطابقة الاختراعات العصرية
لما أخبر به سيد البرية) وهو ضمن ما استند
إليه كاتب المقالات ، وقد ورد في هذا
الكتاب أن الرسول صلى الله عليه وسلم

دلائل النبوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأنوها فإن فيها خليفة الله المهدي وروى ابن ماجه قريبا من هذا المعنى في كتاب الفتن ، باب خروج المهدي .

وقد كانت الرايات السود شعاراً للعلويين ، وأبو مسلم الخراساني هو الذي مهد لدولتهم . والخلاصة أنه لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بظهور المهدي آخر الزمان ولكنه لم يحدد ذلك بسنة معينة فلا يجوز استنباط هذا من الروايات مهما كانت دلالة ألفاظها . وكيف يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقد رد القرآن الكريم على العرب منكرأهلم الرسول بالساعة في كثير من الآيات وقرر أن علمها عند الله تبارك وتعالى . ولا خلاف بين الأمة في تفسير هذه الآيات أو تأويلها .

ولا ينبغي استخدام الأحاديث النبوية في الإخبار عن الملوك والزعماء قدحاً أو مدحاً حتى لا تصبح أحاديث صيد البشر مطية الأهواء والزعزعات .

سامي على البهنساوي
المحامي

وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته) .
٢ — روايات تذكر أن اسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (لو لم يبق من الدنيا الا يوم - وفي رواية لطول الله ذلك اليوم - حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، وفي رواية يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

٣ — تذكر بعض الروايات أنه من أهل البيت كما في الرواية السابقة وكما في رواية أبو داود أيضاً عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة ، وكما في رواية الإمام أحمد عن علي عن رسول الله (المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة)

٤ — ذكر الأستاذ أبو الأعلى المودودي أن الأحزاب المختلفة المتنافسة في ميدان السياسة في مبدء الإسلام حاولت جميعاً أن تستغل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بظهور المهدي وتصوغها حسب مصلحتها جميعاً فقد جاء في مسند الإمام أحمد عن ثوبان في

الكتاب

نقد وتعريف

الطريق الحكيمية :

لابن قيم الجوزية

قدم هذا الكتاب وحققه الأستاذ محمد جميل أحمد أحد علماء الأزهر الشريف ، وقد كتب الأستاذ السيد على صبيح المدني كلمة افتتاحية أشاد فيها بمكانة ابن قيم الجوزية ، وقال : إنه مجده من أجدادنا ، وأب كريم من آبائنا ، أولئك الذين نماخروهم الدنيا ، وتحدى بهم التاريخ . وكتابه هذا عمل جليل ينبغي أن يعنى به الدارسون والباحثون ، وأن يهتم به رواد الثقافة العالمية .

أما المحقق فقد دعا في مقدمته إلى العودة لأجدادنا الماضية ، وإلى أن نرفض بحزم وإصرار الأفكار والمبادئ والعقائد المستوردة من الخارج لأنها لا تتفق ومنهجنا في الحياة .

وعلى الشرق أن يثق في نفسه وفي قدراته حتى يواجه الحياة في قوة وعزيمة وثبات وتدب من يرون أن الإسلام دين طقوس ودروشة ، وليس له في سياسة الأمم وفي الإصلاح الاجتماعي شأن يذكر :

والكتاب المحقق كتاب قيم ، تناول فيه مؤلفه مسائل على جانب كبير من الأهمية ، تتصل بالقضاء ، وتضع أسسا لمن يريد أن يحكم حكما سليما على وفق الشريعة الغراء . وهدف مؤلفه أن يثبت أن الشريعة تعرضت لسكل جليل ودقيق مما يمرض للناس في شئون حياتهم ، وأن فهم أسرار الشريعة فهما حقيقية هو سبب التقدم وقد عاب على الذين يقتصرون على ما ورد به الشرع ، وينفرون من الأحكام المستنبطة ولو وافقت الشريعة ، وقد قال في ذلك : « وقال ابن عقيل في الفنون : جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية : أنه هو الحزم ، ولا يخلو من القول به إمام . فقال شافعي : لا سياسة إلا ما وافق الشرع ، فقال ابن عقيل : السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول ، صلى الله عليه وسلم . ولا نزل به وحى . فإن أردت بقولك : « إلا ما وافق الشرع » ، أي لم يخالف ما نطق به الشرع : فصحيح ، وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع ،

أهل المدينة في الدعوى وحق الحاكم في اتخاذ الحبس ، وعن الطرق التي يحكم بها الحاكم ، وذكر منها ستة وعشرين طريقاً .

ثم تكلم عن الحسبة ، وعن حكم القسعين ، وعن الغش ، والحجر الصحي ، والقرعة إلى غير ذلك من الشؤون التي تعنى القضاة .

والمؤلف قوى الحجة ، ساطع البرهان ، واسع الاطلاع على مقاصد الشريعة يتمتع بقسط وافر من حرية الرأي .

ونعود إلى الأستاذ محقق الكتاب فنجده دعا في حرارة وحماسة إلى فتح باب الاجتهاد الذي أغلقه — كما قال — التزمّت العنيف ، والتعصب اللثيم ، والتقليد الاعمى .

والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد حبيبة إلى نفوسنا ، أثيرة عندنا ولكن ينبغي أن نحترس ، ونحن ندعو هذه الدعوة ، فإن قوماً من دعاة التجديد يدخلون هذا الباب — باب الفتاوى والاجتهاد — دون أن يتسلحوا بالأسلحة التي يتطلبها هذا الميدان .

لقد وضع العلماء السابقون للاجتهاد شروطاً ، وهي شروط لا بد منها لمن يقول في شريعة الله برأيه ، ويخالف ماعليه الأئمة .

وكما ينبغي أن نضرب على أيدي دعاة الطب

حتى لا يهلكوا الأبدان ينبغي أن نضرب على أيدي دعاة الاجتهاد حتى لا يهلكوا الأرواح .

ليفتح باب الاجتهاد ، ولكن ينبغي ألا

فعلط ، وتغليط للصحابة ، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتشيل مالا يحجده عالم بالسغة .

وهذا موضع مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، وهو مقام ضلك ، ومعتك صعب ، فرط فيه طائفة ، فعطلوا الحدود ، وضيعوا الحقوق ، وجرموا أهل الفجور على الفساد ، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة إلى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقاً صحيحة من طرق معرفة الحق ، والتنفيذ له ... إلخ .

وقد بالغ المؤلف في الاعتماد على القرائن ، والفراسة ، وذكر من ذلك شواهد وقصصاً ، وبهذا ابتدأ كتابه ، فقد ذكر في أول الكتاب أن أعاه سألته عن الحكم يحكم بالفراسة والقرائن التي يظهر له فيها الحق والاستدلال بالآمارات ، ولا يقف مع مجرد ظواهر البيانات والإقرار ، ثم قال : فهذه مسألة عظيمة النفع جليلة القدر ، إن أهملها الحاكم أو الوالي أضاع حقماً كثيراً ، وأقام باطلاً كثيراً ، وإن توسع فيها ، وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع من من الظلم والفساد .

وتحدث في الكتاب عن أنماط من الأجوبة الحصيفة ، وعن جواز الحكم بشاهد واحد ، وعن شهادة النساء منفردات ، ومذاهب

ولكن معنى العروبة قد النعم به أتم ما يكون
الاتحاد، والإسلام لا يتعارض مع القوميات
ولا يصادمها لأنها فطرية وهو دين الفطرة ،
أما مقومات القومية ، فهي البيئة واللغة ،
والتاريخ ، والمصالح المشتركة ، ثم الدين الذي
يدخل في كل عنصر من عناصرها ، ويشبك معها
بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التفاعل عنها .

وعرض الأستاذ فودة بعد ذلك لمفهوم
الدين ، وهو يتلخص في أنه وضع إلهي مقرر
لنظام شامل كامل كما عرض لعلاقة العلم بالدين
وعلاقته بالحضارة والمجتمع — أما القومية
العربية فلم يكن تكوينها من هناك لا يقوم عليه
بناء ، وإنما كان من عناصر صالحة للبقاء
والارتقاء ، أما القرآن وشخصية الرسول صلوات
الله عليه — فهما وثيقا الصلة بالقومية العربية .
وبعد أن حدد المؤلف واجب المسلم تجاه
القومية العربية ، وعرض نماذج من كمحاح
العرب في سبيل الإسلام ، صب جام غضبه
على أعداء الأمتس واليوم ، أعداء الأمتس
في مرحلة الإسلام الأولى ، من بنى النصير
وبنى قينقاع وبنى قريظة ، وأعداء اليوم التي
تربطهم الصهيونية الآئمة برباط من الحسة
والذدر والحيانة ، ورجا الله من أعماق نفسه ،
أن يهيئ الله للأمة المحمدية من القوة ما يجعلها
تخلص الإنسانية من شرور هذه الفئة الضالة ،
كما خلصتها من قبل في ساحة جزيرة العرب .

محمد عبد الله السمان

يلجأ إلا أهله ، الذي هياؤا أنفسهم له ،
ولا شاعت الفوضى في أحكام الدين .

وكلمة أخيرة :

الكتاب طبع قبل ذلك ، وفضيلة الطبعة
الجديدة أنها اعتمدت على بعض المخطوطات
التي ربما لم يطلع عليها المطابعون السابقون ،
والفرق غير كبير بين هذه الصفة وبعض
الطباعات السابقة .

ولكن المحقق يقول — مبررا إعادة طبع
هذا الكتاب — أنه اعتمد على نسخة خطية
تعتبر أقدم مرجع لهذا الكتاب ، وتمتاز بأنه
لا نقص فيها بخلاف غيرها من المخطوطات
وبعض النسخ — كما يقول — فيها نقص كبير ،
وخطأ كثير ، وذكر أن بعض الأخطاء جسيمة .
وقد عنيت بتتبع الأخطاء التي نبه عليها
في هوامش الكتاب ، والنقص الذي
استدركه ، ولكنني وجدت أكثر هذه
الأخطاء مما يقع مثله في أى طبعة .

على العمارة

المؤلف والقومية العربية :

للأستاذ عبد الرحيم فودة :
هذا كتاب جديد للأستاذ فودة ، يتصل
بموضوع دقيق ، أشار جدلا في غير مصر ،
ونحن هنا نكتفي بالتعريف به دون مناقشته
فيما تضمنه من آراء ، ولعل الفرصة قريبا تجعلنا
نضع كتابه على المشرحة لنوفيه حقه من النقد .
يرى فضيلة المؤلف أن الإسلام شعار عام ،

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر
من الإمام الأكبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر إلى السيد
الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته — وبعد
فإن التنظيم الجديد للأزهر الذى أمضيتموه
والذى يحقق مبادئ الإسلام فى الإنسانية
الفاضلة والذى يفتح لأبناء الأزهر
أبواب العمل فى جميع نواحي الحياة ويحقق
آمال المسلمين فى بقاء الأرض فى معيهم
العتيق ليعتبر بحق الحد الفاصل بين أزهر
الماز لدين الله وبين أزهر جمال عبد الناصر .

وقد أدى الأزهر الأول رسالته بقدر
ما يسرت له ظروفه فليؤد الثانى بقيادتكم —
إن شاء الله — رسالته على وجه أعم يحقق
مبادئ الإسلام العامة فى العالم الإسلامى
وفى دراسة نواحي العلوم المختلفة ،
والانتفاع بها .

فباسم الأزهر علمائه وطلابه — بل باسم
ملايين المسلمين والعرب الذين سينتفعون

بالأزهر الجديد ، ويتطلعون إليه — نرفع
إليكم أعمق الشكر ، داعين الله أن يمد فى
حياتكم حتى تروا ثمار هذا الغرس العظيم
لمعازنا لدين الله ، وسلاما للإنسانية ،
وتقدما للعلم ، ونجاحا للاجتماع .

حياتكم الله وسدد خطاكم ، وأدام لكم
التوفيق .

محمود شلتوت

أجاب السيد الرئيس بالبرقية الآتية : —
فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :
فقد تلقيت برقيتكم التى بعثتموها باسمكم
وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه والى
ضمتموها أصدق مشاعركم بمناسبة التنظيم
الجديد للأزهر .

وإنى لأعرب لكم عن أخلص الشكر
وأطيب تمنيات الصحة راجين أن يوفقنا الله
إلى ما فيه إعلاء منارة الأزهر حتى يودى
رسالته كاملة فى خدمة العلم والدين .

العلوم الشرعية بها ، والشيخ كال ناجي مدير الامتحانات ، والاستاذ رفيق شاكر مدير مكتب وزير المعارف وقد تناول الحديث العلاقات الثقافية بين الأزهر وقطر .

وأشاد الزائر بمجهود مبعوثي الأزهر الذين قاموا بمهمتهم خير قيام وطلب المزيد منهم . وقد وعده فضيلة الإمام الأكبر بتحقيق رغبته ، ثم أهدى إليه بعض مؤلفاته ليكون عهدا بينهما للعمل من أجل الإسلام والمسلمين ، والدعوة إلى الله ، وإلى الخير .

وفاضيا بالصومال :

واستقبل الشيخ نور الدين على القاضي بالصومال الذي طلب من فضيلته مساعدة الأزهر ماديا ومعنويا لإنشاء جمعية إسلامية في الصومال تقوم على مبادئ الإسلام . كما طلب بعض الكتب الثقافية لإنشاء مكتبة إسلامية في مقدشو . وقد وعده فضيلته بتحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وأمر نجار عمره :

كما استقبل السيد عبيد الله صالح المحضار من كبار تجار عدن ، وقد حمل لفضيلته خالص تحيات المسلمين هناك . ودار الحديث حول بعض الشؤون الإسلامية .

وبستقبل رحالة باكتانيا :

واستقبل السيد محمد عبد السلام إسماعيل

وإني لأبعث إليكم وإلى الجميع بأطيب تمنيات السداد والتوفيق .

جمال عبد الناصر

شيخ الأزهر يستقبل :

سفير الجمهورية العربية المتحدة في اليابان استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / عبد الرحمن العظم سفير الجمهورية العربية المتحدة في اليابان ، وقد دار الحديث حول بعض الشؤون الإسلامية .

وبستقبل مستشار سفارة السنغال :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد / أحمد دام مستشار سفارة السنغال في القاهرة . وقد دار الحديث حول بعض الشؤون الإسلامية في إفريقيا ، ثم دعا سيادته فضيلة الإمام الأكبر لزيارة السنغال ، حيث يكون لهذه الزيارة أثرها البالغ في جمع كلمة الإفريقيين وتوحيد صفوفهم .

وقد وعده الإمام الأكبر بإجابة هذه الدعوة متى سمحت الظروف .

ووزير معارف قطر :

واستقبل سمو الأمير الشيخ قاسم ابن حمد الثاني - وزير معارف قطر ، يرافقه الأستاذ عبد الرحمن عطية مدير المعارف بقطر ، والشيخ عبد الله بن تركي مدير تفتيش

وتتضمن الرسالة شكر الإمام الأكبر على جهوده في سبيل الإسلام والمسلمين ، وعلى إيفاد المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية .

وفد الاتحاد القومى فى بنى مزار :

واستقبل السيد / عبد العظيم أبو الليل عضو مجلس الأمة على رأس وفد من الاتحاد القومى فى بنى مزار يطلب العمل على ضم معهد بنى مزار الدينى للأزهر .

وقد وهبهم فضيلته ببحث الموضوع والعمل على تحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وفد من علماء باكستان :

كذلك استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمد عبد الحامد القادري - رئيس جمعية علماء باكستان .

والشيخ أحمد نوارانى الصديقى - سكرتير عام جمعية العلماء بباكستان .

والشيخ محمد عمر إلهى - عضو جمعية العلماء بباكستان .

وقد رحب بهم الأستاذ الأكبر وصر لأنهم يتحدثون باللغة العربية وأوصاهم بأن يعملوا على تعميم اللغة العربية بباكستان فهى لغة القرآن ومن الأفضل تفهم القرآن باللغة العربية التى نزل بها ، ثم قال فضيلته : إن

حسين الرحالة الباكستانى الذى يطوف العالم على دراجته الهوائية فى مدة تستغرق خمس سنوات ، وقد وفد إلى الأزهر بعد خمسة شهور من قيامه بالرحلة حيث طاف فيها ببعض البلدان الإسلامية .

وقد طلب الزائر من فضيلته أن يعمل على إلحاقه بالأزهر لمدة ستة شهور يتعلم فيها اللغة العربية . وأن يزوده بآرائه الإصلاحية فى سبيل الإسلام والمسلمين ، لأنه بصدد تأليف كتاب عن الإسلام يتناول فيه آراء عظماء المسلمين فى العالم ، وخاصة رأى فضيلة الإمام الأكبر .

وقد أمر فضيلته بإلحاقه بالأزهر فى الحال وزوده بكلمة تشجيعية أشاد فيها بالسياحة والسائحين إذا كان الغرض من ذلك معرفة سنن الله فى الكون .

والمندوب الثقافى للمملكة العربية السعودية :

كما استقبل الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن المسند - وكيل مدير عام السكليات والمعاهد العلمية بالمملكة السعودية والمندوب الثقافى بالقاهرة لنائب الأساتذة .

وقد حمل الزائر إلى فضيلته رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة والسكليات والمعاهد

ثم أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته .

شكر الأزهر السيد الرئيس :

قصد قصر الجمهورية وفد كبير على رأسه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر لشكر السيد الرئيس جمال عبد الناصر على إصداره قانون تنظيم الأزهر الجديد .

وتكون الوفد من السادة أصحاب الفضيلة شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية ومدير ومفتش الوعظ والإرشاد ، ومدير التفيتش ، ومراقبي العلوم الشرعية والعربية واللغات الأجنبية والعلوم ورعاية الشباب .

بعثة الأزهر في مؤتمر الرباط :

سافر كل من الدكتور محمد عبد الله ماضى - المدير العام للمعاهد الدينية ، والأستاذ عبد الفتاح صقر مراقب الآداب لحضور المؤتمر الثقافي للجامعة العربية المنعقد بالرباط في المدة من ٣ - ١٠ يوليو سنة ١٩٦١ . وموضوع المؤتمر « الكتاب المدرسى » . وقد زار الدكتور محمد عبد الله ماضى المركز الثقافي بلندن أثناء عودته .

الأزهر يرحب بكم ، فهو في خدمة المسلمين جميعا ينما كانوا ، ولقد شرحتم صدورنا اليوم بهذه الزيارة المباركة .

ونرجو أن يجمع الله بلادنا على كلمة التوحيد ، ويربط قلوبنا على الإيمان ، وأن يزيل ما بيننا من حواجز ، حتى يتم الاتصال الوثيق بين المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها .

فقال السيد رئيس الجمعية : إننا سنعمل جاهدين على أن ننفذ ما أوصيتكم به ، ونحن حريصون على الاقتداء بكم والسير على نهجكم الحكيم .

ولقد خاطبنا حكومة باكستان رسميا في أن تكون اللغة الرسمية لباكستان هي اللغة العربية ، ودعنا طلبنا بكافة البراهين والدلائل التي توصون بها .

وقد طلب الوفد من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين إلى باكستان .

كما دعا فضيلته لزيارة باكستان حيث يتشوق المسلمون هناك لرؤيته .

وقد وعدهم فضيلته بتحقيق رغبتهم في إيفاد المبعوثين في أقرب فرصة ، ووعدهم بتلبية دعوتهم لزيارة باكستان متى سمحت الظروف بذلك .

God in every prayer, the repress of soul through fasting for a month in every year, the annual giving of alms out of profound cordial faith, and the meeting in the holy mosque and the sacred places, the matter which necessitates the bearing of hardships and sufferings, all these forms of adoration are to make a room for others in the human heart and to efficiently prepare him to co-operate with them. This intended co-operation may afterwards reach fraternity.

The limitation of financial and commercial dealings and of the familial relations stated in Islam are not but on indirect urge to remain within the circle of equity or to mount to the circle of charity: that is the ultimate qualitative property of man. Islam did not in any of its principles evaluate neither the quantity for its own sake nor Man for his superficial appearance nor life for its luster and pleasures. That is to say it did not attach any importance in its estimation to what is measured in depth width and length, but it always estimates and aims at the quality. Accordingly it stimulates Muslims to

know how to judge it (quality) and to regard it in their human life.

Islam is prolific source of the human civilisation. Thanks to Islam, Muslims have considerably participated in the building of this civilisation. In this connection it may be said that Muslims have contributed the most splendid share of the human civilisation. They only ceased to share in it when they abandoned the Islamic values and contented themselves of their being attributed to the Islamic nation. This abominable attitude ensue that they were no longer the Muslims who beneficially demonstrated Islam through teachings

When our present Islamic renaissance adopts for objective the evaluation of quality not quantity and the estimation of principles not individuals; when they refrain from the abandonment of the Islamic principles and ceased to be contented of their being attributed to Islam; they would resume their effective contribution to the human civilisation and submit the most eminent form of it as well.

offering to the needy, but it is also the highest form of refinement. It is the giving for no return. It is the polite refusal or excuse in the case of incapability to give. It is the human treatment in both co-existence and separation, It is manifested in the refined conversation as clarifies the following verses : "A kind word with forgiveness is better than charity followed by injury. And Allah is self-sufficient, Forbearing" (Surah Al-Baqarah : The cow. verse 263.)

"Divorce may be (Pronounced) twice, then keep (them) in good fellowship or let (them) go with kindness" (Surah Al-Baqarah : The Cow. verse, 229).

"And serve Allah, and associate naught with Him, and be good to the parents" (Surah. Al-Nisa. The women. verse 36).

And God said "And thy Lord has decreed that yhu serve none but Him, and do good to parents. If either or both of them reach old age with thee, say not "Fie" to them, nor chide them, and speak to them a generous word. And lower to them the wing of humility out of mercy, and say : My Lord, have mercy on them, as they brought me up (when was) little (Surah Al-Israa: The Israelites, verses 32 and 24).

Owing to the high rank of

equity and charity they are enjoined in the imperative mood in the Koran in God's saying : "Surely Allah enjoins justice and the doing of good (to others) (Surah Al-Nahl : The Bee, verse 90).

When the individual and social equity are established and when equality becomes a common feature in both individual and social conduct this would mean the realisation of one of the two radical properties of humanity. When charity is manifested in the above stated sense that would finally mean the achievement of the other radical property. Both individual and society would be human in the most proper and original sense of the word.

What has been implied in the Islamic call other than equity and charity is but ways and means aiming at the realisation of this two paramount precepts or at least to pave the way to enable man both individually and socially to establish them. The different forms of adoration such as prayers, fasting, alms-giving and pilgrimage are seemingly intended to urge Man to perceive his nature and his status is life and to acknowledge the right of his associate to existence so as to share with him the means of stability. The several repetitions of prayers in everyday life, the presentation before

directed either to love or to grudge and hatred and human will may enable him either to suppress his passion or to indulge in it. In this aspect man is conceived - since nature is composed of three psychological faculties - to be either a pious or impious.

From the above mentioned sayings of the prophet and verses of the Koran we find that Islam is a source of the human civilisation so much as it is a wise guidance of man at the same time.

The contribution of Islam in this aspect is its enjoinder for the construction and the continuation of the human civilisation. Its precepts, for this reason, do not aim at mobilizing individuals neither for invasion nor for aggression, but it aims at the qualitative qualifications of Man that is humanity. The very accurate representatives of these qualifications in Man are both equity and carity.

Equity in fact is the equilibration in the case of individuals between what is craved for by the individual and what must be done by him; and in the case of society is the balancing between the individual's rights and duties. In so doing Islam has substituted equality for deprivation in the circle of individuals, and equilibration for selfishness in the circle of society. Hence there is no

place in Islam for the social classes and for their conflict since there is no reason for either. There exist only the common right of life for all. Equity is practised in saying as well as in doing. It can also be applied between two persons sharing the same goals as well as between other two with conflicting purposes as these all enjoy the common properties of humanity. In this respect God said: "Give full measure. And be not of those who diminish. And weight with a true balance. And wrong not men of their dues, and act not corruptly in the earth, making mischief" (Surah Al-Shu'ara: the poets, vers 181 — 183).

And when you speak, be just, though it be (against) a relative. And fulfil Allah's covenant. {This He enjoins on you that you may be mindful" (Surah Al-An'am : The cattle, verse 153).

And God said: "O you who believe, be upright for Allah, bearers of witness with justice; and let not hatred of people incite you not to act equitably. Be just that is nearer to observance of duty. And keep your duty to Allah. Surely Allah is aware of what you do" (Surah Al-Maidah : The Food, verse, 8).

Charity in its turn ranks above equity because it is not only the

the strength of his muscles as it is ascribed to the strenght of his heart gained through its faith, the strength of his mind acquired by knowledge, and the strength of his will achieved by following the straight Conduct.

In this conjuncture God's saying :— "If there are twenty patient men among yot they shall vanguis two hundred; and if there are a hundred, they shall rout a thousand disbelievers, for they are devoid of understanding".

This verse of Koran may clarify the meant power-Patience, which was to be a sign of this power and by means of which the lesser number qualified by it would have the uper hand all the more number deprived from this attribute, is a psychological power not a physical one.

We shall also find the estimation of quality is clear in the prohht's saying : "There will come a time when nations will invite each other to assail you and devour you as do the eaters of a delicious dish". "This will be because of our little number then O God's prophet ?" said the hearers of the prophet. "No, you will be numerous then but you will be as weak and helpless as the foam of the torrent." Answered the prophet. Afterwards we find in the holy Koran His glorious saying : "O people we have created you from

a male and a female and divided you into nations and tribes in order that you might get to know one another. The most nobleset of you in Allah's sight is the most pious".

These two verses state that the human nature is the same in every nation, in every place and in every time and that there is no differentiation in nature between a man and another. The distinction that could exist between an individual and another or between a group of individuals and another is not due to this nature but to what can be achieved within the circle of this human nature. Every individual human nature has the psychological faculties manifested in : Conception affection and will. The difference of an individual nature from another is not attributed to the increasement or the decrease of these faculties but to the benefit of them in guidance. The piety that is made cause of differentiation in His glorious saying :— "The noblest of you in Allah,s sight is the most pious" is the wise directing of the psychological faculties to conceive God only, to extend fraternity and love among peoples and to perform good deeds in the benefit of both individual and humanity. The human conception in its origin may be directed to the belief on the denial of the one god, the human affection may also be

In this connection, the values produced by a human being differ from that which are produced by another, be they in philosophy, poetry, drawing, photographing, sculpture, acting, music or law. The fundamental difference or distinction is not then due to the quantity of the production but to its quality.

It may be said too that the philosophy which is directed to racialism and that prefer certain races of human beings to others and the philosophy that adopts bestiality and mocks of the human values such philosophies are not fit for being a sound base for a human civilisation or rather such philosophies do not contribute substantially in this civilisation. In this respect they are surpassed by another philosophy that calls in its guidance for evaluating the human faculties wherever they are found either among individuals or among peoples.

The poetry which glorifies a nation, an individual or a group of individuals solely for their own sake not for the human values and faculties that are represented in this nation, this individual or these group of individuals, is valueless poetry that has a trifle share in building the human civilisation. Yet it may be a tool in its weakness and destruction. The different kinds of art which

stimulate man and make him value his bestial side or confer his estimation on the sectarianism is an art inconsistent with the measures of civilisation and consequently has nothing to do with its evaluation and duration. The law which is not based on the individual freedom, the equity among the members of society and the maintenance of the wise human behavior - these are human values - is destined not to go beyond the circle of its legislator and is void of fitness in the general human guidance. Hence it is lacking in the human form of civilisation.

*
* *

If we leave these component aspects of life and consider Islam - as a source of guidance for man - we shall find it evaluates the quality more than it does with the quantity. We shall find that its suitability in guidance is not confined to a particular tribe, people or race, but it pertains to the human being wherever he exists, and to people no matter how they are different in colour, place and time.

We shall find that the evaluation of quality in Islam represented in the saying of the prophet peace upon him: "The strong believer is better and more beloved to God than the weak one". The meant believers strength is not chiefly due

HUMAN CIVILISATION IS MEASURED

By

THE QUALITY NOT BY THE QUANTITY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

In fact not all human actions whether they are intellectual, conceptual, artistic, or actions pertaining to behavior participate in establishing the human civilisation, but the establishing action of this civilisation is that which emanates from Man representing a human faculty which distinguishes the human being from other creatures through its bearing on its human nature. This action is the true contributor in increasing the outcome of the human civilisation.

That it is because the fine intellectual action, the accurate conception, the eminent form of art, and the behavior in its wisdom and its straightforwardness are the radical basis of the human civilisation and the effective factors in its development and progress. This is so because in the above mentioned actions, the human effort is thoroughly represented and, the human will is clearly manifested. In these actions Man seems to have his own effectiveness because he, in these actions, seems to be

affected and becomes effective. effective through his thought, effective through his art and effective through his conduct in guidance and expression altogether.

Guidance and expression then have certain fitness that go beyond the circle in which the thinker, the artist or the author of the human behavior, exists and originates.

In this respect it may be said that human civilisation is a series of human values composed by man by virtue of his inventiveness or reached by him through his human nature.

These values have the fitness and consideration beyond the field of the society and environment where the inventor or the participant of these values exists.

The more the human thought, conception, art, or conduct is comprehensive in regarding the facts and in its guidance the more it contributes to the human civilisation and to its development and progress.

Al-Azhar will bridge the gap between the traditional systems of secular and religious education in the Muslim World. It will open the doors of practical life wide before its graduates to search for greater and new knowledge to help bringin about true happiness for mankind. The new reformatory system will help Al-Azhar to maintain its mission in graduating legislators, jurists, philosophers, scientists, and leaders of religion and Arabic language who understand God's Book and the Tradition of His Prophet.

Your visit to Al-Azhar may, therefore, be regarded as a great event that will be commemorated in

the life of this university which is considered the oldest existing university serving humanity.

This University, while welcoming you, regards this meeting as a tool for strengthening the ties between the Muslims of the U.S.A. and Canada and the people of the U.A.R. The one who deserves most of the credit for providing us with this opportunity of meeting you here is our President Gamal Abdel Nasser who has been fathering Al-Azhar as well as the Islamic movement here and abroad. May God materialise his hopes. which are ours, for the sake of Islam and humanity in general.

The Greeting Speech of The Rector of Al-Azhar

Sheikh Muhmoud Shaltout at the Muslim Immigrants

Conference in Cairo

In the Name of the Compassionate, Merciful God.

Thanks to God, the Lord of the Universe, and peace upon the Prophet Muhammad and his disciples who followed the enlightenment revealed to him.

Sons and brothers. Peace be upon you and God's Mercy and His blessing.

Al-Azhar, which has, for ten centuries, been maintaining the unique position of searching in God's Book for the articles of Islamic Law as well as of seeking insight into this physical world, welcomes and greets you today. When this great Institution extends both hands, it considers you a part of its extended family. The common goal in Islam is the thing which counts and not the geographical distance which may separate the Muslim communities. Islam, therefore, looks at you, the Muslims in the United States and Canada, with the same eyes it looks at your brethren in Europe, Asia, Africa, and Australia. All are follow-

ers of the common faith: the oneness of God, the belief in the message of Mhammad, peace upon him, and the belief in the Judgement Day. This faith is the center around which the Muslims gather. It is the extended cord from heaven to earth to lead the Muslims unified to the path of happiness.

This cord is God's only religion, "The only religion in the sight of God is Islam." For God does not accept any other religion but Islam. "He who adopts a religion different from Islam is not accepted and will be among the losers in the Hereafter."

Islam, which strengthens the ties among its followers to the degree that they become one integral unit, makes all of us feel the pains and misery of our brothers in Palestine, Algeria, Oman, and Bahrain. It makes us feel the pains of every freedom fighter anywhere.

Brothers and sons:

Al-Azhar, in all its capacities and in its modern era, welcomes you. The modern reformatory system of

"And the parable of those who spend their wealth to seek Allah's pleasure and for the strengthening of their souls is as the parable of a garden on elevated ground, upon which heavy rain falls, so it brings forth its fruit twofold; but if heavy rain falls not on it, light rain (suffices) And Allah is Seer of what you do" { Surah Al-Baqarh. The cow, verse 265).

This the value of offering for the sake of God's call and this is the truthful promise to those who give their money for this cause. This value and promise are unique repayment that are not attached to any prescription other than offering.

Prayer in spite of its importance and though it is the second pillar of faith is not accepted if it does not motivate the muslim to pay the assigned share for the poor in his money. Fasting and pilgrimage were not accorded such care as is the case in offering for the sake of God's call.

From the previously mentioned facts we can state that Islam does not evaluate any of its principles if it does not plant in the muslim's heart the emotion of kindness that urge a muslim to offer his money for the sake of God's call. This is what I believe in and what is meant by the glorious Koran.

This is a style which considers the offering in God's way or for the sake of God's call on the same level as faith itself. If we turn over the pages of Koran we shall find that the feeding of the poor is a radical condition to enable man to acquire his happiness. In this connection Koran says : But he attempts not the uphill road. And what will make thee comprehend what the uphill road is ? (It is) to free a slave, or to feed in a day of hunger, And orphan nearly related, or the poor man lying in the dust. Then he is of those who believe and exhort one another to patience, and exhort one another to mercy. These are the people of the right hand" (Surah, Al-Balad : The City, verses 11 — 17).

And "Hast thou seen him who belies religion ? That is the one who is rough to the orphan, And urges not the feeding of the needy. So woe to the praying ones, Who are unmindful of their prayer ! Who do (good) to be seen. And refrain from acts of kindness ! (Surah Al-Maun, Acts of kindness).

Related with this God informed us that the criminals would confess in their answer in the day of judgment when they would be asked as the Koran reads : What has brought you into hell ?

They would confess that their neglect in paying the poor's rights is among the cause of their torment saying in their answer as related in Koran : They will say : We were not of those who prayed ; Nor did we feed the poor, and we indulged in vain talk with vain talkers, And we called the day of Judgment a lie ; (Surah Al-Moddether : The one wrapping Himself up, verses, 43 — 46).

This is some styles that state the value of offering in God's way and for frightening from misery.

As for the urging of this offering Koran says : Who is it that will offer to Allah a goodly gift, so He multiplies it to him manifold ? (Surah Al-Baqarah, The Cow, verss 245).

"The parable of those who spend their wealth in the way of Allah is as the parable of a grain growing seven ears, in every ear a hundred grains, And Allah multiplies (further) for whom He pleases. And Allah is Ample-giving, knowing Those who spend their wealth in the way of Allah, then follow not up what they have spent with reproach or injury, their reward is with their Lord, and they shall have no fear nor shall they grieve". (Surah Al-Baqarh. The Caw. veres 261 and 262).

extravagance and luxury. Koran spares no effort to purify the Islamic group from these vicious attributes in order that it may prepare the souls for their duty towards both God and creatures, no matter what they give in this respect. Koran has original styles in asking for offering and in warning against misery that it fills the muslim's heart with sacrifice and that makes him certain that this offering is the right path to an indignant life through which both individual and group are guaranteed the happiness in this world and in the next world as well.

Of these expressive style the first, we are to meet every now and these through our readings in Koran, is that God does not mention faith except accompanied with offering money in His way, and feeding the poor. The chapter of Surah Al-Baqra : The Cow clarifies the qualities of the pious who are most benefited of the Koran and its guidance stating that among these qualities : Who believe in the Unseen and keep up prayer and spend out of what We have given them".

In exposing the radical goods demanded by God from His creatures Koran says : It is not righteousness that you turn your face towards the East and the West, but righteous is

the one who believes in Allah, and the Last Day, and the angels and the Book and the prophets, and gives away wealth out of love for Him to the near of Kin and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free and keeps up prayer and pays the poor-rate" (Surah Al-Baqarah. The Cow, verse, 177).

The chapter of the Spoil mentions offering among the ingredients of faith saying : Those who keep up prayer and spend out of what We have given them. These are the believers in truth. For them are with their Lord exalted grades and protection and honourable sustenance' (Surah Al-Anfal : Voluntary Gifts verses, 3 and 4).

The surahs of Women and Chambers mentioned faith accompanied only by the giving for the sake of God's call saying : And what (harm) would it do them if they believe in Allah and the Last Day and spend of that which Allah has given them? (Surah Al-Nisa. The Women, verse 39)

And "The believers are those only who believe in Allah and His Messenger, then they doubt not, and struggle hard with their wealth and their lives in the way of Allah. Such are the truthful ones" (Surah Al-Hograt : The Apartments, verse 15).

O my people, who will help me against Allah, if I drive them away? will you not then mind?

Mohammed, guided by His Lord to the same answer, said: And drive not away those who call upon their Lord, morning and evening, desiring only His pleasure. Neither art thou accountable for them in ought, nor are they accountable for thee in ought, that than shouldst drive them away and thus be of the wrong-doers." (Surah Al-Anaam, The Cattle, verse 52).

Related to the matter of those luxurssous people God has said: "And we never sent a worner to a town but those who led easy lives in it said: "We are disbelievers in that with which you are sent. And they say: "We have more wealth and children, and we can not be punished. Say: "Surely my Lord amplifies and straitens provision for whom He pleases, but most men know not. And it is not your wealth, nor your children, that bring you near to us in rank; but whoever believes and does good, for such is a duble reward for what they do, and they are secure in the highest places And those who strine in opposing Our messages, they will be brought to the chostisement. Say. "Surely my Lord amplifies provision for whom

He pleases of His servants and straitens (it) for him. And whatsoever you spend, He increases it in reward, and He is the Best of Providers." (Surah Saba: verses: 34—39)

Explaining the harmful doom of the luxurious people in this world God has said: "And how many a town which was iniquitious did we demolish, and we raised up after it another people! So when they felt Our might, Lo! they began to flee from it. Flee not and return to the easy lives which you led, and to your dwellings, that you may be questioned. They said: "O woe to us! Surely we were unjust. And this cry of theirs ceased not till we made them cut off, extinct." (Surah the prophets, verses 11—15).

And relating to their bad fate in the hereafter God said: And those on the lift hand; how (wretched) are those on the left hand! In hot wind and boiling water, And shadoux of black somke. Neither coal nor refreshing. Surely they lived before that in ease." (Surah Al-Waqiah: The Event, verses, 41—45).

An Enjoinment for offerin money in God's way.

Through these previously mentioned ways Koran has fought misery,

The Ruler' right :

Islam has made it right to the ruler to take forcibly the assigned share of the poor in the rich's wealth. In application of this principle the first khaliph (Abo Bakr) may God be pleased with him, did not hesitate to fight those who had refused to pay Zakah (Alms giving) until they yielded to carry out God's ordinance. This matter led to stabilisation of the Islamic nation and healed its dangerous breach.

It had also made it right to the ruler to prevent the extravagants from managing the wealth of minors and their like of those who could not wisely manage their own affairs as the following verse explains : And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education. And taste the orphans until they reach the age of marriage. Then if you find in them maturity of intellect, make over to them their property, and consume it not extravagantly and hastily against their growing up. And whoever is rich, let him abstain, and whoever is poor let him consume reasonably (Surah Al-Nisa : The women, verses 5 and 6).

Luxury is a wicked source :

Islam has also stated that luxury is a wicked source which fills the hearts with hatred and rancour and do away with the secured and established life. This devilish quality leads the people who commit it to deny the truth and to denounce the religious legislators. It plants selfishness among the social classes. There is none contradictory to God's religions but the luxurious people who antagonise these religions because it either degraded them to the level of the poor and the weak or raised the latter to their level. This could be clearly seen in the first religions as well as the latest one.

The people of Noah, for example, said to their prophet, intrifling his followers, "We see thee not but a mortal like us, and we see not that any follow thee but those who are the meanest of us at first thought" (Surah Hud. verse 27).

While the luxurious people at the time of the prophet Mohammed took the same attitude towards Belal and his brethren. The answer of Mohammed was the same as that of Noah when Noah said as it is related in Koran : And I am not going to drive away those who believe surely they will meet their Lord, but I see you a people who are ignorant. And

which Allah has given them out of His grace." (Surah Al-Nisa : The women, verse, 37).

"And those who hoard up gold and silver and spend it not in Aallah's way-announce to them a painful chastisement. On the day when it will be heated in the Fire of hells then their foreheads and their sides and their backs will be barned with it : This is what you hoard up for yourselves, so taste what you used to hoard" (Surah Baraat : The Immunity, verses, 34 and 35.

Islam has informed us that misery ensue man not to spend his money either in the performance of his duty or in the maintenance of his good and sends him to perdition as the following verse says : And spend in the way of Allah and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely Allah loves the doers of good). (Surah Al-Baqarah : The Cow, verse 195).

The prophet, peace be upon him, has said to warn against misery (Be ware of misery because it caused the perdition of your ancestors, it enjoined them desertion and debauchery and they follow its enjoiment) and (Be ware of misery because it sent your ancestors to their graves. It enjoined them to shed

their blood and to profanate their sacred relations).

I could not find a more expressive term than the above mentioned expression in depicting the social denger caused by misery. There is no doubt that it is of the most detrimental flaws that lead to disintegrity in societies and do away with both the life of nations and their development.

The Koran as well as the prophet,s saying have adopt this attribute towards extranagance as they have done with misery since it makes the nation spend its wealth uselessly. In this connection Koran says : "Surely the squanderers are the devil's brathren. And the devil is ever ungrateful to his Lord" (Surah, Al-Israa : The Israelites verse 27).

After depicting the bad results of both misery and extravagance Koran gathered them in one frame and guided us to the straight way that must be followed by the rich in order that they may preserve their lifes and be able to establish it on solid basis saying : " Make not thy hand tied (like a miggard's) to thy neck. Nor stretch it forth. To its utmost reach. So that thou become. Blameworthy and distitute" (Surah Al-Israa verse 29).

diffinite share in the rich's wealth for the poor and for those who struggle in God's way (for His call) or in the form of taxes imposed by the ruler according to the national need for reformative, and progressive projects.

The Koran has accorded great care to urge for the giving to the poor and distitutes and for the strive in the way of God. The word (way of God) is a word of the most distinguished words that have come in the Koran. This word particularly fills the heart with awe and solimnty and fills the universe with good and piety. Its meaning is but a sort of charity either in its private or its general meaning.

Islam fights misery and extravagance of the rich

Whereas the wealth belongs to God, men are all His servants and the world where they live and invest is God's wealth, whereas these all belong to God it is necessary that the wealth aught to be shared by His creatures, kept and utilised by them all. God has manifested this in His saying: "He it is who created for you all that is in the earth" (Surah, Al-Baqarah : The Cow, 29).

"And swallow not up your property among yourselves by false

means" (Surah Al-Baqarah : The Cow verse 188).

"And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

Islam has renounced misery that prevent the muslim from the wise giving and spending of his money. It also rebuked extravagance that leads to spending money wrongly. In doing that Islam aims at the purification of souls from selfishness and hatred. In this concern God has said : "And whoever is saved from the greediness of his soul, these it is that ar the successful". (Suraha. Al-Tagh-bun : The Manifestation of Losses, verse 16).

"And let not those who are niggardly in spending that which Allah has granted them out of His grace, think that is good for them, Nay, it is evil for them. They shall have a collar of their niggardliness on their necks on the Resurrection day. And Allah,s is the heritage of the heavens and the earth" (Surah, Al-Imran, The Family of Amran verse 179).

"Who are niggardly and bid people to be niggardly and hide that

This sort of co-ordination has nothing to do with the restriction of the right to ownership, but it is a direction required by the national need in order to enable the nation to enjoy its real freedom in full.

This coordination is, under these mentioned consideration, a duty encompent upon the ruler together with his nation. They are to be sinful in the case of its neglect or in completion.

The ruler is protecting both national interests and independence when he adopts this co-ordination aided by his people. They are, consequently preceeding their way that would lead them to their good and happiness. The ruler in applying this co-ordination is securing peace and tranquility for his nation.

Because of the usefulness of wealth to all individuals of the people and to all societies God has sometimes attributed it to Himself and sometimes to the whole community making of its owner His agents for its preservation and investment. These agents are responsible to Him to spend this wealth sparingly and wisely. According to the teachings of His sacred books, this conception is clearly manifested in the following Koranic verses : " Believe in Allah and His messenger, and spend of

that wherof He has made you heirs." (Surah Al-Hadid : Iron. verse, 7).

"And give them of the wealth of Allah which He has given you" (Surah Al-Nur : The light, verse 33). "And swallow not up your property among yourselves by false means" (Surah Al-Baqarh : The Cow, verse, 188).

And God said : "And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

In these verses God proved that both usurpation and mismangement of the wealth are really either an aggression on the nation or perplexity at its expense.

That wealth is a tool to be exploited for the interest of the entire society.

A tool which ensues the fertilisation of land, result in the rising of industry and bring about the prosperity of Commerce. Wealth is the tool that enables its owner to satisfy the need of distitutes and that builds the general and usful establishments either out of the emotions of co-operation and kindness or obedience of God's ordinances that assigned a

every Muslim to take a part in building his community by working hard at any field for the benefit of mankind. Thus the religion of Islam has imposed work on Muslims to realise the principle of the economic independence which enable the Muslim community to satisfy its needs by the hands of Muslims and not to depend on any kind of help from other nations.

If Muslims carry on this principle they would protect their country and safeguard their community from the interference of imperialism which spare no effort to occupy other countries under the curtain of exchange trades.

No doubt that these three means (Agriculture, industry, and commerce) are the strong pillars of the national economy of the nation who wants to live on independent sound life. Hence we have come to this conclusion it is necessary for the nation to do whatever can be done to realise the progressive achievements in the field of agriculture, industry and commerce, that is the call of Islam which encourages Muslims to live in sound and free life. It is so easy for us to know that the breach which allows imperialism to poke its nose into our affairs is the shortage in agriculture, industry and

commerce. Therefore the religion of Islam has imposed work on Muslims in the three fields mentioned above for the Muslim's prosperity and welfare.

The State - duty in protecting the economic independence :

It is the duty of the Islamic ruler to look after the interests of the Islamic group to guide his subjects and to do his best to make the whole nation enjoy their common interests.

The ruler is religiously ordered to co-ordinate this matter so that there will not be a concentration of wealth in the hands of one class of the nation. When need rises he is permitted to transfer some of the arable lands to commercial capital or to industrial companies aiming only at the common welfare of the people. In so doing he is coordinating the national interest in a way that makes the nation self-sufficient one.

In this case strangers could not find inlets to interfere in the national affairs. They would find instead that they are only permitted the right to the common exchanges existing in the Muslim community. This coordination is a wise one that benefits the nation and rescue it from the external interference, domination, and imperialism.

robbery and plunder. It is forbidden for Muslims to earn money through dealing in wines and pigs, or earning money by gambling and dancing. The religion of Islam made this clear for Muslims asking them to avoid unlawful means such as bribery, robbery and corruption, advising them to listen to the voice of the sound Conscience and to turn a deaf ear to the voice of evil.

Koran says : And swallow not up your property among yourselves by false means, nor seek to gain access thereby to the judges, so that you may swallow up a part of the property of men wrongfully while you know. (Surah Al-Baqarah : the Cow verse 188).

We can easily understand the high position of money and its great value from these verses of Koran which tell that God had punished those who dealt wrongly in money and earned it through unlawful means.

Koran says : So for the iniquity of the Jews, We forbade them the good things which had been made lawful for them, and for their hindering many (people) from Allah's way. And for their taking usury - though indeed they were forbidden it -

and their devouring the property of people falsely. And we have prepared for the disbelievers from among them a painful chastisement. (Surah Al-Nisa : The Women. verse 190-161)

Economic Independance in Islam :

When the religion of Islam has ordered Muslims to earn wealth through agriculture, industry and Commerce, it aimed at satisfying the material needs of the Muslim community which is in great need for both agriculture to get food for its individuals, and industry to smooth the human being's affairs related to his clothes, his house and his transportation from place to another. By virtue of industry man has been able to have strong machines for digging canals, making roads and to adopt ways that play a great role in the progressive achievements of the nation.

At the same level of importance the Muslim community needs to get in touch with the other people to exchange food and various articles. So the Muslim scholars have decided that Muslim should learn whatever art or trade which can be needed in this world. They mentioned some trades and arts to be an example of these things such as agriculture, and sewing clothes etc. It is the duty of

against evil—that is the best. This is of the messages of Allah that they may be mindful. (Surah Al-A'raf, the Elevated places. verse 26).

It was said to her : "Enter the palace. But when she saw it she deemed it to be a great expanse of water, and prepared herself to meet the difficulty. He said : "Surely it is a palace made smooth with glass She said : My Lord, surely I have wronged myself, and I submit with Salomon to Allah, the Lord of the worlds. (Surah Al-Naml verse 44).

Koran has advised Muslims to earn money through the three means mentioned above (Trade, Agriculture, and Industry), calling the earning of wealth seeking of Allah's grace" Hence wealth has this great value Islam has asked Muslims to go on with their work for seeking wealth except on the occasion of the Friday prayer, But when the Friday prayer is performed Muslims should go to their work and disperse abroad in the land seek Allah's grace.

Koran says : "O y you who believe, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of Allah and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abroad in the land and seek of Allah's grace, and remember

Allah much, that you may be successful. And when they see merchandise or sport, they break away to it, and leavd the standing. Say : "What is with Allah is better than sport and merchandise. And Allah is the Best of Providers. (Surh Al-Jumu'ah, the congregation. verses 9—11).

He it is who made the earth subseivent to you, so go about in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising (after death). (surah Al-Mulk : the kingdom. verse 15).

Koran demands Muslims to take great care of money advising them to spend it reasonably and warns them not to be either extravagant or miser. Koran says : "And they who, when they spend are neither extravagant parsimonious, and the just mean is ever between these." (Surah Al-Furqan : the Discpimination. verse 67).

And make not they hand to be shackled to they neck, nor stretch it forth to the utmost (limit) of its stretching forth, lest thou sit down blamed, stripped off. (Surah Al-Esraa The Isrealites. verse 29).

While Koran has ordered Muslims to do their best to earn money by lawful means, it has warned them not to gain a penny through Usury,

It is clear now that Koran has considered wealth as the strong prop of the happy life and made equal to ones children. Islam is a practical religion which arranges its injunctions on factual basis, answering at the same time the demands of soul and that of the body. Islam has guided us to the right path for man's spiritual happiness as well as for the material life which enable the individual to enjoy the lawful delights of his life. Islam has enjoined the individual to work hard, doing his best to earn money by lawful and righteous means through commerce, and commercial co-operation exchange.

Means of earning wealth

Islam has ordered Muslims to earn money through commerce, so the journeys of Arbs for trading have been mentioned in koran. They made journeys north word to Syria and southword to yemen, the former of which was undertaken in summer and the latter in winter.

Koran says: For the taming (ie civilising) of Qureysh. For their taming (we cause) the caravans to set forth in winter and summer. So let them worship the Lord of this House. Who hath fed them against hunger. And hath made them safe from fear.) (Surah Queysh). Islam has ordered Muslims also to earn

wealth through agriculture showing them how to prepare the land for cultivation. Koran says: "Then let man look at his food. How we pour down abundant water. Then cleave the earth, cleaving (it) asuder. Then cause the grain to grow therein. And grapes and clover. And the olive and the palm. And thick gardens. And fruits and herbage. A provision for you and your cattle. (Surah Abosa. verses 24-32).

Furthermore Islam has ordered Muslims to earn wealth through industry that Islam has considered as the strongest support for building up a powerful civilisation. In Koran you come accross meny verses about different kinds of industries such as the industry iron, of cloth, and tha, of mansions and houses building.

Koran says: "Certainly we sent our messengers with clear arguments. and sent down with them the Book and the measure, that men may conduct themselves with equity. And we sent down iron, wherein is great violence and advantages to ment and that Allah may know who helps Him and His messangers, unseen, Surely Allah is strong, Mighty. (Surah Al-Hdid Iroe.verse 25).

O children of Adam, we have indeed sent down to you clothing to cover your shame, and (clothing) for beauty; and clothing that guards

mother is the sixth, after (payment of) a bequest he may have bequeathed or a debt. Your parents and your children, you know not which of them is the nearer to you in benefit. This is an ordinance from Allah. Allah is surely ever knowing, wise.

And yours is half of what your wives leave if they have no child; but if they have a child, your share is a fourth of what they leave after (payment of) any bequest they may have bequeathed or a debt; and there is the fourth of what you leave if you have no child, but if you have a child, there is eight of what you leave after (payment of) a bequest you may have bequeathed or a debt.

And if a man or a woman, having no children, leaves property to be inherited and he (or she) has a brother or a sister, then for each of them is the sixth, but if they are more than that, they shall be shares in the third after (payment of) bequest that may have been bequeathed or a debt not injuring (others). This is an ordinance from Allah, and Allah is knowing, Forbearing.

These are Allah's limits. And whoever obeys Allah and His messenger, He will admit him to Gardens wherein flow rivers, to abide in them. And this is the great achievement. And whoever disobeys Allah and

His messenger and goes beyond His limits, He will make him enter fire to abide in it, and for him is an abasing chastisement". (Surah 1, V 11 — 14).

In this article we are going to explain many things about money: the value of money in Islam, how to earn it, how to invest it, how to spend it in the right ways, and why it is unlawful to be extravagant or miser.

The value of money in Islam

actually any one who studies Islam would come to a conclusion that Islam is the religion of life. So there is no wonder that wealth has a great value and high position in the Islamic system. Wealth undoubtedly is the foundation of the happy life. It is the strongest support to achieve scientific progress, to build cities, and to enable every body to live in good health enjoying a delightful life. Thus Koran has appreciated the value of wealth and described it as an adornment of the life of this world.

Koran says: wealth and children are an adornment of the life of this world; but the ever-abiding; the good works, are better with they Lord in reword and better in hope, (Surah 18, Vers 46).

MONEY AND THE ECONOMIC INDEPENDENCE IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The Islamic laws have arranged the financial affairs every of aspect of life and endeavoured to provide guidance and a proper solution to any financial problem. Islam has imposed Zakah (Alms giving) to solve the problem of poverty among the Muslim Community. Thus it is the duty of rich to offer a part of their wealth to the poor with the objective of building up a strong Community far from being weak or poor.

If the rich continue giving Zakah to the poor they would purify the poor's hearts and extinguish their hatred and ill feelings towards the rich. Hence love and friendship certainly would be engendered between them, and all of them would exchange good feelings and cause mercy and co-operation to prevail among them all.

The Islamic law has dealt with to solve the problem of personal property after the death of an

individual. The right of Inheritance as an Islamic principle proceeds to divide wealth among relatives in order to strengthen the ties between the members of a family and for the generations to come, thereby sons can share the fruits of their father's efforts.

The Islamic law has set up the principle of inheritance on the basis of justice and sound reason, and God Himself has arranged the shares of heritage between heirs in the holy Koran.

Koran says: "Allah enjoins you concerning your children: for the male is the equal of the portion of two females; but if there be more than two females, two third of what the deceased leaves is theirs; and if there be one, for her is the half, and for his parents, for each of them is the sixth of what he leaves, if he has no child and (only) his two parents inherit him, for his mother is the third; but if has brothers, for his

have any cause for complaint, because their university have turned into an international one which combines both old and new, the past and the future, the religious and the temporal.

It is now the duty of Azharites to strive hard, to work with all their might, to do their utmost to put this new law into effective operation out and to affirm that they have the ability to take their part in the revolution. In my opinion the Azharites are worthy of this reformation. They thank God for the realization of their hope and their full homage for the leader who issued the law and gave his best attention to that old university.

As a matter of fact, the successful outcome of this reformation is concentrated in Azharite's hands, because the government has issued the law and depended on them to lay the programme, to write the books and to carry both the law and the executive regulations out according to the dictation of both heart and conscience.

If the Azharites carry the new law out according to old plans, it

will be similar to the constitution of the old regime in that it had been quoted from up-to date rules and the best constitutions of great nations, but it was useless as a Koran inside an infidel's house or the light in a blind man's room. The Qur'an said in this respect: "Verily, never will God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls)". (Surah of the Thunder, Section. 2. Ver. 11).

Last but not the least, the re-organisation of Al-Azhar university is a great step towards the realisation of the dream which we and the other faithful people hoped to come true. This dream is to study the explanations of the Qur'an, the prophetic traditions, the Arabic language and the Islamic law on both religious and civic foundations. Consequently, Al-Azhar will maintain its old heritage and will share in modern progress, differences between its students and their counterpart in other institutions will be obliterated. Its culture will be united and Al-Azhar will occupy its worthy place in the field of modern civilization and the leadership of the world.

students in Al-Azhar university, have natural gifts of their own which are endowed on them by God, and that they look forward to a bright future. Because those students will perform their duties in the future for the benefit of the nation according to the teachings of Islam, they will have the right to be taught academic subjects in the interests of their life career. This cannot be realized unless they let aside their old thoughts, take part in modern progress, change their minds and thoughts to accompany the march of progress and carry out the instructions of the religion for their future personal happiness. Consequently, President Nasser has issued a law on the re-organisation of Al-Azhar, to be published in a series starting next month. The law has created a university of the previous mosque, made religion a mean of worldly achievements, used sciences as means of guidance and learned men as leaders. The law also set up a "Scientific committee for Islamic researches" which will liberate minds and urge them to abandon blind imitation pursue the prophetic traditions of lies. Promote islamic **law** as dictated by God and the teachings of his Messenger and to preach Islam all over the world as efficiently and attractively as possible.

The new law gave Al-Azhar

university the opportunity to graduate not only religious men, but also physicians with pious hearts, engineers of good character, makers and workers performing their duty honestly, and employers who work according to the dictation of conscience. The new law is also aimed at creating a good society: the dream of Azharite reformers from Sheikh Mohamad Abdoh till Sheikh Mahmoud Shaltout. Reformers who came before the present Rector, passed their life calling for the reformation of Al-Azhar, but failed to secure any official support.

God has willed that the reform to be effected by President Nasser and Sheikh Mahmoud Shaltout who are men of principle and strong faith. The history of Islam will record this reformation on its pages in bright words especially because it will be of great effect in the future of Arabism. Consequently, the Rectorship of Shaikh Shaltout for Al-Azhar will be very clear in its history. This is because his Rectorship constitutes an interval between the troubled times of the past, and present time in which the Azharites were accorded their full rights and a prosperous future assured for them.

By the re-organisation of Al-Azhar, the reformers have realized their hope and their dreams have come true. Azharites will no longer

This will provide a source of inspiration and guidance for the above three revolutions.

The term "Revolution" has no contradiction with the religion, neither is it against its spirit. As a matter of fact, Islam in itself is a revolution, a revolution against evil and corruption, and a war against tyranny and aggression. Because these abominable sins are still committed by the people, war against them and the revolution must continue. The revolutions needs only to be kindled by us to find the light which guides it on the right way.

The Good reformer and the Best leader who appeared by the will of God the almighty, is the only one who has the ability to kill Evil and replace it by good, to reconstruct what had been destroyed in the course of time, to raise the veil which covered the word of God to be very clear in all sights and to remove any doubts about the message of our Prophet Mohamed "Peace be upon Him". The leader can do this by flaming the candle of the religion and considering it a part of the five years reform project.

The Constitution of the United Arab Republic declares Islam as the official religion of the nation. The significance of this cannot be realized except if the religion has a great

effect on education, legislation and conduct. As a matter of fact, Al-Azhar as the oldest university all over the world - by the grace of God - is the best institute that has the ability to preach the right message of Islam and to unite the great Islamic nations. This will be realized, if Al-Azhar is given the opportunity to perform its message as planned by the revolution in response to the wishes of the National Union at its general conference of last year.

While we aspired at this revolution in our dream, our president Nasser was preparing for it to come true. He had the opinion of the reformers before him; it said that the world can be reformed only through the religion, and that the religion can be revived only by the re-organization of Al-Azhar university, and that Al-Azhar will bring about the progress of the east if it is developed to fit modern times. The importance of Al-Azhar is derived from its culture which has its origin in the source of revelation and the natural law. when this culture joins modern thought, they will interact with each other, and the result will be the cause of : the revival of God's religion, the efficiency of its legislation and the perpetual remembrance of God.

President Nasser as other reformers before him, is of the opinion that the forty five thousand Arab

FORTH REVOLUTION

COMES TRUE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief



Since the year 1952, the United Arab Republic has passed through three revolutions : First : the political revolution which liberated the country, brought about the withdrawal of British occupants and affirmed its independence on the bases of Unity, neutrality and peace. Second : the social revolution designed to establish a democratic system for the people and to build the new society on love, equality and brotherhood. Third : the economic revolution aimed at introducing socialism as a system of life in the country, and the establishment of the people's wealth on foundations of justice, fraternity and co-operation.

These three revolutions constitute the people's full active and creative power, unleashed by a wise leadership having the best interests of the people at heart, which destroyed the corrupt regimes of the past and constructed a new system on solid foundations and ploughed the land for the best fruit.

But the revolutionary constructional powers will not alone cope

with the establishment of the good society which is worthy of the modern and progressive man. Indeed, the revolution is able to turn the iron very soft, to cultivate rocks, to harness the Nile, to extend knowledge, to spread prosperity and abundance, to facilitate the life of both the industrial worker and the land labourer and to provide the army with formidable means of power. But in spite of all that, the revolution cannot plant piety in the heart of the ill-souls, neither can it bring dead conscience back to life : As a proof, we notice that within nine years we have become an independent nation which says to be heard, asks to be answered, strives hard to succeed and plants to ripe. All those results are realized through a democratic and just Government and the moderate socialist system which urge one to help all and all to help one, we still find among us the thief, the bribed, the hypocrite, the dishonest, the destructive, the careless, the liar and the forgers. Consequently, we find ourselves in need of a fourth revolution : The religious revolution

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر ربيع

فهرس المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المستشار

إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة

ت ٤٦٢١٤

يشترك في الترخيص

عبد الرحمن محمد والعقار

بدل الاشتراك

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية

والمدارس والطلبة يتيسر لهم

الجزء الرابع - ربيع الآخر سنة ١٣٨١ هـ - سبتمبر ١٩٦١ م - المجلد الثالث والثلاثون

العلماء والطلاب

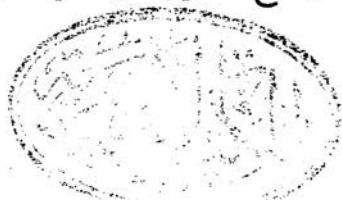
من ذكريات الأزهر

كيف عرفت الشنقيطي

بقلم: أحمد حسن الزيات

- ١ -

كنت في مولد هذا القرن غلاما ناشئا
أهوى الأدب وأحفظ الشعر وأعاجل القريض .
وكان مجلسي المختار يقع في الركن الغربي
من الرواق العباسي بالأزهر ، في رفقة من
الطلاب كانوا كأنهم الثريا لا يفترون لا في
الدرس ولا في المذاكرة ولا في الرياضة .
وكنا على خلاف إخواننا الأزهريين في ذلك
المعهد نقرأ الصحف ونغنى الأندية ونتبع
المعارك الأدبية في الضياء لليازجي ، ومصباح
الشرق للويلحي ، والمؤيد لعل يوسف .
وكان حديثنا وحديث المتأدين يدور على
ما تتناقله الأفواه وتتداوله الصحف من الجدل
المضطرم الحاد بين الحافظ الحجة الشيخ محمد
محمود الشنقيطي وخصومه من علماء الأزهر
وأدباء العصر ، وكان الشيخ قد هاجر منذ
قريب من مدينة الرسول إلى القاهرة المعز



جاء البادرة قوى المعارضة ، يجادل عن نفسه
بالجواب الحاضر والدليل المفعم واللسان
السليط .

كان لا ينفك يتحدث رجال اللغة بالمسائل
الدقيقة والنوادر الغريبة مستعينا على جهلهم
بعده ، أو على نسيانهم بحفظه ، حتى هابوا
جانبه وكرهوا لقاءه ، وأصبحت حياته سلسلة
من الخصومات الأدبية سجلها بالشعر اللاذع
والنثر القارص في كتابه (الحاسة) . وأكثر هذه
الخصومات كانت بينه وبين أحمد البرزنجي في
المدينة ، والنيل في تونس^(١) ، وحزة فتح الله
وابراهيم اليازجي وسليم البشرى وعبد الكريم
سلمان في القاهرة .

اجتمع ليلة الاحتفال بالمولد النبوى
الشرىف في دار السيد عبد الباقي البكرى بجماعة
من كبار العلماء يتصدرهم إمام المالكية
الشيخ سليم البشرى . فخلا لبعضهم أن
يتحدرش به فسأله سؤال المنكر عن رأيه
في صرف عمر وخروجه على إجماع النحاة ،

(١) كان موضوع الخصومة بينه وبين أديب
المدينة وطالم تونس أنهمنا لحنا الامام مالك رضى الله
عنه في قوله في باب النذور من موطنه : (وعليه
هدى : بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلا هي)
فهما يقولان : إن مقتضى الظاهر أن يقول : إن لم
يجد إلا إياها ، وهو يقول : إن وجد معنى غنى
من الوجد وهو النفي فلا تحتاج إلى مفعول ، وقد
أفردوا في المسألة مؤلفين ، مؤلفا لها ومؤلفا له .

فوجد من الإمام محمد عبده لقاء جميلا وعطفا
كراما ، فأجرى عليه رزقا من الأوقاف ،
وكل إليه إحياء الأمهات العربية الكبرى ،
فذكر النخص وحرر القاموس وأملى
الأراجيز ، وإلى ذلك يشير في رثائه لنفسه
من قصيدته المسمية المطولة :

تذكرت من يبكى على فلم أجد
سوى كتب تخنن بعدى أو على
وغير الفتى المفتى محمد عبده

صديق الصدوق الصادق الود والسلم
فعمم العلوم كنت أنزلها له

إذا اعتاصت ارواها على كل ذى فهم
مخصصها المطبوع يشهد مفصحا

بحفظى هند الحذف والبتر والخرم
بذا يشهد المفتى وأصحاب طبعه

ولا يكتمون الحق كتمان من بكى
وقاموسها المشهور يشهد في الضحى

بذاك وفي بيض الليالى وفي الدم
وكان الأزهر قد درج طويلا على إغفال

اللغة والأدب من مناهجه حتى أدخلهما الأستاذ
الإمام في الدراسة الحرة ، وجعل دراسة اللغة

للشيخ الشنقيطى ، ودراسة الأدب للشيخ المرصفى .
وكان ابن التلاميذ آية من آيات الله في حفظ

اللغة والحديث والشعر والأخبار والأمثال
والأنساب لا يند عن ذهنه من كل أولئك

نص ولا سند ولا رواية . وكان شمس الطبع

النصارى . فقال له إنما ألبس ما كان يلبس الرسول ، أما أتم فتلبسون الخفاف الحجر وهى لباس نساء المغرب ، والخفاف الصفر وهى لباس نساء المشرق ، فأنكر البشرى أن يكون الرسول صلوات الله عليه قد لبس خفين أسودين ، وقال إن الإجماع منعقد على خلاف ذلك ، فرد عليه بأن رواية الإثبات تثبت أن النجاشى أهدى إلى الرسول خفين أسودين فلبسهما ، ثم انفجر عليه بما روى الترمذى وابن ماجه وأبو داود والبيهقى ، يؤديه عن ظهر قلبه كأنما كان يتلو من كتاب ، فلم يجد الشيخ البشرى رحمه الله درءا لهذا السيل إلا أن يطعن فى الرواية والرواة ، وانتقلت المجادلة من دار البكرى إلى دور الصحف ، فكتب الشيوخ ، ورد الشيخ ، واستطار بينهم الخلاف أكثر العام فسماء الناس دعاء الخفين الأسودين .

— ٢ —

ترامى إلى مجلسنا بالرواق ذات ليلة أن الشيخ الشنقيطى قد نشر كتابا سماه (الحماسة السنية ، الكاملة المزية ، فى الرحلة العلمية الشنقيطية المركزية) صدرها بمأولة له فى خمسة ومائتى بيت من بحر الطويل وقافية الميم مطلعها :

ألا طرقتى فنى مطلع النجم
غريبا عن الأوطان فى أمم العُجم

فقال له : إنما صرفته بالأدلة القاطعة والشواهد الصريحة ، وخطأت جميع النحويين من سيويه إلى ابن هشام فى قولهم إن عمرا ممنوع من الصرف لأنه معدول عن عامر ، والحق اليقين أنه جمع لعمرة وهى الحج الأصغر ، وبه سعى عمر ابن الخطاب ومن قبله ومن بعده ، فهو علم منقول عن جمع نكرة ، وما كان كذلك من الأعلام صرف إتياما لأصله ، ككلاب وضباب وأنصار وأنمار ، وجمعت من الشواهد على صرف عمر مائة شاهد ونيفا ، منها قول كعب الأشقرى :

يا أيها الزارى على عمر
قد قلت فيه غير ما تعلم
ومنها قول بشار العقيل :

إذا أيقظتك حروب العدا
فنبه لها عمرا ثم نم
فقال الشيخ عبد الكريم سلمان : ولم لا يكون التنوين فى بيت بشار للضرورة ، وتكون الرواية فى بيت كعب بالفتح الممدود لا بالكسر المنون ؟ فقال له فى حدة عصية ولهجة مغربية : إنك بالعروض أجهل منك بالنحو ، ومثلك لا يناشئ .

فهم بالرد الشيخ سلمان ولكن الشيخ البشرى مال بالنقاش إلى جهة يراه القوم فيها واحد الأحاد وهى السنة . فقال للشنقيطى : إنك تلبس خفين أسودين وذلك من لباس

الأصيل - وكانت بأول شارع الباطنية من
حى الأزهر - فدخلناها فإذا هى ديرة ذات
طابقين صغيرين ونصف طابق فوق السطح كان
يسكنه الشيخ هو وزوجه وخادمه . صعدنا
إليه فى درج براه الزمن وهو وجه فلا تستقر
عليه قدم ، ودخلنا عليه ردهة غير مسقوفة
انسدلت على نافذتها ستارة فلا تطلع على غيبتها
هين . كان جالسا على فروة بيضاء فوق كليم
انبسط على نصف المسكان وانتشرت على
حواشيه بعض الأدوات المنزلية .

لم أكن رأيت الشيخ من قبل ، كان شخصا
ينصُر كما يقولون فى صرة : هيكل ضئيل ،
وبدن نحيل ، ووجه ضامر ، ولون أخضر ،
وصوت خفيض . فمن يره أول مرة لا يصدق
أن هذا الجرم الصغير قد جاب البحر والبحر ،
وطاف الشرق والغرب ، وكانج الأنداد
والخصوم ، ورعى صدره الضيق معاجم اللغة
وصحاح السنة ودواوين الشعر وعلوم الأدب ،
وكان يلبس قفطانا أبيض من القطن ،
ويرتدى جبة دكشاء من الصوف ، ويعتم
عمامة مكية قد أرخى لها عذبة على ظهره ، فلما
رآنا هش بعينه وبش بغمه : فقبلنا يده ثم
جلسنا بين يديه . كان كل ما فى الردهة يرف
بالهدوء ويشف عن النظافة ، فلا حس
ولا حركة ولا هباءة إلا ما يقع فى أسماها من
أصوات الباعة على بعد وكانت الخادم الحبشية

روى فيها حديث سفره إلى مدينة استوكلم
عاصمة السويد لإجابة لدعوة ملكها أسكار الثاني
ليشهد مؤتمر المستشرقين الثامن الذى اجتمع
بها فى سنة ١٣٠٦ هـ ، فوصف الرحلة ومدح
الداعى وذكر جملة من أمر حياته ورحلاته
وتحقيقاته ، ثم ختمها برثاء نفسه ، وسرد
لأسماء أشهر القبائل العربية جريا على المنهج
الذى اقترحه عليه سفير السويد بمصر السكونت
كارلودى لندبرج ، وهو مستشرق سعى نفسه
(عمر السويدي) ونشر بعض المخطوطات
العربية كشرح ديوان زهير للأهمل الأندلسي
الشنتمري ، وكان الشيخ يومئذ فى الآستانة
فسافر إليها ليلقاه ويدعوه فشرط عليه الشيخ
بعد إذن الخليفة عبد الحميد الثانى أن يصطحب
ثلاثة من علماء العربية ومؤذنا من المتعلمين
وطاهيا من المسلمين . فأجابه إلى ما شرط .
ولكن الرحلة لم تتم لأسباب يعرفها قصر الخلافة .
كان الشيخ لا يبيع هذا المكتتاب وإنما
يهديه إلى من يحسن القراءة فيه من طلاب
العلم أمامه . وكنت فى ذلك الحين هش العود
لا أظننى أثبت على عجمه ؟ فتفاديت ذلك
الخرج بنظم قصيدة فى مدحه من بحر قصيدته
وقافيتها . ثم حملنا متوكلا على الله وذهبت
إليه . وكان صديقى الطيب الذكر محمود
حسن زناقي قد سبقنى إليه فأثبت قدرته
وأخذ نسخته . فصحبني إلى داره وقت

وكان أحدها يقرأ مطولة الشيخ الأولى وفيها قوله : إلى مثلها يصبو الحليم صبابة - فقال الطاب : إن هذه الشطرة مسروقة من معلقة امرئ القيس . فقال له الشيخ فى غضب وحدة : المسروقة عينك العوراء ! إن للعرب أليانا وأسطارا شاعت شيوع الأمثال فليكن شاعر أن يستعملها كة ولهم :

وقوفاها صحبى على مطيهم .
وقولهم ، تبصر خليلي هل ترى من ظعائن .
وقولهم : فدعها وسل الهم عنك بحسرة ، وهذا من ذاك .

كذلك أذكر أن الشيخ كان كلما انقلب من صلاة الجمعة دعا بالشيخ لإمام السقا خطيب الجامع فى تلك الأيام وكان رجلاً طاهر القلب ظاهر الورع ، فإذا جاءه أخذ يعنفه أشد التعنيف على اقترافه الكذب على الرسول بما أورد من الأحاديث الموضوعة فى خطبته ثم لا يخليه حتى يستغفر الله ويتوب .

فلما تكرر هذا الموقف كان الشيخ السقا يتحاشا فلا يكاد يخرج من الصلاة بالتسليم حتى يخرج من المسجد بالركض !

رحم الله الشيخ ومن جرى ذكرهم معه من الشيوخ ، وجزاهم الخير وجزاهم على ما قدموا للغة القرآن وفقه السنة وعلم العربية من حسن القول وإخلاص العمل وصدق الغيرة .

أحمد حسن الزيات

المعجوز قد أقيمت فى سكون وأدب بأكواب الشاى الأخضر فشربنا ، ثم أخرجت القصيدة من جيبى وأخذت أتلوها فى رجفة خفية وهيبة ظاهرة ، والشيخ يستمع ولا يظهر على مخايل وجهه البرزى ما ينم على استحسانه أو استمجاناه ، حتى بلغت إلى قول منها :

رفعت درفس الدين بالعلم والتقى
وصدت لسان العرب بالحفظ والفهم
فقال : ما الدرفس ؟ قلت : الراية .
فقال : أتخفظ شاهدا عليها ؟ قلت : نعم ،
قول البحرى :

والمنايا مرائل وأنو شر
وان يزجى الصفوف تحت الدرفس
فقال : أحسنت ، بارك الله فيك . وانتهت التلاوة والزيارة بأخذ النسخة ، ثم لزمته بعد ذلك إلى أن فارقتا إلى لقاء ربه . لزمته أنا وأربعة أو خمسة من الرفاق فكسنا فصلى معه الجمعة من كل أسبوع فى الجامع الأزهر . ثم تجلس أمامه بالجانب الأيمن من المنبر فنقرأ عليه ساعة وبعض الساعة ثم ينصرف إلى داره ، قرأنا عليه كتابه (الحماسة) ثم ديوان المعلقات . وكانت طريقته فى التلقين أن يعنى بدقة الضبط وصحة الرواية ؛ فلا يشرح لفظا ولا يفسر معنى إلا إذا سأله . ومن النوادر التى أذكرها أن طالبا من كانوا معنا كانت فيه سذاجة وغفلة ، وكانت إحدى عينيه مظللة .

الجمهورية العربية المتحدة

تلقى نور محمد باليمن

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

مستقيم، ثم يمتن الله على المؤمنين نسل إبراهيم فيقول : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، ثم يمتن به مرة أخرى فيذكر صلته بهم ، وما يملأ قلبه من الرأفة والحرص على خيرهم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم المؤمنين ردوف رحيم ، .

كانوا في ضلال مبين ، ضلوا به طريق الحكمة والهداية والإرشاد وأفسد عليهم تصورهم لحالهم وتصورهم لمجتمعهم الإنساني الفاضل ومسلات قوى الشهوة والغضب ، وحب الاستعلاء والطفیان نفوسهم ، وبذلك ارتدت البشرية في هذا الوقت وداء قاتما خشنا لا يرى من نسجه منفذ ترسل منه أشعة الهداية ضوءها عليه ، وبذلك قطعت صلتها بخالقها فأفكرت ألوهيته أو عبثت بها ، وجبت ما لا يسمع ولا يبصر ، وخشعت لما لا ينفع

يحتفل المسلمون في شهر ربيع الأول من كل عام بميلاد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو استجابة الله لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ وقف هو وولده إسماعيل يرفعان القواعد من البيت ويدعوان : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ثم خصا وقالوا : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ، .

هذا هو محمد الذي حقق الله به دعوة أبينا إبراهيم ، وهو النور الذي جاء في قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط

(*) الكلمة التي وجهها فضيلة الامام الاكبر إلى المسلمين في عيد الهجرة النبوية المكرمة .

لأفترة النمو والإعداد حتى وافته رسالة السماء . قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

جاءكم ذلك الشفاء يحمل عناصر دوائه رسول الله محمد بن عبد الله : : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويشرح المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، يهدي للتي هي أقوم في العلاقة بالخالق وبالناس ، في العلاقة بالبناء والتعمير ، في العلاقة بالحرية والنظر في ملكوت السموات والأرض ، في العلاقة بظاهر الكون وباطنه : : أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون ، في العلاقة بين الغنى والفقر ، في علاقة الناس وتعاون بعضهم ببعض : : قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون .

وبهذه الرسالة المحمدية تبوأ الروح الفطري مكانه من الضمير العالمي ، فبدل قسوته رحمة ، وضلله هدى ، ومرضه شفاء ، وانحرافه استقامة ، وجعله علماً ، وخوفه

ولا يضر ، وقطعت صلتها بأسرتها ورحمها فوأت البنت ولها مكاتها في الحياة ، وأكرهت الفتاة على البغاء ولها عفتها وشرفها ، وقتلت الأولاد زينة الحياة الدنيا ، وذخيرة الحياة الآخرة ، وبهم قوام الحياة العاملة وقطعت صلتها بمجتمعها فتحكمت في العقائد والأخلاق وسنن الاجتماع واتخذت أساس معاملتها القوة الغاشمة ، والتسخير والإذلال ، وبذلك خلت من الرحمة والشفقة ، وهزفت عنها البر والإحسان .

هذا مثل الروح الفطري بعد ما أفسدته البشرية الضالة . والروح الفطري روح نقي طاهر لا يسكن في ظل تلك الحياة الفاسدة المضطربة الملوثة بدم الأبرياء وأموال الضعفاء ، فاختلس نظرات ضعيفة يستعطف بها خالقه ، فنفذت تلك النظرات إلى ما وراء تلك الحجب المتركمة واتجهت إلى مصدر الخلق والإيجاد ، مصدر الرأفة والرحمة ، مصدر الهداية والإنقاذ . وإذا سألك عبادي عنى فيأتى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان .

فاستمع الله له وهو السميع العليم ، ونظر إليه ، وهو الرؤوف الرحيم ، وفي هذه الآونة انطلقت بشرى الإنقاذ بميلاد محمد بن عبد الله ، فاهتز قلب العالم ، واشتراب الروح الفطري إلى السماء ، وأخذ يقلب وجهه فيها . وما هي

الإسلامي إليها ، بل العالم كله ، وبه اتخذها المسلمون في جميع بقاع الأرض كعبة ثانية يحجون إليها في كل حين ، ويعترفون من منله العذب ما يضيء لهم طرق الحياة ، ويسعدهم في الدنيا والآخرة ، وكان مصداق ذلك كله قوله تعالى : « قلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

وقد تكاملت في هذا الأزهر - وفي هذا العام - مواد الهداية والإرشاد ، والبناء والتعمير ، وأصبح المسلمون به في جميع بقاع الأرض يلتفون حول مائدة واحدة ، هي مائدة العلم بسكتاب الله وسنة رسوله ، مائدة البحث ومعرفة أسرار ذلك النور الإلهي الكريم .

أيها المسلمون : استقبلوا ذكرى ميلاد الرسول بالعلم والعمل ، وما كانت حياة الرسول إلا عملاً متواصلاً لخلق العزة والكرامة في نفوس المؤمنين ، وخلق البر والإحسان بالفقراء والمساكين . والسلام عليك يا رسول الله .

محمد وسنته

أما ، واضطرابه استقراراً ونظاماً : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » .

هذا هو محمد الذي تحتفل بمولده البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها في شهر ربيع الأول من كل عام هجري ، ولقد كان من حظ الجمهورية العربية أن تلقت باليمن نور ذلك النبي وهداية ذلك الرسول ، تلقت به الجمهورية العربية باليمن ، واحتضنته ، واحتفظت بمنابعه : - كتاب الله وسنة رسوله ، ثم انفردت بحمله والاحتفاظ بترائه ومعانيه وأحكامه وحكمه ، انفردت بحمله في أزهرها بعد أن صبت فيه جميع أنهاره وجداوله التي أنسابت من أمما كنه الأولى ، وكانت الجمهورية العربية بذلك حقا هي الوارث البار للزكاة الخالدة . وكان الأزهر خادمها الأمين ، وحارسها القوى ، حتى لفت أنظار العالم

من المتاركة بين اللغات

الجملة الاسمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

إلى اللسان كما يظهر من غلبة الجملة الاسمية على السنة الأوربيين وغلبة الجملة الفعلية على السنة الناطقين بالضاد .

وقد سمعنا هذا الرأي الأخير من مستشرق معروف بالقاهرة يميل إلى التصوف ويكتب في موضوعاته .

ولا يخفى أن هذا الاختلاف بين لغة الضاد واللغات الأوربية له دلالاته التي لا ريب فيها ، ولا يمكن أن يحدث لغير سبب يقبل التعليل كما تقبله جميع الظواهر اللغوية ، على حسب نصيبها من الجلاء أو الغموض في مراحلها التاريخية .

إلا أن التعليل الذي يرتضونه لهذا الاختلاف غير مقنع ، وقد يكون مناقضا للواقع عند التأمل فيه من بعض نواحيه .

وأول مواضع الخطأ فيه أن القول بتغليب الفاعل على الفعل في اللغات الأوربية غير صحيح ، فإن مكان الفعل في تلك اللغات أثبت من مكانه في لغة الضاد ، ويجوز أن يخلو مكان الفعل الظاهر من الجملة العربية وتفيد معناها المستقل مع تقديره أو تقدير ما ينوب عنه ، فيجوز مثلا أن يقال

الجملة في اللغات الأوربية اسمية ، يتقدم فيها الفاعل على الفعل ، ولا يتقدم الفعل فيها إلا شذوذاً في حالات قليلة جداً أهمها حالة الدلالة على المفاجأة ووقوع الفعل على غير انتظار ، فإذا تقدم الفعل لمثل هذا السبب فهم لا يجعلون ذلك قسماً معدوداً من أقسام التراكيب اللفظية ، أى إنهم لا يقسمون الجملة إلى اسمية وفعلية من أجل ذلك ، ولسكنهم يحسبونه عارضا من هوارض القلب Inversion التي يحدث فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل كما يتقدم حرف الجر أو الظرف أو الصفة ، لمناسبة يقتضها التعبير .

وبعض الغربيين من أصحاب نزعة التصوف والتحليل النفساني الحديث يردون تأخير الفاعل في لغتنا إلى نوع من " القسورية " ، الشرقية التي تحيل كل شيء إلى الغيب ، ومنهم من يقول إن الاختلاف بين الأوربيين وأبناء اللغة العربية في مسألة الجملة الاسمية إنما هو اختلاف في درجة الشعور بالثبوت ، للشخصية الإنسانية ، فإن " ثبوت " هذه الشخصية ملازم للتفكير الأوربي ولكنه ضعيف عند الشرقيين يسرى ضعفه من الفكر

عنايته بالاسم مقدمة على عنايته بالإخبار عنه ،
ولكن الأوربي يعكس وضع الكلمتين
على نحو لا يسيغه العربي . ولو لجأ فيه
إلى التأويل والتقدير .

ويجب أن نذكر أن الفاعل لا يكون دائماً
« شخصية إنسانية » ، يدل تقديمها على ظاهرة
« الثبوت » ، لهذه الشخصية ، بل يتفق كثيراً
أن يكون الفاعل جماداً أو نباتاً أو معنى
من معاني التي يضعها للعقل العربي بموضعها
الصحيح من الإدراك ومن الإهراق .

فالقول في الذهن العربي هو اسم يقابل
الفعل المسبوق بعلامة المصدر ، ومن هنا
يتساوى « القول » و « أن نقول » في الإدراك
الصحيح .

وإذا جاء الأوربي فقال بلغته مثلاً :
« إن القول يناسب المقام » ، فليس هنا ظاهرة
من ظواهر الثبوت للاسم ، لأن الاسم المصدرى
في حقيقته بديل من الفعل مسبقاً بالعلامة
المصدرية .

وكذلك قوله : « الماء عذب ، والهواء
طالق » ، والنور ساطع » ، وغير ذلك من قبيله
حين يكون للفاعل غير إنسان ، فهذه كلها أسماء
لا يدل تقديمها على تأكيد ظاهرة « الثبوت » ،
لشخصية الإنسانية ، ولا فرق فيه بين « القدرية »
« الشرقية » وبين « الواقعية » الأوربية بالنسبة
إلى الفاعل الظاهر أو الفاعل المستور .

(رجل في الدار) ويفهم منها ما يفهم من قولهم
باللغات الأوربية (رجل يوجد في الدار)
أو ما يفهم من قولنا بلغتنا العربية (رجل
موجود في الدار) .

بل يجوز أن نفهم من الجار والمجرور
بلغتنا ما يفهم من معنى الصفة حيث نقول :
« رجل : في الدار خير من ألف رجل
في الطريق » .

ولكن الأوربيين لا تتم عندهم الجملة
على وضع من هذه الأوضاع بغير الفعل
الظاهر ، فإذا وردت في كلامهم فقرة من جار
ومجرور لا يصحبها فعل ظاهر أطلقوا عليها
اسم « العبارة » ، Phrase تميزاً لها من « الجملة » ،
Sentence التي اشتقت عندهم أصلاً من مادة
الفهم أو مادة الإدراك ... فكل كلام خلا
من الفعل الظاهر عندهم فهو لفظ غير
مفهوم .

فغير صحيح إذن أن اهتمام الأوربيين بالفعل
دون الفاعل أضعف من اهتمام الشرقيين
أو اهتمام الناطقين بالضاد .

وشبهه بهذا إن الصفة عندهم متقدمة
على الاسم الموصوف ؛ ولا يخفى إن الصفة
تشبه الفعل على وجه من الوجوه ، وهو وجه
الإخبار عن الاسم الموصوف .

فالعربي يقول « كلام جميل » ، أو « فضل
عظيم » ، فيلحق الصفة بالموصوف ، ويحمل

على الفعل ، ولكنه تقسيم للكلام على حسب مواضعه ، وتصحيح لموقع الفعل وموقع الفاعل من إرادة المتكلم وفهم السامع .

ومثى ثبت لنا الفرق بين موقع الفعل والفاعل في الجملتين الاسمية والفعلية فالافتاء بالجملة الاسمية كما تقع في كلام الأوربيين نقص منتقد وليس بالمزية التي تدل على السكال والارتقاء .

وليس في وسع من يفهم مواقع السكلم أن يحل الفارق بين قولنا « محمد حضر » وقولنا « حضر محمد » .

فإننا نقول « محمد حضر » إذا كنا ننتظر خبراً عن محمد أو عن حضوره على الخصوص؛ وأكسنا نقول « حضر محمد » لمن يسمع خبراً من الأخبار على إطلاقه ولا يلزم أن يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور ، بل لعل السامع كان ينتظر كلاماً عن حسن وعن على كما ينتظره عن محمد ، أو لعله خبر سفر وليس بخبر حضور منتظر أو غير منتظر .

وأوسع من ذلك في وسائل التفرقة أن اللغة العربية تسمح بابتداء الجملة بحرف الجر وتؤدي بذلك معنى تحسبه الأجرومية الأوربية مجرداً من الكلام المفيد .

فإذا قال العربي : « في الدار رجل » ، فهم كلام مفيد ، وتقديم الجار والمجرور فيه (البقية على الصفحة التالية)

وقد نسي أصحاب التعليقات التي قدمناها أن اللغات الهندية الجرمانية تتكلم بها أم كثيرة مختلفة الأمزجة والأفكار ، من أقصى حدود الهند إلى أقصى حدود القارتين الأمريكيتين ، فليست تراكيبها اللفظية دليلاً صالحاً لتعليل الاختلاف بالعقول والأفهام أو بقواعد النحو والبلاغة .

ولست التعليقات التي أشرنا إليها بصالحة إذن — لتفسير الاختلاف بين هذه اللغات وبين لغتنا العربية ، ولا بد من علة أخرى تفسر هذا الاختلاف ويوافق تفسيرها الواقع على نحو أقرب إلى الإقناع .

هذه العلة الأخرى بسيطة سهلة على الذهن ، وإن تكن من جانب الأوربيين عسيرة على العصبية القومية .

علة هذا الاختلاف أن اللغة العربية أوفى وأكمل من اللغات الأوربية ، وأن اللغات الأوربية انتقلت من أطوارها الأولى إلى أطوارها التي ازدهرت فيها قبل أن « تنوع » ، فيها أوضاع السكلمات والجلس على حسب موضوعات التفكير والإدراك .

ويغنيننا عن الإطالة في هذا الباب أن نذكر أن الجملة الاسمية موجودة في اللغة العربية وليست مع وجودها قليلة الاستعمال في مواضعها ، فليس تقديم للفعل على الفاعل فيها عجزاً عن التركيب الذي يتقدم فيه الفاعل

كان مولد محمد مولد عالم جديد

للأستاذ حسن عباس زكي

وزير الاقتصاد والخزانه

لم تعرف الحقيقة الروحية ميلادها على هذه الأرض إلا منذ أربعة عشر قرناً في ميلاد محمد ولم تدرك غايتها عن الوجود إلا في وجوده .

كانت الأرض قبله في ظلام يلفها من أقطارها ، كانت مرتصا خصبا للأوهام

[*] نص المحاضرة التي ألقاها السيد الأستاذ حسن عباس زكي وزير الاقتصاد والخزانه في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف .

والأباطيل ، ومنذ بدأ هذا النور بزحفه على ذلك الظلام ، أشرقت الحقيقة ، وأخذت شمها تصعد إلى سماء المعرفة ، فتجلت مظاهرها في كل شيء واضحة جليلة ملبوسة ، وتحركت في النفوس أشواقها ، ونفضت عنها تراب اليأس ، وأغلال الجهل ، وانطلقت إلى ينبوع الحكمة ، لتعب من أسرارها ، ولتنهل من أحلامها ، والتستعين بها على كشف الغطاء عن عيونها

بقية المنشور من مقال الأستاذ العقاد

ومقصود لأنه يشتمل على تنبيه لا يؤديه هذا الأداء قول القائل « رجل في الدار » .

أما هذه العبارة بعينها باللغات الأوربية فهي لفظ غير مفيد Phrase سواء تقدم حرف الجر أو كان التقديم للرجل أو للدار في تركيب من التراكيب كقول القائل « الدار فيها رجل » ، أو الدار رجل فيها ... وهو تركيب سائغ عند الغربيين .

عباس محمود العقاد

هذا نداء البشير يوم مولد محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وسط ذلك الاضطراب السياسى ، والاستغلال الاقتصادى ، والظلم الاجتماعى ، حيث كانت النفوس تجيش بالثورة ، والقلوب تغلي بالصراع ، والأمانى تتجاوب فى الجوانح تجار بشكوى الحال ، وتتمنى تغييرا ينفذها بما هى فيه .

فأذن الله بهذا الميلاد الكريم للإنسانية أن تخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ضلال لرأى إلى هداية القلب ، ومن إفساد الاستغلال والاستعباد إلى رحاب الحرية ، ومن مهاوى البطالة والكسل إلى مجال العمل والجد والتنافس ، ومن هيمنة الأوهام إلى سيطرة المنطق والعقل ، ومن التفاوت فى الألقاب والأوضاع إلى الأخوة والمساواة . وشاء الله لهذا الوليد أن ينمو ، وأن يتحدث العرب عن سمو خلقه ، وعن تفرد به بالعقل والتفكير ، وعن حبه للعدل والمساواة ، وعن عمله وأمانته ، وهفة نفسه ولكن هذا الشاب وهو فى ريعان شبابه وقوة فتوته يعتزل الناس ، ويتخذ من الغار محراباً يقيم فيه . فما شأنه ؟ وما الخطب الجلل الذى ينتظره ؟ . .

لهذا قضى فى هذه العزلة خمسة عشر عاماً ، يتصل بالملكوت الأعلى ، يستلهم منه قضية الإنسانية ، ووسائل إسعادها حتى آتاه الله

كانت الأرض نائمة فى فضاء اللانهاية ، وكان أهلها يحسون ، رغم وطأة الظلام الذى ران على قلوبهم ، أنهم فى حاجة ملحة إلى النور الذى ينقذهم . . إلى الحادى الذى يرشدهم . . إلى المعلم الذى يقودهم . ويهب لهم من نفسه المعرفة ، ومن قلبه الرحمة . كان ظلام المادة يحجب عن الإنسانية طريق الروح ، ولكن كان هناك بصيص من النور ، يبرخ حيناً ، وينطفئ حيناً ، يشير إلى هذا الطريق ولم يهتد إليه الناس ، حتى أطل الصباح على الأرض ، وصاح البشير بالبشرى . . هذا ميلاد حقيقة تكمم التى فقدتموها ، سوف تجدونها .

لقد ولد محمد ، وولد تاريخكم من جديد . إنه تاريخ التطور البشرى ، وسبيل الحياة الوارفة الآمنة . إنه مولد العقيدة التى استألت من القلوب . . . والإيمان الذى سلب من الأفتدة .

ليس للإنسانية بعد اليوم أن تحيا بلا غاية . وليس لها أن تعيش فى يأس . هذه النظم المتداعية ستجد سبيلها إلى الإصلاح ، وهذه الثقافة المفقودة ، ستأخذ سبيلها إلى الاستقرار . لن تعيش الإنسانية بعد اليوم بين شقى رضى من الظلم والاستغلال .

لن يكون النهم والطمع حظر الأقوياء ، ولن تكون الفاقة والحسرة نصيب الضعفاء .

والأخوة والمساواة... ولتتسع قاعدة السلام والحرية، وتنهياً فرص التكافؤ والعمل في شتى مجالات الحياة... وأخذ المسلمون بذلك مكان القيادة في الوجود. وما أن اختلفت بهم الأهواء، حتى تقسموا فرقا ودولا... وسلط عليهم الأعداء، فأصابهم الهم والحوف، وران عليهم الضلال، وضربت عليهم الذلة، وشاع فيهم التخاذل، وتكونت الأقليات المستقلة، ورسفت الغالبية في قيود الفقر والمرض والجهل. وسامهم الخسف من كانوا أقل منهم علما ومالا وعدداً.

ولا خلاص لهم من هذا إلا بالرجوع إلى تاريخهم يستوحونه، وإلى مبادئهم يستلهمون منها القوة، وإلى شريعتهم يقتبسون منها النظام، وإلى عقيدتهم يتخذون منها نبراساً تستضيء به جوانب نفوسهم وقلوبهم وعقولهم.

وهذه ذكرى مولد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فلنجعل من حفاوتنا بها أسوة لنا، ولنختط من جهاده ما يؤكد كيانتنا، ومن تعاليمه ما يعيننا على تنظيم بيتنا وتطوير وجودنا، وتنسيق الصلات بيننا، لنحقق التكامل في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

إن التفاوت بيننا هو علتنا، وما كان هذا

الحكمة وفصل الخطاب، وأنزل عليه قانوناً جامعاً في كتاب محكم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعل بعثته إلى الناس كافة كما جعل حياته وأعماله وأقواله مثلاً يحتذى، وتفصيلاً لمواد القانون العامة... فتجتمع بذلك للإنسانية أكبر موسوعة تحوى أعظم التشريعات. مقدرة حاجات الإنسانية في ترقيا وتطورها... لأنها من وضع خالق الكون، وما نحه الجلال والجمال، المحيط بما يصلحه من نظم ومطبع عليه من أحاسيس ومشاعر.

وعلى هدى ما في هذا القانون من المبادئ والتعاليم، أقام المسلمون دولة ممتدة الأطراف وأسرع الناس من كل صوب يحتمون بهذه المبادئ، ويعملون بهذه التعاليم، وانتشر هذا الدين وهذه المبادئ والتعاليم انتشاراً كان معجزة التاريخ... ذلك لأن فيه توفيقاً بين الدين والدنيا. بلغ به المسلمون ذروة لم يسبق إليها دين، وخطوا به نظاماً لم يصل إليه بعده أى نظام... غايته تربية العقيدة خالصة لوجه الله، لا ابتغاء جاه، ولا طمعا في مال. ولا طلباً لسلطان أو ملك، وإنما الغاية نصرة الحق وتقويم الأخلاق وتنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان لتحقيق السعادة لبني الإنسان على أسس من الشورى

أو وظيفة أن يعلم أن ثروته أو وظيفته تكاليفها بالنسبة إلى غيره من أبناء المجتمع الذى يعيش فيه ، فيؤدى هذه التكاليف إلى مستحقها . . .

إن فى الدستور الذى نزل على صاحب الفكرى الكريمة حلا لكل مشكل ، ومخرجا من كل مأزق ، وفرجا من كل أزمة ، فإذا استقمنا على نهجه وافينا غايتنا ، وانتهينا إلى وحدتنا ، ورسمنا للعالم طريق الخلاص بما يرسف فيه . . .

لقد حول هذا الدستور العالم من الجمود والضعف والآثرة ، إلى الحركة المتطورة ، والقوة الدافعة ، والإيثار الخير الكريم ، وجعل من حياة الفرد قبسا يستمد ضوءه من حياة الإنسانية كلها ، ورسم للنفوس التى استبد بها الهوى طريقا يردّها إلى خالقها ، ذلك الطريق هو الوازع الدينى ، نروضه بالعبادة ، ونوقظه بالتذكير ، ونحوسه بالقانون ، حتى يكون دائما على اتصال بالملكوت الأعلى . . .

وسيلنا إلى تطبيق ذلك أن نفهم هذا الدستور ، بروح العلم ، ونصوغ معانيه فى الأساليب الجديدة ، التى تتطلبها تطورات الزمن ، وتقدم عجلة الحياة ، وتشابك الأمم فى معاملاتها واتفاقياتها ، وارتباط بعضها ببعض مهما تباينت النظم ، واختلفت

التفاوت إلا منذ انقطعنا عن تاريخنا وطبعنا ذوقنا ونظمنا بذوق غيرنا وفضلهم ، فانطمست شخصيتنا ، وخبث معانى الصدل والكرامة فى نفوسنا ، وأصبحنا من حيرتنا كالسائر بين النور والظلام على دروب من الخداع والإيهام .

لقد نسينا أن من هنا بزغت شمس المدنية فغمرت أشعتها الوجود كله ، وفاتنا أن السحب التى حجبتها لا بد أن تنقشع ، ولا بد لهذه الشمس أن تسطع من جديد ، وإن يكون سطوعها ووهجها وسناها إلا من حيث أشرقت . . من هذه الأرض التى اهتزت بالعبقريات ، وازينت بالحكام وشعنت منها مشاعل النور والأمل ترسم سنن الأخلاق ، وتدفع المدنية والحضارة إلى مداها البعيد .

ولا بد أن تنحصر الغمرة عن موجة المادية الطاغية ، فتتألق الروحية وتأخذ الفضيلة مكانها ، ويحتل الحق موضعه . . . وها هو ذا نور اليقين قد بدا ، وصبح الإشراق قد آذن ، . . . فعلينا أن نحصن أنفسنا بهذه المبادئ حتى لا يستبدل الله بنا قوما يحرم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . . . علينا أن تأخذ من هذه المبادئ ما تنمى به حياتنا الاقتصادية فنعمل على تداول المال حتى يزيد الإنتاج ، وعلى كل صاحب ثروة

بحراسة قوانينه ونظمه حماية لنفسه ، وحماية
للمجتمع من حوله .

ومن هنا وجب على المجتمع أن يتعاون
على إصلاح الفساد ومنع الضرر ، والضرب
على أيدي العابثين والمستغلين ، ووجب على
القائمين على شؤون الأمة أن يسلكوا بأهمهم
المسالك التي تحقق العدالة والإخاء والمساواة ،
وأن يسنوا القوانين اللازمة لذلك لتكون
حارساً ومسيطرأ على الانحرافات المنحرفة
حماية للدولة وللجماعات وللأفراد ، لتتهيأ
بذلك التربة الصالحة والبيئة النظيفة ، فتشرب
الأجيال المتعاقبة من شجرة الخصائص الإنسانية
الكاملة ، وتسود بين أفرادها العلاقات
الصالحة الطيبة .

فبهذه العلاقات تنمو الحياة الاقتصادية ،
ويتوفر كل على إجابة العمل وكثرة الإنتاج
فيه ، فمما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه
أنه قبل يدا ورمت في العمل وقال : تلك يد
يحبها الله ورسوله ، وهو القائل : من أمسى
كلاً من عمل يده أمسى مغفوراً له .

اشتراكية الإسلام :

وانتد شرح صلوات الله عليه معنى الاشتراكية
شرحاً لم تصل إليه النظريات المتعددة على
كثرتها وتباينها . . . في قوله : من كان عنده
فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن
كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له .

الأوضاع ، ذلك لأنه لا سبيل إلى انفراد
شخص بنفسه ، ولا سبيل إلى بقاء أمة
بإمكانياتها ...

إنما في هذه الذكرى أحوج ما نكون
إلى منهاج صاحب الذكرى في الحياة ،
حتى تتلاقى عقولنا وقلوبنا ، فنستمد من قوة
الله قوة لأنفسنا ، ومن قوة الإيمان وازعا
لقلوبنا ، ومن قوة المعرفة قوة العلم ، ومن
قوة المحبة قوة العمل لخير هذه الأمة ...

والعالم كله في حاجة إلى مبادئ صاحب هذه
الذكرى ، ليبنى عليها قاعدة السلام ، ويقم
ركائز المحبة ، ويقضي على المادية المقيتة التي
لا تستهدف سوى الغناء والدمار ...

وهو في حاجة إلى هذا التفكير ، ليمتد
الشعوات الصارخة ، ويتحاشى دعاوى
التحلل ، وينجى عن بليته الاستغلال بكافة
صوره وألوانه .

ولن يتأتى للعالم ذلك إلا إذا آمن بالله وآمن
بوحدة الإنسانية وبحق كل شعب في الحياة
الحرية الكريمة ، ليتيسر للإنسانية أن تبني
مستقبلها على أسس من العدالة والحرية
والإخاء والمساواة ، تلك الفضائل التي تستمد
أصولها من الإيجابية الروحية ، وتتسق مع
الفطرة الإنسانية ، وتسائر قواعد العلم الصحيح .
فالإسلام يعتبر الخارجين على حدوده
هدامين لبناء المجتمع ، ولذا يطالب كل فرد

الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. ونذكر أن المال عصب الحياة الاجتماعية وقوامها ، وعلى قدر ما تنمو الحياة الاقتصادية في الدولة يكون ثراؤها وتوفير أسباب الخدمات والرفاهية لأبنائها ... وهي لا تغفل الدوافع النفسية لكل فرد فيها فقطاع الدولة بالعمل على توفير الحاجيات التي لا تقوم الإنسانية إلا بها ، ولا تهدأ النفوس والقلوب ، ولا تهذب الأرواح ، ولا يقضى على الشر إلا بتنظيمها .

ومن هنا كان على الدولة أن تتخذ الوسائل لتمكين كل فرد من الحصول على عمل يحفظ به كرامته ، ويحقق للعقل والجسم والخلق مجال تحسين الإنتاج ، حتى لا تنبذ ثروة الأمة وتضيع بدل أن تزيد وتنمو .

والاشتراكية الإسلامية تربط السياسة الاقتصادية بالسياسة العلمية والثقافية والاجتماعية والخلقية ، حتى تتفاعل هذه السياسات كلها ، فيتولد عنها الرخاء الذي يقضى على أسباب الفساد والجرائم .

وهذه الاشتراكية تتطلب من كل فرد أن يوازن بين موارده ومصارفه ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالاعتدال في الإنفاق دون إسراف أو تقصير :

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . »

وقال راوى الحديث فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في الفضل . والزيادة ، وهذه أسمى معاني الاشتراكية التي تسكفل لكل فرد مطالب الحياة ، وتوجب على كل مستطيع أن يعين أخاه على الوصول إلى مطالبه بمقتضى التكافل والتضامن والآخره التي أوجبها الإسلام بما جعل له من حق فيها فضل عن مطالب صاحبه ، لا منة لأحد في ذلك ، ولا هو من باب الاستجداء .

واشتراكية الإسلام هذه تحارب الاحتكار بكل أنواعه ؛ لأن فيه استغلالا لفضل الأموال غدير المشروع ، كما تحارب الربا لأنه استغلال بشع لحاجة الناس ، وتحارب كل ما نهى عنه الدين لأن المال الذي ينفق فيه زائد عن حاجة صاحبه ، وليس له أن يتصرف فيه ، وإنما الواجب عليه أن يسلمه لمستحقه ...

وكذلك يحارب استغلال صاحب المصنع أو المنجر أو المزرعة أو الشركة للعامل الذي يعمل عنده ؛ لأنه بعمله يشارك صاحب المال في الإنتاج ، فينبغي أن يعطى من الأجر ما يسكفل له ولاسرته مطالب الحياة ... واشتراكية الإسلام تدرك حاجة الأمة إلى المال ، فتحث الشعب على الادخار والاستثمار وتمنع كنز المال وحبسه : « والذين يكنزون

تكافؤ الفرص في رسالة الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد البهي

معنى تكافؤ الفرص أن تكون مجالات الحياة متاحة لأفراد المجتمع على السواء . ومعنى تحقيق هذا التكافؤ هو أن تزال العوائق والحواجز التي تفرق بين الأفراد في المجتمع الواحد ، فتوصل الفرص أمام البعض وتيسر للبعض الآخر . هذه العوائق والحواجز التي هي وراء نشاط الأفراد الإنساني ، ووراء إمكانياتهم وطاقاتهم وكفاياتهم كبشر ، والتي ترجع إلى فعل القوة في أى جانب من جوانبها التي سادت يوماً ما ، وكذا إلى أثر السلطان الذي مارسه أصحابه في إقامة التفرقة بين الأفراد في المجتمع

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وهي تبرز معاني المروءة فتحض على السخاء والبذل في سبيل الله ، وتوجب إقامة المؤسسات العامة التي تعود بالنفع على المجتمع صحياً وتعليمياً ، وفتح أبواب العمل للقضاء على البطالة والتعطّل .

وهي فوق ذلك كله تحتم على المسلمين أن يلتزموا العمل الحلال ، والكسب بالطرق المشروعة .

وهي تعد الثروة في أيدي أصحابها ذات وظيفة اجتماعية من حق الأمة كلها أن تستفيد منها ، ومن حق الدولة أن توجهها للصالح العام ، كما أن من حقها أن تتخذ الوسائل التي تكفل التوازن الاقتصادي والاجتماعي بين

وما أوجبنا نحن المسلمين إلى الاعتزاز بهذه الذكرى لترسم خطاه ... ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

ممن عباس زكي
وزير الاقتصاد والخزانة

ومن أجل ذلك كافى الصراع بين القوتين صراعا غير متكافئ، وكانت من أجل ذلك أيضا سيادة القوة المعنوية أقصر من العهد أو الجهود التي تبذل فيها القوة المادية الرأي والتوجيه في حياة المجتمع .

ولا تأتي السيادة المعنوية - وهي سيادة القيم الإنسانية في المجتمع وفي مقدمتها العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص - إلا على أثر تحطيم الحواجز والعقبات التي اصطفتها السيادة المادية ، وهي سيادة المال والملك ، وجاه الشرف . وكلما كانت هذه الحواجز والعقبات قوية في أثرها وممتدة في تغلغلها في المجتمع ، كلما كانت رسالة إعادة الوضع الإنساني ، ورسالة العدالة الاجتماعية وتحقيق تكافؤ الفرص شاقة ، وكلما احتاج الداعي إلى هذه الرسالة إلى إيمان وجلد وتحمل في سبيلها .

ولقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم هي دعوة لإعادة الوضع الإنساني في المجتمع البشرى ، ودعوة لإعادة تقويم القيم الإنسانية على أساس من الأهداف الحقيقية للإنسان في حياته الفردية وفي حياته في أمته ومجتمعه . وقد كانت الحواجز والعقبات التي فرقت المجتمع البشرى إذ ذاك قوية في رسوخها وممتدة في تغلغلها وبعيدة الزمن في تاريخ قيامها . حتى أصبح الإنسان

الواحد ، على أن يمكن للبعض ولا يمكن للبعض الآخر في مزاوله وجه من أوجه نشاط الحياة الفردية أو الاجتماعية .

تكافؤ الفرص لا يخرج عن معنى العدل الاجتماعي ، وتحقيقه هو تحقيق العدل نفسه والمجتمع البشرى - منذ أن عرف له تاريخ تسوده هذه للعدالة ، وبالتالي يتحقق فيه تكافؤ الفرص - حيناً ، ويختفى فيه أحيانا أو قرونا ، ذاك لأن الصراع بين القوة المادية والقوة المعنوية صراع غير متكافئ الطرفين ؛ فالقوة المادية كما تتمثل في المال والملك ووسائل الغلب المادية ، تتمثل في جاه الشرف وعراقة الأسرة .

أما القوة المعنوية فيصورها إدراك الإنسان للحياة الإنسانية وأنها حياة مشتركة يجب أن يسود فيها الاستقرار ويتحكم في توجيهها منطق العقل ، دون قوة السواعد أو دون السيف والمدفع ، ودون القتل والسفك ، ودون التزاحم والاحتكاك . ومنطق العقل الخالص الذي لا يتأثر بالهوى والغرض هو منطق المحبة والأخوة في البشرية ، ومنطق العدالة الاجتماعية في المجتمع . وقلبا يكون فهم الناس لهدف الحياة الإنسانية وقيمها في منزلة تأثيرهم بمظاهر القوة المادية الفاتنة . ولذا كانت دائرة القوة المادية أوسع نطاقا وأبعد عمقا في حياة الإنسان منه دائرة القوة المعنوية .

بالمحسوس وحجبهم عن إدراك القيم الإنسانية وعن تطبيقها بعد ذلك في الحياة ، وأما الكهان فقد أقاموا من أنفسهم طبقة لها الوصايا ويدها الشفاعة والخفران وبحو الذنوب ، ومن رسالتها الإخبار بالمستقبل ، كما تدهى لنفسها من خصوصية الاطلاع على الغيب ، وبذلك حجبا الناس عن الكشف والاستطلاع بذواتهم ، وبما أعدوا به من عقل ووسائل الملاحظة والتجربة واحتكروا المعرفة ، ولم تكن معرفتهم يومذاك إلا مجموعة من الخرافة تحمل على التشاؤم كشرأ ولا تدع مجالاً للتفاؤل إلا في القليل من الحالات والأوضاع ، ولهذا الاحتكار لمعرفة المستقبل كان من ألقابهم « العرافون » .

ولقوة الحواجز والعقبات في المجتمع البشري على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا بد له في نجاح رسالته من قوة الإيمان وقوة التحمل والجلد ، وقد كان عليه السلام مثل المؤمن الكامل برسالته ومثل المتحمل الأول في الدعوة إليها .

أما رسائله فقد كان يجب أن تكون لنحطيم هذه الحواجز وإزالة تلك العقبات في المجتمع البشري ، وهي الحواجز التي اصطنعتها العقيدة القائمة ، وجاه الشرف ، في ذلك الوقت وسلطة المال والملك التي طلعت حتى استرقت الإنسان واستعبده ، وقد كانت رسالة هذه الغاية .

نفسه من ملك الإنسان ومتعته ، وأصبح يباع ويشترى بشمن يساوم عليه تبعاً لقدرته هل العمل أو تبعاً لمهارته ، أو تبعاً لمنظره ولون بشرته . وأصبح سوق الرقيق تجارة رابحة وأصبح المجتمع يتذوق هذه التجارة كما يتذوق ملك الرقيق نفسه . وبذلك لم يعد الإنسان مساوياً للإنسان في طبيعته البشرية وفي ممارسته لخصائص هذه الطبيعة .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان هناك جاه الشرف والملك ، كان هناك جاه الإمبراطوريات الرومانية والفارسية خارج شبه الجزيرة العربية ، وجاه القبائل العربية داخل شبه الجزيرة ، وما لهذا الجاه من أثر استبدادي في القيادة ، وظلم اجتماعي كون في المجتمع البشري حاجز الطبقة ، فأتيح فرصة الحياة لفريق من الأفراد ولم تتح لفريق آخر منهم : أتيح فرصة حياة الترف والعبث لفريق ، على حساب الكرامة والحرية البشرية لفريق آخر .

وبالإضافة إلى هذين الجانبين في المجتمع البشري - وقت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام - كان هناك جانب ثالث ، لعله أعمق الجوانب الثلاثة أثراً في حياة المجتمع إذ ذاك وهو جانب العقيدة ، ومن يمارس دفع الناس إلى الاعتقاد ، كان هناك الشرك في العقيدة ، وكان هناك الكهان في دفع الناس إلى الاعتقاد ، أما الشرك فقد ربط الناس

وتحصيل المعرفة ... وهكذا يتخذ المؤمن من كل صفة لله مثالا أصلي يسمى نحوه ، ويتقرب منه في حياته الإنسانية التي يحياها لنفسه وفي مجتمعه .

وبرفع الإنسان العبادة إلى الله مباشرة لم يعد هناك في الإسلام كهان ، ولا كهانة ، ولم تعد هناك شفاعاة ولا وساطة بالمعنى الذي يحيل عبادة الله إلى عبادة أرضية محنة : يقول الله تعالى لرسوله الكريم : د قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، وبذلك حدد وظيفة الرسول ، ونفى عنه ما كان يحترف به الكهان وما تكونت بسببه الكهانة .

ويقول في موضع آخر : د وذو الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، وغرهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ، . وبهذا أيضاً نفى الشفاعاة والوساطة في صلة الإنسان بالله . كما نفاهما نفياً واضحاً في قوله تعالى : د وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ، ثم أكد المسؤولية الفردية بعد ذلك في قوله : د ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة

فهي رسالة تحرير ، أو بالأحرى هي رسالة لإعادة الوضع الإنساني على أساس من القيم الإنسانية ، أو رسالة عدالة اجتماعية ، أو رسالة تحقيق تكافؤ الفرص للأفراد جميعا في المجتمع البشري :

فأولاً :

في دائرة العقيدة دعا الرسول عليه السلام إلى عبادة غير المحسوس الذي لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وبذلك رفع العبادة من الارتباط بالمادى المشاهد إلى القيم والمثل ، تلك القيم والمثل التي تتمثل في صفات الله جل شأنه من العدل ، والرحمة ، والقوة والغنى ، والخلق ، والحياة ، والعلم ... إلى آخر تلك الصفات التي له جل شأنه .

ومن طريق هذه الدعوة لم يعد هناك مجال للتقرب إلى الله سوى أن يحاكي الإنسان المؤمن به هذه الصفات فيه ويتمثلها في نفسه هو ويطبقها في عمله . فيتقرب إليه بتمثل العدل وتطبيقه ، وبفهم الرحمة وممارستها ، وبالإعداد القوي والمواظبة عليه ، وبدفع الحاجة والسعى إلى الاكتفاء الذاتي ، وبالإيجابية والتفوق ، وبالحرص على الحياة السعيدة وعدم قبول الاستذلال فيها — لأن قبول الذل في الحياة قبول للفناء في صورة أخرى له — وبالكشف والاستطلاع

واحد ومصدر واحد : وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ، . وبذلك أبعد ما استقر فى الأذهان — من طول استبعاد جاه المال والشرف — إن الطبائع البشرية تختلف فى أصلها ، فمن بينها سائدة وأخرى مسودة . وبهذا أيضا وضع جميع الأفراد وضعاً متساوياً ، وحقق لهم فيما بينهم تكافؤ الفرص ، والذى يتفوق منهم بعد ذلك هو الذى يتفوق لحسب بعمله وباستخدام طاقاته البشرية وتنميتها . والطائفت البشرية لا تستخدم ولا تنمى إلا فى طريق لإنسانى ولغاية بشرية خالصة . أما الشرف نفسه فلا اعتبار له فى هذا التقويم وفى المفاضلة بين إنسان وإنسان (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) .

وبجانب نص القرآن هنا فى هذه الآية على المساواة فى الطبيعة البشرية لجميع الأفراد ، نرى الرسول بعد ذلك يقول : (إخوانكم خولكم) فيؤكد الأخوة البشرية بين صاحب الجاه فى الشرف وخادمه ، ويطلب معاملة كل منهما الآخر على هذا الأساس . وليس المعاملة المادية وحدها ، وإنما قبلها لشعور النفسى الذى يجب أن يتكون فى نفس صاحب الجاه وهو شعور الاحترام والاعتبار وعدم الإهдар لآدمية خادمه .

وزر أخرى ، . وبهذا كله أبعد الرسول عليه الصلاة والسلام — مع سمو منزلته فى المستوى الإنسانى الخالص ومع قربته من الله جل شأنه — من أن يكون عرافاً يتحدث عن الغيب والمستقبل ، ولا وسيطاً يقرب من يشاء ويبعد من يشاء ، ولا بيده محور الذنوب أو غفرانها ، إن هو إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، وإن كل نفس إلا مسئولة مسئولة فردية عما تعتقد ، أو تفعل وتتصرف .

وبذلك كله قوض الإسلام الطبقية فى دائرة العقيدة وأعاد الوضع الإنسانى للجتمع فى هذه الدائرة ، وهى المساواة فى السعى نحو الله والتقرب منه . وبذلك أيضا حقق تكافؤ فى هذا الجانب ، وأصبحت القربى إلى الله مرهوبة بمدى سعى الإنسان نحوه ، وبمدى تحقيقه لرسائله ، التى هى فى واقع الأمر صفاته جل شأنه ، والتى عبر عنها قرآنه الكريم . وأصبح التقويم للأفراد مرتبطاً فقط بتحقيق معنى هذه الصفات فى سلوك الإنسان وتوجيهه : إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

وثانياً —

فى دائرة جاه الشرف دعا الإسلام إلى إزالة حاجز الطبقية الذى اصطنعه هذا اللون من الجاه . فذكر أولاً أن الناس جميعاً من أصل

إلى الله دون أن يكون تحصيله وسيلة لرق
الاعتناق والنفوس : « الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منها
ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون » .

والإسلام بعد هذا كله ليس رسالة للوقت
الذي قامت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه
وسلم . إذ أنه رسالة لإعادة الوضع الإنساني
وتثبيت القيم الإنسانية في الحياة الفردية
والاجتماعية . وهو لذلك رسالة مع الإنسانية
طوال قيامها : ولكن أشد الأوقات احتياجا
إليه هو الوقت الذي يطلب فيه إزالة العوائق
وتحطيم الحواجز في المجتمع لتحقيق تكاثر
الفرص وسيادة العدالة الاجتماعية .

فإذا زالت العوائق وتكافأت الفرص
كان نشاط المال ، ونشاط التفكير ،
ونشاط القلب والضمير مجالا للجميع .
والسابق من الأفراد بعد ذلك هو المتفوق
بذاته ، وليس بشرفه الأصيل ، أو جاهه
الماضي ، أو ماله الموروث . وبقاء الإسلام
عندئذ والحاجة إليه لضمان عدم الانتكاس
والرجوع إلى إقامة الحواجز من جديد ،
فهو علاج ووقاية معا .

الركنور محمد البهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

أما في دائرة جاه المال والملك فقد دعا
الإسلام إلى التحرر من استغلال الملكية الفردية
للأفراد أو للأقوام والشعوب . لحرم الربا
كمصدر أصيل لإذلال صاحب الحاجة .
ثم عمل على تخليص الإنسان المملوك وإعادة
الحرية والكرامة الإنسانية إليه : عمل على
تخليصه برصد نصيب معين من الزكاة المفروضة
الواجبة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة
من الله ، والله عليم حكيم » .

عمل على تخليصه بحمل الخيرين من ذوى
اليسار على شراء المملوك وعتقه ، أو بتوجيه
من وقع منه خطأ سلوكي أو نفسي إلى أن
يكون العتق هو كفارة ما ارتكب من خطأ :
« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحريم رقبة ، من قبل أن يتأسا ،
« لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان : فكفارته
إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون
أهلكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ... » .
وأخيراً - في جانب عدم طغيان المال
على حرية الأفراد وكرامتهم - فرض الزكاة
وحدد الأنصبة في الإرث بما يجعل من
المال جامعا ولكن لا يجعل منه احتكارا
لحياة الآخرين ، بما يجعل من إنفاقه قربي

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٨ —

وتلا : « إن تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، الآية » ، ثم قال : هل علم أهل المدينة ، أو قال : هل علم أحد بما قدمتم ، قالوا : لا ، فقال لو علموا لوعظت بكم .

أورد ابن كثير في تفسيره هذه القصة ، عند قوله تعالى : « إن تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » ، مروية عن ابن جرير بسنده المذكور ، وعلق عليها بقوله : إسناده صحيح ومتن حسن ، وإن كان من رواية الحسن عن عمر ، وفيها انقطاع ، إلا أن مثل هذا اشتهر فكفى شهرته .

وهذه القصة جديرة بأن نعقد لها فصلا في هذه النظرات ، فإنها تبين مذهب عمر رضي الله تعالى عنه في جانب من جوانب السياسة الحكيمة ، هدفه التيسير على المجتمع وعدم أخذه بسياسة التزم والإرهاق ، وغرس الثقة في أفرادها بأنفسهم ، وعدم إقناطهم بإشعارهم أنهم خارجون على الجادة ، متمسكون بسواء الصراط ، وفي هذه القصة لمحات عمرية ، تعتبر أسسا في قواعد الحكم ، وسياسة الشعوب ، وتبين أن الإسلام ليس ديناً مجافياً للواقع العملي ، متأبعا على إدراك ظروف الحياة .

١ — فأول ما يبدو من ذلك ، أن عبد الله

قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عُلَيَّه عن ابن هون ، عن الحسن ، أن ناسا سألوا عبد الله بن عمرو بمصر ، فقالوا : نرى أشياء من كتاب الله عز وجل ، أمر أن يُعمل بها ، لا يعمل بها ، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك ، فقدم وقدموا معه ، فلقى عمر رضي الله عنه ، فقال : متى قدمت ؟ فقال : منذ كذا وكذا ، قال : أياذن قدمت ؟ قال : فلا أدري كيف رد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن ناسا لقوني بمصر فقالوا : إنا نرى أشياء من كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها ، فأحبوا أن يلقوك في ذلك ، قال : فاجمعهم لي ، قال : فجمعهم له ، قال ابن عون أظنه قال في بهو ، فأخذ أذناهم رجلا ، فقال : أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك ، أقرأت القرآن كله ؟ قال : نعم ، قال : فهل أحصيته في نفسك ؟ فقال : اللهم لا : قال : ولو قال نعم لخصمه ، قال : فهل أحصيته في بصرك ؟ فهل أحصيته في لفظك ؟ هل أحصيته في أترك ؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم ، فقال ثكلت عمر أمه ، أنكفونوه أن يقيم الناس على كتاب الله ؛ قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات ، قال :

من المسجد أو غيره ، فيصلى فيها ، ويطلب السجود في مواضع سجدة الرسول ، ملبياً بذلك ما كان يحمله من عاطفة الحب الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار العلماء إلى هذا الصنيع من عبد الله بن عمرو ، مبينين أن الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يكون فريضة محكمة ، أو سنة متبعة ، في غير الأمور التي يفعلها الرسول بحكم عاداته أو جبلته ، وأن مخالفة ما جاء بحكم العادة أو الجبلية ، لا يعد خروجاً على السنة ، ولا مخالفة عن أمر الرسول ، ومع ذلك حمدوا لابن عمرو هذا الصنيع الذي يدل على التفاني في حب الرسول ، ونظروا إليه على أنه خلق عاطفي فردي لا ينبغي أن يحمل عليه جمهور الناس .

وجد هذا الفريق إذن عبد الله بن عمرو هو أصلح الناس لتقبل زعامة المحافظين ، ورفع لواء دعوتهم والسير بها إلى مركز الخلافة ، حيث يكاشفون بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان جوهر هذه الدعوة ، أنهم راقبوا المجتمع ، فوجدوه لا يعمل بكل ما أمر الناس أن يعملوا به في كتاب الله تعالى ، فكم من أشياء يأمر بأن تفعل ولا تفعل ، ولعلمهم توسعوا في معنى الأمر ، فأرادوا أيضاً ، أن هناك أشياء ينهى القرآن عن فعلها وهي مع ذلك تفعل ، ويبدو من القصة ، أنهم إنما كانوا

ابن عمرو بن العاص - وكان أبوه أمير مصر - اجتمع إليه جماعة من المصريين ، يمثلون نزعة دينية محافظة ، فيها كثير من التحرج وكثير من النزمت ، فهم يريد أن تراقب المجتمع في سلوكه مراقبة دقيقة ، لتحمله على تطبيق كل شأن من شئون حياته على الدين وما جاء به الكتاب المبين ، لا فرق بين صغير من هذه الشئون أو كبير ، فإذا رأت المجتمع قد انحرف عن هذا التطبيق قيد أنملة ؛ هالها منه هذا الانحراف ، وآذنته بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وظل أفرادها ومروجو فلسفتها منقبضين لهذا الانحراف ، يتميزون غيظاً من هذا المجتمع ، أو حزناً عليه ، وقد ينتهى بهم الأمر إلى الحقن عليه والانكماش عنه ، نجاة بأنفسهم ، وترفعاً بمثلهم العليا .

ومن يتتبع تاريخ عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، يدرك السرفى أن هذه الجماعة قد أفسدت إليه وآثرته بسرهما ، والتمست فيه زعماً لدعوتها وقائداً لخلتها ، فقد كان عبد الله ابن عمرو رضى الله عنه يعتقد مذهباً شديداً الحفاظ والتبصير لكل ما هو دين أو له صلة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليروى عنه إلزامه نفسه بأن يحب من الطعام والشراب واللباس ؛ ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يتبصع المواضع التي كان يصلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

مضت مدة على هذا الوفد في المدينة ، يمكن أن تتسرب فيها إلى المجتمع المدني أخباره وأخبار الأمر الذي جاء فيه ، ثم سأله ، أياذن قدمت ؟ وهو طبعاً لا يقصد الإذن من أمير المؤمنين نفسه ، لأنه يعلم أنه لم يأذن له في هذا القدوم ، ولكن أراد أن يعرف ، هل أمير مصر وراء هذه الدعوة ، ثم أفضى إليه عبد الله بن عمرو بالغاية التي قدم لها الوفد ، وقدم هو على رأسه ، ولم يشكر شيئاً ولم يحاول أن يميل بالحقيقة عن وضعها الصحيح ، ففهم عمر الأمر يقيناً ، بعد أن كان قد شعر به شعوراً ، وهنا تتجلى موهبة عمر الحكيم ، فإنه فصل عدة أشياء في معالجة هذه الدعوة ، وأدائها في مهبها ، قبل أن يستفحل خطرها ، وينتشر في الناس خبرها . أولها : أنه جمع الوفد كله في جو خاص ، وكانت العادة أن يكون الاجتماع في المسجد ، وأن يخاطب أمير المؤمنين خطبة عامة ، ولكنه أراد أن يعالج هذا الموضوع في سر وانقطاع عن الناس . ثانياً : أنه ناقشهم فيما جاءوا به مناقشة علنية بالأسلوب الذي يصلح لهم ، لأنه أراد أن يستل هذه المفكرة من نفوسهم ، فلا يكتفى بأن يريح المجتمع منها ، حتى يريحهم منها هم أيضاً ، وكان أسلوبه في ذلك منطقياً ، فإنه سأل كلا منهم أقرأ القرآن كله فأجابوه : نعم ، ثم سأل كلا منهم هل أحصى كل ما جاء فيه ، في نفسه بأن

يشكون من بعض الصغائر والهفوات التي لا تخلو عنها المجتمعات عادة ، ولا يمكن أن يعتصم كل الأفراد عنها ، ويتحرزوا من الوقوع فيها . وهذه الدعوة لها في كل عصر قائمون بها ، ومروجون لها ، ولكنها قد تصدر في بعض الأحيان عن إخلاص وحسن نية ، ورغبة في التقويم والتهديب ، ويغلب عليها حينئذ الهدوء والحكمة والدعوة بالموعظة الحسنة ، وإسداء النصيحة إلى الأفراد والجماعات ، في أسلوب لا عنف فيه ، ولا تعكير لصفو الأمن في المجتمع : الأمن الحسي والأمن النفسي كليهما ، وقد تخرج عن هذا النطاق في كثير من الأحيان ، فتكون دعوة معسولة براءة يراد من ورائها مغنم أو حظ في الحكم ، وهندت ليكون لها ما للكلمة الحق يراد بها الباطل ، ويكون لها أثر يتفاوت قوة وخطراً ، بمقدار تفاوتها شدة ومراكز أصحابها شهرة ونفوذاً .

٢ — ذهب هذا الوفد إلى مركز الخلافة فمأراع عمر أمير المؤمنين إلا أن وجد عبد الله بن عمرو ، ذلك الرجل الصالح ، المعروف بتتبع آثار الرسول ، يأتي على رأس هذا الوفد من المصريين ، فسأله أسئلة تدل على ما كان يدور بنفسه تلقاء هذه المفاجأة ، قال له : متى قدمت ؟ فأجاب : قدمت منذ كذا وكذا ، وإنما سأل عمر هذا السؤال لأنه فيما أعتقد كان يحس بالأمر الذي جاء فيه عبد الله بن عمرو ، فأراد أن يعرف هل

طبق جميع أوامره ونواهيه في خاصة نفسه ؟
 فكلهم أجاب : لا ، وإذن فهم معترفون
 في هذه الإجابة ، بأن الإنسان معرض بحكم
 بشريته إلى الوقوع في بعض الهفوات ، أو
 التقصير في بعض الأمور ، فليست تهاوا
 لذلك قال لهم : ثكلت عمر أمه ، أتكلفونه
 أن يقيم الناس على كتاب الله ، قد علم ربنا
 أن ستكون لنا سيئات ، وتلا : إن تجنبوا
 كبائر ما تنهون عنه تكفروا عنكم سيئاتكم
 وندخلكم مدخلا كريما ، وبذلك انتهى
 في حاجتهم إلى حد مس فيه شغاف قلوبهم ،
 وتركهم مقنعين اقتناعا صحيحا ، بأنهم كانوا
 على خطأ حين طلبوا المحال ، بمحاولة إيجاد
 مجتمع مثالي لا تقع منه هفوة ما ، كأنه مجتمع
 من الملائكة الذين لا يصون الله ما أمرهم
 ويفعلون ما يؤمرون . ثالثا : أنه سألم هل
 علم أهل المدينة بما قدموا فيه ، قالوا : لا ،
 قال : لو علموا لوعظت بكم ، ومعنى هذا أنه
 أدرك من موقفهم حسن نيتهم ، وأنهم إنما
 فعلوا ما فعلوا ، ابتغاء وجه الله ، لم يريدوا
 به شغبا ولا إحداث فتنة ، ولا إرجافا بسوء ،
 وإذن فالخطأ فردي محصور فيهم ، وهم
 معذورون بحسب تفكيرهم ، فلا بأس من
 العفو عنهم ، أما لو كانوا قد أذاعوا الأمر
 في الناس وأرجفوا به على أصحاب السلطة
 والحكم فيهم ، فإن النظرة إليهم كانت تتغير ،
 ويكون عليه أن يعاقبهم ليجعلهم مثلا للآخرين ،
 فإن الجريمة إذا أعلنت وجب إعلان

استنكارها بالعقوبة الرادعة تنزل بمقتربها .
 ٣ - إن عمر رضي الله عنه قد بين أنه
 استخلص للسياسة التي يجب أن يسير عليها
 أهل الحكم ، من كتاب الله عز وجل : وهي
 سياسة التفرق بالمجتمع ، والتمس المصلحة له
 إذا كان يخاطب بعض الأخطاء ، ويقارن
 بعض السيئات الصغرى ، مادام متجنباً للكبائر ،
 التي هي مواقف الإثم العظمى ، فإن هناك فرقا
 بين الآثام في تقدير الله سبحانه وتعالى ،
 وميزان حسابه ، والكبائر هي التي تهز كيانه
 المجتمع وتعرضه للانحلال ثم القضاء ، وهي
 كثيرة ، وقد ذكرت في عشرات الأحاديث ،
 وفي الآيات الكثيرة المنبثقة في كتاب الله تعالى ،
 منها الإشراف بالله تعالى ، وقتل النفس
 بغير حق ، وأكل الأموال بالباطل ، وقرب
 مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، وظلم النساء ،
 والزنا ، والربا ، والقمار ، وقذف المؤمنين
 والمؤمنات ، وغير ذلك مما هو معلوم مشهور ،
 فإذا تطهر المجتمع من هذه الذنوب الكبرى
 فإن هذا التطهر في ذاته مفخرة له ،
 ولو أن أفرادهم وقعوا بعد ذلك في شيء
 من الصغائر والهفوات ، فإن الله يغفرها
 ويكفرها ، تحقيقا لوعده الكريم : إن تجنبوا
 كبائر ما تنهون عنه تكفروا عنكم سيئاتكم .
 وقول عمر رضي الله عنه : قد علم ربنا
 أن ستكون لنا سيئات ، يشير إلى ما يفهم
 من القرآن الكريم ، من أن الإنسان خطأ ،
 وأن الله تعالى كلفه أن يقاوم نزعات الشر

فهو إذن محاط بهذا وذلك من داخل نفسه وخارجها ، فهل يتصور أن الله سبحانه وتعالى ، وهو الذى خلقه على هذا النحو ، ثم سلط عليه هذه القوة ، تنميا للاختبار والابتلاء ، هل يتصور مع ذلك أنه يريد من البشر أن يكونوا مجتمعا مثاليا ، لا تظهر فيه أخطاء ولا تقع فيه ذنوب ؟

لذلك كله نعتبر فقه عمر في هذا الجانب السياسى الحكيم ، فقها ملائما للقرية النفسية للمجتمعات ، إذ أنه يربط المجتمع بالدين ، ويفهم أفرادها أن الدين ليس أمراً تعسفيا ولا تزميتيا ، وإنما هو أمر متيسر يستطيع الفرد العادى فى المجتمع العادى أن يصاحبه ، وأن يقبله وأن يعيش فى ظلاله ، دون أن يرى على نفسه حرجا ، ودون أن يشعر بأنه مكبل ، مترصدة عليه هفواته ، وبحاسب على التقدير والقطمير ، ويعامل بقسوة من الله سبحانه وتعالى ، وإنما يريد الله أن يعلم العبد أنه إذا أفلح عن الكبائر ، التى هى مواقف الإثم العظمى ؛ فإنه يكون متعرضا بذلك ، لا إلى مجرد أن تكفر عنه سيئاته فحسب ، ولكن بأن يدخل مع هذا مدخلا كريما فى الدنيا والآخرة .

ولهذا يجدر بإخواننا أهل العلم ، أن يتدبروا هذا الفقه العمى لدين الله ، فيكونوا فى بعض المواقف أصحاب سماحة كما هم أصحاب فضيلة .

محمد محمد المرنى

والفساد والإغواء التى أحاطه بها ، ما استطاع إلى هذه المقاومة سبيلا ، وهو الذى يقول فى وصف الذين أحسنوا : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ، وهذا التعليل لسعة المغفرة ، بالعلم بضعف الإنسان ، هو السر فيما أخذ به عمر نفسه ، من الترفق بالمجتمع ، وإدراك أنه مجتمع بشرى لا مجتمع ملائكى . وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة ، وهو أن الله خلق بجانب الإنسان ، عوامل الإغراء ، وعوامل الفتنة ، حيث يقول جل جلاله : « وإذا قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طينا قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركتهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان لإغوروا . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا . » وهذه الآية تتعاون مع الآية السابقة على بيان حقيقة هذا المخلوق الضعيف ، بحكم خلقه وتكوينه وماله من شهوات ورغبات ، والذى أحيط مع ذلك بعوامل الإغواء والإغراء والفتنة من الشيطان الخارجى ،

فَتْحَاتُ الْقُرْآنِ

مِنْ خَصَائِصِ الرِّسَالَةِ ، الْأَمَانَةِ فِي الْعِلْمِ لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّبْكِ

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا : إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » .

١ — لم يكن رسول الله من غير معجزة تؤيده من عند الله — سبحانه —

على عيسى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وأحيا الميت .
ونزل القرآن على محمد ، وانتصر في قلة من المؤمنين على جمهرة من الكافرين ، وظل كتابه قائما بين الناس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . إلى غير ذلك من معجزات كثيرة نهض بها حقه على باطل أعدائه ، وخفقت راية الإسلام في بقاع كان الكفر يخيم عليها طول حياتها .

وكل معجزة كانت في ذاتها كافية لإقناع الناس بصدق صاحبها في رسالته من ربه ، وفي دعوته إلى ما دعا إليه .

٢ — ولكن الناس درجوا قديما على

المعجزة في عنوانها ومفهومها مظهر عجيب لقدرة الله على غير ما ألف الناس ، ولا ينفضون إلى مطاولتها أو محاكاتها ولو تضافرت عليها قوامم جميعاً .

ثم هي معجزة دائماً ولو انقضى زمنها كالمعجزات السابقة .
فقد ركب سليمان الريح ، وسخرت له الجن والإنس والطير جميعاً .
وقد نزلت التوراة على موسى ، وكله ربه تسليماً ، وانشق له البحر فنجا بمن معه ، وغرق فرعون وجنوده ... ونزل الإنجيل

كثيراً من زعمهم أن الرسالة قدرة على شيء ويحاول دفعهم بالإقناع إلى جانب التوحيد . فمرة يقول عن الساعة : إنما عليها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ، ومرة يقول بصيغة عامة : إنما الغيب لله ، أو يقول : إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما الحكم لله واحد .

ثم يزداد في التجرد من زعمهم فيقول ما عليه ربه : لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، يعنى : لا تطلبوا منى مالا أستطيعه لكم : فإنى لا أملك لنفسى جلب منفعة ، ولا رفع مضرة : إلا ما يشاء الله أن أفعله بمعونته وتيسيره : ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ... وما معنى السوء ، يريد : لو عرفت الغيب وما يضمه القدر الذى استأثر الله به لا كثرت من عمل الخير لنفسى ، وحققت لها ما تصبو إليه من ظفر على العدو دائماً ، ومن أجر أو ثواب أدخره بالسبق إلى أعمال طيبة ، ولا تعرضت لضرر يصيبنى مما تكرهه النفس ، وتود الإفلات منه .

إذ أن السلم بالغيب يكشف لى ما استتر عن سوى ، فأستطيع الاختيار لنفسى ، ولكسبكم - يا معشر قريش - ترونى لا أفلت من المكروه الذى تدبرونه ، ولا أظفر بكل ما تتعلق به الرغبة ، فكيف أقدر على

التردد فى الاستجابة ، وعلى التثبكت فيما يأتهم به رسول ربهم ، وإن كان داحضاً للشبهات ، وأخذاً مأخذه من الصدق والقوة . وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً .

ولم يقف لجأج الناس عند التردد بل كانوا يقترحون أموراً ويعلقون عليها ليمانهم ويتعللون فى أمانهم الباطلة بأن من يكون رسولا من عند الله لا يعظم هلمه أن يأتى بكل مطلوب .

وتلك هى المراوغة التى كان يفزع إليها المبطلون حين لا يجدون معذرة مستساغة فى الإعراض عن الحق الأبلج .

ثم ينتهى الأمر بزهو الباطل على أى صورة من صور الفناء والدمار ، كما وعد الله تعالى : إن الباطل كان زهوقاً .

٣ - وكان من لجأج قريش مع النبي محمد - ص - أن يسألوه عن أمور كثيرة من علم الغيب ، كموعد الساعة - القيامة - التى يسمعون بها منه ، أو من غيره ... وكنزول المطر متى يكون ؟ وكنزوع الحمل الذى فى بعض الزوجات ، وهكذا .

والنبي - ص - فى كل موقف من مواقف تحديهم له يبرأ إلى الله ، وإلى الناس من علم الغيب ، ومن دعوى القدرة على ما لم يتبها له ولم يكن مأذونا فيه ، ومن تجاوز حدود البشرية إلى زعم الربوبية . بل كان يزداد فى براهنه

يعنى لو تزيد لأهلكناه بقوتنا ولا يستطيع أحد منكم أن ينجيه من إهلاكنا له ، ثم شهد له شهادة الكمال فى أمانته العلمية بقوله سبحانه « وما هو على الغيب بضنين ، أى ليس متهما بنقص ولا زيادة فيما يخبركم به عن ربه .

وفوق هذه الاعتبارات ، التى تتمثل فيها براعة محمد فى نبوته بما يشينها ، كان معهودا فى قومه بالصدق منذ طفولته ، وبالأمانة فى كل ما يتصل به أكثر مما كانوا يطعمون فى كبارهم أو يتوقعون من شبابهم السادر فى تقاليد البهيسة .

فلا يكون مستساغا عقلا - بعد أن توثقت علاقته بالله رسولا من عنده ، واشتدت به المسئولية أمانة وهصمة - أن يكتم هليا أو ينقص ، أو يزيد .

لا يكون مستساغا - عقلا - أن تزل قدمه بعد ثبوتها ، فينحرف عن تمام الأمانة ، أو يتعاضم فيزعم أنه فوق البشرية وأن له سلطانا يتيح له أن ينال نفعا ، أو يدفع ضررا ، « قل : سبحان ربى ، هل كنت إلا بشرا رسولا ، ؟ » .

هذا صنع الله فى نبيه ، وتأديبه لرسوله . وفى ذلك مناهة لمحمد صلى الله عليه وسلم من التورط مع الكافرين ، ومناعة له من العرض لعلم الغيب .

كل ما تزعمون ، وتحقيق ما تطلبون ؟ ؟ .

٤ - هذه مواقف غير هينة ، يتعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل فيها جهالتهم ، ويصابهم على لجاجهم ، بل كان يحلم عليهم أكثر مما يستحقون ، وطالما ساوره الأسف على حرمانهم من الهداية ، وجاهد نفسه فى العناية بشأنهم ، والحذب على اجتذابهم نحو الخير .

حتى كان لفرط انهماكه فى شأنهم يتلقى من عند الله مواساة هلى هذا الجهاد ، وتسلية عن ذلك الهم المرير « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر - فلا تأس على القوم الكافرين ، فلا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون » .

ه - ثم ما كان هذا العطف من جانبه ، أو التعتن من جانبهم لينحرف به عن قوله الحق .

إذ الأمانة طابع النبوة ، وخصيصة الرسالة وهى صفة المؤمنين الصادقين ، فما بالك فى تبليغ العلم إلى الناس . . ثم ما بالك بمقام الرسالة بين الله وعباده ؟ .

لقد برأه الله من مظنة الاتهام فيما يبلغه ، نقضا أو زيادة : « وما أرسلناك إلا لتبين للناس ما نزل إليهم - ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ،

٧ — هذه ظاهرة وبيلة تنال من كرامة الدين كما تنال منه ظاهرة التحلل ، والخروج عن نطائه ، فأحداها تضيق ، واختناق ، وصدد للناس عن توسع الخير من جانب التشريع السماوي .

والثانية إفراط في التسامح ، واجتياز للحدود ، وظلم للدين . وللنفس ، وللناس جميعا .
« ومن يتعد حدود الله فألئك هم الظالمون »
« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

والأمانة في العلم أمانة على حق من حقوق الله وحقوق عباده .

والأمانة كلها ودائع ، ترد إلى أصحابها معافاة من المساس بها ، كما أمر الله في قوله « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » . فالعلم كله ينتفع به في وجوهه : دينيا أو دنيا . . . وبهذا تكون الأمانة مؤداة منا إلى الله ، وإلى الناس على وجه الكمال . . . وإلا كانت خيانة لله الذي وهب العلم وتركه أمانة هندا . . . والرسول الذي بلغ وعلم ، وحض على التزود منه ، والعمل به في وجوهه عامة . وللناس الذين جعل الله تبليغ العلم إليهم حقا لازما لهم على من استودعه الله علما .

وعلم الدين إن لم تسكفه أمانة التبليغ كان تضليلا ، ووسيلة شيطانية للإغراء . وقتنه الناس عن الحق ، والإيقاع بهم في غير ما يرام لهم من خير وفلاح .

٦ — وهنا تكون قدوتنا بالرسول في الأمانة العلمية حقا لازما ، وأمرامفروضا حتميا . إذ لا معنى لأن يكون إماما حقا ، وقدوة مبعوثا ، ورسولا داعيا ، ثم نتخلف عن القدوة به ونزهم أنفسنا على الجادة المرسومة لنا في عمله ، وهديه ، وأنتا حفاظ للأمانة التي ورثها العلماء عن الأنبياء .

ولكننا منينا بالتجاوز لتواضعه ، وأمانته ، فتعلمنا بغير علم .

وهذه نزعة نبئت فينا وتفتشت بيننا ، حتى جرت منا مجرى الدم من اللحم ، وغدت ظاهرة شخصية في الكثير منا لجهلنا بخاطر الأمانة العلمية .

ففيينا من يتوسع في فتواه بما يشتهي ، متأولا في نصوص الشريعة ، وزاعما أنه فوق الأولين ، وفي مقدمة الآخرين ، وكمن مفتون بنفسه أضله الله على علم .

وفيينا من يتقبض في قلبه لدين الله ، ويحجب إشعاع القرآن عن معترك الحياة ، ويخيل للناس أن الله يتعبد لهم بالانكشاف في دنياهم ، والحرمان مما أحل لهم ، وأن الحياة لا تفسح مجالا لتوجيهات العلم ، وأن كل محاولة للاستمداد من هدى الدين الصحيح جراءة ذات أثر سيء في المجتمع ، وقد دلت هذه النزعة على سوء فهم لرحابة الإسلام ، ومجاراته للحضارة السليمة .

منهم أحزاب دينية ، وزعم كل حزب أن متبوعه ذو حظ وصاحب مقام كريم عند الله دون غيره من المتبوعين : وما أكثرهم !! حتى بلغ من أولئك المتحزبين لغيرهم أن ينسبوا إليهم كل خير يصادفهم ، ويلتمسوا رضاهم في كل أوقاتهم ، ليظفروا بما وواه ذلك من وساطة ، وزاني إلى الله وحصول على الآمال ، وأن تكون هناك نفوس طيبة حقاً ، ودعوات صالحة مرضية فذلك مع تقديرنا له لا يبيع أن يفرض لغير الله شأننا في ملكه ، ولا تدخل في تدبيره ، ولا يبيع أن نذكر شيخنا عند كل مفاخرة ، وننسى ديننا في أى حال .

العمل الصالح يرفع صاحبه ، ودعوات الأبرار نافعة بمشيئة الله ، ولكن هذا لا يفيد أبداً أن لأحد عند الله شأننا ، أو تدخل في قضائه وقدره . . . فليكن دعاؤنا لله ، وتقديسنا لله ، واتكنا قدوتنا بالصالحين في أعمالهم الطيبة ، دون أن نجعل لهم مقاما من مقامات الألوهية فهم بحاجة إلى دعوات ، وصدقات تنفعهم إذا تقبلها الله منا لهم .

وليس لعبد من عباده خطوة ترفعه أكثر من أنه مقبول بعمله ، إلا ما نبت لمحمد صلى الله عليه وسلم وللأنبياء من قبل صلوات الله عليهم جميعاً ، ورضى الله عن صالحى المؤمنين ، وهذا ما بهديه .

عبد اللطيف السبكي

وليس شراً عند الله من تضليل على حساب العلم ، فإن ذلك تقويض لمعالم الرسالات . وعلى الدنيا كذلك في أمانته ، وخطره ، وشراً لا انحراف به عن سبيله في نفع الناس فإن العلم كله فيض من جانب الله ، وقبس من نوره لنفع عباده ، وهديمهم في دنياهم ، وهو في الجملة نعمة يجب أن نشكر باستخدامها في فواحيها الخيرة .

والله - تعالى - يحاسب كل ذى نعمة على نعمته ، وإن يترك الناس في سبب من الفوضى ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر !! .

وقد تعلق الناس قديماً بأهل العلم الدينى على ألوان شتى .

فهم من اعتدل في تعلقه ، وأحسن في تقديره ، فتمياً من ذلك للعالم أن يفيد ، وللتعلم أن يستفيد ، وهذا في إطار من أدب العلم وأمانته والتماس هديه في غير تزمت ، ولا مجازفة .

وهناك لإسراف من الجانبين - ففي جانب أهل العلم زعم لبعضهم أنهم على خصوصيات من الله ورسوله ، وأن الله بوأهم منزلة الوساطة عنده في أمور الناس ، ولهم نصيب من الجاه في سلطانه - سبحانه - والإسراف من جانب الاتباع أنهم تأثروا بهذه الدعايات ، واستسلموا عن طيب خاطر لأصحابها فالتفتوا حول أفراد كثيرين ، وتكونت

دراسة عن علي مبارك

للاستاذ محمود الشرقاوى

مقدمة :

كانت هذه كلها أمور لم يصل صداها إلى مصر في عزاتها تلك .

ولكى ندرك إلى أى مدى كان حكام مصر وساداتها بعيدين عن معرفة ما يجرى خارج حدود مصر : نذكر أن أمير مصر وحاكمها عند قدوم الحملة الفرنسية : مراد بك ، لم يكن يدري أى شئ على الإطلاق عن قوة جيوش نابليون وعن فتوحاته وانتصاراته في أوروبا . وأنه — كما ذكر علي مبارك — عندما علم أن نابليون دخل الاسكندرية ، طلب إلى صديقه (كارلوروسيتي) : قنصل النمسا في مصر ، أن يكتب له خطابا يطلب إليه فيه الخروج ، فقال له القنصل إن نابليون لم يدخل مصر يا ذى حق يتركها يا ذى ١ . وكأنه أراد أن يهين في السخرية من مراد فقال له إن كان لا بد من خطاب أرسله إلى نابليون فأرسل إليه معه خمسين ألف قرنك . حتى يرحل ... (١) .

كانت مصر . حتى نهاية القرن الثامن عشر في عزلة تامة عن أوروبا ، وعن الحياة الخارجية كلها . ونستطيع أن ندرك مدى هذه العزلة إذا درسنا سير حكام مصر من المماليك في هذه الفترة الأخيرة . وعرفنا مدى جهلهم بما كان يجرى في العالم إذ ذاك من أحداث كبار : ومع أنه كانت هناك صلات لا بد منها بين مصر — الولاية العثمانية — وبين الدولة العثمانية . فإن هذه الصلات كانت من القلة والنفاذ والاضطراب بحيث لم يكن لها أى أثر في خروج مصر أو لإخراجها ، من هذه العزلة الصارمة .

ولكى ندرك مبلغ العزلة التي كانت تعيش فيها مصر وحكامها وأهلها . نذكر أننا لا نجد أثرا على الإطلاق يدلنا على أن مصر أحسست أو عرفت ما وقع في ذلك القرن من أحداث جسام . حتى الثورة الفرنسية وما جرى فيها من دماء . وما انتهت إليه من تطورات بعيدة الخطر في حياة الإنسانية كلها ، وما دعت إليه من مذاهب وآراء .

[١] ص ٥٧ ج ٧ من المخطوط . نقلنا من كلون بك . وانظر أيضا الجزء ٢ — من كتابنا « دراسات في تاريخ الجبرتي ، مصر في انقراض الثامن عشر » ص ٨٦ — ٨٨ من الطبعة الثانية .

كلها في العمل على نشر العمران والحضارة والتعليم في مدن مصر وقراها . وبلغ من ذلك مبلغا يشرفه أبعد الشرف وأسماء . ويشرف ذلك « الفلاح المصرى ، الذى خرج من أصلا به . والذى كان محمد على والحاكون من قبله ومن بعده - من أسرته - ينظرون إليه نظرة ملؤها السخرية والتحقير . وسرى في هذه الفصول من سيرته . إن هذا الذى وصفناه به ، لا مغالاة فيه ولا سرف .

كان على مبارك رائداً عملاقاً في حياة مصر في القرن التاسع عشر . أنشأ لها من المشاريع الكبيرة ، وأقام فيها من الإصلاحات ، والإنشاءات ، والمدارس ، ما يصعب تحديده وحصره ، وإدراك الآثار العظيمة الهامة التى جنتها مصر بعد ذلك من مشاريعه وإصلاحاته وإنشاءاته ، أشد عسراً وأبعد مثالا . وقد مستت هذه المشاريع والإصلاحات مرافق مصر الرئيسية كلها . في الزراعة ، والرى ، والهندسة ، والمواصلات ، والمدن ، والتعليم . بل نستطيع أن نقول أنها نهضت بهذه المرافق نهضة كبرى .

أما صفات على مبارك وبمخزاته النفسية ، وخصائصه الذاتية ، فسرى من ترجمته أنها كانت ، كذلك ، مثلاً يشرفه ويشرف ذلك الفلاح المصرى الذى خرج من أصلا به . وصف المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبى

فلما قدمت الحملة الفرنسية ، واستطاعت غزو مصر ، والاستقرار فيها ثلاث سنين ، ولو أنه كان استقراراً قلقاً مشوباً بكثير من المتاعب ، بدأت ريح الغرب تهب على مصر وأخذت الحضارة الغربية والحياة الغربية - بما فيهما من خير وشر - تعرف في مصر ؛ شيئاً ما ، ولو أنها معرفة مشوبة أيضاً بكثير من الحذر والريبة والاثام .

ثم تولى محمد على حكم مصر في سنة ١٨٠٥ فاستقبل هذه الريح القادمة من الغرب باسطاً ذراعيه . بل كان يستحثها لتسرع في الهبوب على مصر في قوة وشمول . وبدأت الحضارة الغربية والحياة الغربية تدخل حياة مصر ، وتمكن منها . بما كان يرتبط به محمد على من صلات تجارية مع أوروبا ويستقدم من رجالها لخدمته وخدمة الدولة . وما كان يرسل إلى فرنسا بصفة خاصة ، من بعوث كثيرة من أبناء مصر .

في هذه الفترة التى بدأ محمد على يفتح فيها أبواب مصر على مصاريحها لريح الغرب ، ولد في قرية من قرى مصر الواقعة على نيلها الصعيد . طفل مصرى كان له أكبر الأثر في إفادة مصر ، إفادة جدية مثمرة ، من حضارة الغرب وعلمه . طفل أرسله ، فيما بعد ، محمد على ليدرس الهندسة العسكرية . ولكنه بعد أن اكتملت رجولته وعلمه ، قضى حياته

يعمل من الشئون . ولكنه عالف عن أمر أبيه وعصيه وهاجر وغامر حتى تعلم في الكتاب ، وفي مدرسة قصر العيني ثم في المهندسخانة ، ثم في كلية الهندسية العسكرية ، بفرنسا . فكان من نوابغ خريجيها في الرياضة والهندسة . ومن الطرائف التي ذكرها عن نفسه أن موظفا كبيرا سأله وهو صبي في المدرسة عن ضرب الواحد في الواحد ، ما حاصله ... ؟ فقال اثنان ١٠٠٠ فضربه مسائل ، بمقلاة بن ، كانت في يده فشج رأسه ١٠٠ فلما عاد إلى أبيه ضربه وزجره واشتد عليه . ثم كان من هذا الصبي الذي لا يعرف ضرب الواحد في الواحد نابغة من نوابغ الرياضيين والمهندسين ، بفضل جملته وصبره ومثابرته . وقد رحل إلى فرنسا وهو لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر تدرج في وظائف الدولة حتى كان وزيرا لوزارات ثلاث في وقت واحد ، ومديرا لمصلحة كبرى معها . أدى فيها جميعا لوطنه من الأعمال ما قد يعجز عن مثله جمع من الرجال .

وفي آخر حياته ترك القاهرة إلى قريته ، ثم عاد إليها مريضا حيث مات في بيته بالخلية ليلة الثلاثاء ١٤ من نوفمبر سنة ١٨٩٣ (١٣١٢) هـ وكانت له جنازة مشهودة .

على مبارك ، في كتابه : « حضر إسماعيل » ، بأنه « أبو التعليم في مصر » . وقال تلميذه وصديقه المرحوم محمد باشا دري الحكيم في ترجمته له إنه : « أنار العقول بالعلوم » وأفاد مصر المدنية .

وسنجد في هذه الفصول أنهما صدقا في ذلك غاية الصدق .

حياته ووفاته :

ولد على مبارك في سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٢) في قرية : « برنبال الجديدة » (١) من أسرة وأب يقول إنه كانت لها مكانة وقربى عند الحكام ، ومع ذلك فقد لقي أبوه ولقيت أسرته من الأدنى والشر شيئا كثيرا فصل أمره في ترجمته لنفسه ، حتى هاجر أبوه من قريته تلك إلى الشرقية في حديث طويل شيق مؤثر .

وكان أبوه يقوم لأهل القرى التي عاش فيها وهاجر إليها بشيء كثير من العمل : فهو فقيهم وقاضيه وخطيبهم وإمامهم وموفق العقود لزوجاتهم ، وهو إلى ذلك يزن لهم ويسكيل ما يبيعون وبشرون ويحصلون من زروع .

لم يكن أبوه يريد له أن يتعلم . بل كان يريد أن يساعده ويعينه ويعمل معه فيما

(١) من قرى : « محلة دمنة في محافظة الدقهلية .

صفاته وأهمه:

كان علي مبارك عطوفاً باراً ، رقيق القلب مرهف الحس ، شجاعاً في حرصه ، مخلصاً في عمله ، وديعاً مسالماً . أما وداعته ومسالته وحرصه ، فنجد مظاهرها والتدليل عليها في حديثه عن علاقته بالثورة العربية (١) . كما نجد ذلك في حديث زواجه الثاني ، وما اتى فيه من رفق وعسر .

وأما عطفه ورقة قلبه ورهافة حسه . فنجد مظاهر ذلك في عطفه البالغ على أطفال المدارس ، وإشفاقه من سوء معاملة المعلمين لهم ، ودعوته إلى معاملتهم بالرفق والحسنى والمحبة . وكان ما لقيه في طفولته وصباه من معليه في قصر العيني ، أكبر سبب لهذه العقلية التربوية الجديدة التي سبق بها علماء التربية في عصره ، في مصر على الأقل ، فنحن نحس من حديثه عن هذه الفترة أن هذه القسوة عليه وعلى زملائه من الصبية ، بقي أثرها في نفسه قويا بقية حياته كلها .

ونعرف أنه رقيق العاطفة ، مهذب النفس ، خير القلب ، من قصة زواجه من بنت معليه في مدرسة أبي زعبل . فقد رأينا أنه تزوجها هرفاناً لفضل أبيها عليه ، في التربية

[١] أنظر مقالنا : « علي مبارك والثورة العربية في الجزء - ٤١ - من « المجلة » التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بالأقاليم الجنوبية [مايو سنة ١٩٦٠] .

والمعروف ، فلما مات أبوها وتركها فقيرة تزوجها .

ونعرف ذلك أيضاً من قصة زواجه الثاني . فقد تزوج قبل سفره إلى الحرب في تركيا فتاة من أسرة كريمة هي قريبة المرحوم أحمد باشا طوب صقال . وكانت ذات مال كثير وثروة طائلة . ولكنها كانت غريبة ساذجة لا تحسن التصرف في شيء . وكانت أمها قد تزوجت بغير أبيها ثم ماتت . وبقيت الفتاة عند زوج أمها هذا صغيرة يتيمة . وتزوج هو مرة أخرى فاستولت زوجه على شعور هذه الفتاة الساذجة وقلبها . واستولت كذلك على ثروتها ، بحيث لم تكن تعرف من أمر أمها ما شيئاً . فلما دخل علي مبارك بهذه الفتاة خشيت هذه السيدة أن يطالبها بثروة زوجها فكادت له كيداً عند والدته الخديوى عباس حتى خاف علي مبارك على حياته . واستطاع أن يخرج من هذه المحنة . ولكن السيدة - كافلة زوجها - استطاعت ، في غيبته في الحرب ، أن تجرد زوجه من كل تملك .

وهي قصة طويلة معقدة فصلها في ترجمته . نعرف منها أنه استطاع أن يخرج من جميع ما نسب إليه من تحييف زوجه في مالها . وأنه أثبت إثباتاً قاطعاً أنها مدينة له بمال كثير . فلما أثبت ذلك تنازل لها عن هذا

أما بره بأهله فنحن نجد في ذلك قصة مؤثرة رائعة في حديثه عن زيارتهم ، بعد أن غاب عنهم أربعة عشر عاما ، وكيف لقي أمه ولقيته وكيف أحس حرجها وحسرتها وغصة قلبها لأنها لا تستطيع أن تقدم له ما يليق من طعام . وهي قصة من أرق وأجل ما نلحظه في حديثه عن نفسه ، وأشدّها حساسا بالقلب ، وتأثيرا على النفس والإحساس .

سجّاع :

كان شجاعا ولسكنه صاحب حيلة وبراعة في سوق ما يريد أن يسوق من حديث قد يمر الأذى والشر .

من مظاهر شجاعته أنه سيجل في حديثه عن طلب عباس له ليقابله ، أنه خاف من ذلك خوفا شديدا . لأنه كان يعلم ما يقع لمن يلوذ بالعائلة الخديوية من الإيذاء ،^(١) وهو

[١] لى نستطيع أن ندرك الرعب الذى كان يسيطر على نفوس الوزراء وحاشية الخديوى في ذلك الوقت ، فنقل هذه الفقرة من المرحوم الدكتور يعقوب صروف . في الترجمة التى كتبها لعلى مبارك وكان من أصدقائه الحميين : « ولم نسمع أن وزيرا من الوزراء كان يجزع من ملكه كما جزع صاحب الترجمة من الخديوى السابق - على ما يهد فيه من الشجاعة الادبية التى حملته على تقرير الحقائق في ذلك الكتاب النفيس - بقصد تدبير الفكر في نيل مصر لعلى مبارك - ولم يكن هذا الجزع خاصا به ، بل كان شاملا لكل حاشية الخديوى . حتى أقرب المقربين إليه ، ص ١٥٥ / ١٥٦ من كتاب أهلام الفتنة للدكتور يعقوب صروف .

كله . وترك بيتها الذى أنفق على إصلاحه مالا كثيرا . وترك فيه الجوارى اللاتي كن في ملكه . ولم يأخذ سوى إقرار بثبوت دينه قبلها . وإثبات تنازله عنه .

وهى قصة نخرج من حكايتها بأنه كان رجل مثل وخلق وكرم نفس وصفح وتسامح .

وفى وصفه لوداع صبية المدارس له عند خروجه للحرب ، صورة مؤثرة تدل أكبر الدلالة على ما كان عنده من رقة العاطفة ،

وعلى ما ترك في نفوس هؤلاء التلاميذ من حب له وتعلق به . فهو يقول إن جميع

التلاميذ صفارا وكبارا ، خرجوا لوداعه ، رغم نهى ضباطهم ، ووقفوا على الساحل

أمام السفينة التى تحمله ، وكانوا ينتحبون ويبكون ، انتحاب الولد على والده . . حتى

بكى عينه تأثرا لعاطفتهم ومحبتهم . ولسكنه ، كما يقول ، انشرح صدره لما رأى من ثمرات

تربيته وتعليمه وغرس يده .

وفى حديثه عن أطفال باريس^(٢) ومافهم من مضارة وغضارة ونظافة ونشاط ومرح ،

ومقابلة حالهم بحال أطفال مصر . فى هذا الحديث الرقيق المليء بالحمرة والالام ،

ما يشعرنا شعورا قويا بحب على مبارك لأطفاله من التلاميذ وأبناء الشعب . وإحساسه

بما كانوا يعيشون فيه من شقاء ومحنة .

[١] ص ١٦٥ - ١٦٥ ج ٣ من كتابه « علم الدين » وسنفرده حديثا خاصا .

الناس إلى الإصلاح وأسرعهم تقدماً في سبيل
الفلاح إذا وجدوا حاملاً على ذلك (١) .

ويلوم خلفاء محمد علي هل أنهم لم يعنوا
بالمدرسة التي أنشأها لتعليم الزراعة حتى فشل
مشروعها فكان ذلك خطأ منهم وتقصيراً
يأسف له . وكان الواجب على من يلى الحكم
في بلد زراعى كصر . ألا يحرص على هذه
المدرسة وحدها فقط . بل يكثُر من إنشاء
غيرها في الحواضر والمدن . ويكثُر من
إقامة أماكن خاصة لتجارب الزراعة
ومستحدثاتها (٢) .

ويقول إن زراعة القطن ، أضرت بخصوبة
التربة المصرية ، وأن تكرار زراعته « من
غير مراعاة قوانين الفلاحة قد امنص قواها
وأضعفها » (٣) وأن إنشاء ترعة الإبراهيمية
على النسق الذي أنشئت به أضرت بالأراضي
الواقعة من أسيوط إلى بني سويف (٤) .
والتوسع في زراعة القطن كان من سياسة
محمد علي ، وكان مؤرخوه يرون أنه من
مفاخره وأفضاله على مصر ، وترعة
الإبراهيمية كان مؤرخو الأسرة العلوية
يرونها أيضاً من مفاخرها .

مظهر أيضاً لما كان يتصف به من الأمانة
العملية والتاريخية . ونجد دليلاً آخر على
شجاعته في كتابه « تدبير الفكر في نيل مصر »
وقد جرّت عليه هذه الشجاعة الشر ، حيث
اتخذ لإسماعيل المفتش مما كتب في هذا
الكتاب ذريعة لإثارة غضب إسماعيل
وسخطه عليه .

نجد في كتاب نخبة الفكر هذا ، وفيما
تحدث به عن أصل المصريين وأخلاقهم
خاصة ، أشياء من البصير جداً أن يثار بها
غضب إسماعيل ويتحرك سخطه . فهو يقول
« إن السائس الأعظم لابد أن يكون عالماً
شرعياً ، وكذلك نوابه وعماله . ويقول
إن بلاد المسلمين بلغت ذروة مجدها وغاية
سعادتها وعزها عندما كان السلاطين والعلماء
كلاهما من أهل المعرفة ، يراقب بعضهم
بعضاً . ثم رجعت بلاد المسلمين القهقري
عندما تغلب على الحكم فيها أهل « الخشونة
والجهل » ، فوقع المحكومون تحت تصرف
الآهواء وتنازع الأضراض . فوقفوا في
السمر ، ثم تقهقروا حتى تدهوروا (٥) .

ثم يقول إن أهل مصر كغيرهم من الأمم
الأوربية في قبولهم الإصلاح والتقويم
والإصلاح . إذا سار فيهم حكمهم سيرة
الاستقامة والعدل . بل إن المصريين « أقرب

[١] ص ١٧٥ من الكتاب .

[٢] ص ٢٢٥ من الكتاب .

[٣] ص ١٥٨ .

[٤] ص ١٥٩ .

[٥] ص ١٧٣ من الكتاب .

حجاً للإنجليز متعارفا معهم بقلبه ، بعد احتلالهم مصر .

وقد بلغت هذه التهم الجارحة الظالمه ، حدّ وصفه بأنه خائن ، كان يرشو بعض الأعراب بالمال ليكونوا عوناً للإنجليز في حربهم للعرايين . ولـكننا نذكر أنه عندما قرر تدريس بعض هذه المواد بغير اللغة العربية ، اختار الفرنسية دون الانجليزية ، وكان ذلك بعد الاحتلال . وهذا يذكره في مواقف الشجاعة والإخلاص أيضاً . ومن هذه التهم التي جلبها عليه رأيه هذا ، أنه خارج على وطنه ، منسلخ من قوميته .

كان عبد الله التديم ، داهية الثورة العربية وخطيبها ، من العائنين على مبارك الذاتيين له . كتب مقالة (١) عرض فيها بمن يتعلم في أوروبا من المصريين ثم يعود إلى وطنه وقد اتوى لسانه وتذكر لأهله ، ويصف واحداً من هؤلاء قد طرق على أهله بابهم بعد غيبته الطويلة في أوروبا ، فلما سألوه من هو ؟ أجابهم بلغة أهل باريس ، فلم يفهموا أنه شيئاً . كانوا يحدثونه ، من وراء الباب ، بلغة أهل الريف ، وكان هو يحبهم باللغة الفرنسية ، وهذه إشارة تذكرنا ،

ونجده يقول أيضاً إن نظم الزراعة في عهده وقد أثرت في التجارة والصناعة تأثيراً ذابال في ثروة القطر العمومية ، وذلك أن أغلب الأصناف التي أهمل زرعها كان باعثاً عظيماً على محاولة الصناعة وداعياً إلى توسع دائرة التجارة (١) وضرب لذلك مثلاً زراعتة الكتان والمرعى وإهمال تربية المواشى والأغنام ، وغير ذلك .

وكذلك مخالفته من أمر إسماعيل المفتش في شأن سكة الحديد وضمها إلى وزارة المالية . ونحن نعرف أن المفتش كان صاحب الخطوة الأولى والكلمة المطابقة عند سيده وأخيه - من الرضاع - إسماعيل . وقد جرت عليه هذه المخالفة غضب إسماعيل وسخطه . وإن كان قد رجع فقرضاه ، واستخدمه ، فذلك لأن إسماعيل ، ولأن الدولة أيضاً لم تكن في غنى عن نشاط على مبارك وكفايته وإخلاصه وجهده . ومن مظاهر شجاعته أنه دعا لأن يتعلم المصريون العلوم العصرية الأوروبية . كالطب والتاريخ والجغرافيا ، باللغة الانجليزية والفرنسية . لأن ذلك - في تقديره - أجدى وأنفع لهم وأيسر ، وقد كان هذا الرأي الشجاع منه سبباً في خصومات غير هيئة له . وتهم غير يسيرة ألصقت به . منها أنه كان

[١] نشرت في العدد الأول من الجريدة التي كان يصدرها باسم « التفكيك والفكيت يونيو ١٨٨٨ » وكان عنوانها « مربي تفرنج » .

بسبب ما تورط فيه من الدين. ولم يكن يسيرا عليه ، بعد ذلك ، أن يعدل عن هذا الذى مدح به إسماعيل لاعتبارات من السهل علينا إدراكها وهذا أيضا يمكن أن يقال عن توفيق.

فوقفه من توفيق ، كان موقف المدافع المشفق . لا موقف المشجع المؤيد . لأنه لم يكن من دعاة العنف . وكان يرى أنه خير لمصر أن تجدد حياتها فى هدوء . وأن تقيم بنيانها ، برفق ، حجراً بعد حجر ، وخطوة بعد خطوة . وفى هذا قضى حياته الخصبية المنتجة العاملة كلها .

وكان هلى مبارك فى كثير من هذه الأحاديث التى مدح بها إسماعيل وأسرته محمد على ، يقارن بين عهود ولاتها وعهود الممالك والأتراك التى سبقتها . فلم يكن مدحه مطلقاً ولكنه نسبي . ومع ذلك يجد فى بعض الحقائق والأرقام التى أوردتها وسجلها ، بعيداً عن الإشادة والمدح ، ما ينقض هذا المدح والإطراء . ويظهر حكم محمد هلى على 'عكس ما يمدح به . فهو ، مثلاً ، يقول فى حديثه عن مدينة الإسكندرية ، إن تعداد سكانها ، عند ولاية محمد على كان بين سبعمائة وثمانمائة ألف . وكان عند وفاته مائة ألف (١) .

هلى أن هناك أمران يجب أن نلاحظهما قبل أن نترك حديث شجاعته ومدحه لإسماعيل

بلاشك ، بما قصه هلى مبارك عن نفسه هند ما رجع إلى أهله بعد غيبة أربعة عشر عاماً فى فرنسا .

وقد سمعت عن بعض المعمرين الذين هرفوا على مبارك ، أن النديم كان يقصده بهذا التعريض . وأن العارفين الذين قرأوا مقالة النديم يوم ذاك لم يشك واحد منهم فى أنه يقصده .

ونجد أن هلى مبارك فى كتابه 'الخطط الجديدة' قد مدح أسرة محمد هلى وأشاد به وبالحدويين من أبناءه . وقد يقول قائل إن هذا المدح لا يتفق مع ما وصفنا من شجاعته . ولكننا نقول : إنه يمدح فى خطه حقاً الأسرة العلوية مدحاً مقتصدًا حيناً ، ويشيد بها إشادة فيها شيء من المبالغة حيناً آخر . ويذكر بالخير ولاتها ، وخاصة إسماعيل وتوفيق . وقد عرفنا من سيرته أنه نال فى ولاية إسماعيل أعظم ما ولى من مناصب الوزارة والحكم . وحقق فى عهده أعظم ما شاء الله له أن يحقق من مشاريع فى الهندسة والرى والتعليم والأوقاف وتعمير المدن وتنسيقها . إذا عرفنا ذلك كان من اليسير أن نعرف السبب فى هذا الخير الذى ذكر به هدى إسماعيل .

هلى أنه يبدو من سياق هذه الأحاديث التى ذكر فيها إسماعيل فدحه ، أنه كتبها قبل أن تلتوى على إسماعيل أمور مصر وتتعقد شؤونها

وضعت قبلة تحت مجلس الحديوى إسماعيل
فى الأوبرا واختير هو رئيساً لمحكمة المتهمين
فيها لم يذن أحداً منهم لما رأى من عدم
كفاية الأدلة (١).

مستقيم أمين :

وكان مستقيماً أميناً على مال الدولة . نجد
من سيرته أنه قد ركب الدين بعد ما تولى
من كبار الوظائف فى الجيش والحكومة
والوزارة ؛ وألف كتباً تطبع منها الألوف
للتلاميذ المدارس ؛ وأنعم عليه عباس
بثلاثمائة فدان .

وهذه الثلاثمائة من الفدادين ، لا نجد
لها ذكراً بعد الإنعام بها عليه . ولا نجد
لها أثر فى ثروة خلفها بعد موته ، فاعله
لم يستطع أن يستغلها ويستنتجها ، أو لعل
عباساً أو غيره من الولاة عاقرتها منه
ولم يستطع هو أن يذكر ذلك . ولا يبدو من
سيرته وصفاته ؛ أنه كان متلاً للبال مسرفاً .

مخلص متواضع جلد :

وكان مخلصاً فى عمله غيوراً عليه متواضعاً
فيه صبوراً جلداً . لا يأتف أن يقوم بالعمل
الصغير بعد أن تولى كبار المناصب . نراه ،
وهو وزير المعارف ، يلقي دروساً على التلاميذ

وتوفيق وأشباههما من حكام مصر : الأمر
الأول أن سياسة الحكم ونظمه ، وعدالة
الحاكم وظلم الرعية ، من الأمور النفسية التى
يختلف تقديرها والحكم فيها باختلاف
العصور . كما نعرف بل هو لا يختلف فقط
بل يتباين ويتناقض ، ومن الخطأ أن نتخذ
مفاهيم هذه الكلمات التى نذكرها الآن منها ،
مقياساً لمفاهيم تلك العصور ، وأن نحاسب
على مبارك بهذه الموازين . والأمر الثانى
أنا لا تأخذ الحكم على على مبارك وخصائصه
النفسية بما كتبه فى الخطط وحدها . بل يجب
أن ننظر بمعياد دقيق لما كتب فى «علم الدين»
خاصة . ولعله قصد ، وهو يؤلف كتابه هذا ،
أن يقول فيه ما لم يستطع أن يقوله فى الخطط .
أو أن يوازن بين هذا أو ذاك . وطريقة
تأليفه لعلم الدين ، تعطيه قدراً عظيماً
من الحرية فى القول . كما نرى عند الحديث
عن كتابه هذا .

وقد رأينا بعض حديثه عن الفساد ،
والعدل فى الرعية وذم الإسراف عند الحاكم ،
ونجد عند قراءة الكتاب شيئاً كثيراً من
ذلك وما يشبهه . كأنما أراد به أن يذكر
إسماعيل وتوفيق وأشباههما ، بما يجب
أن يكون عليه الحكم والحاكم وكيف
تسام الرعية .

ومن دلائل شجاعته ومظاهرها أنه عندما

[١] ص ٨١٥ من كتاب : « تقويم النيل »
لامين باشا سامى المجلد الثانى . الجزء الثالث .

ثم سأله عن يليق لهذه المهمة . فقال له علي مبارك : أنا ، فظن آدم أنه يهزل ، فهو يعلم أنه أكبر جداً من هذا العمل الصغير بعد ما باشر من كبير الشئون والوظائف . وقال له آدم : أترضى أن تكون معلماً لهؤلاء ؟ . فأجابه علي مبارك : وكيف لا أرغب انتهز فرصة تعليم أبناء الوطن وبث فوائد العلوم . ؟ فقد كنا مبتدئين نتعلم الهجاء . ثم وصلنا إلى ما وصلنا إليه ، ^(١) . وقد رأينا أنه قام بهذا للعمل فعلاً .

وقد كان علي مبارك يذهب إلى هؤلاء الأميين فيكتب لهم حروف الهجاء بيده ، ولأنهم لم يكونوا مستقرين في مكان واحد كان يذهب إليهم في خيامهم ويكتب لهم بيده تارة على الأرض ، وتارة بالفحم على البلاط ^(٢) .

(البقية في العدد القادم)

محمود الشرفاوى

ويضع بنفسه ، أو يشترك ، في تأليف الكتب لهم . ويقيم مطبعة يشرف بنفسه على طبع هذه الكتب فيها . وهو ، إلى ذلك ، يتولى بنفسه أيضاً الإشراف على ما كل للتلاميذ وملبسهم وراحتهم . حتى أنه يعلم التليذ كيف يلبس ، ويقرأ ، ويكتب . كما يراقب المعلمين في فصولهم الدراسية ، وفي تعليمهم وتأديبهم للتلاميذ . لا يمر يوم إلا وقد أشرف على ذلك كله بنفسه . حتى على خدمة الخدم . وهو متواضع لا يأتيه أن يعلم الضباط ومن دونهم « حروف الهجاء » بعد أن تولى كبار المناصب وقام بجليل الأعمال ، والتحق بحاشية سعيد . وتمتع بما تتمتع به حاشية الملوك من الأبهة ، والسطوة ، والوجاهة ، والصدارة . ويقبل أن يقوم بالإشراف على المكاتب الأهلية ، بعد أن كان يتولى ثلاث وزارات معاً . ومعها إدارات أخرى ومناصب لا تقل عنها أهمية وخطراً .

تحدث إليه المرحوم آدم باشا في أنه مأمور من سعيد باختيار معلمين يعلمون الضباط وصف الضباط القراءة والكتابة .

[١] ص ٤٨ من الجزء التاسع من الخطط .

[٢] نفس الصفحة .

بَيْنَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ

للدكتور حامد عبد القادر

عضو مجمع اللغة العربية

وقد كان من الطبيعي أن يتبع الفتح العربي لبلاد الفرس انتشار الإسلام بها ، وأن يتعلم الفرس اللغة العربية لغة القرآن والدين ، وأن تحل الأبجدية العربية محل الأبجدية الآرامية ، وأن يحدث في إيران انقلاب أخذ يقوى شيئاً فشيئاً حتى شمل جميع مظاهر الحياة ، وتغيرت العقيدة الفارسية . فأخذت تنظر نحو الحياة الدنيا والحياة الآخرة نظرة جديدة ، ولم يكن في استطاعة الفرس أن يقاوموا القوة المادية الروحانية الإسلامية التي غمرتهم وأحدثت بهم من كل جانب .

غير أن آثاراً من دينهم القديم وتقاليدهم السابقة ظلت عالقة بأذهانهم ، فأثرت - دون شعور منهم - في عقائدهم وتقاليدهم الجديدة ، وبقيت آثار من لغتهم وآرائهم كامنة في صدورهم أو مدونة في بطون كتبهم ، أو متداولة فيما بينهم في منازلهم إلى أن ظهر أمرها حين قامت قائمتهم ، وتآلق نجمهم في أفق التاريخ مرة أخرى لحاولوا إعادة سالف مجدهم وإحياء ما درس من علومهم وآرائهم .

أما الآثار الدينية فقد تجلت في مذهب

ينت في القسم الأول من هذا البحث ما كان بين العرب وغيرهم من الأمم المجاورة لهم من صلات وعلاقات سياسية وتجارية وغيرها ، وأوضح ما ترتب على هذه العلاقات من صلات لغوية أدت إلى تسرب كثير من الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وقلت إن القرآن الكريم نزل وقد صقل هذه الكلمات بالصيقل العربي فاستعمل بعضها ، لا على أنها أعجمية بل على أنها كلمات معربة عربية الصيغة والصيغة .

كان هذا قبل الإسلام أما بعده فقد بلغت صلة العرب بالفرس منهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد الفرس ، وامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الفارسية ، وتكونت منهما ثقافة إسلامية واحدة موطدة الأركان شاحنة البنيان .

وكان دخول الإسلام بلاد الفرس إحدى نتائج انتصار العرب على الفرس انتصاراً نهائياً في عهد عمر بن الخطاب ، وكانت الموقعة الفاصلة بين الفريقين موقعة نهاوند (سنة ٦٢١ م) التي لم يقع للعرب مثلها ولذا سميت : « فتح الفتوح » .

اللغة والشعر والآداب الفارسية المصير نفسه ، ونسى الفرس أو تناسوا شعرهم وآدابهم . وكان حكام إيران من العرب في عهد الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية يأبون إلا أن يكون لشعر والكتابة الفنية والحكم والأمثال باللغة العربية .

يقول نظام الملك وزير السلاجقة في كتابه : « تاريخ الملوك » ، إن الوثائق والقوانين والنشرات والأمثال كانت كلها تصدر من بلاط السلاطين مكتوبة باللغة العربية من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) وكانوا يعيرون على السلاطين أن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية .

« وفي أيام وزارة عميد الملك أبي نصر كندري (٤٥٠) وزير أبي أرسلان ابن طغرل بك السلجوقي أصدر الوزير أمراً إلى الكتاب أن يضربوا صفحات من هذه العادة وأن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية . ومن ثم يمكن أن يقال إن الأدب الفارسي كان في عصر صدر الإسلام في حالة ركود تام وظلام دامس .

وفي أواخر الدولة الأموية تضرع العرب والعجم من سوء تصرف الخلفاء فأجمعوا أمرهم على أن يخرجوا عليهم ، وبلغ التضرع قوته بقيام ثورة عامة ضد حكم بني أمية كان

الشيعي الذي ظهر أمره بعد قتل الإمام « علي » كرم الله وجهه . وأما التقاليد القديمة فقد ظهرت آثارها في بعض الأعياد التي استمرت في عهد الدولة الإسلامية ، وأما الآثار اللغوية الأدبية فمنها إدخال كثير من الألفاظ الفارسية في اللغة العربية التي تعلموها .

ولا يعرف إلا قليل عن أحوال إيران الداخلية في أثناء المائة والخمسين سنة التي تلت الفتح الإسلامي ، إذ كانت البلاد من الوجهة السياسية جزءاً من الخلافة الإسلامية يؤدي الزكاة أو الجزية ويراقب مراقبة شديدة طبقاً لنظام دقيق وضعه معاوية أول خلفاء بني أمية . وقد قضى الخليفة عمر على البقية الباقية من أنواع الآداب الأجنبية الأخرى ، بحجة أنها زائدة على حاجة المسلمين ، وأنه من الممكن الاستغناء عنها بالقرآن الكريم الذي يجب أن يكون مرجع جميع الآداب ، ومستقى جميع المعلومات ، ومن ثم كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في هذا العصر وفيما تلاه إلى عصر الدولة السلجوقية . يقول دولتشاه السمرقندي في كتابه تذكرة الشعراء ما خلاصته : (١)

« لما أخضع العرب بلاد فارس أرادوا نشر الشريعة الإسلامية والقضاء على كل ما كان من التقاليد والآثار الفارسية ، وقد لقيت (٢) انظر ص ٢٩ من هذا الكتاب .

(٢١ / ٩) ، ولبس القلنسوة والملابس الفارسية المزركشة في قصور الخلافة . وقيل : إن أبا جعفر المنصور كان أول من لبس القلنسوة . ومن الناحية اللغوية الأدبية باعتماد الفرس بدراسة اللغة العربية وآدابها ، وعنايتهم بدراسة علوم اللغة والشريعة حتى صاروا في طليعة المؤلفين والكتاب .

ومن يدرس تاريخ التدوين والتأليف في الإسلام يجد أن معظم السباقين في هذا الميدان كانوا من الفرس ، فليس من ينكر فضل هؤلاء حتى في أشد العلوم اتصالاً باللغة العربية ، والقصرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشريعة الإسلامية ، فمنهم معظم أئمة اللغة والمفسرين وجامعي الأحاديث وعلماء الفقه . وفي هذا الموضوع يقول ابن خلدون : من الغريب الواقع أن حملة العلم الإسلامي أكثرهم العجم - إلا في القليل النادر ، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في مرباه ومشينته - مع أن الملة عربية وصاحب شريعته عربي . فكان صاحب صناعة النحو سيديويه (١٨٠ هـ) والفارسي من بعده (٣٧٧ هـ) والزجاج^(١) من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم ،

(١) هكذا يقول ابن خلدون والمعروف أن أبا إسحق إبراهيم الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ أي قبل أبي علي الفارسي بنحو ٦٦ سنة فهو متقدم على الفارسي لا متأخر عنه كما يقول ابن خلدون . ويؤيد ذلك ما ذكره السيوطي في « بنية الرعاة » وهو أن الفارسي أخذ من الزجاج وابن السراج .

للفرس فيها النصيب الأوفر بقيادة أبي مسلم الحراساني ، وانتهت الثورة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، سنة ٥٧٠ م ، وحلت بغداد محل دمشق فكانت عاصمة الخلافة العباسية ، وكان انتصار المأمون على أخيه الأمين (١٩٨ هـ) انتصاراً آخر للفرس أنصار الأول ، على العرب أنصار الثاني .

ويمتاز القرن الأول من الخلافة العباسية (١٣١ - ٢٣٢ هـ) - الذي يوصف أحياناً بأنه العصر الذهبي للخلافة الإسلامية - من الوجهة السياسية بقوة نفوذ الفرس ، وتوليهم زمام الحكم . وفي مقدمتهم البرامكة الذين كانت لهم الغلبة في إدارة شئون الخلافة زهاء خمسين سنة ، ومن الناحية الثقافية العسكرية بالانعقاد مجالس الحوار والمناقشة في قصور الخلفاء تلك المجالس التي كان يحضرها الخليفة ويشترك فيها في البحث والجدل ذرو العبقريات الممتازة من العلماء والأدباء ، وبكثرة الكتب المنجمة من اللغات الأخرى وبخاصة اليونانية والفارسية والنبطية ، ومن الناحية الدينية بقوة سلطان الشيعة ، وتغلب مذهب المعتزلة الذين كانوا يصنفون أنفسهم بأنهم : « أهل العدل والتوحيد » ، ويصفهم الفرنجة بأنهم : « أرباب التفكير الحر في الإسلام » ، ومن الناحية الاجتماعية بشيوع بعض التقاليد الفارسية كالاحتفال بعيدى النيروز (يوم ٢١ / ٣) والمهرجان

وقد عني العلامة الشعالبي في كتابه «دقيقة الدهر» ، بهذا الموضوع ، فتحدث عن كثير من شعراء العربية من الفرس الذين نشئوا في أحضان الدولة البويهية في بغداد والعراق العربي وأواسط فارس ، وفي رعاية الدولة الزبارية بطبرستان ، وبخاصة في عهد شمس المعالي قابوس بن وشمكير ، وفي حماية الأمراء السامانيين في خراسان وخوارزم .

فهذا الكتاب الأدبي القيم يعطينا فكرة واضحة عن حالة الأدب العربي من سنة ٣٥٠ هـ حتى سنة ٤٠٣ هـ في بلاد إيران كلها من بغداد إلى خوارزم ، ومنه نعلم أن أدباء الفرس قد مهروا في صناعة الشعر العربي ، وأن سوق هذا الشعر كانت نافقة في طول إيران وهرضها حيث كان الشعراء من الفرس ينظمون القصائد بلسان عربي فصيح ويقدمونها لسادتهم من بني وطنهم فيعجبون بها وبجزونهم عليها .

وخلاصة القول : أن قوة النفوذ الفارسي في العصر العباسي لم تضعف من شأن اللغة العربية وآدابها ، بل إن هذه اللغة قد بقيت على ما كانت عليه من قبل لغة الدين والسياسة والعلم ، واتخذها علماء الفرس وآدابهم أداة للتعبير عن أفكارهم ، وتسجيل آرائهم ، وتصوير أخيلتهم وعواطفهم .

أما اللغة الفارسية فقد بقيت قابلة في هتر دارها خلال القرنين الأول والثاني

ولانما رجا في اللسان العربي فاكتمسوه بالمربي ومخالطة العرب وصيروه قوانين وقتنا من بعدهم . وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه من أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستجمعون باللغة والمربي ، وكان علماء أصول الفقه كلهم عجم كما يعرف (١) ، وكذا أكثر المفسرين ، ولم يتم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم .

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها ، وخرجوا إليها من البداوة فشغلهم الرئاسة في الدولة العباسية ، فإنهم كانوا أهل الدولة وحماتها ، وأولى سياستها ، مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرى إليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين (٢) . ومع أن الفرس قد حذقوا العربية ، وأتقنوا علومها ، وكانت لهم الأسبقية في التأليف في كثير من علوم اللغة والشريعة فقد مارس كثير منهم صناعة الشعر بالعربية ولم يزالوا يمارسونها حتى نبغوا فيها .

(١) هكذا قال ابن خلدون ، ولا يخفى ما فيه من مخالفة قائله أن الإمام الشافعي « عالم قریش » كان أول المؤلفين في أصول الفقه ، وليس هناك من يشك في عروبه .

(٢) للقدمة ص ٣١٢ - للطبعة الخيرية لعمر حسين الخشاب سنة ١٣٢٤ هـ .

بصيرا باللغتين العربية والفارسية . وأول قصيدة فارسية من نظمها كانت القصيدة التي أنشدها سنة ١٩٣ هـ بمدينة مرو أمام (الخليفة المأمون بن هرون الرشيد ومطلع هذه القصيدة :

أى رسائده بدولت فرق خود تافرقدين
كسترانیده و اتوشایسته جو مردم دیده را
مر خلافت و اتو بایسته جورج را هر ذوهین
دین یزدان را تو بایسته جورج را هر ذوهین
یا من سعاد بدولت حق ناخج بر آسه الفرقدين
یا من بسط بالچود و الفضل و العالم کتا الیدین
إن الخلافة منك كالإنسان من العين
وإن دین الله فی حاجة إلیک کما یحتاج الرخ إلی العینین
وفیها یقول :

کس برین منوال پیش از من جنین شعری نکشفه
مر زبان باری ، هست تا این نوع بین
لیک زآن کفتم من این مدحت ترا تا المین لغت
کیرد از مدح و ثنا حضرت توزیت وزین
لم ینسج أحد من قبل شعرا علی هذا المنوال
وكان بین الفارسية وهذا الشعر بعد المشرقین
ولکنی مدحتکم علی هذا النمط الشعری
کی تمکتسب هذه اللغة من مدحکم کلها . وزین
ولما انتهى الشاعر من إنشاد قصیدته أطراه المأمون وأمر بالإنعام علیه بألف
دینار من الذهب ، وأن یختص بکثیر
من النطف والعناية .

وعلم الأدباء بالشعر والشاعر فأقبلوا

من التاريخ المجری ، وجاء عصر المأمون فأخذت هذه اللغة تنفس الصعداء وتتحفز للظهور في ذلك العصر الذي غلبت علیه الصبغة الفارسية .

یقول محمد عوفی فی کتابه (لباب الالباب) ما خلاصته مترجمة :

لقد ظل الشعر الفارس مجردا من الوزن والثقافة غیر خاضع لنظام البحور الشعرية العربية إلى أن دخل الإسلام بلاد الفرس وحذق أدباء الفارسية اللغة العربية ، ودرسوا نظام الشعر العربي ، وعرفوا بحوره ، وفهموا معنى الروى والثقافة ، والزحاف والملة ، وكيفية تقطيع الأبيات وغير هذا وذاك مما هو مذکور فی علمي العروض والثقافة . حينئذ أخذ أدباء الفرس ينظمون في أول الأمر الشعر بالعربية ، ثم أخذوا ينظمون الشعر بالفارسية على نحو ما هو متبع في الشعر العربي .

وقد سلكوا في الأمرين مسلك التدرج ، لذلك نجدهم حين بدوا نظم الشعر بالعربية يلحنون أو يخطئون في النطق بالحروف العربية كالهاء والعين ، ويدخلون في شعرهم العربي بعض كلمات أو عبارات فارسية .

ويروى أن أول من نظم الشعر الموزون المقتفى بالفارسية بعد الإسلام أديب يسمى خواجه زاده عباس ، وكان شاعرا ماهرا ،

يروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه
« تذكرة الشعراء » ، (١) . ما ترجمته أن
عبدالله بن طاهر بن حسين أحد أمراء الدولة
(الطاهرية بخراسان ٢١٣ - ٢٣٠ هـ)
كان ذات يوم بنيسابور فجاء رجل وقدم إليه
كتابا على أنه هدية أثرية ، فقال عبد الله :
أى كتاب هذا ؟ فقال : هذه قصة وامق
وعذراء ، وإنها لقصة طريفة ألفها الأدباء
باسم الشاه نوشيروان . فقال الأمير : نحن
قوم نقرأ القرآن ، ولا نقرأ شيئا آخر غير
القرآن الكريم والحديث الشريف ، فليس
لهذا الكتاب ولا لما يشبهه قيمة ولا فائدة
لدينا . هذا إلى أن مؤلفه مجوسى ومضى ثم
كان مردودا فى نظرنا .

ثم أمر عبد الله بالكتاب فرمى فى البوم ،
وأمر من كانوا فى إمارته أن يحرقوا كل ما
لديهم من الكتب وغيرها من مخلفات العجم .
وفى عهد الدولة الصفارية ظهر نظام شعرى
جديد شاع أمره فى الشعر الفارسى ثم فى
الشعر العربى ذلك هو نظام الدويبة
أو الرباعى .

يقول دولتشاه السمرقندى فى كتابه الآنف
ذكره فى بيان ذلك ما ترجمته : يحكى أن يعقوب
ابن الليث الصفارى (٢٥٤ - ٢٦٥ هـ)

يطرونهما ويشيدون بذكرهما وأخذوا
يحاولون نظم الشعر بالفارسية .
ولكننا لا نعرف أن أحدا نظم الشعر
بالفارسية بعد هذا إلى أن جاء العصر الذى
استقلت فيه بعض الأوطان الفارسية ،
وأخذ أمراءها ينافس بعضهم بعضا فى نظم
الشعر ويحببون إليهم العلماء والشعراء ،
ويشجعونهم على أن ينظموا الشعر بالفارسية
يسجلون به مآثرهم ويخلدون ذكرهم . فحينئذ
أخذت اللغة الفارسية وآدابها تهب من سباتها ،
وجاءت الدولة السامانية فاتجهت عناية
أمراءها إلى إحياء الثقافة والآداب الفارسية
القومية فنهضت تلك اللغة والآداب نهضة
لم تعهدها من قبل .

وقد بدأ استقلال الأوطان الفارسية فى
عهد المأمون وبرغبته . فقد أراد أن يكافئ
أكبر أعوانه وأنصاره من القواد لجعلهم
ولاءة على أقاليم يستقلون بإدارة شئونها
وكان طاهر بن حسين أول من حظى بهذا
الشرف فأسس الدولة الطاهرية فى خراسان
وامتد حكمها لهذا الإقليم من سنة ٢٠٩ هـ
إلى سنة ٢٥٩ هـ أى ما يزيد قليلا على نصف
قرن ، ثم حلت محلها الدولة الصفارية (٢٥٤ -
٢٩٠ هـ) والدولة السامانية (٢٦١ - ٣٨٩ هـ) .

وكانت الدولة الطاهرية عربية النزعة
حريصة على التقاليد والثقافة العربية فلم
تنتشر فى ههنا التقاليد والآداب الفارسية :

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب .

القطعة المكونة من بيتين في نظام معين اسم «دوييت»، وبعد رده من الزمن عدلوا عن هذه التسمية وسموا مثل هذه القطعة «الرباعي».

ويروي شمس الدين محمد بن قيس الرازي من رجال القرن السابع الهجري — في كتابه «المعجم في معايير أشعار العجم»، رواية أخرى في نشأة الرباعي فيقول:

«إن بعض شعراء الفرس — ويظنه الروكي اخترع الرباعي حين مر في يوم عيد على صبية يلعبون ضرباً من اللعب بالجوز وفيهم غلام صبيح نشيط ألقي جوزه فلم تستقر في الحفرة وخرجت منها ثم تدحرجت ورجعت إليها فصاح الغلام:

غلطان — غلطان . همى رود تان كو

فأعجب الشاعر هذا النغم — وما زال يعالجه حتى بنى عليه أنغام الرباعي .

والروايتان متقاربتان . وليس لدينا من الأدلة ما يرجع إحداهما على الأخرى . على أنهما تتفقان على أن الرباعي من مستحدثات الفرس . مثله في ذلك مثل المثنوى الذي اتفق الرواة على أنه من ابتكار بهرام كور — كما قلنا في القسم الأول من هذا البحث .

ويمكن أن يقال على وجه الإجمال : إن النهضة الأدبية الفارسية الحديثة قد بدأت في عهد الدولة السامانية ، فإنها يرجع الفضل في تشجيع أدباء الفرس وإغرائهم بالمال

أول من شقوا عصا الطاعة من الفرس على بني العباس كان له ابن يحبه حباً جماً ، وكان هذا الطفل يلعب في أحد الأعياد لعبة الجوز مع غيره من الأطفال ، وجاء الأمير يعقوب ووقف بعض الوقت على قارعة الطريق يتفرج على ابنه وهو يلعب ، فرآه يلقي الجوز على الأرض فتقع سبع جوزات في الحفرة ، ولم تلبث إحداها أن قفزت وخرجت من الحفرة فأسف ابن الأمير وفقد الأمل في عودة الجوزة إلى الحفرة . ولكنه رآها تعود مسرعة وتحرك نحو الحفرة فسر الأمير الطفل ، واشتد اغتيابه ، وخيئذ جرى على لسانه هذه العبارة :

غلطان غلطان همى رود تالب كو :
متدحرجة متدحرجة جاءت تسعى نحو الحفرة .

ووقع هذا الكلام موقعاً حسناً على سمع الأمير يعقوب ، فاستدعى إليه الأدباء والوزراء وقال لهم إن هذا الكلام جيد ، جار على نمط شعري . وتناول أبو دلف وابن السكبي هذه العبارة بالبحث ، وبعد تقطيعها وجدا أنها يمكن أن تكون شطر بيت من بحر المخرج في إحدى صورته أو أضربه ، فأكلا البيت بالشرط الثاني ، ثم نظما بيتاً ثانياً من البحر والضرب نفسه ، وبذلك أكلا بيتين . وجرى الأدباء على أن يطلقوا على هذه الصورة الشعرية أي

قبل أن تذاق ، ولو سقطت قطرة منها في نهر النيل لظل التمساح ثلما من راحتها مائة عام ، وأن غزال السهل الوداع لو شرب قطرة منها لصار أسدا عريدا لا يكثر بالفهد . ويبدو أن ولع هؤلاء الشعراء بذكر الخمر والتغنى بها يرجع إلى يبتهم الغنية ببساتينها الفيحاء وحدثها الغناء المليئة بأنواع الزهور والفواكه التي تعصر منها الخمر .

كما يرجع إقبالهم على المدح والمبالغة فيه إلى شدة اتصالهم بأمراء الدويلات المختلفة وولائها ، وإلى تنافس هؤلاء الأمراء والولاة في اجتذاب الشعراء والأدباء نحوهم بإغداق العطايا والهبات عليهم ليشيدوا بذكرهم . ومن ثم نشأ التكسب بالشعر ثم شاع أمره بين الشعراء ، وهاهو ذا أبو زراعة المجراني يقرر أن تلك العطايا والهبات هي التي تغري الشعراء وتطلق ألسنتهم بعذب الكلام وجيد المدح ، وذلك حيث يقول :

أعطني جزءا من ألف مما نال الروكي من عطاء الملوك أعطك شعرا أعذب من شعره ألف مرة .

وقد سلكوا في المدح أيضا مسلك الغلو والمبالغة ، وتكاد مدائحهم تنحصر في وصف الممدوحين بالسخاء والشجاعة وحسن السياسة وإحكام التدبير .

وقد طرق هؤلاء الشعراء أبوابا أخرى من أبواب الشعر كالرثاء ، والحث على طلب

والسلطان أن ينهضوا باللغة الفارسية وآدابها بجانب العربية وآدابها ، ولم يحل اشتغال أمراء هذه الدولة بالحروب المتواصلة دون عنايتهم بالفنون والآداب ، ومن ثم نجد كثيرا من المؤرخين والشعراء يلتفون حولهم يدنون انتصاراتهم ويتغنون بمفاخرهم ، وكان كثير من شعرائهم يجيدون الشعر بالعربية والفارسية ، وأن هذا لدليل على أنهم كانوا على علم تام بلغة العرب ، وبحور الشعر العربي ونظام تكوين القصيدة بالإضافة إلى ما ابتكروه من البحور والصور الشعرية .

وقد طرقت أبوابا أو فنونا متعددة من فنون الشعر في مقدمتها الوصف والمدح ، وكان وصف الخمر والتحدث عن آثارها في النفس موضوعا محببا لديهم أجادوه أيما إجادة ، وجاءوا فيه بضروب من التشبيهات المستطرفة : وأتوا بأنواع من المعاني المبتكرة ، فكان وصفا خلابا جذابا لم يخل من الغلو والإغراق في المبالغة . فمن هذه المعاني قول أبي شكور البلخي : إن الخمر حين يعصرها البستان في روح مشرقة ، ولورأى قطرة منها من لا عين له لقال هذه عيني ، ولو رآها الميت لقال هذه روحي ، ولأنها كالهلال حين تصب من القنينة إلى الكأس ، وكالبدر حين تستقر في الكأس . ومنها قول الرودكي : إن تأثيرها يصل إلى أعلى المخ

الفارسي ، لأن تلك النهضة كانت في الأدب العربي أسبق منها في الأدب الفارسي .

ونسأل مرة أخرى فنقول : ماذا كانت

العناصر المتغلبة في هذا المزيج ؟ أكانت

العناصر العربية أم كانت العناصر الفارسية ؟

ويكاد يكون من المرجح في نظري أن العناصر

الفارسية كانت لها الغلبة وإن كان للعناصر

العربية فضل السبق - شأن الأدب في ذلك شأن

التدوين والتأليف في العلوم والفنون المختلفة .

وقد يؤيد ذلك ما نراه من فروق واضحة

بين الأساليب والمعاني الأدبية قبل الإسلام

وبين نظائرها بعد أن اختلط العرب بالعجم ،

وفي هذا المعنى يقول بعض الظرفاء : لغة

العرب علم ، أما لغة الفرس فعسل .

ومن مظاهر الصلة بين العربية والفارسية

الترجمة من إحدى اللغتين إلى الأخرى ثراً

أو شعراً : فقد ترجم تاريخ الطبري إلى

الفارسية أبو علي محمد البلعى وزير منصور

الأول ابن نوح الثاني الساماني (٣٥٠-٣٦٦هـ) .

وفي العصر نفسه ترجم فريق من العلماء تفسير

الطبري للقرآن الكريم من العربية إلى الفارسية

وكذلك دكتاب الأبنية عن حقائق الأدوية ،

لأبي منصور الموفق الهروي (حوالى سنة

٣٦٢) .

وترجم كلية ودمنة إلى الفارسية شعراً

أبو جعفر الرودكى شاعر الدولة السامانية ،

المعالى ، وهلى الإباء والشعم وعلو النفس ،

وعلى العدل وحسن المعاملة ، والدعوة إلى

توحيد الله تعالى وتنزيهه ، وإلى القناعة

والصبر والتوكل على الله والرضا بقضائه

وقدره . ولا شك أنهم تأثروا في كثير من

هذه بالدعوة والتعاليم الإسلامية .

ويبدو أن هذه النهضة الأدبية الفارسية

التي شملت الألفاظ والأساليب وأغراض

الشعر وفنونه كان لها نظراء في الأدب العربي

في العصر العباسى وبخاصة أشعار بشار ،

وأبي نواس ، ١٤٥ - ١٩٩ ، وصريع

الغواني مسلم ٢٠٨ ، وأبى تمام

١٩٠ - ٢٣١ ، والبحترى ٢٠٦ - ٢٨٤ ،

وابن الرومى ٢٣١ - ٢٨٣ ومن أتوا بعدهم

وحاكوهم في الاهتمام بالزخرف اللفظي والمبالغة

في المدح والوصف ، واتخاذ الشعر وسيلة

للتكسب والتقرب إلى الخلفاء والأمراء

وقادة الجيوش .

وهنا نسأل : أى الأدبين تأثر بالآخر في

هذه المظاهر اللفظية والمعنوية ؟ ويبدو أن

أصح جراب عن هذا السؤال هو أن نهضة

الأدبين كليهما كانت وليدة الظروف الجديدة

ولإحدى نتائج امتزاج الشعبين العربى والفارسى

بعد الإسلام ، فهذه قد أدت إلى تغير العقلية

لدى كل من الفريقين ، وقد وجد هذا التغير

متنفساً له في الأدب العربى ، ثم في الأدب

وهذه هي ترجمة أبي الفتح للبيتين :
وميتك عن حكم القضاء بنظرة
ومالي عن حكم القضاء مناص
فلما جرححت الحنك منكم بمقلتي
جرححت فؤادي والجروح قصاص
وغنى عن البيان أن في الترجمة شيئا من
التعسف وسوء التعبير .

وقد ترجم بدر الدين الجاجرحي (من
الطبقة الرابعة من شعراء الفرس) إلى الفارسية
شعراً قصيدة أبي الفتح التي مطلعها :
زيادة المرء في دنياه نقصار
فلا يغرب بطيب العيش لإنسان

* * *

ومن مظاهر تأثر كل من اللغتين بالأخرى
استعمال العرب لكثير من الكلمات الفارسية
بعد تعريبها تبعاً للقواعد التي ذكرناها من
قبل ، واستعمال الفرس لعدد أكبر من الكلمات
العربية في لغة التخاطب ولغة الأدب في كلتا
الحالين .

أما الظاهرة الأولى فقد شاعت بين العرب
في القرن الأول الهجري وبخاصة بين سكان
الكوفة والبصرة والمدينة الذين اختلطت بهم
جاليات فارسية كثيرة العدد ، فقد قيل : إن
سيلاً من التجار والصناع وغيرهم كانوا يردون
البصرة والكوفة ، وسرعان ما كونوا مع
أسرى الحرب الكثيري العدد ذوى الأصل
الفارس أغلبية السكان .

٣٢٩ ، ويروى أن بديع الزمان الهمذاني
٣٩٨ ، كان يجيد اللغتين ، فقد طلب إليه
الصاحب بن عباد ٣٢٦ - ٣٨٥ ذات يوم أن
ينظم له قصيدة فقال بديع الزمان : تفضل
فاقترح علي ما تريد فأشدد الصاحب ثلاثة أبيات
بالفارسية ثم قال : ترجم هذه إلى العربية شعراً
فقال بديع الزمان : تفضل فعين القافية
التي تريدها ، فاختر الصاحب قافية الطاء ،
فقال بديع الزمان : هل تفضل فتعين البحر
كما تشاء ؟ فقال الصاحب أسرع يا بديع
في البحر السريع . فأشدد بديع الزمان
على البديهة :

سرفت من طرته شعرة

حين غدا يمشطها بالمشاط

ثم تدلجت بها مسرعا

تدلج النمل بحب الحنط

قال أبي من ولدى منكبا

كلا كما يدخل سم الخياط

ويروى أيضاً أن أبا الفتح ، البسقي

٤٠٠ كان يجيد اللغتين كذلك فقد ذكر

أنه ترجم إلى العربية بيتين في الغزل نظمهما

أبو شكور البلخي من شعراء الدولة السامانية .

معناهما :

نظرت من بعدك أراك

فجرححت وجنتك ذات الحسن والملاحه

فنظرت بطرفك العليل فجرححت قلبي

وهذا عدل فإن الجروح قصاص

صلى الله عليه وسلم وقال : شكّم درد ؟ فقال
نعم . فقال : قم فصل فإن في الصلاة شفاء .
ومعنى شكّم : معدة . ومعنى درد : ألم ، فعنى
الجملة : هل وجدت معدتك ؟ ^(١) وقيل : إنه
عليه الصلاة والسلام قال : العنب دودو ،
والتمريك يك = كلوا العنب اثنتين اثنتين ،
وكلوا التمر واحدة واحدة ^(٢) . وفي البيان
والثبتيين أن أهل المدينة نزل بهم ناس من
الفرس فعلقوا بألفاظهم ، فسموا البطيخ
الحريز والسميط (المنتوف الوبر) الروذق ،
والمصوص (المزيل) المزوز ^(٣) .

وقد ورد في الشعر العربي بعض كلمات
فارسية فقد استعمل جرير (١١٠ هـ)
كله روذق بمعنى الخمل المنتوف الوبر في قوله :

لا خير في غضب الفرزدق بعد ما

سلخوا عجانك سلخ جلد الروذق

كما استعمل كله بيدق (لإحدى قطع
الشطرنج) بمعنى الشيء النافه في قوله :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا

إذ مهر جدهن مثل حز البيدق

واستعمل الفرزدق الكلمة نفسها مفرداً

وجمعا في قوله يخاطب جريراً :

ونحن إذا عدت تميم قديمها

مكان النواصي من وجوه السوابق

ففي البصرة كانت اللغة الفارسية حينئذ لغة
الخدمة في الجيش ، وقد تأثر بعض العرب
بطريقة النطق الفارسية فقد قيل : إن عبد الله
ابن زياد (٣٠ - ٦٧ هـ) كان يقلب الحاء هاء
والقاف كافاً . وفي قصة يزيد ^(١) بن ربيعة بن
مفرغ الحميري أنه غلا في هجاء آل أبي سفيان .
فحكم عليه بأن يسقى نبيذا حلوا خلط بالشبرم
فأسهل بطنه ثم أمر به فجرف في طرق البصرة
في ثياب مهلهلة مشدوداً إلى هرة وخزير ،
وأن الصبيان كانوا يسخرون منه ويسألونه
بالفارسية : أين جيسست ؟ (= ما هذا ؟)
فكان يجيبهم بالفارسية أيضاً ويقول :

آب است - نبيذ است - عصارت زبيب

است - سمية روسفيد است أورو سبي .

= هو ماء - هو نبيذ - هو عصارة الزبيب -

سمية مشهورة أو بغى .

وقد حذا الكوفيون حذو البصريين

فكانوا يؤثرون استعمال كلمات فارسية على

استعمال نظيراتها العربية ، فكانوا يقولون :

خيار (= قثاء) وباذروج (حوك = رجلة)

وفيدى (= مجذوم) ووازار (بازار =

سوق) وجهار سوك (= جهاز سو =

مربعة أى سوق على مقطع طريقين) .

وفي سنن ابن ماجه ما يفيد أن أبا هريرة

رضي الله عنه مرض ، فالتفت إليه الرسول

(١) البيان والثبتيين : ١٤٣ - ١ تحقيق الأستاذ

عبد السلام هرون .

(١) شفاء الغليل : ص ٥ .

(٢) للصدر نفسه ص ٩ .

(٣) للصدر نفسه ص ٣ - ٤ .

ثم كفتم دورباد وبحكم أن خر كفت
إن جلدی دبغته أهل صنعاء بجفت
وأبو عمرة عندي أن كوربد نمست
جالس أندر مكساد أبا عمد بهشت
ولعل للصواب : « أيا مرد » (١) .

= أمسك الغرماء بثوبي يوم سبت صباحا -
فلت عليهم كما يميل الزنجي الثمل وقد احتسى
شراب الفساق الحالصة أو الخمر المخلوطة
بقليل من الماء ، ثم قلت : معاذ الله وبحكم
لقد قال هذا الخمار إن جلدی دبغه أهل صنعاء
بتمر البلوط ، وما أبو عمرة عندي إلا أعمى .
وليس ثملا . حاشا لله أن يجلس في الجنة
أيها الرجل .

وما يتصل بهذا الموضوع أن يتظرف
الشاعر الملم بالفارسية فيذكر في شعره بالعربية
بعض إشارات أو عبارات لا يفهمها إلا
من يجيد الفارسية ، كما في قول أبي علي
الساجي يمدح مدينة مرو :

بلد طيب وماء معين
وثرى طيبه يفوق العبير
يشير الشاعر بالبيت الثاني إلى اسم مدينة
مرو فإنه إذا قرئ (مرو) كان معناه
بالفارسية : لا تذهب .
وكما في قول أبي القاسم العلوي الأطروش
في بعض رؤساء جرجان :

منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وأنت لدرعى يبدق في اللياق (١)
يقول الجاحظ في هذا الموضوع :
وقد يتملح الأعرابي بأن يدخل في شعره
شيئا من كلام الفارسية كقول العماني للرشد
في قصيدته التي مدحه فيها :

من يلقه من بطل مسرند في زغفة محكمة
بالمرء تجول بين رأسه والكرد (٢) يريد
العنق . وفيها يقول أيضا :

لما هوى بين غياص الأسد وصار في كف
المزير الورد آلى يذوق الدهر آب سرد
وكقول الآخر ؟ .

ودلني وقع الأسنة والقنا
وكافر كوبات لها عجم أقصد
بأيدي رجال ما كلامي كلامهم
يسوموتى مردأ وما أنا والمرد (٣)
وكقول أسود بين أبي كريمة :

لزم العرام ثوبي بكرة في يوم سبت
فستأملت عليهم مثل زنيكي بمتي
قد حسا الداذى صرفا أو عقاراً بابخست

[١] راجع كتاب « العربية تأليف بوهان فوك
ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار » ص ٢٠-٢١ .
[٢] السمرندي : للثياب ، والزغفة : درع واسعة
محكمة ، والسرد : سمر الزرد .

[٣] كافر كوبات للفرقة المجرة : العنقة في الخشب
ونحوه ، والأقصد : الغليظ العنق .

[١] البيان والتبيين السابق ذكره : ١٤١ -
١/١٤٢ .

ولإني والمؤذن يوم رام
 مختلفان في هذا الصباح
 أنادى بالصبح كه كيادا
 إذا نادى بجي حل الفلاح
 وكان التقاء رسوليها بالرفعتين في منتصف
 الطريق! (١)

وفي كل من الرسالتين نجد كلمتين فارسيتين
 هما كه = أن، وكيادا أى كياده بمعنى الخمول
 أو الفشل، فالمعنى: أنادى بالصبح قائلا:
 نخولا أوحى على الخمول.

أما عيد النيروز فقد ورد ذكره في كثير
 من القصائد المسماة «بالنيروزيات»، فمن ذلك
 قول أبي محمد الحسن بن علي بن مطران
 من نيروزيه:

قد أتاك النيروز وهو بعيد
 مرة من قبله قريبا وسيل
 سل سيلا فيه إلى راحة الله
 نفس براح كأنها سلسيل
 وهذا النيروز ما يفعل لنا

س ولكن هديتي ما أقول (٢)
 وأما الظاهرة الثانية وهي استعمال الكلمات
 العربية في الفارسية فأمرها بين. فقد كانت
 القاعدة المقررة لدى أدباء الفرس هي أنه

خليلى فرا من الدهنخدا
 خذا خذراً من وداده خذا
 يسكنى بسعد ونحسا خذا
 وكل الخلاق منه كذا
 فالدهنخدا معناه: عميد القرية وبينه وبين
 وداده خذا جناس تام، ويشير الشاعر في البيت
 الثاني إلى المعنى الأصلي للاسم «دهنخدا»
 وهو عطية الله، ويقول: إن هذا الاسم
 على غير مسمى لأن العميد يسمى معاملة
 رعيته. (١)

ومما تأثر به الشعر العربي في الشرق الإكثار
 من ذكر عيدي، النيروز: ٣/٢١، والمهرجان
 ٩/٢١، الذي يسمى رام روز، أى يوم
 الرام. (٢)

يقول الثعالبي: ومن عجيب ما يروى عن
 أبي الطيب الطاهري أنه كتب إلى أخيه
 أبي طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم
 الرام بهذين البيتين:

ولإني والمؤذن يوم رام
 مختلفان في هذى الغداة
 أنادى بالصبح كه كيادا

إذا نادى بجي على الصلاة
 وإذا برسول من أبي طاهر جاء برقعة فيها:

[١] يتيمة الدهر: ٤٧، ٦٧، ٤/٧٦.

[٢] رام: اليوم الحادى والعشرون من كل شهر
 هذا هو الأصل، ولكنه اختص بالحادى والعشرين
 من سبتمبر، أو بالملك الذى يشرف على هذا اليوم.

[١] البيتة: ٤/٦٩.

[٢] البيتة: ٤/ ٢٩.

بعض التعديلات ، فأطالوا بعضها فجعلوا
الهمز من مفاعيلين ثمانى مرات . والرجز من
مستفعلن ثمانى مرات ، والرمل من فاعلاتن
ثمانى مرات أيضا ، وأهلوا الطويل والبسيط
والوافر والكامل . واستحدثوا بحورا أخرى
أهمها المشاكل (: فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن)
والجديد (= فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن)
والقريب (مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن) .
وأكثروا من اختصار مفاعيلن ، في أول
المصرع أو وسطه أو آخره في بحر الهمز
فجعلوه أكرم (= مفعولن) أو أكرم
(= مفعول) أو أكرم (= فاعلن) أو أكرم
(= فعول) .

وقد أكثروا من اتباع نظام الرباعى وهو
من اختراعهم كما قلنا من قبل ، وكذلك
المثنوى أو المزدوج وهو من اختراعهم
أيضا ، وكانوا يلتزمون في الشعر القصصى
كما في الشاهنامه (٦٠ ألف بيت) للفردوسى
(٣٢٣ - ٤١٦ هـ) ، والكنوز الخمسة
(بنج كنج) للنظامى السكنجوى (٥٣٥ -
٥٩٩ هـ) وفي الشعر التصوفى كما في حديقة
الحكيم السنائى (٤٥٥ هـ) والمثنوى
(٢٦ ألفا) لجلال الدين الرومى
(٦٠٤ - ٦٧٢ هـ) .

حامد عبد القادر

يسوغ لكل أديب أن يقتبس في نثره أو شعره
ما يشاء أن يقتبس من آيات القرآن الكريم
والاحاديث النبوية والحكم والأمثال بنصوصها
العربية ، وأن يستعمل في حديثه وكتابه
ما يختار من ألفاظ اللغة العربية الفصحى .
ونكتفى أن نمثل لهذه الظاهرة من الشعر
الفارسى بقول سعدى الشيرازى في البوستان
٥٨٠ - ٦٩١ هـ : يمدح الرسول :

كريم السجيا جميل الشيم
نبي البرايا شفيع الأمم
إمام رسل يشواى سبيل
أمين خدا مهبط جبرئيل
شفيع الورس خواجة بعث ونشر
إمام الهوى صدر ديوان حشر

جه نعت يسند يده كويم ثرا
عليك السلام أى نبي الورا
ويقول حافظ الشيرازى (٧٩١ هـ) ، في مطلع
قصيدة من غزلياته :

ألا يأيها الساقى أدر كاسا وناولها
كعشق آسان نمود اولولى افتاد مشكلها

وقد تأثر الشعر الفارسى بنظام الشعر العربى
الموزون المقفى ، وقد بينا في القسم الأول
من هذا البحث أن بهرام كور كان أول
من أدخل هذا النظام في الشعر الفارسى .
غير أن أدباء الفرس لم يحاكو البحور
الشعرية العربية كما هم ، بل إنهم أدخلوا فيها

ابن فسيم الجوزية

للاستاذ ابراهيم عبد الباقي

من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون .
أتواصوا به بل هم قوم طاغون ، (١)
يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول
إلا كانوا به يستهزئون ، (٢) .

وبما أثر عنه هذا القول : (إن الفقه قانون
الحياة ، والحياة في تطور ، فيجب على الباحث
أن يكون حراً في حياته العملية فلا يلتزم
مذهبا معينا ، بل يتوخى المعنى الصحيح
يسير مع الحق حيث سارت ركائبه) .

لهذا كان يعتمد في لفقه على النصوص ،
ويجعلها محور بحثه ، وهي الكتاب والسنة
وبعدهما الإجماع وفتاوى الصحابة ، والقياس
واستصحاب الأصل ، والمصالح المرسلة ،
وسد الدرائع ، والعرف .

ومن مؤلفاته في الفقه كتاب أعلام الموقعين
في ثلاثة أجزاء — والطرق الحكمية في
السياسة الشرعية — والصلاة وأحكام تاركها ،
ومن كتبه القيمة في الفقه والسيرة زاد المعاد ،
وجدير بكل شخص أن يقتنى هذا الكتاب ،

هو محمد (١) بن أبي بكر بن سعيد بن حريز
الزرقى (٢) الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين
كان أبوه قيا على الجوزية (٣) ومدير الشئون .

ولد في صفر سنة ٦٩١ هـ وتوفي في ١٣
رجب سنة ٨٧٥ هـ ، وهذه السن وإن لم تبلغ
به مبلغ المعمرين ، ولكنها كانت طويلة ،
لأنها عامرة بجلائل الأعمال ، وعظيم الآثار .
كان عصره يموج بالاضطرابات السياسية
والنازعات الحربية ، وكان الناس يسودهم
التقليد الأعمى الذي يقف حجر عثرة في
سبيل الوصول إلى الصواب ، لهذا اتى من
قومه ما لقيه شيخه ابن تيمية من قبل ، فقد
اعتقل معه بالقلعة بعد أن أهدى وطيف به
على جمل مضروبا بالدارة ، وحبس لإنكاره
شد الرحيل لزيارة قبر الخليل ، وامتنح
امتحانا قاسيا من القضاة الذين عاصروه حيث
كان يخالفهم فيما أفتوا به ، سنة الله في المصلحين
في كل عصر وجيل : د كذلك ما أتى الذين

(١) ٦٩١ - ٧٥١ هـ ١٢٩٢ - ١٣٥٦ م .

(٢) الزرقى نسبة إلى زرع قرية من حوران

والمسماة الآن : أزرع .

(٣) الجوزية : مدرسة .

(١) سورة القاديات آتى ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) سورة يس آية ٣٠ .

وحجته في ذلك أن التقليد لم ينتشر في عهد الرسول ولا في عهد الصحابة ، ولا التابعين ولا تابعي التابعين ، وإنما انتشر منذ القرن الرابع الهجري حيث استقرت المذاهب الأربعة في البلاد المختلفة ، وكان لكل مذهب أنصار وأتباع حرصوا على نشر مذهب إمامهم ، ولم يزالوا على ذلك حتى قبض الله للامة الإسلامية بطلى الإسلام : ابن تيمية ثم تليذه ابن القيم في القرن السابع والقرن الثامن الهجري فقاما بهذه الثورة على أسراء التقليد ومن على شاكلتهم من المتعصبين للذاهب فأخذوا يدعون إلى التحرر الفكري ، ونبدوا التقاليد الضارة التي شوهت حقائق الدين .

هب هذا المصلح الكبير والعالم الجريء في وجه المقلدين واعيا إلى تحرر العقول من ربة التقليد ، والتعصب لمذاهب السابقين ، والتسك بالكتاب والسنة ، بعد أن استعرض أدلتهم ورددها دليلا ثم عرض منهج الصحابة ، ثم التابعين ثم تابعي التابعين ، ثم الأئمة وموقفهم من المسائل التي تعرض لهم .

أما الصحابة فكانوا يسألون عن سنة رسول الله كما فعل ابن عباس وغيره ، إذ كانوا يسألون أمهات المؤمنين عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته .

وكل مكتبة تخلو منه فهي ناقصة ، وكذلك إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان ، أما كتبه في علم الكلام : فالصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، والسكافية الشافعية في الانتصار للفرقة الناجية ، حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر ، مفتاح السعادة .

أما كتبه في التصوف فكثيرة أهمها : مدارج السالكين ، شرح كتاب منازل السائرين للهروي ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، الفوائد ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، زاد المسافرين ، الفتح القدسي ، الصراط المستقيم ، التحفة المسكية ، الداء والدواء ، الهجرتين وباب السعادتين ، جلاء الأفهام ، بدائع الفوائد . وله مجموعة في التفسير جمعها السلتي الشيخ محمد أويس النوروى تسمى التفسير القيم لابن القيم .

ومن أشهر مؤلفاته في التاريخ (أخبار النساء) تناول فيه كثيرا من جوانب المجتمع ، وله فوق ذلك كتب تدل على أنه كان ذا ثقافة واسعة وعلم غزير .

آفة العلم التقليد :

وإن من يقرأ له كتاب أعلام الموقعين يتضح له أنه عدو التقليد والتعصب المذهبي ، ولذا حاربهما وشن الغارة على من اتبعهما ،

أو بصرياً (١) وقال أحمد : (لا تقلد في دينك أحداً) (٢) .

أدلة المقلدين والرد عليها من كلام ابن القيم :

دليلهم الأول : قول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (٣) أمر سبحانه من لا علم له أن يسأل من هو أعلم منه رد عليهم ابن القيم بأن هذا دليل عليهم لا لهم لأن أهل الذكر هم أهل القرآن والحديث ، فتفسير الذكر بغير القرآن والحديث خطأ محض ، يوضح ذلك أن الصحابة كان يسأل بعضهم بعضاً عما قاله الرسول أو فعله .

وكانوا يرجعون إلى أمهات المؤمنين في فعل الرسول في بيته ، وكذلك التابعون يسألون من قبلهم .

فأهل الذكر في نظر المقلدين العلماء ، وسؤالهم تقليد لهم ولكن ابن القيم يرد عليهم بأن الذكر في القرآن يراد به القرآن والسنة محتجاً بالآية : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » (٤) فالآية لا تدل على تقليد للعلماء وإنما تدل على الرجوع إلى الكتاب والسنة .

أما التابعون فكانوا يسألون الصحابة عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء تابعو التابعين فسلكوا مسلك التابعين ، ثم جاء الأئمة فساروا مثلهم ، ولم يكن الأئمة يقدمون على النص شيئاً ، ولو كانوا مقلدين لما اختلفوا في فهم الأحكام التي لم ينص عليها من كتاب ولا سنة .

وكان الصحابة يذمون التقليد ، ويسمون المقلد الإمعة . قال ابن مسعود : (الإمعة الذي يحقب (١) دينه الرجال ، وكانوا يسمونه الأعمى الذي لا بصيرة له . والمقلدون أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح (٢)) ، وقد سرد ابن القيم أقوال الأئمة في التحذير عن التقليد إلا بعد معرفة الدليل فمن ذلك ، ما قاله مالك : (أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي : فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق فانكروه) وقال عند موته : (وددت أني ضربت بكل مسألة تسكمت فيها برأى سوطاً على أنه لا صبر لي على السياط (٣)) .

وقال الشافعي لأحمد : (يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث مني ، فإذا صح الحديث فأهملني حتى أذهب إليه شامياً ، أو كوفياً ،

(١) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٩ .

(٣) الآية ٤٣ ، النحل .

(٤) الآية ٣٤ الأحزاب .

(١) المحقق : الردف والمغنى أنه يسير وراء الرجال في أحكام دينه .

(٢) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٤٩ .

بمنزلة النصوص ، ولا يلتفت إلى سواها (١) .
 دليلهم الثالث : أن الصحابة كانوا يفتون
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بين
 أظهرهم ، وهذا تقليد لهم قطعاً إذ قولهم
 لا يكون حجة في حياصة النبي صلى الله عليه
 وسلم (٢) .

قال رحمه الله رداعليهم : قولكم كان الصحابة
 يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
 بين أظهرهم ، وهذا تقليد من المستفتين لهم ،
 جوابه : أن فتواهم إنما كانت عن الله ورسوله
 وأنهم كانوا بمنزلة المخبرين فقط ولم تكن
 فتواهم تقليداً لراي فلان وفلان وإن خالفتم
 النصوص فهم لم يكونوا مقلدين في فتواهم ،
 ولا يفتون بغير النصوص ، ولم يكن المسفتون
 لهم يعتمدون إلا على ما يبلغونهم إياه عن نبيهم
 فيقولون : أمر بكذا وكذا ، ونهى عن
 كذا ، هكذا كانت فتواهم فهي حجة على
 المستفتين كما هي حجة عليهم ، ولا فرق بينهم
 وبين المستفتين لهم في ذلك إلا في الواسطة
 بينهم وبين الرسول وعدمها (٣) .

الحيل باسم الدين ومحاربتها :

يذكر ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين
 أن الحيل ما هي إلا تلاعب بالدين لأنها تحل

الدليل الثاني للمقلدين : أن عمر قلده
 أبا بكر في السكالة ، فعن الشعبي أن أبا بكر
 قال في السكالة : (أقضى فيها ، فإن يكن
 صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فني ومن
 الشيطان ، والله منه برى : هو ما دون الولد
 والوالد) فقال عمر بن الخطاب إنى لاستحي
 من الله أن أخالف أبا بكر (١) .

رد عليهم ابن القيم بأنهم اختصروا هذا
 الحديث ، وحذفوا منه ما يبطل استدلالهم
 ثم ساق الحديث بتمامه وهو : (قال شعبية
 عن عاصم الأحول عن الشعبي أن أبا بكر
 قال في السكالة : أقضى فيها برأى ، فإن يكن
 صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فني ومن
 الشيطان ، والله منه برى : هو ما دون الولد
 والوالد) فقال عمر بن الخطاب : (إنى لاستحي
 من الله أن أخالف أبا بكر) فاستجيا عمر
 من مخالفة أبي بكر في اعترافه بجواز الخطأ
 عليه وأنه ليس كلامه كله صواباً ما مونا عليه
 من الخطأ ، وبدل على ذلك أن عمر أقر عند
 موته أنه لم يقض في السكالة بشيء وقد اعترف
 بأنه لم يفهمها ، ولو سلطنا جدلاً أن عمر قلده
 أبا بكر فالبون شاسع بين أبي بكر وبين من
 قلدهم ، على أن تقليد عمر لأبي بكر في مسألة
 لا ينهض حجة على اتخاذ أقوال رجل بعينه

(١) نفس المرجع ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٣) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٣٧ : ٢٣٨ .

(١) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٨٣٠ .

بأن ماله كله أو بعضه لأحد الورثة أو لذكر دون الإناث ، يقصد بذلك حرمان البعض من الميراث ، ومنها التحايل على إسقاط الشفعة باتفاق البائع والمشتري على الثمن قبل العقد ، وعند العقد يعطى المشتري البائع صرة غير موزونة فلا يعرف الشفعى مقدار ما يدفع ، ويرى ابن القيم أن هذا فيه تفويتا لمقصود الشرع ؛ لأن الجار أحق بالمبيع من المشتري بشئنه ، وعلى هذا فلا يسقط حقه بهذا الخداع .

وبما ذكره من الحيل كذلك التحايل على إسقاط حد السرقة بدعوى الملكية ، فيدعى السارق أن المروق ملكه ، وبدهى أنه لو أخذنا بهذه الحيلة لادعى الكثيرون هذا الادعاء الباطل ، ولعلت الحدود التي فيها زجر للنفوس من الغنى ، وحفاظة على أموال الناس ونفوسهم وأعراضهم ، وأعظم من هذا وذاك حيلة تحليل المرأة لزوجها ، فإن المقصود من زواج المرأة المطلقة ثلاثاً أن تأخذ درساً في الحياة وتعلم الفرق بين الحياتين حياة الزوج الأول ، وحياة الزوج الثانى ، حيث لم ينفعها الطلاق الأول الذى هو بمثابة إنذار أول ، والطلاق الثانى الذى هو بمثابة إنذار ثان ، وبدهى أنه لا يتحقق هذا المعنى إلا إذا تزوجت بآخر زواجاً شرعياً يقصد به بناء أسرة ، لا هذه المتعة الرخيصة التى ليست

الحرام وتسقط الحقوق ، وأن فيها مخادعة لله ولم تظهر إلا بعد الصحابة ، وظلت شرذمة قليلة تحبذها ، ولكنها كانت من القلة بمكان فلا يقام لها وزن ولا يسمع لها قول ، حتى جاء المصلح الكبير ابن تيمية وبعده تلميذه ابن القيم فاعتبراها خروجاً على الدين ، وبجافية للعقل السليم ، وقضاء على المصلحة المقصودة من التشريع ، فمثلاً فسخ النكاح يثبت للمرأة إذا ظهر عيب من المغيوب التى نص عليها الفقهاء عند الرجل كالعنة (١) ، والجنون ، والبرص ، والجذام ، والجب (٢) . فإن للمرأة فسخ النكاح بسببها ، ولكنها تحتال على الفسخ بطريقة أخرى من تشريع الشيطان ، فتلجأ إلى الارتداد عن الدين لتفسخ النكاح وبالعكس ، كذلك أكل الصائم فى نهار رمضان إذا أراد وطء زوجته نهاراً ليسقط الكفارة عن نفسه ؛ لأن من يفطر بوطء زوجته عامداً يلزمه عتق رقبة مؤمنة ، فإن عجز فصيام شهرين متتابعين ، فإن عجز فأطعم ستين مسكيناً .

فهذا المحتال يقصد إلى التخلص من هذه الكفارة ؛ لأنه يعتبر مفطراً بتناول الطعام لا بالجماع ، ومن الحيل أيضاً لإقرار المريض

(١) العنة بضم العين وقتل به الذنوب : مرض يسبب الضعف الجنسى عند الرجل .

[٢] الجب بفتح الجيم : قطع جميع الذكر أو بضمه .

(من يخادع الله يخدعه) وصح^(١) عن أنس ، وعبد الله بن عباس أنهما سئلا عن العينة^(٢) فقال : إن الله لا يخدع ، هذا مما حرم الله ورسوله (والعينة : حيلة باطلة يتوصل بها إلى حل الربا ، وصورتها أن يبيع تاجر سلعة بثمان إلى أجل في زمنه ، ثم يشتريها منه بأقل من ذلك الثمن نقدا وهكذا . ونحن لسنا بصدد تعداد الحيل حتى نستوعبها ولقد اعترف ابن القيم في كتابه أنه لو تتبع جميع الحيل لاطال الكتاب ، ولكنه اكتفى بأمثلة ليتحقق للقارى أن الحيل أضرارها خطيرة وفيها قلب للأوضاع وتلاعب بالدين .

النصوص الواردة على بطلان الحيل :

جاء في إعلام الموقعين أيضا أن اليهود حرم الله عليهم الصيد يوم السبت امتحانا لهم فمزع عليهم الحرمان من الحيتان التي تأتهم يوم السبت وتنقطع في غيره ، فتحيلوا على صيدها بنصب الحباثل يوم الجمعة فصنعوا بركا قبل السبت لينزل السمك فيها فإذا كان يوم الأحد أخرجوا السمك وقد ظنوا أنهم قد تخلصوا من عقاب الله تعالى لهم ولكن الله عاقبهم شر عقاب حيث مسخهم قرودة وأبعدهم من رحمته ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين^(٢) » ، وقال :

(١) العينة بكسر الهمزة وفتح الباء والنون : السلف
(٢) آية البقرة ٦٥ .

المقصد الاسمي للزواج ، ولقد أفاض ابن القيم الحديث في بيان أضرار هذه الحيلة ، وبما قاله في كتاب إعلام الموقعين : التحليل من أقبح القبائح ، ومن أعظم الفضائح ، وهو عصى في عين الدين ، وشجى في حلق المؤمنين ، لعن رسول الله فاعله ، وتوعده بالرجم ، إلى أن قال : لعن الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها إلى البغاء ؟ .

وقد سبقه في ذلك شيخه ابن تيمية فألف فيه كتابا سماه : « إقامة الدليل على بطلان التحليل » ، أبطل فيه جميع الحيل التي شاعت في الناس باسم الدين ، والأضرار التي تنجم منها . وقد نهج ابن القيم منهج أستاذه فقال في إعلام الموقعين : الحيل حرام من وجوه : أولا : أنها مضادة لحكم الله ، ومفوتة لما يقصده الشرع الشريف .

ثانيا : فيها تحليل ما حرم الله .

ثالثا : فيها الخداع الذي نهى عنه الدين ، وقد جاء في الحديث الصحيح على شرط الشيخين - أن رجلا جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة ليحلها لأخيه ، هل تحل للأول ؟ قال : لا إلا نكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسئل أيضا ابن عباس فقيل له : (إن عصى طلق زوجته ثلاثا ، أحلها رجل ، فقال :

من نوى الربا بالبيع حصل له الربا ولا يعصمه عن ذلك صورة البيع ، وأن من نوى بعقد النكاح التحليل كان محلاً ، ولا يخرج منه عن ذلك صورة عقد النكاح ، لأنه قد نوى ذلك ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

فالمقدمة الأولى معلومة بالوجدان ، والثانية بالنص ، فإذا نوى بالعصير حصول الخمر كان له ما نواه ، ولذلك استحق اللعن ، وإذا نوى بالعقد التحليل على ما حرمه الله ورسوله كان له ما نواه . والدليل هلى أن المقصد والنية معتبران من للكتاب والسنة ما يأتي : — قال تعالى : « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أردوا إصلاحاً » (١) .

وقال تعالى : « ولا تمسكوهن ضرراً لتعتدوا » (٢) ، منطوق هاتين الآيتين الكريمتين أن الرجعة شرعت لمن قصد الإصلاح دون الإضرار .

وقال تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار » (٣) ، فالوصية تنفذ إذا لم يقصد بها الإضرار بالورثة .

وجاء فى السنة ما يأتي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صيد البر لكم حلال وأنتم حرم مالم تصيدوه أو يصد لكم) يفيد

« يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أديارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت » (١) ، وقال : « وأسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيم حياتهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأتيم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » (٢) .

وهذا للنص من القرآن الكريم يصفح ناصية المحتالين ويرثمهم على أعقابهم خاسرين أما من السنة فحديث :

(إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (٣) استدلل ابن القيم على بطلان الحيل بهذا الحديث فالجملة الأولى :

(إنما الأعمال بالنيات) تفيد أن العمل لا يصح إلا بالنية ، والجملة الثانية : (وإنما لكل امرئ ما نوى) تفيد أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه ، وهذا يعم العبادات والمعاملات ، والأيمان والنذر وسائر العقود ، والأفعال ، وهذا دليل على أن

(١) آية البقرة ٢٢٨ .

(٢) آية البقرة ٢٣١ .

(٣) النساء ١٢ .

(١) ٤٧ النساء .

(٢) آية الاعراف ١٦٣ .

(٣) البخارى عن عمر بن الخطاب .

مكروه ، وضرب لذلك أمثلة في إصلاص
الموقعين وغيره منها : نهى النبي صلى الله
عليه وسلم المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن
تتطيب ؛ لأن في ذلك إغراء للرجال ، كما أمرها
ألا تسافر أو تختلط بالرجل إلا إذا كان معها
محرم أو زوج ، ومنها ألا يجمع في النكاح
بين الأخت وأختها ، وبين المرأة وعمتها أو
خالتها أو بالعكس ، وقد بين الرسول صلى الله
عليه وسلم ذلك فقال : (لانسك إذا فعلتم ذلك
قطعت أرحامكم) .

ومنها قول الله تعالى : « ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » (١)
فسب الآلهة مباح ، ولكن نهى الله عنه لأنه
يفضى إلى محرم وهو سبهم لله ، وكذلك كل
ما يفضى إلى الظنون السيئة ، كالخروج من
المسجد حين الأذان ، والجلوس مع الأشرار
وفي هذا جاء الحديث الشريف (من سلك
مسالك التهم اتهم ولا أجر له) وفي عهد عمر
ابن عبد العزيز أتى له بجماعة شربوا الخمر
ليقيم عليهم الحد وفيهم رجل لم يشرب معهم
فأمر عمر رضي الله عنه أن يبدأ به ، وقال
أولم يقرأ قول الله تعالى « فلا تقعدوا معهم » (٢)

صنعة السنة من القرآنة عند ابنه القيم :
يرى ابن القيم أن السنة موافقة للقرآن من

الحديث أنه يحرم على المحرم الأكل من صيد
الحلال إذا صاد له صائد فقصده تحليل الصيد
للمحرم حرم الصيد على المحرم .

ومن حديث أبي هريرة (... ومن استدان
ديننا ينوى ألا يقضيه فهو سارق) فنتيجه
عدم الأداء حرمت عليه الأخذ ، وكذلك جاء
في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (من تزوج امرأة بصدق ينوى
ألا يؤديه إليها فهو زان) فدل الحديث على
أن المزوج إذا قصد عدم أداء الصداق
كانت زوجته حراما عليه ، فالتية جعلت
النكاح زنا والدين سرقة .

كذلك لا يقع الطلاق إلا باللفظ والإرادة
أعنى إرادة التكلم والقصد والمعنى ، فلو لم
يعرف المعنى أو لم يقصد بأن كان مكروهاً
لم يقع طلاقه بخلاف المازل ؛ لأنه قاصد
للتكلم . ويستدل ابن القيم على ذلك بأن الله
تعالى رتب الأحكام على الالفاظ لدلالاتها
على قصد المتكلم بها وإرادته ، فإذا قصد
الكلام ولم يقصد المعنى ولم يقصد مخالفة
ما ألزمه ، ولا الحث فلا يقع ، بل قد رفع
المواخفة عنه بما لم يقصده .

الزرائع :

يرى ابن القيم أن كل ما أفضى إلى المحرم
فهو محرم ، وكل ما أفضى إلى المكروه فهو

(١) آية الأنعام : ١٠٨ .

(٢) آية النساء : ١٤٠ .

لما في الكتاب ، من ذلك : مقادير الزكاة وأنصبتها ، كيفية الصلاة ، نكاح المرأة على بنت أختها أو بنت أخيها ، تحريم الرضاع كتحريم النسب ، الشفعة ، توريث الجدة ، منع التوارث بين المسلم والكافر ، وتوريث بنت الابن الذي مع البنت ...

نصوف ابن القيم :

كان ابن القيم متصوفاً ، وكان تصوفه وسطاً بين الإفراط والتفريط ، فلم يغفل غلو ابن العربي ومن على شاكلته ، ولم ينزل إلى التقصير كما عليه بعض المتصوفين من جهلة اليوم ، فهو يرى أن التصوف الحق هو العمل بالكتاب والسنة ، ونص على هؤلاء الذين جعلوا للشريعة ظاهراً وباطناً ، وأسقطوا التكليف عن وصل إلى علم الحقيقة ، وأنه ليس هناك خلق منفصل عن الله تعالى ، بل الله تجلى فيه وظهر ، وهذا ما يسمى بوحدة الوجود ، لهذا كان يجذب طريقة المتصوفين القدامى ، ويثنى عليهم ثناء مستطاباً مثل علي ابن أبي طالب ، والحسن البصري ، ومعروف السكرخي ، والجنيد وصفين الثوري وأبي عثمان النيسابوري ، ومن أراد أن يعرف التصوف الحق فيطلع على كتابه (مدارك السالكين) شرح كتاب منازل السائرين للهروي وهو من أنفس كتب التصوف .

من كل وجه ، فتارة تؤيده أو تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له ، أو تبين حكماً سكنت القرآن عن إيجابه ، أو تحريمه ، فإذا ما جاءت السنة بما يفيد التعارض ، فإن أمكن التأويل وذهبت المعارضة فذاك ، وإلا فليضرب عن السنة صفحاً حيث إنها عارضت القرآن المتواتر ودلت دلالة واضحة على أنها لم تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن القرآن والسنة خرجتا من بين شفيعيه عليه السلام ، وقد أثرت عن الرسول أحاديث كثيرة تفيد أن السنة تزيد عما في الكتاب . روى المقدم بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الخمار الأهل ، ولا كل ذى ناب من السباع) .

وفي لفظ آخر : (يوشك أن يبعد الرجل على أريكته فيحدث بحديثي فيقول : بيني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله) قال الترمذى : حديث حسن ، وقال البيهقي : إسناده صحيح . ومن اطلع على السنة يرى كثيراً من الأحكام مفصلة

سُرَادَةُ الْعُلَمَاءِ :

قال عنه ابن حجر : كان جرىء الجنان ،
واسع العلم عارفاً بالخلاف ، ومذاهب السلف
وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج
عن شيء من أقواله ، بل يذصر له في جميع
ذلك ، وقد هذب كتبه ، وقال : وكان إذا
صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى حتى
يتعالى النهار ويقول : هذه عدوتي لو لم أقمدها
سقطت قواي ، وكان يقول بالصبر والفقر
تنال الإمامة في الدين ، وقال القاضي

برهان الدين الزرعي : ما تحف أديم السماء
أوسع علما منه أم .

ولجمال القول أن ابن القيم كان من
الخصائص الإسلامية التي أخلصت لله ،
وأفنت حياتها في الدعوة إلى صحيح الإيمان
فجزاه الله خيرا بقدر إخلاصه في الدين ،
وماسدى للإسلام من جميل ؟

ابراهيم عبر الباقي
من علماء الأزهر

طرائف

كان الحجاج بن يوسف يستنقل زياد بن عمرو العتكي ، فلما أثنت الوفود على الحجاج
عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر ، قال زياد بن عمرو : يا أمير المؤمنين إن الحجاج
سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم !
فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه .

* * *

قال أسماء بن خارجة الفزاري : لا أشاتم رجلا ، ولا أردسانلا ، فإنما هو كريم
أسد خلقه ، أو لئيم أشترى عرضي منه .

* * *

وقال سهل بن هارون : يجب على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها ،
كما بدى بالنعمة قبل استحقاقها .

عزونا وعزهم :

الرأى العام فى الاسلام

للاستاذ محمد رجب البيومى

تستأهل المراجعة ، وقد كان وجود المدرسة النازية فى ألمانيا معلما أول يلحق أساليب الدعاية والتبويه ، فاندفعت الدول الأخرى إلى تطبيق نظرياته ، واستلهم مذهبها ، وأصبح كتاب الدكتور جوزيف جوبلز (نصيبى فى كفاح ألمانيا) دستورا محترما فى واقع الأمر لدى الأوربيين ، وإن تظاهروا بالنقمة عليه ، والبعد عن اتجاهاته ، والحق أن الدكتور جوبلز وزير الدعاية الألمانى كان عجباً جداً فى بابه ، وما نحسب أن دولة من الدول وهبت داعية عظيمة فى مثل ملكته وكفائته ، فقد فرض عليه هتلر أن يضع برنامجا لتعليم الشعب الألمانى تعليما من شأنه أن يجمع كل القوى المؤثرة فى الشعب فى يد واحدة مطلقة السلطة والتصرف ، وجوبلز يقول بصدد ذلك : (لقد ألقى على عبء هذا العمل ، إنه ميسدان فسيح تتجاوز حدوده مقدرة كل إنسان ، إنه عمل هائل يتطلب تحقيقه إنفاق العمر فى جهد متصل ، وصبر عظيم ، ويتطلب قوة ذهنية جبارة ومقدرة تامة على إدارة وسائل الدعاية الحديثة ، إدارة تشمل الشعب جماعة جماعة وفردا فردا) .

ينظر بعض المفكرين فى أوربا إلى الرأى العام نظرة مريبة فهو فى رأيهم آلة تسخرها الدعاية وتسيرها العاطفة دون تعمق فى أسباب أو ارتقاب إلى نتائج ، والكاتب اللبق يستطيع فى منطق هؤلاء أن يحول الجماهير عن رأى صائب إلى رأى مخطئ بما ينمق من خيالات ، وقد يكون هذا القول منطبقا على ما نشاهده فى التاريخ الأوربى المعاصر ، فهو يقدم لنا من ألوان الاحتيال على الحقائق ، وأفانين التهجم على القيم ما يدفعنا إلى إساءة الظن بالرأى العام الأوربى مهما يزعم لنفسه من تقدم وثقيف ، فنحن نجد المعسكرين : الديمقراطى والشيوعى كليهما يقصدان فى ظواهر الأقوال مكانة الرأى العام ، ولكنك تجيل العين الفاحصة فتجد كل معسكر يخضع لساسة محترفين يوحون بالفكرة الفردية بادية ذى بدء ، ثم يعشون شتى الجهود اللسانية والقلبية للدعاية لها حتى تصبح بين يوم وآخر أمرا بدهيا لا يقبل المعارضة ، ويندفع الرأى العام هناك لتأييدها مطالباً متسرعاً وكأنها قد انبعثت من أعماقه ، غافلا عما يكون بها من مأخذ

وبهذا غدا الرأى العام الجماعى الذى فقد القوة المعبرة والكفاءة واقعا تحت تصرف أولئك الذين يديرون المجتمع (١) .

وطبيعى أن يبحث الكاتب وأمثاله من المفكرين عن علاج ناجع لهذا الداء الخطير ، ليرد على الرأى العام ما فقد من ضعفه ، فيصبح كما تنخيله مثلهم الفكرية أمينا مخلصا يهدف إلى الكرامة والحرية والمساواة !! وقد أجدد الأستاذ ليبولز فكره منقيا عن هذا العلاج حتى اهتدى إلى القيم الروحية فهى التى تفعل ما لا يفعل القانون ، وتصور ما لا تصون

التقاليد المتوارثة . وإنه ليؤكد ذلك مكررا معاودا : فيقول فى استنتاج متعقل : (وقد أظهرت اختبارات القرن الماضى هبوط كل محاولة لبناء سياسى جديد على أسس إنسانية محضة ، وثبت أن انبعاث الروح الحقيقى يكون عن طريق أولئك الذين يجمعون تجاربهم من موارد روحية عميقة) . وهنا موضع العبرة من كلام الرجل ، فإن تكوين رأى عام عن طريق القيم الروحية قد وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده ، ونجح نجاحا هائلا تتابع دلائله فيما سطره المؤرخون شرقا وغربا عن حياة الإسلام الأولى فى عهده الخالص النخلص ، ونحن نقول : إنه وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده ، لأن المسيحية لم تضع قوانين المعاملات ، ونظم التعاقد والترابط فى كتاب مقدس

(١) ترجمة الأستاذ فؤاد طرزى ببغداد .

وقد ذهبت النازية ، وبقي أعداؤها ليسيروا على نهجها فى غسق الليل ، زاعمين أنهم يقفون منها على طرفى نقيض ، وقل لى بربك كيف يوافق الرأى العام المثقف فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا على فظائع الاستعماريين فى تونس والجزائر ، وإبادة آلاف الضحايا ، كما وافق من قبل على تشريد أمة عربية شهيدة دون أدنى جريرة !! كيف يوافق الرأى العام الأوروبى والأمريكى على هذه الفظائع الدامية إن لم تكن أساليب الدكتور جوبيلز فى الدعاية هى الدستور الأعظم لقادة هذه الشعوب ! .

لسنا نتجنى على الرأى العام فى أوروبا الديمقراطية حين ننص على أنه قد فقد حرية الطبيعية وأصبح آلة مسخرة تديرها الدعاية كما تشاء ، فهناك عشرات من المفكرين الديمقراطيين يعلنون هذا الواقع للشائن فى مرارة ، وما هو ذا الدكتور لوبيلز الأستاذ بجامعة كوتنجن يجهر بذلك فى صراحة إذ يقول : « وفى الواقع لقد ابتعد الرأى العام فى دول الأحزاب الديمقراطية عن أن يكون التعبير الصادق فى المجتمع الحر ، ويظهر ذلك من ملاحظة أن المبادئ الحرة فى هذا البلد - يريد إنجلترا - قد احتفظت بقوتها أكثر من أى بلد آخر ، ولكن رغم ذلك نرى كيف أخذ الرأى العام تحت الضغط الآلى ، والسيطرة الجماعية يميل ليمس أكثر فأكثر نوعا غير منتظم الشكل يخضع لتيارات الأفكار التكتلية ،

وتؤمنون بالله، وينحى باللائمة على بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يقتضون عن منكر فعلوه، كما يذم المنافقين ذمًا شائنًا لأن بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويقبضون أيديهم.

وقد جاءت أفعال الرسول - وهو المثل الأعلى للإنسان في الإسلام - وأقواله شارحة وموضحة لأوامر الكتاب في تكوين رأى عام مستنير يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والرأى العام حينئذ هو مقياس الترجيح وأداة الحكم، تصدر الأمة عن رأيه، وتنبعث قوانينها من هده.

روى ابن عساکر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: (قال رجل يارسول الله متى أكون محسنًا ومتى أكون مسيئًا؟ فقال: إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن، وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسيء فأنت مسيء.) ١١

وروى البخارى عن حرملة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما تأمرنى به أهمل، فقال: اتت المعروف، واجتنب المنكر، وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك للقوم إذا قم من عندهم فائته، وانظر الذى تكره أن يقول لك القوم إذا قم من عندهم فتجنبه.

وروى البيهقى فى الشعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه. ولا تقفن عند رجل يضرب

لتكون معروفة مؤكدة لا يختلف فيها اثنان، بل اتجهت إلى التهذيب الروحى والتطهير الوجدانى مكتفية بقوانين المجتمع الرومانى، أما الإسلام فقد عالج أمور الدولة وسنى شرائع الناس ثم فرض اتباع تعاليمه فرضا ملزما فسار وراءها الرأى العام المسلم قبل أن تتجه إليه معاول التخريب.

وتادى الحقبة الأولى من حياة الإسلام شاهد لا يخطئ، فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم والعرب أحرار لا تجمعهم غير التقاليد الموروثة المتباينة، فحمل إليهم رسالة العدالة والمساواة والإخاء والحرية، وبلغ للناس كتابا يجمع ما أمر الله به أن يفعل، فأصبح القرآن دستورًا جامعًا، وإمامًا هاديًا، وبذلك كون رأيا عاما يتمسك بأهدابه فيعتصم بفضائله ويخالف مناهيه، وأصبح كل مسلم يخطط طريقه فى الحياة على هديه، فإذا أطاع أمير المؤمنين ففى طاعة الله لا فى معصيته، وإذا عامل رئيسه أو مرءوسه فى نطاق شريعة مقدسة مدروسة، فلو نعت ناعق بما يخالف آية كريمة أو يعارض أمرا نبويا تحده الرأى العام الإسلامى أن يأتى بدليل قرآنى يقف له! وهكذا تكون الرأى العام فى ضوء ساطع من القيم الروحية، وفى هدى واضح من كتاب الله، وإنه ليحدد مكانة الأمة الإسلامية وواجبها الشرعى فيقول فى جلالة: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»

مظلوما فإن اللغة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه) .

وقال أيضا فيما رواه البخارى عن النعمان ابن بشر : مثل للقائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأخذ كل واحد منهم نصيبا ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء يمرون به على الذين فى أعلاها ، فتأذى الذين فى أعلاها بالمسار عليهم ، فقال الذين فى أسفلها : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فأخذ أحدهم فأسا ، فجعل يثقر أسفل السفينة ، فاتوه ، فقالوا مالك ؟ قال تأذيتى ، ولا بدلى من الماء ، فإن أخذوا على يديه ومنعوه أنجوه ، ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم .

فى ضوء هذه المبادئ الصريحة قرآنا وحديثا تكون الرأى العام الناضج فقال أبو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم ، وقال عمر بن الخطاب : « من رأى منكم أهوجا فى فليقومه ! فرد عليه أحد المستمعين : والله لو رأينا فىك أهوجا لقومناه بسيوفنا ، فوافقه عمر وأيده !! وهكذا أصبح كل مسلم رجل سياسة مفهومة ، تتغلغل فى أعماقه ، فهو يلتزم حد الله فيما يأتى ويدع .. وأصبح الرأى العام الإسلامى إذ ذاك حقيقة واقعة يسيطر عليها القرآن ،

وتجمعها روح الإسلام ...

ولو قدر للفكرة الإسلامية أن تطرد على سوائها المستقيم بعد النبوة والخلافة الراشدة ، لسعد بها المسلمون ، ولكنها انكست على يد معاوية حين أخذ البيعة ليزيد ، فرغب ورهب ، وقارب وباعد ، وأسكت الأفواه بالمال تارة وبالزجر تارة أخرى ، فأخذ الرأى العام الحر ينحسر ويتقلص ، وأصبح الخائف الجرى . يهتف فى أذن العاصى الغوى بالآية الحاسمة والأثر القاطع فلا يجد السميع ، ثم جاء الخلفاء من بعده فنهجوا نهجه - إلا قليلا ممن عصم الله - فانطفأت جذوة الغيرة على توالى المحن ، وتكون رأى عام آخر يقبل الضيم ويستقيم للسكره !! ولك أن تقرأ هاتين الحادتين لتوازن بين عهدى متناقضين اجتمع فيهما الرأى العام على مبدأين متناقضين ، فعلت كلبته فى عهد ، وخبت ربحه فى عهد .

١ - كان عمر بن الخطاب يقسم بعض الغنائم فنقده بعض الحاضرين ، فصاح صائح بالناقد : اتق الله فإنه أمير المؤمنين !! فقال عمر : دعه فلا خير فىكم إن لم تقولوا فىنا ، ولا خير فىنا إن لم نتقبلها منكم .

٢ - خطب أبو جعفر المنصور فقال : أيها الناس اتقوا الله ، فقام إليه رجل من عرض الناس ، فقال : أذكرك الله الذى تذكرنا به يا أمير المؤمنين ، فرد أبو جعفر : سمعاً لمن ذكر بالله ، وأعوذ بالله أن أذكر به فأنساه ،

وتأخذني العزة بالإثم ، وأما أنت ، فوالله ما الله أردت بها ، واسكن ليقال : قال فعوقب فصبر ، وأهرون بها لو كانت . وأنا أحذركم أيها الناس أمثالها فإن الموعظة علينا نزلت ومنا أخذت .

فقوة الرأي الحر الملمز تتجلى بوضوح في عهد الخليفة الراشد وتتضاءل في انكماش في ظل المتجبرين من الورثة ، والمدلين بالنسب ، ونحمد الله أن تقدم بنا الزمن فضت عصور الاستبداد إلى غير رجعة ، وفاء المسلمون إلى دينهم يحفظون قرآنه ، ويفهمون حديثه ، ويقروون تاريخه ، وما أحرهم أن يكونوا رأيا عاما إسلاميا تجتمع كلتهم عليه ، دون تراجع ونكوص .

على أن أشد ما يبنى به الرأي العام من أخطار هو أن يصاب بأبالسة يحرفون الكلم عن مواضعه فلا يعمدون إلى الصراحة في فرض أفكارهم الخاصة ، وأهوائهم الشخصية بل يقصدون إلى القضايا المسئلة ، والحقائق المتعارفة ، فيشرحونها على غير وجهها ، ويحملونها ما لا تطيق من الاتجاهات ، والجمهور لا يفتن إلى الوجه الصائب ، وقد يجوز ذلك بكثرة في القوانين الوضعية والمسلمات التلميدية ، ولكنه يصعب كثيراً في دستور محكم فسرت آياته التكريمة في شتى المراجع على توالي العصور واشتهرت منازعه اشتهاً ظاهراً ظاهرته السمعة المتداولة ، وأيده واقع التاريخ الإسلامي

محمد رجب البيومي

اللغة العربية في إفريقيا

للأستاذ جلال عباس

الذين وجنوب الجزيرة العربية وعمان إلى الساحل الشرقى للقارة، واختلاط هذه الجماعات بشعوب تلك المناطق .

٢ — اعتناق الشعوب الإفريقية للإسلام وشعورها بالحاجة إلى تفهم القرآن والأحاديث النبوية الشريفة دفعها إلى تعلم اللغة العربية في السكتانيب والحلوات العديدة التى أنشأها فقهاء مسلمون هاجروا إلى تلك البلاد من مصر والحجاز أو من المغرب من أجل الدعوة للإسلام ونشر تعاليمه الصحيحة بين معتنقيه من القبائل الإفريقية .

٣ — تعدد اللغات الإفريقية وصعوبة التفاهم بها بين القبائل وبخاصة فى المعاملات التجارية جعل هذه الشعوب تقبل على اللغة العربية كلغة يمكن بها تحقيق التفاهم الكامل بينها .

٤ — انتشار التجار العرب فى الأسواق التجارية ساعد على تعلم الكثير من الإفريقيين لها ليسهل التعامل مع هؤلاء التجار العرب .

وبلغت قوة تأثير اللغة العربية فى القارة الإفريقية أن اللغات الأصلية القوية العظيمة الانتشار مثل لغة الهاوسا ولغة الماندينجو ولغة الوولوف فى غرب القارة وكذلك اللغة

أخذت اللغة العربية تنتشر فى أقطار القارة الإفريقية منذ الفتح العربى ، وقد امتدت خطوط هذا الانتشار مع الفتح العربى الذى صحبته هجرات من القبائل العربية فى الشرق والغرب ، فوصلت إلى خط العرض الخامس شمال خط الاستواء فى غرب القارة ، كما امتدت معرفة اللغة العربية واستعمالها فى شرق القارة إلى الداخل حتى حدود الكونغو والمناطق الشرقية منه ، وطبيعى أن انتشار اللغة العربية وعدد المتكلمين بها يقل تدريجيا كلما بعدنا عن مراكز إشعاع العروبة وتأثيرها فى شمال القارة وشرقها ، فى مناطق إفريقيا الغربية يقل عدد المتكلمين بالعربية تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا تجاه ساحل غانا ، وفى الشرق يقل انتشارها كلما توغلنا بعيدا عن ساحل المحيط الهندى نحو الغرب فى المناطق الداخلية .

عوامل انتشار اللغة العربية فى إفريقيا :

ولقد ساعد على انتشار اللغة العربية فى القارة الإفريقية عوامل متعددة أهمها :

١ — هجرات القبائل العربية مثل بنى هلال وبنى سليم والغازاة فى غرب القارة ، وأبناء

إلى تلك المناطق أن تتمتع الشعوب التي سبقتها وتحول اللغة في تلك البلاد إلى لهجة عربية خاصة .

موقف الاستعمار من اللغة العربية :

أخذ تيار العروبة الذي كان يزحف بخطى حثيثة إلى قلب القارة الإفريقية يتعثر أو يتوقف منذ أواخر القرن الثامن عشر نتيجة للاضطهاد بالاستعمار الأوروبي ، ونتيجة لجهود المستعمرين في وقف هذا التيار العربي الذي رأوا أنه أخطر ما سيواجه أهدافهم في السيطرة على شعوب القارة وعلى مواردها الاقتصادية .

ووقف المستعمر أمام الثقافة الإفريقية وقفة المتأمل الدارس ، فوجد نفسه يواجه نوعين من الثقافات :

الأولى الثقافة العربية القوية التي تستند إلى تراث فكري وأدبي وديني يعطيها صلابة ومناعة يجعل لها شخصيتها التي لا تذوب في مؤثرات الثقافات الأخرى ولكن تشكّلها وفق الاتجاهات العربية المصرفة لما لها من قوة الهضم والامتصاص .

والثاني الثقافات الإفريقية اللينة التي يسهل تشكيّلها أو هضمها وتمثيلها في الثقافات الأخرى القوية ، وكانت معظم هذه الثقافات بسبيلها إلى الاندماج في الثقافة العربية والإسلامية .

السواحلية في شرق القارة واللغة الصومالية في منطقة القرن الإفريقي ولغات التيجرة والدناكل في أثيوبيا وأريتريا ، كل هذه اللغات استعارت الكثير من الألفاظ العربية نتيجة للاحتكاك بالعرب من جهة ونتيجة لاعتناق أبنائها الإسلام من جهة أخرى ، واتخذت هذه الألفاظ العربية التي دخلت اللغات الإفريقية إحدى صورتين :

الأولى : أنها تحولت بحيث تنطبق عليها قواعد التركيب اللفظي للغة الإفريقية كما حدث في اللغة السواحلية ، وكذلك في أكثر من نصف الألفاظ التي دخلت لغة الهاوسا .

والثانية : أنها احتفظت بشكلها العربي الخالص ، وهذه تمثلها الألفاظ التي تتعلق بشؤون الدين والشرائع والنظم الإسلامية التي سادت في المجتمعات التي اعتنقت الإسلام وتتكلم هذه اللغات مثل الهاوسا والفلولا والمندنجو والولوف في غرب القارة .

وليس معنى انتشار الألفاظ العربية في اللغات الإفريقية أن تيار التعريب قد وقف عند هذا الحد ، ولكن هل العكس فإن ذلك يدل على أن عملية امتصاص تدريجي كانت تسير بخطى حثيثة وبعمر متجهة إلى تحويل هذه اللغات إلى لهجات عربية خاصة بأصحابها ، كما حدث بالفعل في غرب السودان حيث استطاعت القبائل العربية التي هاجرت

وتغليبها على سائر اللهجات الأخرى بترجمة الكتاب المقدس إليها وتعليمها في المدارس في مرحلة التعليم الابتدائي ، مع التقليل من حصصها تدريجياً في السنوات العليا من هذه المرحلة ولغائها نهائياً أو تدريجياً من مرحلة التعليم الوسطى والثانوية .

رابعا : تشجيع اللغة الانجليزية المحلية Pidgin English كتمهيد لسيادة اللغة الانجليزية .

وعلى طول تلك المراحل كانت اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم في المراحل العالية تدرسها تلك الصفوة التي يختارها المستعمر ليعدها لشغل الوظائف البسيطة في المصالح الحكومية والإدارات المحلية ، والشركات .

خامساً : إدخال اللغة الإنجليزية كلغة أساسية في مراحل التعليم المختلفة حتى مرحلة التعليم الابتدائي ويتم ذلك تدريجياً حتى يقضى تماماً على الثقافات المحلية وتحل محلها الثقافة الإنجليزية .

أما الفرنسيون فقد اتبعوا سياسة مباشرة في القضاء على اللغات المحلية واللغة العربية على حد سواء ، وهذه السياسة تتفق مع مذهبهم الاستعماري الذي يهدف إلى امتصاص الشعوب وفرنستها ، فأهملوا اللغات المحلية واللغة العربية إهمالاً تاماً ، مع قصر التعليم على اللغة الفرنسية في المدارس وجعل هذه

ولقد ذهب المستعمرون في سياستهم الثقافية مذاهب مختلفة ، فرأى الإنجليز أن الوسيلة الوحيدة لوقف تيار الثقافة العربية وتأثيرها هو إحياء الثقافات الإفريقية الأصلية وصبغها بصبغة قبلية إقليمية تساعد على إثارة التعصب والقوميات المحلية المحدودة في نطاق قبلي ليستغلوا هذه الروح في إقامة سد في وجه انتشار الثقافة العربية التي يخشون منها على مركزهم ومصالحهم الاستعمارية .

وكانت خطة السياسة البريطانية هي للتسلل التدريجي لنشر الثقافة واللغة الانجليزية لتحقيق الاستعمار الثقافي الكامل وسارت خطتهم على النحو التالي :

أولاً : تشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين و علماء اللغات لتحقيق المعرفة الأولية بها .

ثانياً : العمل على تكوين لغات جماعية لمواجهة احتياجات التعليم بحيث توضع لغات جديدة مختارة تطعم ببعض ألفاظ من لغات أخرى قريبة منها أو لهجات من نفس اللغة كما تم وضع المجموعات اللغوية لجنوب السودان في مؤتمر الرجاف الذي عقد سنة ١٩٢٨ لإحيائها على هذه الصورة .

ثالثاً : لما قامت محاولات إيجاد لغات إفريقية شبه موحدة اتجه الرأي إلى اختيار إحدى اللهجات من كل مجموعة لغوية لإحيائها

الاستعمارية المغرضة زادوا المشكلة تعقيداً بأن أوقفوا التقارب الذى كانت خطواته تسير حثيثة قبل وصول الاستعمار عن طريق اللغة العربية ، ولقد ترتب على سياسة الاستعمار وإدخاله اللغات الأوروبية أن أصبحت مشكلة التعدد اللغوى تتخذ شكلياً .

١ - التعدد اللغوى الصارخ الذى تمثله اللغات المحلية التى حرمت من أن يتم التقارب بينها عن طريق اللغة العربية .

٢ - التعدد الصارخ فى اللغات الرسمية التى خلفها الاستعمار ، فهناك إفريقى يتكلم الإنجليزية وآخر يتكلم الفرنسية وثالث يتكلم البرتغالية أو الأسبانية أو الفلمنكية (إحدى لغات بلجيكا) ومع هؤلاء جميعاً إفريقيون لا يعرفون إلا لغاتهم القبلية أو يعرفون اللغة العربية دون اللغات الأخرى .

ولما كانت اللغات الإفريقية الوطنية من التعدد لدرجة يصعب معها التفاهم بها بين شعوب القارة ، وكانت اللغات الأوروبية - فضلاً عن التعدد الواضح فيها - تعتبر لغات دخيلة على القارة ، أصبح من الضروري العودة إلى لغة كانت فى سبيلها إلى تحقيق الوحدة الثقافية فى أقطار القارة الإفريقية وبين شعوبها لحل هذه المشكلة التى تقف فى وجه الوحدة الإفريقية وتوجد للاستعمار مجالاً للاحتفاظ بسيطرته الثقافية على عقول الإفريقيين واتجاهاتهم عن طريق لغاته المنتشرة بين المتعلمين .

اللغة أيضاً لغة رسمية فى المصالح الحكومية والشركات والإدارات المحلية ومن ثم قصر الانخراط فى سلك الوظائف والأعمال المختلفة على الملين باللغة الفرنسية .

وكانت هذه السياسة نفسها هى السياسة التى اتبعتها كل من بلجيكا والبرتغال فى مستعمراتها .

أما الموقف المباشر من اللغة العربية فقد كان موحداً ويتلخص فى صرف الألتظار من تعلم اللغة العربية بعدم قبول الذين يتخرجون من المدارس العربية فى المدارس الثانوية أو المدارس الفنية التى تؤهل للأعمال المختلفة ، إلى جانب موقفهم السلبي من التعليم العربى وعدم تقديم أى عون للقائمين عليه وعدم الاعتراف به ، وكل ذلك للتقليل من شأن هذه اللغة ولاضطراب المسلمين إلى الاتجاه إلى المدارس التبشيرية والمدارس الحكومية حتى يقعوا فريسة للتجاهات الاستعمارية التى تعمل هذه المدارس على إشباع تلاميذها بها ليمهدوهم بكل الوسائل من الثقافة العربية التى تبناها أجدادهم

اللغة العربية فى مستقبل الحياة الإفريقية :

فى ضوء الدراسة السابقة نستطيع أن نلص حقيقة هامة هى أن مشكلة التعدد اللغوى فى القارة الإفريقية ما زالت قائمة ولم يستطع المستعمرون بحجودهم الجبارة التى بذلوها أن يحدوا حلاً لها بل إنهم باتجاهاتهم

لإعادة ما قطعه الاستعمار من صلاتها بالشمال الإفريقي وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة التي تنظر إليها هذه الشعوب على أنها رائدة الحركة التحررية وتتطلع إليها لتستمد منها مبادئ القومية والحياد والسلام ، ولتقتبس منها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتفيد منها دولها في تقدمها وتدعيم استقلالها السياسي باقتصاد متين ومجتمع متماسك .

ويمكننا أن ندرك الرغبة القوية في نشر اللغة العربية في القارة الإفريقية في الإقبال على التعلم بالأزهر وفي مؤتمر اليونسكو لتنمية التربية والتعليم في إفريقيا ، الذي كان من بين التوصيات التي اتخذها ووافق عليها بأن تعاون الدول القادرة على إمداد الدول الإفريقية بمباحثها من المدرسين المؤهلين لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي وذلك بناء على ما قدمته معظم الدول الإفريقية من احتياجات خاصة للدور .

وهكذا نستطيع القول أن اللغة العربية هي أهم وسائل تحقيق التحرير الثقافي بعد التحرير السياسي ، كما أنها هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين أقطار القارة بعد أن تحقق لها التقارب في الميادين السياسية والدولية ، وأن لغة إفريقيا كبرى لأولى من لغات أخرى دخيلة بأي تحقيق للقارة وحدتها وتعاونها الثقافي .

محمد بول عباس

وفضلاً عن أن اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين شعوب القارة الإفريقية فإن هناك عوامل متعددة تجعل اللغة العربية هي أصلح اللغات للقارة الإفريقية وأهم هذه العوامل هو :

١ — أن اللغات الأوروبية الأخرى فضلاً عن تعددها فإن عدد الذين يعرفونها من أبناء القارة الإفريقية ما زال محدوداً ، ولذا إن تكون معرفة البعض للغات الأوروبية عتية في إدخال لغة جديدة في أقطار إفريقية .
٢ — أن اللغة العربية منتشرة في أنحاء كثيرة من القارة وبخاصة بين المسلمين الذين يشكلون أغلبية في جهات كثيرة من إفريقية فيما يلي الصحراء .

٣ — الجوار المباشر بين الدول الإفريقية فيما يلي للصحراء والدول العربية في شمال إفريقية ، إلى جانب الصلات المباشرة بين الدول الإفريقية في شرق القارة وبين شعوب الجزيرة العربية في مختلف الميادين الاقتصادية والثقافية .

٤ — انتشار الإسلام والحاجة إلى العربية لدى معتنقيه لفهم أصوله الصحيحة .
٥ — وجود أساس من اللغة العربية في أكثر اللغات الإفريقية نتيجة للإسلام وللاحتكاك بالعرب قبل الاستعمار .

٦ — أن هناك إقبال شعبي متقطع للنظر لدى الشعوب الإفريقية على تعلم اللغة العربية

بدء هجرة المسلمين إلى أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشواربي

١٩٥٧ رئيسا لاتحاد الجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا ، وهكذا نرى أن هذه الأسرة أخذت تستقر وبدأت على مر الأيام تشجع عائلات أخرى على الهجرة إلى أمريكا ثم أخذت هذه الأسر بعد ذلك تتكثرت في صورة جمعيات صغيرة بدأت تكبر شيئاً فشيئاً .

ولقد نزع كذلك إلى الولايات المتحدة من فلسطين في أوائل هذا القرن الأستاذ علي يحيى الدين حيث استقر في مدينة جرسى بولاية نيو جيرسى وأخذ يتدرج في نشاطه حتى صار الآن مليونيراً من كبار رجال الأعمال حيث يملك مصانع كبيرة للنسوجات الحريرية .

ومن المعاصرين للسيد علي يحيى الدين في نيويورك الأستاذ حمدان غنام الذى وفد إلى أمريكا منذ أكثر من أربعين عاماً وهو عميد عائلة كبيرة في نيويورك هي عائلة غنام وقد برز غير فرد منها في الأعمال التجارية وساهموا بنصيب كبير في النشاط الإسلامى والاجتماعى للجالية الإسلامية بمدينة نيويورك.

بدأت هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة منذ زمن بعيد ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن هجرة المسلمين والعرب منهم ، بصفة خاصة بدأت إلى أمريكا قبل رحلة كريستوفر كولمبس ، وأن عددا كبيرا منهم استقر في القارة الجديدة قبل رحلة كولمبس إليها .

على أن هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية في العصر الحديث بدأت في نهاية القرن التاسع عشر .

ولقد كان الحافز الأساسى للمسلمين الأول الذين هاجروا إلى أمريكا هو السعى في طلب الرزق . ولقد قال لى بعض قدامى المهاجرين المسلمين ممن قابلتهم في الولايات المتحدة : وما لنا لا نهاجر في سبيل طلب العيش الحلال وقد قال الله تعالى : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

ثم نزحت بعد ذلك في أوائل هذا القرن عائلة علوان استقر عائلها الأول في أمريكا في عام ١٩٠٢ وذلك بمدينة آشلند بولاية كنتوكى . ومن أبرز شخصيات هذه الأسرة السيد قاسم علوان الذى انتخب في يوليو سنة

رجال الأعمال في المدينة . وقد أرسل أولاده لإتمام تعليمهم في المدارس المصرية حتى يتأقلم لهم إتقان اللغة العربية .

وليس الهجرة إلى أمريكا قاصرة على العرب بل لأنها تشمل كثيراً من مسلمي الأقطار الأخرى ، فكما أن الأسر العربية التي أشرنا إليها كانت هي الأسر الأولى التي هاجرت إلى أمريكا وأخذت تجذب إليها أسراً أخرى من الوطن العربي حتى انتشر المسلمون العرب في كثير من الولايات الأمريكية ، نرى أن أسراً أخرى هاجرت من كثير من بلاد العالم الإسلامي وأخذت تنمو فيما بينها وتجذب أسراً أخرى من وطنها الأصلي إلى أمريكا .

ومن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها على ذلك فضيلة الأستاذ فضل محمد خان فقد هاجر من الهند حيث ترك قريته بأنديا لا بمقاطعة البنجاب وسافر إلى أمريكا وعمره لا يتجاوز ١٥ عاماً وقد هبط في مدينة سكرتو في ولاية كاليفورنيا التي تمتاز بجوها الجميل وبمزارعها الواسعة وحدائقها الغناء .

وقد أخذ السيد فضل محمد خان يعمل في الزراعة بجد ونشاط حتى أصبح يملك الآن مزرعة مساحتها ٢٥٠٠ فدان في مدينة بوتي بولاية كاليفورنيا .

ويعتبر هذا نجاحاً كبيراً لمسلم مهاجر نفتخر

وكان الأستاذ حمدان غنام المؤسس الأول ورئيس مؤسسة مسجد نيويورك .

ومن أبرز المسلمين الذين هاجروا إلى أمريكا للسيد يوسف أبو الهدى الذي استقر به المقام في واشنطن منذ حوالي نصف قرن ولقد أصبح الآن من كبار المقاولين في العاصمة الأمريكية ويملك فيها عدة عمارات شاهقة تقع في أرقى أحياء مدينة واشنطن . ولقد ساهم الأستاذ يوسف أبو الهدى ويسمى نفسه الآن Joseph hawar مساهمة فعالة في بناء المركز الثقافي الإسلامي في واشنطن بوصفه من كبار المقاولين في المدينة ويقدر ما أنفقه في بناء ذلك المركز سواء في صورة أموال دفعت أو مساعدات فنية قدرت بمقدار ربع مليون دولار .

ومن الأسر التي نزحت إلى الولايات المتحدة أسرة جزيني ، فقد ولد رب هذه الأسرة وهو الأستاذ نعيم جزيني في كفر عطا ببلبنان عام ١٨٩٧ هاجر أولاً إلى المكسيك ثم منها إلى الولايات المتحدة حيث اتخذ من مدينة ميتشجان بولاية إنديانا مقراً له منذ عام ١٩١٠ .

ويعتبر السيد عمر دياب زعيم الجالية الإسلامية في شيكاغو من أوائل العرب الذين هاجروا من فلسطين إلى شيكاغو حيث استقر بها عام ١٩٢٥ وأصبح من كبار

الشرين وظلت الأسر التي هاجرت تتناسل ويزداد عددها وتزدهر أمورهم حتى شقوا طريقهم في وطنهم الجديد وبدأت بعد ذلك تفد جاليات كثيرة من مختلف دول العالم الإسلامي .

ولقد تلا ذلك كله بدء تكوين الجمعيات ثم مجالس إسلامية في المدن الكبرى ، وفي عام ١٩٥٢ عقد أول مؤتمر للمسلمين في أمريكا وتم تأليف الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة وكندا حيث يعمل على السهر على مصالح الجاليات الإسلامية في أمريكا وإيجاد وحدة شاملة منهم .

ولقد بدأ الاتصال بين تلك الجاليات الإسلامية وبين العالم الإسلامي حينما بدأت الحكومات والهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي توجه عنايتها نحو هذه الجاليات ، فأُنشئ المركز الثقافي الإسلامي في واشنطن وتتولى جميع حكومات الدول الإسلامية الإنفاق عليه . كما بدأت الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي ترسل الوفود لزيارة تلك الجاليات وإيجاد رابطة بينهم وبين إخوانهم في العالم الإسلامي وأصبحوا بذلك قوة فعالة لإيجاد تفاهم متبادل ومودة مشتركة بين الشعب الأمريكي وشعوب العالم الإسلامي ؟

البروفيسور محمود يوسف الشواربي
الأستاذ بجامعة القاهرة

به جميعا ويفخر به العالم الإسلامي ، بل إن باكستان تجعل منه سفيرا غير رسمي لها في الولايات المتحدة ، وهو حقا من رجال الأعمال الناجحين ومن الشخصيات المعروفة في جميع أنحاء تلك الولاية . ولقد أدى كثيراً من الخدمات للمسلمين بصفة عامة ولباكستان بصفة خاصة ويعمل جامعاً على توطيد أواصر الصداقة بين وطنه الجديد أمريكا وبين وطنه الأصلي . والسيد خان عضو في مجلس الشئون العالية بشمال كاليفورنيا وعضو في اتحاد الكومونولث بسان فرانسيسكو ، كما أنه عضو كذلك في كل من اتحاد زراع الأرض في ولاية كاليفورنيا وفي المكتب الأمريكي لسكبار الزارعين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدداً ضئيلاً جداً من الإقليم المصري في الجمهورية العربية المتحدة هاجر إلى أمريكا واستوطنها ، ولعل أبرزهم السيد حسن سليمان الذي هاجر إلى أمريكا منذ ما يقرب من عشرين عاماً ، ثم عمل جاهداً منذ سنوات على إنشاء جالية مصرية سودانية فأنشأ اتحاد وادي النيل هووزملاؤه من رعايا الجمهورية العربية المتحدة ورعايا جمهورية السودان .

من ذلك يتبين أن الهجرة من العالم الإسلامي إلى أمريكا قد بدأت في نهاية القرن التاسع عشر وأخذت تزداد قليلاً قليلاً في بداية القرن

المسلمون في الهند أيضا..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

- ٢ -

هنا يكن السر الذي لا بد أن يعرفه القراء السر الذي هو المفتاح لإنصاف هؤلاء الأبرار المجاهدين وإنصاف تاريخهم من الظلم الذي هلق به ...

كان المسلمون يحكمون الهند دولة بعد دولة وظلوا يحكمونها قرابة ثمانية قرون ونصف يقيمون فيها حكم الشريعة الإسلامية التي تعدل بين المسلم وغير المسلم ، وكانت آخر دولة لهم - وهي دولة المغول - شديدة الحرص على طبع حكمها بالطابع الوطني الذي لم تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم ، فأتخذت وزراء وقوادا للجيش من غير المسلمين . ونعم سكان الهند جميعا في ظلها بنوع من الحكم الوطني الموحد ربما لم تشهده الهند من قبل ، ومع ذلك كان المسلمون طبعيا يشعرون أنهم حكام البلاد وأن الشريعة الإسلامية هي شريعة الحاكم التي تظل بعدها الجميع .

فلما جاء الانجليز في زى التجار الأبرياء المتزلفين أولا ثم استطاعوا بوسائلهم الإيقاع بين الحكام ، والسيطرة على أداة الحكم ، وزحفوا قليلا قليلا حتى كانت لهم مستعمرات

وعدنك في مقال سابق (١) أن أعرض عليك نماذج من المسلمين المجاهدين الذين وهبوا حياتهم لتحرير وطنهم ، الهند ، من المستعمرين الانجليز لإنصاف لهم من الأفكار الخاطئة الظالمة التي زعمت أنهم لم يساهموا في حركة التحرير أو أنهم كانوا حربا عليها وعونا للمستعمرين ..

وقد رأيت قبل أن أتحدث عن الشخصيات أن أكشف عن المبدأ الذي اعتنقه هؤلاء المسلمون وقامت عليه حركة جهادهم ، وضحي الذين ضحوا منهم في سبيله ، فإن الذي يتتبع أحوال المسلمين في الهند بعد دخول الانجليز وسيطرتهم على البلاد يجد أنه لم يخل جيل منهم من مجاهدين كانوا حريصين على رفع راية العصيان والجهاد ضد الانجليز حرصهم على أداء شعائر دينهم ، حتى بعد أن فشلت ثورتهم الكبرى سنة ١٨٥٧ لإخراج المستعمر وتخليص بلادهم من برائته .

فما الذي كان يحرك بعض المسلمين ويدفعهم للتضحية ؟

(١) عدد شهر المحرم ١٣٨١ .

المسلم فيها أى نفوذ فإنها تكون قد تحولت إلى دار حرب ويجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتبر الانحياز أعداء له يجب عليه حربهم والتخلص منهم ، ويحرم عليهم التعاون معهم حتى يخرجوا من البلاد .

واتخذ أساس هذه الفتوى من القرآن الكريم الذى يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » (١) . وقوله « ومن يتولهم منهم فإنه منهم » (٢) . وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تكتل المسلمين ضد أعدائهم وقت الخطر الذى يحيق بهم وتحرم عليهم أى لون من ألوان التعاون معهم .

وكان شاه ولي الله الدهلوى وأولاده مثل شاه عبد العزيز صاحب هذه الفتوى وأحفاده يمثلون مدرسة فكرية خاصة قويت فى الهند واشتد ساعدها وتجمع العلماء والعامه حول أفكارها حتى كان الانتساب إليها مفخرة يحرص العلماء على التحلى بها ...

ومن أجل هذا ظلت هذه الفتوى حية فى النفوس ، فكانت نشيد الثوار سنة ١٨٥٧ لإلهاب الحماس فى نفوس المسلمين ، وكانت عقيدة المجاهدين بعد فشل الثورة حتى رأيناها

على رقعة الهند الواسعة ولهم جيوش يوسعون بها رقعة ممتلكاتهم ، ولهم نفوذ أيضا على الولايات الأخرى التى لم تدخلها جيوشهم ولا سيما فى الوقت الذى ضعف فيه الامبراطور المسلم فى دهلى ، وتمزقت البلاد إلى ولايات يحارب بعضها بعضا ، واستغل الانحياز الفرصة وفقدوا من خلال هذه الخلافات إلى السيطرة التامة على أغلب الولايات وحكامها حتى امتدت سيطرتهم إلى الامبراطور المسلم الضعيف اتقابع فى قلعه الحمراء فى دهلى وتصرفوا باسمه فى كل شىء ، ولم يكن له من الأمر شىء حتى صح فيه قول القائل :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا

وما من ذاك شىء فى يديه
فى هذا الوقت وأمام هذه الحالة القائمة التى ضعف فيها الحاكم المسلم إلى آخر مدى حتى لم يستطع التصرف والإذن لمن يدخل دهلى أو لا يدخلها ومن يزوره أو لا يزوره ، فى هذا الوقت شعر المخلصون بالخطر ، وقام العلماء وكان على رأسهم شاه ولي الله الدهلوى وحاول محاولات مخلصية لإنقاذ الملك المسلم والحكم الإسلامى من الوافد المنتحك ، ثم جاء من بعده ولده شاه عبد العزيز الدهلوى ، وكان الخطر قد تفاقم فأصدر فتواه المعروفة سنة ١٨٠٣ التى يقول فيها : إن الهند ما دامت تحت سلطان الانجليز ولم يعد للبلك

(١) سورة الممتحنة آية : ١ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

حتى تلبثت الأغلبية فقامت في شبه دوار وخوف قلمتس الطريق في رعب وتكتفي بغايات قصيرة ، وبمطالب موضوعية محلية . وربما قام من هذه الأغلبية متحمس فدائي فدعا إلى الاستقلال الذاتي ولم يجرؤ على طلب الاستقلال التام ... هذا في الوقت الذي كان فيه المسلمون وأغليبتهم هم دعاة التضحية ، دعاة الاستقلال التام . دعاة طرد الانجليز ، وإخراجهم من الهند . يستهدون إلى ذلك كله بوحى من دينهم وعقيدتهم ، وإليك مثلاً من أمثلة عديدة : رجلاً من الرجال المجاهدين الذين تقدموا الصفوف وحملوا الشعلة في وقت حالك الظلام يدهو إلى اليأس الشديد والافتواء إن لم يدع إلى التزلف والقربى للحكام المسيطرين الأقوياء .

هذا المثل أو هذا الرجل هو شيخ الهند محمود الحسن . .

رجل نبت في بيئة دينية ، خرجته مدرسة من المدارس الدينية التي أنشأها العلماء المجاهدون الذين حملوا السلاح وقادوا الجيوش لحرب الانجليز في ثورة سنة ١٨٥٧ وعادوا من الهزيمة في ميدان الحرب ليبدؤوا نوعاً من الكفاح السلى في ميدان العلم والدين ضد الانجليز وتعاليمهم وتقاليدهم وسموهم ضد الإسلام .

تصنع منهم صوراً مكررة لمن رأيانهم من المسلمين الأول وتضحياتهم .

ثم رأيانها تعمل عملها في حل العلماء على إنشاء المدارس الدينية الخاصة حتى يتعلم فيها أبناء المسلمين ولا يتعلوا في مدارس الحكومة ، ورأيانها بعد ذلك تحمل المسلمين على إنشاء مدارس وكرليات مدنية لأبناء المسلمين ليتعلوا فيها ما يتعلمه غيرهم من العلوم الحديثة في مدارس الحكومة وكرلياتها .

ورأيانها أيضاً من وراء حركة العصيان المدني التي ارتفع لواءها في الهند وظن كثير من المؤرخين — خطأ — أنها فكرة « غاندية » خالصة ، وبندھش القراء لهذا ، ولكنني أعدم بتقديم تحقيق واف عن هذا الموضوع لأصحح التاريخ من الخطأ الكبير الذي وقع فيه ولأرد لأصحاب الحقوق حقوقهم ... وهكذا كانت فكرة أن الانجليز المستعمرين أعداء للمسلمين سلبوا منهم الحكم ، وأن حربهم أصبحت لذلك فرضاً على كل مسلم ومسلمة ؛ حتى يخرجوا من البلاد ، كانت هذه الفكرة هي التي تحرك بعض المسلمين للجهاد ضد الانجليز ، وهم وإن كانوا قليلين . . إلا أنهم كانوا يمثلون بقاءها حية في بعض النفوس كانوا يمثلون روحاً عنيدة من المقاومة لم تمت ولم تخمد ، بل ظلت رأياتها تخفق ويسلبها جيل إلى جيل

ضد العدو الدخيل ، ويحاولون - قدر طاقتهم وكما ترسم لهم عقيدتهم - إخراجه من البلاد . يوجد قليل من هؤلاء في قلب الهند ، وكثير منهم على الحدود الغربية في المناطق الجبلية . فأسرع الشيخ للاتصال بهم وتنظيم الحركة معهم . . . واكتفى مبدئياً بجمع المال والمعونات من قلب الهند لهؤلاء المجاهدين ليستمروا في حركتهم ، ثم اختار تليسياً من تلامذته الذين تخرجوا على يديه بعد أن توسم فيه روح العمل والجهاد ، وأرسله إلى الحدود إلى الميدان الذي اختاره المجاهدون ليقوى عزيمتهم ويشد أزرهم ويحول بينهم وبين ما يحاوله الإنجليز بالاحتلالهم ودسائسهم من تفرقة صفوفهم والقضاء عليهم ، وكان رسوله هذا عالماً من العلماء هو د مولانا عبيدان السندي ، الذي أسلم وهو صغير ، وشاء الله له أن يكون من الأفاضل المجاهدين والعلماء العاملين ، ومن حقه علينا أن نفرّد له ترجمة خاصة ، فلنتركه الآن على الحدود وفي أفغانستان لنسمر مع أستاذه شيخ الهند محمود الحسن .:

وكان تأليف حزب الرابطة الإسلامية سنة ١٩٠٦ يمثل في رأى الإنجليز تسليماً من المسلمين طاعة بالامر الواقع . ولذلك فرحوا له ، واغضبوا به ، وأشادت صحفهم في لندن وفي الهند بمغزاه فكان كل شيء في الهند يوحى

تخرج في مدرسة دارالعلوم ديو بند ، بل كان أول طالب فيها عند إنشائها وتولى تربيته وتنشئته هؤلاء العلماء المجاهدون من أمثال مولانا محمد قاسم نانوتوى د مولانا رشيد أحمد الجنجوهي وغيرهم ممن أنشأوا هذه القلعة الدينية في مدينة صغيرة وفي مسجد صغير ، وتخرج هذا الطالب سنة ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٧ م - وكان أول ثمرة لهذه الدار . كان صغيراً عند ما قامت الثورة واندلعت شرارتها الأولى من البلدة التي كان يعمل فيها والده ذو الفقار علي خان ، فانطبع في ذهنه وهو صبي المناظر المثيرة التي صاحبت قيام الثورة من قلعة مدينة ميرث ، ثم تلقى مع العلوم العربية والدينية روح الجهاد والتضحية من العلماء المجاهدين الذين درسوا له ، وأحس منهم - وهو شاب روح المراءة التي أحسوها بعد هزيمتهم مع روح الكراهية للإنجليز - الحقدهم عليهم فلما بدأ يدرس في الدار التي تخرج فيها أخذ هو الآخر يقوم بدوره في تربية الطلاب . ولما سكن الشحنة التي تلقاها من أسانذته كانت أقوى من أن يحصرها ميدان الدرس ، فبدأ الشيخ يبحث عن ميادين جديدة يفرغ فيها هذه الشحنة التي تحركه وتؤرقه وتسكاد تحرقه ...

وكان لا يزال هناك - كما قلنا - مسلمون يمتنعون فكرة الجهاد ، ولما يلقوا السلاح

وكانت الفسكرة التي يعمل لها الشيخ وأنصاره واضحة مفهومة لهم وهي إخراج الانجليز من الهند وبالتالي من البلاد الإسلامية التي استعمروها لتأمين طريقهم للهند مثل جنوب شبه الجزيرة العربية وعدن ومصر لأنهم حين يفقدون الهند لا يجدون مبرراً للتمسك بهذه البلاد ..

وكانت العاطفة الإسلامية المتأججة في نفوس هؤلاء تبعث فيهم الإحساس دائماً بمسئوليتهم المشتركة في استعمار البلاد العربية، فلأن الهند لم تستسلم للانجليز في بادئ الأمر لما وجد هؤلاء ضرورة لاحتلال هذه البلاد الإسلامية .. وكان هذا الإحساس يورق هؤلاء المسلمين باستمرار .

كانت هذه فكرة الشيخ وأنصاره ، ومن المهم أن أكرر وأؤكد أن هذا الزعيم المسلم كان يعمل في أوائل هذا القرن لإخراج الانجليز من الهند نهائياً بينما هذا المبدأ لم يعتنقه حزب المؤتمر إلا في يناير سنة ١٩٣٠ . أما الوسيلة التي أعدها بلوغ هذا الهدف العظيم فكانت تتلخص في نقطتين :-

١ - إثارة المتاعب والقلاقل في وجه الحكم الانجليزي في الهند حتى لا ينعموا باستقرار فيها وحتى لا يظل الشعب مستقيماً راضياً بحكمهم ..

باليأس والاستسلام ، ولكن أمثال الشيخ من أصحاب الهم والعزائم والرسالات الوطنية يتخذون دائماً من عوامل اليأس وريحها السوم ريحا تلهب جذوات العزائم فيهم ، وتهدم بطاقات تدفعهم إلى الأعمال التي تبقى على مر الزمن دروساً للمكافحين والمجاهدين وتعلمهم ألا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس ..

وكان الشيخ يعرف كل هذا ويحسه ويقدر الظروف التي يمر بها وتمر بها بلاده ، ويعرف بخبرته وخبرة أساتذته كثيراً من أساليب الحرب السرية التي تضمن له النجاح في أهدافه وألا يزعج به في سهولة إلى أعماق السجون أو جزائر المنفى القاتلة ..

ولذلك رأيناه يتصل بأنصاره للكثيرين بطريقة عجبية لم يكن من السهل أبداً أن نفهم حولها شبهة من الشبهات وهي التي عرفت فيما بعد باسم « حركة المناديل الحريية » فكان يكتب لأنصاره على مناديل حريية مستعملاً حبراً سرياً لا يمكن اكتشافه ، وهذه الوسيلة الغريبة استطاع أن يتصل بالمجاهدين على الحدود وفي مختلف البلاد في قلب الهند .. لم يستعمل الورق الذي تتجه إليه الأنظار وتبحث عنه أيدي المفتشين من رجال الشرطة ..

في مثل هذه الظروف .. ولكن رجل النفوس ظل مع ذلك يغلى ..

ووجد الشيخ أنه لا بد له من عمل خارجي يتم به خطته ، ولكن كيف يتم له ذلك وهو في قلب الهند ، ومن حوله العميون ، ترصد حركاته ، وتراقب تصرفاته ، إنه لا بد أن يسافر للخارج بنفسه ليتصل بأعداء الانجليز ، ويتفق معهم على وضع الخطط اللازمة لتنفيذ فكرته .

ولكن كيف يسافر والحرب قائمة وإلى أين ؟ لم تكن هناك إلا حيلة واحدة يمكن للشيخ أن يعتمد عليها .. وهي الحج .. الذهاب للأراضي المقدسة لأداء الفريضة ، الانجليز لم يتعودوا التعرض للناس في عباداتهم أو هكذا يعلنون .. فلتكن الرحلة للحج - إذن - هي الثوب الذي يلبسه الزعيم ويتخفى تحته ليصل إلى غرضه ، والحجاز يحكمه الأتراك وهناك سيتاح له الاتصال بمن يشاء من زعماء الأتراك ومن هناك يمكنه السفر إلى استامبول ، ويتصل برجال الحرب والحكومة ويتفق معهم على وضع الخطط لإيقاظ الهند وطرده الانجليز .

وأعلن الشيخ أنه سيسافر إلى مكة لأداء فريضة الحج .. وأسقط في أيدي الانجليز كيف يتصرفون ؟ هل يمنعونه ويتحملون تبعه منع مسلم من أداء الفريضة ؟ هل يتركوه

٢ - انتهز الفرص للاتفاق مع أعداء الانجليز ليقوموا بهجوم من الخارج على الهند ، ويقوم الشعب في الوقت نفسه بثورة في الداخل عليهم فتكون النهاية المحتومة لهم ، ويخرجوا من الهند ..

وقد واثت الشيخ فرص عديدة لتعبئة الرأي العام المسلم على الخصوص ضد الانجليز . فقد ساعد الانجليز أهل البلقان في حربهم ضد دولة الخلافة ، وهم قد ساعدوا الطليان في احتلال طرابلس إحدى ولايات دولة الخلافة - والمسلمون في الهند كانوا ينظرون نظرة تقديس إلى الخليفة العثماني ، ويعتبرونه الملاذ الأعلى لهم ، بعد أن فقدوا ملكهم في أرض الهند .. فكانت حساسيتهم شديدة لكل ما يتعرض له من محن . ثم كانت ثلاثة الأثافي - كما يقولون - وهي إعلان الانجليز الحرب على الخليفة عند ما قامت الحرب العالمية الأولى ..

واستغل الشيخ وزملاؤه كل هذا لإثارة النفوس ضد الانجليز الذين شعروا بحقيقة الخطر الذي يتربص بهم من وراء ثورة المسلمين وقلقهم مما كبدهم كثيراً من المتاعب واضطربهم لبذل كثير من الوعود بالمحاربة على دولة الخلافة والاعتذار للمسلمين بأنهم لم يبدؤوا بإعلان الحرب عليها بل كانت هي البادئة إلى آخر ما نعرفه من وسائل الانجليز

يتصل بزعماء الأتراك وفي هذا خطر عليهم ؟ ماذا يعملون ؟

حاولوا بطرق مختلفة أن يحولوا بين الشيخ وبين السفر ... أحياناً لا يوجد له مكان ، وأحياناً الأوراق ربما تتأخر ، والانجليز يتقنون التصرف دائماً من الأبواب الخلفية ، ولكن أنصار الشيخ كانوا بالمرصاد لكل هذه الألاعيب ، كانوا منبشين في كل مكان ، وفي كل مصلحة ... فتمت الأوراق ... وبدأ الشيخ رحلته . . . من ديونبد شمالاً إلى دهل والشعب يتهافت على المحطات ، يرى الشيخ ، ويلقى عليه نظرة قبل أن يرحل ، وكان يظن أنه سيتترك الهند ، ليقوم بالحجاز ، فراراً من المتاعب . ، ودعش الانجليز لاستقباله وتوديعه للشيخ في كل محطة يمر بها .

كان ذلك في شوال سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٥ م واستطاع أنصار الشيخ وعلى رأسهم مولانا محمد علي ، وأخوه ، شوكت علي ، أن يفسدوا كل المؤتمرات التي دبرها الانجليز ليقبضوا على الشيخ قبل رحيله من بومباي وسافر الشيخ ووصل إلى الأراضي المقدسة ليؤدي فريضة الحج ، وليبدأ أخطر اتصالاته بزعماء الأتراك ورجال الحرب فيها ، ويضعوا الخطط ، ويعقدوا الاتفاقيات لإفقاد الهند . ولكن الحوادث تجري بسرعة وعلى غير ما كانوا يتوقعون ، ويتم للانجليز على الأرض المقدسة وبأيدي العرب المسلمين ما لم يستطيعوا أن ينالوه في الهند بما سأتناوله في العدد القادم إن شاء الله .

عبد المقيم النمر

شرائط العلم وما يصلح له

١ — قالوا : لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على تعلم ثمناً .

٢ — ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأله عن شيء إلا وجده عنده علماً ، فقال له : أنى لك هذا ؟ فقال : لم أمتنع قط يا أمير المؤمنين علماً أفيد . ولم أحتقر علماً أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته .

حَيِّرة الأوهام

للاستاذ علي الماري

منذ فجر التاريخ والأوهام حائرة ،
وستظل الأوهام بل العقول حائرة إلى أن
يرث الله الأرض ومن عليها .
وما دام الغيب سرّاً مجهولاً ، وما دام

الغده حجاباً مضروباً ، والحياة لغزاً مبهماً ،
فسيظل أصحاب العقول يتهمون عقولهم ،
أو يخاطرون بعقائدهم ، أو يمتصمون

بالإيمان ، أو يقفون حائرين مهوتين ،
تسمع منهم همهمة لا تبين ، أو تلهج في
هيونهم أطيافا لا تفصح عن شك أو يقين .

وسر الخيرة أن العقل يريد - دائماً - أن
يحلل ويعلل ويدلل ، ويظن أنه يستطيع أن
يصل إلى كل سر ، وأن يكشف كل مُخبئاً ،
وهو وإن راد الغضاء ، وتطلع إلى سكنى

الكواكب لا يزال يهجو في مهده إذا ذكرنا
حقائق الكون الكبرى ، وإن يزيده كشفه

لهذه المجاهل من أسرار الكون إلا إيماناً
بالجهل وبقينا بأن بينه وبين المعرفة الكاملة

أماداً واسعة ، وكل يوم يطلع يأتي بم جديد
يدلنا على أن البشرية عاشت قروناً طويلة

ترسفت في أغلال الجهل . وعقيدتي أن الغد
المجهول سيجيئنا في كل مطلع شمس بما يجعلنا

نسخر من عقولنا ، ونكل العلم كله لله وحده .
وفي الحياة قضايا كثيرة ومشاكل ذوات
عدد حيرت الأوهام في الماضي ، ولا تزال
تحيروها .

ومن هذه القضايا ما عبرت عنه هذه القصة
القصيرة :

سأل معاوية بن أبي سفيان جلساءه يوماً
ما أعجب الأشياء ؟ فقال بعضهم : إكداء
العاقل ، وحظ الجاهل .

وإذا كان جليس معاوية قد وصف هذه
الظاهرة بأنها أعجب الأشياء ، فإن قوماً من
الشعراء والمثقفين قد عرضوها في معرض
كريبه ، ينكره المؤمنون ، فقال أحمد بن يحيى
ابن اسحاق المشهور بابن الراوندي :

سبحان من وضع الأشياء موضعها
وفرق العز والإذلال نفريقاً

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

هذا الذي ترك الأوهام حائرة
وصير العالم التحير زنديقاً

وأشار أبو العلاء المعري إلى هذه القضية
بما حمل الناس على رميه بالكفر والإلحاد .

يكلفني التصبر والتسل
وهل يُسطاع إلا المستطاع
وقالوا قسمة نزلت بعدل
فقلنا ليته جور مشاع
وهذا القول مع ما فيه من سوء الأدب
أخف مما قيل في معناه .

* * *

أما الطائفة الأخيرة فقد حاولت تعليل
هذه الظاهرة ، تعليلاً ساذجاً مرة ، وعميقاً
مرة أخرى ، وأكثر الشعراء ، والأدباء على
أن المجد والمال لا يجتمعان ، وأن من أعطاه
الله عقلاً وافرأ احتسب عليه من رزقه .

وفي ذلك يقول أبو تمام :

ينال الفتي من دهره وهو جاهل
ويكدي الفتي من دهره وهو عالم
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد
ولا المجد في كف امرئ والدرهم
ولو كانت الأرض اقترت على الحجا

إذن هلكت من جهلهم البهائم
ويقول أبو الطيب المتنبي :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي
بأصعب من أن أجمع المجد والفهما
ومن ذلك قول أبي الحثير المروزي الضريع:
تناهى العقل والمال فما بينهما شكل
هما كالورد والزرج —س لا يحويهما فصل
فعقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

والحق أن هذه الظاهرة شغلت بال كثير
من الفلاسفة والحكماء والشعراء حتى
العوام فيها ، وخطبوا في شأنها ، ويقل أن
تجد كتاباً من كتب الأدب القديمة خلا من
الإشارة إليها ، ويقل أن تجد مجلساً يتعرض
لحياة الناس وحظوظهم لم يخض فيها .

والناس فيها فرق :

فمنهم من اكتفى بتسجيل هذه الظاهرة ، وقد
رأينا هذا التسجيل في العصر الجاهلي على
لسان المأثور الحارثي في خطبته المشهورة
حيث يقول : « رب حوّل مكدي ، وعاجز
مثر ، . وأكثر المعتدلين لا يتجاوزون هذا
التسجيل .

ومنهم من يتجاوز هذا التعبير المتوقف
إلى الإعلان عن حيرته ، والتعبير عما يعتلج
في نفسه من العجز عن تعليل هذه الظاهرة ،
فلاهو بالمؤمن الخالص ، ولا هو بالملحد الضال .

وطائفة ثالثة ضلت الطريق ، وكشفت
اللقناع ، وضافت صدورهما ، واضطرب
فكيرها ، وبهت في قلوبهم نور الإيمان ،
وضعف في نفوسهم وازع الدين ، وحرّمهم
الله برد اليقين ، فجاءوا بها عوراء مكشوفة ،
وأرسلوها حتماء مدخولة ، فمن ذلك ما يقوله
عبدان المعروف بالحوزي ، وكان خفيف
الحال ، متكلف المعيشة :

لا تطلبينه بألة لك رتبة
قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكن السماء كلاهما
هذا له روح وهذا أعزل
وهذه نظرة من أبي العلاء إلى اختلاف
الحظوظ بين كل الكائنات ، وقد عدد
الشعراء طائفة اختلفت بينها الحظوظ .
فالجدود هي التي جعلت جمادى تقصر عن
رجب ، والحظ هو الذي جعل شهر الصوم
عطلا من العيد ، وطوق هلال العيد
في جيد شوال :
والحظ حتى في الحروف مؤثر
يختص بالستريق والتفخيم
والتعليل بالحظ قريب من فكرة المتدينين ،
وهم يرون أن أفعال الله تعالى لا تعمل ،
وأنه سبحانه - كما أخبر عن نفسه - لا يسأل
عما يفعل ، والله سبحانه خلق الغنى والفقر ،
والصحة والمرض ، والخصب والعقم ، يهب
لمن يشاء وإن شاء ويهب لمن يشاء الذكور ،
أو يزوجهم ذكرا وإناثا ، ويعمل من يشاء
عقيا لأنه عليم قدير ، وفضل بعض الكائنات
على بعض فجعل من الأيام ليلة القدر ، ومن
الشهور أربعة حرما ، وجعل من الامكنة
حرمة الآمن ، ومسجد رسول الكريم .
والله سبحانه قد بين وأرشد ، ووضع
المعالم لمن يريد أن يهتدى ، فقال في كتابه

وبالغ الشعراء في هذا المعنى حتى قالوا :
إن الإنسان إذا أراد أن يميز بين اثنين جمعت
بينهما صناعة ، ويعرف أيهما أعقل ، فلا ينظر
في شيء غير ما جرت به الأرزاق :
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع
وحيث يكون العلم فالرزق ضيق
وهذا التعليل وإن صدق في حالات ،
يختلف أيضا في حالات كثيرة ، فنحن نجد
كثيراً من العقلاء نالوا بسطة في الرزق ،
كما نجد جاهلين كثيرين لا يجدون قوت يومهم ،
وقد تجمع الصناعة بين اثنين أو أكثر ،
ثم نجد الأوفر رزقا ، هو الأوفر عقلا وعلما .
حقيقة نرى هذه الظاهرة بارزة في كل
مجتمع : عاقل ما تبسل - أنمله - وجاهل
بالدين يغترف - كما يقول الشاعر ابن
لنسكك - ولكن التعليل بالعداوة بين
العقل والمال ، والصداقة بين الجهل والغنى ،
تعليل شعري .
ومن هؤلاء من وجد سلواه في (الحظ)
فهو يرجع ما يراه من حرمان العاقل العامل ،
ووجدان الجاهل للعاجز إلى ما قسمه الله
للناس من الحظوظ ، وأكثر هؤلاء من
الذين جار عليهم الزمن ، وأدركتهم حرفة
الآداب ، فهم قد اعتقدوا أن ما أصابهم
إنما هو سوء الحظ ، وليس غير ، وهذا باب
واسع تفننوا فيه ، وأتوا بالطرب المعجب ،
ومن الجيد في ذلك قول أبي العلاء المعري .

ظريف قيل له : أيسرك أن يكون لك ألف درهم ؟ فقال : نعم ، وأضرب مائة ، فقليل له : وضرب المائة لمه ؟ فقال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

وربما غفل الفيلسوف الكبير عن نعمة الله عليه فأرسل كلمة تحمل نصف الحقيقة فتقط ، سُئل برناردشو عن رأيه في العالم فقال : إن العالم لكحيتي وصلعتي ، تفاوت في الإنتاج ، وسوء في التوزيع . يريد أن يخه يفكر كثيرا وليس له نصيب من الشعر ، وأن ذقنه مع أنها لا تفيد العالم شيئا خصلية .

وهذا نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر فهو أن صلعة هذا الفيلسوف هي التي خلدت في التاريخ ، وليس لحيته .

(وبعد) فهذه جولة مع الأوهام الخائرة والعقول الزائفة ، والنفوس المؤمنة وليس له صلة بالنظم الاقتصادية السائدة في العالم اليوم سيجان من قسم الخطو

ظ فلا عتاب ولا ملامه أعمى وأهشى ثم ذو

بصر وزرقاء اليمامه وما أروع قول الله تعالى وما أصدقه : من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

علي العمري

العزير : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجمعنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكثون . وزخرفا ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك بالمتعين . »

والحق أن المال ليس كل شيء في الحياة ، وأنه وإن كان سببا من أسباب السعادة والاستقرار لكنه ليس كل السبب ، بل ربما كان مصدر بلاء وشقاء ، ولله سبحانه اللطاف كثيرة ، ونعم لا تعد ولا تحصى ، وطالما رأينا أناسا حرمهم القدر من المال ولكنه أعطاهم الصحة ، وأعطاهم الرضا فكانوا أسعد حالا من أصحاب الأموال .

والعقل نعمة كبيرة ، والعلم نعمة كبيرة ، فإذا حرم العاقل ، وصاء حظ العالم ، فإن فيما عندهما خلفا .

ولو كان الغنى خالصا من مكدرات الحياة لكان شيئا يؤسف عليه كل الأسف ولكن الإنسان يجمد المال فيجد بجانبه المنغصات ، وربما كان أحد المنغصات هم بهذا المال ، وكثرة تفكيره فيه ، وتطلعه دائما إلى المزيد ، وهذا الذي سماه المتنبي فقرا في قوله :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

ومن الطرائف في هذا الباب جواب رجل

دراسات في علم المعنى

«التيانتيك»

للدكتور كمال بشر

والجماعات ، وهى الدعامة الكبرى فى بناء أى مجتمع وتكوينه على أسس من التعاون والآلفة والود . وهى ذلك الرباط المقدس الذى يربط بين الناس مهما اختلفت درجاتهم الثقافية والاجتماعية وفى الحق أن اللغة هى الأداة الكبرى التى تحفظ للمجتمع شخصيته وقوته ، وهى التى توحد بين أفراد وجماعاته مهما تعددت طرق الشقاق والنغوذ بينهم : وبالجمله يمكن القول أنه لا وجود لمجتمع إنسانى بدون لغة ، أى بدون وسيلة للتفاهم بين أفراد هذا المجتمع والتعاون فيما بينهم ، كما لا يمكن تصور لغة بدون مجتمع تنمو فى أحضانه وتتفاعل مع مظاهر الحياة فيه . وكما تكون اللغة وسيلة التفاهم والتعاون قد تكون طريقا من طرق إثارة للشقاق والخلاف بين الناس ، ويروى لنا التاريخ فى الماضى والحاضر أمثلة كثيرة من هذا القبيل . فها الأزمات السياسية فى الواقع إلا نتيجة لسوء فهم الفلسفات والأفكار الشائعة فى المجتمعات المختلفة ، وبعض هذا الفهم الخاطى . مرجعه إلى الاختلاف فى فهم

إن الوعى اللغوى للعصر الذى نعيش فيه الآن آخذ فى الازدياد والنمو يوما بعد يوم وذلك راجع بالطبع الى شعور الناس بأن سبل الحياة ومسئولياتها أصبحت ضخمة معقدة ؛ بحيث أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل - أن يعيش الفرد فى عزلة عن الجماعة التى ينتمى إليها ، أو الجماعات الأخرى المجاورة التى تشاركه نفس الشعور بالحاجة إلى الاختلاط والاندماج الاجتماعى .

وللغة بين وسائل الاتصال بين الناس مركز خاص ومكانة واضحة فى كل عصور التاريخ فلقد وجدت اللغة - لغة من نوع ما - منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض ، ووجد نفسه مضطرا إلى الاتصال بأخيه فى بيئته ، كى يقضى حاجاته وينفذ رغباته التى لا غنى له عنها والتى لا يمكنه فى أغلب الأحيان الحصول عليها وحده بدون مساعدة أو معونة خارجية وقد تعددت وسائل التعاون بين الناس وتنوع ولكن ليس من شك فى أن اللغة هى أهم هذه الوسائل ، بل هى أساسها كلها ، فاللغة هى الطريق الأول إلى إزالة الحواجز بين الأفراد

في القديم والحديث ، وأن يتناولها بالبحث كثير من الدارسين في مختلف العلوم والفنون فبحوث الألفاظ ودلالاتها أو الألفاظ وعلاقتها بمعانيها بحوث معروفة في علم النفس والمنطق والفلسفة والاجتماع والاعترولوجيا والنقد الأدبي وعلوم البلاغة ، وفي علم اللغة أيضا دون شك : كل يتناول المشكلة من زاويته الخاصة طبقا لمبادئه وأسسها ، وكل يحاول الوصول إلى حلول سليمة لهذه المشكلة التي تتوقف عليها سعادتنا أو شقاؤنا في هذه الدنيا التي نعيش فيها ؛ إذ أن الخلاف في فهم معاني الكلمات قد يقودنا - كما سبق أن ذكرنا - إلى حروب طاحنة تقضى على الإنسانية وحضارتها . « فالديمقراطية كنظام سياسي يفهمها الروس فهما مبينا لفهم الأمريكي لها ، والاشتراكية عند الانجليز غيرها عند الألمان أيام هتلر ، والحرية لدى هؤلاء وهؤلاء تتخذ مظاهر متباينة » (١) . وليس ببعيد أن يؤدي مثل هذا الخلاف في الفهم إلى حرب ضروس كنتلك التي قاسينا أهوالها وشروورها في أعوام ٣٩ - ٤٥ ، نتيجة لعدم اتفاق المعسكرين المتحاربين على دلالات هذه الكلمات وأمثالها . ولقد ألحت هذه الحقيقة إلحاحا شديدا على الفيلسوف ولدن ، حتى جعلته

معاني الكلمات التي تعبر عن تلك الفلسفات والأفكار وعن العقائد والتقاليد والمثل التي تقبناها المجتمعات المتنوعة ، ومثل هذا ولاشك من شأنه أن يجر الناس إلى ويلات الحروب والإقدام على أعمال الخراب والدمار التي تتمثل في الحروب الكبيرة والصغيرة على السواء .

ومنى ما تقدم أن اللغة سلاح ذو حدين أو أداة يمكن فيها الخير والشر معا فقد تكون وسيلة من أنجح وسائل التعمير ، كما أنه من الممكن أيضا أن تتخذ معاول هدم وتخريب ولسنا نغالى إذا قررنا أن لفظا واحدا أو كلمة واحدة من قائد أهوج أو زعيم مغرور قد تعنى هلاكاً ودمارا ، كما أن كلمة أخرى يحملها الأثير من فم إنسان خير نبيل قد تفسد على الأشرار خطتهم ، وتعود بالعالم إلى السلم والطمأنينة والرخاء .

كل هذا الذي قلناه جعل الموضوع بحثنا - وهو السيماتيك أو علم المعنى - أهمية خاصة في الدراسات الإنسانية بوجه عام . وفي الدراسات اللغوية بوجه خاص ، وذلك لأنه يتعرض لمشكلة دقيقة خطيرة ، هي مشكلة دلالة الألفاظ ومعاني الكلمات . وهي - كما ترى - مشكلة تتعلق بصميم حياتنا في المجتمع ، ولا يمكن الهروب منها أو التنازل عنها . لذلك لم يكن غريباً أن تشغل هذه المشكلة بالعلماء

(١) دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٠٥ .

جهة منها تتبع طريقا خاصا ، وتنهج نهجا معينا .

وأول ما ظهر في هذا المجال من هذه الأنواع الثلاثة من الدراسات هو علم المعنى اللغوي (Linguistic Semantics) . فدراسة المعنى كعلم مستقل ، أو شبه مستقل - إنما ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٨٣٩ ، على أن البعض آنذاك كان يعد علم المعنى جزءا خاصا من علم القواعد ، كما يبدو ذلك واضحا في بحث الأستاذ (Reisig) الخاص بعلم اللغة اللاتينية . أما الدراسات اللغوية المنظمة ذات الصبغة العلمية فلم تظهر إلا في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر .

ولقد كان العالم الفرنسي Bréal أول من استعمل كلمة Sémantique سنة ١٨٨٣ ليعني بها « علم المعنى » ، في رسالة له خاصة بهذا الموضوع ، ثم ظهرت ترجمة انجليزية لهذا البحث سنة ١٩٠٠ بعنوان Semantics . وبتقدم الزمن أصاب هذا المصطلح الانجليزي نوع من الغموض واللبس ، فاضطر الناس في وقت من الأوقات إلى الاستعاضة عنه بالمصطلح Semasiology الذي كان معروفا من قبل ، والذي كان يطلق في اللغة الانجليزية على نوع معين من دراسة المعنى . ولكن المصطلح Semantics نظراً لقصره وخفته في النطق - لم يلبث أن استرد مكانته

يصرح - في معرض الكلام على مفهوم كل من الديمقراطية والشيوعية - بأن « أكثرنا يود بإخلاص أن يعرف أسباب تفضيل الديمقراطية على الشيوعية أو الشيوعية على الديمقراطية . نريد أن نتأكد من ذلك ، لأن هذا الموضوع قد قتل من أجله عدد كبير جداً من الناس ، ويبدو أن عدداً أكبر سوف يلقي حتفه لنفس السبب في المستقبل غير البعيد (١) » .

هذه الحقائق وغيرها دفعت العلماء والباحثين إلى دراسة معاني الكلمات ودلالاتها دراسة علمية دقيقة ، وإلى التعرف على جوانب المشكلة تعرفاً كاملاً ، واضطرتهم إلى رسم الخطط والمناهج السكيفية للوصول إلى نتائج صحيحة يمكن الاعتماد عليها والأخذ بها في هذا المضمار . وفي السنوات الأخيرة تشعبت الدراسة الخاصة بهذا الموضوع إلى ثلاثة اتجاهات تمثل وجهات نظر مختلفة طبقاً لمبادئ وأهداف المدارس . هذه الاتجاهات أو المناهج تعرف جميعاً باسم علم هو Semantics أو علم المعنى . ولكن بالرغم من هذا الاتفاق في الاسم فإنها تختلف فيما بينها اختلافاً واضحاً ، وليس من المأمول أن يحدث بينها تنسيق كامل ، حيث إن كل

(١) انظر The Vocabulary of Politics, T. D. Weldon, P. 10

أو إدراكه بسهولة إلا من مجموعة من العلماء المتصلين ، وبخاصة أولئك الذين أدخلوا هذا النوع من الدراسة إلى هذا المجال الجديد (١) .

وفي السنوات الأخيرة نشطت حركة كبيرة في دراسة السيميائية على مستوى شعبي ، وبخاصة في أمريكا . وذلك لأن كثيراً من الظروف والملايسات في العالم الذي نعيش فيه الآن جعلت الناس في كل مكان يشعرون بأنهم فشلوا فشلاً واضحاً في التفاهم فيما بينهم ولم يشذ عن ذلك أصحاب اللغة الواحدة وهذه الحقيقة قد خلقت في الناس روح التشاؤم وملأهم بحيرة أمل ، غير أن المتفائلين منهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء هذه المشكلة فأخذوا يعملون على إيجاد الحلول المناسبة لها ، وينادون بأن كل ما نحتاج إليه هو أن نتفق على معاني الكلمات التي نستعملها وعلى مفهومات المصطلحات التي نحتاج إليها في حياتنا . وبمعنى آخر رأى هؤلاء أن دراسة السيميائية أمر ضروري لعلاج أمراض مجتمعتنا الحديث .

ولقد كان العالم البولندي كورزيبسكي (Korzybski) رائد هذه الحركة الجديدة في الولايات المتحدة . وكانت له أهداف عملية يرى إليها من وراء هذه الدراسة الشعبية التي

وأصبح الآن ثابتاً مقرواً في الدراسات اللغوية الخاصة بالمعنى ومشكلاته (١) . ومن الجدير بالذكر أن Bréal لم يكن الرائد الأول في دراسة المعنى ، بل إنه كان الرائد في استعمال كلمة Sémantique التي نقلت إلى الإنجليزية باسم Semantics . ولقد كانت هناك محاولات جديدة في دراسة المعنى بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور قبل Bréal وقبل ظهور المصطلح الذي ابتكره (٢) .

أما الاتجاه أو المنهج الثاني من مناهج دراسة المعنى فهو المنهج الفلسفي ففي السنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن الحاضر أدخل جماعة من الفلاسفة البولنديين المصطلح Semantics إلى علم المنطق الرمزي (Symbolic Logic) . وهناك أطلقوه على دراسة متخصصة تخصصاً عالياً ، تتعلق بالرموز والعلامات ومعانيها . ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الدراسة تعرف بعلم المعنى الفلسفي (Philosophical Semantics) . ويقرر أوعاف أن علم المعنى الفلسفي في صورته واتجاهاته الحاضرة يتسم بالصعوبة والتعقيد حتى إنه لم يعد من المستطاع فهمه

(1) William, Words and their Use, p.8.

(2) Firth, papers in Linguistics, p.15.

(1) William, op.p.8.

الموضوع تنسم بالطابع النفساني المشوب بصبغة فلسفية . وليس هذا بمستنكر على الرجلين، فهما عالمان نفسيان بالحرفة والصناعة، ومن ثم كان الأسلوب النفساني واضحاً فيما دبحاه وبجلاء من بحث وتحليل في هذا الموضوع. وكان من أهم أهداف المنهج الثالث في دراسة السيانتيك تخلص الفكر الإنساني من المغالطات اللغوية، وتحريره من الزيف الناتج عن سوء استعمال الكلمات . وتحريرنا من مرجعيت شلاوش بأف سبب اهتمام كورزيبسكي بالسيانتيك العام إنما يرجع إلى اعتقاده بأن دراسة المعنى من الممكن أن تكون دواء ناجعاً لأمراض الإنسانية في الحياة الاجتماعية^(١). ولقد تبع كورزيبسكي في هذا الرأي كثير من العلماء ممن تأثروا بأفكاره وكتاباته التي صارت فيما بعد الدستور الاساسي في دراسة المعنى على مستوى شعبي عام . والواقع أن مذهب كورزيبسكي وأتباعه فيه شيء من المبالغة من وجهة نظر علماء اللغة . فكثيراً ما يقين أننا أن تحليل المعنى قلساً يؤدي إلى إيجاد حلول عملية لمشكلاتنا الاجتماعية . ولكن هذا لا يعنى أننا ننكر أهمية دراسة معاني الكلمات وتحديد هذه المعاني تحديداً دقيقاً . إن هذه الدراسة

عرفت فيما بعد باسم « علم المعنى العام » (General Semantics) . وقد استمرت هذه الحركة في النمو والانتشار حتى جاء ستوارت تشيس (Stuart Chase) وآخرون فدفعوا بها دفعة قوية أكسبتها شعبية ساحقة في مختلف المجتمعات ، وأصبح القارئ العادي يهتم اهتماماً كبيراً بهذا النوع من الدراسة .

ويتصل بهذه الحركة غير اللغوية في دراسة المعنى ما قام به الأستاذان الانجليزيان أوجدن وريتشاردز (Ogden and Richards) من بحوث ودراسات أودعاها كتابهما المشهور « معنى المعنى (The Meaning of Meaning) » كما يعد البحث الذي وضعه الأستاذ أوجدن وسماه « الانجليزية الاساسية، (Basic English) »^(١) خطوة أخرى في سبيل إرساء قواعد هذا الفرع من الدراسة التي أحدثت فيما بعد ثورة واضحة الآثار في نظريات الجمال والنقد الأدبي . غير أن كتابة الأستاذين أوجدن وريتشاردز في هذا

(١) « الانجليزية الاساسية » بحث قصد به إلى تبسيط اللغة الانجليزية ، كي تصبح لغة عالمية ، وذلك بالتركيز على الكلمات الاساسية التي تكفي لفهم ومن رأى صاحب هذا البحث أن معرفة عدد محدود جداً من الكلمات الواضحة المعنى خير من معرفة أضعاف هذا العدد الكلمات الغامضة والمشكوك في معانيها .

(١) انظر Hargaret Schlauch 'The Gift of Tongues' p' 130 .

اللغوى مع هؤلاء جميعا في دراسة مشتركة للشكلات اللغوية التي تقابلهم في منهم المختلفة . والدارسون في هذه الحالة يقومون بهذا العمل الجماعى بوصفهم مواطنين عندهم رغبة صادقة في تصحيح الأخطاء الهائلة في استعمال الكلمات . ومن ثم فقد يضطرون جميعا إلى ترك مكانهم وقاعات محضهم ، ويخرجون إلى الشارع والأسواق ليشاركوا مع الناس العاديين في حياتهم اليومية ، بغية تصحيح الأوضاع فيما يختص بالسلوك اللغوى . ومعنى هذا في نهاية الأمر أن اللغويين تكون لديهم الفرصة لأن يستفيدوا ويفيدوا في وقت واحد ، وبخاصة إذا اتحدت الأهداف ووضحت المقاصد عند جميع الدارسين ، ومتى كان هناك احترام متبادل للطرق العلمية في البحث ، واعتراف من الجميع بأمراض المجتمع ومشكلاته . وقد يحتاج اللغويون حينئذ إلى معونة العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع . وتختتم مارجريت شلاوش رأيها في هذا الشأن بأنه ليست هناك دراسة لغوية يمكنها أن تقدم فرصة للتعاون العلمى أطيب وأحسن من تلك التي تقدمها لنا بحوث المعنى ودراساته في ظل الملابس والظروف الاجتماعية المختلفة^(١) .

دكتور كمال بشر

تساعدنا بلا شك على توضيح معالم الطريق أمامنا ، وترشدنا إلى الموقف الذي يجب أن نتخذه تجاه معانى الكلمات ، بحيث يصبح من المستطاع أن نبدي رأيا واضحا في هذه المعانى سواء أأمكننا إقناع الناس بالمعاني الصحيحة أم لم يمكننا ذلك .

وترى مارجريت شلاوش أن هذا الموقف من اللغويين إزاء معانى الكلمات يجب أن يتبع أيضا فيما لو أسمى استعمال الكلمات في مجالات الحياة العامة . فن المؤلف أن يستغل بعض الناس — كالصحفيين غير المسئولين مثلا — استعمال الكلمات استغلالا سيئا ، ويضعوها في معان غامضة أو غير محددة ، قصداً إلى خدمة هدف معين ، ترى إليه الصحيفة ، دون أن يتعرض أصحابها لنقد القراء أو اعتراض القانون عليهم . وفي استطاعة اللغوى في هذه الحالة أن يشير إلى الأخطاء التي وقعت من هؤلاء الصحفيين في هذا الشأن . ولكنه — بوصفه لغويا — لا يمكنه أن يقدم حولا عملية يفرضها عليهم فرضا ؛ لأن هذا ليس من اختصاصه في شيء . كل ما يستطيع أن يعمل اللغوى هو أن يعرض خدماته لمن يشاء منهم ، ومن غيرهم من علماء الاجتماع والاقتصاد والعلوم الأخرى ، حين يتعاملون مع اللغة ويتعرضون لمشكلاتها . بل من الممكن أن يتعاون

(١) انظر مارجريت شلاوش ، المرجع السابق ص ١٣١ - ١٣٢ .

رأى في الشعر الجديد

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

نعني بالشعر الجديد ذلك اللون من الشعر الذي ظهر في العراق منذ نحو عشر سنوات ، ومن العراق انتشر في لبنان ، ثم انحدر إلى مصر . ونسميه جديداً من باب التجاوز لأنه - كما سنرى - ليس جديداً في المضمون ، وجده في الشكل جدة نسبية ؛ لأنه يقوم على جعل المقطع القصوى - أو التفعيلة كما يعبر علماء العروض - هو الوحدة الجزئية التي تتألف منها القصيدة ، بدلاً من البيت الذي يتألف من عدة مقاطع ويعد وحدة متماسكة تتألف منها القصيدة في الشعر العربي المألوف ، وبذلك أصبح البيت في الشعر الجديد لا يتألف من شطرين متساويين في عدد المقاطع ، كما هو الشأن في الشعر المألوف ، وإنما يتألف من مقطع أو عدة مقاطع يختلف عددها في بيت عنه في سائر الأبيات ، دون أن يخضع ذلك لقاعدة مقررة أو نظام معروف ... وهذا هو الفارق بين الشعر الذي يسمونه جديداً ، والشعر الذي نعرفه ونألفه ، وهو كما رأيت فارق شكلي نفسي ، لا يتعدى الشكل إلى المضمون بحال من الأحوال . ولكن ما الذي عمل على ظهور هذا الشعر ؟

في رأينا أن هناك عدة عوامل أدت إلى ذلك ، ومن أهمها :

أولاً : انتقال مجتمعنا العربي من إطار الحياة الخيالية السلبية ، إلى نطاق الحياة الواقعية الإيجابية ، فانحصر الشعر الرومانسي الخالص أو كاد ، على حين طغى الشعر الواقعي وساد .

والفارق بين اللونين فارق في الهدف والاتجاه وطبيعة المضمون من غير شك ، ولكن بعض الشعراء تجاوزوا الحد ، فأحدثوا في الشعر هذا التغيير الذي يمس الشكل ، متأثرين بالشعر الغربي الحديث من جهة ، وليشيروا انتباه الناس إليهم وإلى شعرهم من جهة أخرى .

ثانياً : تبجني بعض النقاد على الشعر العربي القديم خاصة ، والأدب العربي عامة ، واتهامهما بالجوهر والضييق والتكلف ، مما حدا بالكثيرين من الشباب إلى إهمال هذا الأدب ، والاتجاه إلى الأدب الغربي لدراسته ومحاكاة كل ما فيه من صور وألوان .

ثالثاً : سيطرة الصحافة على الأدب في السنوات الأخيرة ، وضعف الثقافة العربية لدى الكثيرين من أدباء الشباب ، فالأدب

وبأتى بعد ذلك أن بعض النقاد المحدثين قد تعصبوا للشعر الجديد ، لا إيمانهم بقيمته ، واعتراههم بجدواه ، ولكن لأنه سيفتح الطريق أمامهم إلى الشهرة السريعة المستفيضة ، إذا هم حملوا على أن تكون له السيادة والقيادة فى مجال الأدب .

وهكذا انتشر هذا الشعر ، وملك أصحابه الغرور ، فظنوا أنهم الشعراء ، وأن المجده قد دان لهم ، فأخذوا يطلعون علينا كل يوم بديوان جديد ، وساعدهم على ذلك أن أغلب هذا الشعر لا يحتاج إلى التأنى وبذل الجهد إلا إذا كانت الثروة الفارغة تحتاج إلى شىء من ذلك وأن الديوان الواحد لا يحتاج إلى أكثر من عشر قصائد تكتب كل كلمة أو كلمتين فى سطر ، فيمتلئ الديوان ويفيض . ثم نسأل أصحاب هذا الشعر : لماذا تنسكبتم طريق الشعر المألوف ، وسرتم فى طريق الشعر الجديد ؟

وتعال معى نسمع ما يقولون .
يقولون إن شعرنا الجديد ، فى إطاره الجديد ، يتيح لنا الحرية للتعبير عن تجاربنا الجديدة .

ويقولون إن شعرنا الجديد لا يجعل القصيدة مكونة من أجزاء لا يتم فيها التماسك والامتزاج ، ولكنه يجعلها وحدة متكاملة تنساب كما ينساب الماء فى النهر العظيم ،

الحديث ، ومنه الشعر ، إلى السهولة التى توشك أن تكون ابتذالا ، وإلى الثورة الجارحة على القيود الفنية التى تتطلب جهداً ودراسة . هذه هى أهم العوامل التى أدت إلى ظهور هذا الشعر ... ونسأل بعد ذلك : ما الذى ساعد على انتشاره ؟

ونجيب عن ذلك فنقول :

إن أول عامل ساعد على انتشار هذا الشعر ، هو توقف مجلة الرسالة عن الصدور ، بعد أن استمر يصدرها أديبنا العظيم الزيات سنوات طويلا ، وكانت الرسالة هى وحدها المجال الفسيح الذى لا يتحقق فى غيره للظهور والتفوق لشاعر من ناشئة الشعراء ، أو مذهب من مذاهب الشعر ، كما كانت تهدم كل محاولة يريد بها أصحابها هدم الثقافة العربية والأدب العربى ، سعيا وراء مآرب شخصية ، ومنافع ذاتية ، ولا تعترف بالثورة على القيود الفنية التى بدونها لا يكون الأدب فنا ، وإنما يصبح ثمرة فارغة ، ولغوا عقبا .

وبل ذلك فى الأهمية أن اختفاء الرسالة قد مكن لبعض المجالات اللبنانية فى مجال الأدب ، فوسعت صدرها لهذا اللون من الشعر ، ونوهت بأصحابه بينما علوت صفحاتها عن الشعر المألوف ، وأهملت أصحابه إهمالا منقطع النظير !

أو الجدول الرقراق، وبذلك تقدم لنا صورة متكاملة السمات والقسمات، متألفة الألوان والظلال.

ويقولون إن هذا الشعر لا يضطر صاحبه إلى استخدام كلمات يكمل بها بيته، ويصل بها إلى قافيته، دون أن تصنيف هذه الكلمات شيئاً إلى جوهر الصورة التي تتألف منها القصيدة.

هذا ما يقولون.

ونحن في رفق وهوادة نقول لهم: إذا كنتم تريدون بالحرية في مجال الشعر، الحرية المطلقة، فنحن نعترض على ما تريدون؛ لأن تلك الحرية هي الفوضى التي تهدم دون أن تبني، ومن ثم لا تصلح أساساً لعمل إيجابي نافع، في أى مجال من مجالات الأدب، وفي أى قطاع من قطاعات الحياة. وإذا كنتم تريدون الحرية المنظمة الملائمة، فإن هذه الحرية تتجلى في شعرنا المألوف المعاصر على نحو يحقق لهذا الشعر التطور المطلوب، والحيوية المنشودة، وإلا فهل كان امرؤ القيس والأعشى، أو جرير والفرزدق، أو أبو تمام والمتنبي... هل كان هؤلاء يقولون قصائدهم على النمط الذي يقوله العقاد في قصيدته عن «المصرف»:

في سكتي أبداً، وما

من سكة أبداً إليه، ولست أغز عندما

أصف الطريق أو الحى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلم
واسأل: أهذا مصرف ملثوا جوانبه دما؟

تجد الصواب بحسباً
أو على النحو الذى يقوله إلياس فرحات
في قصيدته «الحمامة»:

يا عروس الروض يا ذات الجناح يا حمامة
سافرى مصحوبة عند الصباح بالسلامة
واحلى شوق فؤاد ذى جراح وهيامه
هذا هو التجديد الذى لا يقوم على التبتيد،
وهذه هي الحرية التي لا تصل القصد،
ولا تنحرف عن الطريق؛ لأنها دائماً تنظر
إلى الماضي، وتأمل الحاضر، وتتطلع
إلى المستقبل.

أما تماسك القصيدة تماسكاً عضوياً،
واعتمادها على الصورة المتكاملة الموحية،
فذلك أمر قد فرغ من تقريره نقاد الشعر
منذ سنوات وسنوات، ونحن نجدد فيما كتبه
العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة، كما نلبسه
واضحاً في شعر العقاد وأبي ماضي وعمل طه
وأمثالهم من الشعراء المعاصرين الذين لم يكتب
واحد منهم قصيدة واحدة على مثال هذا
الشعر الجديد، وإن كانت قصائدهم حافلة
بالتجديد، كما ينبغي أن يكون التجديد.

بقى بعد ذلك ما يزعمه أنصار هذا الشعر
«الجديد» من أن الشعر المألوف يضطر

صاحبه إلى أن يستخدم كلمات يكمل بها البيت ، ويصل بها إلى القافية ، دون أن تضيف هذه الكلمات شيئاً جديداً إلى البيت أو القصيدة . ونحب أن نقول أولاً إن الكلمات تستعمل فى الشعر لأغراض أهمها إضافة معنى جديد ، أو إلغاء مزيد من الضوء على معنى سابق ، أو انسجام الصوت ، وتناسق النغم فى القصيدة ، فما يظنه هؤلاء الغافلون كلمات لا معنى لها فى الشعر المألوف ، ليس إلا كلمات ذات معنى مقصود ، حين نفهم د المعنى ، فهما واسعاً حقيقاً ، بحيث يشمل ما تشعه الكلمة من ضوء ، وما تبعثه من نغم ، وإن لم يكن لها فى سياقها معنى جديد .

والآن فلنقرأ هذه المقطوعة من قصيدة « جديدة » ، هوانها « من شاعر سورى إلى مواطن أمريكى » :

لكن ريتسك يحسبني

يحسبني هندياً أصفر

هندياً من أو كلا هو ما

ويريد استملاك الدنيا

بالدولار

وأنا يوسفنى . .

يوسفنى . .

إن أرهن حجراً من وطني

دولارك لا يشرى شيئاً

لا يشرى ذم الأحرار

فانظر كيف كرر الشاعر كلماته فى هذه

المقطوعة الصغيرة من القصيدة ، لا لشيء

إلا لمراعاة الإيقاع والتنظيم ؟ وهذا النموذج

من الشعر ليس من شعر نكرة من نكرات

ما يسمونه الشعر الجديد ، ولكنه من

شعر نزار قباني . وهو من رواد هذا الشعر ،

وإن كان قد نفّض يديه منه ، وعاد إلى سواء

السبيل .

وليس معنى ذلك أن الشعر المألوف يخلو

من الكلمات التى كان ينبغى أن تستبعد منه ،

ولكن معناه أن هذه الكلمات إن وجدت

فى الشعر المألوف ، فلها نظائرها فى الشعر الجديد ،

وهى هنا وهناك عيب من عيوب الشعر ،

سواء كان هذا الشعر من هذا اللون أو ذاك .

ومن قال إن كمية ، الكلمات هى مقياس

بلاغة الكلام ، فكلما زادت هذه الكمية ،

نقصت البلاغة ، وحين تنقص تلك ، تعظم

هذه وتزيد ؟ ألا يتذوق هؤلاء الناس بلاغة

الكلمات إلا إذا هدوها على الأصابع ، أو

قاسوها بالإشبار ، أو كالوها أو وزنوها

بما شاموا من المكييل والموازين ؟ .

لفن جديد من فنون الشعر لم يقسع له الشعر
المألوف ؟

لقد قدم لنا الشعر المألوف أروع النماذج
من الشعر القصصى والتشيل وشعر الملاحم ،
فأين النماذج التي قدمها الشعر الجديد في هذه
الفنون ؟ وأين الفن الجديد الذي أضافه
إليها هؤلاء الشعراء والمجددون ؟

على أن الشعر الجديد يفقد في كل صوره
عنصرا هاما من عناصر الفن ، هو عنصر
التنسيق ؛ لأنه يوزع مقاطعه الموسيقية توزيعا
أساسه الفوضى لا النظام ، ومع ثم تصبح
موسيقا الشعر أقرب إلى موسيقا النثر ،
مع أن الموسيقا هي العنصر الأساسى الذى
الذى يفرق بين الشعر والنثر من أول وهلة ،
وقبل أى تنقيب .

ونحن نجد في قصيدة إلياس فرحات أن
الشطر الأول يختلف عن الشطر الثانى في عدد
المقاطع ، ولكن انظر إلى الشاعر كيف جعل
هذا الاختلاف لا يقف عند البيت ، ولكنه
يتجاوزه إلى المقطوعة ، بل يتجاوزه إلى
سائر المقطوعات ؟

وهاك مقطوعة أخرى من القصيدة ،
لتبين صدق ما نقول :

رفرفى فى روضة الآفاق الجميل ، وتغنى
وانظرى محبوبتى هند الأصيل وتأنى
فهى إن تسألك عن صب عليل كان هنى

قلنا فى أول المقال إن اختلاف عدد
المقاطع فى بيت عنه فى سائر الآيات . هو
الفارق بين الشعر الجديد والشعر المألوف ،
ونضيف هنا فارقا آخر بين هذين اللونين
من الشعر ، وإن كان هذا الفارق لا يظهر
إلا عند طائفة من الشعراء تتجاوزت ثورتهم
كل حد ، فأهمست الثقافية كل الإهمال ،
أو منحتها الحرية المطلقة ، فهى تظهر كما
تشاء ، وتختفى كما تريد ، من غير ضابط
أو مقياس .

ولنقرأ معا هذه الآيات :
يا سائرا والعزم فى عيونه أراه
احمل لهم ... لإخوتى هناك
دى .. دم الرفاق حيث يوجدون
وهذرنا

فنحن لا نزال
عيوننا مشدودة إلى السماء
نذب عن حقولنا جحافل الجراء
واللبوم والغربان ...
إلى آخر ما قال ، هذا الشاعر المفضل !
فهنا تختفى الثقافية التى لها أثر كبير فيما
يشيع فى الشعر من إيقاع وترنيم ، وهنا
أيضا تكرار للكلمات دون أن يكون هناك
داع إلى هذا التكرار .

ثم يبقى بعد ذلك السؤال الأخير :
هل استطاع هذا الشعر الجديد أن يقسع

موسيقا الشعر المألوف ، وفى ظلها عاشوا
يقولون الشعر سنوات .

فهذه النماذج نعدها لونا من ألوان التجديد
لا تخرج الشعر من جوهره المعروف ،
ولا تنحرف به عن تطوره الملائم ، و فرق
كبير بين أن نجدد فى الشعر العربى ، وبين
أن نأتى بما يخالف طبيعة هذا الشعر ،
ثم نقول إننا قد أتينا بشعر جديد !

أما هذه القصائد ، الكثيرة التى جادت
بها قرائح الكشيرين من الشعراء ، الذين
اتهنزوا فرصة هذه الفوضى فأحدثوا هذه
الأشياء التى تجردت من كل لون من ألوان
الإيقاع والتنسيق ، فلا نقول عنها إلا أنها
لغو أطفال ، وإن صدرت عن رجال أو
أشباه رجال !

وبعد ، فقد بدأ صوت هذا الشعر يخفت ،
وإن يرتفع هذا الصوت بعد ذلك ، وبدأت
أواجه تنحسر عن الشاطئ ، ولن تعود
إليه أبدا . وسيظل الشعر المألوف ، بجوهره
الأصيل ، وطبيعته الفنية ، خالدا خلود الفن ،
باقيا ما بقيت الحياة .

وكذلك صنع شاعرنا العظيم العقاد فى
قصيدته ، فلام بين مقطوعاتها ، بحيث
صارت القصيدة آية من آيات التوزيع
الموسيقى الجميل ، والتناسق الصوتى البديع ،
ولنستمع معا إلى هذه المقطوعة :

فيه دم لا شك فيه
فى كل طرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه

يجرى هناك ، وأنت تحسبه من الورق الرفيع
نغليه كالدم فى العروق سرى ، وكالدم نقيه
وسل المدلس والنزيع

إنه التنسيق الذى يدرك الشاعر بحاسته
الفنية الأصيلة أنه الإطار الذى لا بد أن تتجلى
فيه كل صورة من صور الفنون .

وإنصافا للحقيقة نقول إننا نثدق جمال
هذا الشعر الجديد فى بعض النماذج ، ولكنها
نماذج نادرة قد حرص أصحابها على شيء من
التنسيق فى توزيع المقاطع المختلفة ، والقوافى
المنوعة ، فاحتفظوا لشعرهم بالنغم المميز ،
والإيقاع الذى لا يشبهه فى النثر إيقاع .
وهؤلاء الشعراء كلهم من الذين درسوا

ابراهيم محمد نجما

مع قضايانا

إِنِّنَاعَاعِدُون

للأستاذ أحمد الشرباصي

في الصباح والمساء قائلين مع المشردين من أبناء فلسطين : « إِنِّنَا عَائِدُونَ » ... ولكن من نحن حتى نقول « إِنِّنَا » ؟ ... إِنِّنَا ، ضمير يدل على الجمع أو العظمة ، فإله الكبير المتعال يقول مثلاً : « إِنِّنَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » ، والله قادر بسلطانه وسطوته على أن يحفظ ذكره ، وأن يجمع له ، من أسباب التعظيم والتأييد ما يبقى به ويدوم ، فمن نحن ؟ ...

نحن أولاً نبتسط ونتمتع في رحاب رقعة كبيرة قديمة هي للشرق الروحي المؤمن ، والشرق هو مهبط الديانات ومبعث الرسالات ومسرى دعوات السماء والروح ، ومن الشرق أشرقت المدينيات في مصر والشام والهند ، ولذلك سمي « الشرق » ، ..

ثم نحن نتجمع ونتركز في رقعة أضيق نطاقاً ، ولسكنها أعمق روحاً ونفساً ، وهي رقعة العروبة التي تقع في صميم الشرق ، فنحن العرب ، العرب الذين اختارهم وبهم ليسكونوا

لا يختلف عريبان واعيان ، ولا مسلمان عاقلان ، في أن نكبة فلسطين كانت الشوكة الكبيرة المسمومة التي غرسها الاستعمار الغربي في قلب الشرق للعرب الإسلامي ، وإذا كانت هذه المحنة قد طوت بين جنباتها منحة - إذ أيقظت القلوب وهاجت النفوس فانبعثت الثورة ، وأقبلت الصحوة ، وأخذنا طريقنا نحو التحرير والتطهير والتنمية ، وشرعنا ندعم كيانتنا العربي وثبت وجودنا المؤمن - فإنه ما زال في رقابنا دين مستحق نحو هروبنا وإسلامنا ، نذكره ولا ننساه ، وإذا كنا أحياناً نخفيه ولا نبديه ، فإننا حل الدوام نتطلبه ونرتجيه ؛ وهو أن تعود فلسطين ، أو أن يعود أهل فلسطين إلى فلسطين ؛ لأن الله عز شأنه وجل أمره ، يريد ما هربية إسلامية ، فيجب أن تكون . « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

يجب أن تعود فلسطين ، ولذلك نهتف

والمسيحي العربي فينا - وإن كان مسيحيا في دينه وعقيدته وعبادته التي يتمتع بحريته فيها - هو في الوقت نفسه مسلم بلسانه وبيانه ، مسلم بلغة القرآن المجيد التي يتحدث بها ، مسلم بالاعادات والتقاليد التي يشترك فيها مع جبرته وأبناء بيئته المسلمين ، مسلم بقوميته التي يفار هليها مع زملائه في الوطن المؤمن الكبير ، فالكل في خدمة العروبة وإعزازها سواء .
فنحن أبناء الشرق والعروبة والإسلام ، نحن الجامعين بين فضائل الإيمان وفضائل القومية ، نحن الموثقة أو اصرنا بحمي ربنا وسمو مبادتنا وجلال تاريخنا ، نحن الذين نقول : « إننا عائدون » .

وإذا قلناها في إخلاص وإجماع ، وبعمق وتصميم ، استمعت الدنيا ووعى التاريخ واستجاب القدر ؛ لأن رسولنا الصادق المصدوق يقول : « يداقه مع الجماعة » . ويقول : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . ويقول : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة » .

وشاعرنا يقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر
نم : « إننا عائدون يا ذن الله إلى أرضنا

حملة رسالته وناشرى دهوره بين العالمين ، فكان ذلك تكريما من الله أي تكريم .
ثم نعود فننسط في رقعة أوسع وأفسح ، ننسط في مجموعة المسلمين ، والمسلمون هم الذين يردد كل واحد منهم قوله تعالى : « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيضا وما أنا من المشركين » ، « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وهم الذين يقول ربه في كل من استقام ضميره منهم : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين » .
ثم نعود فنكون مزاجا عجيبا في هذه المنطقة الكريمة - منطقة العروبة المؤمنة - فنمثل العرب المسلمين أو المسلمين العرب ، فيتمثل فينا الوفاء الطاهر والروح النبيل ؛ لأن العروبة وعاء الإسلام ، والإسلام روح العروبة ؛ فنحن العرب الذين أسلبوا وآمنوا ونحن المسلمين الذين تجرى في عروقهم خصال العروبة ، وإذا كان مهيار الديلمي يقول هه نقسه :

وجمعت المجد من أطرافه

سودد الفرس ودين العرب
فالعربي أولى بالفخار والازدهار ؛ لأنه تحمل بشيم العروبة الأصيلة التي زكاها وأعلامها وقواها رب العالمين ، حتى قال جل جلاله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

الذى كان مسلماً ، وما دام نبينا مأموراً بأن يتبع هذه الملة الخفيفة السمحة ملة إبراهيم ، وما دما مأمورين باتباع هذه الملة المسلية المستقيمة التى دعا إليها إبراهيم وآمن بها ، فنحن إذن الأمة الوارثة لوراثته ، ونحن أولى الناس به ، وأحق الناس بأن يفار على موطنه ودياره .

وإننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأن فلسطين مولد عيسى عليه السلام ، ونحن أحق الناس بعيسى عليه السلام ؛ لأنه النبي الذى سبق نبينا ، وهو الذى بشر بنبينا ، فكانت هذه البشارة لإيداننا بأن محمداً الخاتم الجامع هو الوارث لعيسى كما أنه الوارث لغيره من الأنبياء : ، وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ، .

ونحن أولى الناس بعيسى ؛ لأننا نحن الذين كرمناه وطهرناه ونزهناه ، ولم نحرف فى قوله ، ولم نسرف فى أمره ، ولم نغال فى الارتفاع به ، كما أننا لم نظلم بهضمة حقه ، وهذا كتابنا ينطق فى عيسى بالحق والصدق ، ويصفه وصف التكريم والتعظيم ، وينعتة نعت التمجيد والتحميد ، فيقول عنه : ، إذ قالت الملائكة يا مريم

ووطننا وحمانا فلسطين ، لأننا نؤمن بالله سبحانه ، والله جل جلاله من أسمائه المبدئ المعيد ، . ولأننا نريد أن نكون أعزة فى بلادنا ، أبطالا فى ديارنا ومن أجل حريتنا وكرامتنا . وآباؤنا العرب الأماجد يسمون البطل العجاج ومعاداً ، لأنه يعاود الكرة مرة بعد مرة ، ولا يمنعه ما رأى من شدة الحرب أن يعود إليها ، وأمير القوم عند العرب يسمونه « العود » تشبيهاً له بالجمال الكبير الذى تعود الرحلة ، وعاود المسير ، واهناد تحمل المصاعب والمشقات .

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأن فلسطين موطن أبينا إبراهيم عليه السلام ، ونحن أولى الناس بإبراهيم أبى الأنبياء لأن نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو أولى الناس بإبراهيم كما يقول القرآن الكريم : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » ، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ، ويقول : « قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً ، ويقول : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، ويقول : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، ويقول : « قل إني هدأت ربي إلى صراط مستقيم ديناً قima ملة إبراهيم حنيفاً ، .

وما دام ديننا هو دين إبراهيم الخفيف

القرآن الكريم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . »
ويقول : « ألم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان . » ويقول : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلکم إصري ؟ قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، ويقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وهارون ، والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . »

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأنها أولى القبلتين في الإسلام ، فإلى عاصمتها بيت المقدس وإلى المسجد الأقصى فيها ، كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يتجه في صلواته ، وظل ردحا من الزمن يتخذ من بيت المقدس وجهة وقبة ، حتى أمره الله جل جلاله بالاتجاه إلى السكبة ، فكان هذا الجمع بين القبلتين في الإسلام مزجا إلهيا كريما يوحى بوثيق

إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . » ويقول : « إذا قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهية الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني ، وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني ، وإذ تخرج الموتى بإذني ، وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون . » ويقول على لسان عيسى : « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . »

إننا عائدون إلى فلسطين ، لأنها بلد الأنبياء والمرسلين فيها نبتت شجرة النبوة وتفرعت أغصان الرسالة ، ونحن الأمة التي انتهت إليها موارد النبوات والرسالات ، ولذلك يقول

الموطن لإمامة النبي محمد لإخوته الأنبياء والمرسلين ، فوق أنها بلد الإسراء والمعراج والله جل جلاله يكرم هذه الذكرى ، ويعطيها حقها من الرفعة والسمو . فيقول : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وإننا عائدون إلى فلسطين لأنها ثالث الحرمين ، والرسول يقول : (لانشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا . والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى) ، ولا يتيسر لأبناء الإسلام أن يشدوا رحالهم إلى المسجد الأقصى آمنين مطمئنين ، أعزاء كرماء ، إلا إذا كانت فلسطين حرة عربية مسلمة ، ولذلك يجب أن نعود إلى فلسطين ، وأن نهتف من الأعماق قائلين : « إننا هائدون ! » .

أحمد الترمذى

الارتباط بين مكة والقدس ، وبين القبلة السابقة والقبلة اللاحقة الدائمة الباقية ، فإذا اتجه المسلمون إلى الكعبة في صلواتهم مرت بخواطهم ذكرى الاتجاه النبوى إلى بيت المقدس ، فأدركوا أن موارث النبوة لا تتوزع ولا تقطع ولا تنجز ؛ لأنها هبة الله ، فيجب أن تبقى مصونة تحت لواء الله : « والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم » .

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأنها مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام ، ونهاية رحلته الأرضية في حادث الإسراء ، وبداية رحلته السماوية في حادث المعراج ، وكان اتخاذ فلسطين مقراً لهذه البداية وتلك النهاية رمزاً قوياً إلى أن فلسطين هى واسطة العقد في وطن المسلمين . وأنها يجب أن تكون في قبة الإعراز عند المؤمنين ، وبخاصة أنها كانت

الإيثار

ذكر من قصص الإيثار أن كعب بن مامة أثر رفيقه النمرى بالماء على نفسه حتى مات هو عطشاً ونجا النمرى ، وفيه يقول حبيب بن أوس الطائي :

يجود بالنفس إن ضن البخیل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

كيف انتشر الاسلام

الأستاذ عباس طه

وإنما نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ،
صدق الله العظيم .
أراد الله تعالى أن تكون بلاد العرب
مهيطة لأنوار الدين العالمي الذي هو آخر
الديانات والرسالات ، فأرسل به خاتم أنبيائه
محمدا صلى الله عليه وسلم ، فلما تم نزوله ،
واختار الله رسوله لجواره انتشر نوره في
الخافقين ، فعنى الباحثون بمعرفة المسالك التي
سرى منها إلى العالم كله . ومن هؤلاء الباحثين
المستشرق الألماني الأستاذ د. مارتن هارتمان ،
الذي عنى بهذا الموضوع في كتابه « الإسلام ،
فكسب فيه بحثا قويا نعتمد عليه في هذا المقال :
بلاد العرب منفذان إلى الشرق وهما :
العقبة ، وهي على طريق الشام والطف بجوار
نهر الفرات ، وقد انتشر الإسلام منهما إلى
الشام وأرمينية وبلاد القوقاز وأذربيجان
ووصل إلى بخارى وكابل عاصمة بلاد الأفغان
في القرن السابع وإلى خوارزم في أوائل
القرن الثامن ، وما زال يمتد حتى تعدى
حدود الصين من تيانشان ودخل مدينة كاشغار
من بلاد المغول وبلغ بلاد السند ، وكانت
مدينة مولتان مركزا للدعوة الإسلامية ، ومن
هناك انتشر في شمال الهند حيث ظهر في

سنة ١٠٠٥ م رجل من مدينة لاهور يقال له
الشيخ إسماعيل أبلي في الدعوة إلى الإسلام
بلاد حمنا ، وتلاه في الدعوة إليه في تلك
الأصقاع رجل يقال له يحيى الدين تشيشق توفى
سنة (١٢٣٤) م .
وقد اشتهر انتشار الإسلام في ذلك العهد
بشمال الهند حتى آل إلى المسلمين الملك في
البنغال (سنة ١٢٠٠) م كما توج أول ملك
مسلم في كشمير من بلاد المغول سنة ١٣٠٠ م
ومنها انتقل الإسلام إلى تبت الصغرى ، وقد
وصل إليها أيضا من ولاية يونان في جنوب
الصين .
دخل الإسلام إلى بلاد الصين من منفذين :
الساحل الجنوبي ومن الولايات المتاخمة لبلاد
التركستان .
وقد روى أن علاقات حسنة تبودلت بين
بخداد والصين على عهد الخلفاء العباسيين
وكان الدعاة المسلمون يؤمون تلك البلاد من
طريق ما وراء النهر .
وقد ظهر الإسلام مبكرا في بلاد الصين
على بعد الشقة بينها وبين البلاد العربية حتى
أنه بنى مسجد في ولاية شينزى سنة ٧٤٢ م
أي بعد البعثة المحمدية بنحو مائة سنة ، وكان

الصينية فلم تستطع الحكومة استردادهما إلا بعد موت هذا الزعيم .

أما المنفذ الآخر الذي سلكه الإسلام إلى الصين : وهو الساحل الجنوبي ، فقد عرفه العرب والفرس منذ زمن بعيد ، وقد تأسست جالية إسلامية في كانتون منذ العصور الأولى في الإسلام . وروى أن الخليفة العباسي أرسل أربعة آلاف جندي لمساعدة قيصر الصين في بعض حروبه . وكان المسلمون يقدون من بلادهم للعيش في الصين . لذلك قويت شكيمتهم هناك .

لأن الذي يتأمل بعد الشقة بين بلاد الصين وبلاد العرب لا يسعه إلا أن يكبر تلك الروح التي كانت تدفع المسلمين إلى تحشم هذه المتاعب لفشر دينهم في الحاققين ، ويدرك أنه يمثل هذه القلوب الكبيرة تعز الأهم وترقى وتبنى لنفسها ولخلفائها مجدا يخلد خلود الدهر . وقد عجز دعاة الأديان الأخرى عن أن يصلوا إلى الصين إلا في القرون المتأخرة ، وعجزت المدنية الأوروبية عن أن تتعدى الحدود الشرقية للصين حتى آخر القرن التاسع عشر .

ولكن المسلمين لم يجتازوا حدود السواحل خصب ، بل استطاعوا نشر ديانتهم وثقافتهم فيها أيضا .

عباسي ط

من أثر هذه الحركة أن انتشر الإسلام في شمال الصين بدخول قبائل الويجور فيه ، وقد وصل بعضهم إلى المناصب الحكومية الرفيعة ، ونزح لهذا السبب كثير من الفرس إلى الصين ونشروا فيها لغتهم حتى أن كثيرا من مسلمي الصين يعدون الفارسية لغة المثقفين منهم .

وقد دخل في الإسلام كثير من اليهود ، هناك فزاد بهم زيادة كبيرة يصعب تقديرها . ولما دخلت بلاد التركستان المسماة إلى حوزة الصين ، واحتك المسلمون بأهلها تعرفوا منهم سماحة الإسلام وفضائله فكان ذلك سببا في زيادة انتشاره في تلك الأصقاع . وفي هذا العهد بدأ ظهور رؤساء وقادة من أصل تركي في الصين حتى أن القيصر الصيني كين لنج تزوج أميرة تركية ، وأمر ببناء مسجد لإكرامها ولحاشيتها .

وقد اشتهرت أسماء رجال من الترك تولوا الإدارة والقيادة العسكرية ، كذلك وجد نحو عشرين ألف أسرة تركية في مدينة بكينج عاصمة الصين ، وقد كان لهم ثلاثة عشر مسجدا يقيمون فيها الصلاة ، وارتفع شأن المسلمين في الصين إلى حد أنهم أحدثوا ثورة في كانصو وشينزي سنة ١٨٦٤ فلم تنجح الحكومة في إخمادها إلا بعد مكافئها عشر سنين ، وفي هذه السنة نفسها تمكن يعقوب بك الطشقندى من اقتطاع التركستان من المملكة

مَائِقَاتُ عَزَائِكُمْ سَلَامًا

١- الدَّعَوَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ

٢- وَالْإِسْلَامُ وَوَحْدَةُ الْجَمَاعَةِ

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

دعوات الصلاة وتضاف إليها من قبيلها على سبيل التوسع والتفصيل .

والقسم الثالث : تسيّحات مستقلة يتعبد بها المسلم على أفراد أو مع الجماعة ، وأكثرها من دعوات الصوفية باللغة العربية ، وغير العربية . والمؤلفة تسمى هذه الأقسام الثلاثة بأسماء

ترتضيها وتفضلها للدلالة على غرضها ، فمنها قسم داخل الصلاة المفروضة وقسم على عتبة الصلاة المفروضة ، وقسم خارج هذه الصلاة يختاره المسلم ولا يلزم أن يكون من باب الفرائض ولا من باب السنة النبوية ، بل يجوز لكل مسلم أن يختار له عبارته ومعناه ومناسبتها على حدة أو مع إخوان له في الطريق وفي حلقات الأذكار الخاصة .

وجملة ما اختارته المؤلف مقبول عند جماعة المسلمين مع اختلاف المذاهب ، إلا طائفة منه يتبادى بها الشطط إلى القول بالحلول أو القول بوحدة الوجود ، على النهج الذي يرفضه أهل السنة بالإجماع ، وهو ذلك النهج

عرضت صحيفة والتايمز ، الأدبية لكتابين من الإسلام في عدد واحد ، وهو العدد الصادر في الحادى عشر من شهر أغسطس الماضى (سنة ١٩٦١) .

والكتابان هما : كتاب الدعوات

والصلوات الإسلامية، Moslem Devotions

لمؤلفته السيدة كونستانس بادويك ، وكتاب

الإسلام ووحدة الجماعة ، Islam and

the Intepation of Society لمؤلفه :

الدكتور مونتجومرى وات ، أشهر المؤلفين

عن الإسلاميات من المستشرقين الانجليز

في الوقت الحاضر .

ينقسم كتاب الدعوات إلى ثلاثة أقسام :

قسم الدعوات والصلوات المفروضة ، وقد

جمعت فيه المؤلف آيات من القرآن الكريم ،

ومن التحيات ودعوات القنوت ، التى تتلى فى

الصلوات الخمس وفى غيرها من صلوات يؤديها

المسلم أحيانا وإن لم تكن من أركان العبادة .

والقسم الثانى : يشتمل على دعوات توافق

بالجانب الخالص منه متعللين بدهوى الحيدة واجتناب العجز لهذا الفريق أو ذاك فيما ينسبونه إلى أتباع الديانة التي هم غرباء عنها، متهمون بالفرض إذا تشيعوا لفريق من أتباعها على غيره... ولولا هذا الخلط الفذير لكانت هذه الدعوات عنوانا صالحا للديانة الإسلامية في جوهرها، وهو جوهر العبادة كما قال ناقد الكتاب.

وعندنا أن الإسلاميات التي تنشر في الغرب تحتل الترتيب والتقديم بالأولية من وجهة النظر الإسلامية، فأجدرها بالنشر - وأولها في هذا الترتيب - أمثال هذه الدعوات والصلوات، على شريطة السلامة من شوائب التصوف الكشيف كما وصفه ناقد الكتاب، ومن شوائب التصوف المدخول الذي تطرق إلى الإسلام من بقايا الديانات الشرقية الخالية ومنه ذلك الإغراق في دعوى الحلول ودعوى «الإلهية الكونية» التي تسمى عند أصحابها بوحدة الوجود، ولا ينكر المسلم أن يؤمن بالتجلي الإلهي في آيات الكون بين السموات والأرضين، فإنه مأمور بالبحث عن هذه الآيات بنصوص الكتاب ووصايا الأحاديث النبوية، ولكنه ينكر أن يؤمن بالوثنية الكونية التي تصدق على من يؤله الكون كما تصدق على من يؤله جزءا من أجزائه، فهو في تنزيهه للوجود الإلهي لا يرفض عقيدة من العقائد كما يرفض هذه «الوثنيات».

الذي يوشك أن يتطوح بأهله إلى تأليه الكون بمظاهره المادية وبواطنه الخفية، وليس هذا القسم من الدعوات بالكثير وإن كان ناقد الكتاب يقول إن دعواته أقرب إلى تسييحات المتصوفة منه إلى العبادات العامة أو العبادات المقررة للجميع، وهي على حد تعبيراتهم «العبادات الأرثوذكسية».

ويقول ناقد الصحيفة الأدبية: «إن نشر هذه الدعوات بين المسيحيين، وهي مما يغلب عليه اللطف المستحب، خليفة أن تقرب أسباب التفاهم بين الديانات فيما هو أقرب الأمور إلى جوهرها جميعا وهو العبادة. وإن العبادة الإسلامية بأصولها الصوفى على الخصوص لتحمل كثيرا من معاني المشابهة والمشاركة بينها وبين العبادة المسيحية».

ويعنى الناقد قائلا: «ولم تقصر المؤلف اختياراتها على هذا النوع - يعنى نوع الدعوات الصوفية الخالصة - بل هي تعرض لنا ما يلتبس بشيء من الكشافة في أورد المتصوفين المعاصرين، وأن هذين النمطين من أنماط الدعوات الصوفية ليظهران معا بين المسلمين كما يظهران متصاحبين في تعاليد أكبر الكنائس الغربية».

نقول: إن هيب هذا الكتاب وأمثاله أن مؤلفيها يحشرون فيها كل ما ينقلونه عن الإسلام إلى صعيد واحد، ولا يكتفون

ولو أن كتاب الدعوات الإسلامية خلا من الدعوات المدخولة لكان في الطليعة من الكتب التي يحق لها النشر بين الأوربيين من وجهة النظر الإسلامية ، ولكننا نستكثر على مؤلف غير مسلم أو مؤلفة غير مسلمة أن يعمل لإبراز الإسلام على هذه الصورة المثلى ، وحسبه أنه يعف عن محاسنه فلا يطمسها .

* * *

أما الكتاب الآخر عن الإسلام ووحدة الجماعة فقد كتبنا عنه منذ شهرين في مجلة منبر الإسلام ، وخلاصته في بضعة سطور أن الدعوة المحمدية كانت دعوة تجديد بين أناس غير محافظين ؛ لأن كفار قريش كانوا قد تبدلوا في معيشتهم وخالفوا سنن البدواة العربية من قبلهم . ولكن الفارق بين تجديدهم وتجديد الإسلام أن الإسلام أعطى ضمير الفرد مثلاً أعلى ، يستقيم عليه وجوده بين أبناء قومه وبين بني الإنسان عامة ، وأنه أعطى الجماعة الإسلامية كياناً يسعى إلى الأمام ، ويجعل لها من ثمة قبلة واحدة وإمامة واحدة تثبت على تقلبات الأيام وصروف التاريخ .

وإنما نعود إلى الكتاب على هذه الصفحات لنعلق على تعليق الصحيفة الانجليزية ، فإن ناقد التاريخ - على خلاف العادة في هذه

فإذا سلم كتاب الدعوات الإسلامية من أوراد أدياء الصوفية ، ومن لومة الحلول ، ووحدة الوجود فكل ما بقي منها فهو الدين الحق على أفضل ما يكون في عقل الإنسان وضميره ، وليس لدين من الأديان دعوات ، أو صلوات ترتقي إلى أفق من التنظيم أرفع من أفقها الذي ارتفعت إليه في الإسلام .

ففي البرهمية سبجات من التصوف الروحاني تعلو إلى الذروة بين الدعوات الدينية ، ولكنها تفارق التوحيد دائماً كلما أوغلت في أعماق العقيدة أو رجعت إلى التشبيه بالقوى الطبيعية . وكثيراً ما ينتهي بها أسلوبها في التنزيه إلى فناء : كالأعدم يتساوى فيه الوجود المطلق و الالوجود ، على الإطلاق ! .

وفي غير البرهمية من الديانات الكبرى أوصاف للإله تهبط بالخالق إلى مشابهة الخليقة وتنسب إليه أفعال كأفعال أرباب الديانات الأولى ، وهذه جميعاً شوائب للإيمان بالربوبية ينزه عنها الإسلام ، ولا تخفى على غير المسلمين بل يحسبها بعضهم غلوا في الإبعاد بين الخلق والخالق ! .

ودعوات الإسلام حقيقة أن تسكت المتحرصين عليه من يهتمونه بالمادية أو بالوقوف عند حدود الحياة العملية ، التي تتجاف بالمسلمين عن صفاء الروح وتلصقهم بنعيم الأرض حتى حين يتصورون نعيم السماء .

الصحيفة - قد أنحى على الكتاب ومؤلفه إنحاء يكاد أن يندحر إلى الإهانة والتنديد ، ولعله بهذا المسلك العجيب يعزز الشبهة التي تساور أذهان قراء الصحيفة في السنوات الأخيرة ، وهي شبهة الهوى المصبوغ بصبغة التطرف الاجتماعي الذي يفتقر أحيانا بالإسرائيليات ونزعات الهدم والفوضى في الفن والأدب . وكأنما استحق الدكتور مونجوسرى ذلك الإنحاء عليه من ناقده المتطرف لأن كتابته في نظره قد تحسب من قبيل المحاباة للإسلام ، وإن تكن في نظر القارئ المسلم دون حق الإسلام في التعميم والتحقيق .

وأكبر ما أخذ الناقد على مؤلف الكتاب أنه نسي « قابلية الدين ، للفارقات وهو يكتب عن الإسلام وعن النظم السياسية والاجتماعية في تاريخه ، فاستعظم على الإسلام أن ينجو من الاتهام بمصادمة الواقع ومخالفة المعقول ، كأنه كان يطالب المؤلف بتكرار المقال عن جمود النظام الاجتماعي في الإسلام لأنه لم يقرر مبادئ الاجتماع التي تابعت بعد قيام دعوته لينتقض بعضها بعضا إلى هذا الزمن الأخير ، وليس تعليقنا على هذا التعليق إنكاراً لما

ادعاه عن موقف الإسلام من المذاهب الاجتماعية التي ظهرت منذ قيامه ولا تزال تظهر إلى اليوم ، ولكننا نعلق عليه لنقول إن الإسلام قد استوفى شرط الدين حقاً لأنه عقيدة تثبت على قلوب المذاهب الاجتماعية ولا تزول مع كل عقيدة منها ، وقد يزول نظام رأس المال ويزول غيره من النظم التي آعاده أو تواليه ، ولكن الإسلام يقيم المجتمع نظاماً قوياً لا يعنيه تبدل الأسماء حين يكفل له تحريم الاحتكار ويوجب فيه إنصاف العاملين ومعونة العاجزين عن العمل ، وأيما نظام يمتنع فيه كنز الذهب والفضة وتداول الثروة بين الأغنياء ، ويلتزم فيه المجتمع بأعباء الضعفاء والمحرومين فهو نظام إسلامي مشروع ، وهو كذلك نظام إنساني متجدد ، والمسلمون الذين يطبقونه أناس مفروض فيهم أنهم خلائق عاقلة ، تنطلق أيديها بتدبير مصالحها ولا تملى عليها قبل ولادتها لإملاء الحروف والبنود ، لكي تطاع على السماع ، ولا تسمح لمن تملى عليهم بموقف غير موقف الخضوع والاتباع .

عباس محمود العقاد

آراء وإحاديث

أيها الإخوان :

لقد مرت على الأزهر عدة تنظيمات ،
ولكن لم يكن من بينها تنظيم كهذا التنظيم
الذي صدر به القانون أخيراً . والذي أقره
مجلس الأمة لإقليمى الدولة الشمالى والجنوبى ،
هذا التنظيم الذى يتناول الأزهر من بدايته
إلى قته فيتناول جمعيات تحفيظ القرآن الكريم
كما يتناول كليات الطب والزراعة والهندسة
بجانب كليات الدراسات الإسلامية والعربية ،
وهو يشتمل على الخير كله الذى يعم الأزهر
ويعم العالم الإسلامى بهذا البعث الجديد ،
وكلنا يعرف مهمة الأزهر فى الحياة وهى مهمة
لها خطرها ومكاتها .

وهذا التنظيم يشمل هذه المهمة ويؤكدها .

وإني أحمد الله وأشكره ، على ما أنعم علينا
من هذه النخبة الكريمة من علماء الإقليمين
الذين سيكون لمجهودهم المشكور المتواصل
أعظم الأثر فى تخليص الإسلام من الشبهات
التي علقته به وليست منه وإظهاره ديناً كريماً
لا شائبة فيه ولا جلود .

كلمة الأستاذ الأكبر فى هيئة التخطيط :

فى مساء يوم الاثنين السابع عشر من
ربيع الأول (٢٨ أغسطس) اجتمعت
هيئة التخطيط لقانون الأزهر الجديد ،
وافتحها فضيلة الإمام الأكبر بالكلمة التالية :

إخوانى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إن الأزهر الذى حمل رسالته بأمانة وسهر
عليها فى مدى عشرة قرون كاملة يعالج فيها
تفسير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ويبين للسلمين أخلاق الإسلام
وآداب الإسلام ، والمعاملة التى أخرجها الله
لعباده — إنه الآن على أبواب عهد جديد
مجيد إن شاء الله .

وإني لأجد نفسى بين هذه لجان أتردد فى
أيها أبدأ بشكره ، أنبدأ بشكر رجال الإقليم
الشمالى على تلك الزيارة الكريمة ؟ أم بشكر
رجال الإقليم الجنوبى على استقبال إخوانهم
الشمالين للعمل على تنظيم الأزهر تنظيمًا يتفق
مع مبادئه .

وفي هيئة تخطيط المعاهد :

وفي الجلسة التي عقدتها هيئة التخطيط للمعاهد الأزهرية ألقى فضيلته الكلمة الآتية :

باسم الله ، وبمحمد الله ، وشكره ، وباسم حق الأمة علينا في التعليم ، وباسم حق الإسلام علينا في الانتشار والذوبان ففتح الجلسة مع إخواني وأبنائي رجال التعليم والتهذيب والتثقيف مستعنيين بالله للوصول إلى الغرض المقصود وإلى الهدف المحدد لهذا القانون الجديد الذي وحد بين طوائف الأمة وجعلها طائفة واحدة في التفكير والتثقيف بعد أن كانت فيما أرى ويرى الناس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين كل طائفة لها تفكيرها ولها وجودها ولها دائرة عملها ، ولا شك أن الأمة التي تلتئم من طوائف هذا شأنها تكون أمة هزيلة ضعيفة في تصورنا لأهداف حياتها . أما الآن فنحن نرحب برجال التربية والتعليم ، والأزهر يضع يده وجميع إمكانياته معهم في النهوض بالأمة والسير بها في سبيل التقدم والازدهار . ولن يكون هناك بعد هذا رجل أزهري ، ورجل تربوي ، بل الكل أزهري والكل تربوي . وهذا من فضل الله علينا ، وهذا هو المنطق الوحيد الذي حظيت به تلك الوحدة التي سرنا إليها في الجمهورية العربية .

هذا شيء مما ستعالجونه أيها الإخوان ، والذي هو بين أيديكم ، تعالجونه بما أعرفه فيكم من الإخلاص والإيمان وما ينظره منكم الأزهر والعالم الإسلامي كله .

وقد بدا لي في رحلتي إلى الشرق الأقصى أن هناك شعوبا تنطلق إلى الأزهر وتنتظر منه الإيمان والإرشاد وتنتظر أن يقدم لها غذاء لأرواحها شهيا لاغصة فيه ، وقد مرت على الأزهر أطوار ذاق فيها مرارة الجحود ومرارة العقم .

وقد آن الأوان لأن ينفض هذا الغبار ويظهر مبادئ الإسلام قوية واضحة ، فلا اجتهد أغلق بابه ، ولا حرية نافذة يحجر فيها على الإنسان في سبيل الفهم والعلم والتطور . وإن أضع هذه الرسالة بين أيديكم مع ثقتي في أنكم ستبذلون جهودكم بما أعرف فيكم من إخلاص وكفاءة وإيمان .

ولست أخص بالشكر جماعة دون جماعة ، ولكن أشكر الله الذي ميا رجل الجمهورية الأول الرئيس جمال عبد الناصر وهياً لرجال الأزهر ورجال الجمهورية جميعاً لهذا الإعداد العظيم الذي يؤكد رساله الأزهر ويدعمها . وختاماً لكم تمنياتي أن يسكل الله جهودكم بالنجاح والصلاح .

وفقني الله وإياكم أجمعين .

غيرنا ، ومعاذ الله أن يكون هناك غيره فكلنا واحد ذو تفكير واحد ، فنبتدى التعليم من تحفيظ القرآن الذى هو الأساس المقدس عند الجميع وينتهى بالسكليات فى التعليم الجامعى العام . هذه هى الجلسة الثانية ، وقد سرتنى بالأمس الجلسة الأولى التى كانت تشمل طوائف التخطيط الجامعى للجامعة الأزهرية وقد وصلنا والحمد لله إلى ما اطمأنت إليه قلوبنا ونحن سائرون أيضا معهم إلى أن نصل إن شاء الله لما يطمئن قلوبنا فنحن متحابون والله سيسهل لنا بلوغ الأهداف والوصول إلى الأغراض ، وإلى أكل بعد ذلك العمل إلى الإخلاص الذى نؤمن به عند إخواننا رجال التربية والتعليم ، وبعد أن أشكرهم على تلك الجهود التى بذلوها . أما أبنائنا رجال الأزهر فإني أدخر لهم عند الله شكراً لا يعادله شكر لأمى ولا من أكبر منى فإن شكر الله وثواب الله هو أجزل من شكر العباد وعلى الله التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

فى لجنة التنظيمات الإدارية :

وألقى فضيلة الأستاذ الأكبر السكلمة التالية فى اجتماع هيئة تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية والأوامر للبعاهد والسكليات :

وإننا نشكر الله سبحانه وتعالى على أن مهد لنا ذلك السبيل ، فكلنا بالأمس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين ، كان الأزهرى ينظر إلى غيره وغيره ينظر إليه كما ينظر الأبعد بعضهم إلى بعض ، وكأن لم يجمعهما وطن واحد ولم تظلمهما سماء واحدة ، ولم يفرشا أرضاً واحدة ، ولكن من الأمس فقط اجتمع الأزهرى مع غير الأزهرى متصافين متنافسين مشتركين فى المهمة وفى الهدف وفى السعى إلى الغاية التى يهيشونها لأبناء الجمهورية العربية لا فرق بين مصر ولا بين سورية فالكل سواء فى سورية ومصر والجمهورية العربية بإقليمها وبأجزاء كل إقليم ، أصبح الجميع وحدة لا تعدد بينها فى التفكير ولا فى الهدف ، وهذه غاية كنا نرجوها من الله من عهد بعيد . كان الأزهرى ينظر إلى غيره كما ينظر إلى الأجنبي ، وكان الأزهرى ينظر إلى غيره أيضا نظرة استمزاز أو كما يخيلها له وجوده الدينى ، فيفاضل بين نفسه وإخوانه الأزهريين وبين إخوانه غير الأزهريين ، ولكننا الآن والحمد لله قد اجتمعنا جميعا حول مائدة واحدة لبحث قانون التعليم فى الجامع الأزهر - التعليم المشترك بين أبناء الأمة جميعها - الذى يبتدى بتحفيظ القرآن الكريم ، وهو هو الأساس فى التعليم العام والتعليم الخاص عندنا وعند

الادفنتست والاستاذ عنتر يعقوب سكرتير
جمعية الادفنتست بمصر الجديدة .

وقد دار الحديث حول جهود الأزهر في
سبيل نشر الثقافة الإسلامية في أنحاء العالم
وفي سبيل نشر السلام في الأرض ، كما تناول
ما يقدمه الأزهر لطلاب البعث الإسلامية
الذين تزيد جنسياتهم على الخمسين وتهيئة
أسباب الراحة والاستقرار لهم .

ثم سأل الزائر عن مستقبل الأزهر بعد
إعادة تنظيمه ، فأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر
بأن الأزهر في ظل التعاون الجديد
سيكون دينياً وعلماً ، وسيخرج الأطباء
والمهندسين ، وسيوفد منهم إلى العالم الإسلامي
وسيعالج الطبيب الأزهرى القلب والروح
بجانب علاجه للبدن .

وسأل الزائر فضيلته عما إذا كان هناك
وسيلة للتعاون بين الديانات للدعوة إلى
السلام في أنحاء الأرض ، فأجاب الأستاذ
الأكبر بأن الديانات من الله ، والله
وحده هو السلام ، ودعوته إلى خلقه باسم
السلام . الذى هو عنوان الإسلام ، فالإسلام
يدعو إلى السلام ، وإلى دار السلام والله تعالى
يقول : دقل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به
شيئاً . ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من
دون الله . .

باسم الله والحمد لله نفتتح الاجتماع الثالث
لهيئات التخطيط لقانون تنظيم الأزهر الجديد
الخاص بهيئة تخطيط التنظيمات الإدارية
والمالية واللوائح لمعاهد الأزهر وكلياته ،
وإني طالما تمنيت على ربى أن تجتمع طوائفه
المثقفين الدينيين والمدنيين حول مائدة واحدة
هى مائدة العلم والتثقيف .

وإني لأثق في إخلاصكم للقيام بوضع
الخطط والأسس التى تهدف للوصول بالأزهر
إلى مستقبل متكامل ، وأكرر شكرى باسم
الأزهر وباسم المسلمين لكم على جهودكم ،
وإني إذ أذكر هذا أبحله في تاريخ حياتى وفي
اريخ الأزهر الذى ظل عشرة قرون كاملة
يحمل رسالة الدين ونشر اللغة العربية .

وإن شاء الله سيستمر عشرات القرون
حاملاً لواء الدين والعلم كل ذلك بفضل
إخلاصكم وتأزركم فى النهوض به ، وفقكم الله
لخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

شيخ الأزهر يستقبل :

مدير جامعة الادفنتست بأمريكا :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه
دكتور رالف واطسن ، مدير جامعة
الادفنتست بواشنطن ، يرافقه مستر روبرت
دارنل الأستاذ بكلية الشرق الأوسط في
بيروت ، ومستر وليم لاشر الأستاذ بكلية

يضع يده في أيديكم لتؤكد تضامننا ووحدتنا لمحاربة المستعمرين الطغاة بما حارب به رسول الله ، وللمعمل على دعم السلام وتأكيده في كل مكان ، وإني ليحزنني أن أسمع عن محميات عدن باعتبارها محمية من المستعمرين ، إن هذا من باب الابتلاء ، ابتلينا بهذه الحماية من المستعمرين ولكن في وقت قريب سيزول هذا الاستعمار البغيض . إننا نريد أن تكون البلاد لأهل البلاد ، نريد أن نكون أقوياء في الدفاع عن أوطاننا ، وفي الاحتفاظ بكرامتنا .

ثم تطرق الحديث حول إعادته تنظيم الأزهر فقال الزائر : لقد سررنا بتطوير الأزهر ، ونهني أنفسنا بهذه النهضة الموفقة ، كما زاد من سرورنا أن الأزهر سيكون له مجمع بحوث إسلامي يضم بين أعضائه ممثلين من مختلف البلاد الإسلامية للعمل لتوحيد الرأي ليخرج على جميع المسلمين في رأي موحد على أساس من كتاب الله وسنة رسوله ، بغض النظر عن اختلاف المذاهب .

ثم طلب سموه من فضيلة الأستاذ الأكبر أن يمثل « عمان » في هذا المجمع الإسلامي الكبير ، كما صرح بأنه سيعمل على إيفاد الطلاب من عمان للدراسة في الأزهر بعد التخلص من الاحتلال البغيض .

ثم أضاف الزائر أن عدد سكان عمان

فعب الزائر عن إعجابه بمبادئ الإسلام . ثم صرح لفضيلة الأستاذ الأكبر بأنه عضو في جمعية السبتيين التي توجد لها إدارة في واشنطن ، وفروع في أنحاء العالم ، وهي تقوم على الدعوة إلى السلام والبعد عن الحذر والميسر والتدخين وأكل الخنزير .

وقد دعا الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الولايات المتحدة وقال : وسأكون في استقبال فضيلتكم في واشنطن وسيكون لهذه الزيارة أثرها الطيب .

فوعده فضيلته بتلبية هذه الزيارة ، وشكره على مشاعره الطيبة .

وبستقبل أيضاً إمام عمان :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمنزله سمو الأمير غالب بن علي إمام عمان ، يرافقه شقيقه الأمير طالب بن علي ، والشيخ أحمد ابن عبيد ، والشيخ سليمان محمد .

وقد شهد المقابلة الأستاذ الدكتور محمد البهي مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية ، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر .

ودار الحديث حول واجب العلماء والأمراء في موازنة الكفاح من أجل الحرية في جميع البقاع ، وبخاصة في عمان .

قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر

مليون ونصف مليون من المسلمين مذهبهم مختلفة ، وأكثر المذاهب عددا مذهب الأباضية.

فقه الأباضية :

وقد صرح الدكتور محمد الهبي المدير العام للثقافة الإسلامية بأن الأزهر سيمنى بفحص تراث الأباضيين ، حتى تكون كلية المسلمين واحدة ، ثم أعلن أن إدارة الثقافة على استعداد لتلبية كل رغبة لنشر الثقافة الإسلامية في أي مكان ، كما وعد يبحث كتاب د جامع ابن بركة ، في الفقه الإسلامي الذي قام بتأليفه

الشيخ أبو محمد عبد الله بن بركة ، وهو من المخطوطات القيمة ، حتى يمكن الانتفاع به . وقد شكر فضيلة الأستاذ الأكبر إمام عمان على زيارته وقال له : إنها لمناسبة سعيدة أن اقترفت زيارتكم لنا بمناسبة كريمة هي ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنه لقال طيب نرجو أن يكون بادرة طيبة لجمع الكلمة وتوحيد الجهود لمقاومة الغاصب في عمان وفي كل مكان ، وفي نشر السلام في الأرض ونرجو أن يمنحنا الله القوة والوحدة ويهيئ لنا سبيل التضامن لنواجه كل دولة باغية ، ولنعمل جاهدين حتى يعم بلادنا سلام وخير ورخاء .

وفاة عالم جليل

نعى إلينا - والمجلة ماثلة للطبع - فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن عيسى مدير المجلة للسابق ومدير تفتيش العلوم الدينية والعربية ، والمجلة إذ تشارك أسرته وإخوانه وتلاميذه شعور الأسمى تتوجه مخلصه إلى الله العليّ القدير أن يتغمده فضيلته بالرحمة وأن يسكنه فسيح جناته ، وفاء ما قدم للعلم والدين من جليل الخدمات .

الكتاب

نقد وتعريف

محمد عبد الله السحمان

النكاح ، إشعاراً بأنها رابطة وثيقة يجب الحرص عليها ، وأن فصح ميثاقه الغليظ مما لا يحبه الله تعالى .

وتحدث فضيلته عن الوضع الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة ، فالأحكام التي تشرع للناس ويصلح عليها شأنهم هي التي توافق طبيعتهم وواقع أمرهم ، ثم ختم أستاذنا بحثه بدراسة موجزة عن بعض أصول الأحكام : القطعيات والظنيات في الشريعة .

أسلوب المشرع في العقائد والعبادات والمعاملات ، مجيء التكليف في حدود الاستطاعة ، وهو المعبر عنه بنقي المخرج .

إن موضوع الرسالة لم يلتزم كله المدلول اللفظي لكلمة الوسطية ، لأن أستاذنا لم يربط به بعض بحثه . . كالزواج والطلاق وتحديد الوضع الاجتماعي للمرأة والرجل ، وفضيلته عني بعرض المعاني الإسلامية عرضاً

موفقاً . وإن كان لم يتخلل هذا العرض مناقشة كما عودنا في كثير من دراساته ، وهو بلا شك من المعروفين بغزارة العلم ، وعمق التفكير ...

١ - وسطية الإسلام

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدني :

رسالة أستاذنا الشيخ محمد المدني هي إحدى حلقات دراسات في الإسلام التي تصدرها وزارة الأوقاف ، بحثها جاء مركزاً يوائم صغر حجمها ، وهدفه أولاً أن يقنع المسلم بأنه يعتنق أكمل الأديان وأعدلها ، وفكرته آية كريمة من كتاب الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... » .

أما أسلوب البحث فهو الإفصاح عما يراد الأفكار من شبه ، وأما معنى الوسط فتعريفه في اللغة : اسم لما بين طرفي الشيء ، وهذه كلها بمثابة مقدمات بين يدي البحث .

عرض أستاذنا بعد ذلك لمظاهر الوسطية : المزاوجة في طبيعة الإنسان ، الاعتراف بالواقع البشري ، مسامية الفطرة وتهذيب الفرائض ، بساطة العقيدة ويسر التكليف .

وواصل فضيلته بحثه بفصل عن هدى الإسلام في الزواج والطلاق ، فالزواج سنة طبيعية لا بد منها في بقاء النوع الإنساني ، ورابطته مقدسة أسماها القرآن « عقدة

٢ - تأملات في المجتمع العربي

للأستاذ مالك بن نبي

في القرآن ، إذن فالهصلة التاريخية والجغرافية مفقودة ، ومعنى هذا أنه لا ارتباط بين الديمقراطية . . والإسلام .

لا ريب في أن مدلول لفظة الديمقراطية هو حكم الشعب ، والإسلام لا يتنكر لهذا المبدأ ، والنزاهة المسلمين بالقرآن في الحكم لا ينفي الاعتراف بوجوده ، فالقرآن نصوص بمثابة أصول . يفسرها ويخرج فروعا المسلمون ، والدساتير الوضعية القديمة والحديثة لها إطار وخطوط عريضة ، يعمل فكر الشعب داخلها ، ويشرف على تطبيقها ، وأعتقد أن أمر الشورى الوارد كبداً في القرآن نفسه ، إن دل على شيء فإنما يدل على الاعتراف بوجود الشعب المسلم .

ولا يمكن بعد ذلك أن يكون التباعد التاريخي والجغرافي يبعد كلمة الديمقراطية عن الإسلام ، ما دامت مدلولات الديمقراطية هي الاعتراف بوجود الشعب ، والمؤلف في نهاية هذا الفصل يتفق معنا ، بل يرى أن عناصر التشريع الإسلامي تكون الجانب الاجتماعي في الديمقراطية الإسلامية ، وأن المبادئ التي قررها الإسلام في المجالين السياسي والاجتماعي وضعها في أساس ما يمكن أن نطلق عليه الديمقراطية الإسلامية . المؤلف أستاذ متمكن من الثقافة الإسلامية ، وإن كنا نود أن تكون عنايته بالأحاديث

المؤلف عالم جزائري ، ثقافته أوربية في التخطيط والمنهج ، إسلامية في الفكرة والهدف ، وهو مهندس يعنى بالنظريات الرياضية في شتى أبحاثه التي قدمها للمكتبة العربية تحت عنوان « مشكلات الحضارة » ، وهي زهاء العشرة .

وكتابه الجديد تناول فيه : الصعوبات في المجتمع ، والمبررات في المجتمع ، القيم الإنسانية والاقتصادية ، الديمقراطية في الإسلام ، التضامن الإفريقي الآسيوي . .

وأستاذنا المؤلف يرى أن عبارة ... الديمقراطية في الإسلام . . مما لا تشعر عادة بأنه يتضمن مسألة لم يسلم بها أحد تسليم المقتنع ، وإنما نسلم بها خضوعا لمسيرة العرف الذي فرضته علينا الحضارة الغربية ، حتى أصبحنا نضم إلى الإسلام كل ما نعتقد أنه ذو قيمة حضارية دون أي تمحيص فيما يربطه أو يحدد درجة ارتباطه بالإسلام أو يميزه عنه الإسلام ، فلفظة الديمقراطية تعبر عن سلطة الشعب . وهي لفظة مستوردة عرفت في اللغة اليونانية قبل خمسة قرون قبل الميلاد ، ولفظة الإسلام لم نعرف إلا

ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، الذي كبرت لديه مسئولية الحكم ، فتعمق في العدل والمساواة وإطلاق حرية الرأي والنقد لأساليب حكمه ، والسمو إلى أرفع درجات التواضع .

هكذا يعرض لنا الأستاذ خالد عمر بن الخطاب الذي لم يكن رجل سلطان لأنه فوق السلطان ، وإن مشهدا واحدا من مشاهدته تخير مما طلعت عليه الشمس وغربت من عروش وتيجان وزخرف وصلف ، وإن الكمال الإنساني حين أراد أن يحقق وجوده المادي المحسوس تجسد في نماذج نادرة وباهرة من البشر ، وإن أحد هذه النماذج للعليا ، هو عمر بن الخطاب .

كما يقول العالم الأديب : الأستاذ خالد محمد خالد .

٤ - أحمم بن حنبل

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومي كتاب الأستاذ الدومي يعرض شخصية أحمد بن حنبل ، الإمام الممتحن بين محنة الدين ومحنة الدنيا ، دعاه الكلام عن محنته هذه إلى إيراد تفسير لغوي للمحنة لم يسبق إليه فيمن كتبوا عن محنة الإمام ، وقد عرض هذا التفسير القوي في سطور ص ٩٠ مستخرجا من قواميس اللغة مدلول لفظة « محن » .

للشعبوية أدق لاسيا في الحديث المشهور الذي سأل فيه جبريل الرسول عن الإسلام والإيمان .

٣ - يعنى برى همر

للأستاذ خالد محمد خالد

الأستاذ خالد في كتابه الأخير هذا ، أديب فنان رقيق الإحساس ، أجلسنا على مائدة عمر بن الخطاب ، وقدم لنا ألوانا شهية من سيرته - رضوان الله عليه ، وهو يذكر في مقدمته أنه : لن يكتب تاريخا لعمر ، ولا يزيد الناس معرفة بعظمته وشأنه ، ولا يركب على الله نفسه بالكتابة عن رجل أحبه واصطفاه ، والمحاولة التي يصدرها أكثر تواضعا من هذا كله ، إنه يصغى إلى أمير المؤمنين ... لا أكثر ، ويتطلع إليه لا أقل .

وهكذا يعرض الأستاذ خالد شخصية عمر الذي كان إسلامه استجابة لدعوة الرسول حين دعا الله أن يعز الإسلام بأحب العمرين إليه : عمرو بن هشام «أبي جهل» وعمر بن الخطاب ، وفاز بها عمر ، ووسع الناس بإسلامه خيرا . ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، التي كبرت أمانة الحكم لديه ، فتمثل المسؤولية الدقيقة إزاء هذه الأمانة ، حتى كان دائم المناجاة لنفسه في ظل عمل يظن نفسه أنه غير موفق فيه : ماذا تقول لربك غدا ؟ .

البحث من مخطوطة ابن الإمام كان يكفي بدل تسجيل نص المخطوطة التي جاءت صفحاتها في حوالى أربعين صفحة أيضا ، وكنا نود أن يستغل هذه الصفحات الثمانين في صلب موضوع، المحفة وهو موضوع الكتاب، لاسيما وأن المؤلف لم يناقش آراء المستشرقين في المحفة وهى كثيرة ، ولم يكن في مراجعته إلا كتاب المستشرق « باتون » .

ومع هذا فالكتاب جدير بأن يتخذ لنفسه مكانا فى المكتبة الإسلامية .

٥ — القضاء والقدر

للأستاذ عبد الكريم الخطيب الأستاذ عبد الكريم الخطيب قدم فى العامين الأخيرين بضعة بحوث إسلامية أخذت مكانها فى المكتبة الإسلامية ، وهذا كتاب جديد يعرض قضية القضاء والقدر بين الفلسفة والدين ، سنكتفى بالتعريف به فى هذه المرة لنعود إلى مناقشته مرة أخرى لجدارته بالمناقشة والنقد ، لأنه يتناول مشكلة دينية خطيرة ، لا زالت تشغل الأذهان ، ويختلف حولها كثير من العلماء والفلاسفة والمفسرين .

والبحث دراسة كاشفة لمفاهيم ثلاثة :
« الجبر والاختيار . الأسباب والمسببات .
الخير والشر » .

أما الكتاب فى مجموعه فهو يقدم بشهادات من الفقهاء والمحدثين للإمام وترجمة موجزة لنشأته ، ثم يعرضه كشخصية واضحة ، ويتناول قصته مع المعتزلة ، والنص الكامل لرسائله على الجهمية والزنادقة ، وما لقيه من اضطهاد فى حكم المأمون وأخيه المعتصم ، والوائق والمتوكل بنى المعتصم ، ثم انفراج الأزمة فى عهد الأخير وإقبال الدنيا على الإمام وتعرضه لمحنها .

وفى الكتاب تسجيل لقصة « خلق القرآن » ، وهى مخطوطة نادرة لابن الإمام ، ثم للنص الكامل لكتاب الإمام عن الصلاة .

الحق أن المؤلف بذل مجهودا فى كتابه الذى يقع فى ثلثمائة وأربعين صفحة تقريبا ، والمراجع التى اعتمد عليها مراجع أصيلة ، ولم ينقصه جانب التحليل السريع لكثير من الأحداث والمواقف ، ولا المسحة التاريخية لها ، فجاء الكتاب بعد ذلك رحلة ذهنية ونفسية يقطعها للقارى فى أيام معدودة .

إلا أنه من الملاحظ أن فضيلة المؤلف لم يتقيد تقيدا تاما بالعنوان الذى رضى به لبحثه ، فهو كما نعلم « الإمام أحمد بن حنبل » بين محنة الدين ومحنة الدنيا ، ولا نظن أن إضافة رسالة الإمام عن الصلاة إلى الكتاب وهى فى أربعين صفحة مما يتصل بموضوع الكتاب ، كما أن الاستشهاد بما يستلزمه

تخلّصت عنهم الدنيا ، أو منحتم الأيام نعمة الابتلاء ، والنفس في حاجة ماسة إلى الترويح ، لاسيما إذا كانت وسيلته جولة روحية ممتعة في كتاب الله وأحاديث رسوله وحكم السلف الصالح . .

٧ - إصلاح

للأديبة السيدة عزيزة الأبراشي

هذه قصة تدور حول قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين ، وهي قصة جديرة بالتقدير ، ودليل جدارتها تقريرها في وزارة التربية والتعليم للإقليم الشمالي .

إن هذه القصة انتزعت وقائها من صميم المجتمع الذي تحيا فيه ، كما يقول ناشرها ، الذي رأى في نشرها تدعيا لأخلاق هذا الجيل الذي كثرت أمامه المزالق وأغراه ما في الحضارة الحديثة من تهور وانطلاق . .

وحوادث القصة تدور حول فتاة عاشت في بيئة منحرفة متحللة ، حاولت أن تتمرد على تقاليدنا لنعود إلى حظيرة الأخلاق الإسلامية ، ولقيت صعابا ومتاعب ، وجاهدت جهادا عنيفا ، حتى استوت في النهاية على سفينة النجاة . .

محمد عبد الله السمران

قدم المؤلف لبحثه بمدخل يتناول بإيجاز عالم ما وراء المادة ، ثم اتبع هذا المدخل ببحث عن الإنسان هذا الكون الصغير ، ثم أفرد المؤلف بابا للجبر والاختيار عند الإنسان ، وبابا للخير والشر إذ كان القضاء والقدر متعلقا بهما ، ثم يجيء بعد هذا مبحث القضاء والقدر ، وينتهي الكتاب بخاتمة تؤيد أمرين : الإيمان بالقضاء والقدر ، وترك المنازعة في القدر والتعقيب عنه .

والبحث في مجمله دراسة منطقية متعمقة ، وبجهود فكرية ضخمة لا غنى لباحث عنه .

٦ - نيل الممزنين

للشيخ محمد محمود يوسف

فضيلة المؤلف لقي ربه بالأراضي الحجازية قبل أن يرى هذا الكتاب ، وموضوعه : جولة روحية ممتعة ، في حقيقة الدنيا ، وحكمة الابتلاء ، ووسائل النجاة في هذه الحياة ، وألوان من الحكم والطرائف الشبيهة ، ثم موعظة أبي الحسن . . على الرضا بن موسى الكاظم ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ثم أرجوزة تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي ، وهي في المواعظ والحكم ، وكذلك الموعظة الشعرية لصالح بن عبد القدوس .

إن موضوع الكتاب فيه تسلية حقا للذين

بريد المجلة

وفاء الأستاذ أحمد شفيع السيم :

نعت مشيخة الأزهر في الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ إلى ربوع العربية وديار الحنفية فضيلة الأستاذ الكبير أحمد شفيع السيد أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية كما نعاه تلاميذه المدرسون الأوائل بوزارة التربية والتعليم ، فكان لرحيله المفاجئ وقع أليم في الدوائر الدينية والتربوية والأدبية ، وتصادفت عليه زفريات حارة لم يحبسها أنه انتقل إلى سعة عفو الله ورضوانه العليم .

لقد ظل الفقيد قرابة خمسة وعشرين عاما بمنصبه في الكلية يغرس في نفوس أبنائه حب الأدب والعلم وينمي ما يبرز من المواهب والملكات تنمية يسدها للبصر الثاقب ويحوطها العطف النبيل ، فكان درسه الأدبي سلسلة تتصل بدروس من سبقه من أشياخ الأدب السلفي كالمرصني والمهدي والسكندري وعبد المطلب ، وكان رحمه الله راوية لا يشق له غبار فهو يحفظ من شعر الجاهلية والإسلام وتراث بني العباس والأندلس ما لا يكاد يلم به سواه ، ومن جميل ما يحمد له أنه كان يروي كثيراً من

القصائد السياسية المعاصرة التي كانت تقوم بعض الأسباب دون إذاعتها كهجاء المنفلوطي لعباس ، ومرثية محرم لأبراهيم الورداني للفدائي المصري ، وكلام بيرم التونسي في فؤاد ، وحديث شوقي عن هرابي ، فيمتعنا بهما في مجالسه إمتاعاً يزيد ما يرويه من الطرائف الأدبية التي تزدهم بها كتب الأمل والنوادر ، وله في هذا الميدان سبق ظافر ، حتى إن حديثه العادي لا يخلو من نكتة ذوقية أو تورية فنية يرسلها عفو الساحة كما تجيء .

وكان من عاداته أن يتبسط مع طلابه في الموازنة والنقد تبسطاً سمحاً نبيلاً ، حتى ليروق له أن يتخلى عن بعض آرائه تشجيعاً لطالب أبدى ملاحظة مهمة ، أو عقب على شرحه بجديد ، وأذكر أني عارضت بعض آرائه في ابن زيدون مندفعاً في مغالاة أمام زملائي بالفصل ، فابتنم الرجل ابتساماً من يستمع إلى التأييد لا التفنيد ، ثم أطرى وجهة نظري إطرأ مشجعاً ، وبما قاله إذذاك إن سلامة المقدمات دليل لا يخلط على صواب النظر مهما اختلفت النتائج بيني وبينه ، فكانت سماحته الكريمة درساً لا أنساه ،

البحرئ سلاسة ورونقا ، وقد اشترك مع مع زميله الأستاذ محمود رزق سليم فأخرجنا كتابا حافلا عن الأدب الحديث وزعمت ملازمه متفرقة على الطلاب دون أن يجمع ، وله غير ذلك مقالات ذائعة وبحوث شواردة .

أما أخلاقه الكريمة فشاهدنا القوى على أصالتها المتينة أنك لا تعرف بين زملائه للعلماء وأبناءه الطلاب إنسانا واحدا لا يلجج بالثناء عليه ، فقد كان رحمه الله يعيش لغيره لا لنفسه ، وكثيرا ما تردد على المصالح العامة والوزارات المختلفة في شئون الضعفاء من ذوى الحاجات متحملا كل هنت وإجهاد لينهض بعائر ، أو يذهب بمحنة ، وقد يعطى من مرتبه المحدود إذا أعوزت الحاجة وقامت الموانع ، وله في هذا المجال أنماط من الفتوة الإسلامية جديرة أن تعيد مجد الأريحية وقصص المروءة ، ولست أحاييه في ذلك فقد تقدم إلى عمله بين يدي الله ولم يبق للحجابه مجال يتوهمه الناس ، وكان يحشم نفسه الرد على كل رسالة تأتيه في شأن من شئون البذل والمسعى بعد أن ينفق غاية الجهد في تهقيق ما يستطيع ، كما كان يسطر لزملائه وطلابه رسائل بديعة تبتدى دائما باسم الله وحده والصلاة على نبيه ثم تفيض بضروب من المثل الأسائر والثقافية الشرود كما نعهد في رسائل حفنى ناصف ومحمد المويلحي

كما أنى حدثته ذات مرة عن أسباب الخلاف الأدبي بين زكى مبارك وعبد العزيز البشرى ، ومضت سبعة أعوام أصدر بعدها ترجمة حافلة للبشرى ، وفي خلالها ما حدثته به منسوباً إلى في عطف وتشجيع .

ولد رحمه الله بالإبراهيمية شرقية في أبريل سنة ١٩٠٣ ثم التحق بالأزهر عشر سنوات نال بعدها شهادة العالمية سنة ١٩٢٦ متخطيا بعض سننى الدراسة عن طريق الامتحان الخارجى حيث لا يمنع القانون إذ ذاك ، ثم اشتغل بالحاماة الشرعية فترة قصيرة جاوزها إلى التدريس بالمعاهد الدينية تسع سنوات فانتقل بعدها إلى كلية اللغة سنة ١٩٣٧ وصار أستاذ الأدب بها كما تقدم ، وقد أشرف على كثير من الرسائل العلمية التى تقدم بها طلبة تخصص المادة فى البلاغة والأدب فكان يقترح الموضوع ويعيد مراجعته ويرسم منهجه ، حتى أعان نخبة ممتازة من طلابه أصبحوا بعد حين زملاءه بالكلية فرعوا له حق الإرشاد والتوجيه ، ولم يشغله التدريس عن التأليف فأصدر كتابا عن الأدب الفاطمى والأموى ورسالة قيمة عن المتنبي وأربع مجموعات مختارة من أدب العصور ، كما كتب عدة تراجم تحليلية للبارودى والمنفلوطى والبشرى وصنى الدين الحلى ، وله ديوان شعرى ينحوفيه منحنى

وحزه فتح الله مترسما في أكثرها طريقة
ذوى البلاغات من صدور القرن الرابع الهجرى
مترسلا تارة ، وساجما تارات ، فهو مرة

أبو حيان ومرات ابن العميد ، ولك أن تزيد .
أما ديوانه للشعرى فسأجعله موضع حديثي
القادم في مجلة الأزهر ، وإني إذ أستمطر
عليه سحاب الرحمت أنلو قول الله عز وجل
يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك
راضية مرضية ، وإنا لله ؟

وقد دفعني إلى كتابة هذا ما أعرفه من
حرص الأستاذ البجاجة الشديد على تقويم كل
تعبير معوج . وردده إلى أصله العربي السليم ،
وهو حرص يشكر عليه أجزل الشكر ؟

أصمروا سم أصمروا

مدرس أول بقنا الإعدادية للبنين

هل يجوز بناء موانيت تحت المسجد ؟ :

وجه السيد محمد علي حسين ، من عدن ،
السؤال التالى إلى لجنة الفتوى بالأزهر وإلى
لجنة الفتوى بإدارة الوعظ .

«مسجد قديم قد تحرب في عدن وأراد
أهله إعادة بنائه ، وليس له موارد
ينفق عليه منها ويخشى أن تعطل إقامة
الشعائر فيه ، فهل يجوز بناؤه بحيث يجعل
أسفله حوانيت ليصرف من ريعها على مصالح
المسجد » .

فأجابت عنه اللجنة بهذا الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين ، أما بعد : فننيد بأن ذلك جائز شرعا
لا حرج فيه كما هو صريح مذهب الإمام أحمد
رضى الله عنه ، قال في « كشف القناع » ،

محمد رجب البيومي

إلى صاحب اللغويات :

قال العلامة الأستاذ محمد علي النجار في
لغوياته التي نشرت بمسدد المحرم سنة ١٣٨١
تحت عنوان « فلان كفف للعمل » .

« وقد نهى الأستاذ الجليل محمد خلف الله
عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية إلى أن
الاستعمال المنقود . . » .

وقد لفت نظري في تعبيره السابق أنه
هدى الفعل « نه » إلى مفعوله الثانى بحرف
الجر « إلى » والصواب أن يعدى بعلی :
فكذا ورد في المعجمات :

ففي « مختار الصحاح » - المعجم المدرسى -
« ونهه أيضا على الشيء وقفه عليه فتنبه هو
عليه » .

وفي القاموس « وهذا منبهة على كذا » .

فهل إذا تهدم ما حولها واستغنى عنها تزول
صفة المسجدية مراعاة لزوال هذه الأسباب
أو لا تزول مراعاة للأثر الذي حدث
واستقر ، فقد جاء في فتح القدير - الجزء
الخامس صفحة ٦٤ - ولو خرب
ما حوله واستغنى عنه يبق مسجدًا هند
أي يوسف لأنه إسقاط منه فلا يعود إلى
ملكه ، وعند محمد يعود إلى ملك الباني
فصار كحصير المسجد وحشيشه إذا استغنى
عنه ، وجاء في حاشية ابن عابدين -
الجزء الثالث صفحة ٥١٣ - ولو خرب
ما حوله واستغنى عنه يبق مسجدًا عند الإمام ،
والثاني - أي أي يوسف - أبدا إلى
قيام الساعة وعاد إلى الملك - أي الباقي -
أو ورثته عند محمد .

فرأى محمد ، وهو من أئمة الأخناف ،
أن المسجدية تزول عن المسجد عند ما يهدم
ما حوله ويستغنى عنه ، ويرجع أصله إلى
المالك أو ورثته وحينئذ للمالك أو لورثته
أن ينصرفوا فيه من جديد حسبما يشاءون .
بل إن المسجد يجوز أن ينقل من مكان إلى
مكان آخر للصلحة ، وينزل عن المكان
الأول صفة المسجدية ؛ فقد جاء في المغنى
لابن قدامة - الجزء السادس كتاب الوقوف
والعطايا - د لنا ما روى أن عمر رضى الله
عنه كتب إلى سعد لما بلغه أنه قد نقب

الجزء الثاني صفحة ٤٧٣ طبعة العامرية
لشرفية : (ويجوز رفعه ، أي المسجد ، إذا
أراد أكثر أهله ذلك ، وجعل تحت سفله
سقاية وحوانيت ، نص عليه في رواية أبي
داود) والله تعالى أعلم .

ووضعت لجنة الفتوى التابعة لإدارة الوعظ
بالأزهر البحث التالى عن هذا الموضوع :
لم ترد نصوص من الكتاب والسنة
تتناول هذا الموضوع بخصوصه ولذلك اجتهد
الفقهاء فيه على ضوء المصلحة العامة التي
أكدت وجوب مراعاتها النصوص الكثيرة
من الكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين
والسلف الأخيار .

ومن هنا اختلف الفقهاء في جواز استغلال
شغل المساجد ببناء الحوانيت والمساكن
أو عدم جواز ذلك ، وفي زوال صفة
المسجدية عنها إذا تهدمت أو استغنى عنها ،
أو عدم زوالها تبعاً لرعاية المصلحة أو لرعاية
التعظيم المطوب لها ؛ ففي حاشية ابن عابدين -
الجزء الثالث صفحة ٥١٢ - د إن شرط
كونه مسجدًا أن يكون سفله وعلوه مسجدًا
لينقطع حق العبد لقوله تعالى : وأن المساجد لله .

بقاء صفة المسجدية وزوالها :

أما بقاء صفة المسجدية أو عدم بقائها
فيرجع إلى الأسباب المباشرة في إقامتها ،

تعليقه — إذا أراد أكثر أهله — أى أهل المنطقة التى يقع فيها المسجد وجعل تحت سفله سقاية وحوانيت .

رأى اللواتي :

والذى نراه أن خلاف الفقهاء فى أمر الحوانيت أو السكنى فى سفلى المسجد أو فى علوه لا يقف أمام الضرورة ؛ فإن المساجد — كى يبقى الإشراف عليها ويدوم الاهتمام بها — لا بد لها من موارد ثابتة ، وقد تكون هذه الموارد حوانيت لتجارة أو بيوت للسكنى فى سفلى المسجد أو فى علوه . وقد اعترف بالضرورة كمبدأ عام فقهاء الحنفية ومثلوا لها بضيق مساحة البلدة وكثرة السكان فيها فقد روى عن أبى يوسف أنه جوز الوجهين — أى العلو والسفل — حين قدم بغداد ورأى ضيق المنازل فكأنه اعتبر الضرورة ، وروى محمد بن الحسن أنه حين دخل الرى أجاز ذلك كله أى بناء الحوانيت والمساكن فى السفلى والعلو ، فتح القدير الجزء الخامس ٦٣ والله أعلم .

فضل بعض الأيام برعة :

لبعض الأيام فى الإسلام تاريخ وذكريات كيوم بدر وفتح مكة ، وبعض الأيام قدر وقداة كالبيت الحرام والمسجد الأقصى .

بيت المال الذى بالكوفة : انقل المسجد الذى بالتمارين واجعل بيتاً فيه قبلة المسجد ، فإنه لن يزال بالمسجد مهمل ، وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، وقد ذكر ابن قدامة هذا الدليل بعد أن ساق الخلاف فى هذا الموضوع يقوى به رأى الخبابة فى جواز نقل المسجد وزوال صفة المسجدية عنه تبعاً للصحة .

بقاء الحوانيت :

أما بقاء الحوانيت بأسفل المساجد أو استغلال علوها للسكنى فقد حكى ابن قدامة خلاف الفقهاء فيه وقوى الجانب الذى يرجحه حيث قال فى المغنى - الجزء السادس كتاب الوقوف والعطايا — « إذا جعل علو داره مسجداً دون سفلى أو سفلى دون علوها صح . وقال أبو حنيفة لا يصح لأن المسجد يتبعه هواؤه . ولنا أنه يصح بيعه ويصح وقفه كالدار جميعها ولأنه تصرف يزىل الملك إلى من يثبت له حق الاستقرار والتصرف فجاء فيما ذكرنا كالبيع ، وجاء فى كتاب الدين الخالص للشيخ محمود خطاب « ويجوز نقض مناره وجعلها فى حائط المسجد لتحسينه ويجوز تحويل بابها من جهة إلى جهة أخرى للحاجة ويجوز رفعه أى

ولا يمن عليه ، ويكرر الدعاء مرة أخرى لرفع البلاء ومرة أخيرة لمنع الشقاء والاستغناء عن الناس ١١ . ويعتمد الداعي على ما فعله في هذه الليلة ويركن إليه ثم يفعل ما بداله بعد ذلك معتقداً أن دعاء النصف يجب كل

خطيئة ويمحو كل سيئة .

أما النصوص الشرعية التي يعتمد عليها الباحث ليعلم أن كل مظاهر هذه الليلة بدع دخيلة لا تقرها الشريعة الصرفة الخالصة ، ومفتريات زائفه ومحدثات باطلة وأضاليل وأباطيل من هذه النصوص ما جاء في كتاب العارضة للقاضي أبي بكر بن العربي : « ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه ، وفي كتاب الأحكام « ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لا في فضلها ، ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليه » . وقال الإمام النووي في كتاب المجموع « صلاة الرغائب لأول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان بدعتان منكرتان » .

ولا يغتر أحد بأنهما ذكرا في كتابي : قوت القلوب ، وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما إذ أن كل ذلك باطل . وهناك غير ذاك من الأدلة على أن هذه الليلة ليلة عادية تحيا كسائر أخواتها من ذلك

ولبعض الليالي والأمسيات أضواء ونفحات كليالي الإسماء ، والمجرة ، والقدر فهي من أمسيات الله التي توحى بذكريات تحيا بها موات القلوب وتطامن بها من نزعات النفس ونزغات الإثم .

وقد امتدت المغالاة إلى بعض الليالي فألصقت بها ما ليس منها ، وأضفت عليها ما تبرأ الحقائق منه ، وما تؤيد الأسانيد بطلانه . وليلة النصف من شعبان من هاتيك الليالي التي تطاول عليها التمجيد والتشويه حتى كاد يطمس وجه الحقيقة : إذ اعتمد البعض على أحاديث واهية واهنة ، وأقوال مرهضة عن فضلها ومكانتها وأن من صام نهارها وقام ليلها ودعا بدعائها في مسجد مع جماعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت أوضاره ومجترحاته مثل زبد البحر ! وهطل عليه الرزق من حيث لا يدري ولا يحتسب ، ومن بعد ذلك كله ينسخ الله عمره المحدد ويكتب له في هذه الليلة عمراً جديداً مديداً ١١ .

فلا عجب أن رأينا العامة ومن لا يعرف المساجد ولا تعرفه بيوت العبادة يسرع إلى المسجد قبيل غروب شمس يوم النصف من شعبان ويصلي ركعتين بنية طول العمر ، ثم يرفع يديه مع الرافعين ويجأ بالدعاء الموضوع الخاص بها وهو اللهم يا ذا المن

مصيبه الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل .

وعن هذه الليلة يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في كتابه الفتاوى ص ١٧٥ ، « والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط فضل شهر شعبان كله لا فرق بين ليلة وليلة ، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير ، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص ؛ تدريباً للنفس على الصوم وإعداداً لاستقبال رمضان ؛ حتى لا يفاجأ الناس فيه بتغيير ما لو فهم فيشق عليهم . وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أى الصوم أفضل بعد رمضان ؟ فقال : شعبان لتعظيم رمضان . أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعاؤها فإنه لم يرد فيها شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول ، .

محمود بن الشريف

عضو مراقبة الكتاب
بوزارة التربية المركزية

ما أورده الحافظ بن الجزري في كتابه « الحصن ، والفقيه أبو شامة في كتابه « الباعث » .

وقد أزال المغفور له الأستاذ الإمام محمد عبده ما ران على وجه هذه الحقيقة من سمائب وشوائب فقال في ص ١٣٢ من تفسيره جزء « هم ... أما ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان وأن الأمور التي تفرق فيها هي الأرزاق والأعمار ، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك في ليلة القدر فهو من الجرأة على الكلام في الغيب بغير حجة قاطعة ، وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشيء من ذلك ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم . ومثل ذلك لم يرد ؛ لاضطراب الروايات وضعف أغلبها ، وكذب الكثير منها .

ومثلها لا يصح به الأخذ في باب العقائد ومثل ذلك يقال في بيت العزّة ونزول القرآن فيه جملة واحدة في تلك الليلة ، فإنه لا يجوز أن يدخل في عقائد الدين لعدم تواتر خبره عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه وإلا كنا من الذين قيل فيهم « إن يتبعون إلا الظن ، وقد وقع المسلمون في هذه المصيبة :

Re-organisation of Al-Azhar University is a new revolution

By

Abd El-Moneim Khattab

More than one thousand years ago, The Fatimi leader "Gawher" had built Al-Azhar Mosque. He had built it to be a place for worshipping, but gradually, the Mosque has become, not only a place where prayers are performed, but also a school where Muslims receive religious educations.

At present time, the government of revolution issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. The new law stipulates that besides the faculties for Islamic studies, other faculties will also be established for Engineering, Industries, Agriculture, Medicine and Administration.

Moreover, the law maintains that Al-Azhar is the greatest Islamic authority, upholding Islamic heritage and its dissemination, and the graduation of highly educated men of

Religion who participate in all fields of activity and production, besides being the cultural tie that binds Arab, Islamic and foreign institutions. According to the articles of the law Arabic will be the language of studies, other foreign languages will be taught compulsory and Al-Azhar will undertake everything related to higher education and research.

Also, the law stats that the university degrees will be made equivalent to other United Arab Republic universities. The facultie's degree will be equivalent to B.A. the Specialisation degree will be equivalent to the M.A., And the scholar degree in Islamic or Arabic Studies will be equivalent to Ph. D. . Due to the new law, Al-Azhar has become, not only a religious university, but also a civic one which shares in all fields of Religion and life.

which is situated on the east. A road about 90 k.M. long joins Mecca with Guda. The Former's height above the red sea level is about 280 Meters.

The sacred temple is situated in the middle of Mecca. Its area surface is about four feddans and a quarter. In the midst of the sacred mosque there is a building about 15 meter height and its area surface about 150 square meters. Its ceiling is adorned with attractive ornaments and set up on three pillars made of aloes wood, every pillar is about a quarter meter and it is built of strong blue stones.

This building is called Kaaba or the house. At times it is called the sacred home or the aged one. It is the Kibla of all Moslems throughout the world. Kibla or the prayer niche, is the place towards which all the prayers direct their faces and hearts.

The stone situated there now is a symbol which shows the place where Abraham stood up to pray.

It is ment by evident signs or plain memorials, the proofs that show the truth of Mohamad and that he

calls unto the way of God on the basis of Abraham religion.

It is ment by "who entereth it is safe" that it is a place protected from harm or hurt, God says. "Have they not seen that we have appointed a sanctuary immuve (for violence) while mankind are ravaged all around them? Do they then believe in false and disbeliene the bounty of Allah" (The surah of the spider verse 67).

God replies Abraham's request to make it safe when he raised up his eyes to the sky and prayed for safety "And when Abraham said "My Lord made safe this teutory and preserve me and my sons from serving idols" (the Surah of Abraham, verse. 35).

In the end, pilgrimage is not a compulsory duty, but one must be able to shoulder its task at first and foremost.

In fact, God is not in need of people. Mohamad is but a messenger, Messengers like of whom had passed away before him. He whom does not believe and he who turns back does no hurt to Allah, and Allah will reward the Handful.

Mohamed does not call the people to do something quite different from what the prophets before him had called.

God says "He hath ordained for you that religion which he commended unto Noah, and that which we inspire in thee "Mohamed" and that which we commended unto Abraham and Moses and Jesus saying : Establish the religion, and be not divided therein. Dreadful for the idolaters is that unto which thou callest them. Allah chooseth for himself when he will, and guideth unto himself who turneth (to reward him) (Surah the counsel V. 13).

In another place God emphasizes this case plainly. He says "And strive for Allah with the endeavour which is his right. He hath chosen you and hath not laid upon you in religion any hardship, the faith of your father Abraham (in yours). He hath named you Muslims of old time and in this (scripture) that the messenger may be a witness against you, and that ye may be witnesses against mankind. So establish worship, pay the poor-due and hold fast to Allah. He is your protecting friend. A blessed Patron and a blessed Helper!"

Pilgrimage is one of the clear proofs that Islam is the same religion of Abraham. The sanctuary that Abraham had built with the help of his son Ismael is held in high respect and estimate in Islam.

To clarify this point of view God says : " Lo ! the first sanctuary that was founded for mankind, was that in Becca-blessed and a guidance to human beings.

In it are evident signs, even the standing place of Abraham, and he who entereth it is safe. And the pilgrimage to the temple is a service due to God from those who are able to journey thither. And as to him who believeth not, verily God can afford to dispense with all creatures!" (Surah, the family of Imran, verse, 97).

If was said that the angles or Adem or his son shayth had built the Kaaba, but this is mere imagination. It is a matter of fact that it had been erected up by the Prophet Abraham and his son Ismael "And when Abraham and Ismael were raising the foundations of the house. Abraham prayed : Our Lord, Accept from us (this duty) Lo ! thou only thou, art the hearer, the knower." (the Surah of the cow. verse 127).

It is not meant by the first sanctuary that it was the first one which had ever been built on the earth, but it is meant that it is the first sanctuary appointed with the view to worship God sincerely.

Becca is Mecca and it is called in some Arabic references "the mother of villages". Its harbour is Guda

THE FIRST SANCTUARY

BY

Dr. Gamal Eldin Al-Ramadi

The jews spared no effort to hinder Islam from spreading amongst the Arabs. They left no stone unturned, and used all the weapons of wickedness, mischievousness, slander, and calumny for that purpose.

They surrounded Islam with an atmosphere of falsehood. They pretended that the delicacies which God prohibited had been prohibited for many years ago on Noah, Abraham, Israel, and the children of Israel. They were not the only people interdicted from enjoying delicacies owing to their oppression.

The jews pretended that, with the object to deny all sorts of oppression and iniquity relating to them and to accuse the glorious Qur'an of being wrong.

But God says "Because of the wrong doing of the jews we forbade them good things which were before made lawful unto them, and because of their much hindering from Allah's ways and of their taking usury when they were forbidden it, and of devouring people's wealth by false pretences. We have prepared for

those of them (who disbelieve) a painful doom" Surah the women verse 160.

God reveals their falsehood several times and shut their mouths with God's outstanding proofs. God says in the surah of the family of Imran.

"All food was lawful unto the children of Israel, save that which Israel forbade himself (in days) before the Torah was revealed. Say : produce the Torah and read it (unto us) if ye are truthful.

[The Surah of the family of Imran verse 93].

Amongst their hollow lies they pretended that they followed the religion of Abraham and simulated that it did not differ from their religion with the intention of preventing the people from adopting Islam and inducing them to stick to the jewish religion.

God defies the jews once more and declares frankly in His glorious book that Islam does not differ from the old religion of Abraham, and

has forbidden the adornment of God which He has brought forth for His servants and the good provisions?" (Verses 31-32, Surah 7.)

These verses do not call man to ignore the actuality of life. The second verse does not deny the adornment, while the other asks one to attend to his adornment especially at the time of devotion. Islam wants man not to prefer the life of the world on the other one. Qur'an says "Our God, give us (thy bounties) in this world!" But they will have no portion in the Hereafter. And there are men who say "Our God, give us good in this world and good in the Hereafter, and defend us from the torment of fire!" (Surah 2. verses 200-201.)

To prefer world on the Hereafter, means to prefer materialism on spiritualism which is the human values that can be conceived by the human mind and which one considers it the goal of his life. These values are justice, respecting relationship,

and human brotherhood ... etc. Because the spiritual existence will last for ever, the religion calls it Hereafter. And in the Hereafter, God will reward one or punish him according to his deeds during his life in the world.

Thus, Islam in its orientation of man, neither changes his nature, nor outweighs one side over the other. It wishes to create an identity for the human being. That identity is dualistic, contradictory and positive. It may be subjected to materialism and perhaps controls it. That identity feels the tangible things, and thinks over the unseen ones, it may be influenced by the actual life and it may affect the sensational world and controls it.

Equitably and justly, Islam deals with that identity in all aspects of life. And because Islam is the normal source of orientation, it is the religion of mankind. Therefore, the society which strives hard to achieve a better life, should embrace Islam as its faith and system of life.

which He has multiplied in varying colours (and qualities): Verily in this is a sign for men who celebrate the praises of God (in gratitude). It is He who has made the sea subject, that Ye may eat there of flesh that is fresh and tender, and that Ye may extract there from ornaments to wear; And thou seest the ships therein that plough the waves, that you may seek (thus) of the bounty of God, and that you may be grateful. And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you; and rivers and roads; that you may guide yourselves. And marks and sign-posts and by the stars (men) guide themselves. Is then who creates, like one that creates not? Will Ye not receive admonition? If Ye would count up the favours of God, never would Ye be able to number them: For God is oft-forgiving, most merciful." (Surah, the Bee, verses 4-18).

Not only the Qur'an describes the human nature as a positive and printable nature, or does not affected by sensational world but also appeals to human mind and comprehension for a rational judgement. So Qur'an says "Surely there is a sign in this for a people who reflect" "Surely there are signs in this for a people who understand."

It is quite obvious that mind

cannot correctly judge, unless it is impartial and also out of any imprisonment. In order to issue a sound judgement, Islam wants man not to neglect his sensational life, but to raise his reasonable ideas upper it. The next verses explain these facts clearly "And in yourselves, do you not see" (Surah the wind, verse 21).

"And gave you ears and eyes and hearts, little it that you give thanks" (Verse 9. Surah 32).

"And God brought you forth from the wombs of your mothers-you know nothing and He gave you hearing and sight and hearts that you might give thanks." (Verse 18. Surah 16.)

In his loneliness, man can comprehend Divinity as well as he can apprehend that, from his actual life. Thus, man with the help of his thought, can be above the material actuality, with touch of it and without being far from it. To enable minds to issue a reasonable judgement, Islam wants people not to be under pressure of actuality and its influences. From this comes the meaning of the Asceticism in Islam. Asceticism does not mean to shun the actual life, but it attracts only the attention against resignation to materialism. Qur'an says "O children of Adam, attend to your adornment at every time of prayer." „Say: who

actual and sensational world, dismissing the relation between this orientation and the human nature.

Surely, materialistic or actuality in any orientation, gives the interest to man's life through its actuality alone. Hence, it is not more suitable to the human nature, than the ideal rationalism, which only considers the thinking and understanding, without giving the effects of actual existence upon man's life any consideration.

From the above mentioned facts it can be concluded that, if there is a reasonable orientation, which heeds the contradiction of the human nature, and heeds also the influences of the actuality upon man's life, this orientation will be more suitable and comfortable for the human nature. It will lead the man and his society to the required goal to realize a better human standard.

Islam is the natural origin of orientation :

But, is Islam the origin of that reasonable orientation? Does it call the Prophet to be connected with the actuality and to examine it in the same time? Surely, when Islam calls one to believe in God, it guides him to come nearer to actuality, and also to seek proofs, of the existence of God, in his actual life. Qur'an says :

"He has created man from a sperm-drop; and behold this same (man) becomes an open disputer! And cattle He has created for you (men): From them you derive warmth, and numerous benefits, and of their (meat) Ye eat. And Ye have a sense of pride and beauty in them, as you drive them home in the evening, and as you lead them forth to pasture in the morning. And they carry your heavy loads to lands that you could not (otherwise) reach except with souls distressed: For your God is indeed most kind, most merciful. And (He has created) horses, Mules, and donkeys, for you to ride and use for show, And He has created (other) things of which Ye have no knowledge. And unto God leads straight the way, but there are ways that turn aside: If God had willed, He could have guided all of you. It is He who sends down rain from the sky: From it Ye drink, and out of it (grows) the vegetation on which Ye feed your cattle. With it He produces for you corn, olives, Date-palms, grapes, and every kind of fruit: Verily, in this is a sign for those who give thought.

He has made subject to you the Night and the Day; the Sun and the Moon; and the Stars are in subjection by His command: Verily in this are signs for men who are wise. And the things on this earth

do not exactly represent the principles of that orientation as it is supposed to be, especially when it is examined by an impartial mind. However close the people reaction to these principles, it may be rejected by some of them, at least, in their interior feelings. They also cannot respond themselves with the principles of this orientation. Hence, we cannot consider this orientation as a true representation for this society.

Actually, the "deeds of the people of Al-Madinah" are not considered in the view of the Shafie school as an islamic regulations, although the Malakite school considered it as an islamic rules explained by the Prophet "peace may be upon him". In this respect, Shafie said "I only accept the authentic and uttered Hadith". It is quite apparent, that the deeds of Al-Madina people — that Shafie considered it as an incomplete proof for the authentic Hadith — are of those who had been closely associated with the Prophet and the time of revelation. They were the first pioneers of Islam, and nearer to the islamic teachings than the others, therefore, we must put their time and society in our consideration. The Prophet Mohamad Said "The century in which I live is the best, then those who come after mine, then those who come after them".

According to these two main sources, we come to conclusion that, when the principles of any orientation are compatible with the human nature in its formation, its development and also its entention; it will be completely convenient, especially, in guiding people and getting their interest. This will be realized after purifying their minds of other sediments so completely and replacing it with the new and the good.

Confidently, the human nature can be discribed as a nature of rational animalism and nature of spiritual materialism. It contains both dualistic and antagonistic. Moreover, it always inclines to have a connection with the sensational world, although it has the direction to be separated from it.

The human nature also has the ability to invistigate the actual existence of life, and also it can be affected by it. Being directed by a certain orientation and continuously affected by the actual existence, the human nature, or what so called the sensational world has been removed away from its normality, as if it is guided by another orientation to be higher than the actual existence, and to have the ability of testing this orientation. It will be, as far as it is away from the connection with the

enemy, so long as they are not aggressors. In this respect, Qur'ansays "And if they inclined to peace, incline thou also to it and trust in God, surely He is the hearer, the knower".

[Surah the fighting, verse 61].

Moreover, Islam neither degrades the unbelievers, nor deprives them any of their rights. It treats them kindly and justly, so long as they are not tyrant or aggressors. Qur'an says "And let not hatred of a people incite you not to act equitably. Be just that is nearer to observance of duty, and keep your duty to God".

[Surah the Table, verse 8].

Islam differs from other ideologies, which direct modern societies in thier attitude towards unbelievers, whether they are individuals or communities. These modern philosophical ideologies attempt to limit the scope of Islam and its effect, to a certain period, namely, the period of the prophet Mohamad "peace may be upon him", to a certain place which is the Arabian peninsula, and also to a certain people that is the primitive arabian tribes. They also claim that Islam cannot contribute its share towards the development of the modern human civilization, and also cannot keep what it already have obtained through this civilization.

Therefore, they presumes that, to be a Muslim is to remain at the primitive stage or to cease the human progress to advance, and both the two, actually, are contrary to the human ever changing nature.

Surely, the criterion upon which the validity of Islam or the other modern ideologies, Such as Democracy, capitalism and Socialism ; is the human standard which assure the main human characteristics. The more, the principles of Islam or the modern ideologies, nearer to the human standard, is the more valid and suitable for human life. On the contrary, the more deviate and away from it, is the more unsuit to the human nature and unfit to the desirable life which man yearns and endeavours to attain through the stages of his life, from infancy to maturity.

Undoubtedly, the above mentioned standard is the goal of every one in his life, it is also the main purpose of the orientation in the name of the Divine guidance or the name of enlightening by means of knowledge, knowledge that comes from the contemplation of the universe or from the activity of the human minds.

As a matter of fact, when any human society is controlled by a certain orientation, its experiences

Actually, the party of the stooges of colonialists was indebted, in several ways, to the other party that held tight and adhered to Islam. It was kept away from belonging to colonialism, it felt dignity and honour because of maintainance and defence of their country against the colonialists, instead of gaining them because of serving the enemy. Now, it is the seventh year, since the beginning of the Algerian war against french colonialism. The only motive for going on this long struggle is their belief and religion. Thanks to old Algerians who cultivated islamic teachings into the minds of youngsters. The french colonialism, in order to destroy the algerian nationalism, forbade the young men of learning Arabic language and attending mosques. Moreover, prevented teaching glorious islamic history, and at the same time, french imperialists provided their schools with false-knowledges about Islam, while glorifying France and its civilization. Nevertheless, the struggle broke out and continued, mainly because of the algerian belief in God and Islam. Surely, it is the duty of all governments of the islamic states to revise their glorious history and that of their oponents for considering their turn, knowing that those who had embraced the islamic values, facilitated their way to leadership after gaining independence, and being

sure that the existence and power of their country is not in ignoring Islam and its teachings, but in keeping the islamic spiritual and intellectual heritage.

Muslim's conduct does not represent Islam :

However, it is not our will to justify the Muslim's present condition in any society, also not to pick up the islamic teachings from their recent state as the the Orientalists mostly did. As a matter of fact, Muslim's conduct does not represent the islamic teachings completely, but the Qur'an and the prophetic traditions are the two fundamentals which represent, fully, Islam and its teachings.

Indeed, Islam is the religion which deals with all societies, it controls the structure of individuals and families, the relationship between person and another and also between Muslims and those who reject faith.

The present policy of some of the great nations is to depreciate any citizen who does not believe in their ideology, while other nations regard, as their enemies, any nation does not follow their policy and carries it out. But Islam due to its universality, neither harms any society which opposes its ideology and its way of life, nor regards it as an

Islam and its teaching, with some of islamic studies written by the European Orientalists into their own languages. The aim of these studies was to undermine the relations between Muslims and their religion. In such studies for example, they assumed that the Prophet Mohamed "peace may be upon him" was of excessive sexual inclination, more than a person of devine message, because he married more than a woman. Also, they defamed Islam claiming that its spread was by sword not by complete conception. They tried to misinterpret the fundamental principles of Islam, such as Al-Jehad in God's way, the Muslims unity and Divorce. They explained Al-Jehad as an aggression and presumed that the untiy of Muslims induce isolation and cut the relations between Muslims and others.

Moreover, they said that Divorce results in disintegration of family life. Muslims do it only to have a chance to satisfy their sexual lusts. It is said also that Islam is the religion of primitive people, hence, it does not suit the recent human civilisation. Being fit for people of the past, does not mean that it is suitable for people of the present time.

Those who have their culture in a western style, when they read these notions cannot refute or deny them, because what they know about

Islam is limited by the outwardly features of their Muslim citizens. Unfortunately, these features on the hand of habits and customs, express their stagnation, while on the hand of behaviour, they denote to their laziness and headlessness of indulging into a new progressive life.

But mostly, those western cultured believe in the notions of the Orientalists, about Islam, its principles and Prophet. This may be why they strongly wish to turn the Islamic society, keeping religion's guidance away from the society's affairs. They attempt to confine Islam to be limited in worship, to be a mere relation between man and God without any connection with other individuals or societies.

Verily, the belief of this group in Islam and God — although wrongly understood — caused disturbance to colonialists and drove them out of the country. As a matter of fact, the present independent islamic societies did not obtain their freedom as a result of the international organization efforts, but their liberty was due to the strugggles of patriots in God's way. Therefore, all the islamic nations enjoyed their liberty and freedom as a result of Al-Jehad, one of the important islamic principles which, wrongly, considered by the imperialists as an aggressive extention.

ISLAM AND SOCIETY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

When the colonialists evacuated the Islamic countries after the national movements which delivered them from its grip, and consequently, they obtained their political independence, the Islamic societies started to observe the contemporary societies which have been progressed in the industrial and scientific researches and they are trying to develop their national economical standard everywhere.

As a result of these efforts, the economical standard and the individual income increased. However, it is necessary also that these societies should look for the reasons and factors of its weakness and backwardness in the past, to eliminate it out completely.

But where these reasons and factors are? Are they in being far from Islam and its principles as mentioned in Qur'an and prophetic traditions? Or are they realized in the adherents of Islam, those who are following its principles and carrying out its teachings?

A sort of colonialism was evacuated, but another one was attempting to enter in the same time. The first one, which faced the national independence movements, succeeded in dividing the society into two parties. Colonialists prepared the first party to help them in the interior governmental affairs. Naturally it was nearer to their aim and intention, but far away from Islam and its principles.

The other party, embraced the Islamic values and principles, therefore, the colonialism weakened and humiliated it. The Islamic principles and values, after this separation, became a matter of controversy between these two parties, especially when one of them accepted the Islamic teachings and proceeded with moulding the life according to it. Meanwhile, the other party developed an aversion to the other's ideas and tried to displace Islam completely, particularly from being a way of life.

During the period of occupation, colonialists used to supply their party, who was keeping away from

at all times and places. For the call to be always successful, it must be properly owned both materially and spiritually. All these forces were provided by both the call and the personality of the greatest emigrant "Mohamad peace be upon him".

As a matter of fact, present day emigration, is an image of emigration in olden times, when the believers had conquered the infidels and scored a great Victory over them. Nowadays, Muslims exchange visits and their leaders are doing their utmost to serve their best interests. They could conquer the imperialists, and drove them to withdraw from their lands.

This Victory has come as the realisation of God's promise to true Muslim in the Quranic Verse: "God had promised, to those among you who believe and work righteous deeds that He will, of a surety, grant them in the land, inheritance (of power), as He granted it to those before them, that He will establish in authority their religion — the one which He has chosen for them, and that He will change (their state), after the fear in which they (lived), to one of security and peace: They will worship Me (alone), and not associate aught with me, if any do reject faith, after this they are rebellious and wicked".

[Sûrah Al-Noor, Verse 55].

had met with the hostility and antagonism of his family (koraish), because he had destroyed their idols and attacked their creeds and principles. The example set by the Prophet in resisting and eliminating the wrong, must therefore be followed by every one. The great harm done to Him by the people of Mecca, at the commencement of his call, must inspire our minds with lofty values. His conduct was to emigrate from a place of tyranny and aggression, to one of security and peace. When He found that it was difficult to plant his new principles in the land of Mecca, the prophet made his way to the good land of Medina where He preached his new Religion and sowed its good seeds, following in this matter the saying of God "From the land that is clean and good, by the will of its cherisher, springs up produce, (rich) after its kind: But from the land that is bad, springs up nothing But, that which is niggardly".

The call of Islam is a universal one, It is for all peoples be those, in Mecca or in Medina, in the East or in the West. It is a call for all places and times as well. Therefore it is the duty of true Muslims to preach this faith and build it up on a basis of

good society which accepts and performs its duties according to islamic instructions, right principles and best conduct.

The memory of the emigration its causes and results, must bring to the mind of true believers a sense of the greatness of the principles of Islam, lead them along the right way which humanity at large must follow at critical periods of its history and guide them to solve their problems in peace.

O Muslims, how I wish to recommend you to liberate your hearts from sins and to glorify no one besides God. This will lead the tyrants and the aggressors to fear you and respect you as well. I advise you to free your character from bad habits and hateful customs to win the hearts of all mankind. I advise you to liberate your souls from despair and to live your life in peace and brotherliness. I also advise you to preach your Religion all the world over with keenness and islamic enthusiasm. Many a wrong call had succeeded through international trickery and persistence its falsehood. For example the imperialists depended on such persistence in preaching their tyrannical principles, and their efforts unfortunately met with success, but a wrong call cannot remain successful,

those who die in sin against their souls, they say "in what (plight) where ye?" They reply: "weak and oppressed were we in the earth" They say: "was not the earth of God spacious enough for you to move your selves away (from evil)? Such men will find their abode in Hell — what an evil refuge?". (Surah, the Women, section 14. verse 97).

As a matter of fact, emigration leads to solidarity which is the cause of success and victory of nations. The emigrants of Mecca had mobilized themselves and formed with the inhabitants of Medina the great force which conquered idol-worshippers, stamped out their kingdom and established Right on solid foundations. Verily, the Prophet's emigration was a victory bestowed on both the Prophet and his faithful followers by God. The Qur'an states in this context "If you help not (your leader), (it is no matter): For God did indeed help him, when the unbelievers drove him out: He had no more than one companion: They were two — in the cave — and He said to his companion "Have not fear, for God is with us".

This was indeed a great triumph and good support for the Prophet — peace be upon Him — and all

the believers. It is also a good lesson for those who preach: good and virtues, belief in God and freedom, right, justice security and peace. It teaches them how to struggle against evil, aggression, idolatry and slavery.

Emigration had changed peoples' tendencies and inclinations. It turned them from the way of evil and misery to the path of good and happiness. Emigration resulted in heathens sitting aside the worship of their idols, believing heartily in their Creator, asking only their God's help, seeking salvation from their plight, substituting Right for wrong, light for darkness, freedom for exploitation and slavery, strength for weakness and prosperity for poverty. It had laid the foundations for a happy life and guided peoples to permanent security and peace.

One who preaches new principles usually faces difficulties and obstacles, especially if his Call has any relation with religion, faith or morality. This is because human souls would resist any change. Peoples usually are devoted to what they inherit from their predecessors whether it be faiths, habits or traditions. So was the Call for Islam. Prophet Mohamad — peace be upon him —

INSPIRATION OF PROPHETIC EMIGRATION

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

O Muslims, peace be upon you.

The emigration from Mecca to Madina by Prophet Mohamad and his faithful friends, is one of the most outstanding events in Muslim annals. It was an effective factor in the spread of the Religion, the Victory of Right and the defeat of the wrong.

The emigration brought the emigrants close to other peoples with whom they concluded consequent upon these contacts and agreements, emigrants developed into an independent nation and issued local laws to regulate and control relations with its neighbours. These laws constituted strong foundations for the structure of a super society, they also helped towards the regulation of emigrants, dealings on a basis of justice, equality and peace with their new neighbours.

The Prophet's emigration was both spiritual and corporeal. Mohamad with a group of devoted followers had left their Motherland and abandoned their families and properties for the sake of the Religion with their hearts and souls full of unshakeable faith and profound belief in it. They were confident that God would not accept the emigration merely of the body, but required also the emigration of the soul.

The Qur'an glorified emigration as a religious rite, as well as one of the duties of every Muslim who can afford it if circumstances would justify emigrating. The Qur'an further stated that a wronged Muslim who has the ability to emigrate, but would not do it, is considered — in the sight of God — as one who has abandoned the prayer.

In this respect the Qur'an says: "When angels take the souls of

his first khaliph (Abu Bakr), then to Omer's finger afterwards. The ring was put in the finger of Othman who was very careful to keep it, and who did his utmost in doing so until he went, one day, to the well of Arice, so as to revive the memory of the prophet by visiting the well and sitting in its shed, the matter to which Othman as well as Omer and Abu Bakr was accustomed since they had gathered together with the prophet in this very shed.

On this day, Othman took the ring off his finger and began to move it between his fingers, but unfortunately it fell into the water. Then Othman and the people strived hard searching for the ring through the water but in vain. Othman was very sorry to lose the ring of the prophet and it occurred to his mind that the lost ring was both a supporting force and guiding light. When Othman lost the ring, he did not despair of God's aid, but he doubted himself to be so efficient as the two khalifs before him; Omer the hero of the shed and Abu Bakr the hero of Apostasy. Consequently, he authorized some of his relations to rule over the people in his name. Those authorized agencies, ruled the people according to their passion and were subjected in their ruling to favoritism and sectarianism, the matter

which extended the disorder and dissention and led at last to the atrocious assassination of Othman on the hands of the rioters.

The above mentioned indications which are the symbols of the language of Destiny were written on both the face of Othman and on the pages of his history. Symbols that were interpreted by the successive happenings one after the other. These happenings were as a whole a group of sufferings met by Othman who financed and supported the army of Ushrah "difficulty".

The genuine predications of the prophet concerning Othman and his fate, were items of revelation that show genuineness of the great leader who was chosen by God to deliver his noble Call. Through this genuineness, the prophet was able to choose this refined group of emigrants in which hearts, the prophet sowed the seeds of piety, to which hands he delivered the torch of struggle and on which shoulders, he put the responsibility. Then the prophet left the world, left it sure of his follower's capacity, looking with satisfaction at them building mosques and expanding Islam on both Roman and Persian Empires.

the people of Paradise, and that he will also suffer certain misfortunes" said the Prophet that was chosen by God to deliver his mission and to receive his revelation. When Abu Mousa told Othman this bad news and congratulated him for the good tidings, Othman the martyr entered, but he did not find a place for him on the bench, then he sat down facing them on the other side of the well.

It was the will of God that the five persons who have greatly influenced both the life of Arabism and the history of mankind, to be gathered together on the board of this well abounding in life among these arid sands and deaf stones. Those five persons were : The God's Prophet who had led through God's light, all the errant mankind to the most straight way and to the noblest end. The second was the two Khaliphs of the Prophet (Abu Bakr and Omer) who have proceeded with the Call after him, made up the preaches, strengthened the weakness during the year of Apostasy and extended the light of Islam beyond the Arabian peninsula. The third was the Khaliph through which the Prophet's prediction came true and who suffered the predicted misfortune that caused the dissension and disrupt of the Muslim nations. The last one was the Judge of the arbitration who was taken in by Amr son of

Al-Aass to issue the Judgement that fractionalized the united nation into two different nations and that made of the one compact religion seventy two conflicting sects.

But the well of Arice has certain other indications in the life of the third khaliph. These indications are as follow : The sitting of the Prophet and the two Omers (Omer Ben Al-khattah and Abu Bakr) beside each other on one Side of the well, and the sitting of Othman alone on the opposite one, was interpreted by said Ben Al-Mosaiab as a sign that the Prophet and the two omers will be tombed together in Aaisha's room, and that Othman will be tombed alone in another place.

The Prophet's prediction of Othman's misfortune, was a grieve that fill Othman's heart now and then, but Othman used to relieve himself from this grieve by means of his staunch believe in God, his firm believe in Distiny assigned by God, and his strong will to sacrifice his soul and money in the cause of God. The latest one of these indications was the fall of the Prophet's ring in the well of Arice. The story of this ring was that the prophet used to put a silver ring in his finger through the latest period of his life. After the death of the prophet, the ring found its way to the finger of

Abu Mousa traced the prophet's footsteps, untill he reached the well of Arice. Then he entered its shed and found the Prophet sitting down on a bench built around the well. No sooner had he saluted the Prophet, than he was taken by the power of the prophet's majesty and solemnity, that he said to himself "I shall be the Prophet's doorkeeper today".

A while after, a knock at the door was heard. "Who is knocking at the door" said the pious doorkeeper : "This is I." Answered Abu Bakr "This is Abu Bakr asking permission said Abu Mousa to the Prophet". At this moment, the Prophet was considering the numerous hardships that has befallen him, his people, and his companions for the sake of the Call. He was also remembering the emigrants' sincerity, their keeping of pledges and sufferings of expatriation, poverty and harm for the sake of God's pleasure. Then the Prophet was filled with admiration and contents. So when He heard Abu Mousa mentioning the name of his friend at home, and his companion in the cave of Hirâa, he said to Abu Mousa "let him enter, and tell him that he will be one of the people of Paradise."

When Abu Mousa allowed Abu Bakr to enter and informed him of the good tidings, he entered and sat

down beside the Prophet on the bench. Abu Mousa returned once again to the door, expecting his brother to come, because he let him completing his ablution, with the intention of joining him at the Prophet's presence, while he was coming to the Prophet. But Abu Mousa said to himself : "If my brother comes at this moment, he shall have share of this prophetic goodness that would benefit him in the Hereafter. But this goodness was the share of Omer who was at that instance knocking at the door. "Who is it?" said Abu Mousa in a hast and eagerness. "It is I." said Omer. "Wait a little" said Abu Mousa and he went to the Prophet to take the permission." let him enter and tell him that he will be one of the people of Paradise". Then Omer entered and sat down beside the Prophet and Abu Bakr on the bench. Abu Mousa returned again to the door, listening from behind it to any movement, hoping that it may be his brother footsteps. After a short time the door was knocked at. The matter which made Abu Mousa's heart beat rapidly and made the hope shown on his face. "Who is coming?" said Abu Mousa. "This is I" answered Othman son of Affan. Then Abu Mousa asked him to wait, and went to the Prophet to take permission for the new commer. "Let him enter and tell him that he will be one of

ON THE WELL OF ARICE

from the memories of Rabia Al-Awal at (Yathrib) Tiba

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

On one splendend morning of the spring in the lunar month of Rabia Al-Awal, and along the quiet way of the sacred city Tiba (Yathrb), The Prophet "peace be upon him" went out searching for calmness and contemplation. The Prophet who was accustomed to loneliness in the deserted cave of the mountain of light (Gabal Al-Nnoor), was still preferring the lonelinss as he was fond of thinking and contemplating, as means of approach to God. So he directed himself to the west of Yathreb, towards the mosque of Qubâa. He went alone besides the walls in good humour and with thankful spirit, wached by all and endeared in every heart, till he reached the well of Arice.

This spacious and pure well was protected against the sun by a shed of palm trees branches. That shed had had a door and was surrounded by gardens and fields everywhere. The Prophet entered the shed as he was accustomed to do so every

monday, so as to practise his solititude. After he had performed his ablution, the prophet sat down on a bench built on the edge of the well and indulged in silent devotion, clear of every sign of worldly affairs. Such spiritual prophetic worship, that approaches the Prophet to his God, links earth with heaven, legislation with reality and the finite with the infinite, is not to be conceived, neither by the minor human mind, nor through the defective earthly explanation. The worship of Mohamad at the well of Arice was aiming, like his worship at the cave Hiraâ, at seeking the aid and support of God through inspiring contemplation on God's wisdom and power.

On that particular day, Abu Mousa Al-Ashâri got up from his bed aiming to accompany the Prophet all the day. He looked for him in the mosque but did not find him, then he enquired about his place and was told that he has just led his way to the distrect of Qubâa, so.

مجلة الانهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الانهر في اذن كل شهر

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المستشار

إدارة اجمع الأزهر

بالقاهرة

ت ٤٦٤١٤

يشترك في المجلة

عبد الرحمن بن عبد القادر

بدل الاشتراك

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة

٥٠ خارج الجمهورية

والمدارس والطلاب يتفقد في

الجزء الخامس - جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ - أكتوبر ١٩٦١ م - المجلد الثالث والثلاثون

سما الله العليم الغني

شخصية البحري

بمعلم : أحمد حسن الزيات

الاحتفال بشاعر الشام الأكبر ، و نابغة
العروبة الخالد ، تكريم لذكراه ، و تحية لفنه ،
و التكريم و التحية يقتضيان الاقتصار
على ما يجعل ذكره من اخلاق الشاعر و صفاته .
و ذلك يتسنى لمن يتحدث مختاراً عن جانب
من جوانب سلوكه ، أو مزية من مزايا فنه .
أما من اقترح عليه أن يتحدث عن شخصيته
فالأمر معه جدد مختلف . ذلك لأن شخصية الرجل
هي صورته الممنوية تركبت من آثار الفطرة
و الوراثة و البيئة و الطبيعة و نمط العيش و نوع

الثقافة و لون الحضارة . و لأولئك كله خطوط
و ألوان و ظلال ، منها المستقيم و المعوج ،
و السوى و الشاذ ، و البارز و المستتر ، و بدونها
كلها لا تسكن الصورة و لا تقيم المعرفة . فإذا
صورت البحري على الطريقة الواقعية التي
تعتمد على اعترافه و شهادة مواطنيه ،
لا على الطريقة الخيالية التي صور بها هو
ممدوحه ، كنت أقرب إلى إرضاء الحق
و انصاف التاريخ . و هذا للبحري في الطباع
و شخصيته على هذه الصورة حال المجتمع في عصره .

(*) نص الكلمة التي ألقيت في مهرجان البحري يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦١ بجامعة دمشق .

يرد على سمعه ما تتناقله الأفواه في القرية والبادية عما ينال الشعراء في قصور الخلفاء والأغنياء من الجاه والثراء، وبخاصة مواطنه أبو تمام فيطمح إلى ذلك، وينظر في نفسه فيعجبه خاطره يسبح بالشعر على البديهة دون علم بالعروض إلا ما اكتسب بالسليقة، ولا بصبر باللغة إلا ما أخذ عن الأعراب، فيعلم أنه أوتي الملكة وأعطى الوسيلة فيقرض الشعر في كل شيء، ويشده في كل مكان.

قال صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجى :
رأيت البحترى هنا قبل أن يخرج إلى العراق
يمدح أصحاب البصل والبادنجان ويشد الشعر
في مجيئه وذهابه، ومعنى ذلك أن البحترى
بدأ يتكسب بالشعر في قريته على هذه الصورة
المبتذلة، لأنه قرر في نفسه أن يتصيد رزقه
في محور الشعر تارة من السمك وتارة من اللؤلؤ.
وما كان لفق منبج الطامع الطامح أن يقنع بالبصل
والبادنجان، دون اللؤلؤ والمرجان، وهو الذي
تمرد منذ صباه على الفقر وقضى العمر كله
في جهاده، جاهده بسلاح الشعر وحده لا بالعلم
ولا بالعمل، وسلاح الشعر يدركه القلول
في بعض الأوقات لإعراض خليفة أو صدور
وزير فلا يعمل، فيضطر إلى التنقل من قصر
إلى قصر، أو التحول من بلد إلى بلد، فكانت
حياته حياة الطائر الغرد، قوام عيشه حنجرة
وخيمة وجناح خفاق ومنقار لاقط، يغني

فقد كان العصر الثاني من عصور الدولة العباسية
عصر نزاع على الخلافة وصراع بين الأجناس
وصدام بين المذاهب وخصام بين الأسر
وتنافس في الثروة والجاه، وتدفع في الترف
واللهم. وتورط في الشهوة واللذة. والشاعر
الذي يعيش على صلات الخلفاء والرؤساء
مقضى عليه أن يسامر ويشارك ويهاوى
ويحتال، فيخرج من الرأي إلى تقيضه، وينقلب
من الرجل إلى عدوه.

شخصية الوليد أبي عبادة البحترى شخصية
الإنسان المطبوع والفنان الموهوب، كانت
إنسانيته لا يختلف معناها عن معنى الحيوانية
في اكتساب القوت لتحيا، واجتناب الأذى
لتنجو، وكانت فنيته لا يبعد مداها عن
أن تكون وسيلة لهذه الحياة، تهيئ لها عدة
القوة، وتمد لها أسباب العزة كما يقول :

ل من الشعر نجوة واعتزاز

وهجوم على الأمور الشداد

كان الشعر في عصر البحترى للشاعر بمثابة
الغاب والظفر للسبع، يبتغي الرزق بالمدح،
ويتقى الأذى بالهجاء. والذي جعل للشعر
هذه الوظيفة تلك الحساسية المرضية التي توارثها
العرب للمدح استجابة لدواعي العصبية وطمعا
في خلود الذكر، وكان البحترى وهو صبي
يرتع بين أشجار الثوت في منبج، أو يتنقل
وهو يافع بين مضارب طي على الفرات،

كان البحترى فى سبيل حب المال يبتخل به ويحرص عليه . وهل للبخل معنى غير حب المال ؟ فإرواه أبو الغوث ابنه وحكم ابن يحيى ، وأبو مسلم محمد بن الأصفهاني من حديث شحه على نفسه وقتيره على خادمه وأخيه ليس بدعا من أخلاق الشعراء فى ذلك العصر ، فقد كان البخل طبعا مكتسبا فيهم لم يخل منه إلا أفراد قلائل غيبتهم نشوة الخير عن الفكر فى المستقبل فعاثوا فى الحاضر يوما بيوم ، كسلم بن الوليد وأبى نواس ، والشعراء البخلاء منطلقون مع الحياة ، يصنعون ما تصنع النحل والنمل ، يدخرون بعض ما يكدون ليوم لا يكدون ، لأن موارد أرزاقهم لم تكن مضمونة ولا مأمونة . كانوا يعيشون على صلات الخلفاء وأولى النعمة ، ينادمونهم على الشراب ، ويفسأ كهونهم فى السمر ، ويمالقونهم بالمديح ، ويدورون من وراء رضاهم فى السياسة والحكم ، فهم فى خير ما دامت أسبابهم موصولة بالقصر ، فإذا انقطعت انقطع رجاؤهم فى العيش . ولم يكن للجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم جدًّا أهل فى عصر البحترى يسنى لهم طرق العيش الكريم بالتأليف والترجمة والنشر والمعونة ، فكانوا بين محدود كالجاحظ ، أو مكدود كالأخفش . أما الجاحظ فقد سئل يوما عن ثروته فتبسم ضاحكا وأجاب : إنما

حيث يكون الروض ، ويقع حيث ينتثر الحب . فإذا حل الشتاء وطمر الثلج روضه ، وحطم السيل عشه ، قطع أجواز الفضاء وأنباج الماء إلى جو آخر يتوفر فيه الحب والأمن والدفء !

شخصية البحترى ككل شخصية إنسانية لها قوامان : قوام مادية مفتاحه حب المال ، وقوام معنوية مفتاحه حب الجمال وبهذين المفتاحين نستطيع أن نفتح ما استغلقت من طباعه ، ونفسر ما استبهم من سلوكه .

كان حديث أحلامه ومتنجم أمانيه أن يقتنى ضيعة فى منبج ، فمدح من مدح من السادة والقيادة حتى بلغ فى عهد المتوكل فوق ما تمنى . ثم صار همه بعد ذلك أن يمدح الولاة والعمال ليغفوا ضياعه من الخراج . قال أحد بن إسماعيل : كان البحترى يلزم إبراهيم بن المدبر فى كل سنة أن يسقط أكثر خراجيه أو يؤديه عنه . فأراد يوما أن يشتري ضيعة جديدة واستباح إبراهيم أن يؤدى عنه بعض ثمنها ، فلامه على طمعه وقال له : يكفيك ما تملك من الضياع فقد كثرت وعظمت ، فأنشده قصيدة كان قد أعدها بقول فى مطلعها : سفاها تهادى لومها ولجأها . حتى بلغ قوله فيها :

وما زالت العيس المراسيل تنبرى

فيقضى لدى آل المدبر حاجها

فأمر له بإتمام ماله .

أفكر فيما يضحك طمعا في الأخرى فمن لي
أن قلت :

بسرّ مرّا لنا إمام
تغرف من كفه البحار
خليفة يرتجى ويخشى
كأنه جنة ونا
الملك فيه وفي بنيه

ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضربتان

هذى على هذه تغار
وليس تأتى اليمين شيئا

إلا أتت مثله اليسار
فرمى بالدرّة التي كانت في يساره وقال خذها

يا عيارا ، والعيار : المحتال . وقال أيضا
يتحدث عن نفسه : كنا في مجلس المتوكل

ومعنا الفتح بن خاقان ، فاعتزت المتوكل للفتح
هزة من السرور والرضا فقام يقبله ، ووثب

الفتح فقام فقبل رجله . والتفت الخليفة
إلى وقال : قل في الفتح وفي شعرا ، فأنى أحب

أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب هيثى ، ولا
يفقدنى فيذل بعدى ، فقل في هذا المعنى ،

فقلت قصيدة منها :

لا أرتى الأيام ففسدك يا فتح
ولا عرفتك ما عشت ففدى

أعظم الرزء أن تقدم قبل
ومن الرزء أن تؤخر بصدى

أنا وجارية ، وجارية تخدمها ، وخادم ، وحمار .
وقد أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك

الزيات فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت
كتاب البيان والنبين إلى أحمد بن أبى دؤاد

فأعطاني خمسة آلاف دينار . وأهديت كتاب
الزروع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولى

فأعطاني خمسة آلاف دينار . فأنصرفت
إلى البصرة ومعى ضيعة لا تحتاج إلى تجديد

ولا تسميد . وأما على بن سليمان الأخفش
النهوى الأديب فقد ضاقت به الحال في أواخر

أيامه فسأل أبا هل بن مقلة أن يكلم له الوزير
على بن عيسى عسى أن يجرى عليه رزقا في جملة

الفقراء . فلما كلفه انتهره الوزير انتهارا شديدا ،
وأجابه جوابا غليظا ، وكان ذلك في مجلس

حافل ، فبلغ ذلك الأخفش فاغتم ، وانتهت
به الحال إلى أن عاش على السلمج النى ،

ويقال إنه قبض على قلبه من اليأس فمات فجأة .
* * *

وفي سبيل المال كان البهترى يمتال ويتدنّى
وينقل شعره من مقام إلى مقام ، ومن مدوح

إلى مدوح بعد تغيير تقريضه الحال ، قال يتحدث
عن نفسه : ودخلت على المتوكل يوما وفي يديه

درنان لم أر أنقى منهما بياضا ولا أكبر حجما .
فأدمت النظر إليهما ، ولم أصرف طرفي عنهما .

ورأتى المتوكل على هذه الحال فرمى إلى بالى
كانت في يمينه . فقبلت الأرض وجعلت

دعا عبرتي تجرى على الجور والقصد
أظن نسيما قارف الهم من بعدى
خلا ناظري من طيفه بعد شخصه
فيا عجبا للدمر ! فقد على فقد
فلا يسع من اشتراه إلا أن يهبه له ، ولم
تزل تلك حاله حتى مات نسيم فكفى الناس أمره .

* * *

وفى سبيل المال تخلى البحتري بأخلاق
التجار ، فسالم الناس ودعا إلى السلم ، وعاش
الأصدقاء وبرىء من التحيز ، ولا بس العقائد
والمذاهب والطوائف والعشائر وخلا من
التعصب ، ولد في خلافة المأمون ثم تنفس به
العمر حتى جاوز الثمانين ، فاستغرقت حياته
حياة عشرة من الخلفاء تداولوا العرش
العباسي وهو يميد من الفتن والخطوب من
تفارس الخصوم وتنافس العناصر وتنازع
الرؤساء ، وهو مضطر إلى مصانعة هؤلاء وهؤلاء
ليسلم منهم جميعا ، وبغنى منهم جميعا . فمدح
للعلوي والعباسي والعربي والتركي والعسني
والشيحي دون أن يجد غضاضة في نفسه ولا
مشقة على ضميره ، لأنه يمثل المادح ولا يكونه ،
ويتخيل المدح ولا يعينه ، ويقول في المدح
ما يقول ولا يعتقد ، ومن هنا لم يجد صعوبة
ولا حرجا في أن ينقل القصيدة من مدح
إلى آخر ، ولعله لم يقل الصدق إلا في المتوكل
لحبه إياه وإخلاصه له وبلوغه الخطوة
والثروة في أيامه حتى قال فيها :

حسدا أن تكون ألفا لغيري
إذ تفردت بالهوى قبل وحدي
فقال المتوكل : أحسنت واقه يا أبا عبادة
وجئت بما في نفسي ، وأمرني بألف دينار ،
وكنت قد حملت هذه الأبيات في غلام كنت
أكلف به ، فلما أمرني المتوكل بما أمرنا تنجيت
فقلت الأبيات وأريته أني عملتها في وقتي ،
وما غيرت فيها إلا لفظة واحدة ، فإنني
كنت قلت :

ما أرتقي الأيام فقدك ما عشت ، لجعلته
يا فتح ، وقد قتلا معا وكنت حاضرا فربحت
هذه الضربة (وأوما إلى ضربة في ظهره) .
وقد قال الصولي إنه نقل نحوا من عشرين
قصيدة من مدائحه من قيلت فيهم إلى غيرهم
بعد أن غير أسماءهم مع سعة ذوعه في قول
الشعر ١ ، وجدوى هذا أن تجاوز القصيدة
مرتين من غير جهد ولا كلفة .

ويدخل في هذا الباب أمره مع غلامه
نسيم ، فقد قال أحمد بن جعفر جحطة : كان
نسيم ، سلام البحتري ، روميا ليس بحسن
الوجه ، لجعله بابا من أبواب الخيل على الناس ،
فكان يبيعه من بعض ذوى المروءة ممن
ينفق عنده الأدب ، فإذا صار في ملكه مدحه
وتشوق الغلام وشب به وتحسر عليه بمثل
قوله :

أبى الغوث وكان مقبياً معه : قم يا بنى فطحي .
هذه النائرة بخرجة نلم بها شعشنا ثم نعود ،
وهى الخرجة التى زار فيها إيوان كسرى وقال
فيه قصيدته المعروفة . والحق أن البحرى
كان لنشأته القروية للبدوية بعيداً عن مذاهب
الحضرين فى الدين والفلسفة ، فلم يستمد
شعره إلا من إلهام الحاضر ووحى الطبيعة .

* * *

وفى سبيل المال ركب البحرى الأسفار
وهو فى طور الحداثة ، يشهد على ذلك قوله :
وقائلة والدمع يصبغ خدها
رويدك يا ابن الست عشرة كم تسرى
فقلت أحق الناس بالعدم والسرى
طلاب المعالي صاحب الست والعشر
وقوله :

تقاذفى بلاد من بلاد
كأنى بينها خبر شرو
فطوف بالشام ، وجول فى العراق ، وأوغل
فى الجزيرة ، وبين جنبيه الأمل الحافز ، وفى
يديه كتب الوصايا التى زوده بها أستاذه
أبو تمام إلى الممدحين من ذوى المروءات
والرياسات فى تلك البلاد . ولكم أنه كان
دائب الحنين إلى الشام يستوقد شوقه إليها
وافد النسيم من الغرب ، فيقول لنفسه :
حبذا العيش فى دمشق ق إذا ليلها برد
حيث يستقبل الزمان ويستحسن البلد

أو ما ترى حسن الزمان وما بدا
وأفاد فى أيامه المتوكل
أشرقنى حتى كاد يقتبس الدجى
ورطب حتى كاد يجرى الجندل
ومن معانى مسابرة ومهاواته أنه لم يتبع
سياسة معينة ، ولم يعتد نملة خاصة ، وإنما
كان يستن صفة الدولة ويذهب مذهب الحاكم .
حدث إبراهيم بن عبد الله الكفى قال : قلت
للبحرئى ويحك ! أتقول فى قصيدتك التى
رثيت بها أبا سعيد :

أأفاق صب من هوى فأيقنا :

... ..

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم
ويحرفون كلامه المخلوق
أصرت قدرياً معتزلياً ؟ فقال لى : كان
هذا دينى فى أيام الواثق يعنى (أيام كانوا يقولون
بخلق القرآن) ثم نزعته عنه فى أيام المتوكل
(أى حين نزحوا عن هذا القول) .

فقلت له يا أبا عبادة : هذا دين سوء
يدور مع الدول .
وقد اتهمته العامة بالثنوية فى أيام المعتمد
لقوله :

ولم أر كالدنيا حليلة صاحب
حب من تحسن لميفيه تطلق
تراها عياناً وهى صنعة واحد
فتحبسها صنمى لطيف وأخرق
(والثنوية يقولون بالهين إله للخير وإله
شر كما تعلمون) يخاف على نفسه وقال لابنه

كما رووا من أوسخ خلق الله ثوبا وأداة ،
ورساخته الثوب وقذارة الأداة أثر من آثار
حب المال ، وحب الجمال مقتض ، وحب المال
مانع ، وهذا أقوى من ذلك وأولى .

على أن صفة القذارة في الملابس والأثاث
تعلل في أيام الفقر والبداوة والتجوال ،
ولسكنها لا تكاد تصدق أيام النعمة السابقة
والحياة المترفة أيام المتوكل والفتح ، إلا إذا
كانا مجتمعين منه ما كان الوزير المهلبى وزير
معز الدولة بن بويه يحتمل من أبى الفرج
الأصبهاني ، فقد كان المهلبى مترقا منتظسا بأنف
من أن يأكل بالملعقة مرتين ، فكان له عن
يمينه خادم يناوله في كل لقمة ملعقة ، وعن
يساره خادم يأخذها ، وكان صاحب الأغاني
يجالسه ويؤاكله ، وكان قذر الهيئة رث الثوب
لا يغسله ولا يبدله ، فيحتمل الوزير ذلك منه
لعله وحسن حديثه ، وحدث يوما أن المهلبى
كان يأكل معه لونا من ألوان الحلوى صنع له
ونسب إليه وهو المهلبية ، فسعل أبو الفرج
سعلة شديدة خرجت معها نخامة غليظة فوقعت
في الصفحة ، فلم يزد الوزير على أن أمر برفع
الصفحة ووضع أخرى واستأنف الأكل .

* * *

ومن أثر حب البحترى للجمال حبه للطبيعة ،
فقد فتن بها منذ الحداثة في الغيم والصحو ،
والجبال والأمواء ، والحقول والرياض ، كما
فتن بروائع الصنعة في القصور والفخمة والأبنية

أو يقول للمعز :

هل أطلعن على الشآم مبجلا
في ظل دولتك الجديد المونق
شهران إن يسرت إذنى فيهما
كفلا بألفة شملى المتفرق
قد زاد في شوق الغمام وهاجنى
زجل الرواعد تحت ليل مطبق
أو يقول لأبى الصقر :

تراك مخلفى في غير أرضى
وإنها ضى إلى بلدى يسير
وأعتقت الزمان فر بعثى
إلى بلدى ، وأنت به جدير

ذلك بعض ما يفتحه علينا حب المال
من شخصية البحترى ، أما ما يفتحه حب
الجمال منها وهو مفتاحها الآخر فشكل ما يفتق
عن روحه ونفسه وقلبه وذوقه من الأعمال
والاحلال ، ولكن هذا المفتاح المعنوى
لا يمكن أن يفضى بنا الباب الذى يفتحه إلى
جانب مسقط من حياة الشاهر له بميزاته
وخصائصه ، فإن العناصر المادية والمعنوية
تقارب وتضارب وتتفاعل فيؤثر بعضها
في بعض ، ويتأثر بعضها ببعض ، فلا يكون هناك
حسن محض ولا معنى خالص ، فالأناقة التى
اشتهر بها البحترى في تنسيق ألفاظه وتنسيق
جمله ، وهى أثر من آثار حب الجمال ، تفارقه
في اختيار هندامه وتأنيث بينه ، فقد كان

أصبا الأصائل إن بركة ثممد
تسكو اختلافك بالحبوب السرم
لا تنجي عرصاتنا إن الهوى
ملقى على تلك الوسوم المحمد
دمن موائل كالنجوم فإن عفت

فبأى نجم فى الصباية نمتدى
فهل تجدون فيما قرأتم أبدع من هذا
التصوير وأرق من هذا الوصف وأصدق
من هذا الشعور؟ ولكن الذى يكشفه هو أن
تسألوه : مالك ولبرقة ثممد وليس لك
فيها خولة؟

إن زيف الغزل للبحترى جاء من زيف
حبه ، ويعيد أن يحب المرأة الحب الصادق
من لا يحترم جفنها ولا يثق به ، أليس هو
القاتل فى النساء ؟

وعلى غيرهن أحزن يعقو
ب وقد جاءه بنووه عشاء
وشعيب من أجلهن رأى الوحدة

ضعفا فاستأجر الأنبياء
واستزل الشيطان آدم فى
الجنة لما أغرى به حواء
وتلفت إلى القبائل وانظر

أمهات ينسجن أم آباء
ولعمري ما المعجز عتدى إلا
أن تبيت الرجال تبسكى النساء

* * *

ومن أثر حبه للجمال النفس حبه للصدقة

العجيبة كايوان كسرى وبركة المنوكل وقصر
المعتر بالله ، وقصائده فى وصف هذه البنى
أمثلة فريدة فى الشعر العالمى ، وهل تجدون
أبداعاً وأرق من قوله فى وصف ليسة صافية
ساجية نلالات نجومها وأطاق دجاما :

كاد دجى الليل من طلاقته
يقمر والأفق ساقط قمره

ومن أثر حبه للجمال كلفه بالجواري
والغلمان ، فقد أحب وهو يافع علوة الحلبية
وهى من قيان الشام ، وكان حبه إياها صبوة
من صبوات المراهقة فأنهى بالجفاء منها
وبالهجاء منه . ثم رحل إلى العراق فشارك
شعراده فى حياة اللهو والمتاع ، وتبع الجمال
فى مظهره المؤنث والمذكر ، ووصف الحب
فى حاله الخيالى والواقع . ولكن حبه
البحترى كان حبه الشهبان العايت لا حبه
الولهان المقيم . أحب المرأة بحسه لا بنفسه ،
وتغزل فيها بلسانه لا بتلمبه . فذهب فى الغزل
كمنهجه فى المسدح : يصور أحوال المحبوب ،
كما يحلل أخلاق الممدوح ، من ذاكرته وخياله ،
لا من وجدانه وواقعه ، والفضل فى إخفاء
هذا الزيف عن القارى إنما هو لبراعة ذهنه ،
وعبقريته فنه ، وواقعية خياله ، وقدرته على
تصوير النفس الإنسانية تصويراً مجرداً
يصدق جوهره على كل نفس . استمعوا مثلاً
قوله يتغزل :

ظلمت به عند المبرد قائلاً
فما زلت في ألفاظه أتبرد
فقال لى : قد كان يسمعك إذا لم تحمد إلا
تذم ومالك هندی جزاء إلا أن أخرجك .
والفكته التي اصطادها من الحر ومن معنى
المبرد هي التي ووطته هذه الورطة .
كذلك كان من أثر حبه للجمال النفى حبه
للعباقره من كل جنس ، يشهد بذلك قوله في
سيفيته التي وصف بها إيوان كسرى .
وأراني من بعد أكلف بالأشراف
طيرا من كل أس وجنس
وكذلك اعترافه بالجميل لأهله ، وذلك
واضح في قوله من هذه القصيدة نفسها :

عمرت للسرور دهرأ فصار
للتعزى رباعهم والنأى
فلها أف أعينها بدموع
موقوفات على الصباة حبس
ذاك عندي وليست الدار دارى
باقتراب منها ولا الجلس جنس
غير نعمى لأهلها هند أهلى
غرسوا من زكاتها خير غرسى
أيدوا ملكنا وشدوا قواه
بسكاة تحت السنور حسن
وأمره مع أبى تمام شاهد آخر على أصالة
هذا الخلق فيه . فقد روي أن بعض الناس

والصديق فقد كان لطيفته المسالمة ونفسيته
الشاعرة وحاجته إلى المعونة يطالب للصديق
بمحرص عليه ويتمهده . وكثرة أشعاره
في العتاب والإعتاب تدل على استبقاه
الأصدقاء ومعاودتهم ، وقصائده في رثاء
من ذهب منهم تنبئ عن الحزن عليهم
والوفاء لهم . ولقد صادق أبى تمام ودعبلا
والفتح بن خاقان وأبى العيناء والمبرد ومحمد
ابن بسم وإبراهيم الصولى والفضل اليزيدى
وغيرهم من نوابغ العصر فما ذموا هذه
ولا أنكروا وده ، على الرغم مما يكون
بين الأنداد من التنافس والتحاسد . ولكنه
يقول أحيانا لمثل المبرد : أحبك ولكن
الفن أحب إلى منك !

حدثت البحترى نفسه قال : خرجت من
منزل أبى الصقر (أحد وزراء المعتمد) نصف
النهار في تموز ، فقلت ليس بقربى منزل
أقرب من منزل المبرد ، وكان منزلى بعيداً
بباب الشام ، فجئته ، فأدخلني إلى حويشة له ،
وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين وسقاني
ماء بارداً ، وقال لى : أحذرك إلى أن تنام ،
لجعل يحدثني أحسن حديث ، فحضرني لشوى
وقلة شكرى بيتان ، فسألته أن أنشد هما ،
فقال ذلك إليك ، وهو يظن أنى مدحته
بهما ، فقلت :

وبوم كحر الشوق في صدر عاشق
على أنه منه أحسر وأومد

عن أى ثغر تبسم
وبأى طرف تحننكم
فكان يتشادق ويتزاور إلى آخر ما وصف .
فضجر المتوكل من ذلك وقال لى :
بحياتى اجه على هذا الروى الذى أنشدنيه .
فقلت :

أدخلت رأسك فى الحرم
وعليت أنك تنزم
إلى آخر ما أنشد من ركة وقعة ، فالحادثة
إذا قبلنا فى إثباتها خبر الواحد وهو مجروح
بمجهونه ، مهزلة فى مجلس شراب زالت فيه
الكلفة وذابت التفرقة وانطلق المكبوت
من الوعى الباطن ، فما كان من البحترى
كان سورة كأس ونشوة طرب ، وما كان
من الصيمرى كان فرصة تهريج ومهزة دعابة ،
وما كان من المتوكل كان عبثا بالشاعر ولها
بالنديم ، على أن المرة الواحدة وإن وقعت
فى الصححو لا تسكب خلقا ولا تنشى عادة
ولا تثبت نقيصة .

هذه أبا السادة صورة تقريبية لشخصية
الشاعر الأكبر رسمتها فى إطار الزمن المقدر
لعرضها عليكم ، فإذا أضفت إليها بعض
الصفات الخلقية التى تجمعت كل صفة منها
من طريق ، كقول أبى الفرج إن لحيته كانت
سمراء طويلة ، وقول ابن الرومى إن وجهه
البقية على الصفحة التالية

سمع شعره فقال له : أنت والله أشعر من
أبى تمام ، فقال والله ما ينفعنى هذا القول
ولا يضر أبى تمام . والله ما أكلت الخبز إلا
به . ولوددت الآن أن الأمر كما قلت ، ولكنى
والله تابع له أخذ منه لائذ به . نسيبى يركد
عند هوائه ، وأوضى تنخفض عند سمائه ،
والاعتراف بالجميل والحق دليل الاعتداد
بالنفس والثقة بالقدرة .

أما ما نسب إليه مما ينافى حب الجمال
ويجافى سلامة الذوق ففيه نظر وله تأويل .
قالوا إنه كان بغض الإنشاد ، يتشادق
ويتزاور فى مشيته جانبا أو التهمقزى ، ويهز
رأسه مرة ومنكبىه أخرى ، ويشير بكفه ،
ويقف عند كل بيت ويقول أحسنه والله ،
ثم يقبل على المستمعين قائلا : ما لكم
لا تقولون أحسنه ؟ هذا والله ما لا يحسن
أحد أن يقول مثله .

وهذه الحادثة إن صحت لم تقع إلا مرة
واحدة كانت فى مجلس المتوكل ، ولم يروها
إلا رجل واحد كان أبا العنبر الصيمرى ،
وهو رجل ماجن مزاح كان ينادم رضاع
الكأس فيخترع لهم الأضاحيك ويروى
الأكاكى ، قال يروى هذا الخبر لجملة :

د كنت عند المتوكل والبحترى ينشده :

الفاعل في اللغة العربية

بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا في العدد الماضي عن المقارنة بين لغتنا واللغات الهندية الجرمانية في موضوع الجملة الإسمية والجملة الفعلية ، وأشرنا إلى رأى بعض المستشرقين الذين يعملون غلبة الفعل على الإسم في ابتداء الجمل بالقدرية الشرقية وانطباع الشرقيين على إبطال كل فعل غير فعل القدر ، مع إنكار الثبوت ، على الشخصية الإنسانية ... وقلنا في مناقشة ذلك أن لغة الضاد تستخدم كلا من الجملتين الإسمية والفعلية في موضعها ، فهى أوفى من غيرها في هذا الباب ، وأن الفاعل لا يكون في كل جملة إنسانا أو كائنا حيا ، فلا محل هنا للقول بإنكار الشخصية الإنسانية . ونعرض في هذا المقال لمقارنة أخرى بين

د بقية المذثور في الصفحة السابقة ،

الخالص والعروبة الفنية والإسلام الصحيح ، فإنما بفضل ما حباها به الله من زكوة التربة وأصالة الفطرة وفنون الطبيعة قدمت إلى هيكل الشعر في حبيب والوليد وأحمد (عزاء ولاته ومنااته) كما قال ابن الأثير ، وأعادت إلى العرب الخلق سبق الشعر من غلبهم عليه من الشعراء الموالى بإنجاسها العباقرة الخمسة : أبا تمام ، وأبا عبيدة ، وأبا الطيب ، وأبا فراس ، وأبا العلاء . فالاحتفال بالبحترى احتفال بها ، وتسكريم البحترى تسكريم لها ، والله سبحانه وتعالى يخلد في رحمته وجنته روح الإبن ، ويكأل بعينه وعونه حياة الأم .

أحمد حسن الزيات

كان مسنونا ذنوبا ، وقول أبى العلاء إن قدميه كانتا كقدمي ديك ، وقول الصولي إن جسمه كان قصدا بين الطول والقصر وبين العمن والهزال ، وإن بدنه كان معاني طول عمره لا هتداله ، فلم يشك علة في جسمه ، ولا عقدة في نفسه ، استطعنا أن نتبين من خلالها على اختلاطها وإجمالها ، معارف هذا الفنان العظيم الذى حمل قيثاره الشعر بعد أبى تمام فزاد في أوتارها وتر الوصف الدقيق المصور ، وفي ألحانها لحن الغزل الرقيق المعبر ، فكان خليقا بقول صاحب المثل السائر فيه : د أما البحترى فأراد أن يشعر فغنى ، والفضل في فضله إنما كان لأمه الشام مثابة الأدب

المبنى للعلوم وصيغة المبنى للجمل .
ويظهر الفارق في الدلالة على المعاني المختلفة في
استخدام الفعل في الجمل المفيدة على حسب دلالتها .
فإذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن
يهمه أن يعرف من الذي فتح الباب .

وإذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر
موجهاً - أيضاً - إلى سامع يهمه أن يعلم شيئاً
من الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه لا يعرفه
أو يخبره بأنه يعرفه ولا يريد أن يذكره .
ولكن هناك حالة غير هذه وتلك ، وهي
حالة إنسان ينتظر فتح الباب ولا يعنيه من
الذي فتحه كما لا يعنيه أن يقول له المتكلم إنه
يجمله أو يسكت عنه .

في هذه الحالة يقول العربي : « انفتح الباب »
فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين
الحالات التي ينتظر السامعون خبراً عن فاعل
الفتح ، معلوماً كان أو مجهولاً أو مسكوتاً عنه
مع علم السامع به تعمداً لإخفائه أو لإهماله .
واللغة الدقيقة التي استوفت وجوه الدلالة
هي اللغة التي تلاحظ مقتضى الحال في كل
عبارة من العبارات الثلاث ، ولا تستخدم
عبارة واحدة لموضعين ملتبيين ، بل تستخدم
كل عبارة لموضعها الذي لا لبس فيه .

وهذه هي صفة اللغة العربية في وقاها
بالمعاني المقصودة على حسب إرادة المتكلم
والسامع ، أو على حسب ضرورة التفاهم
بين الإثنين .

لغتنا وتلك اللغات ، وهي المقارنة بينها في
موضوع الفعل المبنى للعلوم والفعل المبنى
للجهول ، وهو موضوع له اتصال بموضوع
الفاعلية ، واستعداد اللغة لإثبات الفاعل
على حسب درجاته من الأثر أو درجات العلم
به عند السامع .

فاللغة المبنى للعلوم موجود في لغتنا وفي
اللغات الأخرى ، ولكن صيغة المبنى
للجهول تختلف كثيراً بين هذه اللغات ،
لأن اللغة العربية تدل على المبنى للجهول
بصيغة خاصة في أوزان الفعل الثلاثي والفعل
الرباعي أو الخماسي أو الفعل المزيد على الجملة ،
ولكن اللغات الأخرى تدل على المبنى للجهول
بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على
كلتا الحالتين .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول
« فتح الباب » بصيغة المجهول ، ولكن العبارة
الأوربية التي تدل على ذلك تقابل قولنا
(إن الباب يكون مفتوحاً ، أو إن الباب
صار مفتوحاً) وهو تعبير يخلو من دقة الصيغة
العربية ، لأنه أقرب إلى الوصف منه إلى
الإخبار ، ولا سيما للتعبير الغالب عندهم
وهو ما يقابل قولنا (إن الباب مفتوح) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها
عندهم . وهي صيغة الفعل المطاوع ، فيقول
القائل (انفتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى
لا تدل عليه دلالاته الدقيقة كل من صيغة

لأنها أوفق لأداء معنى الصفات الملازمة في صيغة الفاعل أو صيغة الإحداث ، ولهذا تجرى على الألسنة كلمة دكریم ، ولا تستخدم كلمة دكارم ، مع سهولتها على اللسان في وصفها المطرد ، لأن السكرم صفة لا تحدث في كل عطاء أو كل منحة أو كل صنيع محدود من الصنائع السكرية ، ولكن صفة ملازمة ولو لم يحدث فعل السكرم غير مرة واحدة أو مرات معدودة ، فإن الذي يعمل عمل السكرهه دكریم ، ولو لم تعدد أعماله ، أو هباته ومروءاته ، ومن قيل إنه دكرم ، فأفعال السكرم منتظرة منه على الدوام وليست كالحادث المرتنن بزمان محدود ، ولو تسكاثر أو تعدد حيناً بعد حين .

وإذا جاءت الصفة المشبهة على وزن وأفعل ، كان بها القنى عن أفعل التفضيل ، لأنها تدل كذلك على صفة ملازمة لا تختلف في صاحبها بمرات الحدوث ولا بدرجانه ، إلا أن تكون المفاضلة بين موصوفين اثنين فإنها في هذه الحالة تدل على التفضيل بزيادة في نوع الصفة لا في المرات والدرجات ، فيقال هذا أشد بياضاً من ذاك أو أوضح بياضاً من ذاك ، ولا يقال هذا أبيض منه بهذا المعنى إلا لضرورة من ضرورات الشعر ينص عليها لا جرم أن اللغة التي تثبت للفاعل درجاته وأنواعه بهذه الدقة الجديرة أن تعلو على منال

على أن درجة الفاعلية في الاسم تثبت في اللغة العربية باستخدام صيغ أخرى تتم هذه الصيغة من صيغ البناء للعلوم أو البناء للجهول أو فعل المطاوعة .

فهناك صيغة المبالغة من مادة الفعل نفسه بغير حاجة إلى مادة مستعارة من غيرها .

ففي اللغة العربية فعال للبانغة تعطينا من مادة الفتح كلمة دفتاح ، بمعنى الكثير الفتح والمفتد على الفتح على السواء ، ولا مقابل لهذه الصيغة في اللغات الهندية الجرمانية إلا باستخدام جملة أو عبارة مركبة من عدة كلمات . وفي اللغة العربية صيغة من صيغ المبالغة تحكي الصفة المشبهة باسم الفاعل ، لأنها تدل على حالة ملازمة بغير اعتوار للحدث والزمان . ومنها في فتح كلمة دفتوح ، بمعنى المطرفي أول موسم ، فإن لها دلالة غير دلالة كلمة (فاتح) وغير مجرد المبالغة ، لأن الفاتح لا يلزم منه التكرار كما يلزم من الفتوح .

أما الصفة المشبهة - عموماً - فهي أعجب من ذلك في دقة الفهم ودقة الوضع وجرمان الأوزان والمشتقات في هذه اللغة على أساس عميق يدل على عرافتها كما يدل على بعد عهد أبنائها بالتمزقة بين المفاهيم الذهنية .

ومن هذه الدقة أن اسم الفاعل لا يوجد في مواد الكلمات التي لا يقصد بها الحدث في الزمان ، وإنما توجه الصفة المشبهة وحدها

ولقد نزل القرآن الكريم وفيه آيات
النسكال والنتمة مقصودة بنسبة هذه الأفعال
إلى الله جل وعلا ، لأن نسبتها إليه هي محل
العبرة والتذكير .

فليس بناء تلك الأفعال على المجهول تجنباً
لذكر الفاعل من عهد الجاهلية ، ولكنها
ترد بهذا البناء على قدر عمل المصاب بها ،
وليس عمل المصاب بها إلا كعمل نائب الفاعل
أو عمل المفعول الواقع عليه فعل الإصابة .
وإننا لنزداد علماً بالدقة في تكوين هذه
اللغة إذا لاحظنا أن كلمة « مات » تأتي على عهد
البناء للمجهول لأنها فعل لازم لا مفعول له
غير المصاب به ، ولأن الإصابة بالموت سواء
في كل من مات ولا اختلاف فيه بين المرات
والدرجات .

ومثل هذا السبب ترد الصفة المشبهة من اللازم
في غير الثلاثي ، كالمطمئن والمستقيم وما في
معناها ، لأن اللازم أقرب من المتعدي إلى صفة
اللزوم ، وأبعد منه عن الحدث المتكرر .
وهذه إحدى المقارنات التي تثبت للغة
العربية فضلاً لا يثبت لغيرها من لغات
الحضارة ، فلعله شفيع لها عند أبنائها الذين
يحتاجون منها إلى شفاعته ، جهلاً منهم بذنوبهم
وجهلاً منهم بفضائلها وحسانتها .

عباس محمود العقاد

النقد من هذه الناحية إن لم نقل إنها أعلى
من منال الناقدين من نواحي شتى ، فلا يقال
فيها إن تعبيراتها مقصورة على الجملة الفعلية
لأنها تبطل « الثبوت » للفاعل ذهاباً مع
« القدرة » أو ذهاباً مع سواها .

ونحن بصدد الكلام على المبنى للمعلوم
والمبنى للمجهول لا يفوتنا أن نعرض للأفعال
التي ترد على الدوام مبنية للمجهول وتدل في
الآغاب الأعم على الإصابة بالعلل والطوارئ
التي لا عمل فيها لإرادة المصاب ، أو التي
يكون المصاب فيها أبداً بمقام نائب الفاعل
ولا يكون فاعلاً مريداً لفعله .

من هذا القبيل كلمات « زك » و « صرع » وهزل
وفلج ، وما جرى مجراها .

ومن اللغويين من يقول إن هذه الأفعال
بنيت على المجهول اجتناباً لنسبة المرض إلى
فاعله في هذا المقام ، وهو الله .

ولكنه سبب غير صحيح ، لأن العربي
قبل الإسلام يقول في الدعاء « قاتله الله »
وأهلكه الله ، وأبعده الله ، ولا يتجنب
نسبة للفعل إلى الله ، مع أن القتل والهلاك
والإبعاد أشد ولا شك من الزكام ، وأولى
بالتحرز من ذكر الفاعل - إن كان هو السبب -
أن يقع التحرز فيها هو أشد من تلك العلل
جمعاء ، وهو الموت .

التفكير الفلسفي في الشعر العربي

للأستاذ الدكتور محمد البهي

والتفكير الفلسفي هو العمل العقلي صاحب المنهج في خطواته ، الشارح لحقائق الوجود العام والوجود الإنساني بمفهومه الخاص . فهو كما يحاول أن يشرح هالة الوجود يحاول أن يشرح طبيعة الإنسان في تكوينه ، وتفكيره ، وسلوكه ، وفي غايته في الحياة . وإذن ليس التفكير الفلسفي قاصراً على بحث ما وراء الطبيعة ، أو على بحث المقاييس الخلقية ، وأسلوب التفكير لدى الإنسان . بل كما يتناول هذه المجالات يتناول أيضاً الطبيعة والطبائع الحية في أجناسها العديدة . وإذا أخذنا الشعر بالمفهوم الذي ذكرناه أولاً ، وأخذنا التفكير الفلسفي بهذا التحديد الأخير - فإننا لا نستطيع أن نؤرخ للتفكير الفلسفي في الشعر العربي إلا منذ أن كان هناك تفكير فلسفي بالمعنى المصطلح عليه في تاريخ الثقافة العربية ، إلا منذ وقت دخول الفكر الإغريقي الجماعة الإسلامية واتصاله بالاتجاه الإسلامي الخاص وامتزاجه بمبادئ الإسلام . أما الإسلام نفسه فلا نستطيع أن نسميه تفكيراً فلسفياً ، حين نتحدث عن التفكير

إن الشعر لون من ألوان التعبير عن الحياة وعن تفاعل الإنسان مع أحداثها وعمما يجرى فيها من تعبيرات ، من شأنها أن تحرك مشاعر الإنسان أو تلفت نظره إليها . ولكنّه يتميز عن أي لون آخر من ألوان التعبير - وبالأخص عما يسمى بالنثر - بجمال الخيال في التصوير وبموسيقى الوزن في الصياغة . وهو لذلك إن كان يعبر عن واقع في الحياة فهو ينقل هذا الواقع - بفعل الخيال والسحر - من مجال الحقيقة إلى نطاق الخدق والإحساس الفني ، وهو يجمع لهذا السبب بين الإمتاع من جانب وتقرير الواقع من جانب آخر . وربما لهذا الازدواج يتميز الشعر عن الفلسفة التي هي تعبير دقيق عن الواقع ؛ وتعبير خال من فضاضية الخيال وسحره ، ومن موسيقى الوزن ونغمته . وهنا إذا أخذ الشعر بمنطق التفكير الفلسفي وباتجاهه في التعبير اقترب من الفلسفة أو أصبح فلسفة ، ولكن عندئذ روعى في التعبير فيه مذهب الشعر في الوزن ، دون أن يكون لحياله أو لنغم وزنه أية صلة به .

الأمر إلى إعادة النقل من جديد إلى اللغة العربية على عهد الرشيد . هذا بالإضافة إلى ما يتطلبه من زمن آخر الاطلاع على قضايا هذا الفكر ، وفهمه ، ومراجعته ، والتعليق عليه بتبنيه أو برفضه .

على أننا لا ننسى أن تأثير الشعراء العرب بالتفكير الفلسفي الدخيل ، وتعبيرهم عما تأثروا به منه في قصائدهم المختلفة ، لم يكن ليبدأ قبل أن تنتهي الخصومة الفكرية بين علماء العرب والمسلمين حول هذا الفكر الدخيل في مجال الاتجاهات العقيدية ، وقبل إنتاج المفكرين العرب والمسلمين الإنتاج الأصلي في مجالات علمية أخرى كجمال الرياضة والطبيعة ، وإن تأثروا فيما أنتجوا فيها بهذا الفكر .

لم يكن ليبدأ تأثير الشعراء العرب بالتفكير الفلسفي الدخيل قبل تلك الخصومة الفكرية في مجال العقيدة وقبل الإنتاج الأصلي في هذه المجالات العلمية ؛ لأن الطابع الذي سيطر على التوجيه والتفكير العربي والإسلامي بعد دخول المنطق الأرسطي ، ودخول بقية جوانب التفكير الإغريقي الأخرى - حمل المفكرين والموجهين العرب والمسلمين عامة على أن لا يتخذوا من الأدب المجال الذهني ويجعلوه صاحب الخطوة الأولى ، وأنه كل شيء في حياتهم كما كان الحال قبل الدعوة الإسلامية ،

الفلسفي في الشعر العربي ، منذ أن قامت الدعوة الإسلامية ، وتأثر العرب بوصايا الإسلام وتعاليمه . لا نستطيع أن نسمى الإسلام تفكيراً فلسفياً لأنه ليس صنعة لإنسان ، وإنما هو دعوة الخالق لهداية البشر كافة إلى الصراط المستقيم في السلوك في الحياة : في تصرف الفرد مع نفسه وفي معاملته مع غيره . والخالق فوق الإنسان ووحيه فوق صنعة الإنسان كذلك .

وإذا أردنا أن نعبّر عن تأثير الشعر العربي بالدعوة الإسلامية وبمبادئ الإسلام فذلك موضوع آخر يختلف كل الاختلاف عن الموضوع الذي نتناوله الآن ، وهو : التفكير الفلسفي في الشعر العربي . ويجب أن يكون هذنا عنوان الموضوع : الإسلام والشعر العربي .

والوقت الذي انصل فيه الفكر الإغريقي بالأدب العربي وأصبح هذا الأدب في ثمره وشعره معبواً عن مشاكل هذا التفكير ، وعن هذه المشاكل ، وعن الآراء المختلفة لهذه الحلول - متأخر عن دخول الفكر الإغريقي نفسه إلى الجماعة الإسلامية . إذ أن عملية الترجمة والنقل إلى اللغة العربية لهذا الفكر من لغته الأولى ، وهي الإغريقية ، أو من لغته الثانية وهي السريانية استغرقت وقتاً طويلاً . وبالأخص بعد ما احتاج

وظهور الوثنية من جديد في صورة فلسفية أيام العباسيين ، كان لابد أن يحمل هؤلاء العرب الذين تبنا الدعوة الإسلامية من قبل ، والمسلمين من غير العرب الذين شاركهم هذا التنبئ ، على الدفاع عنه ، وعلى تركيز التوجيه والتقدير معا على الجانب الإسلامي عقيدة ومنهجاً في الحياة ، وعلى أن يظل الأدب العربي وبالأخص الشعر في التقدير الثاني أو المحل الآخر . حتى إذا تبلورت المذاهب العقيدية ، وتحدت المجالات العلمية الرياضية والطبيعية لعلماء العرب ومفكرهم - ابتدأ الأدباء يعرضون في أدبهم هذا التفكير الفلسفي ويعرضونه في أشعارهم بوجه خاص .

والقرن الثالث الهجري يعتبر على وجه التقريب المسرح الزمني لظهور التفكير الفلسفي في مبادئه أو في التأثير به في الشعر العربي . ونجد في شعر أبي تمام والمتنبي وابن الرومي وأبي العلاء المعري نماذج واضحة للتعبير عن هذا التفكير .

وتعبير هؤلاء الشعراء عن هذا التفكير الفلسفي يختلف فيما بينهم في مدى التأثير به ، ولهذا التعبير صور مختلفة :

وأبقى للبحالات التوجيهية والفكرية الأخرى غير الأدبية الأسبقية بين العلماء والموجهين العرب والمسلمين . وذلك أمر ضروري ؛ لأن الدعوة الإسلامية ، منذ أن قامت شغلت قلوب العرب والمسلمين ، وشغلت تفكيرهم سواء في نشر مبادئ الإسلام أو في رد الهجوم عليها زمناً طويلاً . ونشر العقيدة الإسلامية أو الدفاع عنها أصبح من أجل ذلك هدفاً أولياً ، وأصبح ذا تقدير أول يسبق أى موضوع آخر ، وإن كان لهذا الموضوع الآخر شأن أى شأن سابق في حياة العرب كالآداب مثلاً ، وبالأخص الشعر منه .

ولم يكن من السهل على العرب والمسلمين بعد الدعوة الإسلامية ، وبعد أن قام مجتمعهم على أساس منها ، أن يعود تركيز التفكير الإسلامي ، وتوجيه الجماعة الإسلامية إلى ما كان عليه الوضع أيام الجاهلية وهو الأدب والشعر بوجه خاص ، عندما يزحف الفكر الإغريقي بوثنيته وبمنطقه الخادع المغرى ؛ لأنه إذا كانت حرارة الإيمان قد دفعت العرب وقت الدعوة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تركيز أمر حياتهم في شأنها - فإن الخطر الذي صاحب دخول الفكر الإغريقي

وعلى قيادة النفوس عن طريق إشارة هذا الوجدان وإلهابه - أشد وأقوى مما لو دخل الشاعر به بحال العقل والمنطق المجرد . وفي اعتقادنا أن البحترى لا يقصد بقوله : « والشعر يغنى عن صدقه كذبه » ، إطلاقاً أن في الكذب غناء . وإنما يقصد أن الهدف من الشعر يتحقق وإن كان التعبير فيه أوسع مدى من مدلوله ، وأفسح رحابة من دائرة الواقع التي يريد أن يترجمها . وهذا الهدف هو إثارة الوجدان ، وقيادة الجماعات والرأى العام عن طريقه .

(ب) وقد يكون هذا التعبير تمجيذا للعقل واستهانة بما عداه . فنرى المتنبى يقول :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسان

ونرى أبا العلاء المعرى في إشادته بالعقل يقصر المعرفة على دائرته وعلى حصيلة إنتاجه فيقول :

سأتبسّع من يدعو إلى العقل جاهداً
وأرحل عنها ما أمانى سوى عقلى

ويقول في قصيدة أخرى :

كذب الظن لا إمام سوى الله
لـ مشيراً في صبحه والمساء

(١) فمرة يأخذ هذا التعبير صورة تمسح بالاطلاع عليه أو صورة رغبة في الانصراف عنه . فيتمول المتنبى مشيداً باطلاعه على الفلسفة الإغريقية وأربابها :

من مُبْلِغ الأهراب أنى بعدها
جالست رَسْطاً ليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس راوى كُتُبِهِ
مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّلاً مُتَحَضِّراً
واقيت كل الفاضلين كأنما
ردء الإله نفوسهم والأهصرا
نُسقوا كما نُسق الحساب مُقَدِّمًا
وأنى فذلك إذ أتيت مؤخرًا

بينما يعبر البحترى مثلاً - وهو بمن عاش بين أبى تمام والمتنبى - عن عدم حاجته إلى الأقل إلى الفكر الإغريق في أسلوب صياغته إذ يقول :

كلفتمونا حدودَ منطقكم
والشعرُ يُغْنِي عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القويروح يلججُ بالمنة
طلق ما نوّهه وما سببه

ونحن إذا وقفنا عند قول البحترى هذا نجد أنه يصيب في أن دائرة الشعر هي دائرة الوجدان وليست دائرة العقل والمنطق ، وأن أثر فضاضية الخيال فيه على الوجدان

فإذا ما أطلعته جلبَ الر
حمة عند المسير والإرساء
(ج) وقد يكون تضمينا لفكرة فلسفية
كما يعبر أبو العلاء عن العناصر فيما يقول :
منزلة إلى الأصول وكل شيء
له في الأربع القدم انتساب
كما يقول :
أليس لا ينفك جسمي في أذى
حتى يرد إلى قديم العنصر
وكما يقول المتنبي :
تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمان من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه
وهذه الأجساد من ترابه
وكما يعبر أبو العلاء نفسه في صلة الجسم
بالنفس عن تبعية الجسم لها في مظهره
وإعراضه في قوله :
فإنّا وك الجسم الذي هو صورة
لك في الحياة فإذرى أن تتخذه
لا فضل للقدح الذي استودعته
ضرباً ولكن فضله للودع
وفي قوله أيضاً :
يا روح كم تحملين الجسم لاهية
أبليت فاطر حيه طالما كبشاً

وعلى نحو ما يقول أبو تمام :
شاب رأسي وما رأيك مشيب ال
مرأس إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذلك القلوب في كل بؤس
ونعيم طلائع الأجساد
وعلى نحو ما يعبر أبو العلاء عن فكرة
الجبر وعدم الاختيار :
ما باختياري ميلادي ولا هربي
ولا حياتي فهل لي بعد تخيير
ولا إقامة إلا عن يدي قدر
ولا هسير إذا لم يقض تيسير
وفيا نراه في تحديد التفضيلة لأبي تمام
في قوله :
إذا المرء لم يزد وقد صيغت له
بزخرها الدنيا فليس بزاهد
وكما في قول المتنبي :
كل حلم أتى بغير اقتدار
حجة لاجي إليها اللثام
وكما يشير أبو العلاء إلى فكرة التناسخ
التي جاءت إلى المسلمين عن طريق الفسك
الإغريقي والفكر الديني الهندي معاً . وإن لم
يظهر إيمانه بها على الإطلاق :
يقولون : إن الجسم ينقل روحه
إلى غيره حتى يهذب به النقل

على أنا قد نجد لأبي العلاء في شعره تعبيراً
يثبت به وجود الله ، سواء أكان ذلك من
باب النقية أو من باب تردد النفس بين
الإثبات والنفي ، فيقول :

أثبت لي خالقاً حكيماً
ولست من معشر نفاة
ويقول :

انفردُ الإلهُ بسلطانه
فما له في كل حال كفاء
ما خفيت قدرته عنكم
وهل لها عن ذي رشاد خفاء
ويقول أيضاً :

أما ترى للشهب في أفلاكها انتقلت
بقدره من ملك غير منتقل
(هـ) وقد يكون التأثر بالفكر الفلسفي
في الشعر سيرا به في منطق استدلاله وتركيب
قضاياها على نحو ما يقول أبو تمام :

فليقس أحياناً على مَنْ يرحمُ
وإخالك كَيْ تغمدوا أسيافكم
إن الدمَّ المعتمد يحرسُهُ الدمُّ
ويقول أيضاً :

لا تنسركى هطل الكريم من الغنى
فالسيلُ حربٌ للسكان الصالح

فلا تقبلن ما يخبرونك خلة
إذالم يؤيد ما أتوك به العقلُ
(د) وقد يكون هذا التعبير عن التفكير
الفلسفي في الشعر العربي تأثراً بمنهجه واسترابة
في كل معرفة سابقة ، وأبو العلاء المعري
يعتبر مقدم الشعراء المتفلسفين في هذا الجانب
ويذكر أولاً أن الشك أمر طبيعي للنفس
فيما يقول :

ويعتري النفس إنكارٌ ومعرفةٌ
وكل معنى له نفيٌ وإيجابٌ
ثم يأخذ في الشك في المعارف السابقة
فيقول :

وما آدم في مذهب العقل واحدٌ
ولسكنه عنده القياس أوادم
كما يقول أيضاً :

دينٌ وكفرٌ وأنباءٌ
تقصُّ وتوراةٌ وإنجيلٌ
في كل جيل أباطيل ملفقةٌ
فهل تفرّد يوماً بالهدى جيل
وكما يقول :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهدت
ويهود حارت والمجوس مضللة

اثنان أهل الأرض : ذو عقل بلا
دين وآخر دين لا عقل له

ويقول :

ليس الحجابُ بمقص عنك لي أملا
إن السماءَ تُرَجَى حين تُتَجَبُّ
ويقول :

لا تنسكروا ضربى له مَنْ دونه
مثلا شروداً في الندى والباس

فاقه قد ضرب الأقلَ لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس
وعلى نحو ما نرى للتنبى في قوله :

من يهنْ يسهلِ الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ
وفي قوله كذلك :

فإن الجرحَ يَنْغَرُ بعدَ حينٍ
إذا كان البناءُ على فسادٍ
وعلى نحو ما نرى لابن الرومى في قوله :

إذا غمَّرَ المسالَ البخيلَ وجدته
يزيد به يُفسأ وإن طُنَّ يَرْطُبُ
وليس عجيباً ذاك منه فإِنَّه
إذا غمَّرَ الماءَ الحجارةَ نَصَلُ
وفي قوله :

هدوك من صد يقك مستفادُ
فلا تَسْتَكْثِرَنَّ من الصَّحَابِ
فإن الداءَ أكثرُ ما تراه
يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

والشعراء الثلاثة : أبو تمام والمتنبى وأبو
العلاء أكثر الشعراء الفلاسفة تأثراً بقضايا
الفكر الإغريق وبنهجه . أما البحترى فهو
أقل الشعراء الحكميين نقلاً عن الفكر الإغريق
أو سيرا في منهجه ، وإن لم يخل شعره من
العقل الذى هو أحد مظاهر التفكير الفلسفى :
فعندما يقول :

والعقلُ من صيغة وَتَجَرُّبَةٍ
شكَّان : مولوده ومكتسبه
ويقول كذلك :

وسألت من لا يستجيب وكنت فى اسـ
ستجباره كجيب من لا يسأل
عند ما يقول هذا أو ذاك يعطى القارى له
صورة من الشعر فى صياغة الفلاسفة ودقة المنطق .
أما ابن الرومى فتأثره بالتفكير الفلسفى
كان أكثر بالنزعة التى سادت التصوف
الشرقى ، وهو التصوف الهندى من الميل
إلى العزلة والتنفير من الحياة القائمة .
وصاحب مثل هذه النزعة يحاول من جانب
آخر ، فى استمرار وفى تأكيد ، الاعتراف
بالله والتدليل على وجوده . وهذه الظاهرة
نجدها فى شعره عندما يقول :

وإخلاصنا التوحيد لله وحده
وتذنبنا عن دينه فى المَقَامِ
بمعرفة لا يعرفُ الشكُّ بابها
ولا طعنُ ذى طعنٍ عليها بهاجم

وهلى أية حال مهما كان للتفكير الفلسفى أثره الإيجابى فى توسيع رقعة التفكير فى الشعر أو فى صتل التعبير فيه فإن له أثرا آخر يبعد الشعر عن مجاله الأصيل وهو الوجدان ، وبذلك يفقد شيئا قليلا أو كثيرا من خاصيته فالخيال عنصر رئيسى فى إثارة الوجدان ، بينما المنطق هو الأساس الاول فى التفكير الفلسفى .

مجالان مختلفان : مجال العقل ومجال المنطق وتعبيران متقابلان : تعبیر الفكر الفلسفى وتعبير الشعر ، وأولى — لى ببق للفكر الفلسفى منطقة وتأثيره على العقل ، ولى ببق للشعر خياله وتأثيره على الوجدان — ألا يخضع الشعر للتفكير الفلسفى ومنهجه وطريقة تعميقه ، كما لا يخضع التفكير الفلسفى فى أسلوبه وصياغته للعنصر الأساسى للشعر وهو الخيال .

وبذلك يبقى للإنسان فى التأثير طريقان : طريق العقل لمن يؤثرون متعة العقل . وطريق الخيال لمن يتأثرون بالوجدان أكثر من تأثرهم بالعقل ومنطقه .

الدكتور محمد البهى

المدير العام للثقافة الإسلامية

وإعمالنا التفكير فى كل شئ به حجة تعبى دهاء التراجم ثم بعد ذلك نجد يدعو إلى عدم التأثر بالحياة التى يعيشها الإنسان على الأرض فى صور مختلفة . مرة عن طريق استخدامه تجربته الخاصة فى قوله :

حضضت على حطبي لنارى فلا تدع
- لك الخير - تحذيرى شروى المحطاب
ومن يلق ما لا يلقى من كل محتى
من الشوك يزهد فى الثمار الأطايب
إذا اقتنى الأسفار ما كره الغنى
إلى وأغراني برفض المطالب
ومن نكبة لا يقيتها بعد نكبة
رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب
فصبرى على الإقتار أيسر م طلبا
على من التغير بعد التجارب
ومرة بنصحه بالاكفاء الذاتى فى قوله :

إذا لم يكن عندى سوى ما يكفينى
فشحى عليه مثل شحى على هرضى
لأنى متى ألقته احتجت حاجة
مزيل مصون العرض فى طلب القرص

الأخلاق من أرب النبوة

الحياة

من كلام النبوة الأولى

للأستاذ محمد محمد المدني

المؤمن كلما هم بفعل وجد نفسه من حيث يريد أو لا يريد معقبة على هذا العمل فيدركه حياء وانقباض إذا كان قبيحا ويدركه إقدام واطمئنان إن كان حسنا .

فهذا القول المأثور عن النبوة الأولى : يحيل المؤمن إلى هذه العلامة النفسية التي لا تفارقه ، وهي الحياء من الشيء أو عدم الحياء منه .

وفي القرآن الكريم : يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ، فالفرقان الذي يجعله الله للتمييز هو ذلك الإحساس النفسي الخفي أو هذا الهتاف القلبي بأن شيئا ما ، حسن وشيئا ما ، قبيح .

فالمؤمن المتقي توجهه عنده ملكة الفرق بين ما يرضى الله وما يغضبه وذلك هو الفرقان ولا مانع من أن يكون هو الحياء من الشيء أو عدم الحياء منه .

وقد وردت كلمة (الفرقان) في كتاب الله

روى البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت) .

وهذا القول النبوي الكريم يمكن أن يفهم على معنيين .

أحدهما أنه إرشاد إلى علامة صادقة وبرهان مقنع يهدي المؤمن إلى ما هو خير فيقبل عليه وإلى ما هو شر فينصرف عنه .

فمعنى الكلام : أعرض على نفسك كل شيء قبل أن تفعله فإن أدركك حياء من فعله فهذا دليل على أنه فعل قبيح فالنصرف عنه ، وإذا اطمأن إليه قلبك ولم تستح منه نفسك فاعلم بأنه خير وصلاح فأقبل عليه .

وهذه خاصية من خواص المؤمن الذي يعلم أن له ربا يطلع عليه ولا يغيب عنه فهو رقيب عليه حسيب على جميع أعماله ، إن هذا

الخلق والتكوين ، فهي في أصلها وفي تفاوت
الناس حظوظا منها ، هبة ونعمة ومنحة
لا دخل فيها للإنسان .

وهذا المعنى يتلاقى من قريب بمعنى
والفرقان ، الذي ذكرناه في قوله تعالى : يا أيها
الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ،
فكلهما يدل على أن الله يمنح بعض عباده
ملكه أو قوة يفرق بها بين الخير والشر ،
والحسن والقبيح ، ونحو ذلك ، وقد ربطت
هذه الآية ، إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ،
بين التقوى والفرقان بأسلوب الشرط والجزاء
لتدل على أن من ثمرات التقوى حصول ملكة
التمييز والفرقة ، وهي ملكة كريمة عظيمة
الآثار في حياة الناس ، فإن الذي يمنح ملكة
الفرقة والتمييز بين الأشياء مثله كمثل الذي
يمنح نعمة البصر ، والذي يحرمها مثله كمثل
الاعمى ، والإنسان كما هو محتاج إلى نور
البصر ، محتاج إلى نور البصيرة .

وقد ورد في القرآن أيضا ، واتقوا الله
ويعلمكم الله ، والمراد الربط بين التقوى والعلم
لا على معنى أن الله تعالى يهب المتقين من لدنه
علما ربانيا خفيا ، كما يعتقد المنصوفة ، ولكن
على معنى أنه يجعله بالتقوى مستكلا لأسباب
العلم والفرقان ، فيبحث ويستطلع ويستكشف
متملقا بهذه الأسباب ، فيعلم ، فالأساس في
هذا كله هو النور الذي يجعله الله تعالى للؤمن .

هز وجل بمعان كلها تنصل بالفرق بين الحق
والباطل) ومن ذلك أن القرآن الكريم
يسمى (الفرقان) : د تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، ، ومن ذلك
أن الله تعالى أطلق على يوم التقاء الجمعين بيدر
(يوم الفرقان) وفي بعض ما فسر به قوله
تعالى : د ألسم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم
نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ،
وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس
وأنزل الفرقان ، إن (الفرقان) في هذه الآية
ليس المراد به (القرآن) لأن القرآن قد ذكر في
صدر الكلام حيث قال : د نزل عليك الكتاب
بالحق ، فلا يحسن التفسير الذي يؤدي إلى أن
في الكلام تكرارا ولأن التعبير جاء في شأن
(الفرقان) بقوله (أنزل) دون قوله (نزل)
كما جاء في سورة الفرقان : د تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده ، والغالب في القرآن التعبير
عن نزوله بقوله : (نزل) لإفادة معنى التنجيم
وأنه لم ينزل دفعة واحدة ، وإذا فالفرقان
في هذه الآية ليس هو القرآن وإنما أراد الله تعالى
به (العقل) فإنه فرقان للإنسان يفرق به بين
الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وما ينبغي
أن يقدم عليه أو يتركه .

والتعبير بالإنزال على هذا المعنى كالتعبير
به في قوله تعالى : د وأنزلنا الحديد ، والقصد
منه إفادة أن العقل منحة إلهية للإنسان بمقتضى

له جو الأمان فيسبقتها إلى الباب .
فالحياة إذا برهان للدؤمن وفرقان ونور
مبين ، يهتدي به الله من اتبع رضوانه سبيل
السلام ، ولذلك ورد أن رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم قال : (الحياة هو الدين
كله) وقال : (من لا حياة فيه لا خير فيه) .
المعنى الثاني الذي يمكن أن يفهم عليه هذا
القول النبوي هو معنى الإيعاد لا معنى
الإرشاد يقول له :

إذا فقدت خلق الحياة فافعل ما بدا لك فقد
أصبحت خارجا عن دائرة العتاب والحساب
وهذا ينطوي على تهديد عظيم فإن قوله عليه
الصلاة والسلام (فاصنع ما شئت) شبيه بقوله
تعالى : (اعملوا ما شئتم إنى بما تعملون بصير ،

وسواء أكان معنى القول النبوي المأثور
هو هذا أو ذاك فإن الأمر يدل مبلغ ما للحياة
من أهمية وشأن خطير ، ولذلك انصل خلق
الحياة بحركات الجسم الطبيعية بتكوين إلهي
في الإنسان خاصة ، فهو الذي يحمر وجهه
خجلا إذا رأى أو أقبل على ما يشينه وقد
يبالغ الحياء الخالق لبعض الأفراد إلى أنهم
لا يستطيعون السيطرة على أعضائهم ولا يمكنهم
التحرك في المجاس التي يستحيون منها فهم
إذا طبيعة جبلية تساعد على تركيز هذه
الفضيلة النفسية .

وبما يؤسف له أن بعض المجتمعات تعمل

وفي القرآن الكريم عن يوسف وامرأة
العزیز : « ولقد همت به وهم بها لولا أن
رأى برهان ربه ؛ كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء ، فالبرهان الذي رآه يوسف والذي
لولا لم بها هو الحياء الذي يتحدث عنه
القول النبوي المأثور ، وهو الفرقان الذي
تتحدث عنه الآية السابقة ، وبما يدل على ذلك
أن امرأة العزیز فقدت هذا البرهان فراودته
هن نفس والمرأة لا تراود الرجل عن نفسه
إلا إذا لم يبق عندها ذرة واحدة من الحياء ،
لكن يوسف لما رأى برهان ربه استعصم
وما كان ذلك البرهان إلا الحياء كما يفهم من
موضع آخر من هذه القصة « وراودته التي
هوى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت
هيئت لك . قال : معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي ،
فهي تراود وتغلق الأبواب وتعرض نفسها
بأذلة عرضها على هذا النحو لأنها لم تر البرهان
الذي هو الحياء وهو يتمثل ربه الذي أكرم
مثواه فيدركه الحياء من أن يراه مسيئا وقد
أحسن إليه وسواء أفسرنا الرب في قوله :
« إنه ربي أحسن مثواي ، بأنه الإله الخالق جل
جلاله أو بأنه سيد القصر الذي اشترى يوسف
فأصبح سيده ورب أي مالكة فإن المعنى أن
يوسف يستحي من هذا الرب أن يراه في هذا
الوضع الشائن ولذلك يستعصم ويفسر من
المرأة الحسنة التي راودته وتهيات له وهيات

من نفسه وهو في هذا كله يذكر ربه الذي يراه وإن لم يكن يراه ولا بد لنا من أن نفرق بين الحياء والضعف والانكماش فإن للحياء حدا إذا تجاوزه انقلب ضعفا وقصورا وهذا هو الشأن في جميع الفضائل فالشجاعة إذا خرجت عن حدودها ومواطنها أصبحت تهورا، والصبر إذا خرج عن حدوده ومواطنه أصبح تبلا فكذا الحياء قد يزيد في بعض النفوس أخلاطه وتختل مقاديره فيصبح ضعفا وانكاشا ونقصا ولذلك نرى في المجتمعات بعض الأفراد يستحيون من الشيء لمجرد أنه لم يؤلف وإن كان صلاحا ورشادا وإلا فما هو المبرر لأن يستحي طالب الجامعة الفقير بأن يزاول عملا بعد الظهور يستعين به على إتمام دراسته مثلا، وما هو المبرر لأن تستحي الفتاة من أن تغطي شعرها وهي في الجامعة وما هو المبرر لأن يركب الفقير الدرجة الأولى حياء من أن يراه زميل له وهكذا .

إن بين الفضيلة والرذيلة في العادة خطا رفيعا واللبق الحصيف صاحب الوعي والفرقان والبرهان هو الذي يدرك الحد الذي يجب ألا يتجاوزه .

محمد محمد المرنى

حميد كلية الشريعة

على إماتة هذه العاطفة حسا ونفسا وذلك بتكوين أمر الرذيلة وتفخيم شأن الحسرية والمدنية الكاذبة ولذلك نرى البيئات الفطرية يظل الحياء فيها غصنا بينما نرى البيئات الصناعية قد استهانت بكل الموازين واجترأت على اقتحام جميع الحدود .

قالهم ارزقنا الحياء واجعله برهانا لنا وفرقانا وعصمة وهدى وأمانا .

وقد يظن بعض الناس أن الحياء خلق سلبى بمعنى أن الإنسان يقف بالحياء موقف الذى لا يفعل ، ليس بخلق إيجابى وهذا ظن خاطئ فإن الحياء كما هو خلق مانع، هو أيضا خلق دافع فإنك إذا كنت مكلفا بعمل راودتك نفسك أن تتكامل عنه ثم تذكرت موقفك من كلفك فإن الحياء حينئذ يدركك فتندفع إلى العمل حتى لا تقف موقف المقصر .

ثم إن ميادين الحياء لا تنحصر، فكل جانب من جوانب الحياة يصلح بهذا الخلق ويفسد بضياعه : إذا كنت عالما وأقنيت الناس ارتجالا دون بحث ودرس واطمئنان إلى ما أقنيت به فإن هذا مناف للحياء .

إذا كنت قاضيا وحكمت بالهوى أو قصرت في معرفة الحق فإن هذا وذاك منافيان للحياء .

إن صاحب الحياء يستحي من أخيه ومن ابنه ومن زوجته ومن المجتمع بل يستحي

العرب في أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

في مدينة صولو بأندونيسيا التي صاحب هذه الدراسة الأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري بفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .
وتوثيقاً للتعارف بين المسلمين ونداونهم في مختلف ديارهم طلب الإمام الأكبر من الكاتب إعداد دراسة عن « العرب في أندونيسيا » وحالتهم الاجتماعية ، وما ينقصهم ويعترض سبيلهم في أداء رسالة الإسلام وتعاليمه .

وسوف يمجّد القارئ متعة في التعرف على أحوال إخوانه في الشرق الأقصى . . . وسوف يتحقق أننا جميعاً أمة واحدة - حتى في المتاعب والآلام ! وسيجد الاستعمار يصطنع بذور الشقاق ثم ينمها بين عرب أندونيسيا ، ليفدو العرب المسلمون : علويين وإرشاديين يضرب بعضهم وجوه بعض ، بأسهم بينهم شديد ، وعدوهم يتناحرهم سعيد .

والكاتب عربي علوي . . . وإن كان يدعو ويلج لوحدة الصف والثناء الشمل ، وهو يعرض نشاط المعاهد العربية في ربوع أندونيسيا رغم ما يرهق العرب من خلافات ومشكلات ويعرض تجارب تعليمية تستحق الدرس والتقدير وهو يرجو لهذا النشاط المزيد حين تظفر هذه الجهود المحدودة برعاية الحكومات العربية والإسلامية ، وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة بأزهرها العتيق .

أشرق نور الإسلام في الشرق الأقصى في منتصف القرن السابع الهجري ، ومنتصف القرن الرابع عشر الميلادي تقريباً ، وأخذ ينتشر ويمتد في ربوع الأورخبيل الأندونيسي وشبه جزيرة الملايا وجزائر الفلبين بواسطة التجار والرواد الإسلاميين الذين كانوا يجوبون البحار . وكانت شبه جزيرة الملايا وسومطرة الغربية الشمالية وجزيرة صولو بالفلبين وجزيرة جاوة هي أول ما حظيت في الشرق بالاسمادة الدينية الإسلامية ، فقد وفد إليها أتجار الحضرميون من طريق خليج البنغال وسيلان ومن طريق الهند الصينية في ذلك العهد . وهم أفراد من أسرة آل عبد الملك كما كشفت عن ذلك الوثائق وشواهد قبورهم . وعبد الملك هو ابن علي ابن علوي من أحفاد المهاجر السيد الشريف أحمد بن عيسى ابن محمد بن علي العريضي الذي هاجر بأسرته من البصرة إلى حضرموت في سنة ٣١٧ هجرية .

الحاضر عن الماضي ليتسنى له تشويه الحقائق التاريخية وبذر الخرافات وطمس الصلات التي ربطت بين الشعب الأندونيسي وأخيه الشعب العربي ، ودس الكذب على التاريخ وأبطاله .

بالرغم من ذلك كله فإنه لا تزال هنا وهناك قرائن ووثائق احتفظت بها بعض الأسر المالكة في المقاطعات والجزائر ، وهنا وهناك آثار وشواهد في المعابد والمقابر تضيء لنا السبيل إلى الحقائق وتدل دلالة قاطعة لا مجال للإنكارها ولا مندوحة لأولئك الذين كتبوا التاريخ الإسلامي من المتأخرين فأساءوا إلى ماضي الوطن السعيد وتاريخ الشعب المجيد ، وقدموا للأجيال الناشئة صوراً تاريخية مضطربة مذبذبة كلها تشكك وافترافات والتواء .

تري ماذا كان يدفع أولئك الذين تصدوا للكتابة للأجيال ؟ وماذا دعا العلماء المسلمين في الوقت الحاضر وبعد زوال أعداء الإسلام المستعمرين من رجال الأحزاب الإسلامية ألا يكشفوا عن تلك الحقائق الالامعة ، ويردوا هذه المغالطات والافتراضات التي كتبت ودرست للناشئة الإسلامية الأندونيسية في عهد حريتها ؟ أكان هذا منهم لعدم تتبعهم للقرائن والوثائق وربط بعضها ببعض حتى تتسكون الصورة الصادقة ويظهر الحق ؟ أم

هاجر عبد الملك من حضرموت في أواسط القرن السادس الهجري (١) واستوطن عبد الملك في السند في أحمد آباد وأعقب هناك وانتشر أحفاده في بلاد الهند .

تاريخ الإسلام في جزائر الشرق الأقصى

لم يكن أولئك الدعاة الأولون للإسلام في جزائر الشرق الأقصى رواداً للاستعمار ، ترعاهم حكومات وتسجل حركاتهم وتنقلاتهم ، ولم يكونوا بعثات تبشيرية تموّلها منظمات وهيئات من ورائها الدول الاستعمارية فاتحة تخطط لها خطوط سياستها وتدور تقاريرها . بل إنما كانوا رجالاً مؤمنين في صور تجار ترجع في نفوسهم كفة الدين كفة الدنيا ، فلم تكن هناك لهم آثار كأثار الفاتحين ولا سجلات كسجلات المبشرين المأجورين . لهذا لم تكن هناك مصادر يستقي منها المؤرخ لدخول الإسلام ما يشفي الغليل بل كان للاستعمار الهولندي فوق هذا وذاك جهود جبارة لطمس الآثار وجهود جبارة في استئصال وتقصى السكتب التي لها علاقة بالإسلام حين دخوله واحتجازها بشق الوسائل والأساليب ، لغرض هو فصل

[١] تراجع كتاب « عقود الماس — العلامة المؤرخ السيد هلاوى بن طاهر الحداد الدلوى — طبع سنغافورة .

د للورخ شمس الدين الأنصارى الدمشقي المعروف بشيخ الربوة المتوفى في القرن الثامن الهجري تقريبا - وقد طبع كتابه هذا سنة ١٢٨١ وإن كانت عليه ملاحظة في أسباب هجرة العلويين إلى الشرق الأقصى ، وكتاب : عادات المورو ودينهم في الفلبين للدكتور نجيب صليبي اللبناني المطبوع في جزيرين عام ١٩٠٥ في مانيللا . والدكتور نجيب صليبي مهاجر من أهالي حوران توفي عام ١٩٣٥ م والمورو هم المسلمون كما يسميهم الأسبان ، ونحيسل أيضا إلى كتاب : حاضر العالم الإسلامي وتعليقات الأمير شكيب أرسلان وتعقيباته عليه : مادة دخول الإسلام إلى جاوه في الجزء الأول من ص ٢٧٦ إلى ص ٣٧٥ الطبعة الثانية القاهرة ، ومادة : بيانات عن الحضارة في الجزء الثالث من ص ١٢٠ إلى ص ١٨٣ الطبعة الثانية القاهرة أيضا . كما أن في إدارة أوقاف مسجد (امفيل) بربايا الذي أسسه الداعية الإسلامية الأول بجزيرة « جاوه » الشرقية أثارا ووثائق من عهد ذلك الفاتح الديني . وقد نشرت تلك الإدارة منذ عامين نشرة تتضمن سلسلة نسبته إلى السيد الشريف المهاجر أحمد بن عيسى النقيب ، الذي جاء حضرموت واستوطن بها سنة ٥٣١٧ هـ . وقد اكتشف المكتب الدائم لضبط أنساب العلويين في الشرق الأقصى السابع

أن الحزبيات والأغراض السياسية أضاعت بينهم هذه اللبئات الأساسية لبناء الوطن الجديد ؛ لأن لكل أفهاما وأغراضا أنستهم هذه الناحية من تاريخ الوطن وغطت هذا الجانب العزيز من حضارته ونهضته فاختلفت بين هذه المتناقضات ؟ أم أن حرارة القومية والوطنية طغت على الناس فبغضت إلهم أن يدخل في تاريخ أوطانهم وحضارتها رجال يفتنون إلى أمة أخرى ؟ .

إن التاريخ مرآة الشعوب العاصفة ، لا يكدرها ولا يشوهها إلا ما يلقى عليها من ظلال العصبية ، ودخان الأغراض الشخصية والسياسية ، وأن هذه إساءة متعمدة إلى الإنسانية جمعاء في مراحل تطورها وفي مجال اتجاهاتها إلى الرقي والكمال وفي أدوار تقاربها في سبيل الإخاء والتعاون .

ولعل هؤلاء الكتاب إنما كانوا يستنون من المستنقعات التي حفرها الاستعمار . وكم ترك الاستعمار من ألقام وبث من سموم في أجزاء البلاد وراثا !

إن العرب الحضرميين ، والعلويين منهم بوجه خاص . هم السابقون الأولون الذين حملوا مشعل الإسلام إلى الشرق الأقصى وجزائر القمر ومدغشقر وإفريقيا الشرقية . ولكيلا نطيل بنقل النصوص فإننا نحيل الباحث أولا على كتاب : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

ثاني يوم وفاة الدكتور سوتومو عام ١٩٣٤ ميلادية - نسبة الممنى إلى أسرة آل باعبود العلويين ، وهذا مجال يمتد ويدفع إلى الإطالة والإمهاب ، فلنكتف بهذا ، إذ أن القرائن والوثائق في هذا الموضوع كثيرة ، ولا تزال شاخصة .

وقد جمع الأستاذ الشاعر المرحوم السيد أحمد بن عبد الله السقاف العلوى جزءين في تاريخ الإسلام بأندونيسيا ، يصح أن يقال بحق إنه أصبح تاريخ مدعم بالمصادر والبراهين : ولكنه لا يزال مسودة . . وقد أهدى من ورثة ذلك الأستاذ للسيد العلامة المؤرخ علوى بن طاهر الحداد مفتى جمهور بجزيرة ملايا . بدأ تاريخه رحمه الله بعهد ما قبل الإسلام مباشرة وما كانت عليه الأمة الجاوية من دين وعادات إلى آخر عهد الاستعمار .

الرعاية الأولى وأساليب نشر الإسلام بمجاوة

كان الداعية الأول بمجاوة الشرقية الشريف : رحمت ، وهو من أحفاد الشريف أحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن محمد بن على صاحب مرباط — بظنار — العلوى — هاجر جده الأعلى عبد الملك المذكور إلى السند ، واستوطن أحمد آباد في منتصف القرن السادس الهجرى وأعقب هناك وانتشر عقبه في الهند ، وكان لهم هناك مقام سام ،

لرابطه العلوية ، وثائق انتساب السلاطين والأمراء في (فونتيانا) بجزيرة كالى مانتن الأندونيسية وفي فلباغ بجزيرة سومطرة الشرقية وسلاطين جاوة الوسطى وجاوة الغربية وأمراء وعلما في آجيه بسومطرة الغربية الشمالية .

على أنه توجد أسر كثيرة انصهر أبناؤها في الشعب الأندونيسى فتسموا بأسمائه ، وحملوا ألقاب الشرف الأندونيسى منذ سبعة أجيال وخمسة ، لكنهم رغم ذلك لم يزالوا يحتفظون بوثائق سلاسل النسبة العلوية . وقد حذاهم إلى حمل الأسماء والألقاب الأندونيسية النهرب من القانون الاستعماري الذي لا يسمح بالتلك - وخصوصا للأراضي الزراعية - والتنقل في أرجاء البلاد بحرية ، والتعلم في المدارس الهولندية ، واحتلال الوظائف الإدارية البلدية ، إلا لأولئك الذين يتمتعون بالإضافة إلى أندونيسيتهم بشرف لقب (رادين) وهو لقب له دلالة على الاتصال بالأسر المالكة نسباً أو مصاهرة . قالزعيم الإسلامى الكبير الحاج عمر سعيد شكرى أمينوتو مؤسس حزب (شركة إسلام) أول منظمة إسلامية أندونيسية ، وختته الدكتور الشهير (سوتومو) أعلنت نسبتهم بعد وفاتهم في زمن الاستعمار . ولا أزال أذكر يوم نشرت جريدة (ماتاهارى) بمجاوة

مشهورة . وكل أولئك أعقبوا في هذه البلاد ، ومن أشهر أبناء الداعية الأول الشريف رحمة الله ابنه المدعو الملك ابراهيم المقبور في مدينة فرسى بجاوة الشرقية ، وتلا أولئك الدعاة الشريف هداية الله المقبور في (فونغ جاتي) جبل الساج في مدينة شربون بجاوة الغربية . وفي تلك الأثناء اشتهر (رادين فتاح) وهو ابن ملك ماجافاهيت من زوجة ثرية صينية أسلم ذلك الأمير على يد الشريف إسحق وسمى عبد الفتاح ، وهو الذي أسس مدينة دماك بجاوة الوسطى . وهو أيضا أحد العلماء الإسلاميين الملقبين بلقب والي سوغو ، يعنى الأولياء التسعة الذين بنوا مسجد دمك الشهير القائم إلى اليوم ، وهب الفتاح هذا هو الذي حارب أباء البوذى بعد أن ظهرت منه المقاومة للدعوة الإسلامية والتدابير للقضاء على أبطالها ، وعلى يده انهارت مملكة ماجافاهيت الشهيرة .

أما طريقة أولئك الدعاة في نشر الإسلام : فانهم جعلوا من منازلهم معاهد ومدارس لإيواء المريدين والطلاب من أبناء الشعب وشبابه ، والقيام بتكاليف معاش بعضهم ، وتعليمهم العقائد الدينية والواجبات العينية والمبادئ الإسلامية الطاهرة دون أن يتعرضوا لإنكار العادات التي لا تمس العقائد ثم بث المتخرجين في النواحي والقرى لإقامة

ويعرفون بآل هظمة خان ، وانتشر رجال تلك الأسرة خصوصا بعد اختلال الأمن في الهند وحروب آل طغلق والمهراجات ، فقد كان منهم من ذهب بطريق الهند الصينية ، ومنهم من ذهب إلى البنغال ، وعبر من خليج بنغال إلى شبه جزيرة الملايا وسومطرة وهما لإسحق ، وأبو بكر ، فالأول أقام برهة في (سيقون) في الهند الصينية ، والثاني ذهب إلى الملايا وتزوج بكريمة سلطان جوهور ، وتتابع الإخوة وأبناء العمومة إلى جزائر الشرق .

وقد ولى الداعية الأول بجاوة الشريف رحمة الله مؤسس مسجد أمغيل بسربايا جزيرة جاوة عن طريق الهند الصينية ، وقبعه بعده أخوه إسحق الآنف الذكر المقبور الآن في فونغ بجاوة الشرقية ويعرف بلقب (سون بونغ) ، ثم جاء بعدهما ابن إسحق الشريف محمد هين اليقين ، المقبور في فيرى بجاوة الشرقية أيضا والمعروف أيضا بلقب (سون فيرى) — وقد تزوج هذا بكريمة الملك البوذى في ماجافاهيت بجاوة الشرقية ، تزوجها بعد أن أسلمت في حكاية مشهورة يتناقلها الأحفاد عن الأجداد محفوفة بكثير من الخرافات والأساطير . والمشهور أن الشريف محمد هين اليقين هذا مجاب الدعوة وقد ظهرت على يديه خوارق

في ذلك الزمان بواق واق ، وأصبحت السفن التي يمتلكها التجار العلويون ، أو يستأجرونها تمخر عباب بحر الهند ما بين خليج بنغال وملايا وسرنديب ومدغشقر يقودها ربابنة منهم ، ولا تزال بقايا أسرهم الجديدة في هذا المهجر معروفة إلى اليوم في آسية بسومطرة الغربية وفليمباغ بسومطرة الشرقية وفي شبه جزيرة ملايا من أسرة آل الزاهر وآل الجفري ، وتتابع ورود أفراد العائلات العلوية إلى هذه الجزائر خصوصا بعد اختلال الأمن بحضرموت وتنازع القبائل على النفوذ والسيطرة . واستمر الاتصال المباشر بصورة دورية بين جزائر الشرق وحضرموت أثناء القرن الحادي عشر الهجري . وتكونت أسر جديدة منهم في المهجر من كل تلك الأسر المعروفة من العلويين في حضرموت . وتناسلوا وانتشروا في أرجاء هذا الشرق الخصيب المسلم ، ولم يكن غير العلويين أحد من الحضارم يعاني الأسفار ويغامر في البحار؛ إذ أن أهالي حضرموت يومئذ كان أكثرهم بادية وزراع ، والطبقة المتنورة التي لا تقل عن طبقة العلويين علما وثقافة هم المشايخ الصوفية المعروفين من آل عمودي وآل بافضل وآل باقشير وآل باوزير . وكانت هذه الأسر قليلة الأفراد ، وكانت إلى ذلك تنعم

المصليات والمعاهد لتعليم القرآن والأحكام على ذلك الأسلوب .

ولقد كان لهذه الطريقة السهلة أثر فعال حيث إن أكثر الأهل لم يزالوا على الفطرة ، وقد سوا في هذا الدين أشياء رفعت الروح الإنسانية فيهم من حضيض الحيوانية والاستعباد .

وقد وجد الدعاة الأولون القربة الخصب الطاهرة ، فسرعان ما انتشر الدين الخفيف في أرجاء أندونيسيا ، وكان لمرونة أولئك الدعاة وصبرهم نصيب وافر في تحبيب هذا الدين الخفيف الذي أبقى على كثير من الأعياد والأفراح الموسمية وإحياء الليالي بالسهرات التمثيلية والرقص ، بل أدخلوا في كل ذلك عنصرا جديدا على الأغاني والأناشيد من الآداب والحكم والفلسفة وجمعوا من الأبطال الخياليين في التمثيلات أبطالاً إسلاميين ، مما حول الصور الفنية إلى معاني إنسانية إسلامية وبهذا اتى انتشار الإسلام كل سهولة .

تابع هجرة العلويين :

بفضل أولئك الدعاة الأولين وأبنائهم دخل الإسلام كل جزائر أندونيسيا والفلبين وبالإسلام لمع اسم أندونيسيا ، وكانت تعرف

وحمل هذا السيل الجارف في غواربه أخلاطاً وأوشاباً من الآدميين والجهال والرعاع معتمدين على قوة سواعدهم وجلدهم لا سلاح لهم من دين ولا ثقافة ولا معرفة لهم بأساليب التجارة ، ولا مال يتأثلون به ولا شيء من المؤهلات ، فماذا يصنعون ؟ وفي أى سبيل لطلب المال والثروة يسلكون ؟ لم يكن أمام هؤلاء بادية ذى بدء إلا الاستجداء ، ويتجمع من الاستجداء ، ما شاء الله من المال ! هنا يتدربون على البيع والشراء لبعض الحاجيات الصغيرة ، فيدورون في الحارات والقرى والمنازل يبيعون بضائعهم بالدين والنسيئة ويدفع الثمن مقسطاً بأرباح كبيرة ، ثم تغريم سذاجة الأهلى وطيبتهم فيبيدون في السهم في طريق المراهبة والحيل . ولقد نبغ منهم الكثير في هذه العمليات فاحتلوا مكاناً من هذه الدنيا الصاخبة بالسكان وامتازوا في اختراع أساليب الابتزاز ، وانبشوا في الدساكر والقرى ، وأثرى جلهم إن لم نقل كلهم ثراء فاحشاً حيث كانوا لا يتورعون في الوسائل الابتزازية ، مستغلين الطيبة النفسية في الأندونيسيين . وهكذا اشتد تيار الهجرة من جميع أجزاء الجنوب العربى ، ومن جراء ذلك كان بدء التحول في تاريخ العرب بأندونيسيا .

بسلطة روحية في القطر الحضري ، ولهم بما تغله الاوقاف والاطيان المحبوسة ما يغنيهم عن النزوح عن الوطن الحضري .

الاستعمار الهولندى وأثره :

في أواخر القرن العاشر الهجرى ومطلع القرن الحادى عشر منه بالذات عرفت أندونيسيا ذلك النوع الجشع من البشر الذى وفد باحثاً عن خيرات الشرق وحاصلاته التى كان يشتريها في بلاده أوروبا بوزنها ذهباً وقضة ، واستحكم الغريب الهولندى الذى منيت به أندونيسيا وثبتت أقدامه فيها بالخداع والمكر ثم بالقوة . وفي تلك الأجواء أخذت وسائل النقل والمواصلات في الكثرة والتحسّن ثم شقت قناة السويس ، وأضحت السفن والبواخر غادية رائحة من وإلى الشرق الخصيب الغنى ، وتطورت المنتجات وتنوعت المصنوعات . وشرع المهاجرون الحضرميون يغدقون على أسرهم وعائلاتهم بحضرموت من ثمرات جهودهم التجارية ، وظهر في تلك الأسر الحضرمية تطور في أسلوب المعيشة ، حيثئذ تفتحت عيون الحضارم من سكان الأرياف والبادى والوزراع والعمال وبدأ سيل الهجرة يتدفق على هذه الجزائر الغنية ذات المعيشة السهلة ، والأهالى الطيبين .

صورة نظيفة :

أما الأهالي فكانوا ينظرون إلى أولئك الرجال نظرهم إلى الآباء الروحانيين ، فيجلون كل ما يتصل بهم وبهذا الدين الخفيف ، وقد بلغ بهم من إجلالهم أن يتبرك أهل القرى بآثار أقدامهم إذا مر أحدهم في القرية فيسأخذون التراب الذي مسه أقدامهم وينشرونه في منازلهم ١ وإذا رأى أحدهم قصاصة من الورق عليها كتابة عربية على الأرض وقفها وقبلها بكل حنان واحترام كأنها من المصحف الشريف ١ .

فإذا كانت هذه الصورة من إجلالهم للعرب والعربية ، فناهيك بنفوذ تعاليمهم فيهم . ولقد امتزج العرب الأولون حتى حدود هذا التاريخ بالأهالي وخالطوهم بالمصاهرة ، والتحمت للنسبة وتبادلوا الموارث ، ولهذا انصهر الكثير من أبنائهم وأحفادهم في الأندونيسيين لغة وسحنة وعادات وأزياء بحكم البيئة والأمومة .

لقد كان ذلك العربي الطاهر النزيه هو العدو للاستعمار ، هناك بدأت السياسة الاستعمارية تفكر في طريقة للحد من هذا النفوذ ، وظلت تضرب أخماسا في أسداس كي توجد الثغرة التي تنفذ منها إلى حفر الهوة بين العرب والأهالي ، أما لإيصاد الأبواب في وجوه المهاجرين فقد بدأت فيه بمن القوانين

لقد كان العربي المهاجر حتى أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر صورة صادقة للسلم الداعية ، والعربي المجاهد . فقد كانوا إلى جانب أعمالهم التجارية النزيهة ومعاملاتهم الطيبة ، وصناعاتهم النافعة يجعلون من بيوتهم مدارس ومعاهد لتعليم الدين والقرآن واللغة العربية ، ومن المساجد التي أقاموها ملتقى الأخوة والتعارف والتعاون على البر والتقوى . وكانوا يوالون الزيارات ونشر الدعوة بين إخوانهم الأندونيسيين في القرى النائية ويبنون فيها المعاهد والمساجد ، ويتصلون بشيوخها المسلمين ويعينونهم بالجاه والمال على نشر التعاليم الإسلامية ، وكان الاستعمار ينظر إلى هؤلاء الرجال نظر العدو الخافد لأنه يراهم السد المنيع دون انتشار التبشير والتفليل ، والمصدر الذي يبعث روح المقاومة للإخلاق والرضى بحكم الأجني غير المسلم ويقسح في وطنية الأندونيسيين زناداً يحول دون التعاون مع الأهداف الاستعمارية الهدامة ، وهم الروح القوية التي تشد أزر الإسلام في هذه البلاد وبهم تتوحد صفوف المسلمين ، كان المستعمرون يسمون ذلك العربي :

المدرسة الجواله .

وغصت المحاكم بالمرافعات بين المرابين والآهالي وأرباب المناصب والموظفين والصناع منهم .

تشويه وتفارقة :

وهنا بدأت سمعة العرب تسوء لدى الآهالي وكانت الجرائد والمجلات الأجنبية للاستعمار تزيد الشبهة اتساعا بما تنشره من الحوادث الجارية من هذا النوع لغرض تشويه سمعة العرب .

وحينئذ ألف الهولنديون كتب المطالعة باللغة الأندونيسية لتدرس في المدارس الأهلية الحكومية ، وأهتمت هذه الحوادث مادة لإنشاء القصص والحكايات فيها ، فصوروا الحضري عندما يهبط إلى موانئ جاوة ، وهو في خشونة البدانة وقذارة الفقر ووحشية الجهل حافيا نحيفا لا يحمل إلا وسادة متسخة وغطاء قذرا ، وصوره وهو يدور في الفوارع على صغار الباعة يجمع الربا اليومي للدين ، متوشحا بخريطة نقوده متأبطا هراوته حافيا مشمرا إزاره إلى ركبتيه ، وصوره وقد انفخ كرشه وترهل جسمه وغلظ وجهه وصوروه في بيته وهو يضرب خادمه الأندونيسي ويفتخره ويطرده ، وأخيرا صوروه وهو يترافع في المحاكم وبعض الآهالي ، وبين هذه الصور تساق القصص الشيقة ، بأسلوبها (البقية على صفحة ٥٧٠)

ووجوب دفع ضريبة دخول فاحشة على المهاجرين الواردين ، كما ضايقت تنقلات العرب بين القرى والدساكر بإيجاد أذونات رسمية للتنقلات لا يمكن الحصول عليها إلا بشق الأنفس تحديدا للنشاط العربي والروح الدينية .

الاستعمار بتعلو بالأوساب :

لا شيء أمام الاستعمار لينفذ منه إلا أولئك الذين وفدوا أخيرا من الحضارم كالوباء الذي يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار ، نعم لم يكن هناك غير المرابين المنبئين في الدساكر والمدن والقرى ، وأفسح الاستعمار لهم المجال وسمح لهم بمعاونة الربا وبيع الآثام المنزلى بالتقميط المضمون قانونيا ، وعلهم بواسطة المحاميين مواد القانون الاستعماري التي تضمن للدائن حق الحجز والمصادرة ، فاندفع أولئك الأجلاف يعيشون في الأرض فسادا ، فأغرقوا الموظفين وأرباب المناصب الحكومية والصناع والعمال وصغار التجار حتى الجنود والشرطة بالديون الباهظة ورباها المضاعف ، وسهلوا نظريا طريقة الدفع بالتقميط الشهري والسنوي وتعلبوا كيف تسكتب الوثائق والبواص التي تخول لهم حق المصادرة والحجز إذا تأخر الدفع أو تقسروا العجز ، فنبغ في ذلك البدوي الأسمى الحضري .

ولو ثقفت يوما حضرميا

لجسأك آية في النسابغينا

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوي

- ٢ -

شأننا وأشقها أداء . فهو في وقت واحد ، مدير لسكة الحديد ، ووزير للعارف ، والأشغال ، والأوقاف ، ونظر للقناطر الخيرية ، وملحق بحاشية إسماعيل . وقد قام بجهده هذه المناصب والأعمال كلها على أتم وجهه وأكمله . وكان يعمل فيها بالليل والنهار . وهو فوق ذلك كله ، يشغل بأمر التلاميذ والمعلمين وكتبهم . ويوزر ديوان المدارس ، مرتين في كل يوم . ويضع ، في نفس الوقت أيضا ، لائحته المشهورة لإصلاح التعليم في الكتاتيب . وينشئ مدرسة دار العلوم لخدمة حاجة التعليم من المعلمين . وينشئ دار الكتب المصرية وينظمها . فقد صدر أمر لإسماعيل بإنشائها . في ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٢٨٦ (١٨٧٠ م) ببناء على مذكرة رفعها إليه علي مبارك باعتباره وزيراً للعارف ، وكانت دار الكتب أول منشأتها تابعة لهذه الوزارة .

وفي ٢٢ صفر من سنة ١٢٨٨ (١٨٧١ م) أصدر إسماعيل أمراً بضم جميع المدارس إلى ديوان المدارس ، وفصل المدارس التي تتبع وزارة الأشغال وضما إلى هذا الديوان ، وأن

كان إخلاص علي مبارك وشغفه بتعليم أبناء وطنه كفيلاً بأن يبلغا بجهده غاية النجاح . فقد خرج من المدارس التي كان يشرف عليها ويؤلف لها ويدرس فيها ، نوابغ ومجيدون للغة الفرنسية لإجادة من درسوها في فرنسا^(١) . وكان ، مع ذلك ، لا يشق على التلاميذ ولا يمتنعهم . كما كان الحال إذ ذاك . ولا يرهقهم . كان يمنع ضرب الأطفال منعا باتا ويشجعهم بالهدايا ، ويحثهم على أن يلعبوا ويظهروا من نشاطهم البدني ما يستطيعون . ويوصي معلمهم بأن يأخذوهم بالرقة والرفقة والملاينة . وقد كانت نسبة المجانية في عهده ٤١ ٪ . في المدارس الأميرية ، و ٢٣ ٪ في المكاتب الأهلية^(٢) .

وآية لإخلاصه في العمل وجلده عليه ما نجده منه عند ما تولى ، مرة واحدة ، جملة من أخطر المناصب وأضخمها مسئولية وأعظمها

(١) ص ٤٥ من الجزء التاسع من المخطوط .

(٢) من تقرير له بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٨٩ رفعه للخديو ونشرته جريدة اللواء بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٠٧ [العدد ٢٢٩١] .

وكانت دار العلوم عند إنشائها ملحقة بدار الكتب ، في باب الخلق ، وكانت تقبل الطالب إذا كانت سنة بين العشرين والثلاثين .

وقد بدأت دار العلوم سنتها الأولى بهؤلاء العشرة من الطلبة . ولكنها عند ما بدأت سنتها الدراسية الثانية يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٢ (٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ هـ) زاد عددهم إلى خمسين .

ومن تعلم في دار العلوم : حسن باشا جلال ، ومحمد باشا صالح ، وعبد الرحمن باشا سيد أحمد ، ممن بلغوا أرقى الدرجات في التعليم وفي القضاء . وكلنا يعلم مكانة دار العلوم منذ نشأتها . وفضل رجالها على اللغة والتعليم والثقافة . فهمي ، بذلك ، من أبرز أعمال علي مبارك . لذلك نرجو أن نعذر في هذا الاستطراد الطويل في الحديث عنها . إذ لولا إخلاصه وتفكيره وجلده ما كانت دار العلوم ، أو على الأقل ما كانت بهذه المثابة والمنزلة في تاريخنا الفكري والتعليمي والثقافي .

عالم مؤرخ أديب :

وعلى مبارك يجمع بين صفات العالم وسمات الأديب وخصائص المؤرخ . فهو في حديثه عن الزراعة^(١) مثلاً يذكر نشأتها وتطورها منذ كانت عملاً بدائياً يقوم به الناس في

يستقل علي مبارك بإدارة هذا الديوان لما رآه في ذلك من صالح المصلحة ، كما جاء في أمر إسماعيل .

مدرسة دار العلوم :

وفي التاسع من ربيع الثاني سنة ١٢٨٨ (يوليو سنة ١٨٧١) صدر أمر إسماعيل بإنشاء مدرسة دار العلوم ، وطلب منشأها ووزير المعارف علي مبارك من شيخ الأزهر أن يختار له بعض العلماء ليدرس فيها التفسير - بمرتب أربعة جنيهات في كل شهر - على أن يلتقى في كل أسبوع درسين زمن كل منهما ساعة ونصف . وأن يختار لهذه المدرسة عشرة من طلبة الأزهر يلحقون بها . على أن يمنح كل منهم إعانة شهرية قدرها خمسة وعشرين قرشاً^(٢) وكان الذين اختارهم شيخ الأزهر للتدريس في دار العلوم ، هم : الشيخ حسين المرصفي ، والشيخ عبد الرحمن الجيزاوي ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي . كما اختار للالتحاق بالمدرسة عشرة من الطلبة ، نحمد أسماءهم في أمر من أوامر وزير الأوقاف ، علي مبارك^(٣) .

(١) نص خطاب علي مبارك إلى شيخ الأزهر موجود في ص ٩٣٣ من الجزء الثاني من المجلد الثالث من كتاب تقويم النيل لابن باشا ساي .

(٢) في ص ٩٤٨ من المصدر السابق نص الأمر وأسماء الطلبة .

(١) للمسامرة الثامنة والثمانون . ص ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١

والأخلاق ، وهذه الكفاية صاحبها لينال ثقة الحاكمين ، وخاصة إسماعيل ، فقد رأينا أنه ولاه في سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) ثلاث وزارات . ثم نجد أمراً من إسماعيل - تاريخه ١٣ جمادى الآخرة من نفس السنة - يتضى بتعيينه « وكيلا عاما لديوان المدارس » ، وفي صيغة هذا الأمر ندرك الثقة التي كان يوليها إسماعيل إياه ، والمكانة التي نالها عنده ، وندرك الأهمية التي كان ينظر بها إسماعيل إلى مشروع علي مبارك هذا الذي وضعه لإصلاح التعليم . حتى يضع المجلس الذي يناقش المشروع تحت رياسته . ونجد بعد ذلك - في ٤ صفر من السنة نفسها - أمراً آخر من إسماعيل بتموير النظام الذي وضعه علي مبارك وأقره المجلس (١) .

ثم نجد علي مبارك قد تولى من إسماعيل هذه الوزارات نفسها بعد ذلك مرة أخرى

(١) كان أعضاء المجلس هم : الشيخ عبد الهادي الإيباري ، والشيخ اسماعيل الحلبي ، مفتي الأوقاف ووكيل الأزهر سابقا ، وأحمد أبو مصطفى عمدة مابج روضة ، ومحمد الصيرفي عمدة بلقانة بحيرة ، والسيد محمود العطار من عمدة المحروسة ، والحاج يوسف عبد الفتاح « سر تجار مصر » ، وعبد الله بك من أعضاء مجلس استئناف مصر ، واسماعيل بك ناظر للهندسخانة والرصدخانة ، ورفاعة بك ناظر قلم ترجمة ، وعلى بك مبارك وكيل « ديوان المدارس » : عن فرمان اسماعيل ص ٤٨٧ جزء ٣ مجلد ٢ من « تقويم النيل » .

العصور القديمة ويستعملون فيه أيديهم وأرجلهم وتلك الأدوات الساذجة البسيطة من الخشب والحجارة . ويذكر إلى ذلك إحصاءات دقيقة عن تقدم الزراعة في فرنسا في القرن التاسع عشر ونماء الثروة القومية بسببها ، وهو لا يدع حديث الزراعة حتى يذكر شيئا من الشعر العربي القديم .

ونجد ذلك في شيء كثير جداً من مسامراته في « علم الدين » .

وكان حريصاً على المعرفة والكشف مغرماً بهما صبوراً على ما يقتضيان من مشقة ونأن وجهد . وفي حديثه عن زيارته وكشفه « لجبل المرمر » (١) في بني سويف ، مظهر واضح الدلالة على ذلك .

مصرى العاطفة :

وكان مصرى القلب والعاطفة منصفاً . يدل على ذلك - إلى جانب ما أسلفنا من الدلائل - ما تأم به في فترة يسيرة تولى فيها أمر وكالة مجلس التجار ، فقد حمده له التجار المصريون عدله فيهم ، وإنصافه لهم . بعد صلفه الأرمي الذي كان يظلمهم ويتحيفهم . لذلك كان أسفهم طويلاً ، وحزنهم عميقاً عندما فصل من عمله هذا .

وكان طبيعياً أن تؤهل هذه الصفات

واستطاع علي مبارك إقناع إسماعيل بإبقائه
فبقى ، وتخرج على يديه عدد من كبار الرجال
في مصر (١) .

ونجد آثارا من طبيعة علي مبارك وخصائصه
النفسية ، لا في تصرفاته وأعماله وحدها ،
بل فيما يضع من قوانين ولوائح ونظم أيضا .
فقد رأينا في مشروعه الذي وضعه للتعليم
وإصلاح النظم المدرسية ، أنه فرض
المصروفات المدرسية ، ولكنه تركها من
غير تحديد ، يدفع القادر منها ما يشاء عندما
يشاء ، فهو لم يضع لوائح ونظما للإعفاء منها
ولا لتحديد مقاديرها ودواعيد سدادها ،
بل ترك للناس أن يصنعوا ذلك بوحى من
ضمائرهم وخلقهم . أشعرهم بأن الحكومة
لا تستطيع وحدها أن تعلمهم ، وأن ما وقف
على التعليم والبر لا يكفي لتعليم أبنائهم ، وأن
عليهم أن يسهموا في ذلك ، كل بالقدر الذي
يستطيعه ، بلا سيطرة من قانون ولا قوة ،
ولا حرمان لمن لا يدفع ، ولو كان قادرا ،
وهذه هي سماحة الإسلام وتربيته وتهديبه .
فلك التي تجعل للمحتاج حقا في مال القادر ،
وتجعل ضمير هذا القادر هو الحافظ

في سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩ م) بعد ما أحرز
من نجاح فيها في المرة السابقة . فلما رأى
إسماعيل بعد ذلك أن بكل أمر هذه الوزارات
الثلاث إلى ابنه الأمير حسين كامل ،
بعد ضم بعضها إلى بعض ، اختار علي مبارك
مستشارا له ، في ٢١ جمادى الآخرة من سنة
١٢٨٩ (١٨٧٢ م) .

وقد روى أمين باشا ساجى قصة ذات
دلالة كبيرة على إخلاص علي مبارك لوطنه ،
وعلى بعد نظره ، كما تدل على العقلية العالية
التي كانت تسيطر على تفكيره . والى كان
يريد أن تتقدم عن طريقها مصر .

فقد كان في مدرسة « أنجال إسماعيل » التي
كانت في المنيل ، عالم فرنسي يدرس فيها علوم
الرياضة والطبيعة والكيمياء ، اسمه ميسور
فيدال ، ثم رأى إسماعيل أن يرسل أبنائه
إلى أوروبا ، وأن يستغنى عن خدمات بعض
المدرسين الأوروبيين ، ومنهم العالم فيدال .
وقدم مصر في ذلك الوقت مبعوث من حكومة
اليابان وطلب من فيدال أن يذهب معه إلى
اليابان بمرتب أزيد مما كان يتطاء في مصر ،
على أن يزداد في كل سنة ، وعلى ألا يترك
اليابان إلى فرنسا إلا مرة كل خمس سنوات ،
فقبل . وعند ما علم علي مبارك ذلك أبلغه
إلى إسماعيل ملتصقا أن تحرص مصر على
بقاء هذا العالم الكبير فيها ، لتنتفع به .

(١) الملخص عن ص : ٨٠٦ ، من كتاب تفهيم
النيل - المجلد الثاني من الجزء الثالث

أدري هل نستطيع أن نتخذ من نسبته إلى « الروم » دالة على أن في أصله دماً غير مصرى أم لا . على أن كل الدلائل وما سمعته عن الذين كانت له بهم صلة صداقة أو قرابة أو نسب تدل على أنه كان أصيلاً في مصريته ليس في عروقه دم دخيل .

وقبل أن نلخص هذه الترجمة الشائقة الفريدة عن سيرته . لا بد أن نشير إلى أمر له دلالة كبرى في التعريف بعلي مبارك ، وإدراك عظيمته النفسية .

فهو في هذه الترجمة يذكر أشياء ندر أن يذكرها أحد عن صباه وطفولته . وبخاصة من بلغ مبلغه من الجاه والمجد والمكانة . نجد في حديثه عن صباه وطفولته ما لقي هو وأهله من الهوان والمذلة ، وما قاسى وقاسوا من الفقر والشقاء والمحنة . وهو يفصل ذلك تفصيلاً فيه صدق وعاطفة . لا تحس معه أنه يخجل مما كان فيه من هوان وذلل ، وما كان فيه أهله من فقر وشقاء ومحنة . بل لعلمك واجد من حديثه بعض شيء من الفخار والاعتزاز ، لأنه استطاع بكسبه وجهده وصبره أن يخرج من كل هذا الفقر والذل والهوان ، وأن يعلو بقدره ويسمو بمكانته إلى أعلى مقام يمكن أن يصل إليه مصرى في ذلك الزمان . وهو بذلك يضرب أروع المثل للشباب ، وأعظم القدوة لمن يريد ألا يعرف المستحيل ولا أن يعترف به .

على أن يفعل ويبذل ، وهذه أيضاً هي الاشتراكية الحديثة بأرفع دلائلها ومعانيها . وقد رأينا أن ضمائر الناس وحدها كانت سبباً في ازدهار المدارس ، وزيادة عدد التلاميذ زيادة كبيرة .

على مبارك بقلمه :

هذا الرائد المصرى العظيم ، الذى قام ، وحده ، بمجد يقصر عنه جهد العشرات من الرجال . في دفع مصر دفعا قويا مضطردا نحو الحضارة الحديثة في مظاهرها المادية والثقافية . كما نجد تفصيله في هذه الدراسة ، هذا الرائد العظيم كتب بنفسه قصة حياته وجهاده ^(١) ، فجاءت قصته هذه صفحة من أجل وأروع ما نجد في الأدب العربى - إلى عصره - من صفحات . وكاف صدقه فيها وتسجيله ، ببساطة وإخلاص ، أحداث حياته وشقوته وشقوة أهله وأشباههم من الفلاحين ، وتسجيله ما لقي في طفولته وصباه من المحن . كان صدقه وهو يسجل ذلك كله ، من أهم ما أضفى على هذه الترجمة من قوة وعمق ، وأبرز لها من قيمة وتقدير .

وبعض الذين ترجعوا له يضيفون إلى اسمه لقب « الرومى » ، وإن كان جورجى زيدان يذكرها « الرومى » ، ولعله تهجيف . ولست

(١) من ص ٣٧ إلى ص ٦١ من الجزء التاسع من المخطوط .

ومؤلفاته في السنين الأخيرة . منذ وقف علي مبارك بترجمته لنفسه حتى مات ، ويقول درى باشا في مقدمة رسالته أنه هو الذى رسم لعل مبارك الصورة المتداولة عنه من الذاكرة ثم أرسلها إلى أوروبا فطبع على النحاس ، وقد صدر بها رسالته تلك وكذلك لخص هذه الترجمة المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبي (٢) ولخصها أيضا المرحوم الأستاذ أحمد أمين في ترجمته له (٣) .

مؤلفاته :

لعل مبارك عدد كبير من المؤلفات . تناول مواضيع مختلفة كالتاريخ ، والأدب

بالقاهرة سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤٠م) ثم التحق بالجندية في عهد محمد علي ، ودخل مدرسة الهندسة وكان ناظرها على باشا مبارك ، ثم اتجه لدراسة الطب فدرسه في باريس حتى أصبح أستاذ الجراحة في مصر ، وبعد الاحتلال الإنجليزي أحيل إلى المعاش فأنشأ المطبعة التي أشرنا إليها واشتغل بها وبالتأليف حتى مات في ٣٠ يولية سنة ١٩٠٠ [توجد ترجمة وافية له في الجزء الثانى من كتاب تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجورجى زيدان ص ١٩٢ - ١٩٧ وكتاب البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهد عباس الأول وسعيد ، للأثير عرطوسون ص ٥٦٦ - ٥٦٩

(٢) راجع ص ١٧٢ - ١٩٧ من كتابه تاريخ مصر في عهد إسماعيل الجزء الثانى .

(٣) في كتابه زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص : ١٨٤ - ٢٠١ .

وهذا الاعتراف من علي مبارك بهوان أصله وحقارة ماضية . صادق كل الصدق من الناحية الفنية ، رائع أيضا من الناحية التصويرية . فأنت تقرأ له هذه الصفحات التي أطال فيها وأجاد ، فتحس معه بالحزن أو الأسف أو الغضب أو الإشفاق . حسبا يتحدث هو من وقائع حياته وإحساسه . ولكنتك في كل هذا جميعا ، معجب أشد الإعجاب بقوة هذه النفس وعظمة هذه الشخصية التي لا تشعر بشيء ما من « مركب النقص » فيحاول صاحبها أن يخفى أو يقتصر ، أو يدعى لنفسه ما يشاء . بل يجعل هذه الاعترافات منارا يهتدى به نظرائه وأشباهه من أبناء هذه الأمة من الفلاحين . فلا يعتقدون أن شيئا في الحياة ، أو منصباً مهما سما وعلا ، بعيد على جهدهم وكفاحهم وصبرهم .

وهذا درس آخر من أعظم الدروس التي نفيدها من حياة علي مبارك .

وهذه الترجمة الأمانة الصادقة المنفصلة التي كتبها علي مبارك لنفسه ، انتزعها صديقه وزميله وتلميذه محمد باشا درى الحكيم وطبعها في رسالة صغيرة (١) . زاد عليها ذكر أعماله

(١) تاريخ حياة للفنور له علي مبارك باشا : طبعت في مطبعة محمد باشا درى التي سماها المطبعة الطبية الدرية بحارة السقاين بمصر المحمية سنة ١٣١١هـ ١٨٤٩م أما محمد باشا درى الحكيم فقد ولد

- والهندسة العسكرية ، والطب ، والجغرافية ،
والحساب ، والحديث الشريف وشرحه ،
والموازين والأقيسة ، والهجاء والتمرين
على القراءة .
ومن عرض هذه الكتب ، نعرف أن على
مبارك كان رجلا موسوعيا متنوع الثقافة ،
محيطا بشيء كثير من المعارف التي كان يحتاجها
أهل عصره . وكانت مصر تحتاج إليها وإلى
من يعرفها في تلك الفترة الحاسمة من تاريخها .
وهذا ما عرف من مؤلفاته : (١) .
- ١ — تذكرة المهندسين ، وبصرة
الراغبين . طبع سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) م .
- ٢ — تقريب الهندسة لاستعمال العسكرية
المصرية . طبع في مطبعة وادى النيل
سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠ - ١٨٨١) م .
- ٣ — تنوير الأفهام في تغذى الأجسام .
طبع في مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ ثم في
مطبعة الجمهور سنة ١٩٠٣ م .
- ٤ — جغرافية مصر . طبع في مصر
سنة ١٨٩٤ م .
- ٥ — حقائق الأخبار وأوصاف البحار .
ألفه لتلاميذ روضة المدارس المصرية طبع
مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧ هـ .
- ٦ — الخطط التوقيفية ، نسكها للخطط
- المقريزي . تم طبعها في مطبعة بولاق الأميرية
سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٧ — خلاصة تاريخ العرب . ترجمة
كتاب العالم الفرنسي سيديو . طبع في مطبعة
مصطفى محمد سنة ١٣٠٩ هـ .
- ٨ — خواص الأعداد . طبع في مطبعة
المدارس سنة ١٢٨٩ هـ .
- ٩ — شرح الحديث الشريف : د اعمل
بناك كأنك تعيش أبدا .
- ١٠ — طريق الهجاء والتمرين .
- ١١ — علم الدين ، وهو مسامرات علمية
أخلاقية صهرانية ، طبع في مطبعة جريدة
المحرسة سنة ١٢٩٩ (١٨٨٢) م .
- ١٢ — الميزان في الأقيسة والمسابيل
والأوزان . أثبت فيه أن أصل الأقيسة
والأوزان كلها مصرى . وأن الأقيسة
والأوزان العبرية والرومانية مقتبسة من
الأقيسة والأوزان المصرية القديمة . طبع
الجزء الأول في مصر سنة ١٣٠٩ .
- ١٣ — نخبة الفكر في تدبير نيل مصر
طبع في مطبعة وادى النيل سنة ١٢٩٨ هـ
وفي آخره جدول يحتوي على غاية التحاريق
وزيادة النيل والصرف ، وتحوله إلى أمتار
من ابتداء سنة ٢٠ هجرية .
- هذه هي مؤلفاته المعروفة ، كما سجلها
سركيس ، ولكن هناك مؤلفات لم تطبع
- (١) نقل عن « معجم المطبوعات العربية
والعربية » . ليوسف سركيس .

ثم أمرت بطبعه ، ثم خرج علي مبارك من وزارة المعارف ، فلما عاد إليها في سنة ١٣٠٥ وجد الكتاب لم يطبع ، ومنه أبواب لم تترجم وأخرى لم تستوف حقا من الترجمة : (فترجنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الأصل كلمة كلمة ثم كافنا الشيخ عبد الرحمن بن العلامة الشيخ السيد الشرقاوي الشرشيمي المتوفى سنة ١٢٨٨ بأن يراجعه من الناحية العربية وكافنا ما يراجعها الشيخ يعرض علينا) .

كذلك نجد في ترجمته لمحمد أفندي عثمان الوناني (١) - وهو أحد معاصريه الذين استكتبهم تاريخ حياتهم وضمنها كتابه « الخطط » - نجد في هذه الترجمة أن صاحبها نقل إلى العربية قصصا فرنسية ، بتكليف من علي مبارك .

ونجد علي مبارك نفسه يقول في ترجمته للمرحوم صالح مجدي بك : « ... وطالما استعنت بقلمه على تأليف كتب متنوعة في فنون شتى (٢) كما يقول في ترجمته أيضاً ... » أحييت على عهدتي ، ولنا ناظر القناطر الخيرية ، مأمورية تأليف كتاب الهجاء والتمرين فطلبت المترجم من ديوان المدارس ، بأمر عال ، فحضر عندي

فهو يقول في ترجمته أنه ألف كتابا في فن الاستحكامات العسكرية ، وسوق الجيوش وترتيبها ، والمناورات الحربية . ولكنه لم يطبع ، وفقد منه . وكذلك يقول فيها إنه ألف كتابا في فن « العمارة » لم يطبع .

وكان علي مبارك يستعين بمن يأمن عنده القدرة على أن يشاركه في تأليف هذه الكتب وهو يسجل ذلك بنفسه . كما نجد في ترجمته للمرحوم صالح مجدي بك ، فقد ذكر أنه أعانه في تأليف كتابه « طريق الهجاء والتمرين » . كذلك كتاب سيديو (١) « خلاصة تاريخ العرب » كان علي مبارك هو الذي أمر بترجمته وراجع هذه الترجمة . ولكن الذي ترجمه إلى العربية فعلا ، هو محمد أفندي ابن أحمد عبد الرازق أحد المترجمين في نظارة المعارف التي كان يتنظر عليها علي مبارك . وقد هذب الترجمة ، وصحح عبارتها الشيخ سيد الشرقاوي الشرشيمي .

نجد في المقدمة التي كتبها علي مبارك لهذا الكتاب ما يلي : « ... أمرت بترجمته وأنا ناظر على ديوان المعارف سنة ١٢٨٥ هـ المرحوم محمد أفندي بن أحمد عبد الرازق ، أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمي اللغة الفرنسية . ثم أمرت أساتذة بقراءته فقرأوه »

(١) ص ٦٤ - ٧٥ جزء ٧١ من الخطط .

(٢) ص ٤٣ جزء ٨ من الخطط .

(١) مستشرق فرنسي من القرن التاسع عشر وهو مستشرق منصف العرب وتاريخهم وحضارتهم .

ببعض جهابذة الأسانذه ، لاسيما العالم الفاضل السيد الأجل عبد الله باشا فكرى وكيل ديوان المعارف — وكان على مبارك حين ألف الكتاب وزيرا لها — فإنه صرف عنايته إلى تنقيح ما اطلع عليه من هذا الكتاب وليس بالقليل ، فهدب معانيه . وشذب مبانيه وقرب مجانيه ^(١) .

الخطوط التوفيقية :

ليس كتاب الخطط هذا أهم وأعظم مؤلفات على مبارك فقط . بل هو من أهم وأعظم ما ألف في اللغة العربية كلها ، في جميع العصور ، أراد به على مبارك أن يكمل ما فات المقريزى في خططه ، وأن يسجل ما طرأ على خطط مصر وبلادها وقراها من تغيير ، بعد أن وصفها المقريزى ، وأن يترجم لمن لا نجد ترجمتهم في خططه ممن تركهم ، أو عاشوا بعده . فهو لذلك متأثر بالمقريزى ، يقتدي به ويقتبس منه أشياء كثيرة .

البقية في العدد القادم

محمود الشرفادى

(١) ص ٧ — ٨ من الجزء الأول

واشتغل معى بالكتاب المذكور ، ^(١) ويقول أيضاً إنه — أى صالح بك — باشر معه بعض التاريخ الذى عملته للديار المصرية في عدة مجلدات . وبعض رسائل جمعتهما وطبعت بمصر فته في جرنال روضة المدارس التى أنشأتها في نظارتى على ديوان المدارس ، ^(٢) .

ولست أدري ما هو الكتاب الذى يقصده على مبارك ، والذى ألفه عن تاريخ مصر في عدة مجلدات . هل هو كتاب الخطط نفسه ؟ لأننا لم نعرف له كتابا سواه . عن تاريخ مصر في عدة مجلدات ، ولكن لماذا لم يقل على مبارك أنه اشترك معه في تأليف هذا الكتاب ، فقد ورد حديثه عن مجدى بك في كتاب الخطط نفسه .

هل نفهم هذا — رغم هذا الخروج عن ما لوف المكتابة — أم أن لعلى مبارك كتابا آخر لم يعرف في تاريخ مصر . هو الذى قصده بهذه الإشارة وشاركه فيه صالح مجدى بك ... ؟

وفي مقدمته لكتاب « علم الدين » يقول أنه استعان في تهذيب عبارته وتحسين إشارته

(١) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط .

(٢) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط .

فتح القارئ

الشخصية الأدبية ومقوماتها

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

١ - خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .

ب - وإما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم .

وهم بمقتضى هذا أصحاب شخصيات ولا جرم ، وكذلك للتأجرون منهمجهم فى أى جانب من جوانب العظمة يكونون أشبه بهم إلى الحد المستطاع فى شأنهم المفروض .

وغير خاف أن الشخصية فى مثلها الأعلى من كل وجه إنما تتوافر عناصرها فى إنسان تعهده الله بالتربية ، وفضله على جميع خلقه ، وختم به رسالاته ، وشهد له بما لم يشهد به لغيره من أنه « على خلق عظيم » ، وأن فيه لنا أسوة حسنة ، أو هو الأسوة الحسنة بالذات . فإذا شئنا التماس العناصر الأدبية فى شخصية هذا الإنسان الكامل ، وشئنا الاقتباس منها للأسوة به هزت علينا الإحاطة بها إلا فى جهد غير يسير — صلى الله عليه وسلم — .

ولدينا الآن فى هذا الحديث آيتان ، فهما ثلاثة أصول كافية لمن شاء الأخذ بنصيب من كمال الشخصية بين خطائهم وعافيه .

من خصائص الإنسان وصفه بالشخصية إن كان ذا شخصية .

وقد اتسع مجال القول فى تحديدها ، وبيان عناصرها . . . ونحن نجد أن مفهوم الشخصية يتنوع ، وأن لكل نوع منها عناصر توائمها فى بابها ، كشخصيات الأبطال فى الحروب ، والسياسة وعباقرة العلم ونحو هذا .

وما قصدت الاستيعاب ، ولا الموازنة فى مقامنا هذا ، وحسبنا أننا حينما نشهد لأمرىء بشخصيته لا يشق علينا أن نذكر عناصرها البادية فيه ، والتي حملتها على اعتباره ذا شخصية بين الرجال أو النساء ، بل بين الأحداث من الولدان .

ولإنما قصدت الحديث عن الشخصية المرموقة فى القرآن فوجدتني أمام فيض واسع من النعوت الكريمة التى يشهد الله لأصحابها ، ويعتبرهم فى مقدمة الجماعات الإنسانية .

ولا يناقض مبادئ الدين ، ولا يكون ناجماً عن الأهواء والتحليل والمعروف بهذا التفسير الفسيفسائي يقابله المنكر : مما نهى الله عنه أو يكون مجلبة للضرر بالنفس أو بالغير في شخص أو في مال أو بنظام اجتماعي . ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعتبر خصيصة من خصائص الدين الحق على السنة الرسل جميعاً .

وقد نبه القرآن أمة محمد بالذات على أن هذا المبدأ شعار يتصل بها أكثر من سواها . ثم ذكرها القرآن بهذا المبدأ ، حتى كأنه شأن خاص بها ، وذلك باعتبار ما تهيأ لها من دين كامل ، وتهذيب واسع حتى تيسر لها أن تتبادل النصيحة ، وتتماثل إلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ولم يتهيأ لسواها أن يبلغ هذا المدى . كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر .

وليس ذلك مدحاً فقط ، بل هو حض وإغراء على التزام هذا المبدأ ، وفيه ترفع عما كان عليه بنو إسرائيل وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

ومن مقتضيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تثور أحقاد الفئات الخبيثة ، وأن تطول أسنة السفهاء ؛ حتى تنال من شخصيات النصحاء الخيرين .

١ - خذ العفو — بهذا يأمر الله رسوله ومن تبعه على دينه . . والعفو واسع المفهوم فهو التجاوز عن المسيء ، وهو الترفق بالناس فيما يطلب إليهم ، وفيما يسدر عن طبائعهم قولا ومعاملة ، والترفق بهم في التوجيه إلى الطاعات ، والمواساة بما تسمح به أنفسهم من المال بعد حوائجهم ونحو هذا من التيسير على الناس دون تعسير .

والعفو بهذا التصوير الشامل أصل في مكارم الأخلاق ، وفي الأخذ به دعم للشخصية . . وهو من وراء ذلك أساس عتيد في بناء المجتمع ، وغرس المحبة المتبادلة ، وبهذا التعميم أمرنا الرسول في سنته كما علمنا في مسلكه وسياسته فقال : (يسروا ، ولا تعسروا) وقال (أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم) ولكن العفو على عموم المرغوب فيه لا يكون شاملاً للمسيء في دينه ، والمنتهك لحقوق الله ، والمتعدي لحدوده فيما نهى عنه وإلا كان العفو مضيقاً للحقوق . ونقضنا لنظام المجتمع ، ونبدأ لمبادئ الدين ، وليس الأمر كذلك :

٢ - د وأمر بالعرف ، والعرف يرادف المعروف ، وهو كل ما يكفل خيراً للناس مما شرح الله في دينه أو تعارف عليه الناس في مجرى حياتهم المتجددة ، أو اهتدت إليه العقول المستنيرة مما يسائر المصالح المنشودة ،

لا يفل ، فقال سبحانه : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم » .
فالاستعانة بالله سياج لتلك الأصول الأدبية أن ينزعها الشيطان عن يركن إليها ،
ويأخذ بها .

والركون إلى الله كفيل - ولا شك - بحفظ المقومات الأدبية من الذبذبة والوهن ، فإن الشيطان دائب على غواية الإنسان كما تحدى ربه بذلك « لأغوينهم أجمعين » .

ولكن الله - تعالى - ألزم نفسه أن يرعى المحتمين في جنبابه ، ويدبراً عنهم الشيطان ومكائده « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » .

وقد يئس الشيطان نفسه من فتنة المستعدين بالله منه ، فقال بعد تبجيحه ، وتحديه ، إلا عبادك منهم المخلصين - بفتح اللام - يعني أن تغلب على من استعاضوا بك دائماً ، واستخلصتهم من شروري ، وهديتهم بهديك يا الله ١١ .

وقد كان الركون إلى الله والاستعانة به سنة أسلافنا الصالحين ، ولا يزال شأنهم كذلك : وقيل ما هم في الجماعات اليوم .
واقه - سبحانه - يردنا إلى معالم ديننا ، ويوجهنا إلى القدوة بصالحينا ، فيشيد بهم لناخذ مأخذهم ، وننأسى بهديهم فننفوز فوزهم أينما كننا .

فيكون الموقف بحاجة إلى صلابة في الحق ، واستمرار على حسن التوجيه وإعراض عن صفه السافهين وذلك هو الأصل الثالث في الآية .

٣ - « وأعرض عن الجاهلين » .

نعم ١١ من مقتضيات النجاح في الخير إهمال الحق ، وعدم النزول إلى مسايرتهم والاعتزاز بالذات وفي هذا المبدأ أكثر من سواء تمثل عظمة الإنسان على من دونه شخصية .

وفي هذا المبدأ ترجمة لما تنطوى عليه النفس من كرامة ، واقتناع بالخير ، وبذله في ارتياح إليه .

فهيات أن تنجح دعوة ليست نابغة من القلب ، وليست نفعا لما فيه من إيمان مستقر بالمثل العليا .

هذه أصول ثلاثة ذات أثر كبير في تكوين الشخصية في الأفراد ، وربط الوشائج في صفوف المجتمع .

غير أنها كما تحدثنا عنها أصول تعليمية ، تحتاج إلى حمل النفس عليها لاعتادها ، حتى تكون خلقا كسبيا ، وينعكس ضوؤه على مسلك الإنسان في حياته الخاصة ، والعامة .
لذلك كانت بحاجة إلى تعهدا من نزغات الشيطان ، والتحصن من هجائته النائرة خفاء .

٤ - وقد رسم الله كيف نصده بسلاح

ولعلمنا إذا اكتشفت في إنسان هانت عليه
البقية منها ، فالجانب الخلقى أكد المبادئ
الإنسانية ، وأبرز مشخصات الفرد والجماعة ،
وأضمن وسيلة إلى النجاة هنا وهناك .

وإن لم يكن خلق ففى إنسانية واحدة ،
وكرامة مثوبة ، أو هى شخصية من باب
الأضداد وإن شئت فقل : هى بهيمية ،
أو أضل سيلا .

فاللهم هى لنا خلقنا نشيد عليه كرامتنا ،
ونقيم به أركان مجتمعا ، ونشرف به أمتنا ،
ونكسب به رضوانك .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من
الفيضان تذكروا ، فإذا هم مبصرون » . كلما ألم
الشیطان بخاطرهم تذكروا عداوته للإنسان ،
وتهيؤوا جانب ربهم فنزول عنهم الوسوس ،
وتتجلى عن بصائرهم غشاوة الغفلة فيبصرون
ما كان يهملهم عنه الشيطان من مهاوى الزلل
وقبح العاقبة ، فيثوبون إلى رشدهم ويحتفظون
بنجوتهم من غضب الله ، ومن سقطاتهم
في البيئة المخالطة وغيرها .

هذه كلمات موجزة فى تكوين الشخصية ،
وإن لم تكن هذه الأصول الثلاثة كل عناصرها
فهى من أقوم العناصر المجدية فى اكتسابها ،
ومن أشد الروابط بين صفوف المجتمع
فى دنيانا .

(بقية المنشور على صفحة ٥٥٧)

بالرغم عنها لأن أباه زوجها ذلك العربى
انقما . محاكته فى الديون والربا المتجمد عليه
بعد عجزه عن وفائها ، وتطيل المحاكم القضية
نحو سنة أو تعلق المجالات على ما تنشره الجرائد
ويدوى صدى ذلك فى العالم كله ، وتنبثق القضية
حديث السامر !!

(البقية فى العدد القادم)

عبد القادر عبد الله الجفرى

المشعرون بما تشتمر منه النفوس الإنسانية ،
والواقع أنها صور من الواقع السى !! .
نقرأ هذه القصص فى كتب المطالعة المدرسية
المسماة : (ماناهارى تربيت) أى شروق
الشمس بأجزائها الأربعة للدارس الابتدائية
الأهلية الحكومية الاستعمارية ، وخريجوها
هم الطبقة المثقفة عصرىا والجرائد اليومية
الأجيرة تنشر سلسلة المرافعات وتفاصيل
محاكمة ذلك العربى الذى تزوج فتاة أندونيسية

من شعراء الأزهري :

العاطفة الدينية في شعر أحمد شفيق

للأستاذ محمد رجب البيومي

ولو رجع هؤلاء إلى مذهب شفيق في الرواية والإسلام لردوا على الشعر العربي ديباجته الناصعة ، وارتقوا باللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون - كما يحلو لهم أن يقولوا الآن - ارتقاء محمد عقباه .

وطبيعي أن يكون شعر أستاذنا الجليل من الطراز الأول نصاعة بيان ، وصلاصة تركيب وسنقصر الحديث هنا على عاطفته الدينية ، وأثرها في إنتاجه الحافل ، إذ أن صداها القوي في تراثه الأدبي قد فاق كل صدى سواه ، والرجل كأستاذ كبير بالأزهر له ثقافته الإسلامية الواسعة ، وروحه الدينية الشفاف يخضع لتأثير روحى يجذبه إلى نطاق الرسالة المحمدية ، فهو يجيد القول في كل موضوع إسلامي مهما تسكرت مناسبتة ، وتعددت ظروفه ، فأنت تجد له إنتاجاً متعددًا في موضوع واحد كالحجرة النبوية إذ لا يكاد يمر عام دون أن يستلهم هذا الحدث التاريخي الفذ ، فيفيض خاطره بإلهام رفيع ١١ وقل مثل ذلك في المولد النبوي ، وفي الإسراء

رحم الله أستاذنا الكبير أحمد شفيق السيد فقد كان مع شاعريته الأصيلة ، راوية قوى الحافظة ، وأكبر سميات الأديب لديه أن يكون واسع المحفوظ من تراث الأوائل ، فإذا أتاه طالب من أبنائه يعرض عليه بعض آثاره استمع إليه ، ثم اتجه إلى مناقشته فيما يحفظ ويروى للشعراء ، وكان ينسب الزكاة والتفات في بعض ما تقرأ من الشعر الحديث إلى ضعف الرواية وقلة الإسلام بالروائع من أشعار السابقين ، ونحن الآن بحاجة ماسة إلى أسانذة من أمثاله يذودون عن البلاغة العربية والعبارة الحرة بما يروون من نماذج ويحللون من شواهد ، إذ أن أكثر متشاعري اليوم لا يلتفتون إلى الآثار الشعرية في أدب العرب قدر ما يلتفتون إلى المذاهب المعاصرة في الأدب الأوربي فهم يلوكون المصطلحات الفنية لو كانت سطحية ، ثم يأتون في قصائدهم بما يخيل إليهم أنه السبق الجريء في مضار التجديد ، وتقرأ ما تقرأ ، فلا تطالع غير الإسفاف الركيك ، والتهاافت المتخاذل ،

الرسالة : فيتحدث عن تألفه في الآفاق ،
وبرزغته آلاف السنين دون سأم أو لغوب ،
ويصور تعلق الأبصار برؤيته ، وازدياده
على المناقب ، لمعانا وجسدة ، ويرسم أدوار
التمر من هلال وليل إلى بدر كامل إلى محاق
أسيف ثم يفلسف هذا التسلسل فيذكر أدوار
الحياة للإنسان من طفولة مبشرة ، إلى شباب
موفق إلى كهولة باهتة ، ثم ينتقل بعد هذا
التصوير الخيالي إلى موضوعه الأصلي فينسج
حوله أضواء لامعة تتجه إلى مشرق الشمس
التي عميت عنها العيون ، والخفاش الذي
يتراقص في الوهج المشع دون أن يبصر ضياء
الضحى ورواق الصباح ، والنعام الهاجع في
كناسه ، والآساد الوائبة من أجم إلى أجم ،
كل ذلك في ديباجة مشرقة ووضوح موفق
يتجلى في مثل قوله عن الهلال .

طوى الأرض آلاف السنين فما وفت
ركانه يوماً ولا كل دائرة
وكم تشخص الأبصار في مستهله
فأعجب إذ لا يسأم الدهر ناظره
تعد به الأعوام مهما تطاولت
فيا لسجل لم تُحَبرَ دقاته
يمثل أطوار الحياة ، طفولة
يلها شباب يقطر الحسن ناضره
وبعدهما شيب ، كذاك هلاله
يكمل بدرا ، والمحاق أواخره

والمعراج ، وفي ذكريات بدر ، وفتح مكة ،
ومع تقارب هذه الموضوعات وتشابه
ملابساتها تشابها يدعو إلى التكرار والترديد ،
فلن نجد في شعره الديني على كثرته فضولا
تضييق به ، أو توافقا تنسكه ، فلكل قصيدة
جوها الفريد وينبوعها البكر الذي يتدفق
نميراً صافياً دون أن تغشى صفحته الوضعية
غاشية من سأم أو فتور ، وبعض تشعراء
يكثرون القول في الذكريات الإسلامية ،
ولكنهم يتطرقون إلى الحاضر السياسي قرأوا
من الرتبة المألوفة والحديث المماد ، ولكن
شفيعاً لا ينتقل من جوه الروحى الخالص ،
بل يعرض لوحاته الشعرية مصتولة زاهية ،
متميزة متفردة ، وفي معارج الخيال آفاق
متباعدة أطل على مشاهد تختلف منحنى
وموضوعاً ، وتتحد هدفاً وغاية ، وهنا تأق
الطرافة الخالصة ، طرافة الخيال المجنح الذي
يجانب الواقع المألوف بجانبه يجعل لكل
موضوع زوايا كثيرة ؛ وفي كل زاوية منظر
خاص يفرد بلونه وجوه وأصدائه ، فتتلون
المشاهد ، وتنفرج الزوايا ، والموضوع هو
الموضوع .

خذ مثلاً موضوعاً إسلامياً كرسالة محمد صلى
الله عليه وسلم فإنك واجد في الحديث عنها
أفانين مختلفة ، ففي قصيدة أولى يتجه الشاعر
إلى هلال محرم وهو ذو صفة وثيقة بتطور

الرسالة وبين الشك واليقين ، وكيف يمور
الريب في القلوب مورا يبعث السكندر
والوحشة والانقباض ، ولكن اليقين يبعث
ارتياحا واثقا ، وأنسابهيجا ، وهل الإيمان
غير يقين رسخ أصله ، وصمقت جذوره
واستطالت سيقانه فتهدلت عليها الغصون
بالأثمار .

أرأيت السماء تمطر قوما
بعد جذب يطول فيهم نواؤه
أرأيت الشفاء وانى مريضنا
بعدما أباس الآساة شفاؤه
أرأيت الربيع يخطر في الرو
ض فيهتز نوره ورواؤه
أرأيت الصباح يبسم في الكو
ن فيسمو فوق الوجود لواؤه
لأنه أحمد النيين وانى
فزاها الكون واستنارت سماؤه
مشرق الشمس دون مولد فذ
فاض في الكون بالسلام ضياؤه
وضياء القلوب أجدى وأبقى
من ضياء إلى الجنون انتهاؤه
رب قلب يمور بالشك مورا
زال بالدين ريبه ومراؤه
فاطمأنت من القلوب صوره
طاح عنها الهوى وطار حماؤه
يكسر القلب إذ بداخله الشك

بذكرنا مسراه في هدأة الدجى
بمسرى رسول الله يرعاه أمره
رفيقان في غار خفي تواريا
وحولها نور تفيض بواهره
لقد عشيت هن مشرق الشمس أعين
يرين عليها من ضلال دياجره
وما يبصر الخفاش في رونق اللضحى
فهل يبصر الكففار ما الله ساتره
وليس فرارا ما أمناه محمد
فليس يطبق الضم إلا أصاخره
يقيم النعام وادها في كناسه
وتجلى عن الغاب المهين قساوره
وهو في قصيدة ثانية يصور البعثة المحمدية
تصورا جميلا يبرز أثرها في العالم ، وصداها
في تقويم الأخلاق ، وتصحيح المعايير ،
فيشبهها تارة بالمطر يهيم على الجديب المقفر
فيورق ويخضب ويهتز ، وتارة بالشفاء
الناجع يحل محل الماء المستفحل ، فينفخ
الجسم بالعافية والفتاء ، وتارة بالربيع المزه
الموفق وقد كسا الروض دياجة خلابة
تراقص بها الطيوف والأضواء ، وتعقب
فيها الورود بالشذى المعطر ، وتارة أخيرة
بالصباح يبسم في الكون بعد ظلام حاله
ميتس فيرتفع ضياؤه منيرا في الوجود وقد
بهز العيون وقلب الألباب ، ثم يفلسف
الفكرة فيعقد موازنة بين نور الشمس ونور

ويبدو عند اليقنين صفاؤه وكذلك النفوس بالشك حيرى
وضياء الإيمان فيها جلاؤه ثم فى قصيدة ثالثة يتجه الشاعر إلى القطر
الحجازى : هذا القطر الجديد الموحش يفيض عليه خير المماء فماذا يُنبِت ؟ إنه ينبت
للوجود خير الرورى محمد بن عبد الله فىصير أخصب بقعة ذات رواء واخضرار ١١ هذه
الحقيقة الهادئة تدفع الشاعر إلى فلسفة هادئة مثلها فينظر إلى الجذب الحقيقى فيراه فى النفوس
المسحاة من الخير لافى الصحراء القاحلة ذات الرمال والسوم ١ وينظر إلى شعوب ترتفع
بهمة بطل عظيم فيصل بها إلى المجد والعزة والاستقلال ، وشعوب ينتشر أبناؤها
انتشار الجراد فى كل صقع ، ولكنهم يكررون عليها بالنوائب القاتلة ، والبلاء
الحقيقى ، فوجد العرب فى مبدئه مجد بطل واحد هو الرسول الأعظم وإذا أنبتته
الصحراء القاحلة فأى بنات ذاك الذى سمته به على الحدائق والرياض ١١ ذلك تصوير
شعرى وتفكير منطقى زواج بينهما الأستاذ حين قال :

تبسمت الدنيا فجاج القوافيا
وعاد صباحا مابدا قبل داجيا
وأسفر نور الدين فى الكون كله
فأضحى به القطر الحجازى زاهيا

قفاراً ولكن أنبتت أطيب الورى
وجذب ولكن كان أخصب واديا
وما الجذب إلا فى النفوس رخيصة
وما الخصب إلا فى النفوس غواليا
ورب شعوب مجدها مجد واحد
وأخرى من الآلاف تشكو الدواهيا
هذه نماذج مختارة من قصائد ثلاث ،
تصور تعدد الزوايا المختلفة فى نظرة شاعر
مؤمن إلى نبيه الكريم وللأستاذ غيرها - فى
الموضوع نفسه - كثير وكثير ، ومجلة الأزهر
فى سنواتها المختلفة حافلة بقصائده الإسلامية
وقد ألمحنا ببعضها فى هذا النطاق لئلا نرى كيف
يخلق الخيال من النهر الدافق جداول متشعبة
متفرعة تختلف مجرى ولونا وسمه ، وتلتقى
عذوبة وأطرادا وصفاء ، وهى بعد نزهة
العين وبرد الصدر وشفاء القلوب .

وإذا كانت عاطفته الدينية قد ظهرت
شفافة رائعة فى قصائده الحميدة فقد اتخذت
لها إطارا آخر فيما قال الشاعر تمجيذا للأزهر
وزيادا عن رسالته ، إذ يراه - كما هو بحق -
معقل الدين ومنار الهدى ، وموئل الخفيف ،
وللأستاذ فى إطار الجامعة الأزهرية شوارد
سوائر ، وفرائد سواحر ، يؤيدها بالتاريخ
الناطق ، والدليل الصادق ، فيقتاسل من
زعما الشعب من أبنائه ، وحماة البيان من
أدبائه وأعلام الشريعة من فقهائه ، ويرد

رسائله في نصرة الإسلام ، وحماية اللغة ،
وصيانة العلم والأدب ، ولا أزال أذكر من
بينها مرثيته الرائعة لصديقه الأستاذ محمود
أبي العيون ، فقد جزع الرجل لمصره الأليم
جزعا توججه للهفة ، ويضرمه الانفعال ،
وقد ملك الزمام فلم يندفع وراء عاطفة إلى
التنواح والعيويل ، بل نظر نظرة موضوعية
إلى جهاد الفقيده وكفاحه الديني والسياسي
فقال كلمة التاريخ عنه في إطار شعري جميل ،
وأشهد لقد وفق في مرثيته تلك ، فكرة
وتصويراً وتعبيراً ، فهو يصور آثاره المتتابعة
بالشآبيب الحاطلة ، وصوته المجلجل بالعاصفة
المهدوية ، وبيانه الرائع بالخير تارة ، وباللظى
تارة ثانية ، ثم يرسم صورة دامية آسفة ليوم
نعيه ، وقد صبغ النهار بحالك غريب ، فالليل
مدود الرواق ، وقد أمسكت العنادل لهواتها
عن الشدو ، بينما انفجرت الغربان بالنعيب
صور رائعة مشجية يضئ عليها الحزن
ثوباً من الجلال والروعة والوقار ، وهي بعه
عاطفة حية ترى في الطبيعة انعكاساً صادقاً
لمرآة النفس الحزينة ، وما يشع في جنباتها
من وحشة وانقباض ، ودونك بعض ما قال
عن أبي العيون :

في كل ناحية ترى آثاره

كالحيث شؤبوا على شؤبوا

على خصومه ردوداً مقنعة لا تنحدر إلى
المهاترة ولكنها تدعو إلى سبيل الحق بالحكمة
الرائعة والموعظة الحسنة ، كأن يقول :-

معقل الدين وهو في ريعانه

ومنازل الهدى ومعلًى مكانه

نفض الشرق بالرسالة في الناس

وشب الخفيف في إيوانه

لم يقيم جوهر بناء ولكن

شاد صرح العلوم في بنيانه

كم تولى بلاد مصر ولادة

فاستمدوا الولاء من سلطانه

زعماء البلاد منه أفاضوا

وحماة البيان من فرسانه

لغة العرب في ذراه استطالت

فأراها بوارف من جنانه

جنة الأرض حين أقفرت

الأرض ولج الزمان في عدوانه

قل لمن رام بالسكنانة كيدا

في السكناني عصمة من طعانه

سائلوا مصر يوم ثار بنوها

كيف كان الجهاد من فتياه

وهذا دفاع مجيد له أمثاله الكثيرة في

قصائد متعددة سمعتها منه قديماً دون أن

أجد لها مصدراً مطبوعاً يرجع إليه الناس ،

وللشيخ - رحمه الله - في أعلام الأزهر من

الراجلين مراث جيدة شفعتها بدفاع حار عن

أم أبي ، فهو يمتح من معينه ، ويسير في طريقه !
وكم للبحرئى عن أبناء معرقين ! .

على أن الإنصاف يدفعنا إلى الحديث عن
الشعر الضكاهى الذى ساقه الأستاذ فى بعض
أبنائه الأزهرين ، فهو مع تعصبه المفرط
لمعهد الجليل ينحو باللائمة والنادرة على من
يخيد عن القصص فى رأيه ، وعندى قصيدة
مرحة — لم تنشر بعد — قالها الشاعر فى طالب
أزهري ظل يرتدى العمامة والكاكولة ردحا
من الزمن ، ثم انقلب فجأة لا إلى الطربوش
بل إلى القبعة ، فكان مرآة مدعاة عجب كثير ،
ولم يفت شفيعا أن يرسم له صورة فكلمة تنسم
فى أولها بالجد والتوجيه ، ولكنها تنتقل
شيئا فشيئا إلى الدعابة الطريفة حتى تشير
الضحك ، ومن لا يضحك فينا من صورة
ديك نائش لا يصحب هزم دجاجة ضعيفة ،
ومن عجاجة ناثرة تنهض خلف الذبول الضافية
التي تسكن كل طريق ، وقد أرسلت من غير
حاجة ١١ مع أن الشاعر نفسه يرتدى الجبة
الواسعة والنفطان الفضفاض ولكنه يقول :

أصبح الشيخ خواجه
بصد ما بدل تاجه
تاج حذر ونجار
أطفأ الحق سراج
لم يبال الذوق لما
عرضت للنفس حاجة

كم ذا يجلجل صوته فيهننا
كالعاسفات تهز كل قضيب
وتضال من عجب نير بيانه
ناراً تلتلئ فى نهى وقلوب
يا يوم نعى أبى العيون تركتنا
ربيع النهار بمحالك غريب
فالليل محدود الرواق عجم
والمصبح آتف ضوؤه بمغيب
وترى للعادل أمسكت لهواتها

شجنا ، وللغربان شر نعيب
أدى رسالة ربه حتى إذا
هتف الحمام أجاب خير مجيب
ويستطيع التارى أن يلهم روح البحرئى
فى هذه الدمعة الحارة ، فالوضوح والسلاسة
والرقة مع الشجن واللوعة والآسف كل ذلك
يذكرنا بمراثى الوليد ١١ وما زال البحرئى
صاح — مدرسة خاصة ترسم عواطف النفوس
شفافة رقرقة تطالعا للصيرون دوق ستار ،
وقد كانت هذه الروح الضافية تصرد شعراء
الجيل الماضى فتتضح كثيرا فى أشعار صبرى
وحافظ والرصافي والمهرامى والجمالوم على
تفاوت مختلف ، وهما من ذى تلوح فيما نطالعه
من قصائد شنيع ١١ وأكاد أجزم أن الشاعر
مع إعجابه بالمتنبى فى دروسه بالكلية لا يسير
معه فى طريق ، وإنما أستاذة البحرئى رضى

آثر	الضيق	حتى	كنست كل طريق
أشعث	الرأس	الله	لم تدع حتى لحاجه !!
كدر	الدهر	مزاجه	فهل يكون هذا التندر الطريف غير إذعان
كالدك	لكن	الدجاجة	مطيع لروح مطراب برقرف في جوائح الشيخ
ماله	عزم	عجاجة	ويميل إلى الترويح والتنفيس !! ولو شئنا
العلم	إف ساروا	طوال	أن نسجيل طرائف الرجل في هذا المجال
أثاروها	أذبال	من غير	لاحتجنا إلى بحث آخر ، ولكنتنا نقف عند
أرسلت	أرسلت	حاجة	هذا القدر مترجمين على الراحل العزيز سائلين
			له أعلى الدرجات في مقعد صدق عند مليك
			مقتدر .
			محمد رجب البيومي

الرجل والعصفور

في المثل أن رجلاً نصب للعصافير فخاً ، فارتبى به وبالفخ ، وضربه البرد ، فكلما مشى إلى الفخ وقد انضم على عصفور فتبعض عليه ودق جناحه وألقاه في وعائه دمعت عينه بما كان يصك وجهه من برد الشمال . فتشاورت العصافير في أمره ، وقلن : لا بأس عليك ، فإنه رجل صالح رحيم رقيق الدمة ، فقال عصفور منها :

« لا تنظروا إلى دموع عينيه ، ولكن انظروا إلى عمل يديه ، » .

صَفْحَاتُ مَشْرِقَةِ مَنَارِخِ الْقَضَاءِ فِي الْإِسْلَامِ

لِلدَّكْتُورِ جَمَالِ الدِّينِ الرَّمَادِي

رسالة عمر بن الخطاب إلى الأشعرى :

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعرى رسالة قيمة توضح كيفية التقاضي في الإسلام ، وتعتبر من أروع النماذج الرفيعة في قوانين المحاكمة والقضاء ، ففيها يقول عمر : «سوء بين الناس في وجهك وعدلك ومجاسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يياس ضعيف من عدلك» .

وهو يشير في هذه الفقرة إلى وجوب التسوية بين الخصمين في كل شيء ، وما يروى في هذا الصدد أنه كان بين أبي بن كعب وعمر ابن الخطاب منازعة وخصومة في حائط فقال بيبي وبينك زيد بن ثابت ، فأتياء فضربا عليه الباب فخرج فقال : يا أمير المؤمنين ألا أرسلت إلى حتى أتيتك ؟ فقال عمر في بيته يؤتى الحكم ، فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال : هذا أول جورك ، وأبى أن يجلس عليها .

وهكذا أبى عمر بن الخطاب أن يجلس على وسادة وهو أحد الخصمين حتى لا يظن ظان أن القاضى يؤثر أحد الخصمين على الآخر بل يجب أن يسوى بينهما ، فلا يرفع عظيما ، ولا يضع حقيرا .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى أمور القضاء بنفسه في صدر الإسلام ، وكذلك كان شأن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أول الخلفاء الراشدين ، فلما ولى عمر بن الخطاب الخلافة كانت رقعة الأمة الإسلامية قد امتدت واتسعت ، وكانت أمور المسلمين قد تعددت وتعمدت وبلغ نفوذهم الشام والعراق ومصر وغيرها من الأقطار والأمصار مما دعا الخليفة عمر بن الخطاب إلى التفكير في أمر القضاء بين الناس ، وقد ساعده على هذا التفكير أن الخليفة كان قائد الجيوش والمشرف على الأعمال الحربية ، وشق الغزوات والشئون الإدارية للجيش والحكومة . ولذلك عول عمر بن الخطاب على فصل الولاية العامة عن القضاء ، وخرجت فكرة الخليفة من حين التفكير إلى حين التنفيذ ، ومضى يعين من ينوب عنه في القضاء والفصل في المنازعات والمخاصمات بين الرعية فولى أبا الدرداء على المدينة وولى شريحا على السكوفة وولى أبا موسى الأشعرى على البصرة . وكان عمر بن الخطاب يحاول بهذا النظام أن يتفرغ للأعمال الكبرى في ولايته .

هذه الوظيفة ، واشتهر من القضاة المسلمين القاضي « شريح » ، الذي ظل في منصبه نحو ستين عاما ، وطار صيته في الآفاق .

واشتهر من قضاة الدولة الأموية حاكم الشعبي إذ سأل عبد الملك بن مروان عن رجل يولى القضاء فقال له روح ابن زنباع : « أدلك على رجل إن دعوتهم أجابكم ، وإن تركتموه لم يأتكم ، ليس بالمحلف طلبا ، ولا بالمعز معروفا ، حاكم الشعبي » .

فولاه قضاء البصرة ، وفي ذلك يقول ابن عيينه « ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه » . وذلك لحفظه ومكانته في الفقه ، وثقته في الحديث ، ورياسته في العلم كالشمس في الآفاق .

القضاء في الدولة العباسية :

واعتمدت الدولة العباسية على طائفة ممتازة من القضاة نذكر منهم يحيى بن سعيد الأنصاري ، قاضي أبي العباس السفاح ، وشريك قاضي أبي جعفر المنصور ، وابن أبي دؤاد قاضي المعتصم والوائق .

كما نذكر منهم كذلك يحيى بن أكثم قاضي المتوكل ، والقاضي إسماعيل الماسكي . وكان يقال له : مالك الأصغر . وفيه قال المعتضد لو زيره ابن زهب :

واستوصى بالشيخين الفاضلين إسماعيل بن

وطلب عمر في هذه الرسالة أن يصفى القاضي إلى مقال الخصمين ، وفي ذلك يقول قانهم إذا أدلى إليك الرجل بالحجة ، فامض إذا فهمت ، وامض إذا قضيت ، فإنه لا يفتنح منكم بحق لا نفاذ له .

بعض ما تضمنته الرسالة العمرية :

طالبت الرسالة العمرية بإحضار البينة حتى يستطيع القاضي أن يحكم بمقتضاها حسب قواعد الشريعة الإسلامية السمحاء . كما أشارت إلى الشهود حين ذكرت « المسلمون عدول إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة الزور أو ظنيماً في ولاء » .

ونصحت بكظم المشاعر والعواطف وعدم الضيق والضجر كما وضحت موارد الشريعة الإسلامية الغراء .

وصفوة القول أنها أرست قواعد القضاء في الإسلام لما تضمنته من نصوص غالية للقضاة توجههم إلى سواء السبيل ، وتحول بينهم وبين اقتراف المنكر أو الجنوح نحو الباطل والانحراف عن العدالة .

ولذلك اختار الخلفاء المسلمون للقضاة أحسن اختيار ، وانتقوا في ذلك الله ما استطاعوا ، ولم يعينوا في هذا المنصب إلا كل من وثقوا في أخلاقه وسيرته ، بل إنهم كانوا يمتحنون القضاة قبل أن يسندوا إليهم

نعم ، قال : أتفرض الفرائض ؟ قال : نعم .
قال : أتعرف من أيام العرب شيئاً ؟ قال نعم ؟
قال أتعرف من أيام العجم شيئاً قال : أنا بها
أعرف فولاه القضاء .

وجاء في كتاب نفح الطيب لابن القيم
المقري : وكانوا في طائفة الخلافة في الأندلس
لا يقدمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة
حتى يطول اختبارهم ، وتعقد له مجالس
المذاكرة ويكون ذا مال في أغلب الأحوال .

وهكذا كان الامتحان هنصراً من عناصر
التمييز في مناصب القضاء كما كان التمييز
بالمعرفة السابقة أى بطول الخبرة دون تحيز
أو محاباة ، أو بشهادة الثقة أى أن يشهد له
جماعة من الثقة بطول الباع في فهم كتاب الله
والسنة وغير ذلك من أمور الشرع الشريف .

شرح القاضي بحكمهم على الوالى :

وقد كان القضاء المسلمون يحكمون بالعدل
والقسط المستقيم دون أن يخافوا الومة لأنهم
بل إنهم كانوا لا يترددون في الحكم على الخليفة
نفسه إن لم يستطع إحضار البينة . ومثال ذلك أن
على ابن أبى طالب تهاكم إلى قاضيه شريح في درع
له لقي نصرانياً يبيعها فقال له على : هذا
درعى بينى وبينك قاضى المسلمين ، ولما
حضر مجلس القضاء قال على : اقض بينى
وبينه يا شريح فقال : ما تقول يا أمير
المؤمنين ؟ فقال على : هذه درعى ذهبت منى

اسحق القاضي - وموسى بن اسحق الخطمى خيراً ،
فإنهما من إذا أراد أحد بأهل الأرض سوءاً
دفع عنهم بدعاتهما .

واشتهر في المغرب والأندلس من القضاة
أسد بن القرات والبايجى وابن العربى وابن
رشد وهياض والمقري ومنذر بن سعيد
وغيرهم من الثقة .

عقوبات مناصب للقضاة :

وكان قاضى قضاء المتوكل يحيى بن أكرم
يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى
لا يتعين فى منصب للقاضى إلا من أثبتت
التجارب وأثبت ماضيه أنه جدير به . وجاء
فى كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة أن يحيى
ابن أكرم كان يمتحن من يريد من القضاء فقال
لرجل : ما تقول فى رجلين زوج كل واحد
منهما الآخر أمه ، فولد لكل واحد من امرأته
ولد . ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال
له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .
وليس هذا الامتحان سخطاً من العمل
أو بدعة جديدة أتى بها المسلمون المتأخرون
لإذ يروى أن النبی صلى الله عليه وسلم امتحن
معاذ لما أراد بعثه لقضاء اليمن فقال له :
بم تحكم ؟ فقال : بكتاب الله والحديث الخ...
ولما أراد ابن هبيرة تولية إياس أرسل
للامتحان فسأله بقوله : أقرأ القرآن ؟ قال

الغبطة ، فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع ، أما الوهي فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين الغبطة أمرت وصيهم بالبيع ، وإلا فلا ، فنقل جوابه إلى الخليفة فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا في أن يتوخى رغبته فيها .

وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام سوورتها فأمر وصي الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل وباع الأقاض فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به السلطان .

فانصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضي منذر وقال : أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة ؟ فقال له : نعم : فقال وما دعاك إلى ذلك ؟ قال : أخذت فيها بقول الله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، مقصودك لم يقوموها إلا بكذا ، وبذلك تعاق وهمك ، فقد بعنا أنقاضها بأكثر من ذلك ، وبقيت القاعة والحمام ، ونظر الله تعالى للأيتام فصر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك وقال : نحن أولى منك في إنفاذ الحق .

والشاهد في هذه القصة أن القاضي منذر ابن سعيد البلوطي لم يتأثر بكلام الخليفة ، بل

منذ زمان فقال شريح : ما أرى أن تخرج من يده ، فهل لك بنية ؟ فقال على : صدق شريح . فقال النصراني : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يختار قاضيه ، وقاضيه يقضى عليه ، هي واقعة يا أمير المؤمنين درهك اتبعتك مع الجيش ، وقد زلت من جمالك الأورق فأخفتها ، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال على : أما إذا أسلمت فمى لك ، وحمله على فرس حقيق .

عمران القضاء في الأندلس :

وحدث ما يشبه ذلك في الأندلس على يد القاضي منذر بن سعيد البلوطي الذي تولى منصب القضاء في خلافة الناصر الأيوبي وذلك أنه احتاج إلى شراء دار من قرطبة لحظية من نعمائه ، فسوق استحسنه على دار كانت لأولاد زكريا أخى نجدة وكانت بقرب النشارين في الرض الشرقي منفصلة عن دوره ، ويتصل بها حمام له غلة واسعة ، وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما في حجر القاضي فأرسل الخليفة من يقومها ، وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم ، فذكر أنه لا يجوز بيع هذه الدار إلا بأمر القاضي منذر ، فقال لرسوله : البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها

والنظر للأيتام ، والنظر في مال للغياب ،
والنظر في الأنساب ، وزادوا الجراحات
والديات والتسجيل والإثبات .

وقال ابن الأمين القرطبي : وللقاضي
النظر في جميع الأشياء إلا في قضية الخراج
واختلف هل له قبض أموال الصدقات وصرفها
في مستحقها إذا لم يحضر الناظر فقبل ذلك له
وقيل لا .

المختص

وأُسندت إلى المختص بعد ذلك أمور
النظر في مصالح الأبنية من ضررها
والمضايقة في الطرقات ، كما أُسندت إليه ثلاثة
أنواع من الدعوى أحدها فيما يتعلق بين
في ثمن أو مشمن أو تطفيف ونقص في كيل
أو وزن ، وثانيها فيما يتعلق بفسق أو تدليس
في ثمن أو مشمن ، وثالثها فيما يتعلق بمطل
غنى في دين ثابت دون مناكرة ، ومن ذلك
النفقات المقدرة من المجلس الشرعى على
الزوجات والأقارب التي يماطل أصحابها .

كما يتفقد المختص مجارى المياه العامة في
المدينة فإن احتاجت إلى إصلاح أصلها إن
أمكن وإلا نبه ذرى السلطة إلى الإصلاح ،
كما يأمر بتقنية الشوارع وتنظيفها ، كطرح
الأزبال والقمامات وإزالة المياه التي تنشأ عنها
الأحوال ، وربط الدواب ونحوها والممرور

تصرف في حدود الشرع الشريف دون خوف
ولا وجل ورائده في ذلك كتاب الله العزيز
وسنة الكريمة ووجه الحق لا يرضى بغيره
بديلا .

اختصاصات القاضي :

وقد استقر الرأي في الشريعة الإسلامية
على أن تولية القاضي إن كانت عامة شمل نظره
فصل المنازعات والخصومات واستيفاء الحقوق
وإيصالها إلى مستحقها ، بعد الثبوت ،
واختيار الأوصياء على من لا يجوز تصرفه
من المجانين والصغار والسفهاء ، والفلسين ،
والنظر في الأوقاف ، وتنفيذ الوصايا ،
وتزويج الأيتام ، وإقامة الحدود ، والنظر
في المصالح العامة من منع الضرر في الطرقات
والأبنية وإحداث ما يضر بالمارة من البناء
وغيره ، وتصفح الشهود والنواب عنه .

وقال ابن سهل في مقدمة كتاب التبصرة :
إن خطة القضاء أعظم الخطط قدرا وإلها
المرجع في الجليل والتحقيق بلا تحديد ،
وإن على القاضي مدار الأحكام ، وإليه النظر
في جميع وجوه القضاء من القليل والكثير
بلا تحديد وقال : ويختص القاضي بوجوه لا
يشاركة فيها غيره من الحكام ، ومن ذلك
النظر في الوصايا والأجاس والقرشيد
والتحجير والتسفيه ، والقسم والمواريث

كاتب المحكمة ويروى ابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد ، أنه يشترط فيه أن يكون طالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والموارث .
ولذلك امتلأت وأمر الخلفاء العباسيين وغيرهم بالتوصية في اختيار الكاتب الذي يكتب المحاضر ويحضر السجلات ، ويوقع إعلانات الحضور .

الحاجب :

أما الحاجب فهو صاحب الباب الذي يقدم إلى القاضي أرباب الدعاوى والحاجات ويستأذن في دخولهم إليه ، وفي ذلك يقول الحافظ بن حجر في الفتح : وظيفة الباب أو الحاجب أن يطالع الحاكم بحال من حضر ولا سيما من الأعيان لاحتمال أن يجيء مخاصماً ، والحاكم يظن أنه جاء زائراً فيعطيه حقه من الإكرام الذي لا يجوز لمن يجيء مخاصماً ، وإبصار الخبر للحاكم بذلك أما بالمشافهة وإما بالمكاتبه .

أعدوانه القاضي :

وكان للقاضي أعدوان وخدمة للعدالة . والأعدوان هم بمنزلة الشرطة الموالي وهم حرسه وجنده الذين يستعين بهم على جلب العصاة وزجر الطغاة .

بأحوال الخطب الكبيرة التي من شأنها إبداء المارة وإطلاق الكلاب الضارة المؤذية ، وإلزام أصحاب البناء المتداعى بهدمه أو إصلاحه ، كما أسندت إليه أمور النظر في الأسواق كترتيب مقاعد الباعة حتى لا تقع مضايقة أو شجار ، واختيار الغرماء والأمناء فيها ، واختيار القائمين على الوزن والكيل واختيار السامرة والدلالين وخص المبيعات التي يدخلها الغش كالسمن والزيت والبن والدقيق ، ومراقبة بيع الفاكهة واللحوم حتى لا يختلط الجيد بالردى منها ، وضع الباعة من احتكار أو خزن ما يحتاج إليه الناس من طعام ونحو ذلك .

ولبحسب كذلك النظر في الحمامات والمساجد والمعاهد العلمية والوقوف في مواطن الريب ، وارتداء الملابس الخارجة ونحو ذلك .

أما ما خرج عن هذه الأمور من سائر الدعاوى في العقود والمعاملات ، والحقوق والمطالبات التي تتوقف على الشهود والبيانات فلا دخل للبحسب في الحكم فيها ولو كانت الدعوى في شيء يسير .

طائب المحكمة :

وكان الخلفاء المسلمون يدققون في اختيار

قضاء المدينة وجازته أربعة آلاف دينار ،
فامتنع ، فأبى الرشيد إلا أن يلزمه قتال :
والله يا أمير المؤمنين لأن يخلفني الشيطان
أحب إلى من القضاء ، فقال الرشيد : ما بعد
هذا شيء ، وأعفا وأجازه بأبى دينار .

القاضي والمواعظ العادل :

والشاهد في هذه القصة أن للقضاء كانوا
يمنحون رواتب سخية في شتى العصور الإسلامية
لما كان لمنصب القاضي من حرمة ومكانة
بل كان بعض المسلمين يتخوفون منه خشية
أن يجرروا في أحكامهم . وهذا مما يزيد
المنصب رفعة وعلا .

وجاء في حديث عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا في اثنتين :
رجل أتاه الله مالا فسلطه على ماله في
الحق ، ورجل أتاه الحكمة فهو يقضي بها .
وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنه صلى
الله عليه وسلم قال : هل تدرون من السابقون
إلى ظل الله تعالى يوم القيامة ؟ قالوا الله
ورسوله أعلم . قال : الذين إذا أعطوا الحق
قبلوه ، وإذا سئلوا بذلوه ، وإذا حكموا
للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم .

وفي الحديث الصحيح سبعة يبغضهم الله
تحت ظل عرشه وبدأ بالإمام العادل ، .

جمال الربيع الرمادي

أما الخدمة فهم خدام العدالة ويروى
ابن ميارة أنهم من لهم معرفة ببعض مبادئ
الخصام وفصول الكلام وهم الذين يتكلمون
في المسائل المهمة ويسمون الوكلاء .

رواتب القضاة :

وكان للقضاة يمنحون رواتب سخية حتى
يتفرغوا للأحكام بعد أن يطمئنوا على
معاشهم ورزقهم وقال تكمرايسى من الشافعية :
ولا بأس للقاضي أن يأخذ الرزق على القضاء
عند أهل العلم قاطبة لا أعلم بينهم اختلافا .
وقد ذكره ذلك قوم منهم مسروق ولا أعلم
أحدا حرمه .

وقد اتسعت أرزاق القضاة لما ولي عمر
ابن الخطاب وامتدت رقعة الأمة الإسلامية .
وفي طبقات ابن سعد أن عمر رزق عياض
ابن غنم حين ولاه حمص كل يوم ديناراً وشاة
واحدة .

وكان راتب القاضي في مصر ألف دينار .
وفي حسن المحاضرة ، ثم ولي عبد الرحمن
الخولاني وجمع له القضاء والتقصص وبيت
المال فكان يأخذ رزقه في السنة ألف دينار ،
وفي الدولة العباسية كان راتب القاضي في
المدينة المنورة أربعة آلاف دينار ، وجاء
في كتاب القضاء للذهبي : وعرض أمير المؤمنين
الرشيد على المغيرة ابن عبد الرحمن الخزومي

الرَّسُولُ... الْإِنْسَانُ

لِلأَسْتَاذِ فَخْرِي عَثْمَانِ

لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر وذكر الله كثيرا

فيها يكون المثل الأعلى قريبا... قريبا...
إلى الحقول والقلوب !

كان اختيار البيئة العربية لرسالة الإسلام
في ذلك الوقت ، أول إشارة لطبيعة هذه
الرسالة فالعرب كانوا خير النماذج
(للإنسانية) في عصرهم .

• كانوا بسطاء ولكنهم ليسوا
بالسذج التافهين ، ففي أدبهم وشعرهم دليل
الحكمة والحصافة ، والشعور والوعي ،
والذوق والرفعة .

• كانوا يحيون حياة الحرية والمساواة
يحيونها ولا يفلسفونها ، ولذا لم يحتاج الإسلام
إلى تقرير هذين الأصلين تقريراً مباشراً
كثيراً ، إذ هما شيء قائم وأمر واقع في (حياة)
العرب ... في مشاعرهم ووجدانهم ، في عاداتهم
وتقاليدهم ... بديهية مقررّة في كياناتهم ذاته ،
لم يعرفوا (الحق الإلهي المقدس) للحكم ،
ولا (الدم الأرستقراطي الرفيع) لأسرة !

على قدر (واقعية الرسالة) يكون
نصيبتها من النجاح .

وعلى قدر (إنسانية الرسول) يكون
إدراك الناس لطبيعة الرسالة الواقعية .
فالناس يعرفون الرسالة من خلال (شخصية)
صاحبها

وقد تهر الناس (الشخصية الملائكية)
القدسية إلى حين ، ولكنهم لا يستريحون
لصحبته دوماً في كل حين .

وقد تهر الناس (الشخصية للساحقة الطاغية) ،
ولكن مثل هذه الشخصية إن صلحت للزحامة
الموقوتة ، لا تصلح للهداية الموصولة والرسالة
الحالدة .

ومن هنا كانت شخصية محمد (الرسول
الإنسان) ، خير دعوة ودعاية لرسائله ...
فيها البساطة الآسرة ، والإنسانية الفاعمة ،
والجاذبية الساحرة !

فيها يمرض الرسول الإنسان نفسه
على كل إنسان !

أم يجعل له ربي أمدا . عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم ، وأحصى كل شيء عددا .

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا - إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن إنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

« محمد ليس رسولا من الملائكة ، وإنما هو الرسول الإنسان ... »

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

« وشاهد الرسول على رسالته هو المنطق والبيان ... »

« وقالوا إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي باقة والملائكة قبلا . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى في السماء - ولن تؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا !! وما منع الناس أن يؤمنوا

« كانوا يحيون حياة التكافل والتعاون ، وكانت فوارق الثروات فوارق مادية لا إنسانية .. كان هناك حتما أغنياء ومترفون ، ولكنهم لم يكونوا متسلطين أو متألهين !! كان العربي الفقير يخاطب أغنى الأغنياء في بساطة وقوة ... »

ولنترك وضع (الرقيق) جانبا ، فقد كان وضع اجتماعيا عالميا ، وكان عند العرب أهون منه في كثير من المجتمعات .

ومن هذا (الرصيد الإنساني) الكبير ، جاء (الرسول الإنسان) :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ،

ولم تأت رسالة محمد من السماء إلى هذه البيئة الإنسانية . لتروع برهبة الغيب ما أمن منه الواقع القائم ... »

« فمحمد لا تربطه بالسماء أسباب غير الوحي ... »

« قل إنما أنا بشر مثلكم ... يوحى إليّ أنمّا الحكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا . »

« قل إن أدري أقرب ما توعدون ،

يسد كل ذريعة للتمالي والتحكم باسم الله
أو شريعته ...

« إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ،

« إن عليك إلا البلاغ ،

« لست عليهم بمسيطر ،

« قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة
من ربي ، وآتاني رحمة من عنده فعميت
عليكم ، أنزل مكوها - وأنتم لها كارهون ؟
ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى
إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ،
إنهم ملائقوا ربهم ، ولكني أراكم قوما
تجهلون . ويا قوم من ينصرني من الله إن
طردتهم ، أفلا تذكرون . ولا أقول لكم
عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا
أقول إني ملك ، ولا أقول للذين تزدري
أعينكم لن يؤتيتهم الله خيرا ، الله أعلم بما في
أنفسهم إني إذن لمن الظالمين .

ولقد كان رسول الإسلام بعيدا عن الثروة
أو السطوة ، فلم يكن نبيا ملكا كداود
أو سليمان ، بل كان يجوع ويشبع ، ويعصر
على الضعف حتى يقوى .

« قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا
ما شاء الله ، لكل أمة أجل ، إذا جاء أجلهم
فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

« قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا
أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك ، إن

إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا
رسولا ؟؟ قل لو كان في الأرض ملائكة
يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا . قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ،
إنه كان بعباده خبيرا بصيرا .

« والوحي الذي ينزل على الرسول يقرئه
القرآن ، فالسما لا تنزل رسالتها ألواحا
وقراطيس ، ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا إن هذا
إلا سحر مبين ، ١١ .

لقد استنفدت المعجزات الحسية الصارخة
أغراضها ، وأضحت غير ذات موضوع ...
« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب
بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلبوا
بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا .

وجاء الإسلام بكرم العقل الإنساني
ويخاطبه بالبرهان ، وبصرفه عن التماس
الدليل في غير السكون الفسيح وبغير المنهج
الرشيد ...

« وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه ،
قل إن الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن
أكثرهم لا يعطون . وما من دابة في الأرض
ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ،
ما فرطنا في الكتاب من شيء . ثم إلى ربهم
يمحشرون .

« والوحي الإلهي الذي ينزل على الرسول

عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير
والله على كل شيء وكيل .

« وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا
إليك لتفترى علينا غيره . وإذن لا نخذوك
خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
إلهم شيئا قليلا . إذن لأذقناك ضعف الحياة
وضعف المات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا .
« فلعلمك باخع نفسك على آثارهم إن لم
يؤمنوا بهذا الحديث أسفا .

« وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت
عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي
في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله
أحق أن تخشاه .

« عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك
لعله يزكى ؟ أو يذكر فتنته الذكري . أما
من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا
يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى .
فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة .

نحن نحس أننا أمام الرسول الإنسان ،
الذي تقباده مشاعر الخوف والرجاء ،
والإشفاق والثبات ... إنه لا يدعو بعجرفة
الدعي المتعاطف ، أو الفارغ الآحق .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فيفسخ
الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله
عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين

أتبع إلا ما يوحى إلى ، قل هل يستوى الأعمى
والبصير . أفلا تتفكرون ؟ » .

« وقالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام
ويمشى في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك
فيكون معه نذيرا ! أو يلقى إليه كنز ، أو
تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون
إن تبعون إلا رجلا مسحورا ! انظر كيف
ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون
سيلا . » وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا
لأنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ،
وجعلنا لبعضكم لبعض فتنة - أنصبرون ؟
وكان ربك بصيرا .

ورسول الإسلام ، إنسان في مشاعره
وأحاسيسه .

« قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ،
فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله
يجهلون . ولقد كذبت رسل من قبلك ،
فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم
نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك
من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك أعراضهم
فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض أو
سلما في السماء - فتأتهم بآية ، ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين .
« فلعلمك تارك بعض ما يوحى إليك ،
وضائق به صدرك - أن يقولوا لولا أنزل

نفسه ، فهو يعنى أمته من المتابعة والافتداء ...
إنه يواصل الصيام وينهى المسلمين عن الوصال
ويقول : لست كهيتكم ، إني آيت عند ربى
يطعمنى ويسقنى .

وشريعته يقوم التكليف فيها على الطاقة
والوسع ، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ،
والرسول الإنسان يقول : إذا أمرتكم بأمر
فأتوا منه ما استطعتم . ومن هنا جاءت
الشريعة بالإباحة فى حالة الضرورة : وقد
فصل لكم ما حرم عليكم - إلا ما اضطررتم
إليه ، والرسول الإنسان يقول : رفع عن
أمتى الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه .
ذلكم هو الرسول الإنسان ، الذى يحتاجه
الإنسانية فى كل زمان ...

بلا تهاويل ولا طلاس ...

بلا تأسيس على الحوارق ...

بلا طغيان ولا تفزع ...

فبارحة من الله لنت لهم ، ولو كنت
فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك ، فادف
عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا
هزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين .
الذين يتبعون الرسول النبى الأسمى الذى
يحدونه مكتوبا هندهم فى التوراة والإنجيل ،
بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم
إصرهم والأغلال التى كانت عليهم .

ففى عثمان

فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وإن
الظالمين لفى شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا
العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتنجب
له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى
صراط مستقيم .

حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم
قد كذبوا جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ،
ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين .

ولقد كان رسول الإسلام يحيا حياة
الإنسان : يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ،
ويتزوج للنساء ، ويعلم أن هذه شريعته
وسنته : فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ورسول الله ، الاتقى والأعلم بالله ،
والأزهد فى الدنيا والآخرة ،
فسمع منه هذا اللحن الإنسانى الرائع :
حبب إلى من دنياكم ثلاث : للطيب ، والنساء ،
وجعلت قرعة عني فى الصلاة .

ورسول الله ، إنسان فى مشاعره تجاه
الزوجة والولد ... حتى ليهم أن يحرم على
نفسه ما أحل الله له يبتغى مرضاة أزواجه ...
وحى يصرح أن ابنته فاطمة قطعة منه —
يربيه ما راها وحتى يطيل السجود ،
لأن ابنه ارتقى ظهره وهو ساجد ، فكره أن
يعجله ، إلى الهبوط قبل أن يقضى رغبته
فى الصعود . . .

فإذا ما قسى الرسول الإنسان يوما على

مراكز اللغة العربية في الهند

للأستاذ محمد اسماعيل الندوي

اصطلاحات الفنون ، وهو معجم للمصطلحات العلمية يغني عن مراجعة آلاف من الصفحات . وألف السيد مرتضى البلسكراي المشهور بالزبيدي الذي دفن في مصر سنة (١٢٠٥ هـ) كتاب « تاج العروس » ، وهو أشهر من أن يعرف . وألف الشيخ محمد بن طاهر الفتحي سنة (٩٦٦ م) كتاب « مجمع بحار الأنوار في التنزيل ولطائف الأخبار » ، جمع فيه غريب الحديث وما ألف فيه ، فجاء كالشرح للمصاحح الستة .

وفي الشريعة الإسلامية أضاف العلماء الهنود إلى المكتبة العربية ثروة كبيرة ، مثل كتاب « كنز العمال » للشيخ علي بن حسام الدين المتقي من رجال القرن العاشر . وهو ترتيب « جمع الجوامع » للسيوطي . وكتاب حجة الله البالغة للإمام ولي الله الدهلوي سنة (١١٧٩ م) في أسرار أحكام الشريعة الإسلامية وفلسفة التشريع وهو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له نظير في المكتبة العربية على سعتها .

المركز الأول : الممارسي العربية

هذه صورة اللغة العربية إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . وبعد هذه الفترة

ظلت الهند حصناً من حصون اللغة العربية طوال تاريخها الإسلامي المجيد . فقد فتح العرب السند سنة ٦١ هـ ، ومنذ ذلك الوقت بدأ تفاعل الثقافتين العربية والهندية . وظهر من الهنود أدباء وشعراء باللغة العربية أمثال أبي عطاء السندي ، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وابن الأعرابي لغوى شهير ، وأبي معشر نجيب السندي ، محدث شهير صاحب كتاب المغازي .

ولما انفصلت الهند عن الدولة العباسية بعد ما استشرى الضعف والانحلال في جسد الخلافة العباسية ، تكون للهند كيان مستقل ، وظلت تحت حكم الأتراك والمغول من المسلمين إلى القرن الثامن عشر الميلادي . وفي غضون هذه المدة استخدمت اللغة العربية لغة دينية وعلمية ، وألفت بها جميع الكتب في الدين والعلم . وظهر من الهنود أدباء وشعراء ومصنفون وقد ألف الإمام حسن بن محمد الصفاني من رجال القرن السابع الهجري ، « العباب الزاخر » ، الذي عد من مراجع اللغة العربية . وألف الشيخ محمد أعلى النهاوي من رجال القرن الثامن عشر « كشف

المدارس العربية أكبر مركز للغة العربية وثقافة الإسلام طوال العصور الإسلامية . وقد مرت هذه المدارس بخمس مراحل في تاريخها المجيد .

- ١ - القرون الثلاثة من السابع إلى العاشر الهجري (١٣ - ١٦ م) .
- ٢ - من العاشر إلى الحادي عشر الهجري (١٦ - ١٧ م) .
- ٣ - من الحادي عشر إلى الثاني عشر الهجري (١٧ - ١٨ م) .
- ٤ - من الثاني عشر إلى الثالث عشر الهجري (١٨ - ١٩ م) .
- ٥ - من الرابع عشر إلى يومنا هذا (١٩ - ٢٠ م) .

وكانت مدرسة ديوبند على منوال مدرسة نظام الدين في المناهج ونظام التدريس . ولا يزال منهجها يسمى بالمنهج النظامي . وأما مدرسة نظام الدين فكانت تسمى بالمدرسة النظامية . نسبة للشيخ ملا نظام الدين (ولد سنة ١٦٧٩ م وتوفي سنة ١٧٤٨ م وكانت له في الهند شهرة لاتضارع) . ولم تكن مدرسة بالاصطلاح الحديث الذي تنقسم فيه المدرسة إلى مرحلتين ثانوية وابتدائية ، بل كان لها نظامها المأخوذ عن المدرسة النظامية التي كانت في بغداد . وإذا أردنا أن نحدد هذا النظام في ضوء النظم الدراسية المعاصرة ، فإننا نستطيع القول بأنها كانت ولا تزال تجمع بين المرحلتين التحضيرية

من الزمان حدثت حوادث هائلة في الهند ، ومن أهمها احتلال الانجليز والثورة الكبرى ضدّهم تلك التي قام بها العلماء المسلمون سنة ١٨٥٧ م . وقد ابتلى المسلمون بالانجليز فأوقفوا نشاطهم الديني ، وأعدموا العلماء والزعماء ، ونفوا كثيراً من رجال الدين إلى البحر الأسود . وكانت هذه أكبر نكبة على كيان الأمة الإسلامية ومستقبلها في الهند ، وعلى تراثها الديني المجيد .

ونشأت هناك بعد ذلك نزعات عديدة لدى المسلمين للحفاظ على كيان الدين والتراث الإسلامي الذي توارثوه عن أجدادهم طوال هذه القرون ، وللذود عن الإسلام ضدّ الحلات المسيحية التي تمثلت في الحركتين التبشيرية والاستشراقية .

وقد أنشأ صفوة من العلماء وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ محمد قاسم النانوتوي معهداً هريياً كبيراً وهو مدرسة « دار العلوم » بمدينة « ديوبند » سنة ١٢٨٣ هـ . وكان من أهداف هذه المدرسة المحافظة على التراث العربي الديني ودراة اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، وتخرج مجموعة من رجال الفكر والدين والزعماء المسلمين ليقودوا الأمة الإسلامية في الهند .

ولم تكن هذه المدرسة حديثة ولا فريدة في نوعها ورسالتها في الهند . بل سبقتها مراحل شتى في هذا المضمار . وظلت هذه

(٨) في الأصول — « نور الأنوار »
و « التلويح » ، و « مسلم الثبوت » .

(٩) في الكلام — « العقائد الفلسفية »
و « شرح العقائد للجلال » ، والمير الزاهد
و « شرح المواقف » .

(١٠) في التفسير — « تفسير الجلالين »
و « تفسير البيضاوى » .

(١١) في الحديث — مشكاة المصابيح .
ومن أهم مميزات هذا المنهج أن نظام الدين
لم يركز جهوده كلها على الحفظ الأصم لهذه
الكتب المقررة ونصوصها بل كان يهدف
إلى أن يحصل الطالب على ملكة تتفتح
بواسطتها بصيرته على آفاق من العلوم
المختلفة ، ويتمكن من البحث والتنقيب بغير
أن يقتصر على الكتب المقررة .

وكان هذا النوع من المناهج مفيداً جداً
لأهل القرن السادس والسابع عشر الميلاديين .
ولكن مدرسة ديوبند التي أنشئت في بداية
القرن العشرين لأهداف سامية — وهي
إنشاء طائفة من العلماء الذين يحافظون على
التراث العربى الإسلامى القديم ويقودون
الأمة الإسلامية ويردون الحملات المسيحية —
كانت الغاية من إنشائها تتطلب إعادة النظر
في هذا المنهج ونظم التدريس . ولكن
هؤلاء العلماء لم يبالوا بهذه الحقيقة .

وقد ازدهرت مدرسة ديوبند بمرور الأيام
وبدأت تسمى بالأزهر الآسيوى لكثرة

والجامعية في آن واحد . وكان الشيخ ملا
نظام الدين قد وضع منهجاً جديداً لمدرسته .
يشتمل على اللغة العربية أدباً ونحواً وصرفاً
وبلاغة ، والحديث والتفسير والفقه
والأصول ، والمنطق والفلسفة . ولم يكن
هناك نظام المحاضرات الذى اشتهرت به العصور
الإسلامية واشتهر فيه أبو على الفالى « صاحب
الأمالى » والمبرد « صاحب الكامل » والمحدثون
والفقهاء . بل كانت تدرس الكتب المشهورة
في المواد الأساسية التى ذكرناها . وهذا المنهج
في اختصاره هو كما يلى :-

(١) فى الصرف — « الميزان »
و « المنشعب » ، الصرف للبرد و « للشافعية » .
(٢) فى النحو — « النحو للبرد »
و « الكافية » ، وشرح الجامى .

(٣) فى المنطق — « لإساغوجى » ،
و « الصغرى » ، و « الكبرى » ، و « التهذيب » ،
و « القطب » .

(٤) فى الفلسفة — « الميبنى » ،
و « صدرا » ، و « سمش البازغة » .

(٥) فى الرياضيات — « خلاصة
الحساب » ، والإقليدس .

(٦) فى البلاغة — « المختصر المعانى »
و « المطول » .

(٧) فى الفقه — « شرح الوقاية »
و « الهداية » .

طلابها وأساتذتها وشهرتها في الشرق الإسلامي ثم أنشئت مئات من المدارس العربية على منوال مدرسة ديوبند في شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها . ومن هذه المدارس التي تعتبر كمدارس ثانوية أو كليات لجامعة ديوبند في أنحاء الهند المدارس الآتية ذكرها بعد :

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة مظاهر العلوم :	سهارنپور :	يوني	سنة ١٨٦٦ م أنشأها الشيخ سمادت علي .
المدرسة الأمينية :	نيودلهي :	دلهي	سنة ١٣١٥ هـ أنشأها الشيخ أمين الدين .
مدرسة الإصلاح :	سراي مير :	يوني	سنة ١٣٢٧ هـ أنشأها الشيخ أصغر حنفي .
جامعة مفتاح العلوم :	مئو :	يوني	سنة ١٢٩٦ هـ الشيخ إمام الدين البنجابي
جامعة مظهر العلوم :	بنارس :	يوني	بعد سنة ١٩٠٠ .
مدرسة الشاهي :	ميراد آباد :	يوني	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة الحسينية :	راندير :	بومباي	سنة ١٩١٧ م أنشأها الشيخ محمد اسماعيل .
المدرسة الأشرفية للعربية :	بكرات :	بومباي	الشيخ أحمد علي السهارنپوري .
الباقيات الصالحات :	ويلور :	مدرا	أنشأها الشيخ شاه عبد الوهاب بعد سنة ١٨٥٢ م .
جامعة دار السلام :	عمر آباد :	د	أنشأها الشيخ محمد عمر سنة ١٩٢٤ م .
المدرسة الجمالية :	مدرا :	د	أنشأها الحاج جمال الدين راوتر .
الجامعة اللطيفية :	ويلور :	د	قبل سنة ١٨٥٧ م أنشأها الشيخ عبد اللطيف .
مدرسة معدن العلوم :	وانمباري :	د	بعد سنة ١٩٠٠ م .
مدرسة إشاعة الحسنات :	بيارم بيت :	د	بعد سنة ١٩٠٠ م .
مدرسة منبع الأنوار :	لال بيت :	د	قبل سنة ١٨٥٧ م .
دار العلوم بهوبال :	بهوبال :	مدهيابهارت	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة المحمدية :	راي درج :	آندھرا	بعد سنة ١٩٠٠ م .
المدرسة الإسلامية :	كرنول :	آندھرا	أنشأها الشيخ سلطان أحمد سنة ١٨٩٦ م .
المدرسة الإسلامية :	غاربيور :	د	بعد سنة ١٩٠٠ م
كلية حشمة رحمت :	د :	د	د
دار العلوم سلفية :	لهراي سراي :	د	د
المدرسة النظامية :	حيدرآباد :	د	د
جامعة مدينة العلوم :	بلسكل :	كيرالا	د

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة سبيل الرشاد : بنسكور :	ميسور		بعد سنة ١٩٠٠م
المدرسة العربية العالية : كالكتا :	منجال		الحكومة الهندية .

هذه صورة موجزة لأشهر المدارس العربية في الهند . وهناك مئات من المدارس الأخرى في كل ولاية من الولايات التي تضم أكثر من عشرين مديرية ، ويرسل الطلاب من هذه المدارس إلى مدرسة ديوبند للتخصص في الحديث أو التفسير أو المنطق أو الفلسفة أو الفقه الحنفي . وقد تركنا مئات من المدارس العربية التي تقوم برسالتها في أنحاء الهند ولكنها لم تتل أي شهرة . وعلى سبيل المثال نذكر بعض المدارس في ولاية بهار وحدها التي تشتمل على أكثر من عشرين مديرية ولم نذكرها في الجدول السابق . وفي مديرية بكتنه مثلاً توجد مدرسة شمس الهدى والمدرسة العزيزية ، والمدرسة الإسلامية كندري ، والمدرسة المحمدية والمدرسة القومية ، والمدرسة الحنفية ، ومدرسة منار الإسلام ، والمدرسة الإسلامية بهابورة وفي مديرية آره ، توجد أربع مدارس ، وفي مديرية دجيا ، خمس مدارس ، وفي مديرية مظفرپور ، ثلاث مدارس ، وفي مديرية تسارة ، ثلاث مدارس ، وفي مديرية دجيان ، ثلاث مدارس ، وفي مديرية درهنكا ، ست مدارس ، وفي مديرية دهاكل پور ، تسع مدارس ، وفي مديرية

دستال برجنا ، ثلاث مدارس ، وفي مديرية ديورنية ، عشر مدارس ، وفي مديرية ناكور ، مدرسة واحدة ، وفي مديرية أريسة ، ست مدارس ، وفي مديرية ديورؤولية ، مدرسة واحدة ، وفي مدرسة جهاني باسة مدرسة واحدة وكذلك حال الولايات الأخرى ومديرياتها في أنحاء الهند ولا يمكن لنا أن نستوعب جميع هذه المدارس .

ويدرس في جميع هذه المدارس نفس المنهج الذي سميناه بالمنهج النظامي ، وبمرور الأيام أنشئت بمدرسة ديوبند شعب وفروع للتخصص ، وقد لعبت مدرسة ديوبند دوراً رائعاً في الهند وأنجبت كثيراً من العلماء والعلماء والمصنفين والكتاب .

ولكن هذه المدرسة أو الجامعة لم تهتم بالأدب العربي كما اهتمت بالصرف والنحو واللغة والمنطق ، ولا يدرس هناك في الأدب العربي إلا المقامات للحري ، وديوان المتنبي وديوان الخاسية طوال السنين الجامعية ، ولذلك كان طلاب هذه المدرسة بعيدين عن تذوق الثقافة العربية السليمة ، ولم يظهر منها الأدباء والشعراء في اللغة العربية كما

يحمل لواء الإصلاح في الهند . فنقد المنهج النظامي ودعا إلى تغيير هذا المنهج وتقريبه إلى حياتنا المعاصرة . وبدأ ينشر مقالاته النقدية باللغة الأردية من سنة ١٨٩٠ م . وقد أتيحت له الفرصة بعدئذ لكي يسافر إلى مصر ويتصل بالشيخ محمد عبده معاصره في الحركة الإصلاحية وعلى مبارك باشا منشىء دار العلوم بالقاهرة . وقد انصب نقد شبلى النعماني على الأهمية الزائدة التي أعطيت للنص ومعانيه وما يفرع عنه من استنتاجات وقلة العناية بالنواحي الواسعة من الموضوع . وكان مما نبه إليه أن الشيتين المهمين في الدراسة اللاهوتية هما : أولا تحصيل الفرع الخاص ، وثانيا تعميق الفكر والقدرة على الدرس المستقل كما أوضح أن امتلاك ناحية العربية لم يزل بعد دون المستوى المطلوب وأنه من الواجب مضاعفة الاهتمام بالعلوم القرآنية وعلى الأخص بدراسة الإعجاز . وأشار أخيراً إلى ما لاحظته من أن العلوم التي اتخذها العرب عن الإغريق لا تزال تدرس كما أخذت خلال العصور الوسطى دون أى تقدم .

ولم يكن لهذا النقد جدوى . لأن المدارس العربية في الهند أثارت خصومات شديدة هذه وكثره علماء مدرسة ديوبند ولكنه استمر في دعوته ونقده حتى قامت في الهند منظمة كبيرة باسم ندوة العلماء ، لإصلاح المنهج

ظهروا في العصور الماضية ، وكان حال هذه المدرسة الكبيرة وشقيقتها في شرق الهند وغربها إلى الآن كشأن الأزهر القديم قبل سنة ١٩٠٠ م . والعلوم التي لا تزال تدرس في هذه المدرسة وشقيقتها لا تصلح للعصور التي نعيش فيها الآن ، ولا يتمكن الطالب الذي يتخرج من هذه المدارس العربية أن يفهم الإسلام فهما سليماً . ولا يستطيع هؤلاء المنهرجون أن يسيروا مع موكب الحضارة كما فشل هؤلاء في قيادتهم وزعامتهم للأمة الإسلامية في القرن العشرين .

ولذلك قام مصلح كبير في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي لإصلاح المنهج النظامي الذي لا يزال يدرس في المدارس العربية ولا سيما في مدرسة ديوبند ، وهو العلامة محمد شبلى النعماني ، وهو أيضاً تخرج على أيدي العلماء القدماء ولكنه اشتبك في الحركة الإصلاحية مع السيد أحمد خان منشىء الجامعة الإسلامية بعليكرة في بداية الأمر .

مدارس الهند والقرن العشرون :

ونحن لا نريد أن نتحدث عن السيد أحمد خان والجامعة الإسلامية بعليكرة . لأن الجامعة لم تكن جامعة عربية بل كانت على طراز الجامعات المعاصرة في أوروبا ، ولم تكن تدرس فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلا كمواد إضافية كشأن جامعات العالم . ولذلك استطاع محمد شبلى النعماني أن

ولذلك نوافق نحن الدكتور فيضى مدير جامعة
كشمير في الهند الذى وجه نقده إلى جميع
المدارس العربية فى محاضراته التى ألقاها
فى مؤتمر الثقافة الإسلامية بجامعة
برنستون فى الولايات المتحدة سنة ١٩٥٣ م.
إذ قال : « إن دراسات المستشرقين من
الغرب ليست معروفة عند علماء الهند ،
والذى تسوقه الصدفة منها إلى علمهم يقابل
بالعداء الذى يكاد يصل إلى حد التنصب
الاعمى وأنه لا اهتمام هناك بالتقدم الحديث
فى العلم والفلسفة والتاريخ والدين المقارن
ولا تقدير لضرورة معرفة اللغات السامية
الأخرى كالسريانية ، والعبرية ، والآرامية ،
والحبشية مع أهميتها للبحث النقدى ، وأن
معرفة اللغات الأوربية الحديثة - الانجليزية ،
أو الألمانية تعتبر عند هؤلاء علماء فارغا
واضح - إذف - أن التربية الدينية التى
كانت فى تلك المدارس تحتاج إلى إصلاح
كبير من وجهة نظر القرن العشرين . وليس
من المستطاع مقارنتها بالدراسة الجامعية فى
اللاهوت ، فى أى جامعة حديثة مثل أكسفورد
أو روما أو شيكاغو . إذ لا اهتمام فى المدارس
العربية فى الهند بدراسة التاريخ الحديث
والدين المقارن والمنطق والحديث وعلم النفس
والميتافيزيقيا كما يفهمها العصر الحديث .
(البقية فى الجزء القادم)

محمد اسماعيل النمرى

النظامى وإنشاء مدرسة عربية جديدة لتحقيق
الأهداف التى ينادى بها المفكرون الجدد
وقد انضم شبلى إلى هذه المنظمة وأنشئت
مدرسة « دار العلوم لندوة العلماء » فى مدينة
« لاهور » سنة ١٣٨٣ هـ لتحقيق هذه
الأهداف واختير محمد شبلى مديراً لهذه
المدرسة ، والشيخ عبد الحى الحسنى صاحب
نزهة الخواطر وكيلا لها . وقد وضع محمد
شبلى منهاجاً جديداً لهذه المدرسة الحديثة
وألقى المنهج النظامى القديم وأضاف إلى هذا
المنهج كثيراً من الكتب الأدبية واللغوية
أمثال « نهج البلاغة » ، وأسرار البلاغة
ودلائل الإعجاز والكشفات الزخرفية ،
والمفصل الزخرفى ومغنى اللبيب لابن هشام
ومادة الإنشاء والتعبير والعلوم الحديثة
الرائجة فى ذلك الوقت فى الجامعات المعاصرة ؛
وقد نجحت هذه المدرسة نجاحاً عظيماً فى
رسالتها وأنجبت رجالات كبرية مثل البهائى
والمؤرخ الكبير السيد سليمان الندوى الذى
وضع قاموساً عسرياً للغة العربية من العربية
إلى الأردية .

والأسف أن مدرسة دار العلوم لندوة
العلماء قد تناست رسالتها بمرور الأيام ،
وتقرب كل يوم إلى مدرسة ديونيد لأن قادة
هذه المدرسة لم يبنوا جهودهم فى أئسنين التالية
لتغيير المنهج القديم الذى وضعه محمد شبلى
للتعماتى لبداءة القرن العشرين وتقريبه
إلى حياتنا المعاصرة فى نهاية القرن العشرين

اختلاط الجنسين في نظر الإسلام

للأستاذ سعد الدين الجيزاوي

لا زوجته ولا إحدى محارمه ، وإذن يكون منبع الفساد الناشئ عند الاختلاط إنما هو من الانفراد . . انفراد الرجل والمرأة لا من مجرد اختلاط بين مجموعة من النساء والرجال . وإذا نحن سألنا أنفسنا عما نشاهده ونراه ونسمعه تأكدت لنا دقة هذه القاعدة وعمق فلسفتها .

ولا يتسع بنا المقام لذكر ما ورد على لسان الشعراء عن (الرقيب) وما يتمتع به الشاعر من الخلوة والانفراد بمن أحب كيفما كانت النتائج . . كقول جميل بثينة على سبيل المثال :

وما أنسى م الأشياء لا أنسى قولها
وقد قربت أنضوى : أمصر تريد ؟

ولا قولها : لولا العيون التي ترى
أنتيك . فاهذني ، فدتك جدد
ونحن نعلم ما رتبته الفقهاء على الخلوة الصحيحة التي يختل فيها الرجل بامرأة بحيث لا يدخل عليهما أحد في مكان الاختلاء إلا بإذن . إذ جعلوا هذه الخلوة كالدخلول الحقيقي فيما يتعلق بأحكام العدة والمهر

لم تغفل للتشريعات الإسلامية أمر اختلاط الجنسيتين باعتبار أن ذلك أمر تقتضيه ظروف الحياة الاجتماعية التي عني الإسلام بتنظيمها وبناءها على أسس سليمة غفل عنها الناس وأخذوا يتخبطون فيها ويلتمسون لمجتمعاتهم نظماً يقتبسونها من الغرب أو من الشرق . فكان هذا العثار الذي لا قومة منه إلا بالأخذ من مناهل النظم التي اختطها الإسلام .

ونود هنا أن نعرض للموضوع اختلاط الجنسيتين على ضوء التعاليم الإسلامية لنرى كيف عالج الإسلام هذا الموضوع الحساس . وقد هدانا البحث إلى إن أهم ما عني به الإسلام حول هذا الموضوع يرجع إلى أصول أربعة :

١ - الأصل الأول : وهو قاعدة عامة نطق بها الرسول الكريم محمد ما ينبغي أن تكون عليه حال المختلطتين حين تضطر الظروف الناس إلى اختلاط ، وذلك الأصل هو قول النبي عليه الصلاة والسلام : « ما اختل رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » . وبديهي أن المراد هنا المرأة الأجنبية عن الرجل ،

السكرام ، يخرجون وراء الجيوش ، ويقمن بإعداد الطعام للقاتلين . . . وكن يضمندن جراح المصابين : من أزواجهن وغير أزواجهن . .

وكان نسوة يذهبن إلى النبي الكريم يسألنه عن أمور دينهن ، وكان رجال يذهبون إلى السيدة عائشة رضى الله عنها بعد انتقال الرسول الكريم يسألونها : « ما كان النبي يصنع في بيته ، ؟ وغير ذلك من أمور الدين . .

وعلى مر العصور كان نساء يتعلمن من رجال ويسرن وراء الجيوش ، وكان رجال يتعلمون من نساء . . ولم نسمع أن هناك فساداً نشأ من مثل هذا الاختلاط . . فإذا حدث إذا ؟؟ .

لأنه التبرج والاستهتار بالقيم الإنسانية لا بمجرد الاختلاط ، لقد كانت المرأة في العصور السالفة تحترم أئوئتها وتضن بها أن تبذل وترخص . ومن ثم كانت لا تضار بالاختلاط .

أما اليوم فإن المفاصد التي تنشأ من الاختلاط الذي تدعو إليه الضرورة لم تنشأ من مجرد الاختلاط وإنما تنشأ من تبذل المرأة والفشاء وإرخاصهما لأئوئهما ، وإبراز المحاسن التي ينبغي أن تضن بها المرأة للعاقلة .

ثم هذه المبالغة في الزينة بلزوم ومن غير لزوم . إن نساءنا وفتياتنا لو فكرن قليلاً

والنفقة . . . في حين أنهم اعتبروا الخلوة التي يمكن أن يدخل فيها على المختلين شخص آخر في مكان الاختلاء بدون إذن . . خلوة فاسدة ولم يرتبوا عليها مارتبوا على سابقتها من أحكام .

ومن هنا نرى أن الاختلاط من حيث هو اجتماع عدد من الجنسيتين لضرورة غير ممنوع ، وإنما الذي يجب مراعاته والحيولة دونه هو اختلاط شخصين اثنين ذكر وأنثى في خلوة وبعد عن أهين للناس . . لأن الفرائز الجنسية حينئذ تنطلق بعيدة عن قيود المجتمع ، أو أعين الرقباء ، كما يقول الشعراء ، وتجد النظرات منافذ إلى القلوب لا تاح لها في ملا من الناس ، والأحاديث تجد حرية لا تجد لها على مسمع من الناس فيحدث ما يحدث من مفاصد .

ومن ثم نجد الآباء والأمهات يشددون الرقابة على أولادهم وبناتهم ، ويحولون بقدر الإمكان دون إتاحة الفرصة لاختلاط أبنائهم بالغير في مثل هذا الاختلاء .

ولنلق نظرة إلى مجتمعنا الحديث : هل اختلاط الفتيان والفتيات في الجامعات وغيرها من المرافق العامة مدعاة إلى الفساد إذا روعيت حدود الآداب واللياقة ؟ .

لنعد إلى الماضي : فقد كانت هناك نسوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونسوة الصحابة

الصفوف الخلفية للنساء في صلاة الجماعة بالمساجد .

فللرأه الحق في أن تنال فضل ثواب الجماعة بالمسجد أسوة بالرجل ، ولها أن تصل الجمعة ، وهي لا تؤدي إلا في جماعة بالمساجد ...

فماذا كان موقف التشريع من ذلك ؟؟

إن التشريع لم يمنع الاختلاط لأداء الصلاة ، ولكنه نظمته تنظيمًا دقيقًا يتناسب وحالة الصلاة التي تتكرر في اليوم خمس مرات طوال العمر .

لقد جعلت الصفوف الأولى للرجال ، والتي تليها للصبيان والأخيرة للنساء . أتدري لماذا لم يترك الاختلاط هنا على إطلاقه كما سترى في الحج ؟ ذلك لأن الصلاة في الجماعة تؤدي في صفوف منتظمة تتلاحق فيها الأكتاف والأيدي بل سائر الأجساد لفرة قد تبلغ خمس عشرة دقيقة في كل صلاة ، وفي هذا ما فيه من تنبه الغرائز الجنسية عن قصد أو عن غير قصد رغم هيبة المكان والحالة التي يكون عليها المصلون من الخشوع والهيبة ... فلم يكن مناص لإذن من منع الاختلاط على هذه الصورة في المساجد وفي أثناء الصلاة بالذات .

أما الاختلاط من حيث هو في مجموعة من النساء والرجال بالمسجد ، وانتهاء النسوة برجل ، واستماعهن إلى وعظه ، وسؤاله عن

ورجمن إلى عقولهن ، لأدركن قيمة خطئهن ، وما وصلن إليه من إمداد لأوثقهن بل لأدهيتهن .

وأمسك عن تفصيل هذا الابتذال فهو أظهر من أن ينه عليه قلم ١١

٢ - الأصل الثاني : وهو منع اختلاط الأطفال في النوم عند بلوغ سن معينة ولو كانوا إخوة وأخوات وذلك الأصل قرره الحديث الشريف : « علوا أولادكم الصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

فالأطفال قبل السابعة أو الثامنة مثلاً لا يميزون ، ولا يدركون المسائل الجنسية ولكن متى بدأ شعورهم يتجه إلى هذه الناحية في العاشرة وما بعدها فهنا يجب اليقظة ، والتفريق بين الذكر والأنثى في مكان النوم ؛ لأن ذلك أدعى إلى صرف الذهن عن التفكير . وخير ألف مرة من وعظ الطفل أو زجره في هذه المرحلة .

إن الأطفال في هذه السن لا يميزون بين أخوة أو غيرها ، ومن ثم فالحديث الشريف يرشدنا إلى عزل الأطفال الذكور عن الإناث في أماكن النوم ؛ لأنها أكثر مظنة لتوجيه النظر عند ما تبدأ الغرائز الجنسية في التفتح .

٣ - والأصل الثالث : هو تخصيص

الجنسيات ، وقد يكون بينهما الفاتنات
بتوامهن أو جمال وجوههن فلا يستطيع
أن يفكر في التأمل وإعطاء العين حقها
كما يقولون أو النزول ولو كان من المستهترين
لهيبة الموقف والشعور الذي يستولى على المرء
حينذاك بأنه يقف بين يدي أحكم الحاكمين .
إن مدة الإحرام التي يقضيها الحاج
يكون فيها منع عن أمور كثيرة مما هو
مباح ، كالنظيب ولبس الخيط وقص الشعر
ليشعر بعد الإباحة بقيمة النعيم ويحس بلذة
امتثال الأمر ... وفي هذا ما فيه من تدريب
النفوس على الصبر واحتمال المشقات عند
الظروف التي تضطر الإنسان إلى الامتناع
عن تناول المباح ... فما بالك إذن بتدريب
النفوس على منعها من المحرمات أو ما يؤدي
إلى الحرام ؟؟ .

إن الزحام الذي يحدث في المجتمعات العامة
كالأسواق والسيارات يؤدي حتماً إلى احتمال
حدوث المفاسد ، فإذا أعدت النفس إعداداً
قوياً ، وتدربت على تذكر المثل العليا والقيم
الروحية التي يعيش فيها الإنسان أثناء مناسك
الحج . كان ذلك بمثابة مناعة تحول دون الشر .
وبعد : فهذه بحالة نحو موضوع هام يتصل
بحياتنا العامة وما ينبغي أن تكون عليه من
مثالية في ظلال تعاليم الإسلام .
هدانا الله جميعاً ووفقنا إلى الصواب .

سعد الميريه الجيزاوي

أمور دينهن فليس هناك ما يمنعه ما دامت
قد روعيت الشروط الأخرى : فلا ترج
ولا تلاحق بالأجسام ولا خلوة بين اثنين .
٤ - والأصل الرابع : هو إباحة
الاختلاط على إطلاقه في مناسك الحج جميعاً :
فالرجال والنساء يشتركون في الطواف
حول الكعبة وفي السعي بين الصفا والمروة ،
وعند الوقوف بعرفة وعند رمي الجمرات ...
دون تخصيص وقت لسلك فريق أو تحديد
صفوف للرجال وأخرى للنساء .

ولو تأملنا ذلك لوجدنا فلسفة عميقة وراء
إباحة هذا الاختلاط في أظهر الأماكن
وأقدس الأوقات .

إن هذا الاختلاط في تلك الظروف يعتبر
مدرسة تدريب عملي ، وإعداد للنفوس
إعداداً روحانياً حتى تواجه الاختلاط الذي
يضطر إليه الناس في ظروف كثيرة بعزيمة .
نعم : هناك في المطاف وفي المسمى وفي
عرفات ، يجد الرجل نفسه إلى جانب المرأة
كتفاً لكتف ، بل جسماً إلى جسم ، ووجهها
إلى وجهه فيتجاشى الالتصاق بها أو مسها ولو
كانت زوجته ، وينفرد من الاحتكاك بها على
أية صورة نفوراً شديداً .

لأنه لو خرج عن حدود الآداب قيد أنملة
ارتكب جناية بل قد يفسد حجه نهائياً فهو
إذن مضطر إلى الصبر ومقاومة النفس عن
كل ما يتعلق بالمرأة ولو كانت حلالاً .

ثم إن هذه المناسك تجمع النفوس من مختلف

الإسلام دين الوحدة الكبرى

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدوي

الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ،
ألا وهى القلب .

وتوسع الإسلام فى الوحدة فجعلها
فى الأسرة بين الزوج وزوجه : « ومن آياته
أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) :

وكانت الوحدة بين الأب وأبنائه ١١ وقضى
وبك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا (٢)
وإذا كانت الوحدة فى الفرد قائمة على
الوازع النفسى المؤمن « ثم لم يرتابوا » . فإن
الوحدة فى الأسرة قائمة على المودة والرحمة
كما أشار القرآن الكريم ، والوحدة فى الأبوة
مبنية على الطاعة والرحمة ، إما يبلغن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا ، (٣) .

وتوسع الإسلام فى الوحدة فجعلها فى أخوة
النسب ، وقرباة العصب ، وفى العائلة أو القبيلة

[١] الروم - ٢١ .

[٢] الإسراء - ٢٣ .

[٣] الإسراء - ٢٣ ، ٢٤ .

يتميز الإسلام بأنه دين الوحدة لا الفرقة ،
ودين الأمة لا الطبقة . وكانت هذه الميزة من
الخصائص الذاتية للدين الإسلامى الخفيف !
ولذلك كان ديننا عمداً بطبعه ، زاحفا بقوانينه
وشرعته ١١ .

ولقد أسس الإسلام هذه الوحدة على
أقوى الدعائم وأمتن البنيان . بدأها بالوحدة
فى الفرد ، فطلب منه أن يكون متناسق القلب
والعقل ، والعاطفة والشعور ، واللسان
والجوارح ، فلا يحب الإسلام من المسلم أن
يكون العقل شاكا والقلب مؤمنا ، ولا يحب
منه أن يكون اللسان مسلما واليد باطشة بظلم ،
والبطن آكلا للحرام ، فلسان العاقل من
وراء قلبه ، ولا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه
قبعا لما جمعت به ١١ !

وإذا كان الدم يتوزع فى الجسم كله من
مكان واحد حساس ، فقد أعطى القلب هذه
السلطة فى توزيع الإيمان على جميع الجوارح
لتسكون الوحدة فى السلوك متميزة كل التميز :
« ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح

حيه فلا يصح أن يجوع أحدهم أو يعمرى ،
 « أيا أهل عرصة بات امرؤ منهم جاعا
 فقد برئت منهم ذمة الله » ، ولقد مدح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الأشعريين ؛ لأنهم كانوا
 متعاونين متراحين متآلفين .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الحاكم
 والمحكوم ، وأسسها على العدل والرحمة ،
 والمشورة في الأمر ، والتساوى في الحقوق .
 « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »^(١)
 لقد كان الحاكم عند الأكرسة من سلالة الآلهة ،
 وكان في بعض الأمم لا يعارض ولا يداني ،
 فجاء الإسلام بشرعة الوحدة بين الحاكم
 والمحكوم « لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا ،
 ولا خير فينا إذا لم نتقبلها » .

ثم توسع الإسلام في الوحدة فجعلها بين أفراد
 الأمة المسلمة جميعا ، وجعلها قائمة على التعاون
 الحسن : « وتعاونوا على البر والتقوى
 ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »^(٢) وعلى
 التواصي بالصبر والرحمة « وتواصوا بالصبر
 وتواصوا بالرحمة »^(٣) « وتواصوا بالحق
 وتواصوا بالصبر »^(٤) .

أو العشيرة ، فوكده للتواصل ، ووزع المغنم
 والمغارم والديات ، ليكون العقب أخف ،
 والمصيبة أهون « وبذي القربى ، ولذلك كانت
 الرحم مشتقة من اسم الرحمن ، من وصلها وصله
 الله ، ومن قطعها قطعاه الله . واشترط الإسلام
 لهذه الوحدة أن تكون المناصرة على الحق
 لا على الظلم ، لأنه لا يقر العصية ولا يعترف
 بها « ليس منا من قاتل على عصية » . وبذلك
 تميز الإسلام عن وحدة العائلة ، أو القبيلة ،
 أو العشيرة في الجاهلية وفي البيئات غير المتدينة .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الجار والجار
 « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب
 بالجنب »^(١) . وقد أفاضت الأخبار في التواصي
 على حسن معاملة الجار ، حتى ظن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن جبريل سيورثه . وليس
 معنى حسن الجوار مشاركة المجاملة في كلمات
 التهانى والعزاء ، كما يفعل المتمدينون في هذه
 الأيام ، إنما هي مشاركة تغوص في أعماق
 النفس ، وتبني مشاكل الحياة .

وانظر إلى الحلقة الكريمة التي أحاط الإسلام
 بها الجوار عند ما جعلها تشمل الجار القريب
 والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وهل الأمة
 إلا جار يتلوه جار .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين أهل الحى
 الواحد ، وجعل كل فرد مسئولا فيهم عن أبناء

(١) - النساء - ٥٨ .

(٢) - المائدة - ٢ .

(٣) - البقرة - ١٧٧ .

(٤) - العصر - ٣ .

(١) - النساء - ٣٦ .

أف تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، (١) .

ونحب أن نضع هنا بعض البنود من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رسم فيه سياسة الأمة المسلمة بعد هجرتها إلى المدينة : سياستها مع أفرادها المسلمين ، وسياسة المسلمين مع غيرهم من أبناء الديانات الأخرى . ولقد ورد هذا الكتاب في سيرة ابن هشام وهذه هي البنود : —

١ — وحدة الأمة المسلمة من غير تفرقة بينها .

٢ — تساوى أبناء الأمة جميعاً في الحقوق والكرامة .

٣ — إجارة أدنانهم على أعلام .

٤ — تكاتف الأمة كلها دون الظلم والإثم والعدوان والفساد كائنات من كان الظالم والمفسد .

٥ — اشتراك الأمة في تقدير العلاقات مع أعدائها ، لا يسلم مؤمن دون مؤمن .

٦ — تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقومها .

٧ — مكافحة الخارجيين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرتهم .

وأسس الإسلام هذه الوحدة على التكافل الاجتماعي الصحيح ، فالأمة مسئولة عن الجوعى والعاطلين ، « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » (١) . « من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد ، فليعد به على من لا زاده » وأخذ رسول الله يعدد من أصناف المال حتى ظن الصحابة أنه لا حق لأحد منهم في الفضل . وقال عمر : « والله ما أحد أحق بمال الدولة من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من أحد من الناس إلا وله في هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته . والله لئن بقيت لهم ليأتين الرجل بجبل صنعاء حظه من المال وهو في مكانه يرعى » .

وكذلك اشترط الإسلام أن تكون الوحدة في الأمة قائمة على الحقوق المشروعة ، والعدالة المفروضة ، ومراعاة إخواننا من أهل الغنمة ما داموا قد عاشوا بيننا ، ولهم مالنا وعليهم ما علينا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم

(١) للمتحنة - ٨ ، ٩ .

(١) - الذاريات - ١٩ .

٢٠ — هذه المبادئ، تحمها قوتان : قوة معنوية وهي إيمان الشعب بالله ومراقبته له ورعاية الله لمن بر ووفى ، وقوة مادية وهي رئاسة الدولة التي يمثلها النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

على هذه المبادئ الكريمة سارت الأمة المسلمة موحدة الصفوف ، طالية البنيان ، شاحخة الذرى ، فشادت وسادت وحافظت على الأجداد وبجلت تاريخها دونه كل تاريخ .

ولقد أكد القرآن الكريم حرص الأمة الإسلامية على وحدتها فقال في سورة الأنبياء : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٢) . وفي سورة المؤمنون : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (٣) . والأمة المسلمة لم تعرف الهزيمة في صفوفها أو التأخر في ثقافتها إلا بعد أن فرط الاستعمار عقدها ، وجزأ حدودها ، وأوجد السدود بين دولها وإماراتها ، إن الفرقة غريبة عن طبيعة الإسلام .

ولم يقف الإسلام عند الوحدة بين الأمة المسلمة ، بل توسع فجعلها وحدة إنسانية بين الإنسان والإنسان في كل زمان ومكان ، فالمسلم أخو المسلم لا يظله ولا يخذله ، والإنسان أخو الإنسان :

[١] راجع كتاب اشتراكية الإسلام .

[٢] الآية : ٩٢ .

[٣] الآية : ٥٢ .

٨ — حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالماً متعاوناً والامتناع عن ظلمهم والبغى عليهم .

٩ — لغير المسلمين دينهم وأموالهم لا يجبرون على دين المسلمين ، ولا تؤخذ منهم أموالهم .

١٠ — على غير المسلمين في الدولة الإسلامية أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان .

١١ — على غير المسلمين أن يسهموا في نفقات الدولة كما يسهم المسلمون .

١٢ — وعليهم أن يشتركوا في نفقات القتال ما داموا محاربين .

١٣ — وعلى الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه .

١٤ — وعلى المسلمين وغيرهم أن يتمتعوا بحماية أعداء الدولة ومن يناصرهم .

١٥ — إذا كانت مصلحة الأمة في الصلح وجب على جميع أبنائها المسلمين وغير المسلمين أن يقبلوا الصلح .

١٦ — لا يؤخذ لإنسان بذنب غيره ، ولا ينجى جان إلا على نفسه .

١٧ — حرية الانتقال في داخل الدولة وخارجها مصونة بحماية الدولة .

١٨ — لا حماية لأثم ولا لظالم .

١٩ — المجتمع يقوم على أساس التعاون

على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

السماء وسكان الأرض علاقة الود والرحمة ،
فالملائكة حفظة لنا ، وحملة العرش يستغفرون
للؤمنين : « الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ،
ويستغفرون للذين آمنوا ، » (١) .

والملائكة يرصدون حسناتنا ويتعاقبون
فيما بالليل والنهار ، وتحف أجنتهم بطلبة
العلم وهكذا ، وهذه الوحدة السكونية تميز بها
الإسلام عن الحضارات المادية التي تفصل
الأرض عن السماء ، وتفصل بين سكان الأرض
وسكان السماء حتى إن أرادت الحضارة المادية
الاتصال بالفضاء فإنما تتصل به اتصال غزو
واستكشاف لا اتصال إيمان ويقين .

وتوسع الإسلام مع هذا كله فجعل القلب
المسلم يحمل في طياته الوحدة بين الدنيا
والآخرة ، وجعل العقل المسلم يذكر في وقت
واحد الموت والحياة .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، » (٢) :
البقرة .

« الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم
أحسن عملاً ، . » (٣) .

ووحده بين الناس لا البعد مبعده
عن الساحة الكبرى ولا القرب مقرب
فليس لدى الإسلام شرق ومشرق

وليس لدى الإسلام غرب ومغرب
وقد أكد القرآن هذه الوحدة الإنسانية
فقال : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، » (١) .
وقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأُنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم
خبير ، » (٢) .

وهذه الوحدة الإنسانية تميز بها الإسلام
من غيره من الأديان والشرائع ، فلم يكن
ديانة شعب معين يسمى نفسه (شعب الله
المختار) ولم يكن ديانة قلب يهتم بالوصايا
الخلقية فقط ، بل كان دينا وشريعة ودستورا
ومنهاجا يضم إلى حناياه جميع البشر : « وما
أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، » (٣) .

وقد توسع الإسلام بعد هذه الوحدة
الإنسانية القائمة على التعاطف والتواصل
والتراح ، فانتقل إلى الوحدة السكونية بين
السماء والأرض ، إذ جعل العلاقة بين سكان

[١] غافر : ٧ .

[٢] البقرة : ١٧٧ .

[٣] المائدة : ٢ .

[١] النساء : ١ .

[٢] الحجرات : ١٣ .

[٣] سبأ : ٢٨ .

وهذا كله كنا نحن المسلمين مأمورين بأن نكون دعاة وحدة، وقواد إصلاح نشور على الفرقة بجميع أنواعها، ونحاربها في جميع أشكالها وألوانها :

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » (١).

ولإذا كان اليهود يتسكتلون اليوم على صهيونيتهم، والرأسماليون يتسكتلون اليوم على رأسمالياتهم، والملمحدون يتسكتلون اليوم على إلحادهم، فنحن معشر العرب يجب أن نتوحد اليوم على إسلامنا وعروبتنا .

ولغة الكفاح وحدها ستفرض نفسها لتزيل الأشواك من الطريق، وتصفى الماء من الكدر وما ذلك على الله بعزيز .

ولا يصح أبدا أن ننساق وراء الحوادث الانفصالية الأخيرة في الإقليم الشمالى فيدب اليأس في قلوبنا ونستبعد وقوع الوحدة الشاملة .

إن الحروب الصليبية قبيل عهد صلاح الدين استطاعت أن تمزق الوطن العربى وتصل إلى فلسطين وتبقى فيها عشرات السنين، ولكن صلاح الدين الأيوبي استطاع بتوفيق الله أن يحطم الجيوش الصليبية، ويوحد الوطن العربى من جديد .

أحمد عبد الجواد المروسي

وهذه الوحدة الممتدة من وحدة الفرد المنتهية بالوحدة بين الدنيا والآخرة انفرد الإسلام وتميز من غيره من جميع الأديان والشرائع والمذاهب الأرضية، ولعل اتحاد المسلمين على القبلة في الصلاة وجعلها شرط صحة لهذه العبادة أكبر دليل على أنه دين التماسق والاجتماع .

ولقد كانت هذه الوحدة الكونية بارزة المعالم واضحة الخطوط في هذا الدعاء الذى كان يستفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم تهجده عند ما كان يقف بين يدى ربه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال : اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وفاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنيبون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق : إلخ إلخ .

ثم شد الإسلام الإنسانية كلها في جبلتين ورباط قويم إلى ماذا ؟ إلى الله « فأينا قولوا فم وجه الله » (٢) .

« واعتصموا بجبل الله جميعا ولا نفرقوا » (٣)

[١] البقرة : ١١٥ .

[٢] آل عمران : ١٠٣ .

[٣] آل عمران : ١٠١ .

مع قضايانا

إِنِّسَاعَادُونَ

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

بل هناك ما هو مشترك القداسة بين المسلمين والمسيحيين: هناك المكان الذي ولد فيه عيسى، وأقيم عليه بناء كنيسة المهد؛ فإن هذا المكان يشير ذكريات جميلة وجميلة في نفس المسلم، وإن كان متعلقاً بالمسيح، وإذا ذكر الإنسان المسلم مهد عيسى تذكر آيات كريمة كثيرة في كتاب ربه عز وجل تتصل بهذا المهد وهذا الميلاد، كقوله تبارك وتعالى: «وإذ ذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً» قال إنما أنا رسول ربك لا هب لك غلاماً زكياً. قالت أنى يكون لى غلامٌ ولم يمسسنى بشرٌ ولم أك بغياً. قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً. فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً. فاجأها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت

إنا عائدون بإذن الله إلى فلسطين، لأنها بلدنا ووطننا وحمانا، نحن العرب ما بين مسلمين ومسيحيين، وفلسطين تضم المسجد الأقصى ثالث المساجد المقدسة في الإسلام، كما تضم كنيسة المهد وهى أقدس الكنائس في نظر أتباع المسيح عليه السلام، وفلسطين تضم مسجد عمر كما تضم كنيسة القيامة، وكنيسة القيامة هى التى أتى عمر الفاروق أن يصلى فيها يوم زارها عقب فتح الإسلام للقدس باسم الله عز وجل، وخرج فصلى صلاته على مقربة منها، فأقام المسلمون مكان صلاته مسجداً سموه مسجد عمر، وتكرر بناء المساجد التى يسمى كل منها مسجد عمر في بلاد فلسطين، وكان هذه إشارة دقيقة وعميقة إلى أن هذا الوطن العربى الفلسطينى يصون حرية العبادة لهؤلاء وهؤلاء، ويضم أشياء مقدسة في نظر المسلمين، كما يضم أشياء مقدسة في نظر المسيحيين، فيجب أن يتضافر الجميع على تحرير هذا الوطن وصيانته وإعزازه.

يتذكر المسيحي والمسلم على السواء أن هذه دارهما ، وتلك ذكرياتهما ، فلا يمكن لهما أن يضربا في هذا التراث الروحي العظيم ، ولا أن يهملاهما هذا الحى الغالى العزيز ، ولا أن يتركا له يستبد به الأخطاء من الأعداء الدخلاء .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين قد انتزعت من أيدينا بليل الخيانة والغدر ، ونحن لا نقبل أن نظل ضحية لهذه الخيانة وهذا الغدر ، وإلا لما كنا عربا ولما كنا مسلمين . ففي مطلع الحرب العالمية الأولى ، وفي سنة ١٩١٥ بالذات خدع الإنجليز - وهم دهاقة الاستعمار - الشريف الحسين بن علي ، ومنوه بتاج يضعونه على رأسه عقب الحرب مباشرة وبأن يكون ملكا للعرب ، بعد أن يوحدوا له الدولة العربية الكبرى ، كما أوهموه يوم ذاك ، وتم التفاهم على هذا بين الملك حسين وبين الجنرال هنرى مكماهون المعتمد البريطاني وذلك في مقابل أن ينضم العرب إلى إنجلترا وحلفائها .

وبينما كان الحسين يهيم في أودية الانخداع بهذا الوعد الكذوب ، كان الإنجليز يعطون وعد بلفور في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ لتكون فلسطين وطننا قوميا لليهود ، وبينما كانوا يمنون على اليهود بذلك كانت معاهدة (مايكس بيكو) قد سبقت هذا الوعد وهي المعاهدة التي عقدت بين إنجلترا وفرنسا ،

فسياً منسيا ، فناداهما من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سرياً . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطاباً جنياً ، فكلى واشربني قرى عينا ، فإما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . . .

ولقد ذرت بلب لحم ، أكثر من مرة ، وهي البلدة التي ولد فيها نبي الرحمة عيسى عليه السلام ، ونزلت في أعماق كنيسة المهد بها ، ووقفت أمام المكان الذي ولد فيه عيسى . . . وقفت ولا تكاد تحملني قدماي . فقد مادتني الذكري . . . إذن هنا جاءت مريم العذراء الطاهرة البتول سيدة نساء العالمين ، وهنا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، ومكانا قصيا . وهنا جاءها رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا ، ليجمعه آية للناس ورحمة منه وكان أمراً مقضيا ، وهنا حملت مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ، ١ .

وهنا وضعت طفلها المسيح الذي جمعه ربه وجها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ، ١ . هنا يقف المسلم خاشعا ويقف المسيحي خاضعا ، وهنا يلتقي المسيحي والمسلم على تكريم ذكرى المسيح وتنزيه البتول العذراء ، وهنا

وشردهم في بقاع الأرض ، وسامهم بالمهاجرين
ولكن هؤلاء المهاجرين سيعودون كما عاد
أسلاف لهم مهاجرون من قبل .

لقد هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة ،
وقال لهم النبي : « إن بها ملكا لا يظلم عهده أحد ،
وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا
بما أتمم فيه ، وخرجوا وكلهم أمل في العودة ،
وبعد شهر بلغتهم أنباء تقول إن قريشا قد
هقلت فعدلت فاهتدت إلى سواء السبيل ،
فرجع المهاجرون وعاد اللاجئون إلى ديارهم
ولكنهم لم يجدوا تصديق الأنباء التي بلغتهم ،
بل وجدوا الأذى أمامهم أشد مما كان ،
فعادوا إلى الحبشة دون أن ينالهم يأسي
أو قنوط : « ومن يقنط من رحمة ربه
إلا الضالون ، ١٢

وكان هؤلاء المهاجرون في أثناء لجوئهم
 وهجرتهم أعزة كراما ، لا يذلون ولا يهونون ؛
يقودهم جعفر بن أبي طالب ويدخل على
النجاشي ، فيسألهم من باب النجاشي : من أتم ؟
 فيجيب جعفر : جعفر بن أبي طالب ومعه
حزب الله !

ويدخل جعفر فيسلم بتحية السلام والأمان
قائلا : السلام على من اتبع الهدى ، فيقال له :
مالك لا تسجد للملك كما تفعل الرعية معه ؟
 فيستنكر جعفر ذلك ويقول : نحن لا نسجد
لغير الله عز وجل ! .

وتضمنت تمزيق أوصال الدول العربية لتأخذ
كل منهما نصيبها .

ثم كان التوطين ، والتهجير ، وبيع الأراضي
وتنازع الثروات ، ومكائد الانتداب البريطاني
وقضايع اليهود ، وإنهاء الانتداب اللثيم الخبيث
الحسيس في الرابع عشر من مايو سنة ١٩٤٨
بعد التمكن للصهيونية كي ترتكب فظائعها
ومآثمها ، ثم كانت مأساة الحرب الفلسطينية
ومهزلة الجيوش السبعة التي دخلت على غير
اتفاق أو وفاق ، بل دخل بعضها بلا إخلاص
من قادته أو أخلاق ، وعجب الناس أن تنهزم
سبعة جيوش عربية أمام حفنات من أبناء
صهيون ، ولكن أحد المفكرين أجاب على
هذا العجب بقوله : « لا يجوز أن يقال إن
العرب خسروا معركة فلسطين ، مع أنهم كانوا
سبع دول ، بل يجب أن يقال إن العرب
خسروا معركة فلسطين لأنهم كانوا سبع
دول ، ١ .

وإننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأن ديننا
الإسلامي قد علينا العودة ، وتاريخنا قد علينا
العودة ، وإذا كنا نقرأ في تاريخنا الإسلامي
أن أسلافنا قد هاجروا مرة ومرة ومرة ،
فنحن نقرأ كذلك أن هؤلاء الأسلاف قد
عادوا من هجرتهم مرة ومرة ومرة ، ولقد
أخرج الاحتلال الصهيوني الآلاف المؤلفة
من أبناء فلسطين من ديارهم وعقارهم ،

بما جعل النجاشي يقدرهم ويصون حرماتهم ،
ويرد الوفد القرشي خائباً ...
ومرحين من الزمن قويت فيه شوكة
المسلمين ، فعاد المهاجرون الأولون ليأخذوا
حظهم في خدمة الدعوة وإعزاز كلمة الإسلام ،
وبق منهم جعفر بن أبي طالب حتى عاد يوم
فتح خيبر وإخراج اليهود البغاة منها ، ففرح
به الرسول فرحاً شديداً ، وقبله بين عينيه
وقال : « ما أدري أنا بقدوم جعفر أسر أم
بفتح خيبر » .

وقد هاجر المسلمون هجرة أكبر وأوسع
بعد هجرة الحبشة ، هاجروا إلى المدينة ،
وهاجر معهم رسولهم ، ويروى أنه نزل
عليه في أثناء هجرته قول ربه : « إن الذي
فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ، قل رب
أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين » .

وقد روى الضحاك أن النبي لما خرج من
مكة وبلغ الجحفة ، اشتد شوقه إلى مكة
فأنزل الله عليه قوله : « إن الذي فرض عليك
القرآن لرادك إلى معاد » ، وإذا كان هناك
من المفسرين من يقول : إن المعاد هو يوم
القيامة ، فإن الرازي المفسر يرجع أن المراد
بالمعاد « مكة » ؛ لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه
وفارقه وحصل العود ، وذلك لا يليق إلا
بمكة ، وإن كان غير هذا التفسير محتملاً ...

وما هي إلا سنوات حتى عاد المهاجر

ويسألهم النجاشي عن تعاليم دينهم فيجيب
جعفر دون أن يرائي أو يدهن ويقول فيما
يقول : « بعث الله إلينا رسولا منا نعرف
قربه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله
لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن
وأبائنا من دونه » . ثم يقول بعد أن يعدد
تعاليم الإسلام : « فصدقناه وآمنا به واتبعناه
على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده
لا نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ،
وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا
فعدبونا وقتلونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة
الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا
نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا
وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا
إلى بلادك ، واخترتناك على من سواك ،
ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظل عندك » .

ولما أرسلت قريش وفد بها يابها إلى
النجاشي ، لتحاول إرجاع هؤلاء اللاجئين
لتفتنهم عن دينهم ، وتعذبهم في دينهم ، دافع
المهاجرون عن أنفسهم حتى استبان للنجاشي
الحق ، ولما قال الوفد للنجاشي : إنهم يخالفون
هقيمتك في عيسى ، ذكر جعفر للنجاشي
ما جاء في القرآن عن عيسى من تكريم وتمجيد
من ناحية ، ومن وصف له بالنبوة مع
العبودية من ناحية أخرى ...

وهكذا لم يمالأ المهاجرون ولم يدهنوا ،

ولا يظني ، بل يمن على من قهروه بالأمس وعذبوه ، ويقول لهم يوم الفتح : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ فأرادوا أن يحثثوا نزهة الخير عند الكريم الثليل فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ١١ .

وهكذا علينا ديننا كيف تكون الهجرة مفتاحا للعزة والحرية : ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ، وعلينا تاريخنا الإسلامي أن الذين هاجروا عقدوا العزم على أن تكون هجرتهم طريقا للعودة ، وعلينا إمامنا وقائدنا عليه الصلاة والسلام كيف تتصل الهجرة في تاريخ المسلمين ، ليتخذوا منها منفذا نحو السيادة والقيادة في عالمي المادة والروح فقال : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ، أي عند قرب انتهاء الدنيا وإقبال الآخرة ! .

فإذا كان المشردون من أبناء فلسطين قد هاجروا ولجئوا حتى صاروا يسمون باللاجئين والمهاجرين ، فما قريب يعودون ، فيسمون بالعائدين المنتصرين : دإنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً ، ! .

وإننا لعائدون الى فلسطين ، لأننا مؤمنون راجون آملون ، علينا ديننا ألا نعرف اليأس أو نألف القنوط ، فصار بما نرتله في كتاب

الأهظم ، الذي خرج وليس معه في هجرته إلا صديق واحد ، عاد ومعه جيش قدير الرائي أوله ثم لا يرى آخره ، أو يرى آخره ثم لا يرى أوله ، لكثرتة وامتداده ، وعاد إلى مسكة التي آذته وأخرجته وألبت عليه الجوع والأحزاب . ودخلها فاتحاً قادراً ، وبسط فيها يد الرحمة والمغفرة والتطهير والتعمير .

فمن كان يظن يومئذ أن هذه الخطوات المهاجرة اللاعبة ستكون هي الخطوات الفاتحة المعمرة ؟ ومن كان يظن أن الذي خرج وليس معه إلا رفيق واحد سيعود ومعه الآلاف والآلاف ؟ ومن كان يظن أن الذي اختبأ في الغار سيسطع سطوع البدر ، ويطوف بالسكبة ويحطم الأصنام قائلا : د جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً ؟ ومن كان يظن أن الذي خرج مهاجراً مطارداً من قوم سيعود ليحكم هؤلاء القوم ويسيطر عليهم ، ويقودهم إلى ساحات المجد وميادين الفخار ؟ ومن كان يظن أن المهاجر الذي خرج مرغماً مشتاقاً كل الشوق إلى وطنه الذي أخرج منه ، حتى يقول لمسكة يخاطبها وهو يغادرها : د والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على الله ، وإنك لأحب أرض الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك قهراً ما خرجت ، سيعود عزيزاً كريماً ، فلا ينبغي

ربنا ، وتتعبد بتلاوته وطاعته هذه الآيات
 اليينات الساطعات : « إنه لا يأس من روح
 الله إلا القوم الكافرون ، ، لا تقنطوا من
 رحمة الله ، ، فلا تكن من القانطين ، ،
 « إن رحمة الله قريب من المحسنين ، ، فإن
 مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، ،
 « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
 وينشر رحمته وهو الولي الحميد ، ،
 ومن شعرائنا الذي قال :
 إذا اشتملت على اليأس القلوب
 وضاق لما به الصدر الرحيب
 وأوطنت المكاره وأطمأت
 وأرست في مكانها الخطوب
 ولم تر لانكشاف الضر وجهها
 ولا أغنى بحيلته اللبيب

أتاك على قنوط منك غوث
 يمن به اللطيف المستجيب
 فكل النائبات إذا تناهت
 فوصول بها الفرج القريب
 ومنا الشاعر الذي قال :
 وإنى لأرجو الله حتى كأننى
 أرى بجميل الظن ما الله صانع
 ومنا مصطفى كامل الذي قال : « لا حياة
 مع يأس ولا يأس مع الحياة ، فمن واجبنا
 ألا نعرف اليأس ، وألا ينالنا القنوط ، بل
 تؤمن بأن فلسطين لن تضيع ، وتؤمن بأننا
 سنرجع إليها مستردين لها ونحن نهتف :
 إننا عائدون .

أحمد الشرباصي

من غريب قصص الحلم

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ، رأيت
 قاعدا بفناء داره محتبيا بجائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول :
 فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فوالله ما حلّ حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت
 إلى ابن أخيه ، فقال له : يا بن أخى ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن
 عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوار أخاك . وحلّ كتاف ابن عمك ، وسق إلى
 أمك مائة ناقة دية ابنها .

دراسات في علم المعنى

«السيانتيك»

للدكتور كمال بشر

- ٢ -

علم المعنى اللغوي :

تحدثنا في المقال السابق^(١) عن نقطتين رئيسيتين تتعلقان بالسيانتيك أو علم المعنى ، وهاتان النقطتان هما :

١ - أهمية هذا العلم في الدراسات المختلفة بوجه عام .

٢ - الاتجاهات الرئيسية التي اتبعت في دراسته .

وهذه الاتجاهات أو الدراسات هي - بحسب ترتيبها الزمني - دراسات لغوية ، وأخرى فلسفية ، ثم دراسات ذات طابع عام ، تستهدف تعريف عامة الناس بهذا العلم ، وترى إلى محاولة علاج أدوائهم الاجتماعية عن طريق دراسته والبحث فيه .

والنوع الأول من هذه الدراسات هو الذي يعيننا في هذا المجال بوجه خاص ؛ فهو الأصل الذي تفرعت عنه الاتجاهات الأخرى ، وهو الأساس الذي نما وامتدت جذوره حتى أصبح علما ذا قواعد ثابتة وأصول محددة . ويتضح من الفكرة التاريخية التي أشرنا إليها في البحث السابق أن السيانتيك

أو علم المعنى اللغوي يعد أحدث فروع علم اللغة بمعناه الحديث . أما ما قد يدعيه البعض من أن علم الأصوات التنظيمي (Phonology) وعلم الأساليب (stylistics) ينازعانه هذه الحداثة ، فيمكن رفضه أو الرد عليه بأن هذين العليين الأخيرين ما هما في الواقع إلا فرعان تابعان - بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور - لدراسات قديمة ثابتة :

دراسات تتمثل في علم الأصوات العام (Phonetics) وعلم التراكيب أو علم النحو بمعناه الصحيح (syntax)^(١) . كما أنه من الجائز أيضا الحكم على هذين العليين بأنهما مجرد طرق فنية حديثة في هذه الدراسات القديمة ، أو أنهما مجرد مناهج تطبيقية أو تنظيمية للحقائق أو القواعد العامة التي تتوصل إليها هذه الدراسات . أما علم

(١) ويرى البعض - وبخاصة ممن ينتهون إلى للدرسة الفرنسية - أن stylistics (أي علم الأساليب) ليس فرعا من فروع علم اللغة ، وإنما يعدونه شقيقا له ذا فروع مماثلة ، ولكن مناهج الدراسة فيه مختلفة .

See Ullmann, The Principles of Semantics, p 1.

إلى اللغة الانجليزية فيما بعد باسم Semantics والذي أصبح الآن علماً على كل الدراسات والبحوث التي تتعلق بالمعنى ومشكلاته . أما قبل ظهور هذا المصطلح . وفي أثناء القرن التاسع عشر كله تقريباً — فقد كان المتبع عند الدارسين الانجليز هو إطلاق الاسم Semasiology على هذه الدراسات التاريخية للمعنى وما يلحقه من تغيرات .

يتضح من هذا أن دراسة المعنى في ذلك الوقت كانت في الواقع دراسة تغير المعنى . والتغير — كما يتصوره أصحاب هذا المنهج — يعني أن هناك شيئاً ذا جوهر ثابت ومظاهر متغيرة ، أو شيئاً مستمر الوجود في صور مختلفة . أو بعبارة أخرى ، يستلزم التغير وجود شيء أصلي أو أساسي لا يتغير إلى جانب وجود الصور الفرعية أو الثانوية المتغيرة لهذا الشيء الأصلي أو الأساسي في الوقت نفسه . هذه الفكرة عن التغير كانت ولا تزال الأساس الذي بنى عليه الدارسون في تغير المعنى فلسفتهم الخاصة بهذا الموضوع اقدم كان هدف هؤلاء الدارسين البحث عن أصول الكلمات ومعانيها الأساسية أو الحقيقية ، ومحاولة ربط هذه المعاني بما اشتق منها أو تفرع عنها من معانٍ أخرى . وفي هذا الصدد يقول سكيت (Skeat)

أحد الباحثين في أصول الكلمات وتاريخها :
ويمكننا أن نلخص الموضوع كله بـقولنا :

المعنى فله استقلاله الخاص ، وهو — مع هذا أو فوق هذا — ذو حدود ومجالات معينة ، لا تختلط بحدود أو مجالات غيره من العلوم ، ومن ثم فهو في نظرنا فرع قائم بذاته من فروع علم اللغة ، وهو بهذا المعنى أيضاً يعد أحدث هذه الفروع جميعاً .

ومهما يكن من شيء ، فإن دراسة المعنى على مستوى لغوي كانت في بداية أمرها تقسم بالطابع التاريخي الصرف ، حيث كان الباحثون في علم المعنى آنذاك يوجهون كل اهتمامهم وعنايتهم إلى البحث في التغيرات التي تصيب معاني الكلمات على فترات متعاقبة من الزمن ، وحيث كانوا يعنون بتقسيم هذه التغيرات إلى أنواع ومجموعات مختلفة ، كالتوسع في المعنى والتضييق فيه ، أو تعميمه وتخصيصه ، أو تحويله إلى معنى آخر عن طريق المجاز أو الاستعارة أو نحو ذلك .

ولقد ارتبط هذا المنهج التاريخي في انجلترا بأسماء مجموعة من اللغويين الذين كانوا يعرفون بالباحثين في أصول الكلمات وتاريخها ، (the Etymologists) كما كان هذا النوع من الدراسة معروفاً ومألوفاً في الدراسات اللغوية قبل ظهور رسالة بريال (Bréal) المسماة Essai de Sémantique والتي كان لها دور الريادة في كثير من القضايا التي تتعلق بدراسة المعنى . ومن هذه القضايا ابتكار المصطلح la Sémantique الذي انتقل

الكلمة الانجليزية post، ومن تتبع معانيها المختلفة في الاستعمالات والسياقات المتنوعة . وجد ترانش أن هناك علاقة قوية تربط بين هذه المعاني جميعا ، هذه العلاقة تدور حول فكرة « الشيء الموضوع أو الثابت في مكان ما » . كما وجد أن تاريخ هذه الكلمة يرجع إلى الكلمة اللاتينية positus التي تفيد هذا المعنى نفسه وكذلك فعل جرينو و كترديج (Greenough and kiettridge) ، بالنسبة للكلمة الانجليزية head ، فإنهما بعد أن سجلا عشرة معان مختلفة لهذه الكلمة ، يصرحان بأن « كل معنى من هذه المعاني يمتد امتدادا مباشرا من المعنى المركزي أو الأولى لها »^(١) . وكان من الضروري أيضا أن يعرض الدارسون لمسألتين أخريين اقتضاها منطق البحث في تغير المعنى . المسألة الأولى - وقد أشرنا إليها آنفا - تتمثل فيما قام به هؤلاء اللغويون من تقسيم التغيرات التي تلحق بالمعنى إلى أنواع أو مجموعات ، كتعميم المعنى أو تخصيصه ، أو نقله إلى معنى آخر وهكذا . وكان الهدف من هذه الخطوة - فيما نرى - هو إخضاع الأمثلة الفردية الكثيرة لنوع من التنظيم والتنسيق بوضعها ضمن قاعدة أو إطار عام ، يضمن لها سهولة الحصر والمتابعة كما يضمن الحذف نسبيا من ذكر التفاصيل والجزئيات .

إن هدفنا هو تاريخ الكلمات الذي بواسطته يمكننا أن نعطي فكرة صحيحة عن الأصل الحقيقي لهذه الكلمات ، . وأصرح من هذا وأوضح في بيان هذه الفلسفة وهذا الهدف الذي كان يرمى إليه هؤلاء اللغويون ما صرح به ترانش Trench - أحد رواد هذا المنهج التاريخي في دراسة المعنى - حيث يقول : « إن متابعة القدر المشترك بين المعاني الكثيرة للكلمة ، ومتابعة ما يربط هذه المعاني بعضها ببعض لا يمكن أن تتم إلا بالوصول إلى الأساس ، أى إلى المعنى الأصلي الذي تتفرع عنه المعاني الأخرى ، شأنه في ذلك شأن البذرة الخصبة المثمرة »^(٢) . ومضمون هذا الكلام أن الكلمة لها نوع من الأصل الحقيقي ، وأن لها معنى واحدا في بادئ الأمر ، وأن كل المعاني الأخرى يمكن إرجاعها إليه وربطها به .

ولم تقتصر أعمال هؤلاء الباحثين وأمثالهم على وضع المبادئ والنظريات التي تعالج على صورتها مشكلات تغير المعنى ، بل تعدوا ذلك إلى مجال التطبيق ، فأوردوا لنا الأمثلة الكثيرة التي يمكن أن يحتذيها كل من عنده الرغبة في أن يسلك هذا المسلك في دراسة المعنى من ذلك ما قام به ترانش من تتبع تاريخ

(1) See J.R. Firth, Papers in Linguistics, 2nd.ed.pp. 815.

(١) انظر فيرث للأرجع السابق ص ٩ .

وأوضحها الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية ، وقد تجتمع هذه الأنواع الثلاثة في المثال الواحد وقد تنفرد ، ويتبين لنا من هذا أن ميه يمثل مدرسة قائمة بذاتها و هذا المضمار .

والذى نود أن نؤكد هنا - على كل حال - هو ما تضمنه هذا المنهج التاريخي في دراسة المعنى من مبادئ . هذه المبادئ . تتلخص في ثلاث نقاط مهمة ، هي أساس التفرقة بينه وبين المنهج الوصفي الذى سفشير إاليه فيما بعد . هذه النقاط الثلاث هي :

١ - دراسة المعنى من الزاوية التاريخية تعنى دراسة التغير الذى يصيب هذا المعنى من فترة زمنية إلى أخرى .

٢ - الكلمة الواحدة لها معنى أصلي واحد مستمر الوجود في صور أو معان مختلفة . هذه الصور أو المعاني يرتبط بعضها ببعض بوجه من الوجوه ، ويمكن إرجاعها جميعاً إلى هذا الأصل الأول .

٣ - هذا المنهج يستلزم تشقيق المعنى إلى أجزاء أو عناصر ، أى أنه يقتضى تشقيقه أو تحليله إلى ما يسمى بالمعاني الأصلية أو المركزية أو الأولية من جهة ، وإلى ما يسمى بالمعاني الفرعية أو الهامشية أو الثانوية (أو التطبيقية) من جهة أخرى . وهذه النقطة الأخيرة - كما ترى - تتضمن أن كلمة « المعنى » نفسها تستعمل في أكثر

أما المسألة الثانية التى نعنيها هنا فنختص بالبحث عن الأسباب التى تكن خلف هذه التغيرات وعن الظروف التى دفعت بالمتكلم إلى مجاوزة المعنى الأصلي للكلمة واستغلالها في معنى أو معان أخرى .

ولقد اختلف الباحثون فيما بينهم إزاء الأسباب الحقيقية أو المباشرة للتغير في المعنى فبينما يميل البعض إلى رد التغيرات إلى أسباب منطقية ، نرى فريقاً آخر يعزوها إلى أسباب نفسية ، وهناك فريق ثالث يرجع هذه التغيرات إلى أسباب اجتماعية صرفة ، وعن سلك المسلك الأول في هذه القضية دارمستر الذى لخص الظروف والأسباب المنطقية لتغير المعنى تحت عنوان مألوف في الدراسات اللغوية ، هو « المجاز » بأنواعه .

وقد كان بريال أكثر ميلاً إلى التفسير النفساني لتغير المعنى ، ولكنه في الوقت نفسه كان يبدى اهتماماً ببعض الأسباب الاجتماعية ، أما الاعتماد على التفسير النفساني الصرف فيظهر واضحاً فيما ذهب إليه سبيربار (Sperber) في هذا الشأن .

وقد ركز هذا العالم اهتمامه على مشكلات أو مجالات معينة ، هي مجالات الاستعارة (wetaphors) ، حيث يرى أن التفسير النفساني لتغير المعنى في هذه المجالات واضح بين ، أما ميه (Meillet) فيرى أن تغير المعنى يرجع إلى مجموعة من الأسباب أهمها

المنهج الوصفي واسكن التعارض أو الاختلاف في المعنى بين أفراده لا يمكن فهمه أو الوقوف عليه إلا إذا تتبعنا تطوره التاريخي الذي أدى إلى هذا التعارض أو الاختلاف .

فكما ابتكر بريال المصطلح la Sémantique لإطلاقه على الدراسات الخاصة بالمعنى ، أو بعبارة أدق ، لإطلاقه على دراسة تغيرات المعنى ، كان دي سوسير الرائد الأول في التفريق العلي بين منهجي البحث في المعنى المشار إليهما فيما سبق . ويفهم من كلامه في هذا المجال أنه يقصر (Semantics) La Sémantique على المنهج الدياكروني أو الدراسة التاريخية الخاصة ببحث تغير المعنى ، وهذا في الواقع ما فعله كثير من اللغويين القدامى منهم والمحدثين على السواء . أما النظرة السنسكريتية أو علم المعنى الوصفي فهو في نظر دي سوسير يمثل جانباً واحداً من جوانب علم عام لم يتطور بعد سماه Semiology (أو علم الرموز) . هذا العلم الأخير وظيفته دراسة استعمال الرموز بوجه عام ودراسة وظائفها في غمار الحياة اليومية . ومن البديهي أن تطبق هذه الدراسة على الكلمات والجمل ؛ فهي رموز أو مكونة من رموز لغوية .

ويعلق دي سوسير أهمية بالغة على هذا العلم الجديد في ميادين مختلفة . فلو أخذنا الطقوس والشعائر الدينية والعادات والتقاليد ، مثلاً ، ونظرنا إليها على أنها رموز عرفية ،

من معنى أو مدلول ؛ فهي مرة تطلق على المعنى المركب ، وأخرى على المعنى الهامشي وهذا . وقد ظلت دراسة المعنى تسير على هذا المنهج التاريخي حتى جاء دي سوسير (de Saussure) في أوائل هذا القرن وفرق تفريقاً فنياً بين نوعين من الدراسة في البحوث اللغوية : دراسة دياكرونية (diachronic) أو تاريخية (historical) ، ودراسة سينكرونية (Synchronic) أو وصفية (descriptive) . وكان من الطبيعي أن يطبق هذا التقسيم الثنائي على البحوث الخاصة بالمعنى ؛ فظهر في الحقل اللغوي ما يعرف بالمنهج التاريخي أو الديناميكي (dynamic) والمنهج الوصفي أو الإستاينيكي (static) في دراسة المعنى . واختص المنهج الأول بدراسة تغيرات المعنى والعلاقات بين هذه التغيرات من عصر إلى عصر ومن فترة زمنية إلى أخرى . أما المنهج الوصفي فوظيفته البحث في المعنى في حالة معينة من حالات اللغة وفي فترة زمنية محددة .

وبالرغم من أن دي سوسير قد حدد مجالات كل منهج واختصاصاته على حدة ، بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ، هناك حالات كثيرة يجتمع فيها المنهجان ويعتمد فهم كل منهما على فهم الآخر . فالمشترك اللفظي مثلاً (أى إذا أخذنا في حالة وفترة معينة) ظاهرة لغوية ثابتة ، ويقع بحثه حيفند في نطاق

ومهما يكن من أمر فإن هذا المنهج الجديد الذى ابتكره دى سوسير فى دراسة المعنى (وفى دراسة مشكلات اللغة بوجه عام يعد أخطر حدث ظهر فى الحقل اللغوى فى القرن العشرين ، كما يعد فاتحة البحوث اللغوية الدقيقة المتخصصة . ذلك بأن التفريق بين ما هو تاريخى وبين ما هو وصفى ، أو الفصل بين منهجين متميزين من مناهج الدراسة — قد جنب العلماء كثيراً من التخبط الذى وقع فيه السابقون من اللغويين ؛ إذ كانوا يعتقدون قضائهم ويطمسون حقائقهم بالخلط بين مناهج الدراسة وأساليب البحث فى اللغة . ولما ظهر هذا المنهج الوجود أخذت تتلقفه العواصم الأوروبية المختلفة ، وعكفت على دراسته حتى استبانت معالمه واتضحت مزاياه ، ومنذ ذلك الوقت ودراسات المعنى (بل والدراسات اللغوية بوجه عام) تسلك مسلكين متميزين : مسلكاً تاريخياً وآخر وصفياً ، وأصبح لكل مسلك أو منهج أنصار وأتباع بل ومدارس لغوية مستقلة . ويبدو أن المنهج الوصفى كان أكثر حظاً من صاحبه ؛ حيث إنه اليوم أكثر شيوعاً بين اللغويين المعاصرين ولعل ذلك راجع إلى سمة العصر الذى نعيش فيه من اهتمام بالحاضر والواقع الملبوس .

الدكتور كمال بشر

مدرس علم اللغة العام بكلية دار للعلوم

لاستطعنا أن نلقى ضوءاً على حقائق اجتماعية كثيرة ، ولا تضح لنا فى الوقت نفسه ضرورة ضم هذه الرموز ، إلى بحوث هذا العلم (أى علم السيميولوجيا) ؛ حيث إن قوانينه — فيما لو وجد وتطور — كفيلة بتفسيرها وتوضيحها . ويرى دى سوسير أن علم اللغة نفسه ما هو إلا جزء من علم الرموز العام ، كما يرى أن علم اللغة لا يستأهل أن يكون علماً ، وإن تصبح له قيمة للعلوم الأخرى إلا إذا اعترفنا بعلاقته وارتباطه الوثيق بهذا العلم^(١).

ويؤخذ من هذا الكلام أن العلاقة بين علم الرموز ، وبين علم اللغة هى علاقة العام بالخاص ، ومن باب أولى تكون العلاقة بين العلم الأول وبين علم المعنى السنكرونى أو الوصفى ؛ حيث إن هذا الأخير ما هو إلا فرع من فروع علم اللغة^(٢).

(1) See de Saussure, Cours in General Linguistics, translated into English by W. Baskin, pp. 16—17.

(٢) يفهم من كلام أستاذنا فيرث أن دى سوسير قد جعل للمصطلح Semiology ، علم الرموز مرادفاً للمصطلح Semantics Synchronic [أى علم للمعنى السنكرونى أو الوصفى] . وقد تبع فيرث فى ذلك زميلنا الدكتور تمام حسان . والحق أن دى سوسير لم يجعل أحدهما مرادفاً للآخر ، وكلامه واضح فى أن علم المعنى الوصفى (بل علم اللغة نفسه) ليس إلا جانباً من جوانب علم الرموز العام . انظر فيرث : للرجع السابق ص ١٧ ، والدكتور تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ص ٢٥١ ، ودى سوسير : للرجع السابق ص ١٦ — ١٧ .

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع للأستاذ محمد محيى الدين المسيرى

ولد عبد الرحمن بن خلدون في تونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) وهو سليل أسرة عز ومجد . تقلب أجداده في قصور الأندلس والمغرب ، وتولى كثير منهم مناصب الدولة الرفيعة . أما والده فقد أخذ إلى التحصيل والدرس وبرز في للفقه وعلوم اللغة ، وقد أخذ ابن خلدون عن أبيه حبه للعلم والتحصيل ودرس على أشهر أساتذة تونس ، وكانت حلقات العلم فيها مزدهرة ، فما بلغ العشرين إلا وقد قرأ القرآن وحفظه ودرس الفقه والحديث وبخاصة الفقه المالكي وهو المذهب السائد في المغرب والأندلس ، وقد دأب ابن خلدون على التحصيل كلما وجد إلى ذلك سبيلا فدرس المنطق والفلسفة وتفوق فيهما

ولم يكتفِ بذلك بل بلغ العشرين نادرة الحياة العامة كما نادت أجداده من قبل فنزل إلى ميادينها وخاض غمارها . وكانت نفسه تجيش برغبة تجديد تقاليد أجداده في إدارة الدولة وتصريف أمورها ، وكان والده قد جانب تلك التقاليد وآثر عليها العزلة والاعتكاف للدراسة والبحث العلمي . وقد استطاع ابن خلدون أن يحقق

وقد تولى ابن خلدون بنفسه كتابة تفاصيل حياته في كتابه : « التعريف والعبر ، فأغنانا بذلك عن الغوص عليها والمجهد في اجتهادها .

تميز ابن خلدون في حياته بكثرة الأسفار ونحن نراه قبل أن يكتب المقدمة ينتقل من تونس إلى فاس إلى غرناطة إلى بجاية إلى الجزائر ... تلك الأسفار أتاح له فرصة الاختلاط بمختلف الأوساط العلمية ، كما زودته بثروة نفيسة من التجارب . وهو في تنقله بين تلك البلاد قد درس الحضار والبدو وحالة الأسواق والتجارة والصناعة وطارق المعاش مما أفاده اطلاعا وتجربة ستكون لها أثر كبير في تدوين المقدمة ... فالمقدمة وإن استغرقت

وقبيل بلوغه العشرين نادته الحياة العامة كما نادت أجداده من قبل فنزل إلى ميادينها وخاض غمارها . وكانت نفسه تجيش برغبة تجديد تقاليد أجداده في إدارة الدولة وتصريف أمورها ، وكان والده قد جانب تلك التقاليد وآثر عليها العزلة والاعتكاف للدراسة والبحث العلمي . وقد استطاع ابن خلدون أن يحقق

الطابع العلمى فى مؤلف ابن خلدون :

تمتاز النظرة العلمية الحديثة بتحكيم قانون السببية فى الظواهر المراد دراستها وتلك للنظرة هى الفاصلة بين العتيق البالى من الدراسات وبين القديم المحافظ على قيمته العلمية . والعبرة فى الدراسات العلمية ليست فى الوصول إلى نتائج لا تخضع للإصلاح أو التقويم وإنما مقياس قيمتها فى الطريقة العلمية المتبعة فيها . أما نتائج الدراسات فلا زالت تخضع للتغيير والتبديل ، والنظريات الجديدة تحل محل النظريات القديمة أو تعدلها أو تكملها .

وقد بدأت تلك النظرة العلمية أول ما بدأت فى مجال الظواهر الآلية والمحسوسة مثل الكيمياء والطبيعة حيث يمكن للباحث تحقيق المسائل العلمية فى سهولة . ثم انتقلت تلك النظرة إلى مجال الظواهر الاجتماعية المجردة وأخذ العلماء يقررون أن بين الظواهر الاجتماعية علاقات تلازم ولزوم ، وأن هنالك قوانين ثابتة تحكمها وقد وضحت هذه النظرة العلمية فى دراسة الاقتصاد فى كتاب آدم سميث (ثروة الأمم) وإليه ينسب فضل تأسيس أول مدرسة علمية فى الاقتصاد .

وفى القرن الرابع عشر أى قبل آدم سميث بأربعة قرون درس العلامة ابن خلدون الظواهر العمرانية دراسة عميقة على أساس علمى متين مقررأ أن الظواهر العمرانية

كتابتها خمسة أشهر إلا أنها ثمرة تفكير وتحصيل وفير سابق .

لقد كانت الحضارة بلغت شأوها فى الأندلس والمغرب ، فهناك المكتبات الحافلة بالمؤلفات ، وهناك جامعات منتشرة بين أرجائها ، وهناك تكريم العلماء من قبل أصحاب الدول . إذ كانوا يقربون اليهم العلماء . وكان تنافسهم على تقرب العلماء أحد أوجه التنافس السياسى الشديد الدائر بينهم . فالأندلس والمغرب شمع ودويلات . وحول كل قصر حاشية من أهل العلم يسعى صاحب الدولة إلى أن يكسب دولته بهم أبهة وشهرة .

فالوسط العلمى المحيط بابن خلدون كان مشجعاً له على المضى فى تحصيله وإنتاجه لولا كثرة الفتن والاضطرابات السياسية ... وأما الأحوال المعيشية فقد شهد ابن خلدون منها البدو على شدة بداوتهم والحضر فى مزبد من تنعمهم فبادية المغرب يسكنها البربر الذين اشتهروا بشطف العيش . والأندلس وحواضر المغرب قد بلغت الحضارة فيها أوجها ... لذلك كانت تنقلات ابن خلدون فى بقاع المغرب والأندلس مكسبة له ثروة لا تقدر من المعلومات عن أحوال الناس المعيشية ، فإذا أضفنا تجاربه إلى تحصيله العلمى إلى نشجيع أصحاب الدول على الإنتاج العلمى أدركنا أثر الزمان والمكان فى إنتاج ابن خلدون المبدع ، وخاصة فى مقدمته .

وإن كانت تستند إلى وسائل بحث أنجع إلا أنها في شكلها وموضوعها ماثلة لبحوثه (١) مما جعل الأستاذ فليفت يقول : « إن ما ألفه ابن خلدون عظيم الشأن كبير القيمة بحيث يحفظ اسمه وشهرته في سجل الخالدين بين الأجيال المتعاقبة (٢) » .

لقد اكتملت لابن خلدون سبعة قرون من الحضارة الإسلامية تعاقبت فيها دول وظهرت أحزاب وشيع وتنازعت ممالك وإمبراطوريات وبدو وحضر وأدخلت صناعات جديدة وحاجات جديدة وأترفت مجتمعات . فوجد في حوادث القرون السبعة مادة للتأمل ووجدت عبقريته فيها ، وفي حوادث التاريخ الآخر مجالاً للبحث والتدقيق والتحليل والاستنتاج لكشف سير العمران واتجاهاته وأسباب قوة الشعوب وأسباب الانحلال ، من وجهة الاقتصادية

في تراجمها وتواليها تحكمها قوانين . ومن تلك الظواهر العمرانية الظواهر الاقتصادية . وكانت وسيلة في الدراسة الاستقراء والقياس وإن كان يغلب عليه طابع الملاحظة والاستقراء أكثر من مجرد تتبع الأفكار التجريدية . وهو إلى صواب طريقته وسعة آفاق بحثه وعمق تفكيره يمتاز باتزان في الحكم واعتدال في الرأي .

ربما لم يتصل الفكر الاقتصادي لابن خلدون بالمدرسة الاقتصادية الحديثة وقد يكون صوته قد ظل من غير صدق في الأزمنة الحديثة التي شهدت تقدم علوم الاقتصاد . ولكن هذا لا يقلل من فضله فإن كتابته جديرة بأن تكون نقطة البدء للمدرسة العلمية في الاقتصاد . فهي ليست بمجرد جمع لمعارف متنوعة ولكنها مجموعة معارف منظمة ومرتبطة ينطبق عليها لفظ العلم في معناه الدقيق أو كما يلاحظ الأستاذ شميدت (١) أنها مما يطلق عليه لفظ (wissenscheft) وليس مجرد لفظ (wissen) ، وأن البحوث الحديثة

(1) "The work is of genuine merit. This is best evidenced by the fact that a similar structure is being built to day on a more solid basis. In its genesis and growth it resembles his . . ."

N. Schmidt, P. 21.

(2) "The work he left is sufficiently great and valuable to preserve his name and fame to latest generations. . ."

R. Plint, Historical Philosophy 1893, P. 157.

(1) "When Ibn Khaldoun speaks of science (ilm) he does not mean knowledge in the rough but that certain and systematized knowledge which to us is science not wissen but wissenschafter."

N, Schmidt, Ibn Khaldoun, Historian, sociologist and philosopher P. 21.

يجب أن يستند إلى معرفة طبائع العمران . وعلى المؤرخ أن يستند في نقده الخبيث من الطيب إلى علم العمران يقيس على قواعده الروايات التاريخية . فما اتفق منها والسير الطبيعى للعمران أخذه بعين الاعتبار . وما كان غير ذلك أسقطه وزيفه .

تلك هى مهمة المؤرخ أصلا . فالمؤرخ ليس فقط ناقلًا عليه لإثبات صحة النقل إنما هو ناقل وناقد يتحرى صحة النقل واحتمال صحة المنقول ويحاول أن يستخلص من الجزئيات كلاً متماسكاً يمثل سير العمران على مر السنين . ومهمة المؤرخ هذه كما صورها ابن خلدون تفترض وجود قواعد للعمران مقررّة ومسلّم بها ، يستعين بها المؤرخ . وقد أحس ابن خلدون بالنقص الحاصل لزمه فى هذا الباب فأخذ على عاتقه تقريرها . ومحاولة هذه استغرقت الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وهو الجزء المعروف بمقدمة ابن خلدون .

يقول ابن خلدون موضحاً غرضه هذا : « وأما الإخبار عن الواقعات فلا بد فى صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر فى إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدماً عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة ، وإذا كان ذلك فالقانون فى تمييز

ورجل الدولة السياسى والاجتماعى والعالم للنفسانى . وأن تقديم المدرسة العلمية فى الاقتصاد أربعة قرون بنسبتها إليه لما له أهميته بالنسبة لتاريخ الحضارة عموماً والحضارة الإسلامية خاصة وبالنسبة لعلم تاريخ النظريات الاقتصادية .

مقدمة ابن خلدون والفرض صريحاً :

ومقدمة ابن خلدون هى أشهر كتبه وهى الجزء الأول من كتابه المكون من ثلاثة أجزاء المسمى كتاب العبر فى ديوان المبتدأ والخبر عن العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر وهو محاولة لتحرير تاريخ عالمى مع توجيه عناية خاصة بتاريخ المغرب ...

وقد لاحظ ابن خلدون عند كتابة تاريخه أن المؤرخين كثيراً ما يقتصرون على النقل مع أن الروايات التاريخية يختلط فيها الغث بالثمين والباطل بالصحيح على مر الزمن . فلا بد من رد تلك الروايات على معيار يبين وجه الصحة أو الخطأ فيها .

فالتاريخ الجدير بهذا الاسم ليس مجرد تسجيل وقائع تاريخية وأسماء ملوك وسنين مواقع وتعاقب أناس ودول . إنما هو ذلك العلم الذى يخرج للناس صورة حقيقية واضحة لتطور العمران والمجتمع البشرى . ولكى يحقق مثل هذا العلم المقصود منه

ابن خلدون بذلك مكتشف علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية .

لم يقتصر ابن خلدون على وضع أسس علم الاجتماع بل اكتشف فوق ذلك علم التاريخ . ذلك أنه رأى بين الظواهر التاريخية علاقات تلازم وتباين واستنتج أنه لا بد من وجود قواعد وقوانين ثابتة تنظم تلك الظواهر فسمى لاستخلاصها وكانت محاولته هذه الحجر الأول في بناء علم التاريخ .

ولو أنه سجل جزئيات من هذا العلم لكفاه ذلك غفرا . لكنه أراد أن يسلك تلك الجزئيات في عقد منظم فوصل إلى فكرة كلية شاملة في تفسير التاريخ . وتدل كتابته على أن التاريخ يخضع إلى حد كبير لعوامل اقتصادية فيكون ابن خلدون المؤسس الأول لمدرسة تفسير التاريخ تفسيراً اقتصادياً .

وعلى ذلك تكون مقدمة ابن خلدون دائرة معارف في علوم الاجتماع وفي علم التاريخ وفي تفسير التاريخ . وإن كان الغرض الأول منها مجرد إيجاد قواعد لضبط الروايات التاريخية .

أثر المقدمة في تاريخ ابن خلدون :

أفاض ابن خلدون في شرح آرائه العلمية عن سير العمران في كتاب المقدمة وقصد بحشد آرائه فيها إلى إظهار ما لعلم العمران من طابع مستقل فهو يقول : « وكان هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو

الحق من الباطل في الإخبار بالإمكان واستحالة أن تنظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وغير ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له - وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الإخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه . »^(١) حينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علينا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً^(٢) .

فالغرض من المقدمة إذا إيجاد مقاييس أو قواعد علم العمران تعرض عليها الروايات التاريخية^(٣) . وعلى ذلك يكون موضوع المقدمة هو ما نسميه علم الاجتماع . ويكون

(١) مقدمة ابن خلدون - المقدمة الأولى من الكتاب الأول ص ٣٦ .

(٢) يقول ابن خلدون : لا بد من رد الأخبار إلى الأصول وعرضها على القواعد المقدمة ص ٩ .

حوادثها . وتناول بالإضافة حوادث المشرق فكان من المتوقع أن يكون في كتابه بعض القصص فيما يخص أخبار المشرق .

وفي الكتاب فصول كثيرة قيمة تعتبر من المراجع التاريخية النفيسة ، خاصة ما تعلق منها بدول البربر ودولة العرب في صقلية وتاريخ الدول المسيحية المعاصرة .

يقول دوزي عن تاريخ ابن خلدون : « إن مؤرخا نصرانيا لم يوفق إلى كتابة تاريخ أية دولة إسلامية بمثل الدقة والوضوح اللذين امتازت بهما كتابة ابن خلدون عن دولة النصارى في أسبانيا » .

ويقول شميدت : « لو أن ابن خلدون لم يترك سوى كتابه في التاريخ اظل هذا زمرا قائما للبحث العميق والعلم الغزير والحكم الدقيق » . وتناول ابن خلدون تاريخه ، في مصر ، ببعض الإضافة . وفي هذه الإضافات يظهر طابع ابن خلدون كناقذ اجتماعي مثال ذلك الفصول الخاصة بدولة السلطان برقوق ، إذ تراه يطبق نظريته في العصبية وطغيان الحضارة عليها واندثار الدولة بتأثير الترف وانتقال الملك إلى من كانوا أكثر بدارة وبهم روحا جديدة في الدولة ، وكذلك نراه يطبق نظريته هذه بالنسبة لدولة المماليك المصرية . (البنية في العدم القدام)

العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى (١) .

لذلك تناول في الفصول التاريخية غرضا آخر فاقصر على سرد كبريات حوادث التاريخ في ترتيب محكم وتبويب دقيق وعالج تلك الحوادث لا على طريقة الأرنج (annaliste) أى حسب جداول السنين ، وإنما قسم تاريخه كتباً وقسم الكتب أبواباً وفصولاً ، وضرب صفحا عن جداول السنين ، واتخذ الدولة المتصلة وحدة لمباحثه ، وإن كان قد سبقه إلى هذه الطريقة بعض المؤرخين المسلمين مثل المسعودي وابن عبد الحكم المصري .

وقد رمى بعض المؤرخين ابن خلدون بالقصور في بعض نواحي تاريخه ، على أنه هو نفسه يبادر بالاعتذار فيقول : « وأنا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنتني منه في هذا القطر المغربي إما صريحا أو مندرجا في أخباره وتلويحا ، لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه . وذكر بمالكة ودوله دون ما سواه من الأقطار لعدم اخلاعي على أحوال المشرق وأممه وأن الأخبار المتناقلة لا توفى كنهه ما أريده منه (٢) » . فالتصديق الأول هو ذكر تاريخ بلاد المغرب وتسجيل غير المدون من

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٦

(٢) ابن خلدون المقدمة ص ٣٢

مقومات التطور في الاسلام

الأستاذ عباس طه

ناحية التطور في كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى والذى حدا بأولئك القادة إلى سسد طريق التطور في وجوه اتباعهم ، أنهم تخيلوا أن التطور يخرجهم عن الأصول القديمة ، ويفضى إلى ضياع ما اتسموا به حفظه وغفلوا عن أن التطور الحق إذا عدا على شىء فإنما يعدو على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء ولا لاء .

أما شريعة الإسلام فلا أقول : إنها قد احتاطت لهذه الناحية فحسب ، ولكنى أقول : إنها فرضت التطور على أهلها فرضاً ودفعتهم إليه دفعاً ؛ لأنها شريعة عهد الرشد للأمم ، وقد علم الله أن الأمم في هذا العهد تظفر في الترقى طفرأ ، وتقطع المراحل إليه قفزاً ، فهي بحاجة إلى شريعة لا تناسب حالتها الراهنة فحسب بل تهى لها وسائل التقدم ، وتعبد لها طرقه ، وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها الطبيعية .

قلنا : إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضاً ودفعتهم إليه دفعاً ، وإلا فكيف

تطور الجماعات في الناحيتين الأدبية والاجتماعية من الأمور التى يجب أن تعنى بها الشرائع لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم فالجماعات التى تعيش على حالة واحدة . تقف حيث هى ، ويسبقها من كان دونها من الجماعات .

وقد جنت شرائع كثيرة على أهلها من هذه الناحية جنائيات تعتبر غاية في العنت والشذوذ فمن ذلك أن المسيطرين على أوروبا بعد القرن الرابع الميلادى ألفوا أهلها في حالة جمود أكثر من عشرة قرون ، فلم ينجح منهم عالم واحد في علم من العلوم ، وانحط ما كان لديهم من آثار اليونانيين والرومانيين من المعارف والفنون حتى بعث الله المسلمين فامتخرجوا تلك السكنوز المدفونة وأرسلوها نوراً ساطعاً غمروا به الناس ، وبما زادوا عليه من نورهم قروناً كثيرة ، حتى استأهلوا أن يلقبوا ببناء المدنية الحديثة ، وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية لغفال قادتها هذه الناحية في تعاليمهم :

الإسلام المسلمين إلى تعلم اللغات الأجنبية وحضهم على تعلم كل علم .

هذا تسامح عظيم بل مراعاة قيمة للطبيعة البشرية ، فإن الإنسان مدفوع بطبعه لأن يرد كل حجم ول ويتحسس من كل محبوب ويرى بنفسه إلى كل مرمى ولو كان وراءه حثفه فإن الدين الفطري الماشي لطباع النفوس لا يسمح أن يوصد على العقول باحة ، ولا أن يضع لمرماها حدا ، وما هو خليف بالإشادة به أن المسلمين اشتغلوا كثيرا بكمياء الذهب ووصلوا منها إلى نتائج عملية فقد صرح بعضهم بأنه نجح فيما تصدى له منها ، وليس لنا أن نكذبهم كما كنا نفعل قبل سنين معدودة ، إذ أعلن علماء من الكيمايين في أوروبا بأنهم قد توصلوا إلى استخراج الذهب ولكن بمنعهم من صنع مقادير كبيرة منه أنه يتكلف قدر ما يصنع منه .

قال بعض المؤرخين الاجتماعيين: إن العرب وصلوا من بعض الفنون والهنائع إلى شأو لم يبلغه الأوروبيون بعد . قال العلامة الدكتور (جوستاف لوبون) في كتابه (تمدن العرب) : (العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع والفنون فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً ، وإننا وإن كنا لم نزل نهمل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك فإننا نعرف نتائجها (البقية على صفحة ٦٣١))

نفسر انتقال المسلمين بعد أخذهم بهذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة ، إلى مصاف الأمم العاملة السائدة ، أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم . وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزعامة قرونا طويلة كانت فيه تؤم عواصمها تأخذ عنها العلم والحكمة ، وأسرار الصنائع والفنون ، أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور فرضاً ، ولا يكتفى بأن يسمح لها به ؟ .

هل وضع الإسلام مراً للتطور :

لا : إن الدين الذي يقول لمتبعيه : « ويخلق ما لا تعلمون » يفتح أمامهم باحة اللانهاية فلا يدع في أنفسهم حاجة إلى السؤال عن الحدود والغايات ، لذلك كانت المسلمون الأولون مندفعين وراء العلم اندفاعهم وراء الحياة ، ولا عجب فإن الدين الذي يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم دون سواهم فيقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع . هل وضع الإسلام لشهوات للعقول حداً ، وهل أوصد في وجه مستفيد مجالاً ؟ .

اللهم لا . ولكننا أباح للعقول أن تجول في كل مجال ، وأن تجوس خلال كل مجهول أظن أن وراءه فائدة مادية أو معنوية ، وقد نذب

مَائِقَاتُ الْعَزَائِكِ

أطلس العالم العربي والشرق الأوسط

للأستاذ عباس محمود العقاد

وفي القرن التاسع عشر أخذت الوطنية من الطراز الأوروبي تعمل عملها بين أبناء البلاد العربية الذين تلقوا شيئا من التعليم على المنهج الأوروبي ، وكان الكثيرون منهم ضباطا عسكريين ، وبدأت الحركة على أقواها في سورية ومصر ، ... وقد أعقب سقوط الدولة العثمانية قيام عدد من الحكومات العربية بحداستقلالها حدا شديدا نظام الوصاية من قبل بريطانيا العظمى وفرنسا وبحول دون اتحادها الوطني تنازع البيوت المالكة ومنافساتها ، ولم تنقرب روابطها بين هذه الحكومات حتى في مواجهة الصهيونية ، ولا كان زوال البيوت المالكة قاضيا على منازعاتها ومنافساتها ، ولكن لا خلاف في استطاعة الدعوات الوطنية أن تثير الشعور في البلاد وبخاصة بين أبناء الجيل الجديد الذين يكاد هذا الشعور أن يكون بينهم أقوى من الشعور بالإسلام .

ظهر في العهد الأخير أطلس العالم العربي والشرق الأوسط باللغة الانجليزية ، وفيه نحو أربعين خريطة جغرافية للبلاد العربية وبلاد الشرق الأوسط على العموم ، مع بيان مرسوم لمواطن المسلمين في قارتي آسيا وإفريقية وبعض المواقع الأخرى من العالم المصطلح على تسميته بالعالم القديم .

واختتم الأطلس ببحث مطول عن تاريخ العرب والإسلام كتبه الأستاذ بكنجهم Beckingham أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة منشستر ، وقال في فصوله ما خلاصته .

ويمكن أن يقال عن يقين: إن هناك عوامل ثلاثة هامة كلها جديد بحيث يصح عقلا أن ترقب منها بداءة صفحة أخرى من صفحات التاريخ العربي ، وهذه العوامل الثلاثة هي الوطنية وحركة التصنيع والحركة العلمانية ، أو حركة الانطلاق من الصبغة الدينية .

وأساليب التنظيم والدعاية ، ومناورات السياسة الحديثة، وهم يعتقدون أنهم إنما يحققون الاستقلال الاقتصادي باتباع الأساليب الفنية والصناعية الحديثة وأن محاولتهم أن ينهضوا بذلك كله دون مساس بتقاليدهم العربية والإسلامية لجديرة أن تكسبهم احترام الأمم الأخرى كما يكسبهم عطفها

* * *

ونرى كما يرى القارىء — فيما نحسب — أن صاحب هذه الدراسة يتحرى البحث العلنى فى ملاحظاته على تاريخ العرب والإسلام فى العصر الحديث ، وأن الخطأ إنما عرض له من جانب مذهب التفكير ولم يعرض له من جانب سوء النية .

فهو على عادة الكثيرين من المؤرخين المتأخرين يخاطب عند الكلام على حركات التاريخ العربى بين الوطنية والقومية ، وهما على اقتراب الشبه بينهما مختلفتان بالنشأة والطبيعة ، وقد يقال فى التفرقة بينهما على وجه السرعة إن الوطنية أقرب إلى السياسة والاجتماع وإن القومية أقرب إلى العنصر والسلالة ، وأن الوطنية بمعناها فى مصطلح العلوم السياسية ظاهرة متأخرة نشأت فى الغرب بعد انحلال الدولة المقدسة وانفصال الحكومات عن سلطان الكنيسة ، مع ضعف النبلاء أصحاب الإقطاع وتقرير الحقوق

د أما حركة التصنيع فقد كانت ضربة لازب بعد الاحتكاك بالغرب وبعد أن تحولت مواطن آبار النفط من بلاد فقيرة إلى بلاد من أغنى جهات العالم المعمور . وقد أصبح الناس فى الجزيرة العربية حيث بقيت أحوال المعيشة على ما كانت عليه قبل الإسلام — جمهرة من (البرولتارية) الحديثة أى جمهرة الصناع الفقراء فى مراكز التصنيع . وقد اشتركت كل من حركة الوطنية وحركة التصنيع مما فى التمهيد لظهور الروح العلمانية ، التى أضعفت العقيدة الإسلامية ضعفا لم تصب بمثلها فى جميع أدوارها التاريخية ، ولو أن الوطنية العربية على الإجمال تنجح إلى موالاته الإسلام أكثر من جنوحها إلى أية عقيدة أخرى ، ومن المؤلف الشائع أن ترى أناسا من العرب يدافعون عن ديارهم مدافعة الغيرة والحماسة مع إهمالهم لأداء فرائضها والقيام بشعائرها ، وهى ظاهرة لانراها مقصورة على الإسلام .

وإن طائفة من الأفكار القوية ذات الأثر الفعال فى العالم العربى لهى اليوم وليدة الحضارة الأوروبية ، فإن فكرة الدولة الوطنية ذات السيادة كانت هى المثل الأعلى الذى توخاه الزعماء الوطنيون عند ثورتهم على السيطرة الأوروبية وقد أفلحوا فى تحقيق استقلالهم السياسى باتباع الأساليب الإدارية

أولا على العنصر العربي دون غيره من عناصر الدولة المتعددة .

والوم في مسألة « العلانية » أظهر من هذا الوهم في مسألة الشعور الوطني أو الشعور القومي ، إذا كان المقصود بالعلانية ما يقابل عندهم « الطقوس الكهنوتية » أو مراحم السلطة التي يفرضها رجال الدين على الدولة . فالإسلام لم يعرف قط شيئا من قبيل الطقوس الكهنوتية منذ قيام النبي عليه السلام بالأمر بقيام خلفائه به من بعده . ولم يرفض خلفاء بني العباس إدارة الميزانية في دولتهم على حساب السنة النيروزي ، بل لم يرفضوا الاحتفال بالنيروزي في موسم المألوف عند الأقدمين ، ولم يتبع أحد من الخلفاء أو الأمراء المسلمين طقوسا كهنوتية في شئون الولاية أو في شئون المعيشة العامة ، بل كانت أزيائهم وتقاليدهم على سنة الأمم في عهودهم فارسية وتركية ومتشبهة بالفرس والترك في أزيائهم وتقاليدها ، وقد كان خلفاء الأندلس قدوة للأوربيين في المعيشة « العلانية » ومنهم تعلم هؤلاء الاستقلال عن طقوس الكهنوت وشعائر السلطة المفروضة من جانب رجل الدين ، وليست الكسوة ذات « الحكمة » والبنطلون ، أول كسوة غربية قبلها المسلمون بعد انصالحهم بشعوب العالم من المشرق إلى

للشعوب بجميع طبقاتها ... أما القومية فهي بين العرب على الخصوص سابقة لتكوين الشعوب على الوضع الحديث ، ومنها القومية التي جمعت قبائل العرب في وقعة ذي قار لمحاربة فارس . ومنها كذلك قومية القبائل التي ساعدت بنى قوسها العرب المسلمين عند فتح فلسطين وفتح مصر ، إذ كان عمرو ابن العاص ينتقل بجيشه من حدود فلسطين إلى المنزلة إلى الفيوم ولا يهتم بحماية ظهره من جنود الروم ، اعتماداً على معونة القبائل العربية في تلك الأقاليم .

ولا يزال أهم الأمة باللغة العربية دليلاً على صحة فهم هذه الكلمة ورجعائها بالاصطلاح العلمي على الكلمة الأوربية التي تجعل الوطنية علاقة اشتراك في أرض المولد ، فإن الأمة بلغة الضاد تجعل الوطنية مرهونة بوحدة الوجهة والأمانة ، ولا تعلقها بموطن الميلاد كما تتعلق به عند الأوربيين في اصطلاحها الحديث .

وعلى هذا الاعتبار يخطئ المؤرخ الذي يتوهم أن الشعور القومي بين العرب طارئ جديد يخشى منه على قوة العقيدة الدينية ، فإنه كان على أقوى ما يكون في صدر الإسلام بعد فتوح الإسلام الأولى ، ومن أجل هذا قبل أن الشعوبية بين شعوب الإسلام غير العربية كانت بمثابة رد الفعل لقيام الدولة

الأقطار لم يسمع بالصناعة العصرية ولم يخضع قط لنظام التصنيع الحديث ، فإن المتدينين من عمال البلاد الأوروبية والأمريكية يزيدون كثيراً على المنحرفين منهم عن الدين ، وعدد الكُتُب الدينية التي تنتشر بينهم يزيد على أضعاف أمثالها قبل عهد التصنيع ، وليس عند المؤرخين الاقتصاديين حجة على أن العقائد « الصورية » ظاهرة خاصة بزماننا هذا دون الأزمنة الخالية ، فلا تزال أوصاف المجتمع الأوروبي في القصص قبل مائتي سنة تمثل لنا « التدين » في تلك الأيام على مثال من « العادات الصورية » ، لا تختلف عنه عادات العصر كثيراً بين جماعات المتدينين المحسوبين في زمرة المتحليلين من فرائض التدين الصحيح .

ويعلم الأستاذ بكنجهام — ولا ريب — أن الحركة الثنقائية في بلادنا الشرقية لم تكن وادة التصنيع الحديث ؛ لأن نقابات الصناع وأصحاب الحرف شاعت في القاهرة على عهد الفاطميين شيوعها اليوم في لندن وباريس وواشنطن ، وكانت هذه النقابات قوام المراكز الدينية التي تخلفت بقاياها إلى العصر الحاضر ، فلم ينقطع ما بينها وبين المعالم الدينية لارتباطها بتقاليد الحرفة وأقربائها من الطوائف الأخرى من اتباع رجال الطرق ورواد المساجد والأضرحة ، بل كان هؤلاء

المغرب ، وليس في العصر الحاضر « علمانية » لم تسبق لها مثيلات كثيرة منذ قيام الدعوة المحمدية دين أن تصيب العقيدة بالضعف أو تمس الولاء للدين في قلوب أبنائه ، ولعل الصليبيين في أشد أيام العصية الدينية بين المعسكرين قد تعلموا من « علمانية » المسلمين أضعاف ما تعلمه المسلمون من علمانية الغرب في زمانهم ، ولم يحدث قط أن الإسلام كان يوماً ما أشد إحساساً بوجوده مما كان أيام الحروب الصليبية ، ولا نستثنى من ذلك جماعة المسلمين الذين خضعوا للدولة بيت المقدس نحو قرن من الزمان ، ولم يطمع في إسلامهم أحد من حكامهم العلمانيين ولا الكهنوتيين .

ولا شك أن الأستاذ بكنجهام كان يكتب كلامه عن التصنيع وفي ذهنه منشور ماركس وأنجل إلى طبقة العمال بين جميع الطبقات ، وهو ذلك المنشور الذي جعل عهد « التصنيع » في النهاية ختاماً لعهود الوطنية والدين ، وخيل إلى كاتبه أن طبقة العمال التي سموها بالبرولتارية مارقة جميعاً من الدين ومن كل إيمان بالله والرسول بعد شيوع التصنيع في أمم الحضارة الأوروبية .

ولكن هذه النبوءة المسادية لم تصدق بين عمال الغرب نفسه إلا بمقدار محدود كان من الجائز أن ينحرف عن الدين في قطر من

بالعوارض الجديدة كل الجدة في تاريخ الإسلام فقد سبقت لها في هذا التاريخ مثيلات كثيرات ترددت عليه حقبة بعد حقبة ، وتركت آثارها حيناً أو ذهبت بغير أثر يذكر ، وسيمر الإسلام بعوامل اليوم كما مر بمثيلاتها قبل اليوم بسلام .

عباس محمود العقاد

جميعاً موكباً ، واحداً في كل احتفال عام ، يتسم بسمات العبادة أو يقوم على ذكرى من التكريات الدينية .

إن العوامل الثلاثة التي أحصاها الأستاذ بكنجها لها خطرهما الذي لا يجهل ولا يهمل ولكنها على جدة أشكالها وأسمائها ليست

(بقية المنشور على صفحة ٦٢٦)

وصلوا من الكمال العملي في كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هي إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة . وأزيد فأقول : ولا تعاليم حائثة عليه من الطراز المعروف ولكنها تعاليم من نوع أرفع تسندها بواعث تحضيض على الكمال . وبلوغ غايات السمو في كل ضروب النشاط الروحي والعقلي قد مزجت مزجاً مقبلاً على القابليات البشرية في كل دور من أدوارها .

عباس طه

وآثارها . فنعرف مثلاً أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنفاس والزئبق والحديد والذهب ، وأنهم برعوا جداً في الصباغة . ومهروا في سقي للفولاذ مهارة بعيدة المدى ، وأنهم في كثير من فنون الصنائع . قد برعوا براعة لم يلحق لهم فيها شأ .

نقول : — إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر مثل العلم والفنون فيها بأن المسلمين

آراء وأحاديث

من الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر :

باسم الله الذى خلق الناس من نفس واحدة وجعل التوحيد أساس العقيدة الصالحة ، كما جعل الوحدة رباطا لعباده لتسكون مبعثا للقوة وداعيا للنصر .

باسم الله تؤيدكم ، نقف صففا واحداً لا نعرف الفرقة ولا التخاذل مؤمنين بالله مدافعين عن وحدتنا ، فلقد شدتكم بهذا أزرنا وكسبتكم حقوقا كثيرة لوطننا ورعيتم الله فيه حق رعايته ، وجمعتم بين إقليمين حبيبين ارتبطا برباط الأخوة الصادقة والمحبة العميقة كما أكد هذا الرباط وقواه لئمة القرآن والتاريخ المجيد والغاية والهدف . فلم تكن الوحدة بينهما شيئا مصنوعا ولا أمرا مدفوعا إليه . وإنما انبثقت الوحدة من إيمان الشعب الذى يقدر مصالحه ويعرف أهدافه وواجباته .

فكل خارج عليها يكون خارجا على مقومات الجماعة الفاضلة ، مقتلا لكيانها . ولن يرضى شعب أبى مؤمن حر كريم أن ينحرف مع من ينحرف ، أو أن يضل سواء السبيل ، أو أن يحقق ما قد يدعو إليه أعداؤنا وأعداء الحرية والإيمان ، فقد قهرناهم ورددنا سيوفهم إلى نحورهم ، واصبحنا أمة قوية عملاقة يسير

حاضرها مع ماضيها المجيد ، وترسم مستقبلها على واقع من الإيمان بحقها فى الحياة حقاً كريماً ، لا يعرف الضيم ولا اللذل ، ولا تطأ على رأسها ، وإنما تقف قوية أبية عزيزة كريمة . إن يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار ، والله معك ما دمت معه يؤيدك بالحق ويؤيد الحق بك ، وإننا لندعو الله أن يجعل منا أمة قوية البناء متراصة حريصة على أمجادها ، فإن ديفنا ليدعونا دائماً إلى هذه الوحدة ، وهذا التماسك حتى تستطيع دائماً أن تقف فى وجه أعدائنا : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وإننا بوازع من إيماننا بالله وثقتنا بالوحدة التى تجمع شملنا لنقف جميعاً من ورائكم يا سيادة الرئيس وأنت الرجل المؤمن الذى شد الله به أزرنا وقوى به كياننا حتى تكون وحدتنا شاملة جامعة .

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، والله يرعاكم ويديم توفيقكم ويسدد خطاكم .

محمود شلنوت

إلى إخواننا العرب :

لمناسبة الحركة الانفصالية الرجعية التي قام بها شرذمة من ضباط الجيش في الإقليم الشمالي أذاع الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالي : -

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فإن أسمى مبدأ في بناء المجتمعات بعد توحيد الله تعالى ، والإيمان برسله واليوم الآخر مبدأ الاعتصام بحبل الله الذي حث الله عليه ، ودعا إليه ، وحذر من الخروج عن حدوده ، فقال في الدعوة إليه : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وقال في التحذير من الخروج عليه : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

إنكم - إخواني وأبنائي - لتعلمون حذب الإسلام وشديد حرصه على اتئاف كلة أهله ، وعلى أن يقيموا من قلوبهم وإيمانهم حصنا يقيم شر الاعتداء عليهم من يعملون على كيدهم ، وتفرق شملهم ، وإضعاف نفوذهم ، وتضييع سلطانهم وتجريدهم من الحياة القوية الفاضلة ، وتعلمون : أن الله جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز الواجبات ، وأقدس الفرائض التي بني الإسلام عليها وأودع ذلك صريح كتابه في آيات

بينات ، وإنكم لتعلمون أن أنكر المنكرات وشر ما يقوض دعائم الأمم هو الفتن التي تجعل الأمة أشتاتا وأحزابا ، بل تجعلهم أفرادا ولبنات في بناء ضعيف ، لا يقوى على مقاومة الأحداث ، وإنكم لتعلمون بعد هذا كله أن الفتن التي تؤدي بالامة إلى هذا المصير تضعف كيانها ، وتصرفها عن أهدافها ، وتجعلها مشغولة بترهص أعدائها بها - وإنكم لتعلمون أن أعظم ما يتقرب به الناس إلى ربهم في مثل هذه الظروف أن يعملوا على إطفاء تلك الفتن ، وأن يعودوا إلى كلة للتوحيد ، وحدة في العقيدة ، ووحدة في السلوك ، ووحدة في الأخلاق ، ووحدة في الدعوة إلى ما يرضى الله ويبقى البلاد من عوامل الضعف وأسباب الفرقة والانقسام .

أيها الأبناء والإخوان ، هذه دعوتنا لكم ، وهي دعوة الحق في علاه نرسلها إليكم وندعوكم بها إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بوحدةكم لتبقى لكم العزة والكرامة بين الدول الطامعة فيكم ، المتربصة بكم ، يا قومنا أجبوا داعي الله ، وإن تقصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . ندعو الله لكم بالتوفيق والهداية إلى أقوم طريق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الكتاب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — فلسفة أرسطو للفارابي :

تحقيق الدكتور محسن مهدي

نشرت الكتاب دار مجلة شعر ببيروت ،
وقام بتحقيقه الدكتور محسن مهدي ، الأستاذ
المساعد في دائرة اللغات والحضارات الشرقية
في جامعة شيكاغو .

قدم المحقق للكتاب بدراسة مسبقة في أربعين
صفحة ، استطاع خلالها أن يزيل كثيراً
من الإبهام عن حقيقة الكتاب التاريخية ،
فالكتاب هو الجزء الثالث والآخر من كتاب
أبي نصر الفارابي ، أما الجزء الأول فقد نشر
في حيدر أباد عام ١٣٤٥ هـ تحت عنوان :
تحصيل السعادة ، وأما الجزء الثاني فقد نشر
في لندن عام ١٩٤٣ م تحت عنوان : فلسفة
أفلاطون .

ثم عرض النص الكامل لكتاب الفارابي
معتدداً على النسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة
في آيا صوفيا في القسطنطينية ، ويتضمن النص
فلسفة أرسطو طاليس الذي يرى كمال الإنسان

ما يراه أفلاطون ، فالمطلوبات الأولى للإنسان
أربعة : سلامة الأبدان ، سلامة الحواس ،
سلامة القدرة على معرفة تمييز الأشياء التي بها
سلامة هذه ، وسلامة القوة على السعي
فيما يكون به سلامة هذه ، وفلسفة أرسطو
تري أن الإنسان ليس يمكنه استنباط الأشياء
النافعة ما لم تعرف غاياتها ، وإذا كان الإنسان
جزءاً من العالم .. فمن اللازم أن تعرف أولاً
الغرض من كل العالم - ولما كانت الأشياء
التي توجد للإنسان بالطبيعة والفطرة تقدم
في الزمان الإرادة والاختيار ، وجب أن يقدم
للنظر فيما هو موجود بالطبيعة .

وهكذا يعرض النص لفلسفة أرسطو
على لسان الفارابي الذي ناقشها وعلق عليها .
المجهود الذي بذله المحقق بمجهود ضخم ،
ولكن كثرة الرموز والحواشي والفهارس
التي استغرقت أكثر من ثلث الكتاب من حقها
أن تنزع من القارئ جزءاً كبيراً من الفائدة
التي يربوها . والمحقق عني في المقدمة بتحقيق

الأغنية وجدارتها بالدراسة الأدبية ، وعن حاجتنا إلى أسلوب جديد في أوضاع مجتمعنا الجديد .

الواقع أن الأستاذ يحيى حتى ناقد ينفى على نقده ألوانا من الدراسات الجيدة لما ينقده ، والخبرة أساس في نقده ، فهو لا يلقى الكلام على عواهنه ، بل يعلن الحثيات التي تسنده من ثقافته ، أما روح المجاملة للنقاد فلا تكاد تحس بها في كتاباته . والذي نلاحظه من خلال أبحاثه ومقالاته المرتبة ترتيبا زمنيا هو تطور النقد في بلادنا ، غير أننا كنا نود أن يستقل بدراسة لتطور النقد والأسس الفنية التي يجب أن تعتمد عليها ، وكذلك المثل الأخلاقية التي يجب أن يرتبط بها الناقد ارتباطا وثيقا ..

٣ - إسراء :

الأستاذ الشيخ سيد سابق

نشرت دار الكتاب العربي بالقاهرة هذا الكتاب الجديد للأستاذ الشيخ سيد سابق مدير الثقافة بوزارة الأوقاف ، والكتاب كما يذكر المؤلف في مقدمته : دراسات إسلامية صحيحة لم يعول فيها إلا على المصادر الأصلية للإسلام - ولم يشأ أن يقدم فيها نفسه أو يؤولها تأويلا يخرجها عن مضمونها الصحيح .

أما هذه الدراسات التي نوضح بعض حقائق

ثبوت النص دون أن تلقى ولو أضواء سريعة على ماهية النص نفسه ، كما أنه حين عرض النص لم يحاول شرح ما يهم على القارئ المتوسط الثقافة من هذه الفلسفة الدسمة ، وإن كان نشر الكتاب بعد ذلك محاولة طيبة ، لاسيما وأنه من التراث الإسلامى الجليل .

٢ - خطوات في النقد :

للأستاذ يحيى حتى

نشرت دار العربية بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ يحيى حتى ، وعنوانه منطبق تماما على موضوعه ، إذ جاء مجموعة من المقالات النقدية خلال خمسة وثلاثين عاما ، في عام ١٩٢٧ م نقد قصص الأستاذ طاهر لاشين التي نشرها على صفحات مجلة كوكب الشرق ، ثم توالى نقده لأغانى رامي بين عامى ٢٥ ، ٢٨ ، ولمصرع كليوباترة لشوقي عام ٣٠ ولكتاب الكاتب الفرنسى فرانسيس دى كرواسيه الذى يصف فيه رحلة طويلة بالهند عام ٩٣٠ ، والخاصة التي قامت بين تواستوى وتورجنيف عام ٩٣٣ ، ثم نقد قصص الاساتذة : توفيق الحكيم وعزيز أباظة وسعيد العريان ومحمد أبو طايبة وإحسان عبد القدوس ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوسف الشارونى ، ومصطفى محمود . وأضاف إلى الكتاب دراسات عن القصة المصرية ماضيا وحاضرا ، وعن

المحمدية وقت بمراجعته والتعليق عليه ،
والسياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية
من الكتب الجديرة بالتقدير لشيخ الإسلام
والعالم المصلح ابن تيمية .

الكتاب قسمان : الأول أداء الأمانات
يتناول الولايات والأموال ، والثاني يتناول
الحدود والحقوق - وابن تيمية الفقيه
والمحدث والعالم المصلح الجريء . يكتب
دائماً عن عمق وشجاعة . فهو في الحديث عن
الولاية لا يفوته إبداء رأى الإسلام في الظلم
الواقع من الولاة على الرعية ، وعما باتهم في
المعاملة لأصناف من المحسوبين ، وهم من أكبر
الظلمة الذين يحشرون في توابيت من نار ، هم
وأعوانهم وأشباههم ثم يقذفون في جهنم
وعند الحديث عن وجوب اتخاذ الإمارة
يذكر أهداف الولاية لدى الكثير : فمنهم
من يريد العلو على الناس والفساد ، ومنهم
من يريد الرياسة لذاتها ، ومنهم من يريد لها
ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله عز وجل ، إنها
رسالة فيها جوامع من السياسة الإلهية
والإنابة النبوية ، وذلك كما يقول شيخ
الإسلام في مقدمتها :

٥ - السرفة في التشريع الإلهي - ملهى :

للأستاذ إبراهيم للشهاوى :

هذه رسالة موجزة تناولت السرفة كإحدى

الإسلام في جوانبه الثلاثة : الروحي والخلقى
والاجتماعى . فهي دراسات بمثابة موسوعة
موجزة لكثير من المعانى الإسلامية يهضمها
المثقف الناضج ، ويحتاج إليها من هو أقل
منه ، ففي الجانب الروحي يتناول الفكر ،
والإيمان ، والإخلاص ، والحب ، والشكر
والخشية والثقة في الله عز وجل ، ويتناول
في الجانب الخلقى : الخير والإحسان والحياء
والأمانة ، والصدق ، والرفق ، وفي الجانب
الآخرى الاجتماعى : يتناول الأسرة وقضاياها
المتشعبة وصلة المسلم بأخيه المسلم

قلت : إن هذا الكتاب بمثابة موسوعة
موجزة ، لأن كل هذه المعانى الإسلامية التى
تناولها أيدها بنصوص إسلامية معتمدة ،
فأصبحت مرجعاً معتمداً للقارىء . ولو أن
المؤلف استوعب في كتابه الجيد الجوانب
الإسلامية الأخرى : من سياسية واقتصادية
وعقيدية ، لجاء موضوع الكتاب مطابقاً
تماماً لعنوانه ، ولو أنه قارن الأفكار
الإسلامية بالأفكار الغربية لاسيما المذاهب
الخلقية ، والاجتماعية ، لإبراز قيمة الفكر
الإسلامى لجاء الكتاب أوفياً .

٤ - السياسة الشرعية :

لشيخ الإسلام ابن تيمية :

نشرت هذا الكتاب مكتبة أنصار السنة

٦ - من تاريخ الصحابة :

للأستاذ محمود النواوى

هذا كتيب للأستاذ النواوى مراقب العلوم الدينية بالأزهر ، نشرته دار الوينى بالقاهرة ، ترجم المؤلف فيه جماعة من الصحابة كالحلفاء الأربعة وابن عباس وعمر ، وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير ، كما قدم بطاقات سريعة عن جماعة أخرى من الصحابة كأمهات المؤمنين ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس بن النضر وأبى سفيان وأبى الدرداء والبراء بن عازب .

فضيلة المؤلف كتب تراجم مسهبة بعض الإسهاب عن جماعة من الصحابة امتلات آلاف الكتب بهم ، وكتب فى بطاقات تراجم موجزة إلى حد الإسراف عن جماعة أخرى من الصحابة لم تنفرد بهم تأليف ولا مؤلفات ، وكنا نود أن يكون هناك جديد فى الدراسة ، ولو أنه أفرد كتابه للصحابة الذين لم نعن بهم مؤلفاتنا كثيرا ، وهم من الكثرة بمكان ، لكن أجسدى وأنقع ، والعبرة ليست بالتأليف وحسب ، وإنما بأن يكون فى تأليفنا ما قصرت عنه مؤلفات السابقين .

محمد عبد الله السمان

أمراض المجتمع ، عرفها المؤلف لغة وشرعا ووضح حكمها وحكمتها ، من واقع الكتاب والسنة والمراجع الفقهية والأصولية .

وتناولت معنى القطع وحكمه ، وحكمة مشروعيته ورد للشبهة الواردة عليه وشروط وجوبه ، ثم مسألة النصاب وقيمه ثم عرض مسائل اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء مثل : قطع الجماعة فى السرقة ، وقطع السارق إذا أظهر ملكه للمسروق وقطعه إذا رد المسروق إلى صاحبه ، وقطع من سرق من سارق ، وضمان المسروق . ثم ختم البحث بكلمة فى عقوبة السارق من الناحية التاريخية .

الحق أن فضيلة الأستاذ المؤلف ، وهو أستاذ بكلية الشريعة عرض قضية السرقة من الوجهة الفقهية والتشريعية بأمانة ودقة ، وناقش الخلاف فى الفرعيات بين الفقهاء ، واستطاع أن يجعل من بحثه مرجعا مركزا لمسألة السرقة ، إلا أن فضيلته لم يلتزم العنوان الذى اختاره ، فقد جعل عنوان كتابه : السرقة فى التشريع الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، أما هذه المقارنة فلا يكاد يحسبها للقارى مع أنها ضرورية فى المسألة ، وحين عرضها من الزاوية التاريخية اختصر إلى درجة فيها إسراف ، فقد تعرض لها فى زمن يعقوب وموسى ، وأهمل تشريعات الرومان والفرس وبعض الفلاسفة وغيرهم .

مَحْنَا فِرَ الشَّجَرُ الْقَيْدَ وَالْحَدِيثَ

هكذا أنشد

(من الملحمة التي أنشدها الأستاذ إبراهيم محمد نجما
في مهرجان الشعر العربي الذي عقد بمدينة دمشق
في المدة من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٨ منه بدعوة من
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
الاجتماعية في القاهرة)

لأنتى أصنع بالقوة والعزم مصيرى
لأنتى أسمو إلى القمة كالنسر الكبير
هازنا بالضجة الرعناء في الرعد المثير
رائيا للبرق يعدو في الدجى كالمستجير
لأنتى أبعث نورى ، ثم أمضى خلف نورى
هاتفا بالريح إنى : لست أخشاك فتورى
رائيا للبرق يعدو في الدجى كالمستجير

* * *

لأنتى أعبد ربى ، مثلا يرغب ربى
فى ضمورى ، فى شعورى ، ملء نفسى ملء قلبى
وإذا أذنبت يوما ، فهو يدرى سر ذنبى
وأراه أينما سرت مع الأيام ... قربى
ويرى إشراق روحى فى مناجاة الحب
جل ربى ... إنه يعرف أشواقى وحبى

* * *

أنا نبع تتجلى روحه فى كل قطره
أنا ظله ليس يلتقى الحر فيه مستقره
مثلا كنت ترانى ، وترى قلبى وسره
ينبت البهجة فى الأرض ، وفى النفس المسيرة
أنا بحر قلبه للغضببان إعصار وثورته
مرة نبعا وظلا ، وسوى ذلك مره

إنني ألمح خلف الأفق أمراب الحمام فوق أرض أبيض الحب عليها والوثام
وعلى أغصانها الخضراء نور وابتسام إنني أهفو إليها في حنين وهيام
لا أبالي قسوة الشوك ، وطغيان الضرام ومعى كل محب ، من رفاقي ، للسلام

* * *

نحن قوم قد نهضنا ، وجمعنا شملنا ورفعنا علم الوحدة خفاق السنا
وسبقنا ما بقينا ، ثم يبقى بعدنا نحن بالآرواح نحميه ، فنحصى مجدنا
فاخشوا يا من سعيتم كالأفاعى بيننا نحن ما دمنا جنود الله ، فالنصر لنا

من وحي الأحداث الحاضرة :

سلمت يا بلادي

سلمت يا بلادي يا موطن الأحرار
من سطوة العوادي وكيد الاستعمار
سلمت يا بلادي

* * *

سلمت للجمعية والوحدة القوية
وعزة الحرية وروعة الأجداد
سلمت يا بلادي

* * *

سلمت للكفاح بالعلم والسلاح
في موكب الإصلاح والخير والإسعاد
سلمت يا بلادي

* * *

سلمت للسلام يضيء الأيام
بنوره البسام مثل المنار الهادي
سلمت يا بلادي

يا بسمه خضراءَ تمثلت رجاء
ونعمة فيجاءَ على ضفاف الوادي
سليت يا بلادي

يا نفما نسمامر تشدو به الدنيا فما
قد شاق حتى الانجما بروعة الإنشاء
سليت يا بلادي

يا قصة الحضارة وضيفة العبارة
تضيء كالمنازة من ساعة الميلاد
سليت يا بلادي

يا مأمنا المهاجر من بغى كل جائر
وعون كل نائر في وجه الاستعباد
سليت يا بلادي

نفديك بالدماء يا منحة السماء
وكلنا فدائي في ساعة الجهاد
سليت يا بلادي

عيشي مع الخلود خفاقة البنود
وانتصري وسودي على مدى الآباد
سليت يا بلادي

ابراهيم محمد نجما

بريد المجلة

أبحاث ودراسات ... لحرب الإسلام

وجاء في تقرير ا. ل. ليتيفوف عالم التاريخ : « ... إن إقامة الشعائر الدينية يصحبها في عدد من الحالات انتهاك لنظم العمل والدولة ، ومن ثم فإنه يلحق الضرر بالاقتصاد ويفسد الناس من الناحية الروحية كما أن بقايا الخلفات الدينية تقف حجر عثرة في سبيل تعزيز أو اصر الصداقة بين الشعوب وتعتمد إلى إبقاء المشاعر البوجوافية ... » .

وصاحب التقرير يشفق من تأييد المسلمين للاتجاهات الاشتراكية : « ومن ثم فلكي تكون الدعاية العلمية الإلحادية مجدية ، يتعين القيام بها بوسائل مختلفة ، على أن تضع نصب عينها حاجات مختلف طبقات السكان : أى النساء والطاعنين في السن والشبان والأطفال ، والفلاحين والعمال والمستنيرين ... الخ . ويتعين كذلك أن تستخدم على أوفى وجه جميع وسائل التأثير على الجماهير من الناحية المذهبية : أى الصحافة والسينما والإذاعة والتلفزيون والمعاهد الثقافية والتعليمية . » .

وتتابعت التقارير : من دكتور في العلوم التاريخية ، ورئيس قسم الإلحاد العلمى ، وأستاذ في الفلسفة والعلوم السياسية ... » .

بعد نصف قرن من الدعاية الضخمة عن المادية الجدلية ، والحكم المباشر الذى يعمد إلى إخماد أنفاس الدين والمتدينين ...

بعد هذا الزمن الطويل ، والجهد المبرر ، وجد (الإلحاد العلمى ١) أنه فى حاجة لعقد مؤتمر : « لبحث موضوع مخلفات الدين الإسلامى ... ووسائل التغلب عليها ١ ، ٢ » .

وتولت الدعوة إلى هذا المؤتمر جامعة حكومة داغستان ، وجمعية نشر المعارف السياسية والعلمية فيها . واشترك فيه ٣٥٠ شخصا من مدرسى التعليم العالى وممثلى الجمعية ، والعاملين فى ميدان الحزب ، وفى ميدان الانتاج ، والعلماء والكتاب ...

وكانت كلمة الافتتاح : « يتعين على المؤتمر أن يقدم للعمال مساعدات كبيرة فى الميدان المذهبى ، وأن يزود المحاضرين الإلحاديين بمواد واقعية للقيام بدعاية علمية إلحادية على أساس أحدث ما تحقّق فى ميادين العلوم والتكنولوجيا والعلوم الطبيعية ، وأن يعم الخبرات التى جمعتها المنظمات المحلية أثناء قيامها بهذه المهام بين العمال الكادحين ... » .

حيثيات اللهم إلا أن الشعب « عاوز كده » .
والواقع أن سالم فقدّر بعد الأثر السيء
الخطير الذى يصيب المجتمع من جراء الأغنية
الخليعة ، التى أصبحت تمثل جزءاً من كيان
المراهقين والمراهقات ، وأشهد أنى حين
كنت مدرسا منذ سنوات فى إحدى مدارس
البنات الإعدادية ، أزعجنى استعصاء حفظ
النصوص الأدبية على تليذات الفرقة العليا ،
وتلاشى هذا الإزعاج حين أجريت تفتيشا
على أدراجهن فوجدت خمسا وثلاثين من سبع
وثلاثين يحتفظن بأغاني مطربى ومطربات
العواطف ، تلك التى طبعت ، وكانت تباع
بملاليم أمام أبواب المدارس .

ومنذ أقل من عام اطلعت على خطاب
عاطفى أرسله طالب بالسنة السادسة الابتدائية
فى إحدى المدارس المشتركة إلى مدرسته الشابة
يفيى غزلا ، وكان من صفحتين طويلتين
عريضتين ، ولم يهمل جانبا من جسدها دون
أن يتفرس فيه ليتغزل ، أما مادة الخطاب
العاطفى فقد استمدّه الطالب بلباقة من الأغاني
العاطفية المسفة .

ونحن إزاء هذه المشكلة لا تدفعنا المغالاة
إلى المطالبة بإلغاء الأغاني العاطفية من حياتنا
ولما نطالب بالسمو بألفاظ الأغنية حتى تضفى
على إحساساتنا ومشاعرنا مسحة من الرفاهية
البريئة ، وبالسمو بالأداء حتى لا يكون أداة
لإثارة غرائز المراهقين والمراهقات .

وسوف نناقش فى هذه المجلة (موضوعيا)
بعض المسائل التى أثّرت فى هذه التقارير . .
لنعرف مواضع الهجوم ، وتبين أساليب
الدفاع .

ولعل دعاة الإسلام يتقدرون ضخامة الجهود
التي تبذلها أجهزة كبيرة مستعدة . . . ما بين
شرقية وغربية .

ويلتقى على حرب الإسلام (الماديون
الملحدون) و (المبشرون المتدينون) . .
والله المستعان على ما يصفون

فتوى عثمان

حول مشكلة الأغاني :

بدأ أحد الصحفيين المستمين إلى إحدى
دور الصحف الكبرى فى القاهرة حملة شعواء
على الأغاني الخليعة التى احتلت الجزء الأكبر
من برامج الإذاعة .

وكانت الحملة من القسوة بدرجة أثارت
ثائرة الذين أطلقنا عليهم عن رضا وطيب
خاطر لقب « الفنانين » فدافعوا عن أنفسهم
على موجات الأثير وفوق صفحات الصحف .

ولقد جاءت حيثيات الصحفي الذى تولى
الحملة قوية اعتمدت على عرض بعض عبارات
مشيرة من الأغاني الهزيلة ، التى يرددّها الشباب
الغض من الجنسين ، والتي لا تليق بشعب
يريد أن يكون جادا لا عابثا ، وذا عزمة
صارمة لا متخاذلا ، كما جاء دفاع الفنانين بدون

أفلامنا السينمائية الهزيلة التي لا منبج لها ولا هدف .

إن أفلامنا هذه لا زالت دائبة على لصق صور مثيرة مغرية ، تقشعر منها النفوس ، تراها كل لحظة على الجدران وفوق لوحات الإعلانات ، في أضخم وأهم شوارع المواسم ، ويقولون : إن هناك رقابة على الأفلام وإعلاناتها ، ولكن يظهر أن الرقابة في واد ، ومهازل الأفلام في واد آخر . إن مجتمعنا محترماً يريد أن يثبت أن له كياناً لا يقبل بحال أن تسلط عليه مثل هذه المهازل التي تتمثل في أغانيها وصحافتنا وإذاعتنا وأفلامنا .

ولكن يظهر أن الكارثة أصبحت أضخم من أن تعالج ، لأن مهازلها تسد فراغاً لا يمكن أن يسد بدونها .

والمجمع هو الضحية أولاً وآخرأ .

محمد عبدالقادر السمانه

فوالقريبن عربى مؤمن :

سأل أحد قراء مجلة المنار الغراء أستاذنا الإمام السيد محمد رشيد رضا عن ذى القرنين المذكور فى القرآن ، فأجاب بأنه عربى من أذواء اليمن ، كذى نواس . وذى رعين ، وذى يزن الخ .

وبأتى دور المؤلف فى الدرجة الأولى ، كما بأتى دور الملحن فى الدرجة الثانية ، فالألفاظ السامية قد تحمل الملحن على احترام ألحانه ، ولكن مؤلف الأغنية العاطفية اليوم محترف ، أصبح كالخباز إذا بطون جامعة لم تستقبل طعاماً منذ أسابيع ، فهو يستطيع على أحد المقاهى أن يؤلف أغنية قبل أن يذتهى من رشف كوب من الشاي ، وكثيراً ما سمعنا أن أحد مؤلفى الأغاني العاطفية — وهو على سرير المرض — أملى أغنية عاطفية بالتليفون على أحد الملحنين ، وأشك أن يكون لمؤلف الأغاني العاطفية اليوم صلة بالأدب العربى ، ولا بلغة العرب ، إذ الألفاظ العامية المتبدلة لا تحتاج إلى هذه أو ذاك ...

ولكن لم نلق اللوم كله على المطرب أو المطربة أو الملحن ، ونذع الإذاعة والمشرفين على توجيهها . ألا يستطيع هؤلاء المسؤولون وضع حد للبهزلة ؟ نحن فعلم أن هناك جهازاً يسمى « لجنة الاستماع » ، ولا تمر أغنية دون أن يقرها هذا الجهاز ، فهل تأكد إلى درجة فقد معها حاسة الاستماع ؟ .

وبعد

فليست الأغاني العاطفية المسفة وحدها تمثل الخطر الأكبر ، فهناك الصورة الخليعة ، والقصة الخليعة ، والتمثيلية الخليعة ، ثم

لذى القرنين . فذو القرنين معروف للناس
يؤرخون بتوليته الملك كما يؤرخون بتولية
كسرى أنوشروان وبالحوادث العظيمة
الشان . ويورد النظام النيسابورى فى تفسيره
هذه أقوال فى ذى القرنين منها أنه من أذواء
الين . وأرجح أن ما تقدم كاف كفاية قوية
لنفي الفارسية عن ذى القرنين وإثبات أنه
عربى بمنى بشهادة عمدة التاريخ وأستاذ المحققين .
ثم نرجع إلى إيمانه فاسمع ما يقوله الله تعالى :
قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ
فيهم حسنى . قال أما من ظلم (أشرك) فسوف
نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً .
وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى
وسنقول له من أمرنا يسراً ، وأنت عليم
بأن من يخاطبه الله تعالى بهذا الخطاب ويحييه
بما أجابه به ، لا يتصور أن يكون أسكندر
المقدونى الوثنى المشرك ولا قورش الفارسى
الكافر .

أبريلى

حافظ حسن البطة

خان يونس بفلسطين

قال الأستاذ الشيخ يرد على كاتب مجلة
المشرق اليسوعية فى قوله :

« إن القرآن الكريم ذكر إسكندر
ذا القرنين بما لا يوافق أخبار التاريخ
المحققة » : وجوابه أن ذا القرنين المذكور
فى القرآن ليس بإسكندر المقدونى وإنما هو
أحد أذواء الين ، ولو خالف أخبار التاريخ
(أى القرآن الكريم) لكان ما خالفها فيه
هو الحق . ٥١ . كلام أستاذنا وأنت تراه
قد حصر أن ذا القرنين من أذواء الين .

ويقول الإمام ابن خلدون فى الجزء الثانى
من تاريخه صفحة ٥٢ مطبعة النهضة : « ثم
ملك المنذر بن امرئ القيس وهو ذو القرنين
لضفيرتين كانتا له من شعره ، . وأمه ماء
السماء بنت عوف وصل نسبها بالنحرب قاسطة
الذى تملك تسعاً وأربعين سنة . فالعرب
تعرف من أسماء ملوكها اسم ذى القرنين .
ولما أرخ ابن خلدون مولد رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال إنه كان فى عام الفيل
لأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان
وقيل ثمان وأربعين وثمانمائة واثنتين وثمانين

من الصحف والمجلات

تصدر الرئاسة الدينية الإسلامية بسيراجيفو من الجمهورية الشعبية الاتحادية بيوغوسلافيا مجلة إسلامية شهرية باسم « غلاسنيق » تعنى بشئون الإسلام والمسلمين باللغة اليوغوسلافية ، وتلحق بكل عدد منها خلاصة باللغة العربية لكل ما نشر فيها من آراء وأنباء ، وعن ماحق عددها الصادر في سبتمبر سنة ١٩٦١ . فنشر هذه المقنطفات :

الإسلام في فيليبين :

ألقى الحاج أحمد آلتودوموكو عضو مجلس الشيوخ والسفير الخاص لرئيس جمهورية فيليبين وزعيم مسلمي فيليبين في قاعة كلية الشريعة بجامعة دمشق محاضرة حضرها جمع غفير من الوزراء والأساتذة والطلاب وكبار رجال الدين والعلم والأدب .

اقتطفنا من هذه المحاضرة المنشورة في مجلة « حضارة الإسلام » بعض المعلومات عن مسلمي فيليبين وقدمها لقراء مجلتنا « غلاسنيق » .

دخل الإسلام في بلاد فيليبين قبل ستائة وثمانين سنة ، عام ١٢٨٠ م على يد القاضى مقدم من الغرب ثم توالى غيره من تجار العرب ونشروا الإسلام وأسماوا دولة إسلامية أخذ عدد المسلمين في ظلها يزداد يوما إلى يوم

حتى جاء الأسبانيون واحتلوا البلاد وحكوها أكثر من ٣٥٠ سنة ذاق المسلمون فيها من حكمهم الاضطاد والظلم .

يعيش الآن في فيليبين ٣ ملايين من المسلمين وهم من جراء ما لاقوا طوال قرون كثيرة من الظلم والاضطهاد ، في تخلف وتأخر . ولكنهم أخذوا في التقدم ، ولهم اليوم نشاط لا بأس به في النهوض بحياتهم الدينية ، وبينهم الآن ثلاثة من علماء الأزهر يرشدونهم إلى الصراط المستقيم . وقد أوفدوا إلى الأزهر ٨٣ طالبا ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

فولتير ومأساة : « محمد » :

واصل الأستاذ أنور بن طاهر بحثه عن فولتير وموقفه من الإسلام فأتى بتحليل نفسه وشخصيته تحليلا علميا دقيقا لم يسبق إليه .

أنتجته عبقريته وقريحته في هذا الحين إنما يمثل في الحقيقة دفاعا قويا عن الحق والحقيقة. فأنت ترى في مؤلفاته التي ألفها في هذه الفترة وهي : البحث عن العادات، ومحمد، والجزيرة العربية وقاموس الفلسفة، والقرآن الحكيم، والمسلمون : وغيرها ترى فيلسوفا جديدا غير الذي كنت تراه في مأساته : محمد، ترى باحثا مدققا لا يتحرى في بحثه إلا الحق، ولذلك تجده يدافع في مؤلفاته المذكورة عن الإسلام وعن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول : إن القرآن أفضل مجموعة من الأحكام وخير قانون أخرج للناس وإن محمدا غير وجه أعظم وأجمل جزء من العالم، وأحدث انقلابا عاما جاء بفوائد لا تقدر في صالح البشرية :

هذا هو الفيلسوف فولتير الذي أراد أولا ، لأغراض غير شريفة ، أن ينال من الإسلام فكتب ما كتب ثم اهتدى إلى الرشد واختتم حياته بخير خاتمة في الدفاع عن الحق ...

هكذا ظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا — صدق ربنا العظيم ...

أوروبا والإسلام :

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين

كان فولتير في أول الأمر ، مع الأسف الشديد، بمن بذلوا جهدهم وسعوا في هذا السبيل وقد ألف ، كما رأينا في العدد الماضي ، عدة مؤلفات أراد بها النيل من الإسلام ومن رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق الأكاذيب والمفتريات ولسكنه لما نضج وأفاق رجع إلى الحق واعترف بكل صراحة بتطاوله على الإسلام وبأنه نسب إليه ما لا صلة له به كذبا واقتراء .

وإذا أردت أن تقف على حقيقة تطورات الفيلسوف فولتير وتغير رأيه في الإسلام ورجوعه إلى الحق واعترافه بأخطائه وضلالاته فعمليك بالاطلاع على رسائله التي كان يبعث بها إلى أخص أصدقائه ، وقد أعرب فيها عن أسفه الشديد على محمد لا فترائه ، وادعائه ما ليس بحق واتخاذها الأكاذيب والأباطيل وسيلة لتلقى البابا وبعض المسالوك عملا بقاعدة : للغاية تبرر الوسيلة .

وفق فولتير في الطور الأخير من حياته في أن يتحرر من ربة العبودية للبلوك والكهنيسة والرأى العام المسيحي الذي كان سائدا في عصره وأصبح مستقلا في آرائه وأفكاره وأخذ يفكر تفكيرا عليا صحيحا مبينا على المنطق والعقل لا على التلقيق والأكاذيب والمفتريات كما كان شأنه من قبل . ومن هنا ظهر لنا الفيلسوف في لونه الحقيقي ، والذي

بحوث قيمة في هذا الموضوع نشرتها له مجلتنا وهو لا يزال يواصل مهمته .

معنى العلم في الإسلام :

رفع الإسلام من شأن العلم بحيث جعله خير العبادات . جاء في الأثر أن فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، وقال سبحانه وتعالى في أول آية نزلت على الرسول : « اقرأ باسم ربك الذي خلق — هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وقد جعل الله الرجل خليفة له في الأرض لما أودعه فيه من ملكة العلم والمعرفة وسخر له جميع ما في الأرض والسموات وفضله على سائر المخلوقات حتى الملائكة .

لذلك اهتم المسلمون الأولون بنشر العلم وفتح المدارس وأولوا عناية عظيمة للتعليم . كانوا لا يفرقون بين علم وعلم لأن العلم في نظر الإسلام واحد . العلوم كلها إسلامية فلا يوجد علم ديني وعلم غير ديني . أما الذي وقع بعد ذلك من تهجين العلم إلى ديني وكوني فهو باطل لا أساس له في الإسلام . الإسلام دين ودنيا وهو يؤدي إلى سعادة الدارين — « ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » .

سلك الأولون هذا المسلك في فهم الإسلام ففهموه على أنه دين ودنيا فكانت مدارسهم

وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية على حد قول الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى السباعي — لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام فأعادوا الكرة ثانية وانجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيقتنموا ، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية حاولوا إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين ، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم ، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيديهم من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية فيفقدون الثقة بأنفسهم ويرتمون في أحضان الغرب .

وقبل أن نختم هذه الخلاصة نذكر أن مسلمي يوغسلافيا يتابعون ما تنشره أوروبا من الدعاية ضد الإسلام لأغراضها المختلفة السياسية والدينية فيقومون بمهمة الرد وكشف نيتها ومقاصدها الخسيسة . وقد قام خصيصاً بهذه المهمة الأستاذ أنور ابن طاهر من أبناء البوسنة والمهرسك ومن المثقفين ثقافتة عصريّة وله إلمام تام بعدة لغات أوروبية يساعده على تتبع ما كتبه علماء أوروبا من المستشرقين . وله

ويذكر المؤرخون أن بعض تلك المكاتب كان فيها من الكتب أكثر من ثلاثة ملايين كتاب ، أما مكتبة بغداد التي ألقت جيوش المغول بكتبتها إلى دجلة حيث كنت تستطيع أن تعبر عليها النهر ، فشرتها تغنى عن ذكرها .

الاسلام في أوروبا :

يختتم الأستاذ عبد الرحمن حوفيتش بهذا البحث سلسلة من مقالات قيمة تناول فيها موضوع دخول الإسلام في أوروبا ، وقد تعرض في مقاله الأخير لحالة الإسلام الراهن في أوروبا .

حاول المسلمون كما علمنا من المقالات السابقة ، في عهد الصحابة رضی الله عنهم ، الدخول في أوروبا من ناحية الشرق ، فلما فشلت محاولاتهم المتعددة لفتح القسطنطينية اتجهوا نحو الغرب وفتحوا الأندلس ودام حكمهم فيها حوالي ثمانمائة سنة .

وفي نفس الوقت الذي قضت فيه محكمة التفتيش على الإسلام والمسلمين في الأندلس فتح الأتراك القسطنطينية وتوغلوا في أوروبا واستولوا على شبه جزيرة البلقان واستمر حكمهم في اليونان وبلغاريا ورومانيا وصربيا والبوسنة والهرسك وفي جزء من الجبل الأسود وبلغاريا أكثر من خمسمائة سنة .

تدرس فيها جميع العلوم ، كان العالم فقيها فيلسوفا طبيبا رياضيا طبيعيا جغرافيا كيماريا ، كل ذلك في آن واحد . ألا يكفيك أن الراهب الفرنسي جربرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م تعلم في مصاهد الأندلس . يقول الأستاذ الكبير مصطفى السباعي في بحثه : الاستشراق والمستشرقون :

من المؤكد أن كثيراً من الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وقتلذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات ، منهم بطرس المحترم ١٠٩٢ - ١١٥٦ وجيراردى كريمون ١١١٤ - ١١٨٧ وغيرهما .

قامت المعاهد الإسلامية في العصور الأولى من تاريخ الإسلام على فكرة عدم التفرقة بين الدين والاجتماع فكان للمسلمين ما كان من المجد والعظمة في جميع ميادين الحياة .

وقد ذكر السيد وهبي حوفيتش في المقال المذكور المراكز العلمية التي ازدهرت فيها العلوم ازدهاراً لم يعهد له مثيل ، من تلك المراكز بغداد والقاهرة ودمشق وفاس وقرطبة وغرناطة وسمرقند وطاشقند وترمز وبخارى وآستانة وغيرها ، وهذه المراكز كانت مصدر نشاط علمي وأدبي وفني وثقافي وكانت مليئة بالمعاهد العلمية والمكاتب ،

تبرير احتلاله للبلاد الإسلامية واستغلاله لثرواتها .

ولاشك أن هذه الدعاية القوية المشتركة ضد الإسلام أثرت في رأى العام حتى في نفوس بعض الضعاف من المسلمين .

والحقيقة التي لا سبيل إلى إنكارها والتي أخذ المؤرخون المنصفون يعترفون بها أن حكم الإسلام في أوروبا كان يمتاز بالقسامح التام والعدالة والمساواة وأنه دوره كان إيجابياً تقدمياً .

أما في الأندلس فلا حاجة بنا إلى الكلام فيه . فمن المعلوم أن الإسلام أتى في الأندلس بمعجزات في جميع ميادين الحياة ، فمن الثابت ثبوتاً لا شك فيه أن الحضارة الأوربية قامت على أسس وعلوم أخذها الأوربيون عن مسلمي الأندلس ، وللإسلام نصيب عظيم في حركات أوروبا العلمية والسياسية التي خرجت بها من ظلام القرون الوسطى وتخلصت من ربةطة وطغيان الكنيسة وتحورت حياتها الفكرية من استبداد الكهنة والرهبان .

أما في بلاد البلقان فدور الإسلام فيها لم يكن أقل أهمية من دوره في بلاد الأندلس وخصوصاً في العدالة الاجتماعية ، وقد ترك الإسلام في البلقان من المؤسسات الاجتماعية ما يمكن لأعظم الدول حضارة

وعما يجدر ذكره هنا أن الإسلام زال من الأندلس بزوال حكمه فلم يبق هناك أحد من المسلمين بعد ذهاب سلطتهم ، ولم يقع مثل ذلك بالإسلام الذي دخل في أوروبا من ناحية الشرق فإنه لم يزل بزوال حكمه ، وإنما صمد وبقى إلى الآن برغم ما كان يتعرض له من الاضطهاد والانتقام في بعض البلاد ، فأنت ترى اليوم الأقليات الإسلامية في جميع البلاد المذكورة التي حكمها العثمانيون .

وفوق ذلك فإن الإسلام في أوروبا أخذ في هذه الأيام يبدى نشاطاً لا بأس به في سبيل توسعه ونشر مبادئه وتعاليمه ومثله ، ففي فترة حايين الحربين العالميتين وما بعد الثانية انتشر الإسلام وجاوز حدود البلقان فتجد اليوم المراكز الإسلامية في معظم بلاد أوروبا وأمريكا ، فهناك في أغلب عواصمها ومدنها الكثيرة مساجد يذكر فيها اسم الله وتقوم برسالة الإسلام .

حاولت بعض العناصر المتطرفة من المسيحيين والقوميين تشويه الدور الذي لعبه الإسلام في أوروبا فجعلوا حكم الأتراك في البلقان عنواناً للظلم والطغيان والاضطهاد والقتل على أشنع وأبشع أساليبه .

وقد رحب الاستعمار بهذا التشويه وشجع القائمين به وقدم لهم كل مساعدة راجياً بذلك

المسلمون في اليونان :

في اليونان طائفة إسلامية يصل تعدادها إلى ما يقرب من ١٥٠ ألفاً . منهم ١٠٠ ألف في تراقيا الغربية و ٢٠ ألفاً في دودكانيز و ٣٠ ألفاً في يانيا وأغلبهم ينتمون إلى أقلية تركية ومنهم أيضاً جراكسة وبوماق (الصقالبة) وأرناؤد .

وليسك بعض المعلومات عن حياتهم الدينية : المفتى هو الرئيس الديني الأعلى والمشرّف العام على الحياة الدينية لمسلمي اليونان . ويوجد ثلاثة مفتين وبجانهم هيئة دينية تنتخب أعضاها لمدة أربع سنين . ولمسلمي اليونان أربع مدارس دينية ثانوية لتأهيل وإعداد الأئمة والوعاظ والخطباء ، وأكثر من ٣٠٠ من الكتاتيب لتعليم الأطفال مبادئ الإسلام . ولهم كذلك عدد عظيم من المساجد وثلاث جمعيات : جمعية اتحاد الإسلام وجمعية انتباه الإسلام وجمعية شبان الأتراك . وهذه الجمعيات تصدر أربع مجلات

أن تفتخر وتعزّبه اليوم . ففي عهد الحكم الإسلامي ما كنت تجد مدينة حتى ولا قرية إلا وفيها بيت المسافرين الذي كان يمكن للمسافر أن يبيت فيه ويأكل مجاناً ، وكذلك ما كنت تجد مدينة في البلقان إلا وفيها مطاعم عامة تقوم بإطعام الفقراء مجاناً ثلاث وجبات كل يوم بدون تفرقة بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين واليهود .

ومن ميزات حكم الإسلام في البلقان عنايته الشديدة بالنظافة . فكان الأتراك لا يألون جهداً في تزويد البلاد بالمياه وفي إقامة الأسبلة والحمامات العامة فكان في القرن السابع عشر أثناء عهد الأتراك في مدينة سراييفو مثلاً عاصمة البوسنة والهرسك ١١ من الحمامات العامة واليوم لا يوجد فيها أكثر من حمامين .

هذه الأمور لا يجوز إغفالها وإهمالها عند النظر في الدور الذي لعبه الإسلام في بلاد البلقان . ولا بد من الملاحظة هنا أن نصيب مسلمي يوغسلافيا وعلى وجه الخصوص مسلمي البوسنة والهرسك في تلك الخدمات الاجتماعية العامة كان غير قليل .

These crimes were those which represented aggression against the citizen's right for self-determination, property and his immediate family. The ruler was entrusted with the execution of these defined punishments according to what he considered the best way of bringing about an orderly society. The ruler's aim was to provide tranquility for the citizens and security for their lives, property and immediate family.

This right which Islam gave the ruler is the "executive right" which is one pillar in the state system of the modern society. But Islam, nevertheless, concentrated its primary attention on the reliance of the conscience of the people. Conscience is the creative power in the faithful individual. The ruler could not apply punishment in the absence of strong evidence. The Prophet, peace be upon him, says: "No punishment in lack of strong evidence". This shows the desirability of preventing the application of the prescribed punishment for certain crimes unless there is strong evidence against those who committed the crimes and consequently leaves room for the conscience in constructing the relationships among the citizens.

Islam, therefore, could not conceive of true believers committing such crimes, for the true believers

are guided in their actions by the fear of God which crystallizes their conscience. The Prophet says: "The one who commits adultery would not do so if he were a true believer. He would not drink alcohol if he were a true believer. He would not steal if he were a true believer."

1) Thus, the foundation of the executive authority, which is one of the pillars of the state system in modern society, is also found in the nation which is the creation of God, but with the stress on conscience and belief in God. Belief in God is the path which leads to belief in humanity and brotherhood and consequently to cooperation, equality and happiness in life. Therefore, what the state system lost in neglecting the conscience of the individual by its complete reliance on the executive authority is found in the nation of God in addition to the executive authority and at the same time preserving the dignity of the human being. Human dignity is exemplified in the freedom of the individual and his free will in work and action. For this, the nation of God is far above the other societies which are controlled by outside force.

(Continued . .)

such a nation, its function would be to correct deviation which occurs in every society. However, security and tranquility among the people of this society depend, first of all, on conscience and understanding of the values as well as the difference between right and wrong instead of depending on the executive authority exerted by the state. It is the nation which has humanistic moral goals. From the beginning of its existence its targets and aims in life were clearly defined. These aims were humanity and discipline.

The individuals of this nation, at the time in which their moral and humanistic behavior sprang from their conscience and innate strong drives, carried the responsibility for guidance to the degree that every individual was the guardian of himself as well as of the others: "all of you are guardians and all of you are responsible for those who are under the guardianship". Man is guardian and he is responsible for his family, the woman is guardian in the home of her husband and she is responsible for her children, the servant is guardian of the property of his master and he is responsible for what he is entrusted with, therefore all the people are guardians and all of them are responsible for what they are entrusted with. Besides this responsibility of guardianship assumed by

every individual in this nation, there existed the elements of personal freedom and collective cooperation among all the individuals. The extent of personal freedom, therefore, is limited by the conscience of the individual himself and his sense of responsibility for his activities. The source of collective cooperation is the sense of guardianship felt by each individual in his particular environment and the understanding of the environment of others and they all form one cohesive society. This means that when one takes care of himself in his particular environment, he provides for the others equal chances for coexistence. When man takes care of himself he knows his limitation according to his possibilities or to the conditions of society in which he lives.

As we mentioned before, the dependence of conscience which relies on the belief in God and his observance does not abolish the nation's need for the executive authority. But this authority does not play such an essential role as it does in the state system of the modern society.

Islam, which is the distinguished nation as the creation of God, gave the ruler the right to punish those who committed crimes in society.

explicitly for fear that the executive authority may harm them.

In brief, modern society by adopting the state system imposed disciplinary order on the individuals who obey regardless of their free will, and it is this free will that distinguishes man from other living creatures. In modern society the individuals are faced with the psychological struggle between the authority of state and religion. Modern society as a whole is not excluded from this struggle no matter how hard it tries to bridge the gap between the state system and belief in religion.

2. The Nation which God Created

"You were the best nation shaped for men, for you demand goodness, prevent evil and believe in God". This is the nation that God created. It is the nation which knew good and evil and consequently demanded goodness and prevented evil and believed above all in God. It is, therefore, a nation with human maturity, discipline as well as high morals. It distinguished right from wrong and knew the ultimate truth: the divine being. This nation was disciplined, it did what was supposed to be done and avoided what man was supposed to avoid. It is a nation with strong will power as well as free will. It was able to distinguish

between the patterns of human behavior and picked out the pattern which best represented true humanity.

It is a humanistic nation with true humanistic virtues. It does not interpret life in the light in which man tends to see it, but rather looks at it the way God wants it to be. This nation does not stumble on its way through life for it does not follow the path of man who is constantly under controversial and different influences, for he is the product of his particular environment, heredity, special indoctrination, political, religious or sectarian.

The individuals of this nation are not coerced to do good and to evade evil, but they choose their way voluntarily. A nation whose individuals have ambition and pride and whose actions are motivated by conscience is founded on the belief in God and His observance. And God is the center of all their higher values and ideals towards which the individuals strive and direct their actions.

The society of such a nation is a society without any surveillance system. It has no coercion for it does not need executive authority as fundamental basis of the state system. If an executive authority existed in

the church assumed in directing human life. It is the system of the "human age" and the human age is nothing but the period in which the human being sought to be independent of "control or guardianship" from any other source but himself. It is this period in which man became self-reliant to such degree that he overestimated the human mind and what it creates. The system of the state, therefore, is the outcome of human philosophy, born from the self-recognition of man. Man, the owner and sustainer of this system, gives it its higher value as long as he believes in the independence of the human mind and its creativeness.

The original logic of the state system in modern society, according to this human philosophy, is the result of underevaluating the existing guiding values, which came out of religious missions, not originating from man, and which is the message from heaven. Perhaps the communistic society, at the present time, is the best example of following this logic. Other modern societies follow the same line but differ in degree. The greater the "duality between the state system and the faith in religion" the greater is the conflict of that society with the logic of human philosophy on which the state system is founded.

From another point of view,

perhaps, this conflict is inherent in the system of the state itself, for the structure of society is the exact pattern of the life of the individuals. But if the structure of society reflects the life of the individuals, the individuals themselves are the cells of the new as well as of the preceding society. It is not easy, even impossible, that individuals, after adopting the new system of society, detach themselves completely from old beliefs that are deep-rooted in their hearts. Therefore, the leaders of the new system of society try to keep the two aliaat elements, the modern state system and the system in which religious belief was prevailing. They follow this policy in order to maintain popularity among those people with strong religious belief.

This policy that the leaders of the new society seek to employ is actually a manifestation of the struggle between two powers, each of which desires to have the upper hand in guiding and orienting man's life: religion or state?

The claim of the communistic society that it follows the logic of human philosophy by excluding religion from the system of society has no solid ground, for the individuals in such a system still express their belief in religion in different ways even though they don't declare it

from the factor that the legislators are influenced by their social background, environment, or the consideration of the people in power.

3) Neglecting the importance of the collective spirit in the relations among individuals to the degree that "individualism" became the prevailing feature of these relations.

The state system as seen cannot yield different results, for it is the product of man, and man is that being who has wisdom, mind, and drive. Man is the one who goes through the physical processes of infancy till adulthood. He is the changing being who plans but does not create. His plans may materialize one time and fail another.

The architects of the state who constructed its system and advocated its validity thought that separation of the three authorities is sufficient guarantee for justice towards every citizen and for protecting the individual's rights: the right of freedom, of expression, belief and property ownership. They thought that this system was sufficient to bring about cooperation and strengthening social relations among the citizens. Separating the authorities, they claimed, is another check on the executive authority lest it trespasses the boundaries of the legislative and/or the judicial authority.

But the shortcomings inherent

in this system does not spring from the fusion of the three authorities and can be corrected by such separation. Its fundamental defect results from enforcing control by outward coercion: the "police force" or the "security force" machinery. The state system relies on the "detective apparatus" regardless of whether people obey because of their belief or conviction in the validity of this system or not. This system, therefore, "pushes" the people to obey much against their true will. As a result it cannot suit man's nature which is distinguished from the nature of other kinds of living creatures. The actions of man are neither automatic nor the reflection of his nervous system, but rather the outcome of his flexible drive. His obedience or disobedience should come out of his volition or "free will" which springs from his innate conviction.

Man, the owner of this system in modern society, overestimates himself. He, as a matter of fact, exaggerates his own value and the value of his work. The state is the work of the human revolutionists who rebelled against being influenced and instructed by others — no matter how superior or wise the ruling power was.

The state system is the product of the European revolutions which opposed the influence of religion which in the past, exerted on the human mind and the responsibility

a high degree, on the three authorities. These authorities neither create conscience nor initiate conviction, but rather force the citizen to follow and obey.

In drawing up the system of the communistic state, Karl Marx imagined that withdrawing the capital from the citizens and placing it in the hands of the state alone would eliminate the need for the "police" authority as a tool of security in the communistic state. The vindictive feelings as well as the friction among the citizens, he claimed, would be minimized once equality prevailed and the state owned the capital and paid the workers fair wages.

By eliminating the source of friction, Karl Marx envisaged the structure of a happy state which would not require control from above. Despite the withdrawal of the capital from the citizens and its concentration in the hands of the communistic state, the surveillance over the citizens because pervasive and intensified. That is because the state system in itself is founded on strict control over the people. This control did not spring from conscience or original creative power mobilizing the individuals towards the goal of society.

It is evidently clear from the system of surveillance the extreme

importance the state attaches to the executive authority. This is apparent from the size of security-apparatus, and the numerous devices of control it exercises over the people. The great attention the state pays to the executive authority is again evidence that without the physical power, concentrated in the executive authority, the web of society would tear and the relationships among people, would result in chaos.

Apparently the state system seems to enclose the relationships among the people in the social frame, but in fact, the social relationships were not formed in this system. Individualism become the factor which shapes the relation - and inter-relationships, for the numerous types of crimes reveal so many kinds of friction among the individuals of the society and consequently the superficiality of the state system is trying to cover these disharmonious relationships.

Thus, there are three factors characterizing the state system in the modern society :

- 1) Neglecting the importance of the conscience, or neglecting the importance of the creative drive of the individual toward collective work.

- 2) Neglecting the law to represent public welfare, justice, or equality of opportunity. This stems

is the ultimate value of society to protect its individuals and the purpose for which society exists.

The executive authority executes the law as codified by the legislative and applied by the judicial branch. The division of authority necessitates specialization in each field. The purpose of this specialization is to secure a high degree of perfection for the protection of public interest. This public interest may be harmed by entrusting this function to a non-expert.

This separation of powers entrusted to specialized persons enables the state to protect public interest and to ensure justice for its citizens as well as to provide equal opportunities in life. This improves the relationships among the people and fosters the spirit of cooperation to realize the ultimate aim of society. The system of the state, according to this conception, is an ideal one, but when applied, this system seems to be concerned only superficially with human behavior rather than exerting any influence on the people to work towards the ultimate goal set by the system of the state. The actual system of the state is concerned with the artificial picture of justice and the picture of public interest rather than urging the individuals to behave justly and to perform

public interest by way of shaping their conscience.

The system of the state in modern society is imposed on the people by the executive authority. The subjects have to abide by the law which is codified by the legislative authority. Some people may not believe in the justice of this law or its suitability to their welfare as citizens of society. As to the law, no matter how carefully coded, the legislators themselves are exposed to so many kinds of influence. They may be influenced by high state officials, the environment in which they live, specific orientation, or particular outlook on life. Therefore, law is not necessarily the embodiment of justice, not is it the reflection of the "spirit of abstract" which should guide in the making of the law.

The stability of state which rests on the individuals of the society, depends on the system of vigilance which is the machinery of executive authority. A shake-up of the state system as well as a fading of the relationships of the individuals in the society depends on the degree to which this apparatus succeeds to implement the law. That is, because the state system, as mentioned before, did not lay down as its principle the shaping of the creative conscience, but rather depended, to

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by

Dr. Mohammad El-Bahay

Director General of the Islamic culture Administration

1 — The State that Man Made:

Modern society is distinguished by the system of the "state", that is, society has executive authority delegated to what is called government. Society also has law codified by man and implemented for the sake of the citizen. Its legislative authority may amend or change an article or more of its constitution according to the circumstances the society and the surrounding conditions as seem fit for the existence or defence of society.

Thus exist three authorities: executive, judicial and legislative authority, each of which has specialized functions. However, on the whole, these three authorities cooperate in order to protect the structure of society as well as enable the individuals to perform their duties cooperatively in society and to strive towards the goal which unified them as a state.

The function of the legislative

authority is to codify the law for organizing the inter-relationships of individuals, protecting their freedom of expression and belief, their rights to property, guarantee private life, and personal freedom. The legislative authority also provides equal opportunities for every citizen at every level, thus eliminating opportunistic infiltration initiated by outside elements such as religious, political or economic factors rather than personal qualification.

Since law is supposed to safeguard public interest, modern society entrusts the legislative function to a body which represents public opinion. This is done either by national election or the executive authority appoints experts in every field connected with the life of society.

The function of the judicial authority is to apply the law codified by the legislative body. In applying the law, the judicial authority should always keep in mind the purpose for which the law was codified, that

out our hopes and prospects. In this respect, we should follow our leader's footsteps with faithful hearts and pure souls. And consequently, we shall have the ability to preach Islam faithfully. From the above mentioned, we can conclude that our nation is giving a great attention to Al-Azhar and its devine message, and this undoubtedly, denotes its carefulness, particularly, to the islamic religion, its teachings and principles.

The Muslim nations all over the world look at Al-Azhar university with respectability and appreciation, they are waiting, indeed, for a great result from this reformation. Because Al-Azhar is the source of the islamic religion, as it contains the university which connects the United Arab Republic with all Arab and Muslim countries. And because it has an international position, it must teach the students both religious and temporal sciences which enable the

graduate to know his religion completely.

This new organisation will satisfy the fifty-four nations that have delegates students in Al-Azhar university and this satisfaction will streach many fields as, religion, construction, production and reformation.

I ask God to support every one in doing completely his share in the re-organisation of Al-Azhar university, and to enable him to perform his devine message in the right way. I ask God to help us all, and to guide the leaders of our revolution to do every good for the religion "God will certainly aid those who aid His (cause) for verily God is full of strength exalted in might (able to enforce his will)". " O ye who believe ! if you will aid (the cause of God), He will aid you, and plant your feet firmly " " There is no help except from God, the exalted, the wise".

our good society on solid foundations: Equality, fraternity and peace. We became a nation with self-sufficient production. Before the revolution, we were depending upon the foreign nations for our different needs, but today, our Arabic factories which produce and manufacture all kinds of goods, are spreading here and there. So, we are now the masters of our selves, depending not on East or west, but only on the help of God and our hands. Hence, we deserve to be the moderate nation as Qur'an states in the following verse "Thus we have made of you an ummat (nation) justly balanced, that might be witnesses over the nations, and Apostle a witness over yourselves".

(Surah the Cow, verse 143).

The advent of Islam had cleared the situation of both believers and unbelievers, it was the revolution of belief against the idolatry. In this respect Qur'an says: "O ye who believe, truly the pagans are unclean, so let them not, after this year of theirs, approach the sacred mosque. And if you fear poverty; soon will God enrich you, if He wills, out of his bounty, for God is all knowing, all wise".

(Surah the Repentance, v. 28).

Our revolution - by the grace of

God - declared its situation in relation to the imperialists. In olden times, it was the will of God to purify the land of Mecca from the idolators and their supporters, and in the present times, it is his will to clean our land from the imperialists and their followers. As a result of that, all our conditions changed from the badness to the goodness, our renaissance grew in the different fields and flourished very quickly, our brothers all over the world attached to us with a solid friendliness, and our Republic became the best place for freedom, peace and satisfaction.

It is a great opportunity to celebrate two feasts in one day: The feast of our revolution against the tyranny, and the other is the feast of the scientific revolution which is completely illustrated in the new law of the re-organisation of Al-Azhar university; Al-Azhar which lightened the way of knowledge and education for about one thousand and twenty years ago, and linked the whole Muslim's hearts all over the world.

Surely, the re-organisation of Al-Azhar university is a blessed step, and it will enable Al-Azhar to perform its message perfectly. By means of this new law, we the Arabs and Muslims all over the world, can resume our activity and carry

themselves to support the tyrants, and the imperialists who possessed the wealth of the nation and humiliated its people. During this period, it happened that we mislaid the ideas of our religion, the instructions of our constitution, and set away from the teachings of our prophet. Consequently, our unity had been divided into sects and different groups, every one hated the other, so, we lived in a complete darkness.

While we were passing through this bad condition, and while we failed to know our way through this darkness, the Will of God was preparing for our good and benefit. It was the will of God to uphold us from darkness to light, from this bad circumstances to the best one, and from difficulty to easiness. God had inspired some of our faithful youngmen to revolt against the tyrants and disruption, He supported them to accomplish their revolution : The revolution of 23d Joly 1952. It was the blessings of God to grant them help and success in this revolution, to kick the tyrants out, to evacuate the imperialists, and to cause our dream to come true. It is not astonishing that the revolution has done its best to realize the dream and the hope of the people. This is because, it is the revolution of, right against the wrong, Justice against the tyranny and the revolution of freedom

against slavery and colonialism.

Hence, people believed that wrong must be defeated by right, whatever was the time it needs. This is because wrong is very weak in face of Right. The Qur'an states that wrong cannot last long time, but only right always stands longer, it says : "For the scum disappears like forth cast out; while that which is for the good of mankind remains on the earth".

[Surah the Thunder, verse 17].

Surely, it was the will of the almighty God to revive our nation and to take it out of its bad condition. He bestowed it with some faithful free youngmen who were very glad to sacrifice themselves and to revolt against tyranny and slavery, And He also supported them with his care. Consequently, they succeeded in their revolution which is a good movement, not only for Egypt, but also for all mankind. This is because it expanded freedom, fighting against slavery and aggression, wherever they are, and gave people the opportunity to take a part in their legislation and their governmental affairs.

Today, we are celebrating the ninth anniversary of our revolution, so we are very happy to succeed in our movement, which led us to form

TWO FEASTS IN ONE DAY

BY

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout
Rector of Al-Azhar University

How great and strong is, the nation which draws the way that leads it to its superiority, and the nation which is striving hard to achieve dignity and suitable standard of living which fits its situation. Indeed, there is no nation which has the ability to materialize its hope or realize its dream, unless it has a perfect spiritual personality, which provides it with good opinions and spiritual existence. It is absolutely right to say that, the nation of the perfect spiritual personality, is actually the one which deserves life, because it understands the meaning of liberty and freedom, and this is one of the strongest factors of power and immortality in the life.

Hence, God creates mindful people for the above mentioned nation, as well as, He creates free leaders who refuse humbleness, and who sacrifice their lives and property for the sake of their homeland, and for its dreams to become true. As a matter of fact, a nation which has a perfect spiritual personality, sometimes this nation comes to decline, or

rather, inclines to a weakness. And consequently, it passes its life with difficulty, and its people will live with a kind of humiliation in spite of their great number. This life of humiliation and weakness will encourage the independent and imperialist nations to try to dominate and occupy it fiercely. But the nation of the glorious past, never like to be governed by the rules of the imperialists or their regulations. Promptly, its people will strive hard to evacuate the imperialists and eradicate the dominators, and God will create among them the leader who sacrifices his life for the restoration of his nation strength and its happiness.

Our nation had passed through a crucial period of its history, it was the time of deterioration and the age of weakness, which caused man to stop his work, nation to come to deterioration and people to live almost in a complete poverty. Not only the result was that, but there were also other things, for example : the governors who ruled the country by force, the assistants who devoted

for the power of the society. This is because the existence of sects inside the frame of the society, leads to weakness and disintegration.

The agreement of Islam for the individual differences and the rule of opposition in the human life, is deferring from the communists thinking. Hence, we understand why communists are attacking Islam, and also why some of the socialist Arab writers are trying to lower the value of the Religion in man's life and replacing it with what, so called, "Science" and "Scientific way of conviction."

The Science, which is deified

by the communists is really changeable, as long as man develops and endeavours to discover for more knowledges. Consequently, science does not represent a final actuality, and it cannot be considered a way of conviction for the whole human generation, because what satisfies one generation, will not satisfy the other.

Indeed, Socialism in its correct meaning, is to distribute the wealth among the people justly, to establish friendly relations among the individuals of the society, and to spread among them peace, love and brotherhood.

the society or the relations among its individuals.

The differences or the opposition rule, should not be the factor which leads to creation of the sectarianism, or the formation of classes among the individuals of the society. This because sectarianism or classes will prevent the actual meetings among the individuals, while it is supposed that the opposition is the way to the relation among them.

Surely, sectarianism, as well as classes is social sickness, ought to be removed. But opposition, itself, is an important factor for the power of the society, and the friendly relation among its members. So, it should be raised and preserved.

President Gamal Abd El-Nasser, in his address of the ninth anniversary of the revolution, declared that the socialist's laws which were issued by the government for the social organisation, were an end for the classes system, not for the individual differences. These differences form what we mean here by "opposition".

In the following verses "God has bestowed his gifts of sustenance more freely on some of you than on others" (Surah the Bee, V. 71). " Are those equal, those who know, and those who do not know ? " (Surah the Crowds,

v. 9). " It is He who hath made you (His) agents, inheritors of the earth : He hath raised you in ranks, some above others : that he may try you in the gifts He hath given you : For thy Lord is quick in punishment : Yet is indeed oft - forgiving, Most merciful ". (Surah the Cattle, v. 165). " God will raise up to (suitable) ranks (and degrees), those of you who believe and who have been granted (mystic) knowledge ". (Surah the woman who pleads, verse, 11). Whether they indicate to the preference in means of living or in the other human abilities such as knowledges, guidance or direction. Indeed Islam means the individual differences which are very important for the society, but in the mean time, it does not aim at forming classes or sects which are nothing but obstacles before the people.

God call to the believers as follows " O ye who believe ! let not some men among you laugh at others : it may be that the (latter) are better than the (former) ".

(Surah the Rooms, verse, 11).

This call gives people a clear expression that the individual differences are not reasons for the human valuation which classes and sects are based on it. And this human valuation should be a constructional factor

it does not express any aspect of its interval development. Also, the opposition of knowledges is a natural rule, and the specialization which is arising by it, is a natural and social feature.

Actually, it is impossible that all the individuals of any society, can be physicians, geologists, economical scientists or political experiants. As it is impossible that they can be at one rank or the same level. As a matter of fact, the life of the society dictates the necessity of the opposition, which should be in its life to realize its duration and firmness.

In the society, we find the physician, and the one who does not know about medicin, but he is a man of law, engineering or chemistry. As there are among physicians who does not know any thing about law or the other knowledges. On the other hand, we notice the opposition in leadership and direction, for example: There is the leader who gives orders to be obeyed, and there are people who always obey these orders. This opposition is a natural quality and an important factor, especially, for the continuance and firmness of the societies.

The identity of the leader who orders and finds obedience, is not based on violence, compulsion and

aggression, but it is built on his intelligence, patience, the ability to face the difficulties and the well understanding of the spiritual and psychological problems of his people who exchange love with him, because he does all his utmost to realize welfare and high standard of living for them

With regard to the people who obey the orders of their leader, their obedience or acceptance springs from their love for him, and also from their understanding that he is the man of a good conduct, of ability, intelligence, of the good treatment for the internal and external crises and of the aim to realize prosperity, progress and welfare for them.

It is impossible for all the individuals of the society, to be the leaders who order and find obedience. As it is also impossible for them all to obey, unless a good one from among them, has the ability to govern them justly.

Thus, opposition, as it is very clear between male and female, it is also very obvious among the individuals, especially, between person and person, between people and their leader and vice versa. So the complete (similarity) equivalent is only a suppositive or a forged thing, and this does not express the actuality of

responsibility which man gives to himself - is the socialism that communist writers are making their utmost to convince people that it is a human principle. But their appeal does not spring from the dual human nature of both man and woman. This dual which is physical and human characteristic, is clearing and distinguishing man from woman, in addition to the other human qualities.

Indeed, there is a difference between the misapplying of man for his human quality, and between the inconsideration of the natural quality of man and woman. This quality which distinguishes, physically, man from woman. And this distinction can not be changed by the man.

The bad human conduct — whatever were its motives — never satisfies any human or social writer. But facts should be defined according to its actuality, not due to certain personal bias of the writer, who tries to make it nearer to his intention.

To handle some of the social imperfect features, it cannot be, at all, cured with denying the natural and the actual rule of the life, but by means of following the sources of imperfect feature, it self — and improving it or stifling it out of the man's social life.

(2) Moving to the other social

feature of the life, other than the family's one, we will find that opposition is very important, not only for the existence of the family as a seed of the society — but it is necessary also for the existence of the society, to assure the duration of the social life, and to last the society's power and firmness: The opposition of wealth and firmness, the opposition of enlightenment, the opposition of leadership and direction, and the opposition of abilities which some of it can be considered as a compensation for the others among individuals. Hence, these abilities join the individuals in friendly relations.

To deprive individuals, absolutely, of their possessions, or to distribute the wealth among them with complete equality, is an unnatural feature in the society. Hence, the friendly relations among them will be cut, because the compensation rule which is based upon (opposition), is not founded at that time. So Communism — in the economical field — which based upon absolute deprivation from one's personal property, is a feature against the will of the society, and this of course does not emanate from its natural development needs.

The distribution of the national wealth — with equality — among the individuals, is the feature which springs also from out of the society, as

So we have, accordingly, such two families to be members in the powerful and united society. In regulating the family relations, holy Qur'an says : "Men are the protectors and maintainers of women, because God has given the one more (strength) than the other." (Surah the women, verse 34.)

This verse expresses explicitly the importance of opposition rule which, surely, causes the comfortable and the continuous happy life of the family. This happy life will be realized after the opposition rule-openly-assures the manly characteristics of the man which force him to be a leader, and this leadership-by turn-in need of a strong personality, especially, in lack of preponderance or distinction as well.

It is obviously known that this verse does not combine any indication which gives man-according to his supposed strong personality the right to misconduct his wife, or to misunderstand the real meaning of the right which is given to him as a protector of the family. But there is no doubt that the leadership of the man and his supposed strong personality are natural characteristics. The ability of acceptation and modification which distinguishes and differs woman from man, is also a natural characteristic in her-And both the two characteristics of man and woman are affirming

the needs to the opposition rule which is very important for the duration of comfortable, suitable and long happy life.

Those who talk much about equality between woman and man, or rather who ask more freedom for the woman, if they actually means to prevent man from misapplying his strong personality towards his wife, or to advise him not to misuse his leadership to her, their appeal is naturally logic, also it is one of the teachings of Islam. But if their aim is to abolish the human natural differences between male and female as the communist writers are trying to do, they should remove the projection of the woman's breast, at first, by means of "God of science", or at least to prominent the man's breast by means of the same God, to be equal to the woman's one. When this will be realized, the organic human nature will be similar, and its characteristic will be equal. But it will only differ into its growth and development, though united in its substance.

The Socialism-which some of our writers, after the ninth anniversary of the revolution, tried to presume it, as if it is a first classe human organisation, which gives woman, intuitively, the same personal freedom of man, and the same

his aimlessly movements here and there. And if his mother is not of natural kindness and normal conformity, she will not be able anyhow to direct or control his manners, habits and conduct, or at least to turn him towards the desired direction.

The human nature compells man to follow one direction in his life, and this of course needs him to be of a strong personality and self-insistance. It also forces woman to modify her manner wherever modification is needed. This modification-by turn- needs her to have the ability of conformity, suitability, kindness and inclination, as we mentioned before.

Suppose that man is of a frail personality, he is in need of preponderance and firmness, and he is reluctant : turns once to the right side, and other to the left one, and at the same time, woman is of a strong personality, slight inclination and less experiences and modification, surely, any combination between the two will not last for a long time. This is because the woman, particularly, lost the main factor and the important element of her life as a wife. And consequently, she naturally feels manhood, and at the same time, she

does not completely lost all her characteristics as a woman.

Undoubtedly, there will be internal contradictions and conflict between the two discordant elements of her nature. In addition to that, if she gives a boy as a result of sexual meetings with her husband, she will not be able to guide or nurse him correctly, because her nature is confused and mixed up. So, it is very obvious that, this family can not be considered a good brick in the structure of the perfect and strong society.

And if we also suppose that every one of the two is of similar personality to the other, - wheather it is a strong or a weak one -, the matter in this case will not be more than a continuous struggle, disagreement and permanent friction. When every one of them is of a strong personality or a frail one, the matter will be exhaustion, confusion and perplexity.

The family which begins its life or relation with disagreement and continuous struggle, is exactly like the other one, which both of its members are of frail personality. This is because every one of them is similar to the other. In such family weariness and perplexity prevail upon the relations between the husband and his wife.

OPPOSITION - NOT SIMILARITY

Is one of the social development factors and one

OF THE NATURE'S RULES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

It is absolutely impossible to find the human society which consists of individuals of similar characteristics. For instance, is it possible to find the human society which combines only males or females? or is it possible to find that its individuals have the same wealth, the same power or the same weakness? Surely, it is absolutely impossible, because the opposition-not similarity, is the very important principle for the duration of any human society, especially, in its firmness and tenacity.

1 — The existence and the continuance of the family — the first brick in the structure of the society — are not only the result of sexual meeting between male and female, which forms the new generations, but also the opposition between the psychological characteristics of male and female, plays a great part in this

connection. And perhaps this will be followed by the dissimilar of bodily formation of man and woman. Certainly, the manly character compels him, by nature, to be of a strong and powerful personality, especially, in case of preponderance, firmness, determination and performance. It is obvious that preponderance needs meditation and studies, as it needs experiences and demonstrations. Also, determination needs self-control and intelligence.

On the contrary, the feminine character enforces woman, by nature, to have the ability of conformity modification, acceptance, and suitability. Due to her interior motherhood inclination, she kindly nurses her child, takes care of him, supply him with all his needs and keeps an eye on him all the times. But the direction of the child is not stable during his childhood, it completely likewise

contingent from every expedition remained behind, they could devote themselves to studies in Religion and admonish the people when they return to them—that thus they (may learn) to guard themselves (against evil.)” (Surah the Repentance, verse 122.)

This year, the United Arab Republic government issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. By means of this new law, Al-Azhar will combine both religious and temporal education. Muslims all over the world, will be gathered together around one table, it is the table of the holy Quran and the prophetic traditions and the table

of seeking knowledges of the holy divine light.

O Muslims, I hope that you will receive this anniversary birthday of the prophet Mohamad with faithful hearts, as I hope that you will follow the prophet Mohamad's footsteps, especially in deeds and knowledges, taking signs and sermons from what had happened during his lifetime, because he was a continuous labour to create dignity and honour into believer's hearts and also to furnish your hearts with love and mercy for the poor and needy people.

O Prophet Mohamed, peace may be upon you.

Qur'an says : " Say : O men, I am sent unto you all, as the Apostle of God' to whom belongeth the dominion of the heavens and the earth : There is no God but He : It is He that giveth both life and death. So believe in God and his Apostle, the unlettered Prophet, who believeth in God and His words : Follow him that (so) ye may be guided." (Surah the Heights, verse 158.)

The spiritual Islamic call went deeper into the universal conscience and particularly into believer's hearts it consequently, turned the cruelty to a mercy, the error to a guidance, the weakness to a power, the ignorance to a knowledge, the fear to a security and the confusion to a stability and peace. In this connection, Qur'an says : "God had promised to those among you who believe and work righteous deeds, that He will of a surety, grant them in the land, inheritance (of power), as He granted it to those before them; that He will establish in authority their Religion — the one which he has chosen for them; and that He will change (their state) after the fear in which they (lived), to one of security and peace : They will worship Me (alone) and not associate aught with Me, if any do reject faith after this, they

are rebellious and wicked. So establish regular prayer and give regular charity and obey the Apostle; that Ye may receive mercy."

(Surah the light, verses 55-65)

This is Mohamed who all the Muslim countries wherever they are, celebrate the memory of his birthday during the lunar month "Rabia Al-Awal" every year. It is a good opportunity and best luck for the United Arab Republic to adopt Islam, its studies and teachings. Since the United Arab Republic embraced Islam, it has kept its sources specially, the holy Qur'an and the prophetic traditions. The university of Al-Azhar, which is one of the United Arab Republic universities, and which is the religious one, had shouldered to teach Islam many centuries ago. It contains thousands of the foreign students who left their countries and families and came to Al-Azhar for the sake of studying Islam and its teachings. They consider Al-Azhar the second sanctuary, this because it provides them with knowledges and education, which they will preach among their citizens after returning back to their homeland. In this respect Qur'an says : "Nor should the believers all go forth together, if a

says : "When my servants ask thee concerning Me, I am indeed close (to them) : I listen to the prayer of every suppliant when he calleth on Me : let them also, with a will, listen to my call, and believe in Me : That they may walk in the right way" (Surah the cow, verse 186).

Hoping that they will be saved from their bad life and be guided to the straight path, people prayed to God, and He accepted their prayer, for He is all hearer, all knower and most kind, most merciful. A while after, good tidings of Mohamad's birth spread here and there. These tidings of his birth shook the whole world, and human souls looked at the sky asking relief and support. After a short time, the message of Islam was revealed to him, it was a cure for the hearts' diseases as Qur'an described that in the following verse "O mankind, there hath come to you a direction from your God and a healing for the (diseases) in your hearts — and for those who believe a guidance and a mercy. Say : " In the bounty of God and in his mercy — In that let them rejoice : " that is better than the (wealth) they hoard".

[Surah Yunus, verses 57-58.]

Prophet Mohamad had been

sent to mankind with the islamic guidance, Qur'an says in this aspect " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward".

[Surah, the children of Israel, verse 9].

Indeed, Qur'an guides humanity to the straight way in every sphere of life, as it obviously clears up to the best way of relations between man and his Lord, man and his brother, man and his life affairs, man and his freedom, man and the universe in which he lives, and also clears up the relation between the surface of the earth and its bottom. Qur'an says : " Do thy see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created ? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing to an end ? In what message after this will they then believe ?".

(Surah the Heights, verse 185.)

Moreover, Islam declares the relation between the wealthy person and the poor one, it guides humanity to live in peace and co-operation.

In addition to that, Qur'an declares God's blessings which had been granted to the descendants of the prophet Ebrahim, those who believe in God and his messages, it says : "God did confer a great favour on the believers when He sent among them an Apostle from among themselves, rehearsing unto them the signs of God, sanctifying them, and instructing them in Scripture and wisdom, while, before that, they had been in manifest error."

[Surah the Family of Imran, verse 163]

Qur'an also indicates to the blessings once more, and mentions the relation between people and the prophet Mohamad who has the heart which is full of mercy and kindness, it says : "Now hath come to you An Apostle from amongst yourselves. It grieves him that should perish : Ardently anxious as he over you : to the believers as he most kind and merciful."

[Surah the Repentance, verse 128.]

Before the revelation of the prophet Mohamad "peace may be upon him", people were living in complete darkness, and consequently, they denied the existence of God. They also did not consider the human virtues, and their souls filled with

tyranny and aggression. It was very difficult to guide them to the straight way, because they rejected faith, denied Divinity, cut all the relations between them and their creator, worshipped idols and prostrated to the useless stones. Moreover, people at that time, used to do bad social habits, they for example, buried girls alive in spite of their importance in formation of their families and society. They also compelled girls to commit adultery in spite of their purity and chastity. The worst habit was that they killed boys though they were the allurements and pillar of their life. Also they cut the relations between them and their society : They abandoned faiths, morality and the natural ways of life, They used the force as a solution for all problems. Consequently, mercy and kindness could not find any way to people's hearts.

There is no doubt that Islam guided human souls to the right way, after they had been corrupted by those who went astray. Indeed, the spirit of Islam is the pure one, which has no place in such society because it was full of tyranny and aggression. Islam is an easy Religion, it calls people to ask only God's help, and their application will penetrate the veils to the source of creating and existing, source of mercy and kindness, and also the source of relief and guidance. In this respect Qur'an

THE UNITED ARAB REPUBLIC CELEBRATES

The anniversary of the Prophet Mohamad birthday

WITH A FAITHFUL HEART

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Every year, on the lunar month "Rabia Al-Awal", Muslims everywhere celebrate the memory of the Prophet Mohamad birthday. God had sent Mohamad "peace may be upon him" to lead mankind to the right way of life, and to take peoples out of the darkness which they were living in. The revelation of the Prophet Mohamad was an expression declared that God had accepted the prayer of the two prophets "Ebrahim and his son Ismail" while they were laying the foundation of the first sanctuary "The sacred Mosque". Qur'an repeats their prayer in the verse "Our Lord! accept (this service) from us: For thou art the all hearing, the all knowing. Our Lord! Make of us Muslims bowing to thy (will), and of our progeny a people Muslim, bowing to thy (will), and show us our places for the celebration of (due) rites, and turn unto

us (in mercy); for thou art the oft-returning, most merciful. Our God sent amongst them an Apostle of their own, who shall rehearse thy signs to them and instruct them in Scripture and wisdom, and sanctify them: For thou art the exalted in might, the wise."

[Surah the Cow, verses 127 — 129]

This is Mohamad, who had been sent by God to humanity as an acceptance for the prayer of our father Ebrahim and his son, and who Qur'an called him "The light" in the verse "Thre hath come to you from God a (new) light and a perspicuous Book. Where with God guideth all who seek his good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness by his will, unto the light-guideth them to a path that is straight."

[Surah the table, verses 17 — 18]

